مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ م

مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (٢٠٠٠)

يَنْبَمُ

مَأْلَفُ السَّاجعات ، ومرتعُ الشَّوَادن قديماً

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أتصفَّحُ ديوانَ الشـاعر حُمَيْدِ بنِ ثورٍ أثناء كتابة كلمة عن فائت شعره ، ما ورد في قصيدته الميمية المشهورة من قوله :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزاعِ بِيشَــةٍ أَو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَو مِنْ يَنْبَمَا

وهو البيت الثاني والتسعون من القصيدة الواردة في ديوانه[1] ، تحقيق أستاذنا الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني – رحمه الله – ورأيته يقول في الحاشية : في « البلدان » في : يَنْبَمُ ، ويَبَنْبَم . وفي « الوسيط » (يَلَمْلَمَا) مصحَّفاً ثم نقل الأستاذ عباس عبد القادر الذي علق على الديوان ، كلامَ البكريِّ في « معجم ما استعجم » في تعريف المواضع الثلاثة : ينبم ، وبيشة ، وتثليث .

وسبق لِي أَن عُنِيتُ بالبحث عن موقع يَنْبَمَ ، فكتبتُ إلى أحد إخواني في تلك البلاد ، رجوته أنْ يبحث لي عن تحديد الموضع ، وهو الأخ الأستاذ فرَّاج بن شافي المُلْحِم ، فقام برحلة في جمادى سنة ١٤٠٤هـ وكتب إليَّ يقول[2] : يَنْبَمُ وبنات حرب والحَسَدَاءُ لَمْ نَجِدْ لها خَبَراً ولا اسماً في المنطقة .

كيف هذا والمواضع الثلاثة تقع على أشهرِ طريق كان معروفاً منذ العصور القديمة ، حين كان ملوك حمير يأتون بجيوشهم الجرارة من هذا

الطريق لإخضاع جوانب الجزيرة ، حتى كان يعرف إلى عهدنا الحاضر باسم (درب الملك الكامل)[٣] لأنه مَرَّ به حين غزا بني عامر في نجد سنة ٤١٥م ، ثم سلكه أصحاب الفيل سنة ٥٧٠م . وبعد أن ظهر الإسلام أُصْبَحَ طريقَ حجاج اليمن الآتين عن طريق صعدة طَوالَ ثلاثة عشر قرناً ، وقد حدَّدَ مؤلفو كتب المسالك المسافات بين منازل هذا الطريق ، وعَرَّفُوا كُلَّ منزلة حتى إنَّ من بينهم من حدد خطوط العرض لهذه المنازل تحديداً دقيقاً بحيث لو سار المرء على وصف ما ذَكَرَ أَحَدُهُمْ وقاس المسافات التي حددها بين منازل لا تزال معروفة – مثل بِيشَةَ وسَرُومِ الفَيْضِ – لَاهْتَدَى إلى الموقع ، وإنْ جُهِل اسْمُه ، واختفى رسمه .

ثم كان من حسن الحظ أَنْ أُكْرِمْتُ من إحدى الجهات بمجموعة من المصورات الجغرافية (الخرائط) لتلك الناحية الواقعة في جنوب المملكة ، وفي منطقة بلاد عسير بالذات حيث يمرُّ ذالك الطريق، فما أَشَدَّ سروري حين وقع نَظَري على إحدى تلك المصورات (الخرائط) تحمل اسم (ابن ابن) ، فكان أول ما تبادر إلى الذهن أنه هو اسم الموضع المقصود (يَنْبَم) ، وعادةُ العامَّةِ تحريفُ الأَسْمَاءِ بِتقديمٍ أَوْ تأخيرٍ في الحروف ، وبإبدال بعضها ببعض بل وبتغيير بعضها أصلاً إلى ما يقاربه ، ومن الأول اسم (ينبم) غيروه إلى (ابن ابن) ، ومن الثاني (الرقم)[٤] أبدلوا الميم في آخره (باءً) فصار يعرف باسم (الرقب) بالباء ، ومن الثالث تغييرهم اسم مكان سماه ياقوت (أسنان بلالة) وهي رؤوس جبال شامخة من العَرَمَة في الطريق بين الرِّياض والخَرْجِ ، سموها (ثَنَايَا بِلاَل) ، وهكذا مما لا يتسع المقام للإفاضة في تفصيله .

كان أول ما استطعت به ترجيح القول بأنه هو الموضع المقصود مقارنة المسافات بين هذا الموضع وبين المنزلين الواقعين قبله وبعده في وصف طريق الحج عند الهمداني ، ثم مقارنة قول الهمداني نفسه بأن هذا الموضع

يقع غرب تثليث .

يبنبم في الشعر القديم :

ويحسن هنا أَنْ أُوردَ ما استطعتُ العثور عليه من أشعار المتقدمين عن هذا الموضع .

قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ(٥) :

أَشَـــاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَـمِ غَدَوْا بُكَراً مِثْـلَ النَّخِيلِ المُكَمَّمِ

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهِلاليُّ(٦) :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَنْبَمَا

وقال العامِرِيُّ من أبيات(٧) :

يَا جـارَتَيَّ وقد أَرَى شَبَهَيْكُمـا بـالجِزْعِ مِنْ تَثْـلِيثَ أَوْ بِيَـبَمْبَمَا
عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمـا غَزَالٌ شَـادِنٌ رَشَـأٌ مِنَ الغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا

وإذا صح استنتاج تحديد الموقع بالنسبة لقائله جاز القول بأنه من بـلاد بني عـامر أو بقـربها لوروده في شعر عامريَّيْنِ هما : حُمَيْدَ بن ثور الهلالي ، والعامِرِيُّ الثاني الذي ورد قوله في كتاب « بلاد العرب » ، ومؤلفه من أهل القرن الثالث ، ولا بد أن يكون هذا العامريُّ قبل ذالك العهد، ودلالةُ قول حُمَيْد أبلغُ ، لأنه وصف موقع الحمامة التي أَثارتْ شجوه بأنه كان في تَثْلِيثَ وَيَمْبَمَ ، مما يدل على أنه كان استقر في تلك البلاد ، وبنو هـلال الذين منهـم حُمَيْد كانوا جاوروا خَثْعَـم التي كانت تسكن بقرب تَثْلِيثَ ، يضاف إلى هذا أنَّ كثيراً من بطون بني عامر كانت منتشرةً في جنوب البلاد المتاخمة لمنازل اليمنيين ، كما يُفْهَم من ذكر الموضعين معاً على تقاربهما ، وتَثْلِيثُ من أشهر الأَوْدية التي لا تزال معروفة ، وكانت أسافله من منازل العامريين بني عُقَيْل وغيرهم .

وإذَنْ فينبغي أن يكون يبمبم بقرب تثليث .

أما ذكرُ طُفَيْلٍ الغَنَوي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظَّغائن المتنقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنّ قبيلة غَنِيّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النِّير وحمى ضرية ، مع أنَّ طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَنْبَم في شعره مثل (القَهْر) .

تصحيف الاسم :

صواب اسم الموضع (يَنْبَمُ) ، وقد تُقْلَبُ النون ميماً لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطّرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَمْبَمُ) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »[٨] :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَلَمْلَما

حُرِّفَ إلى (يلملم) ثم زِيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه (أَلَمْلَمُ) و(يَرَمْرَمُ) . فلم يكتف المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم ، بل أضاف خطأً آخر هو قوله : بأنَّ يلملم يسمى (أَلملم) و(يرمرم) ، وفرق بين يرمرم ويلملم . فيلملم : موضع تهامي ساحليٌّ هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ ، ويَرَمْرَمُ جبل نَجديٌّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِن بني سُلَيْم ، قال عنه الْهَجَرِيُّ[٩] : « قال السُّلَميُّون : يَرَمْرَمُ عَلَمٌ من الأعلام ، أَسْوَدُ ، أقربُ المنازل إليه مَعْدِنُ بني سُلَيْمٍ عن يمين الذاهب إلى مكة من العراق » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة تسميه (رَمرَم) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل (ينوف): (نوف) و(ياقوت) (قوت) و(يجودة) (جودة) و(يعقوب) (عقوب) وهكذا .

ويقول الشاعر العامي مُخلد القَثامِي العتيبي في رمرم :

الدَّرْبَ عَـانهْ من حَصَـا كُشْبٍ وَيْسَـارْ
مَـا حَـدَّ رَمْـرَم والهِضَـابَ العَسِيبِ[١٠]

وقال خُصَيْوِي القَوْسُ المَرْشَدِيُّ العُتيبِي من أبيات سنة ١٣٤٨هـ :

تَعَـرَّفِيهـا تَـرَاهـا دِيـرَةَ القَـوْم رَمْرَم ورَايَـانْ لَزْماً تَاصَـلِيْنِـهْ[١١]

وجاء بعد صدور طبعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » صديقنا الأستاذ أحمد عبد الستار فراج – رحمه الله – فسار في تحقيقه لهذا الكتاب على نهج ما ورد في طبعة الدار ، مع التعليق على البيت بذالك التعليق الخاطئ .

وجاء محقق كتاب (الكامل)[١٢] للمبرد صديقنا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم – رحمه الله – فأورد البيت كما ورد في كتاب (الأغاني) ، وحاشيته .

ومع أن شيخنا الميمني – رحمه الله – أورد الاسم صحيحاً في تحقيق ديوان حميد ، وأشار إلى أن كلمة (يلملم) تصحيف ، فإن المشرف على طبع كتاب « الوحشيات »[١٣] الذي حققه الشيخ الميمني أورد البيتَ على الصفة التي قال الشيخ الميمني : إنها تصحيف .

وجاء صديقنا عبد السلام محمد هارون – رحمه الله – فأورد البيت في كتاب « الحيوان »[١٤] كما ورد في مطبوعة دار الكتب المصرية من « الأغاني » وأشار إلى وقوع تصحيفين آخرين في مخطوطتين من مخطوطات كتاب « الحيوان » في إحداهما (بينمنا) وفي الثانية (بتلملما) .

ومن تصحيفات هذا الاسم أيضاً ما ورد في « معجم البلدان » في حرف الباء الموحدة من قوله : « بَيَمْبَم – بفتحتين – وزن غَشَمْشَم – : موضع أو جبل ، وكذا ذكره الأزهري والخارزنجي ولم تجتمع الباء والميم في

كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة ، ورواه بعضهم يَمْبَم ، وقد رُوي على اللُّغتين قولُ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ حيث قال :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ   وبِالرَّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ بَيَمْبَمَا »

مع أنه أورد في حرف الألف ما نصه : « أَبَنْبَمُ – بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة وميم بوزن أَفَنْعَل من أبنية كتاب سيبويه ، ويُرْوَى يَبَنْبَم بالياء ، وذُكِرَ في موضعه ، وأنشد سيبويه لِطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ يقول :

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِجَفْرِ أَبَنْبَمِ   نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ »

ثم قال في حرف الياء : « يَمْبَمُ – بفتح أوله وثانيه وميم ساكنة ، وباء موحدة أخرى وميم : اسم موضع قُرب تَبَالَةَ عند بِيشَةَ وَتَرْجٍ ، والتَّلَفُّظُ به عَسِرٌ لِقُرْب مخارج حروفه ، قال حُمَيْد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ – خمسة عشر بيتاً أوردها – وكان البيت الثاني عشر منها :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ   أَو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَبَمْبَمَا

وقال بعض بني عامر :

يَا جَارَتِيَّ وَقَدْ أَرَى شَبَهَيْكُمَا   بِالجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَبَمْبَمَا
عَنْـزَيْنِ بَيْنَهُمَا غَزَالٌ شَادِنٌ   رَشَأٌ مِنَ الغِزْلاَنِ لَمْ يَكُ تَوْأَمَا »

وأضاف في حرف الياء ما نَصُّه : « ينبم – بفتح أوله وثانيه وسكون نونه ، وباء مفتوحة وميم – ويقال : أَبَنْبَمُ – : موضع ، وهو من أبنية كتاب سيبويه ، قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِحَفْرِ يَبَنْبَمِ   نَعَمْ بُكُراً مِثْلَ الفَنِيقِ المُكَمَّمِ(١٥) »

ولا شك أَنَّ إيرادَ الاسْمِ بالباء (بَبَنْبَم) تصحيف يَبَنْبَم ، وياقوت – رحمه الله – كثيراً ما يكرر الاسم الذي لا يتيقن صحة ضبطه مثل (رَنْيَة) ، أوردها في الموضع الصحيح ، ثم أوردها في حرف الزاي

(زِئنة) .

ومن أسْوَأ أنواع التصحيف في هذا الاسم ما وقع في المطبوعة التي حققهـا الدكتور محمد حسـين الزُبَيْدي وطبعت في العراق من كتـاب « الخراج » لقدامة بن جعفر ، فقد ورد فيه الاسم بهذا النص : (ومن نباتِ حرم إلى شميص [بدون نقط] منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس بـه أهـل ...... ومنـه إلى كُثْبَـة) وكرر (كُثْبَة) مرة أخرى ، ووردت (سـروم) : (شَـروم) ولكن اسـم (يَمْبَم) ورد صحيحاً في المطبوعة الأوربية وما صُوِّر عنها .

مما تقدم يتضح أن سبب صعوبة النطق بالاسم التي عبر عنها ياقوت بقوله : (التلفظ به عسر لقرب مخارج حروفه) سَبَّبَ تحريفه وتصفيخه إلى يلملم ، وببنبم ، إلى غير ذالك من أوجه التصحيف والتحريف .

أقوال علماء اللغة :

لعـل من أقدم من ذكر اسـم الموضـع من اللغويين سيبويه في (الكتـاب) على ما ذكر البكري وياقوت في معجميهمـا ، وسيأتي نَصُّ ما ذكرا ، وقد تتبعت فهرس الكتاب في مطبوعة الأستاذ عبد السلام محمد هارون فلم أَعْثَر على النص المنسوب لسيبويه في الكتاب .

وقال الأزهري في « تهذيب اللغة » : يَنْبَمُ : وذكر حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ ينبَمَ[١٦] :

إذَا شِـئْتُ غَنَّتني بِأَجْزَاعِ بيشَـةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو من يَنْبَما

وقال ابنُ دريد[١٧] : (ب م ب م) : لم تجتمع الباء والميم [مكررة] في كلمة إلاَّ في يبمبم ، وهو جبل أو موضع .

وقال صاحب « اللسان »[١٨] : أبنبم وينبم موضع ، قال ابنُ بَرِّي : أَبَنْبَمُ على أَفَنْعَلَ من أبنية الكتاب ، قال طُفَيْل :

أَشَـاقَتْكَ أَظْعَـانٌ بِجَفْرِ يَنْبَـمِ نَعَـمْ بُكُراً مِثْلَ الْفَسِيلِ الْمُكَمَّمِ

ثم نقل ما في « التهذيب » وتقدم .

وقال في « تاج العروس »[١٩] فصــل اليـاء مع الميم : ومما يستدرك عليـه يَيَمْبَمُ – بفتح الياء والباء الأولى والثانية بينهما ميم ساكنة : اسم موضع قرب تَبالة ، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيْشَــةٍ أو الجِزْعِ من تَثْلِيْثَ أو من يَيَمْبَما

قال ياقوت : والتلفظ به عَسِرٌ لقرب مخارج حروفه ، وقد أشار إليه المصنف في أول الحرف ويقال : بالألفِ أَيْضاً بدل الياء ، وقد تقدم ذالك للمصنف أيضاً ، ويقال أيضاً بالباء الموحدة أولاً .

واختلف في وزنه فقيل : فَعَلَّل كَسَفَرْجَل ، وقيل : يَفمْعل ، ويروى أيضـاً يَنَبْنَم بقلب الميم الأولى نوناً ، أورده ياقوت هكذا ، وبه رُوِيَ قول طُفَيْــل الذي سبق في أول الحرف ، وعلى كل حـال كان الواجب على المصنف الإشارة إليه هُنَا .

وفي « التاج » أيضاً قبل ما تقدم : ابنبم : أهمله الجوهري ، وهو من أبنية كتاب سيبويه وزنه أَفَنْعَل ، ويقال ينبم بالياء وزنه يفنعل ، وهو موضع قرب تَثْلِيْثَ ، وأنشد سيبويه لطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ :

أَشَــاقَتْكَ أَظْعَــانٌ بِحَفْـرِ يَنْبَـمِ نَعَـمْ بُكُراً مِثْـلَ الْفَسِيـلِ الْمُكَمَّمِ

وأنشد الصاغاني لِحُمَيْد بن ثَوْر – رضي الله عنه –:

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَــةٍ أَوْ الرِّزْنِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِأَبَنْبَمَا[٢٠]

ثم أورد كلام ياقوت في معجمه .

ومن أقوال علماء المواضع :

قال الهمداني في (شرح القصيدة الدامغة)[٢١] بعد أن تكلم على يوم رَنْيَة : ورَنْيَةُ القُرَيْحَا ، وأورد شعراً لِعَمْرِو بن معدي كرب في ذالك اليوم ، وجواب عامر بن الطُفَيْل له وفيه يقول :

لاَ تَعْجَلَنْ يَا عَمْرُو وَانْظُرْ كَتَائباً   تُسَاقُ إليكم بَعْدَهُنَّ كتائبُ
إلَى أُطْمِ طَبْيٍ يَعْتَلِكنَ شكائماً   مقانب تُهْدِيهَا إلَيْكَ مقانِبُ
هُنَالِكَ لا تُنْجِيكَ مِنَّا قُضَاعَةٌ   وَلاَ مَذْحِجٌ إنْ سَارَ كَعْبٌ وَحَاطِبُ

الأطم : الحصن الحصين المبني ، وطَبْي : موضع عَمْرٍو وهو يَمْبَمُ ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس فقال[٢٢] :

وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبْيٍ فَعَرْعَرَا

والنَّاسُ يَرْوون ظبي ، وهذا غلط ، طبي وعرعر من أودية نجد ، وقد يسميه بعض من يجهله طب . انتهى .

والشاهد من هذا النص صلةُ الموضع بعمرو بن معدي كرب ، والهمدانيُّ نفسه قد أوضح في (صفة جزيرة العرب)[٢٣] أن عمرو بن معدي كرب من أَهْل تَثْلِيثَ ، فقال في ذكر بلاد بني نَهْدٍ : طَرِيبُ وأَرَاكُ وَتثْليثُ ، وكان لعمرو بن معدي كرب فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ ، وجَاشُ ومَرِيعُ والعشَّتَانِ والبردان . انتهى ملخصاً ، ولم تذكر إلا المواضع التي لا تزال معروفة .

وأورد الهمداني في (صفة جزيرة العرب)[٢٤] من أرجوزة للرداعِي في وصف طريق عودته من مكة إلى اليمن بعد أن ذكر منهلَ بناتِ حَرب :

ثم اصْدُرِي منه إلى هِرْجَاب   لِابْنَيْ دَدٍ فَجُلْجُلِ الأَحْزابِ
وبَعْدَ نَجْرٍ أُبْتِ للْمَثَابِ   يَمْبَما مَحْمودةَ الإيابِ

إلى أن قال :

حَتَّى إذَا أَوْرَدتُها يَمْبَما   والليلُ قد أَلْقَى جِراناً مُظْلِما

قال :

فَصَبَّحَتْ واللَّيْلُ قد تَجَرَّما   كُتْنَةَ إذْ كانَتْ لِورْدٍ مَعْلما

ونقل عنه البكري في (معجم ما استعجم)[٢٥] ما هذا نصه : « وقال

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب « الإكليل » : يَمْبَمُ وحَبَوْنَنُ وَجَاشُ وَمَرِيْعُ مِنْ دِيَارِ مَذْحِج ، قال : وكذالك الْهُجَيْرَةُ والْكُتْنَةُ ، قال : وهي اليوم لبني نَهْدٍ » ، وكل هذه المواضع معروفة سوى يبمبم .

وقال أيضاً(٢٦) : قال الهمْدانيُّ : حَبَوْنَنُ من ديار مَذْحِجَ ،وكذالك جَاشُ ومَرِيعُ ويَمْبَم قال : هي اليوم لبني نَهْدٍ .

وقال البكري أَيْضـاً : « يَنْبَم – بفتح أوله وثانيه وبعده نون وباء أخرى – : وادٍ شَجِيرٌ قِبَلَ تَثْلِيث ، قال حُمَيْدُ بنُ ثَوْرٍ :

إذا شئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ أَوِ الْجِزْعِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ من يَنْبَما

وذكر سيبويه في الأَبْنِيَة : أَبْنَبَمَ – بالهمز على وزن أَفْنَعَلَ ، وهي لغتان فيها الهمزة والياء كما هي في (يَلَمْلَم) ولم يَذْكُرْ سِيْبَوَيْهِ فيه الياء » .

وتقدم كلام صاحب « معجم البلدان » .

ومن أقوال علماء المسالك :

تقدم القول بوقوع (يَمْبَم) في أشهر الطرق التي تأتي من اليمن إلى داخل الجزيرة ، ويحسن إيراد بعض أقوال أصحاب المسالك في ذالك، ولعل من أقدمهم ابنُ خُرْداذبة فقد جاء في كتابه (المسالك والممالك) يصف طريق المتجه إلى اليمن بعد تَبالة(٢٧) : ثم إلى بِيشَةِ بُعْطانَ كبيرة فيها ماء ظاهر ، قال حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهلاليُّ :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَـةٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو بِيَمْبَما

ثم إلى الجَسَدَاء فيها بئر ، ولا أهلَ فيها ، ثم إلى بنات حَرْب قرية عظيمة فيها عين وبئر ، ثم إلى يَمْبَمَ ولا أهل فيها ، ثم إلى كُتْنَةَ قرية عظيمة فيها آبار ، ثم إلى الثَّجَّة فيها بئر ، ثم إلى سَرُومِ رَاحٍ قرية عظيمة فيها عيون وكروم ، وجُرَشُ منها على ثمانية أَمْيَال .

وفي كتاب (المناسك) في وصف الطريق من اليمن إلى مكة[٢٨] : ومن ذاتِ عُشٍّ إلى كُتْنَة ، ومن كُتْنَة إلى يَنْبَم وبينهما الماء ، ومن يَنْبَم إلى بنات حرب وبينهما المسلة (؟) ثم جَسَدَاء ثم المَيْثاء ومن بِيشَة إلى تَبَالَة . انتهى .

وقال قُدامة بن جعفر في كتاب « الخراج وصناعة[٢٩] الكتابة » : ومن بِيشَة إلى جَسَدَاء – منزل أعراب من قَيْس ، ومن جَسَدَاء إلى بنات حرم (؟) قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، ومن بنات حرم إلى يَبَمْبَم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خَثْعم ، وبينها وبين جُرَش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كُثْبَة (؟) قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار في صحراء ، بينها وبين جُرَش ثمانية أميال . انتهى .

أما أَدَقُّ هاؤلاء العلماءِ وصفاً للطريق ، وتحديداً للموضع ، فهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، قال في وصف محجة صنعاء إلى مكة بعد أن ذكر ما قبل سَرُوم الفيضِ فكتنة[٣٠] : ومنها إلى سَرُومِ الفَيْض أربعة عشراً ميلاً وعرضها ستة عشر جزءاً ونصف وخمس جزء ، ومنها إلى الثَّجَّةِ ستة عشر ميلاً ، وعرضها ستة عشر جزءاً وثُلثَا جزء وربع جزء ، ومنها إلى كُتْنَةَ عشرون ميلاً ، وهي على تمام خمسة عشر بريداً من صنعاء وثمانين ومئة ميل ، وكُتْنَةُ أَوَّلُ حَدِّ الحجاز ، وعرضها سبعة عشر جزءاً وسدس ونصف عشر ، وعرضها وعرض جُرَشٍ واحدٌ ، لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ، ومن الْهُجَيْرَةِ وتَثْلِيثَ عن يوم في مشرقها ، ثم منها إلى يَبَمْبَم عشرون ميلاً ، وذالك مئتا ميل من صنعاء ، وعرضها سبعة عشرَ جزءاً ونصف وسدس عُشْرِ جزء ، ومنها إلى بنات حَرْب عشرون ميلاً ، وعرضها سبع عشرة درجة وأربعة أخماس درجة ، ومنها إلى الجَسَدَاء اثنان وعشرون ميلاً ، وعرضها ثماني عشرة

درجة وعُشْرٌ ونصفُ عُشْرٍ ، ومنها إلى بِيشَـةِ بُعْطان أحدٌ وعشرون ميلاً وعرضها ثماني عشرة درجة وثلث وثمن ، ومنها إلى تَبَالَةَ أحد عشر ميلاً . انتهى ، فهو كما ترى لم يكتف بتحديد المسافة بالأميال بل ذكر درجاتِ عرض كل منزلة من المنازل المذكورة .

ومن المعلوم أن درجات العرض عند المتقدمين قد تختلف عنها عند المتأخرين فهي وان كانت تبتدئ من خط الاستواء عند الفريقين فإنّ هناك اختلافاً يسيراً يتضح بمقارنة عروض المنازل :

١ - فدرجة العرض في سروم الفيض عند الهمداني تقل عن سبع عشرة درجة بينما هي عند المتأخرين تقع على درجة العرض (١٨ درجة) وعلى درجة الطول : ٢٥ /٤٣° .

٢ - ومنزل الثَّجَّةِ الواقع بين سَروم الفيض وكُتْنَة ليس معروفاً الآن ولا تفوت الإشارة إلى أن من المواضع الواقعة على الطريق في هذا الاتجاه بقرب منتصف الطريق بين الفيض وكتنة موضعاً يسمى (الثَّجْر) في إمارة (الأمواه) إحدى إمارات بلاد عسير ، ولا أستبعد أن يكون هو (الثَّجَّة) فحرف الاسم ، وهو اسم قرية مأهولة تقع على خط الطول ٣٠ /٤٣° وعلى خط العرض ٢٥ /١٨° في وادٍ بهذا الاسم أيضاً تقع آثار الجُعَيْفِرة المكان الذي يُظَنُّ أنه هو الْهُجَيرة شرق الثَّجْر هذا ، بميل نحو الجنوب بقرب خط الطول ٤٣ ′/٣٠° وخط العرض ٤٥ /١٨° بحيث تقرب من مُحاذاة منزلة كُتْنَة التي ذكر الهمداني(٣١) أنها في مشرقها .

٣ - أما كُتْنَة المنزل الواقع على هذا الطريق فعرضها يزيد على سبع عشرة درجة عند الهمداني وعند المتأخرين تزيد على تسع عشرة درجة ، ودرجة الطول ٢٠ ′/٤٣° .

ويلاحظ أنَّ اسم كُتْنَة يطلق على أربعة مواضع واقعة فيما بين سَروم الفَيْض ورَنْيـة ، ولكن المـنزلة التي حددها الهمداني هي التي سبق تحديد

درجاتها ولا تزال معروفة قرية في وادٍ بهذا الاسم .

٤ – يمبم : حدَّدَ الهمدانيُّ درجاتِ عرضها بأَقلَّ يسيراً من ثماني عشرة درجة ، وهي تقع على درجة العرض ٣٠ ′١٩/″٥ ، وعلى درجة الطول ٠٠ ′٤٤/٥ .

٥ – بنات حرب : على درجة تبلغ ثماني عشرة إلا يسيراً عند الهمداني ، والموضع ليس معروفاً ولكن هناك جبال تقع في تلك الجهة يطلق عليها الاسم ، على ما حدثني بهذا أديبُ بلاد عسير الشيخ عبد الله بن علي بن حُمَيِّد – رحمه الله –.

ومع أن الموضع ذو شهرة عند المتقدمين حيث وصفه قدامة بن جعفر بأنه قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة ، وقريب من هذا الوصف ورد في كتاب (نزهة المشتاق)[٣٢] فإن الاسم في الكتابين وَرَدَ مُحَرَّفاً ، ففي الأول (بنات حرم) وفي الثاني (بيات) ، كتحريف غيره من الأسماء الكثيرة الواقعة في المسالك في هذين الكتابين .

٦ – الجَسَداءُ : درجات عرضها تزيد على ثماني عشرة ، ولكن الموضع لا يزال مجهولاً ، وإنْ عرفت المنطقة التي يقع فيها ، فقد ذكر الهمداني[٣٣] أنه من (يَعْرَا) ويَعْرَا : وادٍ لا يزال معروفاً بل هو من أشهر الأودية في منطقة بلاد عسير ، ينحدر من السراة ويصب في وادي تَثْلِيث مع وادي طَرِيبٍ ، وسكانه ناهس من شَهْرَان القبيلة الخَثْعَمِيَّة المعروفة .

٧ – بِيشَة بُعْطَان : ودرجة العرض عند الهمداني تقارب ثماني عشرة ونصفاً ، وهي كما في المصورات الجغرافية الحديثة يقارب عرضها عشرين درجة وخط الطول : ٤٠ ′٤٢/٥ ، ويلاحظ أن وادي بِيشَة يُعَدُّ من أَطول أودية بلاد العرب ، ولعل المقصود هنا هو أقرب ثني منه الطريق حيث أَضافه إلى بُعْطان ، وبُعْطان هذا رافد صغير من روافد وادي بِيشَة يقع

بقرب خط العرض المذكور .

اتجاه الطريق :

ومما ينبغي أن يلاحظ أنَّ الهمداني ذكر أن الاتجاه في هذا الطريق يستمر إلى جهة الشمال الغربي حتى يبلغ رأس المناقب ، ويقصد ما يعرف الآن باسم (الريعان) جمع رِيعٍ قبل قرن المنازل ، قال عند ذكر هذا الموضع وهو منتهى الطريق إلى وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب والجنوب ، وعلى أساس قوله هذا كان تقديره لدرجات العرض ، فوقع في شيء من عدم الدقَّة ، لأنه لم يلاحظ أنه بَعْدَ أن يتجه الطريق من منزلة الفَيْنس يأتي إلى أرضٍ منحدرة هي فروع الأودية التي تنحدر من السراة ، فيسلك الطريق ما تساهل منها ، وقد يأخذ إلى الجنوب الغربي تبعاً لاختيار الطريق السهل .

وينبغي أن تكون منزلة يَنْبَم مماثلة في درجة العرض لمنزلة كُتْنة ، أي تزيد على الـ (٤٣) . وبعد منزلة يَنْبَم يبدأ انحراف الطريق من الشمال إلى الشمال الغربي ، حيث يَتَنكَّب الطريق منحدراتِ فروع وادي تَثْلِيثَ ومجرى الوادي المنخفض الذي اتسع عندما بلغ منطقة يَعْرَا ، فسهُل اجتيازه إلى منزلة الجَسَدَاء الواقعة في هذه المنطقة بقرب درجة الطول : ٤٣° ودرجة العرض : ٤٥ /١٨° .

ومما تجدر ملاحظته هنا أنَّ وادي بيشة من أطول الأودية التي تخترق تلك المنطقة ، ففروعه تنحدر من قرب خط العرض : ٣٠ ′/١٧° ومفيضه يتجاوز خط العرض : ٠٠ ′/٢١° ، ولكل ثنْيٍ من أثنائه اسم خاص به ، ففي أعلاه يسمى بيشةَ ابن سالم ، وفي أثنائه يعرف ببيشة ابن مُشَيْطٍ ، وفي حوضه يعرف ببيشة بُعْطان ، وفي أسفله بقرب فروعه يعرف ببيشة النخل .

أما منزلة الطريق في هذا الوادي فهي بيشة بُعْطَان ، اسْم رافد صغير من روافد الوادي ينحدر في وادي هِرْجَاب الوادي المشهور ، الذي يجتمع

مع وادي بيشة بعد اجتماعه برافد بعطان ، ويوضح هذا ان الرداعي وهو يصف الطريق يقول في أرجوزته المشهورة[٣٤] :

لِلْجَسَدَاءِ شُخَّصاً لِلمَاءِ ثُمَّ الغَضَار فإلى المَيْثَاءِ
حَتَّى إذَا أوْرَدتُّها رَنُوما وادِيَها والمنهلَ المعلوما
ثُم بُعْطانَ بِوَاجِي الوَسْجِ تَؤُمُّ مِنْ بِيشَةَ وادِي تَرْجِ

والهمداني حينما ذكر المنزل سماه (بيشة بُعْطان)[٣٥] ، والمَيْثاء ورنوم شعبان لا يزالان معروفين ، وكذالك بعطان ، والموقع هو بقرب درجة الطول : ٣٠ /٤٢° ودرجة العرض :٣٥ ′/١٩°، ثم اتجه الطريق نحو مَصَبِّ تَرْجٍ في وادي بِيشةَ فكأنه انحرف ذات اليسار عن منخفض الوادي ، الذي تكثر فيه المنحدرات والقرى ، ووادي تَرْجٍ يجتمع في وادي بيشة عند قرية الْحَيْفَةِ بقرب خط الطول :٣٠ /٤٢° وخط العرض : ٥٠ /١٩° وهي في منطقة إمارة الحازمي ، تقع شرق بلدة الحازمي قاعدة الإمارة ، بِقُرْبِها .

ثم كان الاتجاه من هذه المنزلة إلى منزلةِ تَبالة حيث خط الطول : ٢٠ ′/٤٢° وخط العرض : ٢٠°، ومن تبالة هذه انحرف نحو اليمين فاجتاز وادي رَنْيَة ثم جزع الحَرَّة ، ونزل إلى وادي كَرَاء ، فوادي تُرَبَة ، واتجه شمالاً قصدا حتى المناقب .

مما تقدم يتضح اتجاه الطريق ، والغاية من ذالك الإشارة إلى عدم دقة كلام الهمداني من وصفه بأنه يتجه إلى الشمال حتى رأس المناقب في جميع منازله ، كما يفهم من قوله المتقدم ومن قوله أيضاً : إن الاتجاهَ من كُتْنَةَ إلى بِيشَة إلى مغيب الأوسط من بنات نَعْشٍ الذي بجنب السُّها ، وإلى المناقب على سمت مغيب الآخِرِ منها الذي يطلع آخِرها ويغيب آخِرها[٣٦] .

وهذا الانحراف الواقع في الطريق ناشئٌ عن اختيار ما سَهُل من الأرض لسير الإبل والدواب ، وهذا يتطلب البعد عن منحدرات جبال السراة ما أمكن ، ثم تحاشِي السير في الأودية المنحدرة منها التي كثيراً

ما تجرف بسيولها ما يقع فيها .

فقد جزَعَ الطريقُ فروعَ وادي تَثْلِيث ونَكَّبَ مَجْرَى الوادي وروافده الكبيرة يسارَه ، واتجه مع الأرض السهلة من منزل سَرُومِ الفَيْضِ ، واتخذ اتجاهه الذي يُجَنِّبُه اعتراضَ الأودية حتى تساهلت له الأرض الفسيحة بعد اجتياز المرتفعات ، وانبساط وادي تَثْلِيث حيث جَزَعَه إلى سهل حوض وادي بِيشَةَ .

أين يقع يَبَنْبَم من هذا الطريق ؟

تحديد المتقدمين يوضِّحُ أَنَّه في المنتصف فيما بين بِيشَةَ وسَرُومِ الفَيْض ، الموضعين اللذين لا يزالان معروفين ، فهو المنزل الثالثُ من بِيشَةَ لقاصد سَرُوم ، وهو المنزل الرابع من سَروم لقاصد بِيشَةَ ، والمسافة بينه وبين بِيشَة ثلاثة وستون ميلاً ، والمسافة بينه وبين سروم الفَيْض ستة وخمسون ميلاً ، والمنزلة التي تليه فيما بينه وبين سروم الفَيْضِ هي كُتْنَة الواقعة على خط الطول ٢٠ /٤٣° وخط العرض ١٠ ′/١٩° ، أما المنزلة التي بعده وهي بَنَات حَرب فيما بينه وبين بِيشَة فغير معروفة ، وكذَا الجَسَدَاء إلاَّ أنَّ الأخيرة هذه وإن كانت مجهولة فقد أشار الهمداني إلى وقوعها في منطقة وادي يَعْرَا ، ووادي يَعْرا لا يزال معروفاً وهو واقع على خط الطول . . /٤٣° و٤٥ /١٨°.

وإذَن فكأن الطريق انحرف يسيراً من اتجاهه من كُتْنَة إلى يَعْرا ، إذْ كُتْنَة على عرض ٢٠ /٤٣° فينبغي إذَنْ أن تكون المنزلة الواقعة بعد كُتْنَة حين يُلاَحظ أَنَّ الأرض مستوية وأنه ليس هناك ما يدعو إلى الانحراف فتكون المنزلة على خط طول لا يزيد على ٢٠ /٤٣° ولا ينقص عن ٤٣°درجة ، وخط العرض ينبغي أن يكون بين ١٠ /١٩° وهو عرض كُتْنَة و٤٥ ′/١٨° وهو عرض يَعْرا .

أما المسافة بين كُتْنَة ويَعْرَا فهي على تقدير الهمداني اثنان وستون ميلاً منها عشرون قبل منزل يَبَمْبَم ، واثنان وأربعون بعدها .

وعلى هذا تكون المسافة بين كُتْنَةَ ويَمْبَم على وجه التقريب تزيد يسيراً على خمسين كيلاً ، إذْ الميل حسبما اتضح لي من الأميال التي لا تزال باقية في طريق زُبَيْدَة في طريق الحج البصري المارِّ بنجدٍ ، يتراوح بين ألفين ومئتين ، وألفين وأربع مئة متر .

أما درجة العرض فينبغي أن تكون منزلة يَمْبَم بقرب خط العرض ١٩°درجة بدون زيادة وخط الطول ١٥ /٤٣° .

وإذا صح هذا التقدير فان الموقع المعروف الآن باسم (ابن ابن) تنطبق عليه أكثر تلك الأوصاف .

يبدو ان اسم (ينبم) يطلق على الوادي الذي يعرف الآن باسم (وادي ابن ابن) وهذا الوادي قد رُسم له مُصَوَّرٌ جغرافي خاص باسمه ، وفروعه تقع بقرب خط الطول : ٥ /٤٤° وهي تنحدر من جبال القهر(٣٧) ، ويجتمع بوادٍ يدعى وادي السَّمَارة ، تاركاً جبال عَرْوَا جنوبه ، وجبال عروا هذه هي عَرْوَا القَهْر ، التي ذكر الهجري(٣٨) ، وفي جنوب الوادي سهل واسع يطلق عليه اسم سهل المنقع ، وسهل منقع الحمام ، وهناك قرية بهذا الاسم (منقع الحمام)(٣٩) في منطقة العين تقع بقرب خط الطول : ١٥ /٤٤° وخط العرض ٠٠ /١٩°، وهذا السهل المنبسط من الأرض تَلُبُّ به جبال القَهْرِ من شماله ، كما تَلْهَزُه من الجنوب جبال عروا ، وفي شماله واد يعرف بوادي الْمَغْرَة ، فيه بئر بهذا الاسم ، وواد آخر يدعى وادي جَبْجَبٍ ، يتجه الواديان صوب الشمال ، وفي جنوب ذالك السهل تقع جبال تعرف باسم جبال القباقب ، وجبل الخشيبة ، تنحدر منها شُعَبُ أودية تفيض في وادي السمارة ، منها شعب خَمط وشعب الخشيبة وشعب مُكَسِّرٍ من جبل بهذا الاسم ، وشعب ضبير ، وأشهر الأودية الواقعة في جنوبه وادي السمارة الذي يدع سهل الْمُرَيْبِخِ جنوبه ، وأكثر الشعاب تنحدر في وادي السمارة ومنها وادي (ابن ابن) .

ومنطقة وادي ابن ابن كما رسمت في المصور الجغرافي (الخريطة) تقع بـين خطي الطول : ٠٠ /٤٤° و١٥ /٤٤° وبين خطي العرض: ٣٠ /١٩° و٥٥ /١٩° والمسـافة إلى هذا المكـان من كتنـة تقارب ما حدد الهمداني عشـرين ميلاً أي نحو خمسـين كيلاً . يتضح هذا من أن الهمداني حدد المسافة بين سروم وبَين كتنة بستة وثلاثين ميلاً وهي بسير السيارات الآن تقارب ستين كيلاً .

وقد يلاحظ هنـا أنَّ هذا الموقع بالنسبـة إلى منزل كتنـة منحرف شمالاً ، ولكن الانحراف بين منازل الطريق قد تسببه وعورته ، وهذا مما يكثر في منازل طرق الحج مما لا يتسع المجال لتفصيله .

وبالإجمال فلا شك أنَّ الاسـم الذي يطلق على هذا الموضع طوال السنين له صلة بالاسم القديم (أُبَنْبَم) بصرف النظر عن الموقع الذي كانت منزلة الطريق تقع فيه منه ، فقد يكون الاسم تقلَّص فصار لا يشمل إلاَّ هذا الجزء الواقع في منطقة جبال الْقَهْرِ ، بينما كان يشمل ما هو أوسع منها بحيث كان الطريق يمر بجانب منه .

وقد يتصدَّى أحد الدارسين لتناول الموضوع بدراسة أَدَق وأوفى وأشمل مما تقدم .

الحواشي :

(١) ص٢٦ .

(٢) « العرب » س١٨ ص١٠٢٦ .

(٣) كتـــاب فــلبـي « المــرتفـعــات العــربيـــة » ص٤١ – ٧٤ (ARABIAN HIGHLANDS) .

(٤) انظر هذا الاسم في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » قسم شمال المملكة .

(٥) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ نشر دار اليمامة ، وديوان الشـاعر ٧٢ مع تصحيف (بجفر) إلى (بجفن) .

(٦) ديوانه : ٢٦ .

(٧) « بلاد العرب » للحسن الأصفهاني ، ص١٤٩ .

(٨) ٤/٣٥٥ ـ ط.دار الكتب المصرية .

(٩) « التعليقات والنوادر » للهجري : ١٩ المخطوطة المصرية .

(١٠) (عانه) : انظره .

(١١) (تراها ديرة القوم) : هي ديرة الأعداء . (لزما تاصلينه) : أي تصلين إليه ، يخاطب ناقته .

(١٢) ٣/١٢٤ط. نهضة مصر .

(١٣) ١٩٣ .

(١٤) ٣/١٩٨ .

(١٥) أرى أن كلمة (الفنيق) تصحيف (الفسيل) .

(١٦) ١٥/٥٩١ .

(١٧) « جمهرة اللغة » ١ : ١٧٧ .

(١٨) رسم (بيم) .

(١٩) رسم (يم) .

(٢٠) الرزن : هو المكان المرتفع يكون فيه الماء .

(٢١) ص١٨٢ .

(٢٢) طبي وعرعر في قول امرئ القيس واقعان في شمال الجزيرة ولا يزالان معروفين من أشهر الأودية تحدثت عنهما في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ـ قسم شمال المملكة ـ ولعل هذا من هفوات الهمداني ـ رحمه الله ـ.

(٢٣) ٢٥٣ .

(٢٤) ٤٥٤ .

(٢٥) ٢ : ٣٥٩ .

(٢٦) ٢ : ٤٢١ .

(٢٧) ١١٨ .

(٢٨) ٦٤٤ .

(٢٩) ١٥ [ص٥٨ الطبعة المصورة لفؤاد سزكين] .

(٣٠) « صفة جزيرة العرب » ٣٣٩ ط. دار اليمامة .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) ١٤٥ طبع روما .

(٣٣) « صفة جزيرة العرب » : ٤٢٩ .

(٣٤) المصدر السابق : ٤٢٨ باختصار .

(٣٥) المصدر السابق : ٣٤٠ .

(٣٦) المصدر السابق : ٣٣٨ .

(٣٧) « العرب » س١٩ ص٣٠٠/٨٤٨ .

(٣٨) « أبو علي الهجري » ٣٤٠ .

(٣٩) « أطلس منطقة عسير الإدارية » ص٥٤ ، ومجلة « العرب » س١٩/٣٠٠ .

التعريف والنقد

معجم موسوعي وثائقي

بالمفردات والمصطلحات الدبلوماسية والدولية

إنكليزي – فرنسي – عربي

إعداد وشرح : الدكتور زكريا السباهي

الطبعة الأولى : ١٩٩١ – دار طلاس بدمشق

الدكتور صالح الأشتر

هذا المعجم الموسوعي الوثائقي المختصر الذي صدر حديثاً عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق يَلْفِتُنا بصدوره إلى ظاهرة جديرة بأن نرصدها : وهي كثرةُ المعاجم اللغوية الاختصاصية التي أصبحنا نملكها في شتى المجالات ومختلف ألوان المعارف والعلوم والفنون ، وقد بدأت المكتبة العربية تزخر بأصناف هذه المعاجم منذ بداية الخمسينيات ، وكلُّها – إلا بعضاً يسيراً منها – صادرٌ عن جهود فردية آثر أصحابها أن ينكبّوا على عملهم بدأبٍ وصمتٍ ، كلٌّ في مجال اختصاصه ، ليُصنّفوا معاجم للمصطلحات باللغات الثلاث : العربية والإنكليزية والفرنسية ، ويعملوا على نشرها ، وكان المأمول أن تُشرف المجامع والمؤسسات العلمية العربية على إعداد تلك المعاجم وتتكفّل بإصدارها ، وكان بعض أصحابها قد شاركوا أول الأمر في اللجان المجمعية العاملة في هذه المجالات ، ثم رأوا أن ينفردوا وحدهم بالعمل ، إذا أُريد له أن يبلغ دون إبطاءٍ غايتَه ، بعيداً عن اجتماعات اللجان وشكلياتها ، فطلبوا السماح لهم بأن يستقلّوا بإنجاز عملٍ كان

المفروض في الأصل أن تقوم به تلك اللجان التي كانوا قد أسهموا في بعض أعمالها ، والأستاذ مجدي وهبة ، في معجمه النفيس (معجم مصطلحات الأدب) الصادر عن مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٧٤ واحدٌ منهم[١] ، وعن هذه المكتبة صدر عدد وافر من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، في سلسلة قيّمة تمتاز بجودة الإعداد وحُسن الإخراج ، والمثقفون العرب اليوم بحاجة إلى أمثالها في كل مجال من مجالات اختصاصاتهم المختلفة .

وهنا ينبغي أن نذكر أيضاً تلك الجهود الطيبة التي بذلها مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، في إصدار عددٍ من المعاجم الاختصاصية باللغات الثلاث ، وكان الجناح المغربي من العالم العربي منذ بداية الستينيات ، حريصاً على تعريب المصطلحات في كل اختصاص ، لحاجته إلى إحلال المصطلح العربي محلَّ المصطلح الأجنبي (الفرنسي) لتُصبحَ العربيةُ على ألسنة عرب شمالي أفريقية اللغةَ القومية القادرة على التعبير عن كل وجهٍ من أوجه الحياة الحضارية ، ويتمَّ التخلّصُ بذلك لديهم من طغيان اللغة الأجنبية وجَوْرِها على لغتهم القومية ، وقد أُتيح لي خلال إقامتي يومذاك في المغرب أن أشهد نشاط مكتب تنسيق التعريب – وعلى رأسه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله – في تزويد المكتبة العربية بعددٍ من المعاجم الاختصاصية بمختلف المصطلحات في ألوان العلوم والصناعات والفنون ، لجعلها مُوازيةً ومُساويةً للمصطلحات الغربية الحديثة ، باللغتين الفرنسية والإنكليزية ، وكان العاملون في المكتب يومذاك يُدركون أنهم يُسابقون الزمن ، فهذه المصطلحات العلمية والفنيّة « تزداد بمعدَّل مائة مصطلح جديد في كل يوم » كما جاء في تقريرٍ لليونسكو ، وكانت مجلة المكتب (اللسان العربي) تحمل في أعدادها إلى القراء في أقطار العالم العربي نماذج

(١) – انظر معجم المصطلحات الأدب : التمهيد ، ص : XIII

من تلك المعاجم وهي في دور الجمع والتحضير والإعداد ، وتسأل مُوافاة المكتب بآراء العلماء والمختصين فيها.

غير أننا نلاحظ أن مكتب تنسيق التعريب لم ينشط إلى تخصيص معجم للمصطلحات الدبلوماسية والدولية ، فظل العمل في هذا الحقل مقصوراً على أفراد من العلماء العاملين فيه ، وكلُّهم من السوريّين ، من ذوي الاختصاص في هذا المجال ، وهذا عرض سريع موجز لثمرة جهودهم :

١ ـ المصطلحات الدبلوماسية في الإنكليزية والعربية : للدكتور مأمون الحموي ، وهو معجمٌ صغير لا تتجاوز صفحاته الستين ، صدر في دمشق في عام ١٩٤٩ ، ويُعدُّ المحاولة الأولى لتصنيف معجم للمصطلحات الدبلوماسية ، والمصنِّف رائد في هذا المجال ، وله أيضاً كتاب رائد في الدبلوماسية ، صدر في دمشق قبل صدور معجمه بسنتين[٢] ، لِيُلبّي حاجة السلك الدبلوماسي في سورية ، في السنوات الأولى من تكوينه ، بعد حصول هذا القطر العربي على استقلاله وجلاءِ المُحتل عن أرضه .

٢ ـ معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية (انكليزي ـ فرنسي ـ عربي) للدكتور سموحي فوق العادة ، وهو معجم شاملٌ وافٍ صدر في عام ١٩٧٤ بعد رُبع قرن من صدور معجم الدكتور الحموي ، ليكون حلقة من حلقات سلسلة المعاجم الاختصاصية الصادرة باللغات الثلاث عن مكتبة لبنان ، التي نوّهنا بها قبل قليل ، ومصنِّف هذا المعجم ذو باع طويل في حقل الدبلوماسية تأليفاً ومُمارسة ، وكان قد ذيَّل بعض كتبه منذ عام ١٩٤٧ بترجمة بعض المفردات والمصطلحات الدبلوماسية باللغات الثلاث ، إلى أن تمَّ له تصنيف معجمه الذي جمع فيه ـ أو نثر فيه ـ خلاصة دراساته وتجارب حياته المسلكية في الدبلوماسية والمراسم ، على مدى خمسة وعشرين

(٢) ـ انظر كتاب الدبلوماسية للدكتور مأمون الحموي ـ المطبعة الأهلية بدمشق : ١٩٤٧ .

عاماً ، وحُقَّ له أن يفخر في مقدمة معجمه بأنّ « هذا المعجم هو المؤلّف الأول من نوعه في اللغة العربية » ولا نحسب أن في هذا القول مباهاةً بغير الحق ، فالمقارنة بين معجم الحموي الصغير وهذا المعجم الكبير الجامع تظهر المدى الواسع بينهما ، فقد خطا التصنيف المعجمي في مجال الدبلوماسية والشؤون الدولية خلال ربع القرن خطواتٍ فِساحاً ، تجعل من معجم الدكتور سموحي عملاً جليلاً مستوفياً يستحق صاحبه بالغ التقدير والتنويه .

٣ – ونصل هنا إلى الخطوة التالية (المرحلة الثالثة) في تطوير التصنيف في (المعجم الدبلوماسي) وقد نهض بها واحدٌ من قُدامى العاملين في الدبلوماسية السورية بصدور معجمه الموسوعي الوثائقي حديثاً عن دار طلاس بدمشق ، فأضاف به إلى جهود من سبقوه لبنةً في بناء صرح المؤلفات السياسية والقانونية والدولية وترجمة المصطلحات والمفردات الدبلوماسية والدولية . وهي إضافة متميزةٌ وملحوظةٌ ، تُقدّمها تلك الشروح الضافية لما يُقارب الأربعمائة من المصطلحات ، وتَدْعمها تلك الشواهد من النماذج عن المذكرات والمفكرات والمواثيق لعددٍ وافر من المفردات والمصطلحات ، فالمعجم الجديد بطابعه الموسوعي والوثائقي قفزة موفقةٌ ومحمودة لتطوير التصنيف في المعجم الدبلوماسي العربي ، ويرى فيها صاحبها محاولة أولى يرجو أن يوفّق في المستقبل القريب إلى إغنائها ، ليجعل من تلك الشروح « نواة لموسوعةٍ دبلوماسية ودولية عربية شاملة » وإذا تمّ له ذلك بعونٍ من الله وتوفيقٍ منه تحقّق على يديه أملٌ كبيرٌ « طالما تاقت المكتبة العربية والاختصاصية إلى تحقيقه » كما يقول المصنف في تمهيده لمعجمه الموسوعي والوثائقي المختصر[٣] .

والدكتور زكريا السباهي مصنّف هذا المعجم الجديد مؤهّل خير تأهيل لإعداد معجمه والشروح الضافية والمعمّقة التي تضمّنها : فهو ذو ثقافة

(٣) – المعجم الموسوعي : ص ١٦ .

حقوقيـة متمكّنة ، بدأت قبل أربعين عاماً في دراسـاته الجامعية والعليا في دمشق وباريس ، وتكفّلت له مطالعاته الدائبة باللغات الثلاث التي يُحسنها (العربية والفرنسية والانكليزية) بأن يكتنز معرفةً ونُضجاً مع تقدّم العمر ، وهو رجل دبلوماسي له خبرة كبيرة في الدبلوماسية والمؤسسات الدولية ، في عددٍ من العواصم الأجنبية ، وأتاح له عمله أن يُشارك في المؤتمرات واللجان والوكالات الدولية المتخصصـة ، فاتّسع أفق معارفه الاختصـاصية وخبرته المسـلكية والعملية ، وتهيّأ له بعد إحالته إلى التقاعد أن يأوي إلى مكتبته الغنية ، ويتفرّغ لانجاز معجمه ، فأتمّه في خمس سنواتٍ من العمل الصامت الدؤوب المتواصـل : يجمع المفردات والمصطلحات ، ويراجع الموسوعات المختلفـة والمصـادر والوثائق والاتفاقيات الدولية الصـادرة عن منظمة الأمم المتحدة والوكالات التـابعـة لها ، لِيُضفي على شروحه لتلك المصطلحات طابعها الموسوعي المدعوم بالإحصاءات الدقيقة والتواريخ الموثّقة ، وليتمكّن بذلك من أن « يُغـني مكتبتنـا العربيـة ، ويسـدَّ فراغاً طالما احتـاج إليـه الدبلوماسيون والدارسون والأساتذة والصحفيون ، وكلُّ من أراد أن يقرأ أو يُطـالع أو يُحـاضر في موضـوعٍ له مسـاسٌ بالعلاقات الدولية ، وبالحياة السياسية والدبلوماسية » كما يقول الأستاذ عبد الله فكري الخاني في تقديمه هذا المعجـم إلى القرّاء[٤] ، وكما يشهد شـاهدٌ آخر هو الدكتور شـاكر مصطفى في رسـالته إلى المصنّف بأنّ معجمه « عملٌ مثمر ، عملٌ باق للأجيال الدبلوماسية المقبلة ، لا في سورية ، ولكن في الوطن العربي كله ، فالحاجة إليه قائمة بكل مكان »[٥] .

ولهاتين الشهـادتين من عَلَمـين ، لكـل منهمـا خبرته الواسعة وعمله الطويل والمتميّز في السلك الدبلوماسي ، ومكانته العلمية والأدبية المعروفة ،

(٤) ـ المعجم الموسوعي : ص ١٢ .

(٥) ـ المعجم الموسوعي : ص ٨ .

قيمةٌ خالصة لا يشوبها ميلٌ إلى مجاملةٍ ، ولا يعدل بها عن صريح الحقّ هوىً ، فهذا المعجم الموسوعي المختصر الفريد عملٌ بالغ الأهمية ، وخدمةٌ للعربية جليلة وثمينة ، ويحق لصاحبه أن يفخر به ، ولئن كان تواضع العالم يدفعه إلى تذكير القرّاء بكلمة للدكتور جنسن ، يضعها في مقدمة المعجم[٦] ، ويقول فيها : « يتوق كُلُّ من يؤلّف كتاباً إلى المديح ، أمّا من يُصنّف معجماً فحسبه أن ينجو من اللوم !» إنّه لحقٌّ أن مصنّف هذا المعجم المختصر المفيد جدير بالثناء الوافي على حُسن صنيعه ، وهو ثناء خالص لا تخالطه مؤاخذةٌ ولا يشوبه لومٌ ، وأمّا ما نُبديه بعد ذلك من ملاحظات نقدية ، وما قد نذكره فيها من هناتٍ ، فليس ما نفعل من قبيل المؤاخذة أو اللوم للمصنف أو الحطّ من قيمة عمله ومجهوده ، ولنذكر أن الكمال لله وحده ، وقديماً قالوا : « لاتعدم الحسناءُ ذاما » فلعلّ المصنّف في حرصه على تنقية معجمه من تلك الهنات الطفيفة يعمد إلى تلافيها وتدارك ما يرى أن يتداركه منها في طبعة ثانية قادمة .

وبودّنا ألا نُطيل في سرد تلك الملاحظات وسنحاول إيجازها في نقاط معدودة تتصل بمنهج المعجم وتصميم نظامه وترتيب فهارسه ومضمون شروح مفرداته ولغة المصنِّف وأسلوبه فيها :

١ ــ منهج هذا المعجم الموسوعي محدّد بتقديم المفردات والمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية بالإنكليزية أولاً ، ثم بالفرنسية ، لأهمية هاتين اللغتين في المجتمع الدولي ، ثم بالترجمة العربية عنهما معاً ، وقد التزم المصنف بمنهجه هذا فلم يشذّ عنه إلاّ مرةً واحدةً عمد فيها إلى تخصيص مادة مفردة لعَلَم من الأعلام ، وهو السيد خافير بيريز دي كويلار ، الأمين العام الحالي للأمم المتحدة ، وكان على المصنف ألا يفعل ، وأن يقصر موادَّ معجمه على المفردات والمصطلحات ، والأعلامُ الشخصية ليست منها ،

(٦) ــ المعجم الموسوعي : ص٩ .

وكان بوسعه أن ينقل ما ذكره في شرح هذه المادة المستقلة (ص : ١٠٣) إلى مادة (السكرتير العام للأمم المتحدة) (ص : ٢٧٣) التي لم يأت بشرحٍ لها ، ليستقيم له منهجه العام الذي يقوم عليه هيكل معجمه كله .

٢ – في تصميم المصنف لنظام معجمه كان عليه أن يعمد إلى ترقيم المفردات والمصطلحات المشروحة ، وهي قرابة الأربعمائة ، بأرقام صغيرة خاصة متسلسلة ، ليوفّر على نفسه وعلى ناشري معجمه وعلى قراء كتابه بذل المزيد من الجهد والوقت المهدور ، ذلك أن الإحالات تكثر في المعجم في المواد المشروحة على مواد أخرى فيه ، لصلتها بها ، وتلك وسيلة لا غنى عنها للربط بين المفردات والمصطلحات ، وعدم التكرار في إيراد الجوانب المشتركة في شروحها ، وتطول أحياناً تلك الإحالات الموضوعة بين قوسين ، ومثالٌ لها هذه الإحالة الواردة في (ص : ٩٠) :

(راجع أيضاً عبارة معاهدة التسوية النهائية للحرب الثانية :

Second World War Final Settlement Treaty

بسبب صلتها بالموضوع) .

ولو كانت المفردات والمصطلحات المشروحة مرقّمة ، وكان رقم معاهدة التسوية : ١١٠ مثلاً ، لاستغنى المصنف عن إيراد الأسطر الثلاثة بقوله : (راجع : ١١٠) فوفّر بذلك ويَسَّر ؛ وقد يقع اضطراب في بعض تلك الإحالات (كما في الصفحة : ١٠٢) :

(انظر الشرح المتعلّق بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

(International Decloration of Human Rights

فإذا بحث القارئ عن المصطلح الإنكليزي في باب الحرف (I) لم يجد ما يطلبه ، لأن الإحالة لم تكن دقيقة ، فالمصطلح الإنكليزي لذلك الإعلان العالمي هو : (Universal Declaration ...)

والبحث عنه يتم في باب الحرف (U) في (ص : ٣٠٨) وكان ترقيم

المصطلحات المشروحة يُيسّر للقارئ الاهتداء إلى مواطن الإحالات من أقرب الطرق وأقصرها !

٣ ـ والمعجم الموسوعي يكتفي بتقديم فهرس يتيمٍ واحد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة ، وقد أغنانا منهج الكتاب القائم على ترتيب المفردات والمصطلحات الإنكليزية أولاً فيه على أساسٍ ألفبائي عن الحاجة إلى تخصيص فهرس لها ، ولكن الحاجة إلى فهرس للمفردات والمصطلحات الفرنسية تظل قائمة ، ليصحّ قول المصنف (ص : ١٦) : « كما يمكن للقارئ الفرنسي أن يُطلّ من خلال المعجم على معاني اللغتين العربية والإنكليزية » وفي غياب هذا الفهرس لا يقع القارئ الفرنسي على ما يريد إلا بقراءة المعجم الموسوعي كله ! ويظل المعجم الموسوعي بحاجة إلى الفهارس الكشافة التي تيسّر على مطالعيه الاهتداء إلى ما يريدون والعثور على ما ينشدون ، ولعلّ الطبعة القادمة للمعجم تضم فهارس للأعلام (الشخصيات والبلدان و ..) وللمؤلفات والكتب والمطبوعات ، ويُحسن المصنّف صنعاً بإعادة النظر في ترتيب المفردات ومراعاة التسلسل الألفبائي لأحرف المصطلح كلها ، فلا يقتصر على الحرف الأول وحده ولا على الكلمة الأولى[٧] وحدها ، والاضطرابُ في الترتيب الألفبائي للفهرس الوحيد للمفردات والمصطلحات العربية المشروحة شاملٌ وينبغي تصحيحه[٨] ، وفي المعجم مفردات مشروحة سها الفهرس العربي عن ذكرها[٩] . إلخ .. وتلك أمور يسهل تداركها في طبعة قادمة .

٤ ـ والمضمون في شروح المفردات والمصطلحات مستمدٌ من المصادر

(٧) ـ انظر مثال ذلك في ترتيب المصطلحات الإنكليزية : ص٢٠٣ .

(٨) ـ (المغاوير) في الفهرس في باب الألف (!) . ونقع على أربع مفردات تبدأ كلها بكلمة (معاهدة ..) في مواطن متفرقة (ص : ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٩) ـ من أمثال (شرح الابقاء على الوضع الراهن) ص : ٧٤ (وشرط الاحتكام) ص : ٨٧ إلخ .

الغربية وذلك ما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ولكننا نقع الحين والحين على أثر للتراث العربي والإسلامي فيها : كالحديث عن جذور الاشتراكية في الإسلام (ص : ٢٨٠) والحديث عن السياسة والمؤلفات العربية فيها (ص : ٢٣٨) والحديث عن المخطوطات العربية في الأندلس (ص : ٣١٩) والحديث عن السفارات والبعثات الإسلامية إلى البلدان الأجنبية (ص : ٣٢) والحديث عن التقاليد الدبلوماسية الإسلامية في مصر والمغرب (ص : ١١٧) إلخ ..

ولنا أن نأمل من المصنّف أن يعمل على إغناء الأثر التراثي في شروح المفردات في موسوعته الدبلوماسية والدولية العربية الشاملة المنتظرة ، ويستفيد فيها من كتب التراث الكثيرة المؤلفة في السياسة والأحكام السلطانية والرسوم الخلافية ، وأهمها أو أهمّ ما طُبع منها :

أ – التاج في أخلاق الملوك : للجاحظ (أو المنسوب إليه) .
ب – الأحكام السلطانية : للماوردي .
ج – رسوم دار الخلافة : لهلال الصابئ .
د – سراج الملوك : للطرطوشي .
هـ – رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة : لابن الفراء .
و – سلوك المالك في تدبير الممالك : لابن أبي الربيع .
ز – المنهج المسلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر .
ح – كتاب في السياسة : للوزير المغربي .
ط – واسطة السلوك في سياسة الملوك : لابن زيان العبدوادي إلخ ..

وسيقع في الكتب التراثية الموسوعية على كثير مما يهم موضوعاته وشروحه من أمثال : كتاب الأغاني – ورسائل إخوان الصفا – ومقدمة ابن خلدون – وصبح الأعشى للقلقشندي إلخ .. كما سيجد في كتاب المستشرق آدم متز عن (الحضارة الإسلامية في القرن الهجري الرابع)

ما يفيد موضوعاته ، وبذلك يوفّى التراث حقه في الموسوعة الشاملة الموعودة !

أما المعجم الموسوعي المختصر فحظ التراث فيه ليس بذاك : ففي شرحه لمصطلح (سفير متجول) ص : ٣٦ – ٣٧ لا نجد إشارة إلى الرحلات السفارية الإسلامية في المشرق والمغرب ، مثل (رحلة ابن فضلان) ، و(رحلة محمد بن عثمان المكناسي) ، وهما مطبوعتان في دمشق والمغرب[١٠] ، وفي شرحه لمصطلح (المراسم) ص : ٢٨٤ لا نجد إشارة إلى (رسوم دار الخلافة) أو إلى (كتاب التاج) وهما مطبوعان في بغداد والقاهرة[١١] ،

ولعلّ الموسوعة الشاملة المنتظرة تنهض بما لم تستطع الموسوعة المختصرة أن تنهض به .

٥ – عند نظرتنا إلى لغة المصنف وأسلوبه في صياغة شروحه للمفردات والمصطلحات تطالعنا تلك العفوية التي تتدفق تدفقاً سهلاً في التعبير والتي تؤثر الرصانة والمنطق والوضوح واللفظ المتداول المشهور ، ولا تحسب لتكلّف الجزالة ، أو لتحرّي السلامة اللغوية أحياناً ، حساباً ، والمصنفُ يعترف في تمهيده للمعجم بأنه من أنصار المقولة السائدة في التعامل الدبلوماسي والتخاطب الدولي التي تقول « إنّ الخطأ المشهور خيرٌ من الصحيح المهجور » (ص : ١٥) والحق أنه يقول هذا في صدد إبقائه على ترجمة مشهورة لبعض المصطلحات « مغايرة بعض الشيء للترجمة الصحيحة » ولكن قوله هنا ينطبق على أخذه بتلك المقولة في أسلوبه ، مثل

(١٠) – رحلة ابن فضلان بتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات المجمع) ، والاكسير في فكاك الأسير بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي (المغرب : ١٩٦٥) .

(١١) – رسوم دار الخلافة للصابئ بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد (بغداد : ١٩٦٤) ، والتاج في أخلاق الملوك للجاحظ بتحقيق أحمد زكي (باشا) (القاهرة : ١٩١٤) .

استعماله بعض المفردات العربية بمعانٍ خاطئة ، ولكنها مشهورة ومتداولة ، فالكفاءة هي الكفاية عنده حيثما وردت في المعجم[١٢] وإن أصرت الفصحى على أنها لا تعني إلا التساوي والتماثل ، والفعل (تواجد) للوجود عنده وليس لإظهار الوجد[١٣] ، والفعل (صَدَف) لمعنى صادف[١٤] وإن تكن الفصحى تجعله بمعنى أعرض وانصرف إلخ ..

وهذا الإيثار للخطأ المشهور ظاهرة عمّت في أساليب الكتّاب ، وغدت في نظر كثير منهم لا تستحق أن يقف النقد عندها ؛ فلندعها إذاً لنقف عند بعض الأخطاء النحوية واللغوية التي سها القلم عن تصحيحها ، ولعلّ بعضها من قبيل التطبيعات التي لا يخلو كتابٌ مطبوع من أمثالها ، وسنكتفي بإيراد نماذج منها ، يُغني ذكرها عن غيرها :

فمن السهو في تخطي القواعد النحوية :

أ ــ من معاني .. وأماني : معانٍ وأمانٍ (ص : ١١)

ب ــ بذلاها صديقاي : بذلها صديقاي (ص : ١٦)

ج ــ ويُسمّون مندوبون متعقبون : مندوبين .. (ص : ٦٨)

د ــ أعطوا معانٍ : معاني (ص : ٧٤)

هـ ــ قد يكونوا : يكونون (ص : ٢٥١)

إلخ ...

ومن السهو في صحة كتابة العدد والمعدود :

أ ــ كلمات ثلاثة : ثلاث (ص : ٥٩)

---

(١٢) ــ انظر الصفحات : ٧٠ ــ ٧١ ــ ٧٢ ــ ٧٣ ــ ٩٨ ــ ١٠٣ ــ ١٢٨ ــ ١٤٤ ــ ٢٧٦ ــ ٢٩٣ .

(١٣) ــ انظر الصفحات : ٦٧ ــ ٧٢ ــ ١٠٥ ــ ١١١ ــ ٢١٥ ــ ٢٣٩ ــ ٢٦١ ــ ٢٨٧ ــ ٢٩٣ ــ ٣١١ .

(١٤) ــ انظر الصفحات : ٢٤ ــ ٦٣ ــ ٧٠ ــ ١٠٥ ــ ١١٣ إلخ ...

ب ـ الأعوام العشر : العشرة (ص : ١٩٣)
ج ـ على أحد الروابي : على إحدى.. (ص : ٢٣٩)
د ـ الرمح الواحدة : الواحد (ص : ٢٧٩)
هـ ـ ثلاث طوابق : ثلاثة (ص : ٣٢٨)
إلخ ...

ومن السهو في استعمال حرف الجر المناسب :
أ ـ عطفاً عن الاتفاقية : على (ص : ٥٩)
ب ـ المساعدة لانتشار : على انتشار (ص : ٦٠)
ج ـ ناهز على الأربعين : ناهز الأربعين (ص : ٨٤)
د ـ أكّد على الشيء : أكّد الشيء (ص : ٨٩)
هـ ـ تعاون السلطات بعضها ببعض : مع بعض (ص : ١٠٥)
إلخ ...

وهذه أمثلة للأخطاء اللغوية الأخرى :
أ ـ وكانت عضوة في مجلس الكونغرس : عضواً (ص : ٧٢)
(فالعضو اسم مذكر يستعمل على سبيل الاستعارة ، وليس صفةً ، فلا يصح تأنيثه !)
ب ـ إملاء الشواغر : ملء الشواغر (ص: ٧٢–٨٨–١٠٣–١٢٨– ٢٣٧) (من الفعل الثلاثي : ملأ)
ج ـ ولربّانيها : لربابنتها أو لربابينها (ص : ٩٣)
(لأنها جمع رُبّان وهو قائد السفينة)
د ـ الأفعال المُشينة : الشائنة (ص : ١٠٥)
(من الفعل الثلاثي : شان)
هـ ـ دمج كلا المؤسستين : كلتا (ص : ١٤٧)
(لتأنيث المؤسسة)

و – وكلما ازداد.. كلما تعبَّد : تعبّد (ص : ١٧٤)
(كلما لا تتكرّر ، فيجب حذف الثانية)
ز – والسوّاح : والسُيّاح (ص : ٣٠٥)
(من الفعل ساح يسيح (لايسوح)

وأمثلة لبعض الأخطاء الإملائية :
أ – رُؤى : رُئِيَ (ص: ٧٩–١٩٣–٣١٥)
ب – زاد عنه (دافع) : ذاد (ص : ١٠٤)

ونقع الحين والحين على ركاكة في صياغة بعض الجمل التي تتكرّر غير ما مرة ، من أمثال : (الأمر الذي .. كما وتشارك .. كما وأنّ .. فيما إذا كان إلخ ...) كما نقع على بعض الجمل المضطربة لطولها أو لنقص كلمة ساقطة منها (كما في الصفحات : ٨٨ – ٢١٠ – ٢٣٨ إلخ ...) .

وهذه الهنات وأمثالها يمكن تلافيها بيسر وسهولة في طبعة للمعجم قادمة .

ومن الإنصاف في خاتمة هذه الجولة النقدية في صفحات هذا المعجم الفريد النفيس أن نُقرَّ بأن تلك الهنات كلها لا تحط من قيمة هذا الأثر الجليل الذي استفرغ فيه الدكتور السباهي غاية مجهوده ، بسخاء متواصل ، فظل يلاحق آخر المعلومات ، والمعجم في المطبعة ، ليضيف إلى شروحه ما يطرأ على الأحداث الدولية من تطورات ، فنقرأ في (ص : ١٩٢) مثلاً : « علم المؤلف والمعجم على الطابع أن لجنة عربية مشتركة إلخ .. » ونجد في آخر المعجم ملحقاً (الملحق الثامن) تمّ ضمه إلى المعجم بعد الانتهاء من طبعه ، فظلت صفحاته الخمس لذلك من غير ترقيم ، وقد لخص المصنف فيه آخر ما انتهت إليه أزمة الخليج مع مجموعة الوثائق والقرارات الدولية والبيانات العربية والإسلامية الصادرة بشأنها ، وقد التزم

المصنف في شروحه للمذاهب والاتجاهات المختلفة الموضوعية الكاملة بنزاهة مفكّر حُرّ وعدالة مؤرّخ منصف ، ودلّل في تعريبه للمصطلحات على ذوق أدبي وحسٍّ نقدي نام لديه ، ولهذا كله يطيب لنا أن نُنوّه بفضل صاحب هذا المعجم الموسوعي القيّم ، وأن ندعو الله أن يمدّ في حياته ويُعينه على إنجاز تلك الموسوعة الشاملة لمصطلحات الدبلوماسية والشؤون السياسية والعلاقات الدولية التي وعد بتصنيفها ، وإذا تمّ له ما يأمله منها يكون قد قدّم للعربية خدمة ، وحقق بذلك لنفسه المجد والخلود .

المستدرك على شعر أبي هلال العسكري

الدكتور حاتم صالح الضامن

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الذي كان حيّاً سنة ٣٩٥هـ ، من الأعلام المشهورين ، والمؤلفين الأثبات ، له مؤلفات كثيرة نشر منها نحو تسعة كتب ، وله مؤلفات أخرى ما زالت مخطوطة(*) .

وكان أبو هلال شاعراً ، له ديوان شعر لم يصل إلينا . وقد تصدّى لجمع شعره ، المنثور في مؤلفاته أولاً ، وفي الكتب الأخرى ثانياً ، الدكتور محسن غياض ، وطبعه ببيروت سنة ١٩٧٥ تحت عنوان : (شعر أبي هلال العسكري) ، ووقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة ، اعتمد المؤلف في جمعه على ثمانية وأربعين مصدراً .

وبلغ مجموع ما جمعه الدكتور محسن غياض ١٥٧٨ بيتاً .

وفي عام ١٩٧٩ صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب بعنوان (ديوان العسكري) ، جمعه وحققه الدكتور جورج قنازع ، وقد وافاني به مشكوراً أخي الاستاذ عبد الإله نبهان .

وقد جاء الديوان في ٢٥٦ صفحة ، اعتمد فيه المؤلف على ستة وأربعين مصدراً وضم الديوان زهاء ١٦٠٠ بيت .

(*) ينظر عن حياته ومؤلفاته :

أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : لبدوي طبانة .

أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : لعلي كاظم مشري .

ومن اللافت للنظر حقّاً أنّ هذه الطبعة أغفلت نشرة الدكتور محسن غياض إغفالاً تاماً ، على رغم أنّها صدرت قبلها بخمس سنوات ، ورغم اشتراكهما في جمع أكثر شعر العسكري ، والمصادر هي هي تقريباً في النشرتين .

وقد عوّدنا مجمع اللغة العربية بدمشق على الإشارة إلى كلّ ما طُبع سابقاً في أول الكتاب كما حدث في شعر ابن ميادة ، إلا اننا لم نقف على شيء من ذلك في ديوان العسكري .

وعند مقابلتي لديوان العسكري للدكتور جورج قنازع بشعر أبي هلال العسكري للدكتور محسن غياض تبيّن لي أنّ سبعة وأربعين بيتاً وقف عليها الدكتور قنازع من مؤلفات العسكري المخطوطة أخلّت بها طبعة الدكتور محسن غياض ، وهذه الأبيات موزعة على الوجه الآتي :

قافية الهمزة : بيتان .

قافية الباء : أربعة أبيات

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : بيتان .

قافية السين : خمسة أبيات .

قافية الظاء : ثلاثة أبيات .

قافية العين : بيتان .

قافية القاف : خمسة أبيات .

قافية الكاف : خمسة أبيات .

قافية اللام : ستة أبيات .

قافية الميم : خمسة أبيات .

قافية النون : ستة أبيات .

وبالمقابل فقد أَخَلّت طبعة دمشق بنحو خمسة وعشرين بيتاً جاءت في مؤلفات العسكري ، ولكنّها فاتت المؤلف ، وهي موجودة في طبعة بيروت .

إنّ الباحثين الكريمين بذلا جهداً كبيراً يُشكران عليه ، ومع ما بذلاه من جهد في تتبع أشعار العسكري فقد فاتتهم أبيات كثيرة وقفتُ عليها في مخطوطة (الدر الفريد وبيت القصيد) لمحمد بن ايدمر المتوفّى سنة ٧١٠هـ .

ومجموع الأبيات المستدركة على نَشْرَتَي ديوانه بلغت ستة وتسعين بيتاً موزعة على الوجه الآتي :

قافية الباء : عشرة أبيات .

قافية الجيم : بيتان .

قافية الحاء : بيتان .

قافية الدال : بيتان .

قافية الراء : خمسة عشر بيتاً .

قافية الضاد : أربعة أبيات .

قافية الطاء : بيتان .

قافية اللام : عشرة أبيات .

قافية الميم : أربعة وثلاثون بيتاً .

قافية الألف اللينة : خمسة عشر بيتاً .

وبعد فأرجو أنْ يكون عملي هذا نافعاً عند إعادة طبع شعر أبي هلال العسكري ، وأزجي تحياتي إلى الباحثين الكريمين الدكتور محسن غياض والدكتور جورج قنازع والحمد لله أوّلاً وآخِرًا ، إنّه نِعْمَ المولى ونعم النصير .

قافية الباء

(١)

١ ـ نـاسٌ وإنْ عـامَـلْتَهُــمْ فذِئابُ وإذا طَـلَبْتَ نـوالَهُمْ فكِــلابُ
٢ ـ وإذا اعتَبَرْتَ عقولَهُـمْ أَلْفَيْتَهُمْ بَقَــراً ولكـنْ مــا لها أَذْنـابُ
(الدر الفريد ١٦٠/٥)

(٢)

١ ـ ومَنْ يطــلبْ مســاءَةَ عائبيـهِ فلا يَسْلُكْ مسالكَ مَنْ يُعابُ
(الدر الفريد ٣٣٧/٥)

(٣)

١ ـ أَلَمْ تســمعْ مقــالَتَهُــمْ قديماً «سيبقى الودُّ ما بَقِيَ العتابُ»
(الدر الفريد ٢٣٨/٢)

(٤)

١ ـ أراكَ مـا تتـوخى نُصْحَهـا أبداً إذْ قـد تُـرَغِّبُـهــا فيما يُرَهِّبُهــا
(الدر الفريد ١٠١/٢)

وهو مع ثلاثة أبيات جاءت في شعره المجموع : بيروت ص٦٣ ، دمشق ص٦٠ ـ ٦١ . والبيت في أعلاه هو الثاني من الأبيات الأربعة .

(٥)

١ ـ وإذا اعتَبَــرْتَ عقــولَهُــمْ أَلْفَـيْتَهُــم بَقَـراً بـلا أَذْنـابِ[1]
(الدر الفريد ٢٠١/٥)

(١) [هكذا جاء البيت في مخطوطة الدر الفريد ، وهو مختل الوزن ، وانظر البيت الثاني من النتفة رقم (١) السابقة/المجلة] .

(٦)

١ - تَعَلَّمْ ما جهلْتَ تَعِشْ حميداً   وقَيِّدْ ما تَعَلَّمُ بالكتابِ
٢ - وزِدْ في شَكْلِ ما قَيَّدْتَ منه   وإلاّ نَدَّ عن عقلِ الصوابِ

(الدر الفريد ٣/١٥١)

(٧)

١ - عَصَيْتموني حينَ طاوعتُكُم   والذَّنْبُ في عصيانِكُمْ ذنبي
٢ - داويتكُمْ حيناً فأَبْطَرْتكمْ   وليس للعَيْرِ سوى الضَّرْبِ
٣ - أقْسِمُ لا داريتُكُمْ بَعْدَها   لكنْ أُداري دونَكُمْ قلبي

(الدر الفريد ٤/٨١)

جاء البيت الثاني فقط في مجموعي شعره : بيروت ٧١ ، دمشق ٧٧ .

قافية الجيم

(٨)

١ - تَصَبَّرْ فما المكروهُ ضَرْبَة لازبٍ   ستنكشفُ البلوى ويَتَّسِعُ الحَرَجْ
٢ - ولا تشكونَّ اليومَ قبلَ انقضائِهِ   فمِنْ ساعةٍ منه إلى ساعةٍ فَرَجْ

(الدر الفريد ٣/١٣٩)

قافية الحاء

(٩)

١ - أخُو الإعدامِ لا حَيٌّ يُرَجَّى   ولا مَيْتٌ يُريحُ ويَسْتَرِيحُ
٢ - أرى الخيراتِ في الدنيا كثيراً   ومنها في يدِ الفُقَراءِ رِيحُ

(الدر الفريد ١/٢٥٨)

قافية الدال

(١٠)

١ – إذا خالفَ القولُ الفِعالَ فإنَّهُ لَعمري هباءٌ لا يُفيدُ ولا يُجْدِي
٢ – فلا مَرْحَباً بالخِلِّ يُبْدِي لِيَ الهوى وأفعالُهُ تُومي إلى غيرِ ما يُبدِي

(الدر الفريد ١/٣١٧)

قافية الراء

(١١)

١ – قالوا صَبَرْتَ وما صَبَرْتُ جلادةً لكِنْ لقِلَّةِ حِيلتي أَتَصَبَّرُ
٢ – لا تَنْهَني عنهم فتُغرِيَني بهم فلرُبَّما يَنْهى العذولُ فيأمُرُ
٣ – أنا عبدُ مَنْ أهوى ومملوكُ الهوى ولوَ انَّني سابورُ أوإسكَنْدَرُ
٤ – ليسَ التكبّرُ شيمةً لأخي الهوى ومن العجائبِ عاشقٌ مُتَكَبِّرُ

(الدر الفريد ٤/٢٩٤ و٥/١٧ ، الثالث فقط في ٢/٢٨٤)

(١٢)

١ – هذِهِ دَوْلَةٌ تدولُ لأشرا رِ وتَنْبُو عن خِيرَةٍ أبْرارِ
٢ – وزمانٌ فَقَدْتُهُ من زمانٍ قد طوى خيرَه عن الأخيارِ
٣ – يا لئيمَ النّجار عِشْ في نَعيمٍ ودَعِ البؤْسَ للكريمِ النّجارِ
٤ – عِشْ كما شِئْتَ فالزمانُ حمارٌ ليسَ يصفو إلا لكلِّ حمارِ

(الدر الفريد ٥/٣٦٥ ، الثالث فقط في ٥٠/٤٧٠ ، الرابع فقط في ٤/٨٠)

(١٣)

١ – لا تقطعِ البِرَّ إنَّ قَطْعَكَهُ يقطعُ ما تستحقُّ مِن شُكْرِ
٢ – مَنْ صنعَ البِرَّ ثم تَبَّرَهُ عَرَّضَهُ للجحودِ والكُفْرِ

٣ - والعُـرْفُ إنْ لم تكنْ تُتَمِّمُـهُ صـارَ قريبَ المعنى من النّكْرِ
(الدر الفـريد ٥/٤٢٤ ، الثـاني فقط في ٥/١٣٤ ، الثـالث فقط في ٢/٢٢١)

(١٤)

١ - قـد رُفِعَتْ ألويـةُ الغَـدْرِ وسُدَّ بابُ الفَضْـلِ والشكْرِ
٢ - وآيـةُ الإحسـانِ منسـوخَـةٌ قدْ أُسْقِطَتْ من صُحُفِ الدَّهْرِ
٣ - لا تَطْـلُبِ الخَيْـرَ ولا تَرْجُـهُ فـإنّ هـذي دولةُ الشّـرِّ
٤ - سَـمِعْتُ بـالحُرِّ ولم أَلْقَـهُ يـا طـولَ أشـواقي إلى الحُـرِّ
(الدر الفريد ٣/٣٦٦ و٥/٤١٧)

قافية الضاد

(١٥)

١ - ألاَ ليس في الإعـدامِ عـارٌ على الفـتى
ولكِنْ أَشَـدُّ العـارِ في دَنَسِ العِـرْضِ
٢ - ومـا طُولُ عُمْـرِي أنْ يطـولَ به المدى
ولكـنّـهُ طـولُ المَسَـرَّةِ والخَفْـضِ
٣ - ومـا المَيْتُ إلاّ كلّ من مـاتَ ذِكْرُهُ
وماتَ عن الإسعافِ بالقَرْضِ والفَرْضِ
٤ - يُفَـرِّحُـني مَـرُّ الزمـانِ وكُلّمـا
مضى بعـضُ أيـامِ الزمـانِ مضى بَعْضي
(الدر الفريد ٣/٣٥)

قافية الطاء

(١٦)

١ - أَهُـزُّكُمْ بـأشـعـاري وأَنْتُـم جَمَـادٌ لا تهزُّكُمْ السِيـاطُ

٢ – تَغَيَّرَ حُسْنُ وَجْهِكُمُ لشعري   كأنَّ الشِّعْرَ عندَكُمُ ضُراطُ

(الدر الفريد ٣/١٦ ، الثاني فقط في ٣/١٥٥)

قافية اللام

(١٧)

قال من قصيدة يمدح بها عزّ المفاخر ذا المعالي :

١ – سرورٌ يقيمُ ولا يرحلُ   ونعماءُ آخرُها أوَّلُ

٢ – ويُمْنٌ يدومُ ولا ينقضي   وسعدٌ يلوحُ ولا يأفلُ

٣ – فَضَلْتَ وأَفْضَلْتَ سَوْمَ السحابِ   وخيرُ الورى الفاضِلُ المُفْضِلُ

٤ – وجُودُ الكريمِ له جُنَّةٌ   وعَقْلُ اللبيبِ له مَعْقِلُ

٥ – وليس لذي المالِ من مالِهِ   سوى ما يُنيلُ وما يأكلُ

٦ – وما المالُ مالٌ لَمَنْ يقتني   ولكنَّهُ مالُ من يبذلُ

٧ – وبالجِدِّ يُدفَعُ ما يُتَّقى   وبالجِدِّ يُدْرَكُ ما يُؤمَلُ

٨ – ولم يزلِ الفَقْرُ مُسْتَصْحِباً   لِمَنْ يتوانى ومَنْ يكسَلُ

٩ – إذا الناسُ كانوا بني واحدٍ   فأَجْمَلُهُمْ أَثَراً أَفْضَلُ

(الدر الفريد ١/٢٩١ ، الأبيات ٥ – ٩ في ٥/٣٠٦ ، الأول فقط في ٣/٣٥٤)

(١٨)

١ – يزيدُ سُقوطاً واتِّضاعاً وخِسَّةً   إذا زادَهُ الرحمنُ كَثْرَةَ مالِ

(الدر الفريد ٥/٤٩١)

قافية الميم

(١٩)

قال في وصف الدراهم :

١ – خليليَّ ليسَ الذُخْرُ إلاّ صَنيعَةً   ولا صُنْعَ إلاّ أنْ تكونَ الدراهِمُ

٢ – هي البيضُ تثني البيضَ غير صوارمٍ
وهُنّ إذا ما ساعَدَتْها صوارِمُ
٣ – ويا رُبَّما تأتي السيوفُ حواكِماً عليكَ فتأتي وهْيَ فيها حواكِمُ
٤ – تُحاكي نجومَ الليلِ فِعْلاً وخِلْقَةً فهُنّ صغارٌ في العيون أعاظِمُ
٥ – تقومُ إذا ما الحادِثات تشاجَرَتْ فتُقْعِدُ منها كلَّ ما هو قائمُ
٦ – فمانِعُها إلاّ عن الحقِّ عارِفٌ ومُؤثِرُها إلاّ على الحَمْدِ عالِمُ
٧ – فأعْدِدْ لجُرحِ الحادِثات دراهماً فهُنّ لجُرحِ الحادثاتِ مراهِمُ
٨ – وعَوِّذ بها الحاجاتِ تنفِ شِماسَها
فإنَّ بها جنّاً وهُنَّ تمائمُ
٩ – بها تُدْفَعُ البلوى وتُدَّرَكُ المنى وتُكْتَسَبُ العُليا وتُبْنَى المكارِمُ
(الدر الفريد ٣/٢٦٠ ، البيت التاسع في ٣/٩٢)

(٢٠)

١ – إنْ كان من حقِّ المودَّةِ في الهوى
أنْ تَصْرِموا حَبْلَ التواصُلِ فاصْرِموا
٢ – ضَيَّعْتَ حقَّ تَحَرّمي بودادِكُمْ غُرَّ امرؤٌ بودادِكُمْ يتحرَّمُ
٣ – وظلمتني وزعمتَ أنّي ظالِمٌ ومن العجائبِ ظالِمٌ مُتَظَلِّمُ
٤ – فلأَبْعُدَنْ منكمْ وبالي كاسِفٌ ولأَصْبِرَنْ عنكمْ وأنفي مُرْغَمُ
٥ – ولو استطعتُ جزيتكم بفعالِكُمْ لكنَّني لا أستطيعُ فأكظِمُ
٦ – ولعلَّ دائرةَ الزمانِ تدورُ لي حتى تعودَ إلى التي هي أقومُ
(الدر الفريد ٥/٢٨٦ ، الأول في ٢/٣١٦ ، الثاني في ٤/٤٣)

(٢١)

١ – سلامٌ وإنْ كانَ السلامُ تحيَّةً
فوجهُكَ دونَ الردِّ يكفي المُسَلِّما
(الدر الفريد ٣/٣٧٢)

وجاء في حاشية الدر :

كتب به أبو هلال إلى بعض إخوانه ، يقول : إذا رأى المُسَلِّمُ عليك وجهَكَ فذاكَ يكفيه وإنْ لم تردّ عليه جواب تحيّته ، وذلك على سبيل المبالغة في المدح .

(٢٢)

قالَ يمدح الصاحب بن عبّاد :

١ – بَرْقٌ تألّقَ من فتوق غمامِ ومُهَنّدٌ يجلو سوادَ قتامِ
٢ – أمْ طَلْعَةُ الملكِ الذي بيمينِهِ سكبُ الغَمامِ وصَوْلَةُ الصَّمْصَامِ
٣ – يجري فيسبقُ حيثُ تبتَدرُ العُلا حتى تراهُ أمامَ كُلِّ إمامِ
٤ – إنْعَمْ صباحاً بالثناءِ مُحَبَّراً كالروض نمنمه بُكورُ رِهامِ
٥ – تلقَى السعادةَ في مراميكَ التي هي للعُلا والمَكْرُماتِ مرامي
٦ – وميامِناً موصولةً بميامِنٍ ودُرُورَ إنْعامٍ على إنعامِ
٧ – وكرامةً مقرونةً بكرامةٍ تُبقي لديكَ الدهرَ دارَ مَقامِ
٨ – ما زالَ كفُّكَ يستثيرُ مآثِراً ما بينَ أَسْيافٍ إلى أقْلامِ
٩ – قد جَلَّ قدرُك أنْ يُقاسَ بك امرؤٌ ما كلُّ مصقولِ الظُبا بُحسامِ
١٠– يمشي به فوقَ الترابِ تواضُعٌ وبه العُلى تختالُ فوقَ الهامِ
١١– أخلاقُ غَيْثٍ في شمائل صارمٍ وثباتُ طَوْدٍ في مَضَاءِ سهامِ
١٢– ومكارِمٌ كغمائمٍ وعزائمٌ كصوارِمٍ وشمائلٌ كمُدامِ
١٣– وفضائلٌ غُرُّ الوجوه شهيرةٌ يحكينَ أعلاماً على أعلامِ
١٤– لُقِّيتَ في العيدِ الجديدِ سعادةً تبقى بشاشتُها على الأيّامِ
– [وبقيتَ مرفوع المحلّ مكرماً في غبطة وكرامة وسلامِ]
١٥– فانعَمْ به وبما يجيءُ وراءَه من سائر الأيّامِ والأعوام

(الدر الفريد ١/٢٦٠ ، الرابع في ٢/٣١٠ ، الخامس في ٣/١٦٣ ، التاسع في ٤/٣٠١)

(٢٣)

١ ـ قَدْ خَصَصْتُ اللبيبَ بالإكرامِ وتهاونتُ بالجهولِ العَبَامِ
٢ ـ إنّما تكرمُ الرجالُ على الأحـ لامِ والفضلِ لا على الأجسامِ
٣ ـ ولوَ انّ الإكرامَ يُدرك بالأجـ ـسام كانَ الإكرامُ للأنعامِ

(الدر الفريد ٢/٣٦٤)

قافية الألف اللينة

(٢٤)

١ ـ وصاحبُ الحاجاتِ مَنْ يجفو الكرى ويركبُ الهولَ إذا الجِبْسُ التَوَى
٢ ـ أرَى الفتى تغرُّهُ صِحّتُهُ وإنّما الصِحّةُ رَهْنٌ بالضَّنَا
٣ ـ يرجو لِيانَ العيشِ وهْو داؤُهُ ورُبَّ راجٍ خافَ من حيثُ رَجَا
٤ ـ قد فَضَلَتْ آمالُهُ عن عُمْرِهِ فهُنَّ لا تفنى ويُفنِينَ الفَتَى
٥ ـ بنى الحصونَ حذراً من العِدَى وجِسْمُهُ مشتمِلٌ على العِدَى
٦ ـ في هذه الآمالِ ـ ما أعْجَبَها ـ عِمارةُ الدنيا وآفاتُ الوَرَى
٧ ـ يدفعُ أسبابَ الأذى عن نفسه ورُبَّما جَرَّ الأذى دفعُ الأذى
٨ ـ يفرحُ بالأيّامِ يمرُرْن به وإنّما هُنَّ سلاليمُ الرَّدَى
٩ ـ يَغْمِسُ في العصيانِ كفّاً مُلِئَتْ من نِعَمٍ تكثرُ أعدادَ الحَصَى
١٠ ـ يُعجِبُهُ نَماءُ ما يملِكُهُ وهو بنقصانِ الحياةِ ما نَمى
١١ ـ ويندبُ الموتى وينسى نفسَهُ كأنّه ممّا أتَوْهُ في حِمَى
١٢ ـ لا يُبْطِرَنْكَ ما ترى من نِعَمٍ فعن قليلٍ لا ترى ما قد تَرَى
١٣ ـ كأنّ ما يمضي من الدنيا مضَى وأنّ ما يأتي من الموت أتَى

١٤- فارحَلْ إلى الأخرى بزادٍ من تُقىً فإنّما الزادُ إلى الأخرى التُّقَى
١٥- هل ينفعُ العيشُ بغيرِ صِحَّةٍ أو تكمُلُ الصِحّةُ إلاّ بالغِنَى

(الدر الفريد ٥/٣٧٢ ، الثاني في ٢/١١٤ ، السادس في ٤/٢٨٦ الثالث عشر في ٤/٣٦٦)

مصادر البحث ومراجعه

- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة : علي كاظم مشري ، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٨٤ .

- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية : بدوي طبانة ، مصر ١٩٥٢ .

- الدر الفريد وبيت القصيد : محمد بن ايدمر ، ت ٧١٠هـ ، مخطوطة مصورة ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ألمانيا ١٩٨٨ - ١٩٨٩ .

- ديوان العسكري : جمع وتحقيق د.جورج قنازع ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ .

- شعر أبي هلال العسكري : جمع وتحقيق د.محسن غياض ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

آراء وأنباء

استقبال ثلاثة أعضاء عاملين في المجمع

في شهري تشرين الأول والثاني من عام ١٩٩١م تم استقبال السادة الأساتذة :

الدكتور عبد الوهاب حومد .

الأستاذ جورج صدقني .

الدكتور عادل العوا .

في رحاب المدرسة العادلية موئل العلم والعلماء التي تطلع إليها مؤسسو المجمع لتكون مقرّاً له ، لما لها من ماض عريق يزهو على التاريخ ، وأصالة عربية مجيدة في سالف الدهر ، إذ نزل بها أكابر العلماء ، وتردد في أبهائها وقاعاتها ابن خلكان وابن خلدون والتاج السبكي وغيرهم من الأجلاء الذين عمروها وعمرت بهم .

وفي خريف هذا العام حين تخترف الثمار وتؤتي أكلها ، يختار مجمع دمشق هذا المكان الجليل مقر المجمع السابق ليكون مكاناً لاحتفالاته في استقبال أعضائه الجدد .

ويسعد مجلة المجمع أن تنشر على صفحاتها الكلمات التي ألقيت في هذه الاحتفالات وهي غنية بأمارات الترحيب والإكبار التي استقبل بها الأعضاء الزملاء ، مفصحة عن كفاياتهم العلمية التي يتحلون بها والأعمال الجليلة التي اضطلعوا بها :

حفل استقبال

الزميل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م (الدورة المجمعية ١٩٩٠ — ١٩٩١م) الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور شكري فيصل . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٥) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور حومد في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر ١٤١٢هـ/١٦ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها نخبة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحضور وشكرهم على مشاركتهم الاحتفال بالعضو الجديد وهنأ الأستاذ الدكتور حومد بثقة زملائه المجمعيين يعضدهم ويؤازرهم في مسيرتهم لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي نوّه فيها بمزاياه العلمية والخلقية وذكر طرفاً من سيرته .

ألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور شكري فيصل .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأطيبه ، وأشكر لكم مبادرتكم الخيرة بحضوركم احتفالنا الذي نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وإنها لمناسبة نجدّد بها العزم والتصميم أن نؤدّي حق المجمع علينا ، وأن نتابع رسالته في تعزيز العربية المبينة ، والكشف عن أسرارها وخصائصها ، ومدّ سلطانها لتكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة في وطننا العربي الحبيب .

إن اللغة والأمة توأمان لا يفترقان . ومن كلمات هردر : «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين » ، « إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد » ، « إن قلب الشعب ينبض في لغته »(١) .

ولقد وعت الحكومة العربية التي قامت في دمشق في أعقاب السيطرة العثمانية مكانة اللغة وجليل شأنها في حياة الأمة ، فسعت السعي الحثيث لتعيد للغة العربية شبابها ورُواءها ونصاعتها، بعد أن طال انزواؤها في العهد

---

(١) ما هي القومية لساطع الحصري : ٥٦ .

العثماني . وكان مجمع الخالدين من بواكير مؤسساتها ، أقامته (في ١٩١٩/٦/٨م)[٢] ليفسح للعربية الميادينَ الرحابَ في شتى فنون المعرفة ، ويدرأ عنها العجمة واللحن فتستقيم على نهجها اللاحب .

ونهض المجمعُ بالمهمة ، أداها على خير ما يكون الأداء ، وبذل أعضاؤه الخالدون الطاقة والوسع ، ليكشفوا عن أساليب العربية وطرائقها في وجوه التعبير وتأدية المعاني . وشاركوا في تعريب التعليم العالي حتى رسخت قدمه في بلاد الشام ، وغدا قدوة ونموذجاً ، وخطُّوا الطريق إلى سيادة العربية في بلدها ، فكانوا النواة الطيبة ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، فتلاحق بهم مِنْ خلفهم زملاء لهم أسسوا المجامع في القاهرة وبغداد وعمّان ، وتكاتف كبار العلماء الحراص على العربية في أرجاء الوطن العربي ، وتعاونوا جميعاً لتصبح العربية لغة العلم والحياة ، تستجيب لما يراد منها ، وتعبر عن مختلف علوم العصر ، فتجيد التعبير وتحسنه ، إيماناً منهم جميعاً بألا تقدم للأمة ، ولا قوام لها ما لم تصطنع لسانها العربي تفصح به وتبين عن كل ما يتناولُه الفكر ، أو يهجِسُ في النفس والضمير .

وإذا كان لنا أن نغتبط بما قدم العلماء الرواد ، وبما حققته العربية من ازدهار في شتى الميادين فإن الهجمة الشرسة على العربية وبيانها لم تقف ، وإنها لتصطنع أساليب جديدة ، وطرقاً منكرة ملتوية ، فيها الكثير من المكر والكيد والذكاء تتستر بها ، تريد أن تقضي على هذه اللغة التي ما زالت العاصم لأبناء العروبة أن تعصف بهم ريح الشتات ، وتتوزعَهم يدُ الفرقة .

إن أمثال هذه الدعوات الغريبة لن تزيدنا إلا قوة ومضاء ، وإننا لنتطلع بتفاؤل وأمل إلى اليوم الذي تبسطُ فيه العربية سلطانها في كل ميدان ، وفي ميادين التعليم العالي خاصة ، وتخفتُ كل نأمة ضالّة مضلّة .

---

(٢) تاريخ المجمع العلمي العربي لأحمد الفتيح : ٧ .

لا يسعني إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة لأولئك الفرسان الرواد الذين رفعوا راية العربية مشرعة ، وأعلوا منارها ، وقضوا ، بعد أن أرسوا الدعائم ، وهيئوا مَنْ يحسن خلافتهم في الذود عن العربية . وهاهو ذا المجمع ، وقد نضا الثانية والسبعين من عمره ، يمضي إلى غايته أشدَّ ما يكون فَتاءً وعنفواناً ، تظلّل أعضاءه رايةُ العربية المبينة ، يتداولونها كابراً عن كابر ، ويسلمها سابق إلى لاحق ، يقوم مقامه في حمل الأمانة .

ونستقبل اليوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد فارساً معلماً يحل محل سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمه الله الرحمة الواسعة .

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ حومد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٥ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[٣] .

وإننا لنهنئ الأستاذ حومد ثقة زملائه المجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً عزيزاً يعضد إخوانه ويؤازرهم في مسيرتهم ، يسعون معاً لتبلغ العربية مكانتها العالمية السامية ، لا تقصّر عن مدى .

لقد تعددت مواهب الأستاذ حومد ، فجلّى في الميدان العلمي ، وجال في ميادين السياسة ، وتولّى المناصب العامة فكان نائباً ووزيراً مراراً .

ولقد أحب الأستاذ حومد العربية وبرّز فيها ، وأكبّ على الحقوق دراسة وتدريساً حتى بلغ الغاية في القانون الجنائي ، وطبعت مؤلفاته في هذا الباب طبعات عدة .

فأهلاً بك ، أيها الزميل العزيز ، في رحاب مجمع الخالدين ، تعمل

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

وتدأب مع إخوانك ، لتظل راية العربية سامية .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذُ الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع فيُلقيَ كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويعرضَ لمعاً من سيرته ومناحي نشاطه ، ليعقبه الأستاذ الدكتور حومد فيتحدثَ عن سلفه الأستاذ الدكتور شكري فيصل ، فيبسط سيرته ، ويجلو نفائسه .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

أيها السيدات والسادة :

يستقبل مجمع اللغة العربية في هذه الأمسية أخاً كريماً وأحد رجالات هذا البلد البارزين هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد .

وقد جرى المتحدّثون الذين يقدّمون شخصية معروفة إلى الجمهور على القول إن الرجل غنيّ عن التعريف ، وأنا أخالفهم في هذه السُنة فأقول إن الدكتور حومد ليس غنيّاً عن التعريف ، وليس ذاك لأن جمهور المواطنين لا يعرفه ، فهو من أعلام الباحثين ورجال القانون في قطرنا العربي السوري ، وإنما لأن الجمهور لا يعرف من الرجل إلاّ ما يتصل بحياته العامة وعمله فحسب ، ولكنّ ثمة جوانب أخرى يجهلها الناس تتّصل بخلاله وحياته الاجتماعية وصلاته بذويه وإخوانه. وسأتحدث هنا عن هذه الجوانب بالقدر الذي يتّسع له الوقت المحدّد لهذه الكلمة .

وأودّ أولاً أن أعبّر عن سعادة أعضاء المجمع البالغة باستقبال الأخ الكريم الدكتور حومد وانتمائه إلى هذه المؤسسة التي جعلت وكدَها العناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد ، ولا يخامرهم الشكّ في أنهم سوف يفيدون من انضمامه إلى أسرتهم أعظم الفائدة لما عُهد فيه من النشاط الوافر والغيرة على اللغة العربية والتعمق في العلوم القانونية . ولعلّ كثيراً من الناس

يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديباً ثم اتّجه إلى الدراسة القانونية ، ولكن النزعة الأدبية لم تفارقه فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب .

ولد الدكتور حومد عام خمسة عشر وتسعِمئة وألف بمدينة حلبَ الشهباء ، وبعد أن أتمّ المرحلة الابتدائية تابع دراسته في المكتب السلطاني ، وهو يومئذ الثانوية الوحيدة في حلب ، ونال في ختامها شهادتي الثانوية العامة الأولى والثانية وشهادة دار المعلمين ، وقد أتاحت له الشهادة الأخيرة دخولَ سلك التعليم فعُين معلّماً ثم معيداً . وفي عام سبعة وثلاثين انتسب إلى معهد الحقوق بدمشق ونجح إلى السنة الثانية ، ولكنه لم يتمّ دراسته القانونية في دمشق إذ اشترك في العام التالي في مسابقة لإيفاد طلاب إلى فرنسا لدراسة الأدب العربي في جامعة باريس . وكانت فرنسا تفرض على وزارة المعارف السورية إرسال جميع بعثاتها إلى فرنسا مهما يكن اختصاص موفديها لحرصها على هيمنتها الثقافية ، وكانت أولى البعثات التي خرجت عن هذه السُنة البعثةَ التي كنت والدكتور شاكر الفحام في عدادها ، فقد أوفدنا سنة اثنتين وأربعين إلى مصر بدلاً من فرنسا بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

حصل الدكتور حومد على الإجازة (الليسانس) في الأدب العربي عام أربعين وتسعمئة وألف من جامعة باريس ، على أن نفسه كانت توّاقة مع ذلك إلى دراسة العلوم القانونية ، فحصل في العام نفسه على دبلوم معهد العلوم الجنائية ، وفي العام الذي يليه حصل على الإجازة في الحقوق . وهنا أصبح الدكتور حومد على مفترق طريقين كان عليه اختيار أحدهما : إمّا أن يتابع دراسته الأدبية التي أُوفد من أجلها ، وإما أن يسلُك سبيل رجال القانون فيتابع دراسته القانونية التي بدأها في دمشق ، ـــ وقد حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى دمشق بعد حصوله على الإجازة فأتاح له ذلك متابعة دراسته للحصول على الدكتوراه ـــ ، وما لبث أن حسم

الأمر باختياره الطريق الثاني فأعدّ أطروحة في العلوم الجنائية نال بها درجة الدكتوراه عام أربعة وأربعين .

والدكتور حومد لم يفصح لنا عن دوافع إيثاره القانونَ على الأدب ، ولعلّه آنس في نفسه الرغبة في إنصاف من ينالهم الأذى والوقوف في جانب من تغتصب حقوقهم ، وهي نزعة لازمته طوال ممارسته مهنة المحاماة وتتّصل اتصالاً وثيقاً بخياراته الوطنية والقومية التي اتجه إليها بعد إنجاز دراسته القانونية . بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يلغ ميوله الأدبية القوية الجذور في نفسه ، فسجّل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس ولكن لم يتح له إنجازُها ، فقنع بمتابعة مطالعاته الأدبية وحفظ الكثير من الشعر العربي ، وأعانه على هذا الحفظ حافظته القوية ، وكان كثيراً ما يروي لنا في المناسبات الاجتماعية التي كنا نلتقي فيها جانباً من محفوظه الشعري أو يتحفنا ببعض الأحاديث الأدبية التي اختزنتها ذاكرته . وقد تجلّت موهبته الأدبية في كتاباته ومقالاته في مختلف الدوريات العربية .

بعد انطفاء نار الحرب العالمية الثانية عام خمسة وأربعين عاد الدكتور حومد إلى سوريا ليتولى تدريس الأدب العربي الذي أوفد من أجله في ثانوية حلب واستمرّ يتولّى هذا العمل لمدة عام ، وما لبث في العام الذي تلاه أن تخلّى عن تدريس الأدب ليتولّى تدريس المادة التي استأثرت باختياره ، فعُين مدرّساً في كلية الحقوق بدمشق ، وتمّت ترقيته بعد ذلك إلى مرتبة أستاذ مساعد فأستاذ كرسي الجزائيات ، على أنه انقطع عن ممارسة التدريس حقبة من الزمن من جرّاء تسريحه عام اثنين وخمسين لعدم أدائه اليمين إبّان حكم الشيشكلي ، ثم عاود التدريس في كلية الحقوق حتى عام تسعة وخمسين .

لم يكن الدكتور حومد خلال هذه الحقبة منقطعاً إلى التدريس وحده ، فإن خياراته السياسية دفعته إلى الانتماء إلى حزب الشعب الذي

كان مهده مدينةَ حلب فكان أحد أقطابه البارزين ، وقد رشّح نفسه ممثلاً لهذا الحزب مرّات متعددة ، وتبوّأ كرسي النيابة والعمل الوزاري كذلك مرّات متعددة قبل قيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري ، فتولّى وزارة المعارف مرتين ووزارة المالية مرّة ، ووزارة الخارجية بالوكالة .

حينما قامت الوحدة بين القطرين عام ثمانية وخمسين وقف الدكتور حومد الموقف الذي أملته عليه عاطفته القومية فوقف إلى جانب المؤيدّين لهذه الوحدة الحريصين على استمرارها ، وشارك في تلك الحقبة في تحمل التبعات التي نيطت به ، فتولى وزارة العدل مدة سبعة أشهر في العام الأول للوحدة ، ثم عهد إليه بحقيبة وزارة الخزانة فنهض بهذه المهمة وأدّاها على خير وجه إذ جعل إنفاق الأموال وقفاً على ما فيه مصلحة الدولة والأمة . وبعد زهاء ثلاث سنوات تولّى وزارة التخطيط في القاهرة ولكن عمله في هذه الوزارة لم يطل بسبب انفصام عرى الوحدة بين القطرين بقيام حركة الانفصال أواخر عام واحد وستين . وقد ظلّ ولاؤه للوحدة قائماً طوال عهد الانفصال وانقطع عن التدريس الجامعي وانصرف إلى مزاولة المحاماة . وبعد انقضاء هذه الحقبة عاود نشاطه السياسي فتولّى وزارة المال حقبة قصيرة ودّع بعدها العمل السياسي وانصرف إلى التدريس الجامعي خارج القطر السوري ، فتعاقد أولاً مع جامعة الرباط ثم تعاقد بعد ذلك مع جامعة الكويت وظلّ يمارس التدريس فيها خمسة عشر عاماً ، وقد تولى أثناء تدريسه في هاتين الجامعتين رئاسة قسم القانون الجنائي فيهما .

وفي عام ثلاثة وثمانين رغب إلى جامعة الكويت عدمَ تجديد عقده على رغم إلحاح المسؤولين عليه فيها على الاستمرار في عمله لحرصهم على الإفادة من علمه وخبرته القانونية . وعاد بعدئذ إلى دمشق ولكن نشاطه لم يفتر فقد انصرف منذ عودته إلى البحث وتأليف الكتب وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات .

بالإضـافة إلى ما بيّنت من نشاط الزميل الكريم في مختلف المجالات لا يفوتني أن أشير إلى مشاركته في عدد وفر من المؤتمرات القانونية والسياسية والأدبية أذكر منها على سبيل المثال مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بلودان عام ستة وخمسـين والمؤتمر الدولي لمكافحة الجريمة في جنيف عام خمسـة وخمسـين ومؤتمر الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في العام نفسه والمؤتمر العالمي للقانون الطبي في بلجيكا عام تسعة وسبعين .

ألّف الزميل الفاضل عدداً من الكتب القانونية يجاوز العشرة ، ومنها رسـالة عنوانها : « الاعتداء على سـلامة الدولة الخارجية » نال بها دبلوم القانون ورسالة موضوعها : « معاقبة الإجرام السياسي في التشريع المقارن » نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد نشرت في باريس وقدّم لها الأستـاذان هوغني Hugueney ودونيديو Donnedieu ، وقد طوّر هذه الرسالة فيما بعد ونشرها بالعربية وجعل عنوانها : « الإجرام السياسي » .

ومن مؤلفـاته القانونية كذلك كتاب « أصول المحاكمات الجزائية » ، وهو مرجع ضخم لا يستغني عنه المختصّون في هذا المجال ، وظنّي أنه ما زال يُدرّس في جامعـة الكويت . ونشـر كذلك عام ١٩٨٣ كتـاباً عنوانه : « دراسات معمَّقة في الفقه الجنائي المقارن » وقد أثنى عليه كثير من الباحثين في القانون ، قال فيه مثلاً الدكتور حسن صادق المرصفاوي عميد كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية : « مرجع ندر أن يوجد مثله في اللغة العربية ، وإنه يحتوي على علم سيستمرّ نوره لأجيـال وأجيال ». وقال فيه الأستاذ أسعد الكوراني نقيب المحامين في حلب : « إنها دراسات فريدة في موضوعها في اللغة العربية ، ودراسة رائعة خليقة بالثناء المستطاب عن حق » .

وعلى أنني بعيـد في تخصـصي عن المجـال القـانوني فإنني قرأت أكثر فصول هذا الكتاب واستمتعت بها حقاً لأنها مما يتّصل باهتمامات المثقفين

عامة . فقرأت بعناية الفصل الأول الذي يتناول ظاهرة تفاقم الإجرام في المجتمعات المعاصرة والذي تحدّث فيه عن أنواع الإجرام وموقفِ الباحثين القانونيين والاجتماعيين من الجريمة وتعريفها ، وأورد فيه اراء طائفة كبيرة من علماء القانون والاجتماع ، والفصل مزوّد بإحصاءات وافية تبيّن مدى تفاقم الجرائم في العالم . وأشهد أنني استمتعت بقراءة هذا الفصل واكتسبت منه اطلاعاً على جوانب كنت أجهلها . كما أنني قرأت الفصل الذي عقده لعقوبة الإعدام والخلافِ الناشب بين رجال القانون وعلماء الاجتماع بشأن إبقائها أو إلغائها . وقد عرض فيه الزميل الكريم آراء الفريقين بموضوعية تامة ثم أدلى برأيه الخاص الذي يؤيّد فيه إبقاء هذه العقوبة في التشريع لحين الحاجة إليها ، وهو يؤيد إلغاء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية باستثناء جريمة الخيانة العظمى للوطن ، ورأيه مقنع جدير بالتقدير . ومن الفصول التي قرأتها كذلك الفصل الذي عقده للقتل بدافع الرحمة (قتل المرحمة) وقد أورد فيه مختلف الآراء في هذا الضرب من القتل . وقد أُعجبت كذلك بما جاء في الفصل الذي عقده لأصول تفسير القوانين الجزائية ووجوب تحرّي الدقّة في تعريف مختلف ضروب الجرائم لتحاشي محاولة التلاعب في تطبيق القانون . ومن الأمثلة الطريفة التي ساقها على ذلك أن أحد المحامين طالب ببراءة موكله بائع الحليب الغشاش بحجة أنه لا يغشّ الحليب بالماء - كما ورد في نص القانون - وإنما يغشّ الماء بالحليب ، فهو يضع الماء أولاً ثم يصب الحليب فوقه .

ومن مؤلفات الدكتور حومد كذلك « المفصّل في شرح قانون العقوبات » وهو مرجع ضخم يقارب عدد صفحاته الألف والمئتين ، وقد شرحت فيه النظريات العامة التي اشتمل عليها قانون العقوبات مدعمةً بأحكام القضاء السوري والمقارن . ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإجرام

الدولي » وهو يتضمن شرح الجرائم الدولية التي اكتسبت طابعها القانوني إثر محاكمات نورمبرغ وطوكيو والتي استهدفت سلام البشر ، ومنها الجرائم التي عرفت بجرائم الحرب ، وهو كتاب لم يؤلّف في موضوعه أحد من الباحثين العرب .

وثمة مؤلفات أخرى تتصل بالقانون الجنائي المغربي وقانون الجزاء الكويتي . هذا فضلاً عن العشرات من المقالات التي نشرت في مختلف الدوريات العربية كمجلة « العربي » و« عالم الفكر » وهي تتناول موضوعات قانونية وأدبية وسياسية واجتماعية .

هذا تعريف موجز بالدكتور حومد الباحث القانوني ، بقي أن أتحدث عن حومد الإنسان والصديق ، فقد أسعدني الحظ بصحبته سنواتٍ ، يوم كنّا ندرّس في جامعة الكويت ، وأشهد أنني نعمت بصحبته صديقاً وفياً ، حلوَ المعشر ، عفّ اللسان ، كريماً مضيافاً ، يطمئن المرء إلى سموّ خُلقه وصفاء دخيلته وكريم خلاله ، كما عرفت فيه الالتزام الصارم بواجباته المسلكية ، والتشبّثَ العنيد بالمبادئ الوطنية والخلقية التي انطوى عليها ، وهو لا يحيد عنها مهما تكن المغريات والمؤثّرات ، فأنعِم به أخاً فاضلاً وصديقاً عزيزاً ، وأهلاً به زميلاً مجمعياً كريماً .

خطاب الأستاذ
الدكتور عبد الوهاب حومد

في حفل استقباله

بين يدي هذه الكلمة :

اسمحوا لي أيها السيدات والسادة :

١ ـ أن أعرب لكم عن خالص الامتنان لتفضلكم بحضور هذه الأمسية ، تكريماً منكم لرجال العلم .

٢ ـ وأن أخص صديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص بأصدق آيات الشكر والعرفان على كلمته الكريمة . وما قاله فيَّ شرف لا أدعيه ، وتُهَمٌ لا أبرئ نفسي منها .

٣ ـ وأن أشكر أخي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، نائب رئيس المجمع ، على ترحيبه الجميل بي .

٤ ـ وأن أوجِّه تقديري العميق للزملاء الأفاضل من أعضاء المجمع الذين انتخبوني بإجماع أصواتهم لأكون واحداً منهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة :

حين بدأتُ بقراءة مؤلفات المرحوم الدكتور شكري فيصل وأبحاثِه الغزيرة ، لأتكلم عنه وفاءً بحقه عليَّ ، حسبت أنني أجالس الصديق الهادئ ، صاحب الطلعة الصافية والنظرات العميقة التي لا تكاد تخفي قلقها ، وصاحب الصوت الخفيض الناعم والتفكير السديد .. ولكن ما إن انتهيتُ من مطالعة ما دبجته يراعته ، حتى أدركتُ أنني على متن زورق فوق بحر محيط ، أنس إلى هدوء السطح وأحلامه فلما اجتذبته أولى الموجات عن شاطئ السلامة ، أخذ يُحِسُّ بما في الأعماق من تلاطم تيارات وتصادم انفعالات ... عندها أحسست بجسامة العبء وثقل المسؤولية .. ولكن الذي أغراني بعدم النكوص على عقبيَّ ، شعورٌ دفين بأنني لست غريباً تماماً عن هذه الأجواء الأدبية ، التي تقلبتُ في أحضانها زمناً ما ، قبل أن تنتزعني من جناتها الوارفة وأنغامها الشجية ، صرامة القانون وتجهُّم قسمات مواده المستعصية ، التي لا تنشر الدفء دوماً في النفس ...

وأحب أن أعرفكم بحياة الدكتور شكري تعريفاً موجزاً ، لأن باحثين أخياراً من أخوانه كتبوا عنه وأجادوا بحيث وجدتني أتساءل : هل غادر الشعراء من متردم ؟ ثم أتبسط في تعريفكم على إنتاجه الغني ..

ولد الدكتور شكري – كما يتحدث عنه الدكتور عدنان الخطيب في دراسته عنه[1] – لأب أصله من مدينة حمص ، هو المرحوم عمر فيصل ، جاء إلى دمشق قبل الحرب العالمية الأولى واستقر في حي العقيبة وتزوج احدى بنات الحي ، فولدت له المرحوم الدكتور شكري عام ١٩١٨ وكان أخوها من أفاضل المربين في دمشق ، وكان يدير مدرسة ابتدائية في حي المسكية . ومات أبوه وتركه وحيداً ، فامتدت إليه بالرعاية يد خاله ، فاحتضنه ونشَّأهُ في بيته وزوجه ابنته الأستاذة الفاضلة « أم معتز » . وقد بقي طيلة حياته يشعر بعاطفة من العرفان نحو هذا الخال ، وعبَّر بصورة حسية عن هذا الشعور ، فأهدى إليه كتابه الرائع « المجتمعات الإسلامية » بقوله :

« إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدي هذا الكتاب . فهو رَوْح من رُوحِه ، وعَبَق من عبقه ، ووفاءً ببعض حقه وإيماناً بفضله » .

وخصلة الوفاء هذه ظلت « فيصله » المميز طيلة حياته في علاقاته بأساتذته خاصة وبأصدقائه ... وكأنما لقي من بعض أصحابه ما لا يحب في بعض الأحيان ، فسالت مرارته على قلمه تشكو إلى الله تنكُّر المتنكرين ...

وأتم دراسته الابتدائية في مدرسة معاوية ، ثم انتقل إلى مكتب عنبر وهو المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت إذ ذاك في دمشق . وقد تلقى العلم فيها من أساتذة أجلاء ، كانوا في تلك الأيام ملء السمع والبصر ...

وقد حصل على الشهادة الثانوية بقسميها العلمي عام ١٩٣٦ والفلسفي عام ١٩٣٨ وبذلك جمع بين الحسنيين : تنظيم العقل وتذوق الأدب ..

(١) الدكتور فيصل وصداقة خمسين سنة .

وانتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فحصل منها على الشهادات التالية :

١ – الإجازة في الآداب عام ١٩٤٢ بدرجة الإمتياز .
٢ – الماجستير في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٨ .
٣ – دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية »عام ١٩٤٩.
٤ – الدكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً عام ١٩٥١ .

وعلاوة على هذه الشهادات الأدبية الرفيعة ، وجد رحمه الله وقتاً كافياً ليدرسَ الحقوق ، في كلية الحقوق بدمشق ، ويظفر بشهادتها عام ١٩٤٦ ، وهي السنة التي عينت فيها أستاذاً في هذه الكلية . وحين توثقت علاقاتنا بعد سنوات لم ينس أبداً أن ينزلني في تعامله معي ، منزلة واحد من أساتذته !..

وقد أهلته مؤهلاته العاليةلتبوئ كرسي الأستاذية في كلية الآداب بدمشق منذ عام ١٩٥٢ . ومن سدة هذا المنصب أخذ إشعاعه الأدبي يغزو قلوبَ طلابه في الكلية وأفئدةَ الأدباء والمتأدبين المعجبين بقلمه وفكره من خارج الجامعة ، سواءٌ في محاضراته النفيسة التي كان يلقيها على رجال الأدب والعلم في المؤتمرات أو الحلقات أو الندوات ، أو ما كانت تنشره له المجلات الأدبية المتخصصة .

وقد مَثَّل سوريةَ في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بلودان عام ١٩٥٦ ، وفي مؤتمر القاهرة عام ١٩٥٧ . وفي تلك السنة مثَّل بلدنا في مهرجان أحمد شوقي ، وحاضر عن « نثره » ، كما مثَّلنا في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت عام ١٩٥٨ وألقى فيه محاضرة بعنوان :

« البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة » .

وتعود بي الذاكرة إلى ذلك المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي عُقِدَ في بلودان عام ١٩٥٦ ، والذي كان أولَ مؤتمر يحضره المرحوم ممثلاً لبلده .. فقد كان عليَّ أن أسمي أعضاء الوفد السوري ، بوصفي وزيراً للمعارف .. ولم تكن المهمة يسيرة : فقد كان في الوفد المصري طه حسين وأحمد رامي ويوسف إدريس وأمينة السعيد وفي الوفد العراقي محمد بهجت الأثري وبدر شاكر السياب وفي الوفد اللبناني ميخائيل نعيمة وقسطنطين زريق .. وكانت السعودية ممثلة بخير الدين الزركلي ... وشُكِّل الوفد السوري من الأساتذة خليل مردم بك وفؤاد الشايب وبدر الدين الحامد وأسعد طلس ... وشكري فيصل .. وعدد من الآدباء .

ولم يتكلم في المؤتمر من الوفد السوري غير الأستاذ فؤاد الشايب عن « الأديب والدولة » والدكتور شكري فيصل الذي ناقش محاضرة السياب .. عن « وسائل تعريف العرب بنتاجهم الحديث » .

وهنأته على كلمته .. وكانت تلك مناسبة حلوة لتعارفنا الأول ... ويطول بي الكلام لو أنني عددت المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية التي حضرها .. على ما فيها من استفادة وإفادة ، ولكني أذكر أنه ظل ملحقاً ثقافياً مدة عامين في القاهرة عمل خلالهما في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع الأستاذ أحمد أمين والأستاذ ساطع الحصري ، وبعد عودته إلى دمشق ، عيِّن في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف . وكانت هذه اللجنة تخطط لبرامج التعليم وتراقب الكتب المدرسية .. وكنت أنظر إليها نظرةَ تقديرٍ واحترام لأنها كانت الرأسَ التي ترسم للتعليم مساره في البلاد .

وهكذا فمنذ أولى درجات السُّلَّم كانت تناط بالدكتور شكري الأعمال الحساسة ... وكان يقوم بأعبائها بكفاءة تدعو إلى الاعتزاز :

وما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ولم يقف إشعاعه الثقافي الفذ عند حدود الوطن الصغير ، فقد مَدَّ فيه بعيداً حتى عم أكثر بقاع الوطن الكبير ، وأتاح لأبناء جلدتنا من مشرق العروبة إلى مغربها أن يَنْهَلوا من عطاء عبقريته . فقد حاضر كأستاذٍ زائر في جامعات فاس ووجدة ومَرَّاكُش والجزائر وطرابلس واليرموك وعَمان والرياض وبيروت والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .. وفي مقامه في جوار قبر المصطفى لقي ربه ودفن إلى جوار النبي الذي أحبه حباً أخذ عليه مجامع قلبه ، عام ١٩٨٥ ...

وقد عَرَفَتِ المحافلُ الثقافية قدرَه فاختير عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني ، والمجمَع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان والمجمع العلمي العراقي وبيتِ الحكمة في تونس .. وكان واسطةَ العِقْد في مجمعنا وأميناً لسره ...

وقد تفجَّر من هذه الفعاليات الثقافية فيضٌ من الدراسات التاريخية الإسلامية ومجموعةٌ نادرة من المؤلفات والأبحاث الأدبية والاجتماعية أَعْرِضُ لها دون أن أتعمق في مضامينها مراعاة للوقت ، فيما يلي :

أولاً — الدراسات التاريخية الإسلامية

درس الدكتور شكري « حركة الفتح الإسلامي » دراسة جديدة لا تقتصر على دراسة النصوص القديمة واختيار أفضلها والتعليق عليها ، كما يفعل المؤرخون في العادة .. لأنه اختار في دراسته طريقةً حديثة متأثرة بأسلوب البحث العلمي الحديث . وقد أشار إلى هذا التجديد في مقدمة كتابه الثاني « المجتمعات الإسلامية » فقال :

« واستقر عندي أن موضوعاً يَعْرِضُ لدراسة الفتح الإسلامي وتكون غايتُهُ البعيدةُ أن يبلغَ آثارَه من حيثُ التطورُ اللغويُّ والأدبي في المجتمعات الإسلامية ، يجب أن يقوم على دِعامتين : أولاهما من **التاريخ نفسه** والثانية

من علم **الاجتماع** وعلم الاجتماع اللغوي بوجه خاص .. وإني إن لم أفعل ذلك ، لم يكن الموضوع إلا تلاعباً بهذه الحفنة من الأخبار والروايات التي تُدِيرُ الحديثَ عنها كتبُ الأدب واللغة ... » .

وهكذا جاء كتابُه التاريخي الأول « حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول » دراسةً نفيسة لم تكتف بعرض قصص المعارك وسرد الانتصارات ، بل إنه خرج فيها من المجال العربي إلى الأفق العالمي فأخضع النصوص إلى ما يسير عليه العلماء المتطورون من تحليل واستقراء دقيقين .. وعلى سبيل المثال فإنه بحث في فتوح الشام موقفَ عرب الشام وموقف الروم وموقف النصارى من الحركة العسكرية الإسلامية القادمة من الجنوب . وانتهى إلى القول بأن « الحرب اتخذت شكلاً دينياً واضحاً .. وكان مما لجأ إليه الروم أنهم استثاروا مشاعر الجماعة الدينية واستثمروا في ذلك رجالَ الدين أنفسَهم . والتفاصيل التي وردت في روايات بعض المؤرخين تُطْلِعُنا على أن قوادَ الروم كانوا يُقَدِّمون أمامهم الشمامسة والرهبان والقسيسين يُغْرُون الجند ويَحُضُّونَهم على القتال . ولا يختلف موقف نصارى الشام في مقاومتهم الفتح الإسلامي عن مقاومة الروم له . وهذا طبيعي كما يقول . فالإسلام دين جديد يدعو إلى غير ما تدعو إليه الديانةُ السائدة في الشام آنذاك ، وليس غريباً أن يقفوا في وجهه دفاعاً عن معتقداتهم الراسخة .. وإذن فليس هناك أهميةٌ تذكر لما يقال عن خلاف بين الكنيسة السورية التي كانت تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعةً واحدةً ، وبين الكنيسة البيزنطية التي تؤمن بما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ ميلادية من أن للمسيح طبيعتين : إلهية وبشرية ...

ومن المؤكد فإن إثبات الحقيقة ، ولو كانت مرةَ المذاق ، أثمنُ في نظر العالم المتبتِّل من أحاديث المجاملة التي تدغدغُ بعض الأحلام ، لأهداف غير علمية ولكنها تسيء إلى الحق والتاريخ ..

وعلى كل حال ، فإن كتاب « حركة الفتح الإسلامي » هذا ، دراسةٌ تمهيدية لنشأة « المجتمعات الإسلامية » التي تشكلت بعد الفتح في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والشرق الإسلامي . وهو الكتاب الذي حصل به على درجة الدكتوارة في الآداب . وهذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة طبع خمس مرات حتى تموز ١٩٨١ . وقد أخذ المؤلف رحمه الله على عاتقه أن يغوص في أعماق تلك المجتمعات الحديثة غوصاً رفيقاً واعياً ، لأن الإسلام لم يُحَطِّمْ نواميسَها ونظمها وعقائدها وعاداتها ولم يقلبْها رأساً على عقب بل سار فيها السير الواعي الذي أمر به الشرعُ في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقولِه ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ .

وقد تتبع حركة انتشار الإسلام المذهلة في أراضٍ متعطشة إلى نور المعرفة ، فجرَّت وراءها حركةَ تعريبٍ واسعة . وواكبت حركةَ انتشار الإسلام ، حركةُ التعريب على نطاق واسع .. إلا أن هذه المواكبة اصطدمت في بعض المجتمعات الجديدة ، فَقَصَّرَتْ حركةُ التعريب عن حركة انتشار الإسلام . ومن خلال استقرائه الوقائع ، وجد المؤلف أن **اللغة الفارسية** قاومت اللغة العربية في بلاد الفرس مقاومة عنيدة . وقد أرجع فشل تعريب هذه البلاد إلى سببين : الأول أن المقاتِلةَ العربَ لم يكونوا يتجاوزون – يوم اسْتُخلِفَ سليمانُ بن عبد الملك عام ٩٦هـ – على حد تقدير المؤرخ البلاذري ، وهو حجة موثوقة ، أربعين ألفاً من مقاتلة البصرة وسبعةَ آلاف من مقاتلة الكوفة وسبعة آلاف من الموالي . وكان مَنْ وراءَهم من العرب في تلك البلاد لا يزيدون على أربعة أمثال هذا العدد .. وبذلك لم يكن العرب الموجودون في تلك البلاد يزيدون عن ربع مليونٍ فقط ، في وسط تلك الامبراطورية الواسعة ذات الأمجاد الفارسية التليدة والمعتزة بماضيها .

والذي يتتبع حركة التاريخ ، بعد الفتح الإسلامي إلى أزمنة متأخرة ، يلاحظ أن الفرس ظلوا على الدوام يرفضون الامتزاج بالعرب الذين اجتثوا قوتهم العسكرية في ميادين القتال ونشروا في بلادهم دينَهم الجديد .. ومن مظاهر رفض الامتزاج ، أنه حين كانت غالبية العالم الإسلامي تدين بالمذهب الشيعي في ظل الدولة الفاطمية ، ومنها بلاد الشام ، كانت فارسُ سنيةَ المذهب ... فلما قضى الأتراك السُّنَّةُ على حركة التشيع بانتصارهم على المماليك عام ١٥١٦ ، عاد المذهب السني إلى بلاد المسلمين .. غير أن الصفويين الفرس غيَّروا من قناعاتهم وتبنوا المذهب الشيعي وفرضوه على أتباعهم بقوة الحديد ... لكي يظلوا مجتمعاً متميزاً عن المجتمع العربي ...

أما السبب الثاني في فشل تعريب فارس ، فهو انقسام الفاتحين العرب في فارس ، وتخاصُمُهم فيما بينهم ، الأمر الذي حملهم على الاهتمام بأمورٍ أخرى غير التعريب ..

ومع ذلك ، فإن القرون التالية سوف تشهد فرساً استعربوا وأصابوا حظاً عالياً من الثقافة العالية والتأليف في مختلف علوم اللغة العربية ..

وليس بدعاً أن تأخذ اللغة العربية عن لغات الشعوب غير العربية التي أسلمت كثيراً من ألفاظها ، فاغتنت بها ووسعت قاموس ألفاظها . كما أنه من طبيعة الأشياء أن يأخذ الفاتحون العرب من الشعوب التي أخضعوها كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم بسبب المعايشة المشتركة ، بعد أن كيَّفوها وَعَدَّلوا فيها لتنسجم مع أحكام الإسلام ، الذي أصبح دينَ الدولة .. وقد كان للزَّواج المُخْتَلَط أثر كبير في ولادة أجيال جديدة ، تشَرَّبَتْ الواقعَ الجديد ونشأت في أحضانه ، كما كان للسبي وعيش السبايا في بيوت الفاتحين العرب مثل هذا الأثر في تطوير العادات العربية .. وقل مثل ذلك عن عيش الجنود المقاتلة من عرب وغير عرب في ثكنات عسكرية عيشةً

مشتركة .. ويذكر التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وُفّق توفيقاً كبيراً في عدم تقسيمه الأراضي المفتوحة بين الغزاة العرب باعتبارها من الفيء ، ولكنه – على حد قول الدكتور شكري – لم يوفق في الحد من اصطناع السبي ، خاصة وأن الإسلام شجع كثيراً على عتق السبايا وجعل ذلك قربى من الله ، واعتبر المحررات كالعربيات زوجاتٍ مؤمناتٍ لهن ما لسائر الزوجات المؤمنات من حقوق كاملة ..

وكان من آثار هذا الإختلاط تسرُّب اللكنة الأعجمية إلى الألسنة . فالصاد مثلاً عسيرة اللفظ على الأعاجم ، فكانوا يلفظونها سيناً. فيقولون : (ما تسنأ بدلاً من : ما تصنع ..) . وكانوا يخطئون في تركيب الجمل نفسها حتى لتستعصي على الفهم . ويروي صاحب البيان والتبيين (ج٢ ص٢١٣) أن امرأة من الأعاجم قالت لولدها : « جردان دخل في عجان أملك » تريد أن الجرذ أكل من عجينها .. وهذا وضع طبيعي ولا عيب فيه ، فنحن حين درسنا اللغات الأجنبية ، كنا نرتكب مثل هذه الحماقات .. غير أن كثرة الأعاجم واختلاطَهم القوي بالعرب ، أثرا في اللغة العربية أثراً سيئاً ..

وقد عرفت حركة الفتوح أدباً جديداً تَمَثَّل أكثرَ ما تمثل في **تمجيد البطولات** في خوض المعارك ورفع راية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ونشر الدعوة .. ولكن حين تَدْخُلُ السيوفُ في أغمادها ، ويضمِّدُ المقاتلون جراحهم في أرض الغربة يأخذهم الحنين في هدأة الليل إلى الأب والأم والزوجة والولد في أرض الوطن ، فيترجمون عواطفهم هذه بأبيات أو قصائد أخذت تعرف **بشعر المواجد** .

غير أنه بعد أن يتحقق النصر ويسود السلم ، عن رضى أو عن كره ، تكون الهجمة العسكرية قد حققت أهدافها .. عندها يأخذ المقاتل

بالاندماج في الحياة المدنية .. ويُخْلِدُ إلى راحة الأسرة ، التي أنشأها كثيرٌ من العرب في أرض الغربة .. وعندها تعود الشاعرية إلى القلوب تَحْفِرُ في ثناياها مساربَ لينابيعَ صافيةٍ تترقرق على جنباتها شعراً غزلياً ناعماً متأثراً برقة البيئة الجديدة ، وهي على كل حال بيئةٌ بعيدة عن بكاء الأطلال وبعر الآرام أو مراجيع الوشم في نواشر المعصم .. غير أن السياسة ما لبثت أن حركت عقاربها ، في صورة أشعار نظمتها الفرق الدينية في الدعوة إلى مبادئها ..

ثانياً ـ المؤلفات الأدبية

في نطاق فعاليات الدكتور شكري الأدبية ، نجد كتابين من أجمل وأصفى ما دبجته يراعته ، وهما :

١ ـ مناهج الدراسة في الأدب العربي .

٢ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام .

وإلى جانبهما نجد له :

٣ ـ أبحاثاً أدبية كثيرة .

٤ ـ تحقيق بعض الكتب القديمة ونَشْرها .

وسوف أتناول تباعاً وبإيجاز هذه الأعمال في أربعة مباحث ، هي التالية :

١ ـ مناهج الدراسة الأدبية

خصص الدكتور شكري هذا الكتاب النفيس لدراسة « مناهج البحث في أدبنا العربي والطرائق التي غلبت على الدراسات الأدبية والنظريات التي تتحكم فيها من ورائها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك » ، كما يقول .

ومرتكز بحثه أنه « خير للأدب أن ينطلق فيسعى إلى منهج جديد يضبط دراسته ويوحِّد وجهته ويجعله ينشد وجدانه في هذه المدارس الفنية

العميقة بدل أن ينشدها في مظاهر خادعة من وحدة العصر أو وحدة المنشأ والوطن أو وحدة الغرض والموضوع .. » .

والذي أقلقه وجعله يفكر في واقع دراسة الأدب العربي ، التي لا تزال ضئيلة الحظ من النماء ، قليلة النصيب من النضج « أن الدراسات الإنسانية الأخرى تتقدم ... أما درس الأدب فلا يزال في مكانه من البساطة حيناً والغموض حيناً آخر ... » .

وعلة هذا التأخر ترجع إلى فقر المناهج .. ومن هذا المنطلق خصص هذا الكتاب لدراسة ست نظريات تعاورت دراسة الأدب العربي حديثاً ، لكي يخلص من هذه الدراسة الشاملة إلى المناداة بطريقة جديدة أخذت عليه مجامع قلبه ..

وفيما يلي نظرة موجزة في هذه المدارس مستقاة من دراسة الدكتور شكري :

١ ـ النظرية المدرسية

وهي تقسم الأدب العربي إلى خمس مراحل متطابقة مع تقسيم العصور السياسية . وأبرز ممثليها أحمد حسن الزيات والشيخ أحمد الإسكندري . وبموجبها يقسم الأدب العربي إلى عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام والدولة الأموية وعصر الدولة العباسية بما فيه الأدب الأندلسي ، وعصر الدول المتتابعة ، وربما خُصَّ عصر النهضة الأخيرة بتسمية مستقلة .

ويأخذ الدكتور شكري على هذه المدرسة أنها تربط بين السياسة والأدب وتعلي كثيراً من شأن العامل السياسي . كذلك فإنه يلومها على هذه المطابقة غير الصحيحة بين العصر السياسي والتيار الأدبي الذي لا يمكن أن يُحَدَّ ببدء عهدٍ سياسي وانقضائه .. لأن الأدب لا يمكن أن يكون ظلاً لنوازع السلطان وأصحابه .. وإذا كان صحيحاً وميسوراً أن نقول إن الدولة العباسية قامت عام ١٣٢هـ ، فإن من الصحيح أيضاً أن

نقول إنها كانت في أذهان بني العباس منذ أن اختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة واستمرَّتْ حية في قلوبهم حين اشتبكت قوات علي ومعاوية .. وإذن فعام ١٣٢هـ . ليس أكثر من الميلاد الرسمي للدولة العباسية ، وهو تاريخ لا يمكن أن تلتزم به الدراسة الأدبية ، كبداية عهد جديد للأدب ..

كذلك يؤخذ على هذه المدرسة تشبثها بالعامل الزمني **ونسيانها أثر العامل المكاني** . وهو فرق نلمسه في التباين بين شعر البادية وكثبان الرمال والدِّمَن وبين الشعر المتردد في جنان الشام وأرض السواد ودجلتها وأنفاس الحضارة في بساتين قرطبة ووادي آش ..

وقد نبذ المؤلف هذه النظرية لأنها أصيبت بالجمود ووقفت بالدراسة الأدبية عند القمم الشامخة من كل عصر ، دون أن يكون للمقلين كبير نصيب من الدراسة والاهتمام .. في حين أن دراسة واحد من المقلين النوابغ تكشف حسب تعبير الدكتور شكري « عن كثير من الخبيء المستغلق في تاريخنا الأدبي » .

وإذا كانت هذه النظرية قد أدت خدمة جلى لدراسة الأدب ، بأن أقامت له بنياناً كان جديراً بالإعجاب : **فإن من حق التطور أن يسعى إلى إقامة بنيان جديد على أنقاض بنيان لم يصمد لضربات الفكر ، يكون من** شأنه تفادي عيوب النظرية المدرسية .

٢ ـ نظرية الفنون الأدبية

يبدو أن أول من حاول بذر بذرة هذه المدرسة ، المرحوم جرجي زيدان . وقد كان هذا البحّاثة الكبير طليعة أصحاب النظرية السابقة ، غير أنه عمد في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى تبني أسلوب غير أسلوب التقسيم التاريخي ، ويعتمد الأسلوب الجديد ـ أو النظرية الجديدة ـ إلى اعتماد تقسيم النشاط الأدبي على مواضيعه أي فنونه المختلفة ، كالحماسة

والغزل وشعر الطبيعة والفخر والهجاء والتصوف ... وحين ندرس واحداً من هذه الفنون فإننا نكون ملزمين حكماً بدارسة المشاهير الذين نبغوا في هذا الفن ، وكذلك الأدباء الذين لم ينالوا درجة عليا من الشهرة ، حتى يتاح للباحث الإحاطة بجميع عناصر هذا الفن ويستوفِيَهُ . وبذلك ينال المغمورون حقهم من الدراسة ...

ولكن الدكتور شكري يأخذ على هذه النظرية أنها تهتم **بالفن ، وتهمل الفنان** ، أي الشاعر أو الناثر ، فلا تُعْنى بشخصيته أو سيرته الذاتية بصورة مقبولة ..

كذلك فإن الشعر القديم لم يكن يعرف وحدة القصيدة ، إذ كان الشاعر يجمع في قصيدة واحدة مجموعة من الفنون المتعددة المواضيع ، مثل البكاء على الأطلال ومدح الجواد ووصف الحرب وأبطالها وآثارها المدمرة .. والفخر بالقبيلة . وذم المناوئين .. وربما ضمنها أيضاً بعض مواعظ استقاها الشاعر من حياته الطويلة وخبرته العملية ...

ولم يستقم أمر هذه النظرية ، فقال قائلون بنظرية أخرى ، هي :

٣ ـ نظرية الجنس

مرتكز هذه النظرية أن العرب حملوا راية الإسلام من جزيرتهم إلى بحر الظلمات فأكناف الصين .. كما حملوا إلى هذا العالم الفسيح اللغة العربية .. وكان في هذا العالم أقوام أخرى ، كانوا موجودين في أماكنهم قبيل الغزو الإسلامي وهجرة الفاتحين العرب إليهم .. وأسلم كثيرون من أبناء هذه الشعوب وساهموا في بنيان الحضارة الإسلامية .. منهم عن قناعة ومنهم عن مصلحة ..

ويشهد التاريخ على أن هذه الشعوب لم تَذُبْ في البوتقة العربية ، بل ظلت تحتفظ بجذورها وكثير من رواسبها النفسية والثقافية والمذهبية ..

ومن منطلق هذه الفوارق العرقية ، دعا بعض الباحثين إلى دراسة الأدب العربي على أساس الأجناس .. فندرس الأدب العربي الذي تفرد به الأدباء العرب ، وندرس الأدب العربي الذي صاغه الأدباء الفرس بالعربية ..

ولم تظفر هذه الدعوة باستجابة جدية ، لأنها تنطلق من مفهوم غامض هو أثر الوراثة العرقية في النتاج الأدبي .. كذلك فإن الإسلام ساوى بين المسلمين في الحقوق والواجبات ، ولم يضيق في الزواج على عرق دون آخر .. فالمسلمون عدول يسعى بذمتهم أدناهم .. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .. وقد اندمج المسلمون بعضهم في بعض اندماجاً واسعاً ، بحيث لم يعد ميسوراً القول بوجود شاعر من عرق صاف ، وآخر من عرق هجين .. فقد تصالبت الأعراق تحت لواء الإسلام ، وأخذ قول الرسول الأعظم مداه الأوسع مع مرور الزمن : « يا بني هاشم لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم .. » .

٤ – واستعرض الدكتور شكري **بعد ذلك النظرية الثقافية** ، التي تتطلب دراسة الأدب العربي بعد أن امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية كالفارسية واليونانية والهندية .. ومن أبرز نماذجها امتزاج الثقافة العربية والثقافة الفارسية في عبد الله بن المقفع ، وامتزاج الثقافات العربية والفارسية واليونانية في الجاحظ .. فقد حذق كثير من الأدباء ، وخاصة الفرس منهم الأدب العربي والأدب الفارسي ، فجمعوا بين محاسن الثقافتين . وهكذا نشأ أدب جديد يحمل خصائص مشتركة ومزايا جديدة ، هي أثر لهذا التزاوج الثقافي .

وينقل الدكتور شكري هذه الواقعة المعبرة . قال : يروى أن الرشيد أوصى أستاذ أبنائه الكسائي بما يلي : « يا عليُّ بن حمزة : قد أحللناك المحل

الذي لم تكن تَبْلُغُهُ همتُك ، فروِّنا من الأشعار أعفَّها ومن الأحاديث أجمعَها لمحاسن الأخلاق ، وذاكرنا بآداب الفرس والروم .. » . مما يعني أن دراسة الأدب يجب أن تُعنى عناية خاصة بدارسة الثقافات المختلفة التي تعاونت على الإنتاج الأدبي .

ونظن أن هذه النظرية تأخذ اليوم مداها الواسع في اختلاف المناهل الأجنبية التي ينهل منها أدباؤنا ومفكرونا أثناء دراساتهم في الجامعات الأجنبية . فجماعة السوربون يتحسسون برقة الأدب الفرنسي وجماعة اكسفورد يتذوقون عذوبة الآداب الإنكليزية ، والذي درسوا في جامعات الاتحاد السوفيتي يستطيبون كتابات تولوستوي وديستويفسكي .. وهؤلاء وأولئك ينقلون إلى بلادهم وتلامذتهم روائع ثقافاتهم الأجنبية .. وعن التفاعل الثقافي بين الثقافات المتعددة ينشأ أدب منفتح على أرجاء الأرض ..

ومع ذلك فإن الدكتور شكري لا يستمسك بهذه النظرية ، لأن التركيز في نظره على تضافر الثقافات يظل ناقصاً لأنه يتشبث بالقوالب المادية ويهمل شخصية الأديب ونفسيته . ومن أبرز عوامل الشخصية ، **العاطفة والخيال** . فهي نظرية تظلم الأديب « لأنها تهدر أثره الفردي في الإبداع الفني » .

وإذن فالنظرية الثقافية تصلح لدراسة تطور الحضارات واستقراء عناصرها المتمثلة في تزاوج الثقافات ، ولكنها لا تصلح وعاءً لدراسة الأدب بصورة عامة ، والأدب العربي بصورة خاصة ...

٥ ــ نظرية المذاهب الفنية

هذه نظرية مغرية ، موضوعها دراسة الأدب العربي وفق اسس الناحية الفنية التي تسود في عصر من العصور الأدبية .

فابن رشيق مثلاً ، وهو من قدماء مؤرخي الآداب ، حاول أن يصنف الشعراء في أربعة زمر :

شاعر خنذيذ ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره .

وشاعر مُفْلِق ، وهو مجوِّد إلا أنه لا يروي لغيره .

وشاعر فقط ، وهو فوق الرديء بدرجة .

وشعرور ، وهو لا شيء .

ويأتي من المعاصرين الدكتور طه حسين ليبرز هذه المدرسة في كتابه الأدب الجاهلي . فهو يدرس زهيراً وأوس بن حَجَر والحطيئة وجميل بن معمر ، ويرى أنهم يشكلون مذهباً فنياً واحداً ومتكاملاً ، وخاصية هذا المذهب أنه يهتم باللفظ الرصين ويعتني بالأسلوب المتين ويجوِّدُهُ ويحفلُ بالعناصر المادية للتشبيه ..

ويمكن الاستفادة من هذه المدرسة في التعرُّف **إلى الشعر المنحول** . وهذا أمر مهم جداً ، لأن الشعر العربي لم يُدوَّنْ إلا بعد حياة الاستقرار ، بعد الفتوحات الكبرى .. وحين بدأ التدوين تدخلتْ العصبيات القبلية والعصبيات الشعوبية لاختلاق شعر مكذوب ينسبه مخترعوه إلى شاعر من الشعراء القدامى ..

فإذا طبقت النظرية الثقافية على شخصية شاعر وعرف الباحث عناصرها الإبداعية والفكرية ، جاز لنا أن نقول عن أبياتٍ إنها من شعره أو أنها منحولة عليه . ولكن هذا القول يصح من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية ، فالجزم بنسبة الشعر إلى الشاعر لا يخلو من مجازفة غير مضمونة !.. ثم إنها كما ينتقدها الدكتور شكري تجازف بأن تنقلب الوسيلة عندها هدفاً والهدف وسيلة ، فتصنف المدارس الأدبية أولاً ثم تحاول أن

تقيس بها الأدباء ثانياً وبذلك تنقلب إلى عمل خيالي فيه مجال كبير للظن ..

وهذا سبب يكفي للتخلي عنها والبحث عن منهج آخر ، أو نظرية أخرى ، هي :

٦ ـ النظرية الإقليمية

ومؤداها أن تدرس الآداب ، لا ككل في البلاد الناطقة بالعربية ، وإنما وفق التقسيمات الإقليمية ، فهناك الأدب المصري ، والأدب السوري والأدب المغربي . فمثلاً أحمد الإسكندري قسم دراسة الأدب العربي إلى قسمين :

حالة اللغة العربية وآدابها في الممالك الشرقية .

وحالتها في الممالك الغربية .

ويقول جرجي زيدان : « من القواعد الثابتة في علم الطبيعة أن للإقليم تأثيراً في أخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً وبديهة وذكاءً باختلاف الإقليم .

وبناء على اختلاف الأمزجة باختلاف الإقليم فقد امتاز كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . فاشتهر أهل الحجاز بالرقة وأكثر شعرهم الغزل ، واشتهر أهل نجد بالبلاغة ، وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب .. » .

وعلى هذا الأساس قسم الشعراء إلى سبعة أقسام بحسب مواطنهم : شعراء مصر والشام والعراق والجزيرة وفارس والأندلس والمغرب وجزيرة العرب .

وكان من حظ الدكتور شكري أن الذي أشرف على رسالته هذه أستاذ عرف بتشدده الإقليمي هو الأستاذ أمين الخولي . ولكن عناد الأستاذ

لم يستطع ليَّ زند الطالب ، فكان أن تابع الدكتور شكري سيره في نظرته القومية إلى الأدب العربي .

وللأمانة فأنا عَلَّمْتُ طيلة حياتي أهمية البيئة الإقليمية في حركة الإجرام بعد أن استهوتني لفترة نظرية الوراثة .. ولكن شتان بين الانحراف الخلقي من البيئة الفاسدة ، وبين حركة ابداع منطلقة من روح شاعرية تتحسس بالواقع دون شك ، ولكنها تظل تحوم في الأجواء العليا ، التي هي مواطن الوحي والإلهام ..

وتعود النظرية الإقليمية في جذورها الأدبية إلى الفرنسي الأستاذ Taine ، ومنطلقها قاعدةٌ مادية هي أن لكل واقعة سبباً ، ولكل نتيجة مقدمةً . ولكن إذا صح تفسير القوانين المادية بهذه الحتمية المتزمتة ، فإن في الحياة الأدبية نوازعَ وأخيلةً وعواطفَ وإلهاماتٍ تتمرد على كل القيود والقوالب المادية .. وفي أيامنا نجد بروز نظرية نفسية في تعليل الإجرام ، إلى جانب نظرية البيئة التي يرفع لواءها عالياً الأستاذ الأمريكي سذرلاند .. وإذن فالعناصر الذاتية تبقى في حياة الأدب أقوى المؤثرات الإبداعية ...

ونحن الذين نشأنا على الإيمان بوحدة العرب ، نشعر بشيء من الصدمة والإمتعاض حين يراد أن يفرض على مشاعرنا مفهوم إقليمي لا يمكن أن تستسيغه نفوسنا .. وعلى أساس هذه النظرة ، قلب الدكتور شكري ظهر المجن لهذه النظرية أيضاً ..

إذن ، طالما أن كل هذه النظريات التي عرضنا لها لم تقنع المرحوم ولم تقنعْنا من بعده أيضاً ، فهل يجب أن تظل دراسة الأدب بدون منهج مقبول تسير عليه ؟ والجواب ! أبداً .. لقد نادى الدكتور فيصل بمنهج جديد ، خصص له القسم الأخير من كتابه .. وقد أوجز تعريفه له بقوله :

« وحدة في الهدف وكثرةٌ في الوسائل » .

وهذا المنهج يدعو إلى الافادة من النتائج التي وصلت إليها المدارس السابقة والحقائق التي توصلت إليها .. بحيث إنها تتعاون وتتضامن تضامناً مثمراً ، دون أن يخلط المنهج الجديد بين تلك المدارس أو يمزج بينها مزجاً أعمى ..

وهو يُبْقي على كل نظرية ، ويعمل على الانتفاع بما حققته ، مع بقائه مخالفاً لها في الأصل ..

وهو يعترف بأن هذا « المنهج الجديد » ليس منهجاً جديداً كل الجدة « ولكنه هذا التفاعل الذي تحققه المناهج المختلفة بعد توجيهها ولفتها هذا اللفت الخاص والخروج بها من منطقة الاستئثار الضيق بالدراسة الأدبية ، إلى منطقة التعاون الواسع » (ص٢٢٦) .

« ... إنه نوع من التركيب الذي يعتمد الإبداع وأسلوبَ الجمع الذي يستند إلى الخلق ».

ولست أدري إذا كانت المناسبة مواتية هنا ، لأتساءل : عما إذا كان الدكتور شكري يدعو إلى مذهب انتقائي بين المذاهب الأدبية éclectisme نحن نتبناه في نطاق العلوم الجنائية ، وقد علَّمناه في الجامعة قرابة نصف قرنٍ خاصة بعد أن استقرت النفس وهدأت ثورة الشباب وجموحه ...

وهذا ما انتهى إليه :

« نحن نرحب بدراسة أثر الأقاليم الإسلامية في أدبها .. ونحن نفرح بالتعرُّف الصادق إلى خصائص الجنس عند شاعرٍ أو كاتب .. ونحن نُكْبر دراسةَ الثقافات وتفاعلها وما أَلْقَتْ على الأدب من ظلال وما أغدقت عليه من فكر . ونحِسُّ لذلك الأثَرَ في نشأة مذاهبَ فنية جديدة ، ونحن نتناول الدراسة الزمنية وما يكون من هذه الصلة بين الشعر والسياسة .. ومن هنا لم يكن المنهج الجديد قسيماً للمناهج السابقة ولا خصماً لها ، ولكنه توجيهٌ

وتتويجٌ لها وتركيبٌ يبدع النتائج التي تصل إليها » .

ولكنه يشترط أن تُعتبرَ القضيةُ الأدبية أصلاً ، فلا تكون مثلاً مرتبطةً بعجلة السياسة ، كما يبدو من تعاليم النظرية المدرسية .. أي أن يكون جوهر الدراسة الأدبية هو هذه الظاهرة الأدبية بالذات ، وليس حوادث السياسة وعمل الإقليم وأثَر الثقافات ..

أما القضايا الجانبيَّةُ ، كالاقتصاد والواقع الاجتماعي والسياسي ، فتكون قضايا جانبية مساندة (أي مسعفة كما يقول ص٢٣٠) ..

ولذلك « فإن المنهج الذي يجب أن نصطنعه يقوم على هذا الانتقال من الفردي إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي .. فندرس الأديب أو الشاعر في كل أوضاعه وألوانه ونحيطُ بكل مظاهره وصوره ونتعمق عوالمه الداخلية ونَرْصُدُ كلَّ أحاسيسه . فإذا نحن نكشف عن هذه الروح التي سادته والمُثُلِ التي أظلته .. » .

٢ ـ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

الحديث عن الغزل يظل حديثاً جذاباً ، محبباً إلى القلب ، أثيراً إلى العواطف .. إنه خلجاتُ الهوى في أعماق النفس ، ولوعةُ الشوق تترقرق على مرارة الحرمان . ويكون الغزل أحلى إذا تحدث عنه مؤلفٌ عُرِف بعواطفه الدينية القوية واستمساكه بالقواعد الشرعية ...

وقد بحث الدكتور شكري هذا التطور بحث العالم الموضوعي لرسم مساره ، وإبراز الفوارق بين عصرٍ لم يكن يردع الشاعر فيه رادعٌ ، وعصرٍ كان على الشاعر فيه أن يعرف أنه يتحرك بين الحلال والحرام ، وبين المباح والتعرُّض إلى حد القذف ...

والغزل في جانب منه حسي ، وكان الغالب في الجاهلية ، ولكنه في جانبه الروحي نفحةٌ سماوية ...

وقد خصص الدكتور شكري كتابه المتألق والمتأنق ، لدراسة تطور الغزل العربي من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، من الذي قالت له فاطمة وقد مال بهما الغبيط :

« عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل » ...

إلى عمر بن أبي ربيعة .. الذي نقل عنه الرواة وهو يحتضر أنه أقسم بالله على أنه لم يرفع ثوبه على حرام .. أي أن غزله كان نفثات قلبٍ موجع يتغذى بالأوهام ... والكتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٥٨٤ صفحة وثلاثة أبواب خصصت للغزل الجاهلي والغزل في عصر صدر الإسلام والغزل في العصر الأموي . وقد برهن المؤلف عن تمكن من النصوص الأدبية ، وطاقة عجيبة على تحليلها واستخراجِ أعمق المعاني منها .. فهو يأخذ النص ، كَمَشَاهِدِ الارتحال والتحمل ، ووصف المحاسن ، ويتقصّى هذه الفنون في شعر عددٍ من مشاهير شعراء الجاهلية ، ويخلص إلى القول بأن الغزل الجاهلي يَتَّصِفُ بأنه غزلٌ تشبيهي يُعْنَى بالمظاهر الخارجية ، ومنه ما يمتاز بالدِّقة ومنه ما يظل سطحياً .. والمرأة عند الجاهليين شيء هام في حياتهم العاطفية والجمالية .. وجمالها هو الصورة المثلى للجمال (ص١٧٨) .. وفي الحديث عنها كان امرؤ القيس مثلاً يتمتع بجرأة متناهية في القول الماجن .. وكان عنترة يتغزل باحتشام في عبلة ، لا يُسِفُّ ولا يترخص في القول ..

وجاء العهد الإسلامي بمفهوم جديد عن الغزل ، اختار له الدكتور شكري نموذجاً من قول ابن قيم الجوزية في تحميدة كتابه :

« الحمد لله الذي جعل المحبة إلى الظفر بالمحبوب سبيلاً .. وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشرف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلاً » .
وإذن فالحب في الإسلام — على حد قوله — ليسَ قَصْرَ هذه العاطفة

السامية على ارواء الهوى واشباع الغرض .. وإنما يجب أن يكون قوة حافزة ودافعة إلى تحقيق غايات الدين من إعمار المجتمع وإنشاء الأجيال المؤمنة ..

ويبدو لنا أن الغزلين الإسلاميين لم يَبْقَوا على هذا الفهم ، فقد انشطروا إلى شعراء أحبوا محبوباتهم حباً عذرياً وشببوا بهن إرواءً لعاطفة متقدة لم تُوَجَّهْ إلى غير الناحية الفنية المثالية ، كجميل بن معمر ، وإلى شعراءَ اتخذوا من الغزل مطية لإثبات شاعريتهم القوية ، ولم يَقْصِرُوا حبهم على بثينة والأخيلية ، بل عددوا النساء اللواتي تغزلوا بهن ، وتخلوا عن الأطلال ، وتمثلوا حضارة عصرهم فانعكست في هذه الموسيقية الطلقة الخفيفة التي تنطق بها قصائدهم ، وما أحلى ما قاله عمر بن أبي ربيعة في هذه الأبيات العفيفة :

نظرت إليها بالمحصَّب من منى ... ولي نظر لولا التحرُّج عازمُ
فقلت أصبح أم مصابيح بِيعة ... بدتْ لك تحت السَّجْف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفلٍ ... أبوها ، وإما عبدُ شمس وهاشم

ويأتي على رأس هؤلاء المجددين عمر بن أبي ربيعة ، الذي خصه الدكتور شكري بدراسة عميقة ، وخاصة رائيتَه المشهورة ، بلغت أكثر من ثلث الكتاب ..

ويكفيني أن أقول في هذا المؤلف الرائع إنه عمل إبداعي حقاً ، ما أظن أن أحداً من المؤلفين في الأدب سبقه إليه .. وليس من الضروري أن نتبنى وجهةَ نظر المؤلف دون نقاش .. في كل ما قاله عن الغزل .

ثالثاً ـ أبحاث أدبية أخرى

وهذه الأبحاث كثيرة تناول فيها عدداً من المواضيع ، التي تتصف بأنها تتدفق من ينبوع ثر .. أذكر بعضاً من عناوينها .

١ ـ شفيق جبري الشاعر والشعر

ويقول عنه « إنه كان مشدوداً إلى ثروة أدبية عربية ، وكان مزوداً بتراث كبير . وهو ينفي عن أدبه وجود الرومانتيكية التي نقلها بعض الأدباء من الغرب . وجبري ، العربي الفخور بعروبته ، يطرب ليوم الجلاء فيقول :

أتكذب العين والرايات خافقةٌ أم تكذب الأذن والدنيا أغاريد

٢ ـ البيان النبوي

وهو دراسة نشرتْها وزارةُ الشؤون الدينية الجزائرية بحث فيها أشكال البيان النبوي (الأحاديث الشفوية والرسائل المكتوبة والخطب المرتجلة) وأبرز القيم التي يتضمنها (دينية وأخلاقية واجتماعية وشعورية) ..

وقد قال في هذا البيان : « لقد تحقق له هذا المستوى الرفيع في الأداء ، وهذه الروعة في إخراج الكلام هذا المخرج أو ذاك ، وهذا الإعجاز المشتقُ من الإعجاز القرآني والمتصل به .. حتى أن الرسول أحسه من نفسه فسماه جوامع الكلم » .

٣ ـ مقالة في الأستاذ محمد كردعلي

٤ ـ مقالة في محمد جميل بيهم

٥ ـ مقالة في الدكتور ميشيل حنا الخوري

٦ ـ مقالة في الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

٧ ـ مقالة في الأستاذ المجمعي عز الدين التنوخي

٨ ـ مقالة في السيدة المرحومة عادلة بيهم الجزائري

وهذه سيدة فاضلة رائدة عملت بكل كرامة وثبات على نشر تعليم المرأة وتحريرها في اطار المُثل الروحية السامية .. وقد قال فيها الدكتور شكري ما يلي : « لا بد أن تأخذ المرأة العربية مكانها .. لا بد أن تخرج من

إسَارِ الجهل إلى ضياء العلم ، ومن ربقة التأخر إلى أفق التفتح . ولا بد أن تخرج من ذلك في كثير من الحذر ، حتى لا تضل الطريق ولا تنزلق بها المزالق .. » .

وهذا قول جدير بالتأييد ، فتحرير المرأة ضرورة دينية وقومية واجتماعية ، وهو يعني تمكينها من ممارسة حقوقها الإنسانية والقانونية .. ولا يعني أبداً الانحلال والفساد ..

٩ – مقال عن خير الدين الزركلي الشاعر الرقيق . فقد درس شعره وأشاد بموسيقيته وامتدح عاطفيته الجياشة .. وفيما يلي أبيات اختارها من ديوانه الدكتور شكري :

يَجْني وأشكُرُ في الهوى يَدَهُ وطنٌ شَقيتُ به لأُسْعِدَهُ
آليتُ ، لا باليتُ بي ألماً وبه دمٌ حتى أضمِّدَهُ
يومي له ، وغدي له هبةٌ وعساي أحْمَدُ في غدي غَدَه
كم ليلةٍ سامرتُ أنجمها مترقباً في الشرق فرقدَه
ويح السياسة في تقلبها يسلو الحليمُ بها تجلده

١٠ – مقالة عن الشاعر القروي ...

وللقروي مكانة خاصة في نفسي ، ليس هنا مكان الإشادة بها ...

١١ – دراسة مطولة عن كتاب « روح القدس في محاسبة النفس » لابن عربي .

١٢ – الصحافة الأدبية . وهي دراسة مفصلة عن مجلة المجمع العلمي العربي في عشر محاضرات ألقاها عام ١٩٥٩ على طلبة معهد الدراسات العالية في القاهرة .

١٣ – المصلحون ، وهي مقالة بعنوان « بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون » درس فيها دعوات الإصلاح التي نادى بها محمد عبده

ورشيد رضا وابن تيمية وساطع الحصري ، وفيها هجوم شديد على النُّعَرة الإقليمية ..

١٤ ـ ثلاثة أحاديث في الإذاعة عن كتاب الثعالبي .

وقد قال الدكتور شكري عن هذا الكتاب :

« إنه يتناول لوناً من ألوان التعبير الفني الذي يَعْتَمِدُ على عَقْدِ جملة من المشابِهات بين جملة من الأشياء ، لا يبدو أن بينها من الصلات ما يسمح بإقامة هذا التشابه . ولكن الشاعر بموهبته الفنية قادرٌ على أن يلتقط هذه المشابِهات ثم يعرضها على الناس » .

وفيما يلي مثل اختاره الثعالبي من شعر أبي تمام لتوضيح الفكرة :

ما اليومُ أولُ توديع ولا الثاني ... البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدَهرَ ساعَدَه ... فصار أملكَ من روحي بجُثماني
بالشام قومي وبغدادُ الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما فعلتْ ... حتى تجاوز بي أقصى خراسان
خَلَّفْتُ بالأفق الغربي لي سَكَناً ... قد كان عيشي به يحلو بحلوان

رابعاً ـ كتب قديمة حققها

هذه كتب قديمة ظفرت بولع الدكتور شكري وعنايته ، فعمل على إخراجها سليمةً من العيوب مبرأة من التصحيف والتحريف . وهذه الكتب هي :

١ ـ مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام .
٢ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للثعالبي (أربعة أجزاء) .
٣ ـ ديوان الشاعر الزاهد أبي العتاهية ، مع أخباره .
٤ ـ ثلاثة أجزاء من تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر .
٥ ـ الوافي للصفدي ، الجزء الخامس عشر .
٦ ـ ديوان النابغة الذبياني (صنعة ابن السكّيت) .

هذا بالإضافة إلى سلسلة من المقالات لم ترد في هذا السرد ، في مجلتي المجمع والمعرفة . وقد قدم لائحة بها الدكتور عدنان الخطيب في دراسته الممتازة بعنوان « شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً »[1] .

وأود أن أشير إشارة خاصة إلى عمل كبير قام به الدكتور شكري هو **جمعه أهم أعمال الدكتور طه حسين** في ثلاثة أجزاء كبيرة ، انتقاها وأشرف على طباعتها . والذي دفعه إلى هذا العمل وفاؤه لأستاذه ، وهو المعروف بالوفاء ، ورغبته في وضع كتاب نفيس تحت أيدي الأدباء العرب .

وهاكم ما قاله عن طه حسين في مقال نشره في مجلة المعرفة (عدد تشرين الثاني ١٩٧٤) :

« أَجَلُّ هو في عيني وفي نفسي من أن أتناول حياته ببحث ، أو أن أعرض لكتاب من كتبه بدراسة ، أو أن أتوقف عند جانب من جوانب أدبه بالتحليل ... فلم يكنْ عندي المؤلِّفَ ولا الباحث ولا الناقد ، ولم يكن عندي الأديبَ الذي لا يُجَارى ، وصاحبَ البيان الذي لا يُضاهى .. وإنما كان قبل ذلك الأستاذ .. ولا يحتمل وفائي لأساتذتي أن ألقاهم بغير النظرة الحييَّة . إني لأغضي حياءً منهم وتوقيراً لهم .. » .

خامساً – العروبي الإسلامي

أشعر بأن دراستي هذه تبقى ناقصةً ، إذا أنا اكتفيت بعرض أعمال الدكتور شكري دون أن أتحدث عن قناعاته الشخصية ، كما تظهر من كتاباته . وأبرز هذه القناعات ، العروبة والإسلام ، والربط بينهما ربطاً عضوياً لا انفصام له . فمن هذين الينبوعين الثَّرَّيْنِ ، تفجرت عدة دراساتٍ على جانب كبير من الغنى واستشراف آفاق المستقبل .

١ – **ففي موضوع العروبة** ، نلمس إيماناً راسخاً بوحدة العرب

(١) دار الفكر للطباعة ١٩٨٦ ، ص٤٨ و٤٩ و٧٢ و٧٣ .

لا يتزعزع ، كما نلمس عاطفة مقاتلة في حب اللغة العربية والدفاع عنها . ويعرف كل من كان على صلة به ما كان يعتمل في صدره من قناعة وحدوية بدت ظاهرة على سن قلمه منذ أمسك به يافعاً ، وظل على إيمانه الذي لم يساوره شكوك ، حتى أسلم الأمانة راضياً مرضياً إلى الأجيال الكثيرة من طلابه في شتى أرجاء الوطن العربي . وليس من عجبٍ في ذلك ، فقد كان أبناء جيله من الذين عاشوا تحت كابوس الانتداب والحماية الفرنسيين والبريطانيين يقاتلون لمستعمرين بكل وسيلة متاحة .. وكان أساتذتنا وقادة النضال الوطني يعلموننا أن مقارعة الأجنبي المحتل دينٌ وشرف وفريضة ..

ولم يكن معقولاً أن يبقى الدكتور شكري خارج الحلبة . فقد عمل مع أعضاء عصبة العمل القومي ، وكانوا من خيرة شباب الوطن .. وكتب في جريدتها معرضاً نفسه لغضب الانتدابيين .. وحين أعلنت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أصبح عضواً في الاتحاد القومي .. ثم اختير عضواً في مجلس الشعب الموحد . وحين وقع الانفصال في ليلة مشؤومة تداعى عدد من القوميين الوحدويين وشكلنا الجبهة العربية المتحدة من أجل إعادة ربط ما انفصم من الرابطة القومية .. وكان للجبهة قيادتان ، علنية وسرية .. وكان المرحوم أحدَ أعضاءِ القيادة السرية . وقد قاتل بالسيفين في سبيل إعادة دولة الوحدة ، ولكن كان للأحداث منطق آخر . ثم جمعتني به غِيَرُ الأحداث التالية خمسة شهور في المعتقل ، فألفيت فيه المؤمن الصابر على قضاء الله .

وكان رحمه الله يربط ربطاً قوياً بين قوميته وعقيدته ، ففي قناعته أن جميع الحروب والمآسي التي نزلت بهذه المنطقة ، بدأ بالحروب الصليبية ومروراً بالانتدابات الأجنبية وانتهاء بقيام إسرائيل ، إنما كان بسبب إسلامها أولاً واستمساكها بأهدابه .. وكان راسخ القناعة بأن هذه المآسي كانت قادرة على محق العروبة ومفاهيمها ، غير أنها إذا ظلت صامدة ولم تتمكن

الرياح العاتية من بعثرتها شذر مذر ، فإنما مرد ذلك إلى رسوخ الإسلام في النفوس ..

اقرؤوا له هذا المقطع من خطابه في حفل استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي : « في سنوات الوحدة الثلاث ، وهي أحلى السنوات في تاريخ الوطن وأحفلها بتجاربه وأقواها أثراً في مستقبله ومستقبل العروبة ، كانت في آذاننا أصوات من كل فج وفي نفوسنا تطلعات في كل أفق وفي قلوبنا آمال هي أغنى الآمال ... كنا نشعر أننا نصوغ من جديد حياة العرب بعيداً عن إقليمياتهم وعن تخلفهم ، وكنا نحس أننا نصل ما كان انقطع من هذا التاريخ ، وأننا بدأنا رحلة الوحدة بعد رحلة الإستقلال ...

ولكن التجربة ، وارحمتاه للوطن المتعثر ، آلت إلى غير مصيرها الطبيعي الذي كان يجب أن يحكمها وانفرط العقد وفي العين دموع .. » .

وهذا المقطع من مقال له في مجلة المعرفة عن « الرومانتيكية العربية » (عدد كانون الثاني ١٩٧٤) :

« ولكن لماذا تظل الحركة العربية سلسلةً من المفاجآت يشتد تواترها ثم يضعف ، فإذا هي في مكانها ..؟ لماذا تتخذ هذا الطابع الرومانتيكي ثم لا تجاوزه إلى ما وراءَه من طابع عقلاني ..؟ » .

حتى وحدة ١٩٥٨ ، هذا الأمل الذي أعاد العرب من جديد إلى ساحة التاريخ ، وقهر للمرة الأولى – بعد صلاح الدين – تفرقهم ، حتى هذه الوحدة لم تعدم بعد ستة أشهر من كان يشرب الشاي في القاهرة ويقسم على قطعها .. هل كان تاريخ هذه المنطقة إلا هذه الحركة المتكاملة بين مصر والشام ؟ » ..

وأسأل : هل الذي بدأنا نسمعه من فترة قصيرة على ألسنة القادة في هذه المنطقة غير هذا الذي قاله الدكتور شكري ؟..

وهل يلومه لائم ، حين يرفض تعبير « التضامن العربي » لأنه في نظره هرطقة وهل يقول قائل عن نظرته « بأن أي رفاه اقتصادي أو تقدم اجتماعي مستقل عن المجموعة العربية إنما هو رفاه مكذوب وتقدم خادع » بأنه ليس على صواب ؟..

ولن يجد المرء شغفاً صوفياً بحب اللغة العربية كشغف الدكتور شكري بها . وكان له نشاط ضخم في موضوع التعريب ، أي إعادة اللغة العربية إلى أهلها ، خاصة في البلاد المغاربية التي أفسدها فيها الاستعمار ، والجزائر أقبح صورة لما جنى فيها الاستعمار الفرنسي خلال قرن وثلث .. حيث حارب العروبة واللغة والإسلام حرباً لا هوادة فيها ..

ومن كتابات المرحوم في هذا الصدد ما يلي[١] :

« إن القَدْرَ الذي يحتاج إليه الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوع المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة العربية ». **وهو يعرِّف اللغة العربية تعريفاً شاعرياً** ينم عن احساس عميق بعظمة هذه اللغة ودورها الحضاري ، في كتابه « المجتمعات الإسلامية »[٢] فيقول : « اللغة ليست إلا نسيجاً من أفكار وأَنْظار ، تزينه وتُحَلِّيه عواطف ومشاعر . ووراء الغلاف اللفظي لكل كلمة ، تستقر حقيقةٌ من الحقائق التي يؤمِنُ بها الشعب أو شحنةٌ من الانفعالات التي يخضع لها ..

والعقائد الكبرى والأساطيرُ والمُثُل ، إنما تتبلور جميعاً في ألفاظ اللغة وكلماتها ..

فلغتُنا ليستْ هذه الألفاظَ الجامدةَ التي تَتَضَامُّ فيها الحروف ، ولكنها

(١) في بحثه « الدراسات الإسلامية اللازمة لمدرسي اللغة العربية » الرياض ١٠-٣-١٩٧٧ .

(٢) ص٢٢٦ .

هذه الأصوات العميقة التي تتركز فيها عواطفُنا وأفكارنا وتصوراتُنا البعيدة . ولكل صوتٍ منها شمولٌ عريض ومدى واسع ونفاذٌ خاص ، وفي أصدائه وحناياه تعيش المخلفاتُ الفكرية والعاطفية لكل القرون التي تقدمت قبلنا » .

وعنده أن عبء التعريب يجب أن تقوم به المجامع الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد .

وتتلخص نظرته إلى واقع اللغة العربية في بحثه الذي قدمه إلى الندوة التي أقامها اتحاد مجامع اللغة العربية في عَمّان في شهر كانون الأول ١٩٧٨ كما يلي :

١ – يجب أن تكون اللغة العربية واحدة على امتداد الوطن العربي .

٢ – وأنها قضيةٌ تمتد على تاريخ الوطن العربي في ماضيه وحاضره ومستقبله .

٣ – وعليها أن تتحدى اللغات الأجنبية ، لصد أخطارها من جهة ، ثم للتفاعل معها لمواكبتها في طريق التقدم ..

٤ – وهي وسيلة الجمع بين أبناء العروبة الذين عصفت بهم أيدي التمزق .

ولكنه لا يتردد في الدعوة إلى فتح النوافذ على لغتنا ، من أجل إدخال التجديد فيها . والتجديد يجب أن يقوم على ثلاثة أسس هي :

١ – طواعية اللغة ، وأفهم من هذا القول ، تخليصها من كل تعقيد يجعلها عسيرة المأخذ والاشتقاق .. أي مراجعة قواعد النحو والصرف بصورة خاصة .

٢ – يسر الأسلوب وتبسيطه .

٣ – الخلاص من الزخرف بصورة نهائية .

ولا أريد أن أمر مرور الكرام بالمبدأ الثالث ، وهو « **تفاعل العربية مع اللغات الأخرى** » ، لأن هذا المبدأ الأساسي يفرض علينا تقوية اللغة في مدارسنا الثانوية وفي جامعاتنا .. لا لكي ينجح الطالب في امتحان اللغة

الأجنبية ، وإنما لكي تصبح لغة مراجعة ودراسة جديتين ، يُعَوَّضُ بها عن نقص المؤلفات العربية في جميع نواحي المعرفة ، من فلسفة وقانون وطب وعلوم وتكنولوجيا .. فليس سراً أن المكتبة العربية ، على امتداد الوطن العربي ، تشكو في هذه المراجع نقصاً لا يغتفر .. والمراجعة في اللغة الأصيلة تفوق قراءة الكتب المترجمة .. خاصة إذا كانت الترجمات سقيمة ..

٢ ـ **وفي موضوع الإسلام** ، أشير إلى أن الدكتور شكري مؤمن ممارس للشعائر الدينية . وكل الذين يعرفونه يعرفون أن باطنه في هذا كظاهره الطيب .. وهو كذلك من **دعاة التراث بصورة عامة** . ولقد وقفت عند هذه المسألة لأشير إلى أن المرحوم يريد من هذا التراث أن ينسجم مع مقتضيات التطور العلمي والاجتماعي . ففي بحثه الذي قدمه إلى ندوة مجامع اللغة العربية المنعقدة في عمّان عام ١٩٧٨ يقول مايلي :

« إذا كانت الحروب الصليبية وحروبٌ أخرى بعدها لم تُعْطِ الغربَ الأوربي ما كان يطمح إليه من تفوق ، فإن **الركودَ الإسلامي** أعطى هذا الغرب أثمنَ فرصة حين ساعد بضعفه على أن يجد المسلمون أنفسَهم في موقف التخلف . وقد حارب الاستعمار اللغة العربية لكي يضعف العقيدة الدينية .. » .

ومن شدة حرصه على سلامة العقيدة والتراث ، كان ينظر بحذر شديد إلى غالبية المستشرقين ، وخاصة الأوائل منهم . فقد كان يجد دراساتهم بعيدةً عن الموضوعيةِ في البحث ، وعن الطهارة في الهدف[1] ، لأن أبحاث الاستشراق تصب ، في نظره ، في دوائر وزارات الخارجية أو المستعمرات أو التبشير ...

وتقتضيني الأمانة العلمية ألا أذهب معه إلى نهاية تفكيره ..

فقناعتي أن هؤلاء المستشرقين الجواسيس هم القلة .. أما هؤلاء الذين

(١) مقاله « على هامش مؤتمر المستشرقين » الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ .

أحبوا الحضـــارة العربيـة وسـاعدوا في نشر كنوزها ، وألفوا عنها المؤلفات العميقـة والرائدة ، وعلّمونا طرق البحث في تاريخنا وآدابنا ، فإنهم الكثرة الكاثرة .. ولقد عرفت من بينهم ، رحمهم الله ، من كانوا أساتذة لي ، وكانوا يعلنون عن ضرورة احتلال الحضارة العربية مكانها المرموق .. حتى أن منهم من شارك العرب في مظاهراتهم التي طالبوا فيها باستقلال الجزائر وفي قلب بـاريس ... ولن أذكر من أعمــالهـم الرائعـة إلا L' Encyclopédie de L' Islam ومؤلفــات بروكلمـــان وبلاشـــير و Gibb وغوستـاف لوبون وغولدزيهر .. وليس من حقنا أن نرميهم جميعاً بسوء القصد ، إذا توصلوا في أبحاثهم إلى نتائج لا نستطيبها ... والمرحوم لم يعمم القول فيهم جميعاً ، لأنه استثنى من سماهم « الأنقياء » الذين قال عنهم :

« وعلى هذا الطريق تلقى الذين يموتون وهم يقلبون صفحات الكتب بحثاً عن حقيقة ، والذين يبحثون عن أشباه الحقائق يميتون بها الشعوب » .

وحين عالج موضـوع ما يسميـه « **الصحوة الإســلامية بين الواقع والطموح** » في بحث له تحت هذا العنوان ، قال :

« إن أبرز ما تَعْنيهِ الصحوةُ اللَّحاقَ بالركب الإنساني . إنها تتمثل في إنســانٍ نائم خَلَّفتـه القافلة وراءها ، ثم صحا فوجد نفسَـه في مثل حالة الضياع ... فمضى يسعى وراء الركب . وإني أرد هذه الصحوة إلى أنها مظهر من مظاهر التململ وأن لها أثراً تخديرياً » .

ويسوق عدة أمثلة على عدم صحة هذه الصحوة المزعومة .. الثورة الأفغانية والتقاطع بين أقطار الإسلام والدماء التي تسيل أنهاراً على حدود الديار الإسلامية ، والأُميَّة التي تصل إلى نسبة ثلاثة أرباع المسلمين ... ويتساءل « كيف نتحدث عن صحوة إسلامية إذا كنا لم نستطع أن نحقق الحد الأدنى الحضاري »؟

ويطالب بعد ذلك بقوة « **بالتحول إلى صحوة إسلامية فاعلة** » يجب أن تَعْنِي في نظره « تَعَمُّقَ الأساس التنظيري الذي جاءنا من عند الله .. تعمق فهمه وتعمقَ فقهه دون أي خروج عن نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة أو ما التقى عليه إجماع المسلمين ..» .

وهذا في نظري هو العمل المثمر للتوفيق بين التراث ووجوب فهمه بنصه وبروحه ، في ظل مقتضيات العصر .. حتى يصح لنا أن نقول بحق : إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .. غير أنه يضع شرطاً جديراً بالتأييد ، هو الآتي :

« إن الحركة الإسلامية لا تتطلع إلى سلطة أو تحكُّمٍ ولا تسابق أصحاب السلطة والحكم عليهما . وعلينا أن نستخدم ما يسمونه الديمقراطية بأصح معانيها ، لأن الصحوة تريد أن يتاح للشعوب في حكومات الإسلام أن تحقق وجودها .. » .

وقد أوضح رأيه في موضوع ممارسة الديمقراطية في مقال له عن « حركات الاصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي »[1] قال فيه :

« وليس للشورى شكل واحد ثابت لا يقبل التغيير ، ولكنَّ لها مفهوماً ثابتاً لا يقبل جوهرهُ التغيير . والقرآن الذي أقر المبدأ لم يتناول **من قريب أو بعيد الشكل** . وقد حاول جمال الدين الأفغاني نشر مبدأ الشورى فحورب بشراسة . **أما العلمُ** فليس شرطاً من شروط النهضة بل هو النهضة بذاتها » .

وقد حَلَّقَ عالياً حين كتب في مقاله « نحو حضارة عربية جديدة »[2] مايلي :

« حين ننظر إلى أقطارنا العربية ... تُرَوِّعُنا مسافةُ هذا الخُلْف بيننا وبين الحضارةِ المعاصرة . وأقسى ما يروعنا أننا لا نصنع الحضارة ، وإنما نحن

(١) من كتاب وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية .

(٢) نشره في مجلة المعرفة ، شباط ١٩٧٥ .

نستهلك الحضارة التي يصنعها الآخرون .. لذلك يجب علينا أن نحقق هدفين متكاملين : اللحاقَ بالركب الحضاري والإسهامَ في قيادة هذا الركب ... وقد كان لنا ماضٍ حضاريٌّ متميز .. فلماذا يظل الوطنُ العربي خارج دائرة الإسهام الحضاري ؟ » .

ويضرب مثلاً على تقدم الشعوب التي كانت نائمةً فاستيقظتْ : اليابانَ « التي استطاعت أن تُحطم أسطورةَ التخلف الشرقي ، وتزرع في ملايين الملايين من الشرقيين خُضْرةَ الأمل » حسب تعبيره .

ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين ؟ في رأي الدكتور شكري المسؤول عن تخلفنا هي « هذه القوى غير المجهولة .. قوى أعداء الإنسانية الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات ... أولئك أكلة لحوم البشر الذين يختلسون ثروات هذه الشعوب ويُجْهضون ثوراتها .. » .

ونحن أليست لنا مسؤوليةٌ مباشرةٌ وضخمة في تخلفنا ؟ يقيناً لو أن الله مَدَّ في عمره فعاش أحداث ١٩٩٠ و١٩٩١ المبكية على الساحة العربية ، لكان أدخل تعديلاً جذرياً في تفكيره القومي وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا ...

وما هو سبيلُ سلامة العرب ومنطلقُ تقدمهم ؟ جوابه هو أنَّ دخول العرب التاريخ الحضاري يجب أن يبدأ **بتحريك الوحدة العربية** : « لأن الذين تلهيهم أو تقنعهم في الوطن العربي الممزق بعضُ المنجزات التي استطاعوا أن يحققوها ، فإن عليهم أن يَحْسِبوا قبل أن يفرحوا بما أنجزوا ، المدى الذي لا يزال يَفْصِلُ بينهم وبين الحضارة الموصَدَةِ مِنْ دونهم ..

وإذن فطريق الوحدة وحده بالنسبة إلى العرب هو الذي يمكن أن يكون إنْهاءً لمرحلة القِرْبَةِ المقطوعة . ذلك أن الذي نعملُهُ لا يعدو كثيراً أن يكون وهمَ محاولةٍ لملء قِرْبَة مقطوعة ...» .

ومن عجب أننا نشهد اليوم ميلاد عملاقٍ ضخم في أوربا ، التي

تناست دولُها أحقادها القديمة والدماءَ التي سفحت بغزارة في ساحات الحروب قروناً طويلة واندمجتْ في مجموعةٍ اقتصادية كبرى ، وهي تعمل جاهدة على الذوبان في كيانٍ سياسي مُدْهش .. ومع ذلك فنحن ننظر كالمبهوت الذي لا يتعظ ولا يستوعب ...

وكل ما قاله الدكتور شكري في أسباب التخلف العربي بشيء من التعميم ، يتساوق خير تساوق مع الصرخات المدوية التي ارتفعت في عصرنا تطالب بتجديد الفكر العربي .. والفكر الإسلامي أيضاً ..

« فالشيخ محمد عبده قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في بحوثه ولم يَجْرِ على ما جَمَدَ عليه غيره من أفكار المتقدمين »[1] .

بل إن مفكراً إسلامياً من طلابنا في جامعة دمشق ، هو الدكتور فاروق النبهان يذهب أبعد من ذلك فيقول :

« ظهر في العصر الحديث لونٌ جديد من التفسير يختلف عن المدارس السابقة التي عرفناها . ويهتم هذا التفسير بالجوانب الأدبية والاجتماعية التي يشتمل عليها النص القرآني .. وقد لاقت هذه المدرسة قبولاً طيباً لدى الناس »[2] .

ويضرب الأستاذ مصطفى الزرقا مثلاً ملموساً عن تطور التفسير الفقهي في أيامنا هو نص المادة ٢٢ من قانون الأحوال الشخصية . فقد قرر واضعو هذه المادة أن طلاق السكران والمدهوش والمكره لا يقع ، وكذلك لا يقع الطلاق ثلاثاً إذا تم بلفظ واحد ، كما أجازوا تفويض المرأة بتطليق نفسها . ويقول إن هذا التجديد جاء خلافاً لرأي الأئمة الأربعة أخذاً من فقه

(١) انظر الشيخ محمد حسين الذهبي ، المفسرون والتفسير ج٣ ص٢٢٠ .
(٢) في كتابه نظام الحكم في الإسلام ص٣٤٠

الإمامين ابن حزم وابن تيمية رضي الله عنهما .

ومنذ العشرينات من هذا القرن أدرك فقيه كبير هو الأستاذ شاكر الحنبلي[١] مدى أهمية تحديد معنى الربا في الشريعة الإسلامية ، فقرر في دراسة مُدْعَمةٍ بالحجج بأن الودائع المصرفية لا تدخل في مفهوم الربا المحرَّم ..

وهو مذهب أيده الدكتور معروف الدواليبي في دراسته التي قدَّمها عام ١٩٥٢ إلى مؤتمر إسلامي عقد في باريس . وجاءت فتوى المفتي العام للجمهورية المصرية الشيخ سيد طنطاوي منذ وقت قريب تفتح الباب أمام تحرير الرأس المال الوطني وتمكين المصارف المحلية من القيام بأعباء التنمية ودعم الصناعات وتأسيس شركات كبرى تقوى على المزاحمة في مصطرع دولي لا يرحم ، في زمنٍ أصبحت فيه الشركاتُ عابرةُ القارات أُخْطَبوطاً هائلاً تهدد برأسمالها الفلكي كلَّ الاقتصادات الصغيرة .

ومن أسفٍ أن دار الإفتاء في مصر لم تتحرك إلا بعد أن فَقَدَ مئاتُ آلافٍ من صغار المدَّخرين أقوات أُسَرهم بسبب تلاعبِ مجموعاتٍ من الذين لا يخافون الله ، تحت ستارٍ شرعي مزعوم .

ولا يجوز أن يكون ذلك خاتمة المطاف ، بل بدايةً صحيحة للشوط الذي يدمجنا في العصر ، ويجعلنا نساهم في إنشاء الحضارة لا أن نستهلكها ونَنْعَم بفتاتِ موائدِ المتقدمين ، كما ذكر المرحوم شكري ..

ومن المهام التي تقع على عاتق المجتهدين ، ولستُ منهم ، مسألةُ رفع العوائق التي تقف في سبيل نوال المرأة حقوقها ، تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ . وهو مذهب نادى به المرحوم أيضاً .. ومن

---

(١) الأستاذ البارز في معهد حقوق دمشق (كلية الحقوق الحالية) .

الأمثلة على هذه العوائق منعُ شهادة المرأة في الحدود والقصاص ، ومسألةُ تحديد ديتها بنصف دية الرجل .. وهي حلولٌ رسخت من قِدَمٍ ، دون أن يكون لها سندٌ في الشريعة السمحاء ... وبصورة عامة فتح باب الاجتهاد واسعاً لإعادة النظر في تفسير التراث تفسيراً منفتحاً على العصر ، ليكون قادراً على مواكبة التطور والخلاص من الجمود الذي تردى فيه ...

أيها السيدات والسادة :

إني أعرف أنني لم أُوَفِّ سلفي الكبير حقه ، لا من حيث تعدادُ ما دبجته يراعته من كتب وأبحاث مشرقة ، ولا من حيث تحليلُ مضامينها وتأثيرها في الأدب والاجتماع وتطوير الفكر العربي والفقه الإسلامي . وقد قدمت لكم غيضاً من فيض وباقةً من بستان ..

ولن أجد خاتمة لهذا الخطاب خيراً من قول شاعر قديم :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح   فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

والسلام عليكم ورحمة الله .

حفل استقبال

الزميل الأستاذ جورج صدقني

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته السابعة المنعقدة في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م (الدورة المجمعية ١٩٩٠ – ١٩٩١م) الأستاذ جورج صدقني عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٦) تاريخ ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ صدقني في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كردعلي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الآخر ١٤١٢هـ / ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١م حضرها ثلة من رجال الفكر والعلم والثقافة .

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بكلمة رحب فيها بالسادة الحاضرين ، وشكر لهم شهودهم هذا الاحتفال الذي أقامه المجمع ، وهنأ الأستاذ صدقني بثقة زملائه المجمعيين به واختيارهم له زميلاً كريماً يعزز مسيرتهم في تحقيق غايات المجمع المباركة .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي هنأ فيها زميله المجمعي ونوه فيها بمزاياه الخلقية والعلمية وذكر طرفاً من سيرته .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

أهلاً بكم في رحاب مجمع الخالدين ، وشكراً لكم أن تشهدوا معنا هذا الاحتفال نقيمه احتفاءً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ جورج صدقني .

لقد تمَّ انتخاب الأستاذ صدقني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع في دورته المجمعية ١٩٩٠–١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٦ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[1] .

وإننا لنهنئ الأستاذ صدقني ثقة زملائه المجمعيين به ، واختيارهم له زميلاً كريماً ، يعزّز مسيرتهم ، ويشدُّ من عضدهم ، يمضون معاً في تحقيق غايات المجمع ، لتظلَّ العربية المبينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة ، تجاري اللغات العالمية ، تغنيها وتغتني بها .

لقد ولد الأستاذ صدقني ونشأ في الثلاثينات ، تلك السنوات التي شهدت نضال شعبنا العربي لانتزاع حريته واستقلاله من مستعمريه الذين ظنوا جهلاً أنه قد استتبَّ لهم كل شيء بعد أن قضوا على الثورة السورية الكبرى التي شبّ أوارها في العقد الثالث من القرن ، وقدّم فيها شعبنا العظيم آلاف الشهداء ، وعانى من فظائع المستعمر أشدَّ ما عاناه شعب . ولكن

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧١ (تموز/١٩٩١م) .

جذوة النضال لم تخمد ، وهبَّ الشعب من جديد بعد أن أعدَّ واستعدّ ، وفوجئ المستعمر بمعركة أخرى من معارك شعبنا قد استعر لهيبها في كل مكان . كان الكفاح في سورية قد بلغ أشده ، وكانت الثورة في بطاح فسطين تدافع عن الأرض والوجود ، وتتالت المعارك متتابعةً لا تتوقف حتى عام ١٩٤٥م .

وكان صدقني ابن بيئته الشعبية ، يصغي إلى أحاديث جمهرة الشعب ، وينفعل بعواطفها المتأججة حباً للحرية ، وشوقاً إلى النضال ، وحنقاً على المستعمر الغاشم . فامتلأت نفسه وتروّى بما رأى وسمع ، ونشأ هذه النشأة الوطنية ، وصار من أكبر همومه ، على صغر سنه ، التفكير في مصير الوطن ، وطرق انتزاع الحرية .

لقد كان صدقني في الرابعة عشرة من عمره حين حدثت مجزرة البرلمان ، وعدوانُ فرنسة الغاشم في التاسع والعشرين من أيار ١٩٤٥م ، الذي أرادت به أن تجدّد عدوانها الذي ارتكبته في الجزائر الشقيقة في الثامن من أيار ١٩٤٥م ، فقضت على الألوف من المواطنين الجزائريين الآمنين الوادعين .

وشاء الله أن تكون يد الحق هي العليا ، وانتزع شعبنا حريته واستقلاله وكان الجلاء العظيم في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦م ، ففُتحت الأبوابُ مشرعة لتعاظم حركة النضال العربي ، وأحرزت البلاد العربية استقلالها واحدة إثر واحدة ، وتُوّج ذلك كلُّه بالنصر العظيم باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م .

وبدأت سورية بعد إشراقة فجر الاستقلال حياتها الجديدة الحرة ، وأخذت الأجيال العربية الجديدة ترسم صورة المستقبل العربي وتخطّ طريقه ، وتطلعت إلى الحركات العربية التي تستجيب لمطامحها وآمالها . وهنا نجد الإجابة الصادقة في تطلع الأستاذ صدقني إلى الالتحاق بحركة البعث العربي

في تشرين الأول ١٩٤٦م . وكان آنذاك طالباً في المرحلة الثانوية باللاذقية ، لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

إنه نموذج الجيل العربي الجديد الذي نشأ في أيام الاستعمار فشارك في التظاهرات والاضرابات ، فلما أشرقت شمس الحرية انضم إلى المؤسسات التي تلبي مطالبه وتطلعاته .

ولقد رأى الأستاذ صدقني في حركة البعث العربي ما يُرضي طموحه وتشوّفه : فقد رفعت : وحدة النضال العربي لتحقيق الوحدة العربية ، وشعار الحرية ، والدعوة لاقامة العدل الاجتماعي والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان .

وشارك الأستاذ صدقني في نشاط الحزب ، وقاسم رفاقه تبعاتهم ومسؤولياتهم الحزبية . وانغمس في ميادين السياسة ، والفكر السياسي . وتولّى وزارة الإعلام في السادس والعشرين من أيلول ١٩٧٣م ، فبذل ما بذل ليرتفع بمستوى الإعلام إلى مستوى بطولات المقاتلين وتضحيات الشهداء في حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣م) .

ولا يزال الأستاذ صدقني يتابع نشاطه الفكري السياسي ، وقد نضا العام الخامس والأربعين من حياته الحزبية .

أيها الحفل الكريم

لقد قلت ما قلت ، وعيني وقلبي يتطلعان إلى ما يحدث اليوم في مدريد . لقد ناضلت الأمة العربية النضال الطويل لتسترد حريتها ووحدتها وعزتها منذ أن صدّت غزوة نابليون عن ديارها عام ١٧٩٨م حتى اليوم . وعانت الأمة العربية ما عانت طوال مئتي عام ، وقدمت من التضحيات ما لم تقدمه أمة قط . وقد وقف لها الاستعمار بالمرصاد يعوق تقدمها ، ويعرقل مسيرتها ، ويفتنّ في أساليبه الماكرة ليحول دون وحدتها وازدهارها .

ولقد كانت الصهيونية أخطر ما تفتقت عنه أساليب المستعمرين فزرعوها في قلب الأرض المقدسة فلسطين ، ليحولوا دون وحدة الأمة العربية .

وهانحن نشهد اليوم انعقاد مؤتمر مدريد ، فهل نتوقع أن يكون مبدأ الفجر الذي نتطلع إليه ؟ أرجو وآمل والله الموفق والمستعان .

أعود فأرحّب الترحيب كله بالزميل العزيز ، يشارك زملاءه المجمعيين في أعمالهم وهمومهم وتطلعاتهم ، تظللنا جميعاً راية العربية المبينة التي نجد فيها أمننا وسلامتنا ووحدتنا .

لقد أحب الأستاذ صدقني العربية حباً جماً ملك عليه نفسه ، فعني بها أتم العناية ، وتوخّى في كتابته السهولة والفصاحة ، ووفر لعبارته أناقة اللفظ وجمال الأسلوب . وتميزت صياغته بالوضوح والبيان . وأحب الأستاذ صدقني أن يشارك المشاركة الجادة في نهضة قومه الفكرية ، ورأى أن خير ما يقوم به أن ينهج نهج الأسلاف العرب في نهضتهم الأولى حين نقلوا إلى العربية تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم ، فأكب على اختيار المصادر الينابيع ينقلها إلى العربية وشارك في نقل تراث الإنسانية ليكون في متناول أبناء العربية .

ليس من همي أن أتحدث عن سيرة الأستاذ صدقني ، أو أعرض لآثاره وإنما هي كلمة قصيرة أقدمه بها .

ويسعدني أن يتقدم الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم عضو المجمع فيلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم ، ويتحدث عن سيرته العلمية ، وآثاره ، ليتلوه الأستاذ جورج صدقني فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد رحمه الله ، وما كان له من جليل الشأن في عالم الفكر ودنيا الناس .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

في حفل استقبال الأستاذ جورج صدقني

أيها الحفل الكريم .

لقد أسعدني حقاً أن كلفني مجمع اللغة العربية الموقر استقبال العضو العامل الجديد الأستاذ جورج صدقني . والأستاذ صدقني صديق قديم عرفته منذ زمن بعيد قريب معاً ، منذ ثلاثة وأربعين عاماً عندما عينت مدرساً للفلسفة في اللاذقية . وإن فاتني أن ألقاه وهو على مقاعد الدراسة ، لكونه أنهى المرحلة الثانوية قبيل مباشرتي العمل ، فقد كنت ألقاه بين الحين والآخر في مدينته الجميلة . وإني أذكر جيداً أن نظرته إلى التفكير الفلسفي كانت ، منذ ذلك الحين ، عميقة الاتصال بهموم الحياة القومية وبالتطلع الدائم إلى نهضة أمتنا العربية .

وعندما عُينت في جامعة دمشق توقعتُ أن أراه منتسباً إلى قسم الفلسفة ، بعد أن لمست شغفه الشديد بمتابعة هذا الأسلوب من التأمل والعمل . ولكني علمت أن ظروفاً مادية صعبة دفعته إلى الالتحاق بالتعليم الابتدائي مدة عامين . ثم ما لبث أن نجح في مسابقة حكومية أوفد بعدها لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق . وعند ذلك أحس بأنه وجد طريقه المفضل .

لن أتحدث عن مرحلة دراسته الجامعية . ويكفيني أن أشهد بأنه كان متفوقاً لامعاً يمثل الأمل العريض لمستقبل الأجيال العربية .

للأستاذ صدقني اهتمامات متنوعة ابدأ بالإشارة إلى كتب وبحوث نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وأول ما ترجم كتابٌ لكارل يسبرز بعنوان مدخل إلى الفلسفة . والكتاب مؤلف من مجموعة من الدراسات عرض فيها يسبرز خصائص الفلسفة الوجودية بمعناها الإنساني والمنفتح على ارتباط الفرد بالعلو ،أي بما يتجاوزه ويضعه وجهاً لوجه أمام مسؤوليات التحرر وتحقق الذات تجاه المصير . ويمتاز الكتاب بالوضوح والسهولة كما تمتاز الترجمة العربية بالدقة وجمال التعبير .

والكتاب الثاني لفرانسوا شاتليه عن فلسفة هيغل . وهو كتاب يشهد له الباحثون بعمق الدراسة وبطابعها الشامل . ولا شك أن اطلاع القارئ العربي على مذهب هذا المفكر العالمي يضعه أمام منبع أساسي من منابع الفكر المعاصر في صوره المختلفة .

وكتاب ثالث ممتاز ترجمه الأستاذ صدقني هو كتاب لجان هيبوليت بعنوان « دراسات في ماركس وهيغل » . ولا شك أن المؤلف هيبوليت قد كان راعياً للدراسات الهيغلية والماركسية الكثيرة في ميدان الفكر الفرنسي .

الكتاب الرابع كان لروبينيه عن الفيلسوف جان جوريس . وكلنا يعرف أن جوريس قد ربط ربطاً وثيقاً بين الفلسفة النظرية وبين الاشتراكية النابعة من النزوع الديموقراطي ومن النظرة الأخلاقية .

والكتاب الواسع والغني فعلاً هو لجان جاك شوڤاليه عن أمهات الكتب،السياسية وفيه عرض واضح ودقيق لأفكار مكيافلي ولوك ومونتسكيو وفيشته وتوكفيل وماركس وموراس وسوريل ولينين . وهو كتاب استعين به في التدريس بالمعهد العالي للعلوم السياسية .

أما البحوث التي نقلها الأستاذ صدقني فأهمها لبول ريكور الفيلسوف الفرنسي المعاصر والتي تدور حول فكرة المفارقة السياسية وفكرة العلاقة بين القول والعمل .

وأحب أن أشير هنا إلى مسألة فيها طرافة ودقةُ ملاحظة تتصل بمفهوم الأمة في اللغات الأجنبية وفي اللغة العربية . فقد كتب الأستاذ صدقني يقول : « لقد رأى المترجمون أن كلمة Nation تقابلها كلمة (أمة) في اللغة العربية . هذا صحيح ، أو ليس خطأ على الأقل . ولكن الخطأ حصل عندما ظن المترجمون أن كلمة Nation تعني (أمة) دائماً ، وفي كل الأحوال ، وأنها لا تعني شيئاً آخر ، في حين أن المطلعين على خفايا اللغة الفرنسية يعرفون أنها ، في كثير من الأحيان ، تعني (الأمة – الدولة) ... أو الأمة التي أصبحت دولة . وعلى سبيل المثال : ان اسم منظمة الأمم المتحدة باللغات الأجنبية يدل على أنها مؤلفة من Nations فترجم اسم المنظمة إلى العربية على مألوف العادة ، فقيل إنها منظمة مؤلفة من أمم ». ولا يخفى على أحد... أن عضوية المنظمة لا تُمنح للأمم بل للدول . إن لغتنا العربية تفصل مفهوم الأمة عن مفهوم الدولة فصلاً تاماً ... ذلك أن الأمة العربية مجزأة إلى دول متعددة .

ومن الأمور المتصلة بهذه المسألة أن الأجانب ترجموا كلمة « العروبة » ترجمات مختلفة أدت إلى حدوث نوع من الالتباس . فمنهم من ترجمها بكلمة Pan – Arabisme . وأرجح الظن أنهم ترجموها على هذا النحو مدفوعين بنيتهم السيئة في الاساءة إلى معنى العروبة ، لأننا لو أعدنا ترجمة هذه الكلمة مرة أخرى إلى العربية ، لما وجدنا لها مقابلاً أفضل من « النزعة التوسعية العربية » . ومنهم من ترجمها بكلمة Arabisme لكي يخلّصها من صفة النزعة التوسعية . ولكن هذه الترجمة مع ذلك ظلت تواجه مشكلة حقيقية : فهي – فضلاً عن أنها لا تؤدي من معاني العروبة إلا المعنى الحركي – توحي للقارئ الأجنبي بأنها نزعة توسعية أيضاً ، لأنها تذكر بالنزعة الجرمانية Germanisme . والتي عانت الشعوب الأوربية منها الأمرّين . وفي الآونة الأخيرة بدأت بعض الأوساط تستخدم كلمة

Arabité للدلالة على معنى « العروبة » ... وفي رأينا أن هذه الكلمة أفضل من غيرها ... لأنها تخلصها في نظر الأجانب من سمة التوسع والعدوان المزعومة ... ولكن هذه الترجمة تعاني من نقص أساسي هو عجزها عن التعبير عما تحمله العروبة في طياتها من معنى حركي . باعتبارها حركة نضالية تحررية . ثم ينتهي إلى القول : « إن العروبة لا تعبر عنها تعبيراً مطابقاً إلا كلمة العروبة » ، ولذلك فإني على مثل اليقين بأنه سوف يأتي يوم تنقل فيه هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية بلفظها كما هو لكي تعبر عن نفسها بنفسها » .

لقد أردت في ما أوجزته من أقوال الأستاذ صدقني أن أقدم أمثلة تدل على تدقيقه المتصل في ما ينقله إلى العربية ، وتدل في الوقت نفسه على نزوعه الدائم إلى إيضاح كل ما يتصل بمعنى العروبة .

الميدان الرئيسي الثاني الذي اهتم به الأستاذ صدقني هو ميدان الدراسات القومية . ففي سلسلة من البحوث ، نُشرت في مجلة المعرفة السورية كتابات عن قضية الوحدة العربية بين أنصارها وبين أعدائها . وأحب أن أشير إلى عبارة تكشف عن الطابع الشخصي لأفكاره ، ويقول فيها : « إنني أعلم علم اليقين أن ما قررته يخالف الفكر السياسي الوحدوي الشائع في نقطة أو في أكثر من نقطة . ولذلك لن استغرب إذا اصطدم بأفكار شائعة بلغت مرتبة القناعات المفروغ منها » . ومن أقواله إن المناضلين في سبيل الوحدة العربية لا يضعون شروطاً أمامها تتحول إلى عوائق .. إنهم يناضلون **لخلق** الشروط الملائمة .

فالموقف الوحدوي موقف ثوري ، وهو **فعل** إيجابي يخلق الظروف المناسبة لغاياته . وأكتفي هنا بإيراد عبارات موحية وذات دلالة ، منها أن الفكر لا يكون تقدمياً إن لم يكن وحدوياً ، وأن شيئاً من اللبس والغموض قد انتشر بتأثير ما يطرحه المثقفون الذين ينطلقون من مواقع لا قومية .

ويوجز الأستاذ صدقني حديثه عن أعداء الوحدة العربية في الخارج والداخل بقوله : « إن أعداء الوحدة كثيرون : الاستعمار والامبريالية والصهيونية العالمية والطبقات المستغِلة وأنظمة الحكم التي أفرزتها للمحافظة على مصالحها الرجعية والإقليمية والطائفية والعشائرية والعائلية والشعوبية الجديدة » .. ولكن هذا كلّه لا يدعو إلى اليأس . فهذه القوى المعادية كلها ليست من قوى المستقبل . إنها – دون استثناء – قوى سائرةٌ إلى الاندحار والزوال . ويبقى للوحدة العربية ، رغم كثرة أعدائها ، قوة أقوى من هذه الاعداء مجتمعين ، تبقى لها الجماهير الشعبية الواسعة العريضة .

أنتقل الآن إلى بحوث مبتكرة حاول فيها الأستاذ صدقني أن يقدم على مغامرة روحية كبيرة تتعلق بالعقلية العربية التي يمكن أن تستنبط من بنية اللغة العربية ومن عالم الأمثال العربية . ويؤسفني أني لن أستطيع ، في هذه الكلمة ، الإلمام بهذا الموضوع الجديد في تفرعاته ونتائجه . وسأكتفي بإيراد موجز أرجو أن يعطي فكرة سريعة عن جهود الأستاذ صدقني في هذا الميدان .

يرى الأستاذ صدقني أن الآراء المطروحة في مقالاته تدخل في مجال فلسفة اللغة . وهي تمثل محاولة لقراءة بعض الكلمات العربية قراءة جديدة ، تعتمد على العلاقات والروابط القائمة بينها . فهي جهد تحليلي استقرائي يهدف إلى استخلاص معاني الكلمات التي قد تكون غائبة عن الأفهام لطول العهد باستخدامها ... يقول الأستاذ صدقني : « اللغة العربية هي العقلية العربية ، وهي تصور العرب وفهمهم للوجود . فالمرأة ، مثلاً ، مؤنث المرء ؛ والمرء والمروءة من أسرة واحدة . فالمرء يكون كذلك في العقلية العربية إذا كان من أهل المروءة ، أي شهماً ذا نخوة . وكون المرأة مؤنث المرء يعني أن العقلية العربية تتصور المرأة إنسانةً ذات مروءة ، تسارع إلى نجدة الملهوف .. وكلمة « انسان » تنتمي مع الكلمات أِنس وأُنس وأنيس وغير

ذلك إلى أسرة واحدة . وهذا يعني أن الإنسان قد سمي إنساناً لأنه يأنس بغيره أو يؤنس غيره . أما العقل فيشير إلى الربط والترتيب . ويستخلص الأستاذ صدقني من تحليل مثل هذه الكلمات ، في اللغات المختلفة ، إلى أن العقلية اللاتينية أقرب إلى الفلسفة الواقعية . ذلك أن تصورها للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي مؤلف من علاقات وأن لدى الإنسان استعداداً لسبر أغوار هذه العلاقات ... وحسابها حساباً كمياً دقيقاً . وهذا التصور كان في أساس ما حققه العلم الحديث من تقدم ونجاح .. أما تحليل الكلمات العربية فيؤدي بنا إلى القول بأن العقلية العربية الأصلية (القديمة) أقرب إلى الفلسفة المثالية . ذلك أن هذا التحليل يوحي بأن تصورها للوجود قائم على أساس أن العالم الخارجي يبقى مفكك الأوصال ، تسوده الفوضى ، لولا تدخل الإنسان ، الذي يقوم بفعل « العقل » فيصبح العالم مرتباً مترابطاً منظماً .

ولو انتقلنا إلى كلمة واقع ، بالفرنسية Réalité ، لوجدنا أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية Res ومعناها الشيء ، واستطراداً ما هو موجود بالفعل . فهي بذلك حيادية لا تتضمن أي حكم من أحكام القيمة .

فالموجود بالفعل لا هو صاعد ولا هو هابط . أما الكلمة العربية « واقع » فهي تتضمن حكم قيمة وتعبر عن نظرة « سلبية » إلى الوجود الواقعي ... وهذا يعني أن الاختلاف بين النظرة العربية والنظرة اللاتينية إلى الواقع يكاد يبلغ حد التناقض .

والعقلية العربية لا تقيم هوة بين الواقع وبين المثل الأعلى ، بل هما في نظرها متواصلان . الواقع مقصر عن المثل الأعلى ، ولكنه صبوة دائمة إلى بلوغه . ثم إن المثالية في اللسان العربي ليست مثالية بالمعنى المعروف في تاريخ الفلسفة الغربية ، بل هي مثالية من نوع خاص تقيم تواصلاً بين المثال

والواقع ، فترى في الواقع قصوراً عن بلوغ المثال يجب تلافيه ، وهو أمر ممكن .

وعندما ينتقل الأستاذ صبدقني إلى تحليل الأمثال العربية القديمة يورد عدداً كبيراً منها ، ويقرر أن الأمثال العربية تنفرد ، دون غيرها ، بأن لكل مثل قصة . ولهذا الأمر دلالة هامة ومغزى عميق . فهو يعني أن المثل الأعلى في الفكر العربي القديم ليس فكرة مجردة خالية من الحياة بل هو من صميم الحياة نفسها .

كل ذلك يعني أن الإنسان قادر على بلوغ المثل الأعلى في الواقع . ثم إن الفعل الماضي في المثل العربي يدل على أن واقعاً معيناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى . فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة ، وليس دعوة إلى الحكمة . إنه انبهار أمام بهاء الواقع المتسامي ، وقصته تهز النفس من الأعماق ، وتستنهض الهمم ، وتبشر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال .

أيها الحفل الكريم :

لقد حاولت في كلمة الاستقبال هذه ، على الرغم من الصداقة التي تربطني بالأستاذ صدقني ، ومن الاهتمام المشترك بمسائل الفلسفة التأملية ، ومن الإيمان غير المشروط بأهداف الأمة العربية ، أقول لقد حاولت أن أتخذ موقف الحياد الموضوعي قدر الإمكان وألا أغفل عن أمور تبقى موضع جدل ونقاش .

لقد اجتهد الأستاذ صدقني وأخلص في اجتهاده ، وتحمس لقضايا أمته أجمل حماسة ، فأهلاً به في مجمع اللغة العربية طالباً للعلم الصادق ، وباحثاً عن أهداف عزيزة غالية ومفكّراً يملؤه النشاط الحي كما يملؤه الشباب (الشباب النسبي طبعاً) ومتطوعاً لخدمة اللغة العربية بكل ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . حتى تتحد هذه اللغة مع الفكر العربي ذاته .

وإني لأذكر دائماً أنه كتب مرة يقول : « إني لأشهد بأن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض . ولا عَجَبَ في هذا ، فهو لغة السماء أيضاً » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الأستاذ جورج صدقني

في حفل استقباله

أيها السيدات والسادة

إن لساني لعاجز عن التعبير عن مدى اعتزازي بالثقة التي أولاني إياها أعضاء المجمع الكرام بانتخابي زميلاً لهم ، فشكراً لهم من صميم القلب ، وعهداً أن أبذل وسع طاقتي في خدمة لساننا العربي المبين ، ما حييت . وإني لأعرب في الوقت نفسه عن أعمق مشاعر الامتنان والعرفان للأستاذ الدكتور شاكر الفحام لترحيبه بي بهذه الكلمات الجميلة الطيبة ، النابعة من نفسه الكريمة وخلقه النبيل ، وكذلك لأستاذنا الدكتور بديع الكسم لما غمرني به من صفات هي بعض البعض من طيب سجاياه وكريم شمائله .

أيها السيدات والسادة

لو أن الأقدار أسعدتني بمعرفة الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، رحمه الله ، لسقت إليكم حديثي اليوم عنه بعنوان « كامل عياد كما عرفته » . لكن الأقدار لم تسعدني فأنا لم ألتق هذا المعلم العربي الكبير في حياتي البتة . ولو جريت على مألوف العادة لسردت على مسامعكم سيرة حياته ، لكني أستأذنكم ألا أفعل ، وأترك لمن يشاء أن يبحث عنها في مظانّها ، وليس هذا بعسير . والواقع أنه لم يبق لي ما أقوله عن سيرة عياد بعد الكلمة العاطفية الحارة التي استقبله بها ، في هذه القاعة نفسها في أرجح الظن ، صديقه وصفيّه الأستاذ الدكتور جميل صليبا في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٨ ، والتي فصل فيها سيرة حياته منذ ولادته في ليبيا عام ١٩٠١ ،

حتى انتخابه عضواً في المجمع ، وكذلك الكلمةِ البليغة التي كتبها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمد حرب فرزات بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ، ناهيك عن الكلمة الجامعة ، التي ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في حفل تأبين فقيد المجمع في ١٤ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وجلا فيها فضائل الفقيد وشيمه وعرض سيرة حياته كلِّها فلم يترك زيادة لمستزيد . إنني لا أحب لنفسي ، ولا أحب لكم ، أن أردد على مسامعكم وأعيد ، لهذا أستأذنكم في أن أقصر حديثي على الجانب الفكري والثقافي من شخصية كامل عياد .

ولكن كيف لوقت هذه الأمسية المحدود أن يتسع لجلاء جوانب شخصيته الموسوعية كلها ؟ أأحدثكم عنه فيلسوفاً ، أم مؤرخاً ، أم عالم تربية ، أم صحافياً ، أم كاتباً يترجم القصص والمسرحيات وينقلها من الألمانية ، أم منشئ أجيال ؟ لقد جمع في إهابه هذه الشخصيات كلَّها على نحو متكامل لا تناقض فيه . إنه لضرب من ضروب المحال أن أحيط الآن بكل جانب من جوانب شخصيته الفكرية ، ويبدو لي أنه لا بد لي من معاناة حيرة الاختيار . ولما كانت هذه الجوانب كلها وجوهاً متعددة لشخصية واحدة ، فإنني أوثر التركيز على « فلسفة التاريخ » عنده ، لأنها كانت من اهتماماته كلها بمثابة البؤرة ، أو المحور . والحق أن العشق الحقيقي ، الذي أخذ بمجامع نفسه كلها ، لم يكن الفلسفة وحدها ، ولا التاريخ بمفرده ، وإنما « فلسفة التاريخ » ، لأنها تجمع الفلسفة التي موضوعها الحقائق الكلية ، إلى التاريخ ، الذي موضوعه الحوادث الجزئية ، فكأني بكامل عياد كان يرمي دائماً إلى الارتقاء من حوادث التاريخ الجزئية إلى حقائق الوجود الكلية .

لقد سمعت كثيرين يقولون إن الدكتور عياد كان ماركسياً . وهذا أمر ليس لي أن أنفيَه أو أثبته . لقد وجدت بالفعل نكهة ماركسية خفيفة في

بعض مقالاته ، لكنها لا تجعلني أصنفه في عداد الماركسيين . لقد كان الدكتور عياد معتدلاً بعيداً عن التعصب ، خلافاً للماركسيين . وهذا يحملني على القول إنه لو كان الماركسيون يتحلون بمثل اعتدال الدكتور عياد وبعده عن التعصب ، لما صاروا إلى المصير الذي تعرفون . والحق أن الدكتور عياد كان « خلدونياً » – إذا جازت النسبة على هذا النحو – جعل من ابن خلدون قدوة ومثالاً ، وكان الأثيرَ على قلبه ، فاصطفاه دون سواه من المفكرين والفلاسفة العرب ، كابن رشد والغزالي والكندي وابن سينا ، موضوعاً لرسالته ، التي وضعها باللغة الألمانية ، ونال بها درجة الدكتوراة من جامعة برلين . وأصدر بالاشتراك مع الدكتور جميل صليبا كتاباً يضم نصوصاً مختارة لابن خلدون . وجعل من ابن خلدون محطة يستوقف القارئ عندها في معظم كتاباته المتصلة بالتاريخ ، مثال ذلك أنه أفرد في أمليته الجامعية « تاريخ التربية » فصلاً ضافياً عن التربية عند ابن خلدون . صفوة القول إن عياد كان خلدونياً في الأساس ، وإذا كان قد وجد في الفكر الماركسي جوانب حازت على إعجابه ، مثلَ فكرة القوانين في التاريخ والحتمية التاريخية ، فمرد ذلك – في تقديري – أنه وجد فيها تطويراً وإغناء لفكر ابن خلدون الأصيل .

أيها السيدات والسادة

للدكتور عياد مقالات عديدة في فلسفة التاريخ ومعناه ، على أن واحدة منها عنوانها « عبر التاريخ » ، نشرت عام ١٩٧٦ ، تعد أنموذجاً لأسلوب عياد ، الذي يتصف بعبقرية البساطة ، وتفصح عن خلاصة فكره في فلسفة التاريخ خير إفصاح . وإليكم زبدة القول فيها :

يستهل عياد مقالته بقوله : « من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها ، يختلط فيها الصدق بالكذب ، ويعتريها التشويه والتحريف

والتزوير ... » . ثم ينقـل عن ابن الأثير قوله : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظن بنفســه التبحر في العـلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنهـا ويلغيهـا ، ظنـاً منـه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . ويستعيد عياد رد ابن الأثير على هؤلاء ، وتعداده فوائد علم التـاريخ ، إلى أن يختم الرد بقوله : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد » . وبعد أن يشير عياد إلى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوي ، من علمـاء القرن الخامس عشـر الميلادي ، يقول : « وما زال بعض الباحثين يدعون أن التـاريخ ليس علماً بالمرة ، لأنه لا يكشف عن حقائق وقوانين عامة .. بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية .. وتساهل آخرون فقالوا : إنه لا يمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائقُ بحثه فقط ... ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي ، في هذا العصر الذي ... أخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟» .

ويروي عياد أن هنري فورد ، صاحبَ مصانع السيارات المشهورة ، دعي عـام ١٩٢٧ لزيـارة بعض الأمـاكن الأثرية ، فاعتذر ، وصرح بأن التاريخ كلّه هُراء وسخف . ثم يقول عياد إن هذا التصريح « يدل على تفكير صبيــاني ، سـطحي من رجـل أمريكي ، ليس لبــلاده في المـاضي تاريخ يذكر » . ثم يضيف في ما يشبه الشماتة : « لم يكن المستر فورد يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية ، التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر فورد ، ويلقنَه درساً ، فلم تمـضِ سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ .. » .

ويشير عياد إلى هجوم (نيتشه) على التاريخ وادعائه أن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ، ويهزأ به ضمناً عندما يقول : « كان نيتشه يغبط الحيوانات لأنها تعيش في الحاضر فقط ، فهي سعيدة ..

لأنها لا تتذكر الماضي ، ولا تفكر في المستقبل » . وينتهي عياد إلى القول : « إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ ، ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه » .

ويعلن عياد « أن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر » ، ويسهب بعد ذلك في شرح دور الذاكرة في تكوين شخصية المرء ، ويبين أهميتها في مراحل العمر المختلفة ، ويركز اهتمامه على ما تتصف به الذاكرة من انتقاء في ما تجمع وتختزن ، فيقول : « إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان ... وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه ... لا نفعَ في استقصاء كل الأمور ... لا بد من عملية اصطفاء لابراز الحوادث الخطيرة ... وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ... لا بد لنا من نسيانها والتخلص منها ، إذا أردنا السير في طريق التقدم ...» . ثم يقول : « إن الشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل ، وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف ... عن النمو ... والابداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده ، أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه . ثم عندما تهرم ... تبدأ في دراسة تاريخها ، وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ... » فيتكون (الوعي التاريخي) التام والواضح ، الذي يجعلنا نعرف من نحن ، وإلى أي مرحلة من التطور وصلنا ، وفي أي طريق نسير ... هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي ... يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ، ولا يهمنا الماضي الميْت » لكن عياد يرد على هؤلاء ويقول إن « الحاضر ليس سوى امتداد للماضي ، ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة ، وأن نعالجها معالجة صحيحة ناجعة ، وأن نرسم الطريق إلى المستقبل ، إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة .. التي أدت إلى خلق تلك المشاكل (التي) لها جذورها وأصولها في

التراث » . ويفصـل عياد في هذا الباب تفصيلاً حتى يقول : « إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن ... وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً ، أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة ، فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب » .

أما فائدة التاريخ على صعيد حياتنا العملية فيتناولها عياد مشـيراً إلى اعتقاد « الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التـاريخ يســترشــدون بها في أعمــالهم » . ويعرض آراء هيرودوت وتوكيديديس وديودورس الصقلي في هذا البـاب ، ويسهب في عرض آراء المؤرخ اليوناني بوليبيوس ، الذي كشف الغطاء عن الأسس المتينة ، التي قامت عليها عظمة روما ، وعلل الاستقرار الذي عرفه نظام الحكم فيها ، وبيّن أن معرفة الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية ، ونصح المؤرخين بأن يركزوا اهتمامهـم على كشف الأسبـاب ، ومعرفة النتـائج ، لا على سرد الوقائع ورواية الأخبار .

ثم انتقـل عياد إلى المؤرخين العرب ، فاقتطف من كتاب (تجارب الأمم) لمسكويه قوله : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها » إلى أن يقول مسكويه : « ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجاربُ له ، وكأنه عاش الزمان كله » .

وينقل عياد من كتاب (الآدابُ السلطانية) هذه الحكاية : « طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيـل ذلك ، وعَرضِــه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصّلوا على بعض كتب التاريخ ، وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من ... معرفة التحيـل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال

لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت حصّلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ، ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ، ويبين له خراب البلاد من عمارتها » .

ثم وقف عياد وقفة غير قصيرة عند « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون ، « الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً ... يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور » . وأوضح أن « ابن خلدون كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام ، واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر». وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين ، وتعليل ذلك ، ويحذّر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا . وذكّر عياد بنظرية ابن خلدون التي تقول بحتمية التطور التاريخي ، وتذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة ، تتكرر بانتظام ، وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها ، وتدعي أن هناك قوانين تاريخية،مثلَ القوانين الطبيعية ، لا تتغير لذلك لا مجال في التاريخ للمصادفات أو المعجزات . وأشار أيضاً إلى أن ابن خلدون بيّن أن الحوادث التاريخية تخضع لقانون السببية . وهنا يكمن السر في إمكان الاستفادة عملياً من عبر التاريخ ، لأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤديَ إلى النتائج ذاتها .

ولكن لما أطل القرن التاسع عشر ، أخذ الاعتقاد بالاستفادة من عبر التاريخ يتزعزع . وأيد عياد هذا التحول مستشهداً بما كتبه هيغل في ذلك الوقت ، إذ قال : « الشيء الوحيد ، الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن في التاريخ أمثلة كثيرة عن العاقبة الوخيمة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ، غير أن هذا لم يردع الطغاة المستبدين ، وظلوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . ونابليون أخطأ خطأً فاحشاً بهجومه على روسيا وزحفه على موسكو ، ولكن

هتلر لم يتعلم من هذا الخطأ ، بل سرعان ما وقع فيه . وبعد أن يورد عياد أمثلة كثيرة وطريفة من هذا القبيل ، استقاها من الحربين العالميتين،يقول معلقاً على كلمة هيغل « إنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ، ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر ، إما لجهلهم ، أو طيشهم ، أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد » . وينبه عياد إلى أنه « للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة دقيقة للحوادث ، وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة » . ويضرب أمثلة عديدة على ذلك من حرب القرم وحرب سنة ١٨٧٠ وثورة البلاشفة والثورة الفرنسية .

وبعد كلمة هيغل « ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه ، وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ، ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة ، وأنه لا يتكرر أبداً .. على الصورة نفسها وبجميع التفصيلات و...أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية ، وحجتهم في ذلك .. أن المصادفات لها دور كبير في حياة البشر ... وأن حوادث التاريخ تنبعث من إرادة الأفراد الحرة ، فهم الذين يصنعون تاريخهم ، وزعماء الشعوب يتبعون أهواءهم الذاتية ، فكيف يمكن أن نستخلص الدروس والعبر من التاريخ ؟

وينبري عياد لمناقشة هذه الاعتراضات والرد عليها بالتفصيل فيؤكد أن القول بحرية الارادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة لا ينفي أن الأعمال البشرية تخضع لقوانين منتظمة . ويستند في رده هذا على اجتهادات علماء الكلام المسلمين وعلى الفيلسوف الألماني (كنط) ، وينتهي إلى القول مع هيغل « إن الشخصية التاريخية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في

المجتمع ، والذي هو محصول الأحداث التاريخية ، وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها » .

وعن دور المصادفة في التاريخ يورد عبارة باسكال الساخرة : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . يقصد أن أنطونيوس ما كان ليقع في غرامها وينهزم في معركة (آكسيوم) . كما ينقل عن تشرشل أن قرداً صغيراً عض اسكندر ملك اليونان ، فتسمم الجرح ومات الملك في خريف سنة ١٩٢٠ . ويضيف تشرشل قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ، ذلك أن اليونانيين أعادوا الملك قسطنطين إلى الحكم فاستأنف الحرب ضد الأتراك ، وسقط فيها هذا العدد من القتلى . ثم يفسر عياد المصادفة بأنها نقطة التقاء سلسلتين من الأسباب الحتمية ، ولهذا فالمصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية ، ولا يمكننا أن نستنتج قاعدة عامة من التقاء أنطونيوس وكليوباترا فحواها أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات . ثم يعترف عياد بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، لكنه يؤكد أن في تاريخ الشعوب أوضاعاً متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة ، ويضرب مثلاً على ذلك أن الأزمات التي سبقت الثورة الإنكليزية سنة ١٦٤٠ والثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ والثورة البلشفية سنة ١٩١٧ كانت أزمات متشابهة .

وينبهنا عياد إلى أننا نخطئ كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . إن الفرد يستفيد من التجارب التي مرت به . والتاريخ إنما هو ذاكرة البشرية التي تحوي خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وتجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة . نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم ، كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير . إن مقدرات الأمم مرتبطة

بإدراكها للعوامل التاريخية ، التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة ، وبمعرفتها للرواسب ، التي انتقلت إليها من الماضي ... يجب ، في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا ، فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلمَ إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الارادة عوضاً عن أن يدفعنا إلى النهوض ..

ويورد عياد أمثلة من التاريخ كثيرة ومملوءة عبراً ، أقتطف منها هذا المثال : في سنة ١٨٠٤ استدعى ملك بروسيا السياسي الألماني فون شتاين لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون ، فلم يقبل إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي ، رغم أنه كان من النبلاء الاقطاعيين المحافظين ، ومن المعارضين لمبادئ الثورة الفرنسية . قال فون شتاين للملك : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين ، الذين يؤلفون أكثرية الشعب ، إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم ، إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً ؟ » .

وفي النهاية يصل عياد إلى زبدة الزبدة فيقول :

« وأخيراً هانحن في الوطن العربي ، عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين ، تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي ، الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر ، وبين الحالة في الوقت الحاضر ، فإننا نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة ، وحافزاً لنا ، ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين ، إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ، ومزاياه النادرة ، والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة

للخطط السياسية البعيدة ، التي رسمها ، والأساليب العملية ، التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور ، وتسهيل وسائل العيش للشعب ، بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ، ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبيين إلا لِما اتصف به من بعد النظر ، والمهارة السياسية ، والثقة بالنفس ، والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه ، والصبر على الشدائد ، والعمل المتواصل دون كلال أو ملل. فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان ، باتفاق اراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرةً لمن يتفكرون ؟» .

أيها السيدات والسادة

هذا نزر يسير من عطايا الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد لأمته العربية ، وما أعظم ما أعطى ، وما أقل ما أخذ ، وما أفدح ما فقدناه برحيله . رحم الله هذا المعلم العربي الكبير رحمة واسعة بقدْر ما أوسع في البذل وأجزل في العطاء .

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام .

أما ذكرُ طُفَيْلٍ الغَنَوي للموضع فهو من قبيل السير على عادة الشعراء حين يصفون الظّعائن المنتقلة من مكان إلى مكان ، دون أن يكون هناك ارتباط بين الموضع وبين صلة الشاعر به ، إذ إنّ قبيلة غَنِيّ التي منها الشاعر تقع منازلها في عالية نجد فيما بين جبال النِّير وحمى ضرية ، مع أنَّ طُفَيْلاً ذكر مواضع بقرب يَنْبَم في شعره مثل (القَهْر) .

تصحيف الاسم :

صواب اسم الموضع (يَنْبُمُ) ، وقد تُقْلَبُ النون مِيماً لوقوع الباء بعدها ، وهذا أمر مطّرد ، ليس خاصاً بهذا الاسم فيقال (يَمْبَمُ) كما سيأتي في نصوص المتقدمين .

وقد وقع الاسم مُحَرَّفاً ومُصَحَّفاً في كثير من كتب الأدب .

فقد جاء في كتاب « الأغاني »[٨] :

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ أَوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أَوْ مِنْ يَلَمْلَما

حُرِّفَ إلى (يلملم) ثم زِيدَ هذا التحريف في الحاشية : ويقال فيه (أَلَمْلَمُ) و(يَرَمْرَمُ) . فلم يكتف المحقق الفاضل بما وقع من تحريف في الاسم ، بل أضاف خطأً آخر هو قوله : بأنَّ يلملم يسمى (ألملم) و(يرمرم) ، وفرق بين يرمرم ويلملم . فيلملم : موضع تهامي ساحليٌّ هو ميقات حُجَّاجِ تِهَامَةَ ، ويَرَمْرَمُ جبل نَجديٌّ خارج سلسلة جبال الحجاز بقرب مَعْدِنِ بني سُلَيْم ، قال عنه الْهَجَرِيُّ[٩] : « قال السُّلَميُّون : يَرَمْرَمُ عَلَمٌ من الأعلام ، أَسْوَدُ ، أقربُ المنازل إليه مَعْدِنُ بني سُلَيْمٍ عن يمين الذاهب إلى مكة من العراق » ، ولا يزال هذا الجبل معروفاً ، ولكن العامة تسميه (رَمرَم) كعادتهم في حذف الياء من أول كثير من الأسماء مثل (ينوف): (نوف) و(ياقوت) (قوت) و(يجودة) (جودة) و(يعقوب) (عقوب) وهكذا .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم :

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، لتشاركونا في الاحتفال باستقبال الأخ الكريم والزميل العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا .

لقد انتخب الأستاذ العوا عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في الجلسة السابعة من جلسات المجمع ، في دورته المجمعية ١٩٩٠-١٩٩١م (التي عقدت في ١٤١١/٥/٧هـ = ١٩٩٠/١١/٢٤م) ، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٠٤ (في ١٤١١/١١/١٤هـ = ١٩٩١/٥/٢٧م) بتعيينه[1] .

فهنيئاً للأستاذ العوا ثقةُ زملائه المجمعيين به ، واختيارُهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى صفوفهم ، ويؤيد مسعاهم ، قد أعدّ عدته ليقدم لمجمع الخالدين صفوة تجربته ، وخلاصة خبرته .

والأستاذ العوا ، هو ما هو علماً ومعرفة ، قد فطر على القراءة والمطالعة والبحث ، ووقف نفسه على التعلم والتعليم .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٦ ، ج٣ ، ص٥٧٠ (تموز/١٩٩١م) .

بدأ يدرّس ويحاضر منذ عام ١٩٤٥م ، وها هي ذي ستة وأربعون عاماً قد مرت ، وهو دائب في عمله ، متفان في تحقيق هدفه ، يعطي دون توقف ، قد تخرّج به مئات ومئات من الطلاب ، بعد أن ملؤوا عيابهم من المعرفة ، واكتسبوا ما أهّلهم لحياة البحث ومتابعة العلم .

ولئن كان مركز نشاطه العلمي في جامعة دمشق ، إنه قد مدَّ من حدود نشاطه فدرّس وحاضر في الجامعة الأردنية ، والجامعة اللبنانية ، وجامعة الجزائر ، وجامعة هلسنكي ، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك . وكان له المشاركات الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية ، وقام بقسط وافٍ في المناصب العلمية الإدارية بجامعة دمشق ، فترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، وكان وكيلاً لكلية الآداب وعميداً لها سنوات عدة .

كان الكتاب صديق الأستاذ العوا وجليسه طوال حياته ، فهو مشغوف بالمطالعة ، لا يفتر عن القراءة والتقييد ، وقد واتته موهبة التعبير الجميل ، والأسلوب السلس ، فاستجاب لها ، وسلك في كتابته طريقي التأليف والترجمة ، وقدّم لدنيا الثقافة والكتب مجموعتين من نفائس مؤلفاته وترجماته أغنى بهما المكتبة العربية ، وهيأ للناشئة العربية الجنى الطيب تتزود منه بخير زاد ، ويفتح لها النوافذ لتطل على آفاق الفكر الواسعة .

صدر أول تآليف الأستاذ العوا (الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا) سنة ١٩٤٨م ، وتابع الأستاذ طريقه بهمة وعزيمة لا يعرفان الكلال ، ليصدر كتابه الثالث والعشرون (مذاهب السعادة) سنة ١٩٩١م .

وقدّم أول كتبه المترجمة (المدنية : سرابها ويقينها) سنة ١٩٥٧م ، ليصدر كتابه المترجم التاسع والثلاثون (الحرية) سنة ١٩٩٠ .

إنه النتاج الطيب الوفير ، قد آتى أكله أضعافاً مضاعفة . لقد أعطى الأستاذ العوا فأكثر وأطاب ، ولم يُمْسك ، وإنه ليحق له أن يزهى بما قدّم ، وإننا لنعتزُّ بالزميل العزيز رفيقاً يؤازر ويسعف ، لتظل الفصحى اللسان المبين في كل المؤسسات والبيئات العلمية في الوطن العربي .

لقد أسعدني الحظ بصداقة الأستاذ العوا ، وقُدّر لنا أن نعمل معاً فقد كان الأستاذ العوا عميداً لكلية الآداب ، وكنا نلتقي أسبوعياً في مجلس الجامعة طوال ثلاث سنوات (١٩٦٨–١٩٧١) ، فعرفنا فيه سماحة الخلق ، وحصافة الرأي ، وثقوب النظر ، وحسن التأتي لحل المشكلات .

أعود فأرحب بالزميل العزيز رفيق دربنا في خدمة اللسان العربي المبين . وأدعو الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع ليتفضل بالقاء كلمة المجمع في استقبال الأستاذ العوا ، ويعرضَ سيرته العلمية ، ثم يُعقبَه الأستاذ العوا فيلقي كلمته التي يتحدث فيها عن اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية .

خطاب الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور عادل العوا

السيد العماد مصطفى طلاس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع
سيادة وزير الأوقاف والسيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس مجمع اللغة العربية
السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية سيداتي سادتي .

حينما كُلفت من قِبل مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق الكلامَ عن السيرة العلمية للأخ الزميل والصديق العزيز الأستاذ الدكتور عادل العوا ، احتفالاً باستقباله عضواً عاملاً في المجمع المذكور ، عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٨ حينما أقام الأستاذ المرحوم جودت الهاشمي ، مدير الثانوية الأولى بدمشق ، حفلاً تكريمياً للطلاب المتفوقين في نهاية الامتحان ، وكان الدكتور العوا الأول في شعبة الفلسفة من الصف الثاني عشر في النظام القديم .

وفي ذلك العام أعلنت وزارة المعارف في سورية عن مسابقة لإيفاد عددٍ من حملةِ الشهادة الثانوية إلى فرنسة ، للتخصص في فروع العلم المختلفة . وقد تقدم الدكتور العوا إلى امتحان تلك المسابقة للتخصص في الفلسفة ، فنجح فيه بتفوق ثم سافر إثر ذلك إلى فرنسة ، وانتسب إلى جامعة السوربون في باريس لتحضير شهادتي الليسانس والدكتوراه . وقد شاءت الأقدار أن يحظى بالتلمذة على أيدي مجموعةٍ من خيرةِ أساتذة

الفلسفة في ذلك الحين ، كما كان المُشرِف على تحضير رسالة الدكتوراه ورئيسُ لجنة الحكم العلامةُ والمستشرقُ الشهير لويس ماسينيون .

أما موضوعُ تلك الأطروحةِ التي قدمّها عام ١٩٤٥ فكان (الفكرُ الانتقادي في رسائل أخوان الصفا) . لقد طُبعت هذه الرسائل ونُشرت عدةَ مرات ، في الهند والقاهرة وبيروت ، ولكن دون تحقيقٍ علمي صحيح أو دراسةٍ منهجية . لذلك انتخب الأستاذ العوا نسخةَ القاهرة ، المصحّحة والمنشورةَ من قبل المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي عام ١٩٢٩ . وقام بدراستها دراسة تحليلةً ونقدية باللغة الفرنسية ، وخلُصَ منها إلى النتائج الرئيسة الآتية :

لقد كان القصدُ من كتابة هذه الرسائل ونشرِها الدعوةَ في مختلف الأوساط الاجتماعية والقومية والثقافية والدينية ، للانضمام إلى حركة أخوان الصفا ، يبلغ عددُ هذه الرسائل اثنتين وخمسين رسالة . وهي أشبهُ بمحاضرَ جلسات لهذه الجماعة ، يبثونها في الناس لشرحِ أفكارهم بأسلوبٍ علمي وفلسفي أصيل .

كانت حركةُ أخوان الصفا في أولِ أمرها متميزةً بتجاوزِ الانحياز إلى أي مذهب أو دين . وكان هدفُها التقاءُ الناس كافةً على مذهبٍ إنساني يجمعُ ما سبقَه وعاصرَه من مذاهبَ وحركاتٍ دينية وفلسفية . كما امتازت حركتُهم بنزعةٍ اشتراكية بالإضافة إلى النزعةِ الإنسانيةِ المثالية .

لقد قاموا بتصنيف الناس في أربعِ زمر ، فمنهم من رُزق العلم والمال ومنهم من حُرم منهما . ومنهم من رُزق العلمَ دون المال أو رُزق المالَ دون العلم . ولكي ينعَم جميعُ هؤلاء الناس بالسعادة والخير يجبُ عليهم أن يتعاونوا في السرّاء والضراء ، وأن ينشروا العدل في صفوفهم ثم في مجتمعهم .

لقد أطلق أخوانُ الصفا على أنفسهم اسمَ أهل العدل وأبناءِ الحمدِ . وفي

تسميتهم أنفسهم بأهل العدل إشارةٌ جليةٌ إلى إجلالهم الاسم الذي هو أحبُّ الأسماءِ إلى المعتزلة .

إن الدراسةَ الموضوعية لرسائل أخوان الصفا ، والتحليلَ النقدي لنصوصها يُبيّن خصائصَ تفكيرهم ، مما يُبيح لنا تحديدَ هويتهم الثقافية واعتبارهم معتزلةً متأخرين .

تابع الأستاذ العوا بعد تخرجه ، دراسته للفكر العربي الإسلامي ، وعُني بنشر نصوصٍ إسماعيلية في كتاب عنوانه « منتخباتٌ اسماعيلية تُنشر لأول مرّة » ، مع مقدمة وافية تشير إلى الحركة الإسماعيلية وتطورها .

ثم توسع بعد ذلك في بحث جانبين أساسين من الفكر الإسلامي وهما « علم الكلام والفلسفة » فنشر كتاباً بهذا العنوان عام ١٩٦٤ ، تحدث فيه عن مختلف الفرق الكلامية ، والمسائل الرئيسية التي عالجها أصحاب الكلام .

وفي مضمار الفلسفة العربية سبق الأستاذ العوا مؤرخي الفلسفة إلى تمييز تيارين في الفلسفة العربية المشرقية ، دعا أحدَهما التيارَ الانتقادي ، وبحث فيه عن آراء ابن المقفعِ والنظّام والجاحظ والمعرّي وأخوان الصفا . أما الفريقُ الثاني فهم الفلاسفةُ المسلمون الذي اهتموا بالتوفيق بين الشرع والفلسفة ، وكان منهم الكندي والفارابي وابن سينا . لقد امتاز الفريقُ الأول بنظرته الإنسانية الشاملة ، بينما اقتصر اهتمامُ الفريق الثاني على الإنسان المتديّن المسلم .

وفي عام ١٩٨٧ نشر الاستاذُ العوا كتاباً بعنوان (المعتزلةُ والفكر الحر) ، أوضح فيه أسبابَ ظهور حركة الاعتزال ، واعتبراها ارتكاساً تاريخياً وثقافياً وسياسياً ، على تطرف الخوارج المتزمتين ، وتراخي المرجئة السلبيين . ثم حللّ خصائص حركةِ المعتزلة من شتى الجوانب العقلية

والعلمية والانتقادية والإنسانية . وتحدث عن آراء بعضِ زعمائهم أمثال : واصل بن عطاء والعلّاف والنظّام والجاحظ والفوطي وابن أبي دواد وغيرهم . وفي نهايةِ كتابه قدم بحثاً شاملاً عن تأثر المعتزلة وتأثيرِهم ، وأوضح استمرارَ روح الاعتزال في الفكر العربي والإسلامي إلى وقتنا الحاضر .

لقد اهتم الأستاذ العوا بعلم الأخلاق ، إلى جانب اهتمامه بعلمي الكلام والفلسفة ، فنشر منذ عام ١٩٥٨ كتاباً عنوانه « المذاهبُ الأخلاقية » ، بين فيه مفهومَ الأخلاق عند مختلف المفكرين والفلاسفة ، منذ نشأة الفكر الأخلاقي في اليونان حتى المرحلة المعاصرة ، فأصبح البحثُ الفلسفي في الأخلاق يندرج في مجال معاصر شامل تحت اسم (فلسفة القيم) . ومن الفصول التي تناولها في كتابه هذا مذاهبُ المدرسة السقراطية والأبيقورية والرواقية ، ومذهب ديكارت وسبينوزا وليبنز وكانت ، كما تحدث عن الموسوعيين وروسو وآدام سميث ، وعن شبنهور وسبنسر ونيتشه وبرغسون وسواهم .

وفي عام ١٩٦٠ نشر الأستاذ العوا كتاباً بعنوان (القيمة الأخلاقية) ، توسع فيه في بيان النظرة المعاصرة لهذا المفهوم ، ثم تتابع بعد ذلك ظهور عدة مؤلفات أخلاقية له ، نكتفي بالإشارة إلى عناوينها وهي : (الوجدان) صدر عام ١٩٦١ -(أسس الأخلاق الاقتصادية) عام ١٩٨١ -(العمدة في فلسفة القيم) عام ١٩٨٦ -(الأخلاق والحضارة) عام ١٩٨٩ -(أخلاق التهكم) عام ١٩٨٩ -(مذاهب السعادة) عام ١٩٩١ .

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً ، والمتعلقة بالمطلب الأخلاقي ، كتابٌ عنوانه (من معالم الكرامة في الفكر العربي) صدر عام ١٩٦٩ ، وفيه بحث عن

الكرامة الإنسانية بين القديم والحديث . وقد بين المؤلف النظرة الإسلامية إلى هذا المفهوم في اللغة العربية والقرآن والتفسير . ثم انتقل إلى بحث هذا المفهوم في التاريخ العربي الإسلامي ، مبيناً معنى كرامة الرسول والخلفاء الراشدين ، وكرامة آل البيت في نظر السنة والشيعة ، ثم كرامة الأشراف .

وقدم بعد ذلك بحثاً انتقادياً عن كرامة الأولياء والمتصوفة ، يعيب فيه على الأخيرين غلوهم في سلب إرادة المريد ، خضوعاً بل رضوخاً لشيخه .

كما تصدّى أيضاً لمشكلة الرقّ والموالاة ، وبيّن مفهوم الكرامة في الأخلاق ، وأتى على آراء المجتهدين في تحديد حقوق الإنسان المسلم والزوج والأب والمرأة والملك وأولي الأمر . وأشار أخيراً إلى موقف الأدباء والشعراء ، في مختلف العصور ، بصدد الكرامة القومية ، ومعركة الشعوبية المتصلة بفضل العرب على العجم أو العكس . وانتهى إلى بيان الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي ، واتصالِها بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية .

لقد توقّف الأستاذ العوا طويلاً عند الكلام على كارثة فلسطين ، والكرامة العربية في نكسة عام ١٩٦٧ .

- ومما تحسن الإشارة إليه قيام زميلنا بترجمة عدد وافر من كتب الأخلاق ، نذكر منها : (الفن والأخلاق) نشر عام ١٩٦٥ -(الانتحار والأخلاق) عام ١٩٨٧ -(الأخلاق والسياسة) عام ١٩٨٨ .

وفي الكتاب الأخير يشير المؤلف ، بعد تعريفات وافية ، إلى تناقض الأخلاق والسياسة . ويتقدم بمحاولات لحل هذا التناقض ، منتهياً إلى ما انتهى إليه أخوان الصفا وهو أن العدالة قيمة أساسية في حياة المجتمع ، وفي قيام سلطة شرعية ونجاح ممارستها . فالشعب يتكلم لغة العقل ، وهو يُعرب عن رأي المجتمع بأسره ، وأن رسالة الفلاسفة لم تبق في أن يحكموا المجتمع مباشرة ، بل هي تربيةُ المواطنين وإعدادُهم لحكم أنفسهم ، والإيمان

بأن الديمقراطية هي الأساس الوحيد المعقول للسلطة الشرعية .

لقد أراد الأستاذ العوا أن يتوسع في مفهوم الكرامة ، باعتبارها نزعةً عالمية إنسانية ، فنشر عام ١٩٧٣ كتاباً عنوانه (من الشرف إلى الكرامة) بيّن فيه تطور العادات في هذا المجال ، من تقديم الإنسان قرباناً للآلهة ، كما كان قرباناً في حالات الحرب والمجاعة والوباء والكوارث الطبيعية .

ومن عوائق نضج هذا المفهوم القتل في سبيل الثأر ، وقتل الزوج للزوجة أو العكس ، في حال الخيانة الزوجية ، وقتل الوالدين عند الهرم عقوقاً ، ووأد البنات صوناً للكرامة والعرض أو خوفاً من السبي .

ويرى المؤلف أن الكرامة الإنسانية تنافي تقييد الحرية الموجودة في بعض العادات الإجتماعية ، كخضوع الأبناء والبنات لأوامر الأب أو الابن الأكبر ، وخضوع الفتاة القاصر للزواج ممن لا ترضاه .

ولما كانت المرأة لما تزل تعتبر أدنى منزلةً من الرجل ، فقد رفض المؤلف هذه النظرة ، وأوضح ضرورة تحررها ومساواتها للرجل ، حفظاً لكرامتها .

وفي بحثين آخرين يُبين الأستاذ العوا بعض أشكال الاستغلال ، المنافي للكرامة الإنسانية ، فطرح قضية الرق والقنانة ، والاستعمار والتمييز العنصري ، ولم يغفل نضال الأمم حالياً لمكافحة الرقيق الأبيض والبغاء .

وفي الفصل الأخير من كتابه هذا يعالج مشكلات الحرب وكوارثَها ، وينتهي إلى بيان سعي الدول لانقاذِ الكرامةِ الفردية والجماعية ، أيام الأزمات والفتن والحروب ، عن طريق عقد المواثيق في ظل الأمم المتحدة .

وفي إطار الفلسفة العامة ، التي أشرقت على جوانب التفكير المعاصر ، قام الأستاذ العوا بمجهود كبير ، فصنف أو ترجم مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، نذكر من عناوينها : الفكر والتاريخ – التجربة الفلسفية – نهج الفلسفة والفلاسفة الإنسانيون – الفلسفة والتقنيات – الفكر الفلسفي المعاصر –

الثقافة الفردية وثقافة الجمهور .

ومن مؤلفات الأستاذ العوا المهمة ما يتصل بالإبداع الفني والإلهام . فقد نشر كتاباً عنوانُه (مدرسةُ الآلهات) ، وهو من وحي الأسطورة اليونانية التي تقول بوجود ربّات للوحي ، في مجالات الشعر والتاريخ والرقص والموسيقى . وبيّن فيه مفهومَ العبقرية في الفكر العربي ، مستشهداً بمؤلفات وآراء مجموعة من أدباء ومفكرين أجلّاء ، منهم الشاعر خليل مردم ، الذي تكلم عن اللحظات الإشراقية التي يتمّ فيها الإبداعُ الشعري والفني بصورة عامة .

ومن المؤلفات الحديثة التي ترجمها الأستاذ العوا (حوارُ الحضارات) لروجيه غارودي ، المعروف بتطوره الفكري ، ونضاله في سبيل نصرة الحق ، ولو كان حقاً عربياً . وفيه يستعرض تاريخ الغرب ومستقبله ، انطلاقاً من وجهة نظر لا ترتكز إلى أوربا فحسب . ويرى أن الغرب ليس وحده مبدعَ القيم الإنسانية ، بل اشترك في ذلك جميعُ شعوب العالم القديم . لذلك لا مناص من إعداد نظام عالمي جديد ، يبدأ الحوارَ مع حضارات آسيا وإفريقية وأمريكة اللاتينية على السواء .

هذا ولما كان للإيديولوجيا في وقتنا الحاضر مفهومٌ كثير الشيوع ، فقد بحث الأستاذ العوا هذا العلمَ الجديد عبر ترجمته المتجسدة في ثلاثة مؤلفات متكاملة ، عناوينها : « نقد المجتمع المعاصر – نقد الأيديولوجيات المعاصرة – الممارسة الأيديولوجية » . وهذه الكتب من تأليف الفيلسوف ريمون رويّيه ، الأستاذ بجامعة نانسي في فرنسة ، والباحث المعروف في علم الاجتماع . وفي مؤلفاته نقدٌ للمجتمع المعاصر ، الغارقِ في خضم وسائل الإعلام الجماهيرية ، حيث لا يكاد الإنسانُ يفقه من آلياتها المعقّدة وأهدافها الحقيقية شيئاً .

ولذا تبدو مؤسساتُ ووسائل الأعلام في العالم الثالث ، على اختلاف أنواعها ، متخلفةً . كما يبدو الحاضرُ الاجتماعي قاصراً عن التهيؤ لاستقبال الغد . ومن هنا وجب تجاوز مجتمع البعد الواحد إلى المجتمع المتعدد الأبعاد ، وهذا يقود إلى انتقاد الأيديولوجيات المعاصرة بروح منفتحة ، ومستعدة للتطور ، لتجعل الممارسة الأيديولوجية أكثرَ فائدةً ومواءمةً لحياةِ الإنسان في العصر القادم .

مما سبق يتبين لنا جودة وغزارة الإنتاج العلمي للزميل الكريم الأستاذ الدكتور عادل العوا الذى أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته القيمة والذي يعتبر بحق أحد المربّين الأوائل، والمؤسسين لعلمي الأخلاق والفلسفة في بلادنا، ونحن نستقبله في هذه الأمسية عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ، راجين له دوام الصحة واستمرار العطاء .

ولنا كبيرُ الأمل أن يكون انتماء الأعضاء الجُدد لهذا المجمع فاتحة عهد ازدهارٍ وتقدم لنشر العربية الفصحى والدفاع عنها تجاه الطامعين في تشويهها والقضاء عليها والسلام .

كلمة الأستاذ الدكتور عادل العوا

في حفل استقباله

اللغة العربية والمشاركة الثقافية العالمية

العروبة انتماء محبة وولاء ، محبة الأمة العربية ، خيرِ الأمم ، وولاءٍ للخُلَّص الكَمَلة الفضلاء من عشّاق الذود عن حياضها ، والنهوض بإمكاناتها ، ولا سيما من بني جلدتها . وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهاداً صادقاً في سبيل الأمة العربية ولغتها الشريفة النامية ؟ إنهم ، كما وصف (التوحيدي) جماعة (إخوان الصفاء) ، « مَنْ تألفت قلوبهم بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة » ، فنذروا جهودهم وجهادهم ، وأنفقوا مددهم وأعمارهم ، في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع ، والغرض الأسمى النبيل .

وإنه ليشرفني ، ويسعدني ، أن أرى حقبة أخيرة من حياتي الفانية يتوّجها تكريمٌ رفضتُ دونه كلَّ تكريم ، ويَهيب بي وعي مسؤولية ثمينة غالية إلى مزيد من الشكر لمن جادوا باقتراح قبولي في هذه الندوة العريقة ، وهم الأماثل زملاء المستقبل ، والشكر والامتنان كذلك لسيادة الرئيس القائد الذي أيّد هذا الاقتراح وأقرّه بإفضال سابغ . وأخص بالشكر أوفرِه الصديقين العزيزين الدكتور شاكر الفحام والدكتور محمد زهير البابا ، وقد أغدقا علي من وحي عطفهما ثناءاً ، كما شهدتم ، لا أجدني جديراً بأقله ، فكيف أفوز بأكمله ؟

أيها السيدات والسادة .

إن ألفاً من السنين الأخيرة من تاريخنا ، تفصلنا عن نشاط (أخوان الصفاء) . فلنتمهل لحظة نبصر فيها بعض ما طرأ من فوارق ، وبعض ما ثبُت من اهتمامات .

يتابع (التوحيدي) كلامه على جماعتهم ، حاكياً قولهم : « إن الشريعة قد دُنّست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » .

وقد تمخض مسعاهم ، في الأحوال كلها ، عن رسائل كثيرة يشبه أن يكون مجموعها موسوعة تامة للمعارف الإنسانية السائدة في عصرهم ، من حساب وفلك وهندسة وموسيقا ، إلى العلوم الطبيعية والنفسية والدينية الناموسية أو الإلهية . فهم لم يعادوا علماً من العلوم ، ولا فناً أو صناعة أو أسطورة ، حتى السحر والعزائم والتنجيم . وقد تناولوا مصطلحات هذه الإحاطة الشاملة بالإيضاح والتدقيق ، وما زالت رسائلهم تشهد على حيوية اللغة العربية ، ونباهة الناطقين بها آنذاك ، وقد حققوا نصراً مبيناً في معركة التعبير عن كل ما خطر ببال بشر بلغة جلية ، ومصطلحات مبتكرة ، ولم يفتّ في عضدهم عجز ولا قُصور .

وها نحن أولاء بعد قرون عشرة نملك من أدوات المعرفة ، وأجهزة حفظها وتطويرها ما لم يكن لهم به عهد ، ونطرح على أنفسنا تساؤلاً عن مراكز اهتمامنا العلمي والثقافي . أترانا نكرر عنايتهم بصلة الشريعة والفلسفة بمثل الصدق والعمق والحرية التي كانت تواكب بحوثهم ومناقشاتهم ؟

مطالب المجمعيين :

لقد أحببتُ ، بغية الإجابة ، أن أستلهم طرفاً من أراء السادة

المجمعيين ، فقرأتُ ما اتفق لي من الخطب الملقاة تقليدياً في حفلات استقبال الأعضاء العاملين الجُدد ، فوجدت إجماعاً رائعاً ، وطبيعياً ، على الإشادة بلغتنا الحبيبة الشريفة « التي كرّمها الله فأنزل بها كتابه المعجز ليكون هدى للعالمين »(١) ، وهي « اللغة المقدسة التي تعلو في شموخها على سائر لغات العالم »(٢) . وأنا أعلم أن (أخوان الصفاء) ، مثلاً ، يجلّون العربية كذلك بقولهم : « اللغة التامة لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب ، وما سوى ذلك ناقص . واللغة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان ... وهي تمام اللغة الإنسانية ، وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث بعدها شيء ينسخها ، ولا يغيرها ، ولا يَزيدها ، ولا يُنقِصها »(٣) .

هذه الإشادة باللغة العربية ، وهذا الإيمان بتفوقها ، بل بتفردها ، وربما بتقديسها ، قاسم مشترك ، وصلة متصلة بين أجيال الأمة العربية الواحدة في تاريخها التليد والطريف . أليست « أم اللغات » كما قيل(٤) ؟. بيد أن السادة المجمعيين ، جلّهم ، يعزِفون عن « الميتافيزياء » القومية أو الدينية . وهم بذلك يختلفون عن الأسلاف المبجّلين ، وإن آمنوا بأن « من أراد خيراً بهذه الأمة خدم لغتها وصانها من العابثين »(٥) .

فمن « الخالدين » من يشكو « داء انتفاخ الأفكار » حين يُعبَّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة « فيسرع النَخْر والبِلى إلى لغتنا ، ويتباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم »(٦) . ومنهم من يستخلص من ملكية الأجيال العربية لغتَها ضرورة « أن ينضاف عن طريقها جديد إلى قديم » « لنواكب ما بين اللغة وبين الحياة قبل أن ينفصم الذي بينهما » « ونضمن للفكر العربي كله أن يعمل في طلاقة وحرية »(٧) . ومنهم من يحذّر من الدعوات الفاسدة في مجال اللغة « لأن لِلغة في حياة الأمة العربية شأناً

كبيراً ، وقيمة أعظمَ من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم »[٨] . وقد « تداعت على اللغة العربية الأمم : كبيرُها وصغيرها »[٩] ، كما أن « أخطر ما يتهددها هو هذه الأمراض التي تساور بناءها الصحيح ، وتتسرب إلى ينابيعها الثرّة الصافية كالسُمّ الخفي »[١٠] .

ويمضي مجمعيون خطوات أخرى في درب المنحى الواقعي . فيرى الأستاذ نائب رئيس المجمع الدكتور (شاكر الفحام) « أن أمانة المجامع العربية تلتقي وأمانة الجامعات لتكون الفصحى لغة العلم والتعليم والإدارة والحياة اليومية في الوطن العربي » . و « العربية قادرة على الاستجابة لكل ما جَدَّ ويجدّ من كشوف في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والتكنولوجية والإنسانية »[١١] . ويطمح مجمعي عزيز إلى قيام مجمع موّحد للغة العربية تسهم فيه الأقطار العربية كافة « نشداناً للوحدة الثقافية » التي هي « اللبنة الأولى في صرح الوحدة السياسية » ، وهي عنده كذلك « لبنة في مؤسسة أكاديمية واسعة تضم النابهين من المفكرين والأدباء واللغويين والعلماء »[١٢] . وكان أستاذنا الدكتور (جميل صليبا) يطلب « إنشاء مجمع علمي واحد » . واكتفى الزميل (عبد الكريم زهور) « بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية .. تُوزِّع على المجامع الأعمال ، ثم تنظر في النتائج ، وتقرّ ما تقرّه ، وتعمّمه »[١٣] .

إن الأمنيات تعكس ، من الناحية الجدلية ، نقائص وعَوَزاً . فممَّ تشكو اللغة العربية والناطقون بها ؟ وما هي الجهالات التي دنّست لغتنا الجميلة بعد أن دنّست الشريعة الغرّاء ؟ وكيف السبيل إلى غسل اللغة وتطهيرها كما شاؤوا غسل الشريعة بالفلسفة ؟

لقد نبّه الأمير (مصطفى الشهابي) إلى « مبلغ اتساع العلوم الحديثة اتساعاً يحيّر العقول . ورأى أن العلوم والفنون الحديثة تدهمنا من جميع

جوانبنا ؛ ومجامعنا اللغوية والعلمية بطيئة في وضع المصطلحات العربية »[١٤] . بيد أن للقضية وجهاً آخر ، على الأقل ، يجدر بنا الالتفات إليه ، والعناية به . فلم يبق « انتفاخ الأفكار » هو المشكلةَ وحسب . وكذلك داء العجمة والرطانة العتيقُ جداً ، وهو يهدد اللغة الفصحى بخطر ألا يجيدها إلا فئة من المتخصصين ، بعد أن ساءت أساليب تعليم اللغة وعلومها ، ومُنيت الأجيال الفتية بنَفْرة منها ، وهبّت عواصف الشعوبية تدعو إلى اللغة العامية ، وتمارسها ، وتدّعي عجز لغة القرآن عن مواكبة مسيرة العلم والفن ، زاعمة أن من الخير أن يُستبدل بها اللغات الأجنبية ولا سيما في تدريس العلوم .

التفاعل التاريخي :

وهذا الوجه الآخر الذي نحب أن نلفت الانتباه إليه هو التفاعل التاريخي الراهن في عالمنا المعاصر ، حيث تضاءلت الأبعاد ، وقصرت المسافات ، وكثر التواصل بازدياد وثّاب ، وصار للدول ذوات الوسائل الأحدث التأثيرُ الأقوى في توجيه الوقائع والأفكار . وبات من أثر التفاوت بين العوالم السياسية اضطرامُ الجشع ، وطغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي . ومن أخفى أسلحته تجاهلُ هذا الوجود ، وقَصْر الاكتراث به على مسعى الاساءة إليه في السرّ أو العلن .. ومن هنا كانت دعاوى انتقاصِ الامكانات العربية في كل مجال ، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والأدب والفنون .

إننا نود إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل العالمي ، شبه العالمي ، وهو يتطلع إلى أن يُسقط من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها ، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها . وسبيلنا إلى ذلك سبيل ذاك الفيلسوف القديم الذي نهض وسار ليبرهن على إمكان الحركة بالحركة ، حاسماً على هذا المنوال تخبط المتخبطين .

وقد اخترنا للتمثيل على مشاركة ثقافتنا الثقافة العالمية إلماعات سريعةً في ميدانين أساسين هما : ميدان الشعور الديني ، وميدان الشعور الفلسفي . وغرضنا توضيح أن إسهام العرب غابراً وحاضراً في صنوف النشاط الإنساني كلها ، ومنها هذان المجالان ، يمنحنا الحق في متابعة الخطا ، وغذّ السير لمواكبة ما بلغ الآخرون من المتقدمين في وقتنا ، بل حق/وواجب/الاسهام فيما يتصور المستقبليون من إمكانات قادمة لمصير الإنسانية ، الممكن والمحتمل .

المجال الديني :

ففي المجال الديني ، يرى المتتبع ، باديْ ذي بدء ، أن اللغة العربية تنمّ عن توافر الأنماط الابتدائية من الظاهرة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام . وهذا يعني أن للأمة العربية في غابرها إسهاماً في سيرورة الشعور الديني وتطوره من طوطمية ووثنية حتى التوحيدية . ولما ظهر الإسلام ، وتتابعت الدعوة إليه في ظل الدولة العربية فالأموية فالعباسية ، تأكد التفاعل الكلامي ، بل والصوفي ، مع ما يماثل هذين المنزعين في الديانتين السماويتين السابقتين . ونحن نعلم ، من ناحية أخرى ، أن البحث العلمي في الشؤون الدينية ما انفك يزداد أهمية وتنوعاً واتساعاً ، حتى في أقطار ليست الممارسة الدينية فيها أمراً لازباً كلياً . وقد واكب البحثَ الاعتقادي في كنه الدين بوجه عام بحثٌ متطور تبع نماء العلوم التاريخية والإنسانية : فكان من ذلك علم النفس الديني ، وعلم الإجتماع الديني ، وتاريخ الأديان ، والأديان المقارنة ، والظواهرية الدينية ، وآل الأمر حالياً إلى ما يسمى علم الأديان ، وهو مسعى يود العثور على جوهر التدين باستقراء معطيات الديانات كافة ، أعني حقيقة القداسة والمقدس .

وليس هنا مجال سرد كثير من التآليف العربية التي تمضي مع هذا

النشاط العلمي العالمي . ونكتفي بالإشارة إلى واقع مهم يبيّن الحرص على الانفتاح العربي العقلي والقومي المعاصر ، والمؤيِّد للتآزر الإنساني في حقل المعرفة الدينية ، وإن ظلت جوانب من هذه المعرفة تُعدّ قبل فترة وجيزة من العقائد السرية المكتومة عن غير مستحقّيها .

ذاكم مثلاً هو الانفتاح الذي نشاهده اليوم لدى بعض النزعات أو التيارات كالإسماعيلية التي أخذ معتنقوها ينشرون على الملأ ما كان مكتوماً ، ويذيعون ما كان محجوباً . ويحق للممعن أن يدرك بجلاء أن للفلسفة الباطنية جذوراً هي عينُها الجذور التي نلقاها في الفلسفة الإسلامية الظاهرة . وما الفارق الأساس بينهما سوى فارق التأويل ، شأنه هنا كشأنه في كل مكان مماثل في سائر الديانات العالمية أن ينوس بين تفسير حرفي مرفوض ، وبين دلالات مجازية طريفة أو مبتكرة . ولا يخفى أن « جلاء العقول » العالِمة بمزيد من جلاء جوانب هذه الفلسفة الباطنية إنما يسهم إسهاماً جليلاً في توحيد الشعور القومي العربي من ناحية ، ويضع في الوقت ذاته لبنة جديدة في صرح التكامل الثقافي العالمي من ناحية أخرى .

غير أن لهذا الصرح الديني العالمي جوانب مهمة أخرى كان للعرب والمسلمين فيها إسهام عظيم ناجع . من ذلك ما نعلم عن قصة الفكر الحر ونشأته وتطوره في جو الصراع العقائدي السياسي – الاجتماعي معاً . فقد طَمَح رواقيو (رومه) إلى تحرير الإنسان العبد . وجاء المعتزلة بتحرير الإنسان الفكر . وأعقبهم كثيرون من طبقة (روسو) و (فولتير) و (مونتسكيو) و (دولباخ) و (لوك) و (ستورت مل) و (رينان) و (لوازي) . وانتهى الأمر إلى مقولة الفكر الحر ، وآل إلى صوغ شعاراتِ عالمنا المعاصر المتقدم . تقول الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان : « لكل شخص الحق في حرية التفكير والاعتقاد والديانة » . وقد ألحف المعتزلة من

قبل على الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني ، راجين تحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع . رائدهم في ذلك آية قرآنية كريمة : « لا إكراه في الدين »[١٥] ، وآية أخرى كذلك : « أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »[١٦] . وقد امتد تأثير المعتزلة إلى فرق السنّة والجماعة والشيعة وإلى الفلاسفة و (المعري) و (مسكويه) ، وإلى الثقافة الأدبية واللغوية ، وإلى الثقافة الإسلامية غير العربية ، بل وإلى الفكر اليهودي .. ولئن خَفَت صوت المعتزلة مذهباً ، فإن الاعتزال ، بأصالته العربية والعالمية ، ما زال ينمو في دنيا البشر روحاً وموقفاً .

المجال الفلسفي :

لننتقل الآن إلى المجال الفلسفي بالمعنى الدقيق .

فقد أهمل مؤرخو الفلسفة الغربية الكلام ، إلا بنحو من الاستثناء ، على الفلسفة العربية ، وتجاهلوا إسهامها الثرّ والأساسي في نماء النشاط الفلسفي الغربي فالعالمي ، وقلّ منهم من أنصف العرب والفكر العربي ، فوجب التنبّه إلى إحقاق الحق ، وإعادة الأمور إلى نصابها بإحلال النشاط الفلسفي العربي ـ الإسلامي محله الصحيح من تطور الفكر الفلسفي العالمي ، وغدا مُنكراً زعم (رينان) « أن الفلسفة العربية فلسفة إغريقية بحروف عربية » ! وقد فاته أن الفلاسفة العرب القدامى لم ينسِجوا على منواله ، ولم ينظروا نظرة عرقية كنظرته ، وإنما وجدوا أن الحقيقة ملك البشر كافة ، وإن ثمة قرابةً روحية ، ونَسَباً ثقافياً ينمّ عن اتصال تاريخي بين الشعوب والحضارات ، وإن انتقلت مراكز التميز من شعب إلى شعب ، ومن أمة إلى أخرى . آية ذلك إيمان (الكندي) بأن الحقيقة تراث مشترك بين الأمم على مرّ العصور ، وعلى الرغم من تفاوت المكان والزمان والديانة

واللغة والجنس .. وقد أوجب (الكندي) ، فوق ذلك أن يشكر اللاحق السابق الرائد . يقول : « مِن أوجب الحق ألّا نذمّ من كان أحد أسباب منافعنا الهزلية ، فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية » . فإنهم « كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ... فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عمن أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم » . وهذا الشكر والعرفان يتجدد لدى سائر الفلاسفة والمفكرين العرب والمسلمين ، حتى لدى (ابن رشد) ، المتيّمِ بـ (أرسطو) ، وشارحِه الشهير ، وصاحبِ مذهب الرشدية الذي كان له الأثر العميق في تطور الفكر الغربي عامة ، والتومائية بوجه خاص .

وقد رصد استاذنا المجمعي الدكتور (جميل صليبا) ، قبل ثلاثين عاماً[١٧] ، الإنتاج الفلسفي العربي خلال المائة السنة الأخيرة ، وأشار إلى أن المشتغل بالفلسفة كان في العصور المظلمة يُرمى بالمروق من دينه ، ويُتَّهمُ بالزندقة والإلحاد . ثم جاءت مراحل « مدّ البصر إلى أقصى حدود المعرفة . وعمد مؤلفون ومترجمون إلى وضع المصطلحات العربية للتعبير عن المعاني الفلسفية الحديثة ، فأغنَوا لغتنا العربية بالألفاظ الفلسفية ، ومكنّوها من التعبير عن دقائق الفكر الحديث . يقول : « إن العالم العربي لم يتمخض عن فيلسوف عربي كبير على طراز (أفلاطون) و (أرسطو) و (ابن سينا) و (ابن رشد) » . وإن ثمة أساتذةً آثروا العناية بتاريخ الفلسفة « وألّفوا كتباً لا تخلو من النظر الدقيق ، والتحليل العميق » . ولكن الأستاذ الكبير ينتهي إلى تمييز اتجاهات كثيرة في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، ليس أقلّها الاتجاهُ المادي ، والعقلي ، والروحي ، والتكاملي ، والوجودي ، والشخصاني ، والعلمي » . وعندنا أن هذه الاتجاهاتِ السبعةَ تدل على مشاركة العقل العربي في منازع مختارةٍ من الفكر الغربي والعالمي الراهن . ولكنَّ لهذه المشاركة تاريخاً أعرقَ من تأثر الباحثين المعاصرين بالاحتكاك

الجديد بالثقافة العالمية . فإذا رجعنا بإلماعة إلى الماضي ألفينا الفلسفة العربية حلقة لازبة في تطور النشاط الفلسفي . وإن المشكلات التي طرحها في الإسكندرية الفكر اليهودي لدى (فيلون) ، والمسيحي لدى (أفلوطين) هي مشكلات علم الكلام ذاتُها . ومن نظرية الفيض تمتح الفلسفة (الفارابية) و (السينوية) والفلسفات الباطنية التأويلية دون أن يغفل أي مفكر « تقويم » أفكارِ من سبقه ، فتجدهم يجلّون القدامى ، غير غافلين عن قصورهم تارة ، وأخطائهم تارات .

وقد عمدوا إلى تصحيح الغلط ، وتدارك النقص ، والمضي قدماً إلى حلول مبتكرة لمشكلات « ميتافيزيائية » مستعصية . ولم يشذّ نهجهم في هذا كله عن النهج العالمي في الفلسفة ، أعني الطريقة التفكيرية التي نشاهدها هي هي لدى (أفلاطون) ، و (الفارابي) ، و (ابن سينا) . وإن الجدل ذاته هو الذي يتيح للشيخ الرئيس بناء فلسفته بتعمق مفهوم واجب الوجود وتحليل ما ينطوي عليه هذا المفهوم تحليلاً خلفياً مشفوعاً باستطراد أمامي ، ويجيز ربط معنى آله الفيلسوف بفكرة خلق العالَم ، والانتهاء من ذلك إلى اتفاق الحكمة والشريعة ، والعقل مع النقل ، شأن الفلاسفة المسلمين إجمالاً ، وفلاسفة العصر الوسيط الأوربي بوجه أعم . بل إن (الغزالي) نفسه ، صاحب النفحة الإلهية ، والإشراقة القلبية ، لا يبعد عن (ديكارت) في منطلق الشك المنهجي الموصل إلى يقين الكوجيتو (الديكارتي) من جهة ، وإلى ذي العزة والجلال بالذوق الصوفي عند (أبي حامد) ، من جهة آخرى .

المشاركة المعاصرة :

إن أستاذنا الجليل الدكتور (صليبا) لم يدرك منزعاً راهناً لاحقاً في الفكر الفلسفي المعاصر ، وهو المنزع الذي يعي دقائق المشاركة العربية في

الثقافة العالمية ، وذلك بالانطلاق من واقع العروبة التي تواجه في هذه الفترة الأخيرة من القرن العشرين تألباً شبه عالمي يود القضاء عليها وتدميرها ، لولا أن الشعوب لا تموت ، وإن أمكن أن تحيق بها هزائم نكراء ، ونكسات ماحقة الفكر واللغة والثقافة جميعاً .

وهذا المنزع المعاصر محاولة نضالية هادفة تسعى ، في المرتبة الأولى ، إلى إعادة البرهان على حيوية الفكر العربي ، وعلى إمكاناته اللامحدودة ، واللامحددة ، بما لا يقل سطوعاً عن نصوع ما يتحلى به تراثنا العربي الماجد ، وتسعى ، في المرتبة الثانية ، إلى مشاركة حضارية في التقدم الإنساني على سلّم المعمورة بأسرها . ونحن سنختار للتمثيل على هذا المنزع الثاني الإلماع إلى جانبي النظر والعمل ، فنختار أولاً في ميدان النظر العقلي ما يسمى اليوم مجال الأبستمولوجيا أو نقد العلوم . ونختار ثانياً في ميدان العمل ما يعرف باسم فلسفة القيم ، وهو ميدان وسيع جد وسيع ، وله فروع بعضها جمالي فني فيه كلام على البلاغة ، ومن ضروبها التهكم . وبعضها الآخر أخلاقي ، ومن شُعبه الحديث عن الفضيلة عامة ، وعن الكرامة الإنسانية بوجه التخصيص .

فقد بدأ مفهوم العقل في الفكر اليوناني القديم على صورة « هواء مفكر » في نظر (ديوجين الأبولوني) ، ثم أصبح « ناراً كونية » في نظر (هرقليط العجوز) ، وسما به (أناكساغور القلامازوني) إلى فكرة « المبدأ الروحي المدبّر للكون » . وانحدر به المغالطون إلى درك التمويه الذكي طلباً للربح أو الجاه . فجاء (سقراط) ، ومِن بعده (أفلاطون) فـ (أرسطو) ، وإذ ذاك استوى الفكر المنطقي القديم على سوقه ، ونهض العرب بنشاطهم الدؤوب ، وأسهموا في تنمية هذا كله ، وولّدوا من معنى العقل البسيط معاني شتى هي بلا ريب مشاركة ثمينة في رقي الفكر الإنساني العالمي .

لنذكر من ذلك قبسة لغوية . العقل هو الحِجى ، لإصابة الحُجَّة به . وهو الحِجْر لحجره عن ركوب المناهي . والنُهى لانتهاء الذكاء والمعرفة إليه . وهو اللبّ ، والملجأ ، والحبل ، والعِقال ، والعاقل ، أو المعقول ، ذو مِرَّة ، أي عقل ، لأن أصل المِرّة إحكام الفتل . والعقل في الاصطلاح جوهر روحاني ، أو نور في القلب يعرف الحق والباطل ، أو هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات . وثمة عقل هيولاني ، وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل . وفي مجال السلوك : إذا كان المرء في أول درجة العقل يسمى أديباً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً . كما أن الرجل إن كان في أول حد الدهاء قيل له : شيطان . فإذا عتا في الطغيان قيل : مارد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقري . فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قيل : عفريت . وكذلك الجاهل : يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق(١٨) .

أتراها ألفاظاً عربية لأمة واحدة وحسب ، أم أن في مضمونها إغناءاً رائعاً لدلالات إنسانية عالمية يحسن بالآخرين أن يمتحوا منها قيماً نفسية واجتماعية وسلوكية معاً ؟

العقل ، والمنطق ، والقسطاس المستقيم أو منطق الرحمن عند (الغزالي) ، ونقض المنطق لدى (ابن تيمية) ... وضروب الشروح على منطق (أرسطو) ، والروح الانتقادية المنطقية لدى (ابن المقفع) و (النظّام) و (الجاحظ) و (المعري) و (اخوان الصفاء) و (أبي زكريا الرازي) .. كل ذلك يجيز للنشاط العربي أن يشغل موقعه في نماء الفكر العقلي الإنساني العالمي . ولم يأل المعاصرون جهداً في مسعى اللحاق بركب التطور المنطقي من المنطق الصوري أو التقليدي إلى منطق التناقض والجدل الثلاثي فالمنطق الرمزي ومنطق الأولويات (الاكسيوماتيك) فالمنطق القيمي ومنه الابستمولوجيا أو نقد العلوم . وتكفينا الإشارة إلى

ما نشرت وزارتا الثقافة والتعليم العالي بدمشق من آثار باحثين عالميين في هذا المجال المتقدم الأخير ، من طبقة (جان بياجه) و (غاستون باشلار) و (روبرت بلانشه) أو (اليونسكو) ...

ذلك أن لفظ الأبستمولوجيا مركب من (ابستيمه)، وهي العلم ، و (لوجيا) ، أو المقال . وقد ذهب فريق إلى أن هذا المبحث يعني « علم العلم »[١٩] ، أو أنه « نظرية المعرفة » .. أو أنه « فلسفة العلوم » كما يقول (لالاند) ، صاحب المعجم الفلسفي التقني الانتقادي . ولا مراء في أن هذا الاختلاف في التسمية ينمّ عن اختلاف في التحديد وفي الممارسة ، ويوجب عوداً موصولاً إلى تاريخ العلوم ، ومنطق العلوم ، وربما أُتخذ نقد الفلسفة ذاتها موضوعاً أبستمولوجياً ، فتصبح صِنو ما يسمى التاريخ الفلسفي الانتقادي . وقد جنح (غاستون باشلار) إلى تمييز نوعين من الأبستمولوجيا : إحداهما تنقد العلوم ، والأخرى تنقد الأدب .. ودعا إلى ما يسميه التحليل النفسي للمعرفة . وابتكر (جان بياجه) ما يدعوه الأبستمولوجيا التكوينية ، وبعض آثاره فيها قيد الترجمة في وزارة التعليم العالي بدمشق ، كما أسهم مترجمون سوريون ، بإشراف هذه الوزارة ، منذ سنوات قليلة ، في نقل أفكاره الأساسية إلى اللغة العربية ، وأسهم سواهم من قطرنا ومن أقطار عربية أخرى في تنمية أراء (باشلار) ، وتعميق أفكار مدرسته .

فلسفة القيم :

وعلى غرار إسهام الفكر العربي في مراحل تطور المبحث المنطقي حتى الأبستمولوجيا ، كان له إسهام حميد آخر في ميدان فلسفة القيم أو (الاكسيولوجيا) من ميادين الفكر العالمي المعاصر .

ومن خاصة هذا المبحث الطريف أنه علم يتناول ما هو ثمين ، كما

يقول (لافيل) . فهو يبحث القيم ويشكل فلسفة قيم أو نظرية قيم . وفي مكنة الممعن في تاريخ الفكر الإنساني أن يكتشف بجلاء انطواء كل فلسفة على مسعى قيمي : قيم الخير ، والحق ، والجمال ، وما يتفرع عنها ، ويتصل بها ، ويكملها في عصرنا ، وفي العصور اللاحقة . ومن الجائز قولنا : « إن الإنسان حيوان مقوِّم » أو : « في البدء كانت القيمة » . والقيمة تصور وواقع ووعي . بل إنها وعي بتصور الواقع بالإضافة إلى ما يجب أن يكون .

لقد كان الفلاسفة والمفكرون الإنسانيون ، ومنهم مؤمنون ومتكلمون ، ينشدون معنى الكمال . والكمال في حقيقته تشوف وتطلع ، تجربة قيمية . وكل فلسفة ذات مطمح عملي هي فلسفة قيمة . إنها حكمة . والحكمة اتخاذ العمل والسلوك (براكسيس) غرضاً للتأمل والنظر . وإنما فلسفة القيم ، في آخر المطاف ، فلسفة تغيير العالَم ، فلسفة أنسنة الكون ، أي فلسفة تحديد الإنسان مصيره ومصير الوجود .

البشر كافة ، في جميع أصقاع الأرض ، يتحدثون بالنثر أسلوباً . وبعضهم يجهل معنى النثر لأنه لا يضيفه إلى سواه ، كالشعر . وكذلك فإن الناس قاطبة يمارسون القيم في حياتهم حتى اليومية ، من تغذية ، ودفء ، وسكن ، إلى عقائد وعلاقات أسرية ومهنية واقتصادية . بيد أن جلَّهم لا يفقه قوام ما يفعل . وما فلسفة القيم سوى وعي هذه الممارسة بالذات ، والتعبير عنها بدقة وجلاء . وقد كان للغة العربية ، والأدب العربي ، إسهام رائع في تنمية هذا الوعي القيمي ، وإن تأخرت تسميته باسم الفلسفة القيمية ؛ فمثل ذلك قد حدث في جميع الثقافات ، ولدى الأمم كلها ، حتى مستهل القرن العشرين ، حيث مولد الوعي القيمي .

إننا نلمس بيسر روعة الرافد العربي منذ الإشارة إلى أقرب الأمثلة اللغوية .

أمثلة لغوية :

تقول نظرية راجحة أن ليس بين الألفاظ العربية ترادف مطلق ، بل ثمة فويرقاتُ تفاضلٍ دقيقة تبلغ درجة الإذهال في التعبير . فهذا (أبو منصور الثعالبي) ، مثلاً ، يمتّعنا بكلامه على أوصاف الإنسان السيد قائلاً[٢٠] :

السيد : الحُلاحل ، وهو السيد الشجاع . والهُمام ، وهو السيد البعيد الهِمّة . والقُمقَام ، وهو السيد الجواد . والغِطريف ، وهو السيد الكريم . والصِنديد ، وهو السيد الشريف . والأروع ، وهو السيد الذي له جسم وجِهارة . والكوثر ، وهو السيد الكثير الخير . والبهلول ، وهو السيد الحسن البشر . والمعمّم ، وهو المسود في قومه . ومثل هذا الإبداع التقويمي نجده في وصف المقابح . وما برح التضاد القيمي في ألفاظ المدح والقدح ، وتمايزها ، يغذّيان – بتفاعلهما – الإبداع الأدبي ، والمقامات ، والروايات ، وكتب المحاسن والمساوئ ، والمحاسن والأضداد ، ويَعْمران ميادين الفخر والهجاء .

قيل في مدح العقل : إنه يقلب الأمر إلى ضده ، والقيمة السلبية قيمة إيجابية . يقول (البستي) : « كفى بالعاقل فضلاً ... أن تُجعل البلادة منه حلماً ، والحدة ذكاءً ، والعِيّ صمتاً ، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً إلا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد الأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ... لا يمدح أحداً إلا بما فيه »[٢١] .

أما الأحمق فإن له شيماً كريهة كلها . من شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغي ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ، والبغضاء[٢٢] . إنها عشرون شيمةَ مذمةٍ تشكل صورة تامة لإمكانات سلوك قيمي مرفوض ، لا ندري

إن كانت اللغات المتقدمة الأخرى قد انتهت إلى ما يقاربها ، أو يدنو منها ، دون أن تزيد عليها . ونحسب أن في الأدب المقارن متسعاً رحباً لمثل هذه البحوث وأضرابها، مما يتعلق حتى بالأمثال ، كل الأمثال ، وهي تنطوي على دلالات قيمية شديدة الاتصال بالوقائع ماضية ومتوقعة ، أو مفترضة ومتخيلة . ولكنها في الحق وقائع تعكس كذلك أمام الناظر المدقّق أصداء صلات الأمم بعضها ببعض ، وتفاعل عاداتها وخصالها ، وحتى أمزجتها وأيامها . ولو أتيحت لجائزة (نوبل) فرصٌ عادلة لكان نصيب الأدب العربي أكثر من بيضة ديك .

وهكذا نجد النشاط القيمي العربي يسهم في تطور النشاط العالمي ، وقد أصبح مفهوم القيمة في حقل السلوك الإنساني كمفهوم الطاقة أو القوة في العلم الحديث .

المقولات البلاغية : التهكم

لم يكن الفكر العالمي في طفولته ليفصل النظر عن العمل ، وقد ظل الإغريق القدامى يمزجون الفن النافع أو الصناعة بالفن الجميل . وكانوا يطلقون على الرجل المثالي كلمة تعني بآن واحد إنه صالح وجميل Kalos Agtos . وظل المعتزلة والمتكلمون يتحدثون عن الخير والشر باسم الحسن والقبح . وحرص المتصوفة على اتحاد شعوري الجمال والخير . ولكن الفكر الإنساني ما عتم أن تطور ، وافترقت القيم الرئيسة الثلاث بعضها عن بعض بادئ الأمر . ثم اشتد نماء فروعها فصار لكل فن أو قيمة مقولات متعددة يتفاوت تحديدها باختلاف المذاهب والثقافات . وليس بمستغرب أن نجد لغة الفصاحة ، وأمة الكلمة ، وتاريخ البيان تتيح لمثل (ابن حجة الحموي) تمييز ما ينوف على مائة وأربعين ضرباً من ضروب البلاغة ، وفنون البديع . منها ، على سبيل المثال : التهكم الذي نعته بأنه « نوع عزيز لعلو مناره ،

وصعوبة مسلكه ، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح ، وبالهزل الذي يراد به الحق » .

والحق أن الناظر في هذا الفن يدرك عراقته في التاريخ البشري ، كما يدرك شأوه واستمراره . فقد امتدت جذوره إلى شتى الآداب والثقافات . وفي اللغة العربية كوكبة من المعاني الرهيفة التي تدور حوله دون أن تطابقه : كالفُكاهة ، والدُّعابة ، والإضمار ، والمواربة ، والتلميح ، والتورية ، والتوهيم ، والالغاز .. إلخ .

وقد تهكم (الجاحظ) و (التوحيدي) و (ابن زيدون) فيما سلف . وتهكم في الحاضر كثيرون عندنا . وجرى في هذا السياق (سقراط) و (ارستوفان) و (مارسيال) و (جوفنال) ، ثم (رابله) و (شكسبير) و (موليير) و (فولتير) و (سويفت) و (مارك توين) و (برنارشو) و (بيير دانينوس) ...

والتهكم يحظى في ثقافتنا ، وفي بعض ظروف حياتنا ، كما في الثقافة العالمية المعاصرة ، بعناية عظمى جعلت أكثر من باحث يعدّه ذروة الفطنة ، ومنطلق الفكر الثالث ، وهو الفكر الهادف الضاحك الناقد : يلهو ويؤنب ، ويهدم ليبني ، ويراوغ ليصدق ، يدّعي الجهل لينصر كلمة الحق ، ويهدم الوثنية و « الجمود » في الأعراف وفي الأفعال .

هكذا تشارك اللغة العربية ، ويشارك الذوق العربي ، في لون من أبرع ألوان الذكاء الجمالي في العالم . وليس بمحال أن يطرأ ظرف يمتح فيه أكثر من أدب أجنبي من معين إرهافات البديع العربي : وما أرقّها وأدقها ! وإن ما يُنقل الآن من العربية إلى لغات حية معاصرة ليشهد على هذا الإمكان .

ولكن المشاركة العربية في الثقافة العالمية لا تقتصر على مجالي الحقيقة والجمال . ذلك أن لقاءاً متميزاً يجمعنا والبشرَ في حقل خصيب رئيس هو

حقل العمل أو السلوك ، أي الأخلاق .. تُرى هل ثمة فضيلة عربية ؟ بمثل تساؤلنا عن وجود إنسان عربي وأرض عربية ؟

العروبة : سجية حضارية

ليست العروبة ، كما أسلفنا ، قومية عنصرية ، ولا سُخطاً أو تزمتاً . إنها مزاج حضاري كسائر أمزجة الأمم والأقوام . والمزاج الحضاري سجية شعب حين يفترق عن بقية الشعوب ، وحين يُقرن بهذه البقية من الشعوب .

وبقول آخر : إن خصائص الأمة تنحل في نهاية المطاف إلى ما يُكسبها المدح والاعتزاز ، أو مايجرّ عليها الذم والامتهان . ونحن ، بعفويتنا القومية ، نعجب طوعاً ، ويسرنا فضل العرب على العجم ، كما قال (ابن قتيبة)[٢٣] . وقد نغلو بجاهلية فنَعني بالعجم كلَ من ليس عربياً . ومما يروقنا قول (ابن المقفع) عن أجدادنا الأقدمين : « إن العرب لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم ، وتتعاير بالبخل والغدر والسَفه ، وتتنزه عن الدناءة والمذمة .. وتوجب للجار حفظ الجوار فوق ما توجبه للحميم والشقيق » .

ولكننا ننظر اليوم بعقولنا إلى وقائع الوجود البشري ، ونرى أن في الناس فضائل أيضاً . والفضيلة بمعناها الدقيق هي الاستعداد لفعل الخير . وهي اختيار . وكذلك الرذيلة . ولم يبق ممكناً ، ولا مقبولاً ، أن يَرجِع فكرنا القهقرى إلى عصور الطفولة البشرية ، فندّعي أن أمة ، أو قوماً ، يمكن أن يتحلى وحده بالفضيلة المطلقة ، وأن لا فضيلة لسواه ، أو أن يكون شعب ، حتى الشعب العربي ، مالكاً باستئثار فضائل البشر كافة ، وأنه مبرأ من كل نقيصة أو مذمة أو عيب .

والقول الفصل في ذلك كله امتزاج موصول لدى الأفراد والأمم لبعض فضيلة وبعض رذيلة . وهذه الأمشاج قوام الوجود الأخلاقي كما تجلوه اللغة العربية ، ومفكروها المدرسيون .

الفضيلة العربية :

الفضيلة في « لسان العرب » هي الدرجة الرفيعة من الفضل . والتفاضل تمايز في الفضل . والفواضل هي الأيادي الجميلة . والإفضال الإحسان . وعند (أبي البقاء) الفضل هو كل عطية لا تلزم من يعطي . وهو بمعنى الزيادة . والفضيلة تدل على صفات الكمال من العلم ونحوه .. وهي ضد النقيصة ، ومجالها مجال الحكمة العملية من علم السلوك أو الأخلاق ، إلى علم السياسة ، أو تدبير المرء حياته ، وتدبير المنزل ، والمدينة ، والدولة ، فالمعمورة .

يقول (ابن المقفع) : « اختلف ثلاثة في العقل والدولة والعافية ، وتنازعوا أيهم هو الأفضل ؟ » وقصدوا حكيماً قلّب وجوه هذه القيم الثلاث ، وانتهى إلى التوفيق بينها « فصاروا هنالك شيئاً واحداً »[٢٤] . وهذا هو الحل الذي اعتنقه في منتصف القرن العشرين الفيلسوف العلّامة (شارل لالو) إذ عرض لتنافر قيم الفن والأخلاق ، ودرس تجاذبها وتنابذها . وانتهى في حلّ نزاعها إلى القول إن القيم كافة تلتقي في ذروة النظر المطلق[٢٥] .

الكرامة الإنسانية :

إن النظر الإنساني إلى معنى المطلق يقود إلى حلّ المشكلات القيمية في مجالات الحقيقة والخير والجمال . ويكفي أن نشير هنا إلى دلالة مفهوم ذائع جداً كان فيه للغة العربية والفكر العربي اسهام كبير في مسار التطور الثقافي العالمي ، وأعني مفهوم الكرامة الإنسانية .

فعلى صعيد الشعور بالكرامة يتجلى النشاط العربي في جوانب رئيسة شتى : منها الجانب اللغوي والديني والتاريخي والمثالي . ألم تقل العرب : فلان كريم المَحْتِد، والمَنْصِب ، والمَنْبِت ، والعُنْصُر ، والمَغْرِس ، والجَذْم ، والأُرومة ، والنِجار ، والأبوة ، والمنتضى ، والمُركَّب ، والجُرثومة ، والمنتمى .

وكذلك : فلان مُعِمّ ، مُخول ، وفلان كريم الضِّئضئ، والآصرة[٢٦] .. الخ . وقد قال بعضهم ، وما أحسن ما قال : الكرم مثل الحرية ، إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ...

وإلى جانب المعطى اللغوي والأدبي نجد في الجانب الديني أن الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . وقد جاء في الذكر الحكيم لفظ الكرم والكرام والأكرم والمُكْرم في خمسة وأربعين موضعاً . وجاءت كذلك الآية القائلة : ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٢٧]. وفي هذه الآية إيماء إلى مساواة الذكر والأنثى من حيث القيمة والأرومة ، مع إمكان تفاوت الناس كافة من حيث العمل الصالح ، والفعل الكريم .﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وهذه المساواة من جهة ، والمنافسة والمباراة من جهة أخرى ، ظلتا تصطرعان في التاريخ العربي ــ الإسلامي . فالمساواة كأسنان المشط ، أو أسنان الحمار ، لم تتحقق دوماً في أرض الواقع . وظلت ثمة فوارقُ جنسية واجتماعية وقومية ، وربما عنصرية في بعض الأحيان . ولكن مطلب العزوف عن مساوئ الواقع ، وحصر المنافسة والخصام على المباراة في ابتغاء المزيد من التقوى ظل في الوقت ذاته ناشطاً في ميادين السياسة والمجتمع والاقتصاد والعلم . وهذا الجدل الحي بين واقع مرفوض ، ومثل أعلى مرموق أنجب إرهافاً نامياً في معطيات الثقافة العربية الإسلامية ، من الفقه حيث الرأي والقياس والاجتهاد ، إلى سائر المنجزات العلمية والتطبيقية المتصلة بقواعد السلوك التي تتيح للإنسان ، وتوجب عليه ، تحقيق إنسانيته الأتم ، وعزتِه النوعية الأكمل . وإن النشاط العربي لغوياً ودينياً وتاريخياً ومثالياً في درب وعي الكرامة الآدمية إنما هو إسهام عظيم ، ومشاركة حية في الثقافة العالمية ، ومن ورائها في تقدم ما يسمى الحضارة والمدنية على قدر سواء .

الحضارة والمدنية :

والحق أن في وسعنا هنا أن نستفيد من خصائص لغتنا العربية الغالية ، فَنَمِيْزَ معنى الحضارة ومعنى المدنية أحدَهما عن صاحبه . فالحضارة قيمة إنسانية تدل على ما يغيّر به البشر معطيات الطبيعة . والثقافة جزء من الحضارة ، وإن كانت بعض اللغات تجعل الحضارة والثقافة بمعنى واحد . أما المدنية فإنها الغاية التي تنشدها البشرية كلُها وتتخذها في أيامنا هدفاً مشتركاً أسمى لكل فاعلية حضارية وثقافية معاً . إن الحضارة لا تكون صالحة ، ولا قيمة مبتغاة ، بل قد تمسي شراً ورذيلة وهمجية حين تنحازُ إلى القوة الغاشمة فتغفلُ القيم الإيجابية ، وتزِنُ بميزانين : أحدهما للقوي أو للأقوى .

في الحضارة ثقافة عاجزة إن لم تؤيد بقوة الحق المبين . وفي الثقافة جهود عقلية وفكرية وعاطفية ، يخسر أصحابها ثمار نَصَبهم إذا لم تؤتِ مشاركتهم أُكلها في الحياة وفي الوجود . أما المدنية فهي المفهوم – القيمة المشتركة الأسمى التي تتسق وكرامة الإنسان الفرد ، والإنسان المجتمع . إنها مطمح الأخلاق والقانون والفكر والعمل ، والفلسفة والسلوك . وهي الديمقراطية ، والإخاء ، والتعاضد ، والوفاء : شمولها يمتد من مكافحة المجاعة والأوبئة والتلوث إلى توافر الأمن والرخاء ومساواة الناس بعضِهم بعضاً ، إن لم نقل إحسان الإنسان إلى الإنسان .

وفي هذا الإطار القيمي الرحب ، وعلى هذا النحو من المشاركة التاريخية اللازبة ، تسهم ثقافتنا العربية ، عَبْر لغتنا المعطاء ، إسهاماً وافياً في الثقافة العالمية ، وهو إسهام جدير بالإبانة والتقدير .

أيها السيدات والسادة :

إن هذا كله غيض من فيض رسالة المجمع الخالدة ، ينهض بها قادةٌ أجلّاء مجمعيون .

طبتم عيشاً ، وأفضلتم سَمَاعاً ، وأجملتم صبراً ، فالشكر لكم ، والسلام عليكم.

الحواشي

(١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (مجلة المجمع–المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩) .

(٢) د. عبد الكريم اليافي : حفل استقبال د. عبد الحليم سويدان (مجلة المجمع المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤) .

(٣) أخوان الصفاء : الرسائل – تصحيح خير الدين الزركلي – القاهرة ١٩٢٨ ج٣ الرسالة ١٧ ص١٥٢ .

(٤) جاء على لسان (فؤاد الخطيب) قوله :

وهل لعيوني ، قبل موتي ، أن أرى ... فتى عربياً يأنف الذل مقعدا ؟
يردّ على « أم اللغات » جلالها ... ويجعل للمجد الطريقَ معبَّدا ؟

(المجلة – العدد ٤٠ السنة ٤ أبريل.(نيسان) ١٩٦٠ ص٥٨) .

(٥) د. عبد الحليم سويدان : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع – المجلد ٥٩ ج٣ تموز ١٩٨٤) .

(٦) شفيق جبري : حفل استقبال د. حكمة هاشم بتاريخ ١٩٥٤/٣/٢٥ .

(٧) حفل استقبال د. شكري فيصل بتاريخ ١٩٦٣/٢/١ .

(٨) حفل استقبال د. مختار هاشم بتاريخ ١٩٨٩/٥/١١ (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٤٨) .

(٩) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٥ ج٣ تموز ١٩٨٠) .

(١٠) د. عبد الكريم اليافي : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٥٢ ج٣ تموز ١٩٧٧) .

(١١) د. شاكر الفحام : حفل استقبال د. محمد زهير البابا (المصدر المذكور) .

(١٢) د. إحسان النص : خطابه في حفل استقباله (مجلة المجمع المجلد ٦٤ ج٣ تموز ١٩٨٩ ص٤٩٥) .

(١٣) عبد الكريم زهور : خطابه في حفل استقباله (المصدر المذكور) .

(١٤) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ط٢ دمشق ١٩٦٥ ص٣٢ وص١٧٦ .

(١٥) سورة البقرة /٢٥٥ .

(١٦) سورة يونس /٩٩ .

(١٧) د. جميل صليبا : الإنتاج الفلسفي خلال المائة السنة الأخيرة في العالم العربي (مجلة

المجمع مجلد ٣٦ ج٤ ومجلد ٣٧ ج١) ـ وانظر : الفكر الفلسفي في مائة سنة (هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ـ بيروت ١٩٦٢ ص٣٩٣) .

(١٨) أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت : مختصر تهذيب الألفاظ ـ تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي ـ بيروت ١٨٩٧ ص١١٢ .

(١٩) المعجم العام للعلوم الاجتماعية بإشراف (ج. تينس وآ. لامبرور) باريز ١٩٧٥ ـ مادة أبستمولوجيا .

(٢٠) أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي : فقه اللغة وسر اللغة العربية ـ القاهرة ـ بلاتا ص٢٢٦ .

(٢١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ـ صححه مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٥٥ ص١١ .

(٢٢) المصدر السابق ص١٠٣ .

(٢٣) محمد كردعلي : رسائل البلغاء : كتاب العرب لابن قتيبة ـ (ط٣ القاهرة ١٩٤٦ ص٣٤٤) .

(٢٤) المصدر السابق : يتيمة السلطان لابن المقفع (ص١٤٦) .

(٢٥) شارل لالو : الفن والأخلاق ـ ترجمة عادل العوا ـ دمشق ١٩٦٥ .

(٢٦) عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني : الألفاظ الكتابية ـ القاهرة ١٩٣١ ص٣١ .

(٢٧) سورة الحجرات/١٣ .

في بيان نسبة
كتاب (المنصوري) في الطب

الدكتور شاكر الفحام

١

كان أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي (٢٥١ – ٣١٣هـ)[١] من أشهر علماء عصره ، جمع المعرفة بعلوم القدماء ، ويقول ابن أبي أصيبعة في صفته : « وكان [الرازي] من صغره مشتهياً للعلوم العقلية ، مشتغلاً بها ، وبعلم الأدب ، وبقول الشعر »[٢] . وقد أكبَّ على علم الكيمياء (الصنعة) ، وتمهّر بالطب حتى كان فيه إمام وقته ، وأقبل على دراسة الفلسفة فبلغ فيها الغاية . دبَّر مارستان الريّ ، ثم مارستان بغداد زماناً . وقد ألّف فأكثر وأجاد ، وصنَّف في الطب الكتب النافعة[٣] ، وصنع فهرساً لمؤلفاته نقله ابن النديم في كتابه[٤] ، وتبعه في ذلك القفطي[٥] ، وعاد أبو الريحان البيروني فألف فهرساً لكتب الرازي[٦] . ثم قفّى على أثرهما ابن

(١) فهرست كتابهاي رازي لأبي الريحان البيروني ، تح.الدكتور مهدي محقق : ١ ، ٤ ، ٥

(٢) طبقات الأطباء : ٤١٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم : ٣٥٦ ، طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ ، طبقات الأمم لصاعد : ٨٣ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٥٧ – ١٥٨ .

(٤) الفهرست : ٣٥٧ – ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها ابن النديم : (١٦٧) كتاب .

(٥) أخبار الحكماء : ٢٧٣ – ٢٧٧ .

(٦) فهرست كتابهاي رازي : ٥ – ١٨ ، وبلغ عدد الكتب التي سردها البيروني : (١٨٤) كتاب .

أبي أصيبعة ، وكان كثيراً ما يتبع ذكر الكتاب بيان موضوعه وغرضه[٧] .

ومن أبرز كتب الرازي الطبية : كتاب الحاوي[٨] ، وكتاب المنصوري[٩] .

وقد اختلف مترجمو الرازي في بيان مَنْ نُسب إليه المنصوري الذي ألّف له الرازي كتابه ، ووسمه باسمه . وهذه طائفة من أقوالهم :

١ – قال ابن النديم في الفهرست وهو يتحدث عن الرازي : « ... وبينه وبين منصور بن إسماعيل صداقة ، وله ألّف كتاب المنصوري » .

– ثم عاد فعدّد كتبه فقال : « كتاب المنصوري في الطب ، إلى منصور بن إسماعيل (بن نوح بن نصر من ملوك آل سامان) ...... »[١٠] .

٢ – وقال أبو الريحان البيروني وهو يسرد كتب الرازي : « .... الكناش المنصوري ، عمله لمنصور بن أسد ، قرابة والي خراسان »[١١] .

٣ – وذكر ابن جلجل وهو يعدّد كتب الرازي : « .... ومنها كتابه الذي بعث به إلى المنصور بن خاقان »[١٢] .

(٧) طبقات الأطباء : ٤٢١ – ٤٢٧ ، وبلغ عدد الكتب التي عددها ابن أبي أصيبعة : (٢٣٥) كتاب .

(٨) طبع كتاب (الحاوي) في ثلاثة وعشرين جزءاً ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن – الهند (١٩٥٥ – ١٩٧١م) . ثم طبعته الدائرة طبعة ثانية .

(٩) طبع كتاب (المنصوري) في الكويت (١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م) . وهو من منشورات معهد المخطوطات العربية .

(١٠) الفهرست : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وذكر محقق الكتاب أن ما جاء بين هلالين فهو بخط غير الخط الذي كتبت به المخطوطة .

(١١) فهرست كتابهاي رازي : ٦ .

(١٢) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٧ .

٤ ــ وتحدث ابن أبي أصيبعة فأورد رواية ابن النديم في الفهرست ، ثم قال في موضع آخر : « وصنّف كتابه المنصوري للمنصور بن إسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر » ، وعاد فقال وهو يعدّد كتب الرازي : « كتاب المنصوري : ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان .... »[١٣] .

٥ ــ وقال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن مدينة الريّ : « .... ومن أعيان من يُنسب إليها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم صاحب الكتب المصنفة . مات بالري ، بعد منصرفه من بغداد ، في سنة ٣١١هـ ، عن ابن شيراز »[١٤] . ثم قال بعد ذلك يذكر إسماعيل بن أحمد الساماني[١٥] : « ... فرجع فنزل بظاهر الريّ ، ولم يدخلها ، فخرج إليه أهلها وسألوه أن يتولى عليهم ، ويكاتب الخليفة في ذلك ويخطب ولاية الريّ ، فامتنع .... وارتحل عائداً إلى خراسان في ذي الحجة سنة ٢٨٩ ، ثم جاء عهده بولاية الري من المكتفي[١٦] وهو بخراسان ، فاستعمل على الري من قبله ابنَ أخيه أبا صالح منصور بن إسحاق بن أحمد بن أسد فوليها ست

(١٣) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(١٤) كثر الاختلاف في زمن وفاة الرازي . وذكر أكثر مترجميه أن وفاته كانت سنة ٣١١هـ ، وجعلها البيروني سنة ٣١٣هـ . وانظر بقية الأقوال في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٤٢٠ ، وأخبار الحكماء للقفطي : ٢٧٢ .

(١٥) في معجم البلدان : « أحمد بن إسماعيل » ، ولعله سهو من المؤلف أو الناسخ ، فإسماعيل بن أحمد بن أسد تولى ملك السامانيين (٢٧٩ ــ ٢٩٥هـ) ، وخلفه ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد الذي تولى الملك (٢٩٥ ــ ٣٠١هـ) . انظر تاريخ بخارى للنرشخي : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ــ ١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ٧٤ ، ١١٧ ــ ١١٨ ، ١٤٤ ــ ١٤٥/سنة ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠١هـ .

(١٦) ذكر ابن الأثير أن الخليفة المكتفي (وقد تولى الخلافة : ٢٨٩ ــ ٢٩٥هـ) أنفذ عهداً إلى إسماعيل بن أحمد الساماني بولاية الري ، فسار إليها وبها محمد بن هارون ، فكانت بينهما وقعة ، فانهزم محمد ، ودخل إسماعيل الري (الكامل ٦ : ١٠٤ ، ١٠٧/سنة ٢٨٩ ، ٢٩٠هـ) .

سنين ، وهو الذي صنف له أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم كتاب المنصوري في الطب ، وهو الكناشة . وكان قدوم منصور إليها في سنة ٢٩٠ »[١٧] .

٦ – ونقل القفطي وهو يترجم لأبي بكر الرازي مقالة ابن جلجل في تفسير نسبة المنصوري ، ثم عاد فنقل عبارة ابن النديم[١٨] .

٧ – أما ابن خلكان فقال في ترجمة الرازي : « .... وله أيضاً كتاب المنصوري المختصر المشهور .... وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد[١٩] بن أسد بن سامان ، أحد الملوك السامانية ، فنسب الكتاب إليه .... وكانت وفاة أبي صالح المذكور في شوال سنة ٣٦٥هـ[٢٠] ، وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به . ثم رأيتُ نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره : ان المنصور الذي وسم الرازيّ هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح[٢١] ، من ولد بهرام كور ، صاحب كرمان وخراسان ، وكنيته أبو صالح ... »[٢٢] .

٨ – وقال الصفدي متحدثاً عن المنصوري : « صنفه لأبي صالح منصور بن نوح أحد ملوك السامانية »[٢٣] .

(١٧) معجم البلدان (الريّ) .

(١٨) أخبار الحكماء : ٢٧٢ .

(١٩) أسقط ابن خلكان اسم أحمد الساماني الملقب بالشهيد . والصواب : نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد .... » . وقد تولّى أحمد بن إسماعيل الملك سنة (٢٩٥ – ٣٠١هـ) . انظر الحاشية السابقة رقم (١٥) .

(٢٠) وهذا التاريخ يخالف رواية ابن الأثير الذي جعل وفاة أبي صالح في منتصف شوال سنة ٣٦٦هـ . (الكامل ٧ : ٨١/سنة ٣٦٦هـ) . وانظر تاريخ بخارى : ١٣٣ ، ١٤٣ .

(٢١) الصواب : أحمد بن أسد .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٥٨ ، ١٦٠ .

(٢٣) الوافي بالوفيات ٣ : ٧٦ ، نكت الهميان : ٢٤٩ .

٩ – وقال الذهبي وهو يترجم للرازي : « وكتاب المنصوري ، صنفه للملك منصور بن نوح الساماني »[٢٤] .

١٠ – وتحتفظ نسختان من مخطوطات (المنصوري) التي اعتمدها محقق الكتاب بذكر الأمير الذي وسم الكتاب باسمه :

– جاء في نسخة تيمور : « .... قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : إني جامعٌ للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل بن أحمد .... » .

– وجاء في نسخة الأوقاف : « قال أبو بكر محمد بن زكريا المتطبب الرازي رحمه الله : إني جامع للأمير سيدي وابن سيدي أبي صالح منصور بن إسحاق – أطال الله بقاءه – في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ، ومتحرٍّ في ذلك الاختصار والايجاز .... »[٢٥] .

– ويذكر الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل أن مخطوطة الخزانة التيمورية تذكر في مقدمتها : « أما بعد فإني جامع للأمير منصور بن إسحاق بن أحمد في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكتاً وعيوناً في صناعة الطب ... » ، ويماثلها ما جاء في نسخة آقاي حسين بطهران[٢٦] .

٢

إن أقصر الطرق وأسلمها لحل هذا الخلاف هو العودة إلى كتب التاريخ . ونستطيع أن نتبين من مجمل ما قاله المؤرخون في حديثهم عن ملوك السامانية الذين قامت دولتهم في ما وراء النهر ، ثم ضموا إليها خراسان ، وكانت بخارى كرسيَّ مملكتهم ، وعلى هدي ما جاء في مقدمة كتاب

(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٥٤ .

(٢٥) المنصوري في الطب (ط.الكويت – ١٩٨٧م) : ١٧ .

(٢٦) طبقات الأطباء لابن جلجل : ٧٩ .

المنصـــوري (مخطـوطـة الأوقاف ، ومخطوطة الخزانة التيمورية التي ذكرها الأستـاذ فؤاد سيد) أن الأمير الذي أهدى أبو بكر الرازي كتابه إليه ، ووسمه باسمه هو أبو صـــالح منصـور بن إسحـاق بن أحمد بن أسـد [بن سـامان] ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، وتسقط الأقوال الأخرى التي أثبتهـا مترجمو الرازي ، لأنها تخالف حيناً ما أطلعنا عليه في كتب المؤرخين من أنساب السامانيين ، ولا تلائم الوقائع والأحداث حيناً آخر . ولقد شعر بالحرج المؤرخ الكبير ابن خلكان حين نسب المنصوري إلى أبي صـــالح منـصـور بن نوح الذي تولى المـلك سـنـة (٣٥٠ – ٣٦٦هـ)[٢٧] ، ولجأ إلى التكلف والتخمين ليصحح الرواية فقال : « وكان قد صنف له الرازي الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل به » .

٣

وهذه كلمة في التعريف بالأمير أبي صالح منصور .

كان أبوه إسحاق بن أحمد بن أسد بن سامان أمير سمرقند وفرغانة ، ولما تولّى ملك السامانيين أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد (٢٩٥ – ٣٠١هـ) خلفاً لأبيه إسماعيل ، خاف عمَّه إسحاق فسجنه ثلاث سنين (٢٩٥ – ٢٩٨هـ) ، ثم أطلقه[٢٨] .

وقد استولى أبو نصر أحمد على سجستان سنة ٢٩٨هـ ، فولّى ابن عمه أبا صـــالح منصـور بن إسحاق عليها ، فظلَّ بها حتى ثار الناس في سجستان سنة ٣٠٠هـ وحبسوه ، ثم أُفرجوا عنه بعد أن عادوا إلى الطاعة .

وتولى أبو صـــالح نيســابور سنـة ٣٠٠هـ[٢٩] ، ولما قُتل ابن عمه

(٢٧) الكـامل لابن الأثير ٦ : ٣٥٩ ، ٧ : ٨١/سنـة ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، وانظر الحاشية السابقة رقم (٢٠) .

(٢٨) الكامل ٦ : ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٥/سنة ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١هـ .

(٢٩) الكامل ٦ : ١٣٧ ، ١٤١ – ١٤٢/سنة ٢٩٨ ، ٣٠٠هـ .

أبو نصر أحمد بن إسماعيل ملك السامانية سنة ٣٠١هـ ، واضطربت الأمور على الملك الساماني الجديد الصغير أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل (٣٠١ – ٣٣١هـ) وكثر المخالفون ، رفع الأمير منصور راية الخلاف في نيسابور سنة ٣٠٢هـ ، ولكن الأيام لم تمهله ، فمات في السنة نفسها (سنة ٣٠٢هـ) ، وقيل : مات مسموماً[٣٠] .

وتبقى رواية ياقوت في أن أبا صالح منصور بن إسحاق قد ولي الري ست سنين (٢٩٠ – ٢٩٦هـ) ، فهذه الرواية تفرد بها ياقوت ، ولم أجد فيما اطلعتُ عليه من كتب المؤرخين ما يعضدها او ينفيها .

وقد عُرف ياقوت بسعة الاطلاع ، ووفور المعرفة ، وتمكنه من مراجعة خزائن الكتب الغنية بالمؤلفات النفيسة النادرة ، فأكمل بكلمته عن أبي صالح ما كان أغفله المؤرخون حين عددوا ولاة الري ، وتحدثوا عن أحداثها .

وقد صنف أبو بكر الرازي للأمير أبي صالح منصور بن إسحاق كتاباً ثانياً هو كتاب الطب الروحاني . وقصّ في مفتتحه بيان سبب تأليفه فقال : « جرى بحضرة الأمير – أطال الله بقاءه – ذكرُ مقالة عملتُها في إصلاح الأخلاق ، سألنيها بعضُ إخواني بمدينة السلام أيام مقامي بها ، فأمر سيدي الأمير – أيده الله – بإنشاء كتاب يحتوي على جُمَل هذا المعنى بغاية الاختصار والايجاز ، وأن أَسِمَه بالطب الروحاني ، فيكون قريناً للكتاب المنصوري الذي غرضُه في الطب الجسماني ، وعديلاً له ، لما قدَّر – أدام الله عزّه – في ضمّه إليه من عموم النفع ، وشموله للنفس والجسد .... »[٣١] .

---

(٣٠) تاريخ بخارى : ١٢٧ ، الكامل لابن الأثير ٦ : ١٤٨ – ١٤٩/سنة ٣٠٢هـ .

(٣١) رسائل فلسفية ، تح.كراوس (القاهرة – ١٩٣٩م) ١ : ١٥ .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام ١٩٩٢م (جُمادى الآخرة ١٤١٢هـ)
أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٦٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٦٨
الدكتور شاكر الفحام «نائب الرئيس»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٦
الدكتور إحسان النص	١٩٧٩

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

ب ـ الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي	١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
الدكتور صالح الخرفي	١٩٨٦

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر	١٩٥١

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر	١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب	١٩٨٥

تاريخ دخول المجمع

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق	١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجت الأثري	١٩٣١
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٤٨
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٨٥

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

	تاريخ دخول المجمع
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
المملكة المغربية	
الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الجمهورية العربية اليمنية	
الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

ج ـ الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
الاتحاد السوفيتي	
الدكتور غريغوري شرباتوف	١٩٨٦
اسبانية	
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٤٨
إيران	
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٧٧
الدكتور فيروز حريرجي	١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
ايطالية	
الأستاذ غبريلي (فرنسيسكو)	١٩٤٨
باكستان	
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٦٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	١٩٨٦
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧
الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو	١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
السويد	
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٦٥
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	١٩٨٥
فرنسة	
الأستاذ اندره ميكيل	١٩٨٦
فنلانده	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	١٩٢٣
النروج	
الأستاذ موبرج	١٩٢١
النمسا	
الأستاذ جير	١٩٢١
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٥٤
الهند	
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧
الدكتور مختار الدين أحمد	١٩٨٥
الدكتور عبد الحليم الندوي	١٩٨٦

رؤساء المجمع الراحلون	**مدة تولّيه رئاسة المجمع**
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥

	تاريخ الوفاة
الدكتور شكري فيصل « أمين المجمع »	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح « رئيس المجمع »	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

	تاريخ الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
جمهورية السودان	
الشيخ محمد نور الحسن	
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الجمهورية العراقية	
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كال	١٩٣٢
الأستاد حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١

	تاريخ الوفاة
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي .	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د. س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا.ر.)	١٩٧١

تاريخ الوفاة

بولونية

الأستاذ (كوفالسكي) ١٩٤٨

تركية

الأستاذ أحمد اتش

الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢

تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤

الدانمرك

الأستاذ بوهل (فرانز) ١٩٣٢

الأستاذ استروب (يحيى) ١٩٣٨

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٧٤

السويد

الأستاذ سيترستين (ك. ف) ١٩٥٣

سويسرة

الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧

الأستاذ هيس (ح. ح) ١٩٤٩

فرنسة

الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤

الأستاذ مالانجو ١٩٢٦

الأستاذ هوار (كليمان) ١٩٢٧

الأستاذ غي (ارثور) ١٩٢٨

الأستاذ ميشو (بلير) ١٩٢٩

الأستاذ بوفا (لوسيان) ١٩٤٢

الأستاذ فران (جبرييل) ١٩٥٣

الأستاذ مارسيه (وليم) ١٩٥٦

تاريخ الوفاة

الأستاذ دوسو (رينه) ١٩٥٨

الأستاذ ماسينيون (لويس) ١٩٦٢

الأستاذ ماسيه (هنري) ١٩٧٠

الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

الأستاذ كولان (جورج)

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٨٣

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ اراندونك (ك فان)

الأستاذ هوتسما (مارتينوس
تيودوروس) ١٩٤٣

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأميركية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأخير من عام ١٩٩١

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

ـ **آثار الشابي وصداه في الشرق** ـ أبو القاسم محمد كرّو ـ دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨م .

ـ **أجمل قصص الأطفال** (**جزءان**) ـ ترجمة وتقديم د. عبده عبود ، وفريزة التجار ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **أدهم إسماعيل قراءة في ثلاثة أبعاد** ـ خليل صفية ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **الأرض وأسرارها** ـ جورجيت بارتلمي ، ترجمة المهندس ميشيل خوري ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

ـ **أساطير جبل كومكانغ** ـ ترجمة سامي كعكي ـ دار النشر باللغات الأجنبية ، بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

ـ **الاشتراكية** ـ إعداد وتقديم محمد كامل الخطيب ـ منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الأول في قسمين)** - تأليف ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ، تحقيق يحيى زكريا عبّارة - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- **أعلام الموسيقى الرومانتيكية** - ميلتون كروس ، ترجمة أبية حمزاوي - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- **أفلامنا وأفلامهم** - تأليف ساتيا جيت راي ، ترجمة عبد الكريم ناصيف - منشورات وزراة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ١٩٩١ .
- **اقتصاد الانتفاضة الوطنية العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة** - د. عصام الزعيم - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- **الإملاء المختصر في شرح غريب السير (٣ أجزاء)** - أبو ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود الخشني ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني - دار البشير .
- **أمير المدينة الفضائية** - جان السيندريني ، ترجمة عطا نعيسه - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .
- **إنسان ومال (حكاية مصورة)** - رسم تشاي زوسوب - دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .
- **أوجه التشابه الواجب توافرها بين الدول الساعية لتأسيس مجموعات إقليمية** - أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (الدورات) - مدريد ١٤١٠هـ ، الرباط ١٩٩٠م .
- **الإوزة البيضاء وقصص أخرى** - بول جيليكو ، وجولس فيرن ، ترجمة أديب الإنكليزي - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،

دمشق ١٩٩١ .

– **بيان اللجنة التمهيدية إلى العالم العربي (دائرة المعارف العربية)** – رئيس اللجنة عضو المجمع العلمي العربي بدمشق رشيد بقدونس (المتوفى سنة ١٩٤٣) .

– **البيت الأخضر** – ماريو فارغاس ليوسا ، ترجمة رفعت عطفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **تطوير الإعلام في الدول العربية الاحتياجات والأولويات** – إعداد يحيى أبو بكر ، سعد لبيب ، حمدي قنديل – اليونسكو .

– **التقنين الدولي للوصف الببيليوغرافي (المواد الخرائطية)** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

– **التيسير في المداواة والتدبير** – أبو مروان عبد الملك بن زهر ، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، الرباط ١٩٩١ .

– **الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ ، دراسات وأبحاث** – عدد من الباحثين والمحاضرين ، صنفت المحاضرات ونسقتها باسمة الجزائري – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **ثلاث سنوات ومائتان وواحد وتسعون يوماً** – سيرو خزاتيان ، ترجمة نزار خليلي ، مراجعة شوكت يوسف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **جذور الحجارة (قصص)** – فائز الزبيدي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الجمال الأسود** – آنا سويل ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **جيمس والدرّاقة الضخمة** – رولد داهل ، ترجمة هاني الصالح –

منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حركة الإصلاح بتونس في الثلث الأول من القرن العشرين** – ندوة دولية أيام ٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ اكتوبر ١٩٩١ بدار الثقافة ابن خلدون ، تونس .

– **الحركة العمالية** – آلان تورين ، ميشيل فيفوركا ، فرانسوا دوبيه ، ترجمة عيسى عصفور – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الحظ السعيد والعاثر لمول فلاندرز الشهيرة** – دانييل ديغو ، ترجمة خالد حداد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الحق في الاتصال : تقرير عن الوضع الحالي** – تقارير ودراسات في مجال الاتصال الجماهيري – اليونسكو .

– **حكايات جديدة لجدتي نعمت** – نعمت فوق العادة الحفار – منشورات وزراة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حلب ، أسواق المدينة ١٩٢٧ – ١٩٨٠** – الدكتور محمود حريناني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **حل مسألة الضرائب في كوريا** – الدكتورة المرشحة كيم يونغ هي – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

– **حول مهمات الشباب في بناء الاشتراكية** – كيم ايل سونغ – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

– **دراسات في الأدب والنقد** – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٨٩ .

– **دراسات في التاريخ والتراث** – أبو القاسم محمد كرو – منشورات دار

المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ١٩٩١ .

– **رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية** – أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا الوزير ، تحقيق محمد سواعي – دمشق ١٩٩١ .

– **سعيد ودراجته** – ريشارد بوت ، تعريب أديب الإنكليزي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **السياسي الأديب يوسف غنيمة ، حياته ، آثاره ، عصره** – حارث يوسف غنيمة – بغداد ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

– **شجرة الأماني (قصص للأطفال)** – وليم فولكنر ، ترجمة صلاح مزهر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **صفحات من تاريخ البعث ، دورات مجلس الحزب ١٩٤٧ – ١٩٥٧** – جورج صدقني – دار طلاس ، دمشق ١٩٩١ .

– **ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية** – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة الدورات) ، فاس ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

– **طبيعة الكون** – كليف كيلمستر ، ترجمة المهندس محمد بشار حكمت البيطار – منشورات وزراة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١م .

– **ظلال الطيور الهاربة (قصص وروايات عربية)** – جنان جاسم حلاوي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **العرب وابن خلدون** – أبو القاسم محمد كرّو – دار المغرب العربي ، تونس ، بيروت ١٩٨٨ .

– **عمدة الطبيب في معرفة النبات (في قسمين)** – أبو الخير الإشبيلي ،

قدم له وحققه محمد العربي الخطابي – أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ١٩٩٠ .

– **العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي** – الدكتور جورج جبور ، دمشق ١٩٩١ .

– **عودة الرجل الغريب (قصص وروايات عربية)** – حسن صقر – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **فاتح المدرس فن حديث بروح تعبيرية** – طارق الشريف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **فسر المولى وحصر معانيه والكشف عن حقيقة ما قيل فيه** – تأليف أبي الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرِّزي ، تحقيق الدكتور حمد بن ناصر الدخيل – الرياض ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

– **قانون البحار وتطبيقاته في الدول العربية** – الدكتور إدريس الضحاك – الرباط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

– **قصص من العالم (جزءان)** – عدد من المؤلفين ، ترجمة غادة بلدي ، ومنتهى حسن حديفة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **القوة العاملة والتخطيط لها وتطبيقاته على واقع القطر العربي السوري** – الدكتور مصطفى العلواني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **كارل غوستاف يونغ ، الأساسيات في النظرية والممارسة** – إيلي هومبيرت ، ترجمة وجيه أسعد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **كاشف هم الويل في معرفة أمراض الخيل ، أو كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة المعروف بالناصري** – تأليف أبي بكر بن بدر الدين البيطار ،

تحقيق الدكتور عبد الرحمن الدقاق – دار النفائس ، بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .

– **الكتاب السنوي للإحصاءات التربوية في الوطن العربي ١٩٨٨ – ١٩٨٩** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

– **محمد الهادي المدني شاعر الوطنية والوفاء** – أبو القاسم محمد كرو – تونس ١٩٩١ .

– **مختصر لآلىء العرب (الجزء الأول)** – ألفه سالم خليل رزق ، حققه محمد المصري والدكتور علي أبو زيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **المراثي** – محمد بن العباس اليزيدي ، تحقيق محمد نبيل طريفي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **مستدرك الفهرس التاريخي للمؤلفات التونسية** – أبو القاسم محمد كرو – بيت الحكمة قرطاج ١٩٨٨ .

– **مسرح الأطفال فلسفة ومنهج** – موسى كولدبرغ ، ترجمة صفاء روماني – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **المعجم العربي الأمازيغي (الجزء الأول أ – ض)** – محمد شفيق – أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة (معاجم) ، الرباط ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

– **المُعَلِّم ومرغريتا** – ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق – دار رادوغا ، موسكو ١٩٩٠ .

– **مَعْلَمة الملحون (الجزء الثاني – القسم الأول)** – تأليف محمد الفاسي – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (سلسلة التراث) ، الرباط ١٩٩١ .

– **مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده** – خير الله سعيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **ملتقى ابن منظور الإفريقي ، دراسات الملتقى الثاني ١٩٧٢ في اللغة والأدب والتاريخ** – نخبة من الأساتذة – دار المغرب العربي ، تونس ١٩٧٤ .

– **المنسنيور كيشوت** – غراهام غرين ، ترجمة شاهر حسن عبيد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الموسوعة الصحفية العربية ، الجزء الثاني : مصر ، السودان ، الصومال** – د. عواطف عبد الرحمن ، د. نجوى كامل ، د. عاطف عدلي العبد ، د. صلاح عبد اللطيف – تونس ١٩٩١ .

– **الموسيقى في سورية أعلام وتاريخ** – صميم الشريف – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **موضوعات حول التخطيط والتنمية في الوطن العربي** – د. عصام خوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **نشرة الإيداع (يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٨)** – دار الكتب القومية ، قسم البيبلوغرافيا القومية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

– **نشوء الرواية** – إيان واط ، ترجمة عبد الكريم محفوض – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **الولد الصغير المشاكس** – فيصل الحجلي – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ١٩٩١ .

– **يوميات يوسف غنيمة (رحلة إلى أوربة ١٩٢٩)** – اختارها وعني بها حارث يوسف غنيمة – بغداد ١٩٨٦ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٢٧٩ ـ ٢٩٠	١٩٩١	سورية
تاريخ العلوم العربية	١ ، ٢	١٩٩١	سورية
التراث العربي	٤٢ ، ٤٣	١٩٩١	سورية
الثقافة	تشرين أول ، تشرين ثاني ، كانون أول	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	٣٥ ـ ٤٦ ، ٤٨	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٥ ، ٢٨٦	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٤	١٩٩١	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٢ ، ١٣	١٩٨٩	سورية
المجلة البطريركية	١٠٧	١٩٩١	سورية
المجلة الطبية العربية	١١٢	١٩٩١	سورية
مجلة القانون	١ ـ ١٠	١٩٨٩	سورية
المعرفة	٣٣٦ ـ ٣٣٩	١٩٩١	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٣	١٩٩١	سورية
آفاق علمية	٣٣	١٩٩١	أردنية
المجلة العربية للإدارة	١/١٥	١٩٩١	أردنية
مآب	٨	١٩٩١	أردنية
مؤتة للبحوث والدراسات	١ ، ٢	١٩٩١	أردنية

الموسم الثقافي الثامن	–	١٩٩٠	أردنية
دراسات	٣	١٩٩١	الإمارات العربية المتحدة
المنتدى	٩٨	١٩٩١	الإمارات العربية المتحدة
الحياة الثقافية	٦١	١٩٩١	تونس
نشرة المقتنيات الجديدة	٦ ، ٧	١٩٩١	السعودية
الدراسات الفلسطينية	٧	١٩٩١	لبنان
الشراع	٤٩٠ ـ ٥٠٣	١٩٩١	لبنان
الارشاد	٧ ، ٨	١٩٩١	المغرب
دراسات سيميائية	٥	١٩٩١	المغرب
دعوة الحق	٢٨٣ ، ٢٨٤	١٩٩١	المغرب
الوحدة	٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥	١٩٩١	المغرب
تراثنا	٦	١٩٩١	إيران
نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٥ ، ٢٦	١٩٩١	تركيا
جمهورية كوريا	١٧	١٩٩١	كوريا
ثقافة الهند	٤	١٩٩٠	الهند

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

1 - BOOKS:

- Droit International, Bilan et perspectives/par M; Bedjaoui. - Paris, unesco, 1991, Tomes I - 2.
- Cartes, Plans et Fortifications Hispaniques De La Tunisie, (XVIé - XIXés.)/par: Juan Bta. Vilar. - Universidad de Murcia 1991.
- Les Musulmans de Valence et la Reconquéte (XI - XIII siecles)/par: Pierre Guichard. - Damas, 1991, Deuxieme Tome, (publ. par: Institut Francais De Damas).
- The Museum of Oriental Art, Moscow. Leningrad: Art Publishers, 1988.
- Al - Zahrawi's Al - Tasrif, commemorating its millenary Appearance/by: Sami Hamarneh, off - print of Hamdard Quarterly Journal of Science and medicine. Vol. XXXIII/April - june, 1990, No.2.
- Mondo arabo - islamico, profilo di un risveglio incompito/par: antonio Pellitteri, publ. by: cultura nuova libri, italy, 1991.

2 - Periodicals:

- Bulletin D'Etudes Orientales, De grammaire De L'Arabe Aux Grammaires Des Arabes/publ. by: Institut Francais De Damas, 1991, Tome: XLIII, Année, 1991.
- Asie et Afrique aujourd'hui, nos.: 2,5,1991, Moscou.
- Sources unesco, nos. 30,31,1991, Paris, unesco.
- Espana, revue d'information de L'O.I.D, NO.215, nov., 1991.
- Hamdard Islamicus, a quarterly journal at madinat alhikmat, pakistan, no.3, Autumn 1991, vol. xiv.
- Natural Resources and Development, A Biannual collection of recent german contributions concerning the exploration and exploitation of natural Resources/issued by: Institute for scientific co - operation, Tubingen, vol. 34,1991.
- Social sciences quarterly review, issued by: U.S.S.R Academy of sciences no.i, 1991.

– Durham university journal, july, 1991.

– Lettera Dall' Italia, publ. by: Insttito della enciclopedia italiana fo--nd da G. Treccani, Anno vI, no. 23, LUglio – settembre 1991.

– Acta Biologica Cracoviensia, publ. by/Polska Akademia Nauk, Warsszawa. series: Botanica, vol.: xxxI, series: zoologia, vol. xxxI, 1991.

فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والستين

(المقالات)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

رمضان ١٤١٢هـ
نيسان (أبريل) ١٩٩٢م

كتب الأنساب العربية
(٤)

كتاب « القَصد والأمَم
في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم »
لابن عبد البَرّ النَّمَرِي (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)

الدكتور إحسان النص

المؤلف(*) :

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البَرّ النَّمَرِي النسب (من النمِر بن قاسط ، إحدى قبائل ربيعة) ، القرطبي الدار ، إمام عصره في الحديث حفظاً وفقهاً وتأليفاً ، مع الاطلاع الواسع على المعارف الأخرى كالأدب والتاريخ والقراءات والأنساب .

ثمة خلاف في سنة ولادته وسنة وفاته ، والجمهور على أنه ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ وفيها طلب العلم وتفقّه على أيدي طائفة من علمائها ، وممّن أخذ عنهم ولزمهم أبو عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه الإشبيلي ، والحافظ أبو الوليد ابن الفَرضي ، وقد أخذ عنه كثيرًا من علمه في الحديث وتراجم الرجال . وروى عن جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو القاسم خَلف بن

(●) نشرت الأقسام : الأول والثاني والثالث في مجلة المجمع (مج٦٤ ، ج٤/مج٦٥ ، ج٣/مج٦٦ ، ج٣) .

(*) من مصادر ترجمته : بغية الملتمس للضبيّ ص٤٧٤ ، وقد جعل مولده سنة ٣٦٢هـ ووفاته في سنة ٤٦٠هـ ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٧ ص٦٦ ؛ الصلة لابن بشكوال ٦٧٧/٢ ؛ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ص٣٥٧ ، شذرات الذهب ٣١٤/٣ .

القاسم[١] ، وعبد الوارث بن سفيان ، وأبو عمر المعروف بابن الباجيّ[٢] ، وسعيد بن نصر[٣] .

حين اضطربت الأمور في قرطبة إبّان الفتنة التي أثارها النزاع بين أمراء بني أمية على الحكم ، والنزاع بين العرب والبربر ، والتي أودت أخيرًا بحكم الأسرة الأموية في الأندلس وقيام دويلات الطوائف سنة ٤٢٢هـ غادر ابن عبد البر قرطبة – ولا تعرف على وجه الدقة سنة مغادرته لها – وأخذ يتجول في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا ، ويتنقل بين مدن دانية وبلنسية وشاطبة وغيرها ، وتولّى أثناء ذلك القضاء بمدينتي الأشبونة وشنترين في أيام الملك المظفّر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ) ، وتوفي أخيرًا بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣هـ .

نال أبو عمر مكانة رفيعة في عصره فقصده طُلاّب العلم ورحل إليه الناس فسمعوا منه وأخذوا عنه ، وممّن أخذوا عنه أبو العبّاس الدلائي ، وأبو محمد بن حزم مؤلف كتاب « الجمهرة في النسب » ، والحافظ محمد بن فتّوح الحُميدي مؤلف كتاب « جذوة المقتبس » ، وأبو عليّ الغسّاني . وقد أثنى عليه الكثير من العلماء ، ومنهم القاضي أبو الوليد الباجّي الذي قال فيه : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البرّ في الحديث » وقد جعله أحفظ أهل المغرب[٤] ، وقال فيه ابن حزم :

(١) ضبط اسمه في ترجمة ابن عبد البر في بغية الملتمس (ص٤٧٤) : أبو القاسم خالد بن القاسم ، والصواب : خلف بن القاسم كما ورد في مصادر أخرى وفي البغية أيضاً في ترجمته (ص٢٧٢ – ٢٧٤) وذكر فيها أنه يعرف بابن الدبّاغ

(٢) ضبط في الوفيات (٣٤٨/٢ط بولاق) : أبو عمرو الباجي ، وقد رجّحت ما وجدته في الصلة (١١/١) وبغية الملتمس (الترجمة رقم ٤٢٣) .

(٣) كذا ضبط اسمه في بغية الملتمس (ص٣٠١ وص٤٧٤) وكنيته أبو عثمان ، وفي وفيات الأعيان : سعيد نصر ، والأول أصح . (وفيات ٦٦/٧) .

(٤) الصلة لابن بشكوال ص٦٧٧ .

« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله »[٥].

صنّف ابن عبد البر الكثير من الكتب في الحديث والرجال والمغازي والنسب والقراءات ، ومن كتبه المطبوعة : « الدُرر في اختصار المغازي والسير » و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وهو في تراجم صحابة الرسول عليه السلام ، و« جامع بيان العلم وفضله » و« الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء » ، وقد تحدّث فيه عن الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي ، و« القَصد والأَمم » و« الإنباه على قبائل الرواة » وكلاهما في الأنساب ، وهما موضع حديثي هنا ، وكتاب « الإنصاف فيا بين العلماء من اختلاف » و« الكافي في الفقه » ، ومن أضخم كتبه كتاب « التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد » في عشرين مجلّدة ، ولم يعثر عليه كاملاً ، وكتاب « الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار » وقد طبع قسم منه . وفي كتاب « وفيات الأعيان » لابن خَلّكان نقول من بعض كتبه .

الكتاب :

الكتاب صغير الحجم ، يقع في زهاء ثلاثين صفحة ، فهو أدنى إلى أن يكون رسالة . وموضوع الكتاب وضّحه المؤلف في مقدمته فقال : « أمّا بعد ، فإني أذكر في هذا الكتاب بعون الله إن شاء الله ، أصول أنساب الأمم من العرب والعجم ، وما تداخل من بعضهم في بعض ، على تباعد البلدان ، ومرّ الدهور والأزمان ، إذ لا يُحصي فروعَهم وجماعتهم إلا الله خالقهم الذي هو بكل خلق عليم ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ... »[٦].

ويتّضح من هذا الكلام أن غاية المؤلف في كتابه بيان أصول أنساب الأمم كلها ، فالكتاب ليس وقفاً على أنساب العرب ، وهو لا يعنى بتفصيل

(٥) المصدر السابق .
(٦) الكتاب ، ص٨ .

الأنســاب وإنما يتّجه فقط إلى بيان أصول الأنساب عامة ، ولهذا جاء الكتاب موجزًا إذ لا نجد فيه حديثًا مفصّلاً عن أنساب العرب .

بدأ المؤلف حديثة ببيان تناسـل أمم العالم كلها من ذريّة نوح عليه السـلام وأبنائه الذيـن أنسلوا وهم : سام وحام ويافث ، وهو قول جمهور النسّابين ، ثم يقدّم بعض التفصيل عن أبناء نوح ، فيروي عن ابن عبّاس قوله : « ولد نوح ســامًا وفي ولده بياض وأُدمة ، وحامًا وفي ولده سواد وبياض قليل ،ويافثَ وفي ولده الشقرة والحمرة »(٧) .

ثم يذكر ما ذهب إليه جمهرة النسّابين من أن العرب هم من نسل سام ، ويروي عن سعيد بن المسيّب قوله : « ولد نوح ثلاثة : سامًا ويافثَ وحامًا ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة ، فولدَ ، سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر » . ويشير المؤلف إلى بعض ما اختلف فيه النسابون بشأن تناسل الأمم من أبناء نوح الثلاثة .

وبعد هذا الإجمال ينتقل إلى التفصيل في أصول الأمم ، بادئًا بالعرب وهو يعرض لموضوع كان يشغل بال القوم في ذلك الحين وهو أول من تكلّم بالعربية ، فيذكر مختلف الآراء بهذا الشأن ، هل هو جبريل عليه السلام وقد ألقاها على لسان نوح ، ونوح ألقاها على لسان ابنه سام ، أو أنه آدم ، أو لعـلّهـا قبيـلة جرهم التي كان بعض رجالها في سفينـة نوح ، أو أنه عمليق بن لاوذ ، إلى غير ذلك من الأقوال . ثم يذكر انقسام العرب إلى عـاربة ، وهي القبـائل العربيـة التي بادت وانقرضت كعـاد وثمود وطسـم وجَديس ، ومستعربة ، وهم بنو إسماعيـل الذين أخذوا العربيـة عن قبيلة جرهم . ويفيض بعد ذلك في أخبار العرب العاربة وينقل مختلف الأقوال المتصـلة بأنســابها وتاريخهـا وأخبـارها ، ثم يروي الأخبـار المتصـلة بولد

(٧) نفسه ، ص٩ .

إسماعيل ، وهم العرب المستعربة ، ويقرّر أن « العربية الفصيحة التي في ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان هي التي ألهمها اللهُ إسماعيل »[٨] ، وإسماعيل ، في رأي بعضهم ، هو أول من وضع الكتابة العربية ، ويتّجه المؤلف أخيراً إلى تقرير أن آدم أول من تكلم بالألسن كلّها وأوّل من وضع الكتاب لأنه عُلّم اللغات وعُلّم الأسماء كلّها ، ويستشهد بالآية الكريمة : ﴿ وعَلّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾[٩] (البقرة ٣١) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تعداد أبناء سام وكم عُمّر كلٌّ منهم ، فأرفخشذ مثلاً عُمّر أربعمئة وخمساً وستين سنة . ثم يتحدّث عن ولد إبراهيم وولد إسماعيل ويعود ثانية إلى موضوع أول من كتب بالعربية وينقل أقوالاً مختلفة بهذا الصدد .

ولمّا فرغ من سام وأولاده انتقل إلى حام وولده ، ويعلّل سواده وسواد أولاده بما ذكره بعضهم من أنّ أباه نوحًا دعا عليه بتشويه ولده وسواده ، وأن يكون أولاده عبيدًا لأولاد سام . ثم يثبت المؤلف أقوال طائفة من النسّابين المتصلة بأبناء حام ، والخلاف في أولاد حام والأمم المتناسلة منهم ، وهو يجعل من أبناء حام البربر والزنج والحبشة والنوبة والسند وغيرهم ، وجُلّهم من نسل كنعان بن حام ، ووضّح ما وقع من الاختلاف في نسب البربر ، وعنده أن أثبت ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام[١٠] ، ونفى انتماء البربر إلى قبيلة قيس عيلان . أمّا فراعنة مصر فالنسابون يتفقون في أنهم من ولد حام[١١] .

ثم يقف بعد ذلك عند يافث وولده ، ويجعل من ولده اليونانيين ،

(٨) الكتاب ، ص١٦ .
(٩) نفسه ، ص١٨ .
(١٠) نفسه ، ص٢٤ .
(١١) نفسه ، ص٢٧ .

وهم الروم الأولى ، والروم الثانية ، والفرس ، والأكراد ، والبرجان ، والديلم ، والترك ، والصقالبة ، والصُغد ، والصين . ويذكر مختلف الأقوال في أصولهم النَّسَبيَّة ، وكذلك يجعل من ولد يافث يأجوج ومأجوج وهم « أمم لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم »[١٢] .

هذا ملخص ما جاء في كتاب المؤلف ، ومنه يتضح أنه جمع فيه أقوال النسّابين والأخباريين المتصلة بأصول أنساب الأمم ، وبين هذه الأقوال اختلاف كثير لأنها لا تقوم على أصول علمية ثابتة . وكان المؤلف يدلي أحيانًا برأيه فيرجّح قولاً على قول أو ينفي بعض المرويّات ، على أنه ، بوجه عام ، يتّجه إلى الرواية والنقل أكثر ممّا يتّجه إلى النقد وتمحيص الأخبار .

والنهج الذي سار عليه هو إيراد أقوال أهل النسب والأخبار بأسنادها ، وهي طريقة المحدّثين ، ونحن نعلم أن المؤلّف كان إمامًا في الحديث وروايته .

وقيمة الكتاب هي في كونه يعرض لنا مختلف أقوال الأخباريين والنسّابين في أصول الأنساب .

طبع الكتاب بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٥٠هـ وعنيت بنشره مكتبة القدسي ، وقد ألحق به كتاب آخر لابن عبد البر في الأنساب هو كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » ، وهو موضع حديثي الآن .

---

(١٢) نفسه ، ص٣٨ .

كتاب

الإنباه على قبائل الرواة
لابن عبد البر

الكتاب :

لم يقصد ابن عبد البر من تأليف هذا الكتاب بيان أنساب العرب عامة وإنما كان قصده بيان أنساب القبائل العربية التي روت عن رسول الله عليه السلام ، وقد جعله مدخلاً لكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد وضّح غايته هذه في مقدمة كتابه فقال : « أمّا بعدُ ، فإني ذكرت في كتابي هذا أمهات القبائل التي روت عن رسول الله ﷺ ، وقرّبت ذلك واختصرته وبيّنته وجعلته دليلاً على أصول الأنساب ومدخلاً إلى كتابي في الصحابة ، ليكون عوناً للناظرين فيه ، ومنبّهًا على ما يُحتاج إليه من معرفة الأنساب »[١٣] .

وقد بدأ كتابه بالحديث عن علم النسب ووجوب العناية به ، فعلم النسب « علم لا يليق جهلُه بذوي الهمم والآداب ، لما فيه من صلة الأرحام والوقوف على ما ندب إليه النبي ﷺ بقوله : تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم .. »[١٤] ثم بيّن فوائد علم النسب ورد على القائلين بأنه علم لا ينفع وجهالة لا تضرّ ، ودعم كلامه بالآية الكريمة : ﴿ وجعلناكُم شُعوبًا وقبائلَ لتعارفوا ﴾ وبطائفة من الأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء الراشدين .

ثم ذكر ابن عبد البر أن كتابه هذا مأخوذ من أمهات كتب النسب ومنها : كتاب ابن إسحاق ، وكتاب الجمهرة لابن الكلبي ، وكتاب

(١٣) الإنباه ، ص٤٢ .
(١٤) الإنباه ص٤٢ .

أبي عبيدة معمر بن المُثَنّى ، وكتاب محمد بن عبدة بن سليمان ، وكتاب محمد بن حبيب ، وكتاب أحمد بن محمد العدوي في نسب قريش ، وكتاب الزبير بن بكّار في نسب قريش ، وكتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش أيضًا ، وكتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب قاطبة ، وكتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي ... »[١٥].

ويتّضح مما تقدّم أنه كان في زمن المؤلف ، في القرن الخامس الهجري ، مؤلفات كثيرة في الأنساب ، بعضها في أنساب العرب عامة ، وبعضها الآخر في نسب قريش خاصة ، ولم يصلنا من هذه المؤلفات إلا القليل ، وهي التي ألفها ابن الكلبي والزبير بن بكّار ومصعب الزبيري ، وسائرها في حكم المفقود . على أننا نجد لدى مطالعة الكتاب أنّ جلّ اعتماد المؤلف كان على كتاب محمد بن عبدة .

يعقد المؤلف أولاً فصلاً لعدنان ، فيذكر إجماع النسّابين على أنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وإنما وقع الاختلاف في عدد الآباء بينهما ، ثم أورد أحاديث نبوية وأقوالاً تذهب كلها إلى أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبدأ بعد ذلك يفصّل القول في الأنساب ، فيذكر نسب عدنان حتى ينتهي به إلى إدريس النبي ، ويقول إن هذا النسب هو الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان[١٦] . وبهذا يناقض ما ذكره قبلُ من أن أحدًا لا يعرف ما وراء معدّ بن عدنان من آباء .

وبهذه المناسبة يثبت قصيدة أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ (المتوفى سنة ٢٩٣هـ) والتي مدح بها الرسول عليه السلام وأثبت فيها

(١٥) الإنباه ، ص٤٦ .

(١٦) الإنباه ، ص٤٩ .

نسبه إلى عدنان .

وانتقل بعد ذلك إلى قحطان فذكر ما وقع من الخلف بين العلماء في نسبه ، فطائفة نسبته إلى إرم بن سام ، وطائفة نسبته إلى عابر بن شالخ ، وطائفة ثالثة نسبته إلى إسماعيل بن إبراهيم . ويذكر أن من قالوا بانتسابه إلى إسماعيل قد أيّدوا رأيهم بقوله عليه السلام لقوم من أسلم والأنصار : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا » ، ولكن ابن عبد البر يميل إلى الآخذ بقول ابن عباس : « العرب العاربة قحطان بن الهَميسع .. » وذلك لأن ابن عبد البر وجد إسناده حسنًا . « وهو أعلى ما روي في هذا الباب وأولى بالصواب »[(١٧)] . فكذلك نرى أنه ينهج نهج علماء الحديث في ترجيحه الأقوال التي يجد سندها قويًا ، ويوازن بين الأقوال بمعيار أسنادها .

وينهي المؤلف حديثه عن عدنان وقحطان بقوله : « لا خلاف بين أهل العلم بالنسب أن العرب كلها يجمعها جِذمان ، والجذم الأصل ، فأحدهما عدنان والآخر قحطان ، فإلى هذين الجذمين ينتهي كل عربي في الأرض ، ولا يخلو أحدٌ من العرب أن ينتمي إلى أحدهما »[(١٨)] .

وبعد أن فرغ من حديثه عن جذمي عدنان وقحطان أخذ يفصّل القول في أصول القبائل العدنانية واليمنية ، فوقف أولاً عند قضاعة وذكر ما وقع بشأنها من اختلاف بين علماء النسب ، فمنهم من ينسبها إلى معدّ بن عدنان . وهم جمهرة النسّابين ، وقد أورد حديثًا نبويًا يؤيد هذا النسب وأبياتًا لزهير بن أبي سلمى وغيره تؤيد انتماء قضاعة إلى معدّ ، وطائفة أخرى تنسبها إلى اليمن ، فهي عندهم قضاعة بن مالك بن حمير . وهنا أيضًا ترد أحاديث نبوية تدعم قول هؤلاء النسّابين – ونحن نلاحظ أن افتعال الأحاديث النبوية لدعم هذا الرأي أو ذاك كان مألوفًا

(١٧ و١٨) الإنباه ، ص٥٨ .

عصرئذ ، كما نعلم أن القول الثاني هو الذي استقرّ عليه النسّابون آخر الأمر ، فقضاعة عندهم حميرية قحطانية – وهنا أيضاً يسوق المؤلف أشعارًا تؤيد انتماء قضاعة إلى اليمن .

ويقف المؤلف بعد ذلك وقفات قصيرة عند كل من نزار ومضر وخندف ، ليقف وقفة أطول عند قريش ، فيذكر فضلها على سائر القبائل ، ومختلف الأقوال في سبب تسميتها بقريش ، ثم يعدّد البطون والأفخاذ التي تنتمي إليها والرجال المشهورين في كل بطن وفخذ ، ويعنى خاصة بذكر رواة الحديث منهم .

ثم ينتقل من قريش إلى كنانة وهُذيل والقارة وأسد فيوجز الحديث عن هذه القبائل إيجازًا شديدًا ، ثم يقف وقفة أطول عند قبيلة تميم والرواة المشهورين فيها ، وهكذا يتابع حديثه عن قبائل خندف بنت مضر فيتحدث في إيجاز شديد عن قبائل مُزينة والرِباب وضبَّة .

وحين فرغ من خندف انتقل إلى الفرع الثاني من مضر وهو قيس عيلان ، فذكر ما وقع بشأنها من خلاف بين النسّابين ثم عدد قبائلها وبطونها وأفخاذها والرواة المشهورين في كل منها .

وبعد قيس عيلان يعقد المؤلف فصلاً قصيرًا لخزاعة وما دار من خلاف في نسبها بين النسّابين ، إذ ينسبها بعضهم إلى قمعة بن خندف بن مضر ، وينسبها آخرون إلى قبيلة الأزد القحطانية ، وهو يورد حجج الفريقين التي تؤيد قولهما ، على أنه لا يرجح قول أحد الفريقين على الآخر ، وينتقل أخيرًا إلى تعداد بطون خزاعة ورواة الحديث المشهورين في كل منها .

وبعد أن فرغ من مضر انتقل إلى الحديث عن ربيعة وقبائلها والرواة المشهورين فيها ، على أنه لا يطيل في الحديث عن ربيعة ، وسرعان ما ينتقل

إلى الكلام عن طائفة من القبائل وقع الخلاف بشأنها بين النسّابين أهي عدنانية أم قحطانية وهي : بَجيلة وخَثعم وعاملة ولخم وجُذام ، ويقرّر أكثر أهل النسب على أنها قحطانية .

وأخيرًا يقف المؤلف عند القبائل القحطانية التي لا خلاف في نسبها بادئًا بالأزد ، ذاكرًا في كل قبيلة المشهورين من رواة الحديث فيها .

وقد اتبع ابن عبد البر في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتابه الأول من حيث الإيجاز وإيراد السند في كل خبر – على طريقة المحدّثين – مع بيان الكتب التي استعان بها مثل كتاب محمد بن عبدة وكتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي وكتاب الجمهرة في النسب لابن الكلبي وغيرها . فإذا عنّ له رأي نسبه إلى نفسه فقال : قال أبو عمر . وقد أورد ابن عبد البر الأشعار التي أيّد بها النسّابون أقوالهم ، ولكن في غير إكثار .

وهذا الكتاب أوسع من سابقه فهو يستغرق ما يزيد على سبعين صفحة وهو مع ذلك شديد الإيجاز بالقياس إلى كتب الأنساب الأخرى . وقيمة الكتاب هي في تعداد أسماء رواة الحديث في كل قبيلة من قبائل العرب .

* * *

كتاب
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول
(... – ٦٩٦هـ)

المؤلف(*) :

هو عمر بن يوسف بن رسول الغسّاني ، ثالث ملوك آل رسول

(*) من مصادر ترجمته : العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي ؛ =

باليمن . ويذكر المؤلف في ترجمته لأسرته أن آل رسول يرجعون بنسبهم إلى الملك الغسّاني جبلة بن الأيهم ، فهم إذًا من سلالة آل جفنة ملوك الشام ، وقد فصّل المؤلف نسبهم في الكتاب[١٩] .

واسم « رسول » الذي عرفت به أسرة المؤلف أطلق – فيما يذكرون – على أحد أجداد المؤلف واسمه محمد بن هارون بن الفتح ، وكان مُقَرّبًا من أحد خلفاء بني العباس ، فجعله رسولاً له إلى الشام ومصر ، ومن هنا أصبح يعرف برسول حتى جُهل اسمه الحقيقي ، ونسبت أسرته بعد ذلك إليه . وربما أطلق على الأسرة لقب « التركماني » ، ويعلّل الخزرجي في العقود اللؤلئية هذا اللقب بإقامة أسرة جدّهم الأول جبلة بن الأيهم في بلاد التركمان بعد جلائهم عن بلاد العرب ، فنزلوا أولاً بلاد الروم مع جبلة ثم ارتحلوا إلى بلاد التركمان وتكلموا بلغتهم وانقطعت صلتهم بالعرب فنسبهم بعض من لا يعرفهم إلى التركمان ، وقد عادت الأسرة بعد حقبة من الزمن إلى بلاد العرب .

ولا تتضح أخبار أسرة رسول إلاّ منذ أيام الأيوبيين ، فالمصادر التاريخية تذكر أن صلاح الدين لمّا أرسل أخاه شمس الدولة توران شاه إلى اليمن لقتال حكامها من الفاطميين أرسل معه نور الدين عمر بن علي بن رسول ، فسار معه إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ وكان مع عمر عدد من آل رسول[٢٠] .

وبعد مغادرة توران شاه بلاد اليمن ظلّ عمر بن علي ومن معه من آل رسول مقيمين فيها . وفي سنة ٦١١هـ يغدو « آقسيس » ابن الملك الكامل الأيوبي ملكًا على اليمن ويلقب بالملك المسعود ، وكان ملكًا جبّارًا قتل المئات

= ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٣/٢٦ ؛ ومقدمة طرفة الأصحاب للأستاذ صلاح الدين المنجد ؛ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الجزء الخامس وما بعده .

(١٩) انظر كتاب طرفة الأصحاب ص٨٩ – ٩٢ .

(٢٠) النجوم الزاهرة ٧١/٨ .

من أشـراف أهل اليمن . وقد قرّب عمر بن علي وولاّه الحصـون ثم ولاّه مكة . ولما توجه إلى مصر استنابه على اليمن واستناب أخاه بدر الدين على صنعـاء ، فقويت في زمنـه شـوكة آل رسـول وعظم أمرهـم ، وقد تخوّف آقسيس تعاظم سـلطان آل رسول فأمر بسجن نور الدين وإخوته ثم أمر بنفيهم عن اليمن ولكنه استبقى نور الدين في خدمته وجعله أتابك عسكره .

ولّما توفي الملك المعظّم عيسى بدمشق سنة ٦٢٥هـ توجّه آقسيس إلى دمشق لأخذها واستنـاب نور الدين عمر مكـانه على بلاد اليمن وجعـله خليفته في ملك اليمن إن هو توفي . ولما بلغ الملك المسعود مكة سنة ٦٢٦هـ توفي مسمومًا ، فسنحت الفرصة لنور الدين عمر فتولّى ملك اليمن وقاتل الخارجين عليه من أمرائها ، فكان أول من ملك اليمن من آل رسول ولُقب بالملك المنصور .

وفي سنة ٦٤٧هـ قُتل الملك المنصور بيد مماليكه فقام بالأمر بعده ولده الملك المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر ، وقد اشتهر هذا الملك بالحزم والدهاء والحنكة السياسية ، وكان أول من كسا الكعبة داخلها وخارجها سنة ٦٥٩هـ ، وقد دام ملكه ستة وأربعين عاماً . وكان معنيًّا بعلوم الطب ، وله كتاب « الأدوية المفردة » وهو مطبوع .

كان الملك المظفّر معجبًا ببكره عمر لشغفه بالعلم وشجاعته فندبه للقيام بمهمات تأديبية ثم نزل له عن الملك سنة ٦٩٤هـ بمحضر من النبلاء والأشراف وجاء في التقليد الملكي ما نصه : « أمّا بعدُ ، فقد ملّكنا عليكم من لا نؤثر فيه – والله – داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، وهو سـليلـنـا الخَطير ، وشهابنا المنير ، وبصـيرنا الذي نرجو به صـلاح البلاد والعباد ... »[٢١] ولم يلبث الملك المظفر أن توفي في العام نفسه .

(٢١) العقود اللؤلئية ٢٨٤/١ .

وقد تولى الملك الأشرف عمر ملك اليمن في عهد ولاية الملك العادل زين الدين كَتْبُغا على مصر . وكان الأشرف محمود السيرة ، محبوبًا من الرعية ، مهيب الجانب ، ولم تطل مدة ملكه فقد توفي في المحرّم من سنة ست وتسعين وستمئة بعد أن حكم زهاء سنة ونصف ، وآل الملك بعده إلى أخيه المؤيّد داود .

كان الملك الأشرف كأبيه منصرفًا إلى طلب العلم وكانت له مشاركة في الفقه والحديث والنحو والفلك ، ولكنه انصرف خاصة إلى الطب وعلم النسب . وقد صنّف في مختلف الفنون ، فألّف كتابًا جامعًا في الطب سمّاه « المعتمد في مفردات الطب » وما زال مخطوطًا ، كما ألّف كتابًا في الاسطرلاب ، وقد تحدث عنه الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس (مجلد ٣ عام ١٩٠٩م) ، وكتاب « تحفة الآداب في التواريخ والأنساب » ، وكتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » موضع حديثنا ، ولم يطبع من كتب المؤلف حتى الآن غيره[٢٢] .

الكتاب :

الكتاب في أنساب القبائل عامة ، ولكنه عني بأنساب القحطانية خاصة وبنسب آل رسول أسرته وأوجز القول في أنساب القبائل العدنانية على أنه فصّل القول في أنساب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وخلفاء بني أمية وبني العباس ثم في أنساب الأمراء والأشراف من أهل اليمن .

(٢٢) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في مقدمة كتاب « طرفة الأصحاب » أن للملك الأشرف كتابًا اسمه « جواهر التيجان » ، وقد ورد ذكره في الطرفة مرتين ، في ص٤٥ وص٤٨ ، ووردت في ص٤٨ عبارة : « قد ذكرنا قصتهم في جواهر التيجان » مما يوهم أن الكتاب للملك الأشرف ، ولكن المؤلف كان ينقل هنا عن نشوان بن سعيد الحميري (انظر ص٤٣ من الكتاب) وهذه العبارة يرجح أنها من كلام نشوان الحميري ، والأرجح أن مؤلف جواهر التيجان هو نشوان الحميري وإن لم يذكر من ترجموا له أن له كتابًا بهذا الاسم ، والظاهر أن الكتاب تلخيص لكتاب « التيجان » لابن هشام الحميري .

فالكتاب لا يحقّق التوازن في ذكر أنساب مختلف القبائل ، يفصّل القول في بعضها ويوجز في بعضها الآخر . ويوضح المؤلف خطته في مقدمة كتابه فيقول : « هذا مختصر في علم الأنساب ، يسهل حفظه على أولي الألباب ، محتوٍ على أصول أنساب العرب ، مقرّب حفظها لأُولي الطلب ، مضافًا إليه نسب النبي المختار ، مشفوعًا بصحابته الأبرار ، نبّهنا على أوصلهم به سببًا ، وأقربهم منه نسبًا ، ثم تلوناه بالخلفاء من بني أمية وبني العبّاس ، ثم من بني رسول ملوك اليمن ، ثم من شُهر بخدمتهم من أكابر الأشراف ، في عصرنا والأعراب ، ممّا اطّلعنا عليه وتلقّيناه من الأصحاب ، مرتَّبين على قدر مناصبهم ، ومميّزين بحق مراتبهم ... »[٢٣] .

ثم بدأ حديثه عن الأنساب بنقل ما وجده في كتاب ابن واضح[٢٤] حول آدم ومن خلفه من أولاده ، وانتقال الأمر من واحد إلى آخر حتى زمن نوح وحديث الطوفان وهلاك البشر كلهم باستثناء أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وقسمة البلاد بينهم : « فجعل لسام وسط الأرض والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عُمان إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووَبار والدهناء ، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل ، وجعل ليافث شرق الأرض جميعها . فولدُ حام : كُوش وكنعان والنوبة والزنج والحبشة والقبط ... »[٢٥] . ثم يذكر اختلاف المؤرخين في أولاد كل من أبناء سام . ويتابع بعد ذلك تسلسل الأنساب ، معتمداً على صاحب العقد ، فقد انتقل الأمر من سام إلى أرفخشذ إلى شالخ فعابر . وهنا يبيّن اختلاف النسّابين فيمن انتقل الأمر إليه بعد عابر . وهو يجعل العرب كلهم من ولد سام ، وهما قسمان : ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم عدنان ، وولد قحطان بن

(٢٣) طرفة الأصحاب ص١ .

(٢٤) ابن واضح هو أحمد بن إسحاق ... بن واضح اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) ويعرف تاريخه بتاريخ اليعقوبي . طبع بدار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢٥) طرفة الأصحاب ص٣ .

هود ، وهم أهل اليمن .

وبدأ بعد ذلك بأنساب القحطانية وقبائلها ، بخلاف ما اتبعته طائفة أخرى من النسّابين آثرت البدء بالأنساب العدنانية رعاية لنسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولعل دافعه إلى ذلك كونه قحطاني النسب .

ولم يتبع المؤلف نهج ابن الكلبي في تفريع القبائل من أصولها وتفريع البطون من القبائل ، وإنما وقف عند كل قبيلة من قبائل قحطان وذكر بطونها المشهورة ، وقد بدأ بكهلان فذكر أولاً نسب الأزد وقبائلها الست والعشرين ، والبطون المشهورة في كل قبيلة ، وكل ذلك على وجه الإيجاز . ثم انتقل إلى سائر قبائل كهلان : خثعم وبَجيلة وهَمْدان ومَذْحِج وطيّئ والأشعر ولَخْم وجُذام وكندة ، ووقف وقفة قصيرة عند كل منها .

ولّما فرغ من كهلان انتقل إلى حمير – الفرع الثاني من قحطان – فذكر قبائلها وبطونها ، وأدخل قضاعة في حمير – وهو ما سار عليه جُلّ النسّابين – فذكر القبائل القضاعية وبطونها .

وبعد هذه الإلمامة السريعة بأنساب قحطان انتقل إلى عدنان فجعل القبائل العدنانية كلها ترجع في نسبها إلى أصلين : معدّ وعكّ . ومن المعروف أن ثمة خلافًا بين النسّابين في نسبة عكّ ، والجمهور على أنها يمانية . وذكر قبائل معدّ الأربع : مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم عدّد القبائل المتفرعة من كل منها وبطونها ، ولم يحاول أن يوضّح تفرّع القبائل من أصولها وتسلسل أنسابها ، وقد بدأ بمضر فربيعة فإياد .

ولّما فرغ من معدّ انتقل إلى عكّ فذكر قبائلها وبطونها .

بعد هذا الإجمال انتقل المؤلف إلى شيء من التفصيل : « فنذكر هاهنا القبائل ونوردها مفرّعة مشروحة على سبيل الاختصار أيضًا »[٢٦] ،

(٢٦) الكتاب ، ص١٨ .

وهنا أيضًا بدأ بقبائل قحطان فوقف أولاً عند بني جفنة الغسّانيّين – وقد ذكرت أن آل رسول ينسبون أنفسهم إليهم – فأثبت نسب جبلة بن الأيهم وما قيل فيه من الشعر ، ونقل عن ابن الجون في شرح الخمرطاشيّة[٢٧] نسب ملوك آل جفنة ومدة حكمهم ثم فصّل القول في نسب غسّان وقبائلها ، ووقف عند آل رسول فنفى أن يكون انتماؤهم إلى حِمير أو إلى اللخميين ، ورأى أن من فعل ذلك إنما جرى على سبيل من ينسب الرجل إلى بني عمه[٢٨] . ثم يعود إلى ذكر آل جفنة فيجعل منهم بني رسول ، يقول : « ومنهم ملوك اليمن بنو الرسول ، وأوّلهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ومنهم السلطان الأعظم المظفّر شمس الدنيا والدِين ، يوسف بن عمر ، أوحد ملوك الزمن . ومنهم ولده – أي المؤلف – ممهّد الدنيا والدين ، الملك الأشرف أبو الفتح عمر بن يوسف بن عمر ، أفضل ملوك اليمن ، وأفضل ملوك الدهر ، وأشرف أبناء العصر ، وكفاهم فخرًا أنّ أوّل الزمان لآبائهم وآخره لهم ... »[٢٩] .

نرى في الفقرة السابقة أن المؤلّف كان يعظّم شأن آبائه وأجداده ، وهو يبالغ في إطرائهم كلما ورد ذكرهم في كتابه ، فمن ذلك قوله مثلاً : فهؤلاء الذين قدّمنا ذكرهم من أولاد كهلان هم أقرب قبائل قحطان إلى نسب السلطان الملك المظفّر شمس الدنيا والدين يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول »[٣٠] .

(٢٧) ابن الجون هو أبو الربيع سليمان بن موسى الأشعري نسبًا ، الزَبيدي بلدًا ، المتوفى سنة ٦٥٢هـ . فقيه حنفي من أهل اليمن . من كتبه : « الرياض الأدبية » وهو شرح للمقصورة التاريخية الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم من نظم أبي الحسن بن خمرطاش الزَبيدي المتوفى سنة ٥٥٤هـ (مخطوط بالمتحف البريطاني) .

(٢٨) الطرفة ، ص٢٦ .

(٢٩) نفسه ، ص٢٨ .

(٣٠) نفسه ، ص٣٩ .

ويبدو أن بعض النسّابين كانوا ينسبون آل رسول إلى الملوك اللخميين أو إلى التبابعة الحميريين أو إلى سواهما ، ومن هنا كان المؤلف يحرص على تأكيد نسبة آل رسول إلى آل جفنة ويجعل نسبتهم إلى قبائل قحطان الأخرى من قبيل نسبة الرجل إلى أعمامه ، لأن جميع هذه القبائل تنتمي إلى سبأ الأكبر ، وهو يحيل في بيان نسب أسرته إلى شرح ابن الجَون للخمرطاشية . وقد تكرر كلام المؤلف بهذا الشأن أكثر من مرة في كتابه وكأنما كانت غاية المؤلف من تأليف مختصره هذا بيان نسب أسرته لما وقع لدى النسّابين والشعراء من الغلط الكثير في نسبهم (٣١) .

ولمّا فرغ المؤلّف من نسب كهلان انتقل إلى حِمير ففصّل القول في نسبها ، فأورد أولاً أنساب التبابعة وذكر طائفة من أخبارهم ، وهي أخبار غير جديرة بالثقة في جملتها ، وهو يحيل في سياقة نسبها أحيانًا إلى كتاب « جواهر التيجان » (٣٢) كما ينقل عن كتاب لنشوان الحميري لا يسمّيه (٣٣) .

ثم أثبت المؤلف أنساب الأقيال ، والقَيل هو الذي يخلف الملك في مجلسه ، وأنساب الأذواء ، وهم ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم لفظ « ذو » ومنهم : ذو يَزن ، وذو نواس ، وذو رعين ، الخ ... ثم يعود المؤلف مرة أخرى إلى تفصيل أنساب حِمير . ويقف أخيرًا عند أنساب قضاعة ،

(٣١) الكتاب ، ص٤٢ .

(٣٢) هذا الكتاب لم يصل إلينا ولعله اختصار لكتاب « التيجان في ملوك حمير » : لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ) ، وهو من تأليف نشوان الحميري كما يستدل من عبارة وردت في الكتاب ص٤٨ .

(٣٣) نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، قاض عالم باللغة والأدب والنحو والتاريخ معتزلي المذهب ، كان متعصبًا للقحطانية ، له كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم في اللغة » : طبع قسم منه ، كما طبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن ، بعناية عظيم الدين أحمد ، ليدن ١٩١٦م . وله مؤلفات أخرى .

وهي عنده من حِمير .

وبعد انقضاء الأنساب القحطانية يذكر أنساب العدنانية ، بادئاً بنسب مضر « لكون النبي محمد ﷺ منهم »[٣٤] . فيسوق أولاً أنساب الياس بن مضر ثم أنساب قيس عيلان بن مضر ، فأنساب ربيعة . وهنا نجد المؤلف يخالف جمهرة النسابين إذ يجعل ربيعة تنتمي إلى مضر . ويسوق نسبها على النحو الآتي : « هو ربيعة بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان »[٣٥] ، وهي عند جميع النسّابين : « ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » ، والمعروف أن نزارًا يتفرّع إلى قبيلتين كبيرتين هما : ربيعة ومضر ، فنسبة ربيعة إلى مضر خطأ فاحش وقع فيه المؤلّف ، ولعله سهوٌ منه لأنه سبق أن ذكر أنّ قبائل معدّ هي : مضر وربيعة وأنمار وإياد[٣٦] .

وبعد تعداد قبائل ربيعة أورد نسب أنمار ، وهو عنده أنمار بن نزار ، على أن في نسب أنمار خلافًا بين النسّابين . ثم أورد نسب عكّ بن عدنان ، وفي نسبها أيضًا خلاف ، وجمهور النسّابين على أنها قحطانية . وفي حين نجده يفصّل القول في أنساب قحطان نراه شديد الإيجاز في ذكر الأنساب العدنانية . على أنه بعد هذا الإيجاز في الأنساب العدنانية يفصّل القول في نسب الرسول عليه السلام وفي نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المشهورين ، وكذلك في نسب خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ ، وهو يذكر سنة تولّي كل منهم الخلافة وسنة وفاته .

وبعد فراغه من سياقة أنساب الخلفاء يعود مرة أخرى إلى أنساب أسرته

---

(٣٤) الكتاب ص٥٧ .

(٣٥) الكتاب ، ص٦٢ .

(٣٦) الكتاب ، ص١٤ .

بني رسول ، فيفصل القول في كل من ملوكها ويذكر أولاده . على أن هذا القسم ليس من عمل المؤلف وإنما هو من عمل مؤلف آخر لم يذكر اسمه لأنه يذكر اسم الملك الأشرف وأسماء أولاده ثم يذكر من جاء بعده من ملوك آل رسول ، وآخرهم الملك الفائز والأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول ، وبعد ذلك نجد العبارة الآتية : « حاشية المصنف إلى هذا الذي ذُكر فقط . ثم قام بعد ذلك ملوك مشهورون من ذُرّيتهم »[٣٧] ، وهذا يؤكّد ما ذهبتُ إليه آنفًا من أن الكتاب ليس كله من تأليف الملك الأشرف عمر بن يوسف ، وإنما جاء بعده من أضاف إليه ، ولهذا نقع في الكتاب على شيء من التكرار في ذكر أنساب القبائل وأنساب بني رسول .

ويلي ذلك سرد لأنساب الأشراف باليمن والحجاز بني حمزة وبني القاسم وأولادهم ، ثم نسب الأمراء من بني وهّاس ، وهم بطن من العلويين كانوا بالحجاز واليمن ، ويذكر المصنّف من كان منهم في زمنه وهو محمد بن جعفر بن أبي هاشم[٣٨] . وليس بين أيدينا ما يعيننا في تعيين زمن هذا الأمير .

ويلي ذلك نسب الأمراء من بني صفيّ الدين ، فأنساب طائفة من الأئمة العلويين وأشراف اليمن ومنهم : العبّاسيون ، والقتادات ، وبنو سليمان ، والشهابيون ، والسبئيون وغيرهم .

وفي آخر الكتاب تعداد للقبائل المذحجية في عهد المصنّف ـ الملك الأشرف أو سواه ـ مع بيان عدد أفراد كل قبيلة .

وقيمة الكتاب ليست في عرض الأنساب العدنانية والقحطانية ، ففي

(٣٧) الكتاب ص٩٢ .

(٣٨) الكتاب ، ص١٠٠ .

كتب الأنساب الأخرى من التفضيل ما لا نجده في هذا الكتاب ، وإنما قيمته في بيان أنساب ملوك اليمن المتأخرين والأشراف والأمراء العلويين في اليمن والحجاز .

مصادره : استمدّ المؤلف مادة كتابه من مصادر شتى ذكرها في كتابه ، ومن هذه المصادر كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) ، وتاريخ ابن واضح أحمد بن إسحاق اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) ، وكتاب « الإكليل » للحسن بن أحمد الهمداني المعروف بابن الحائك (ت ٣٣٤هـ) ، وكتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين ابن الأثير علي بن محمد (ت سنة ٦٣٠هـ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) ، وكتاب « جواهر التيجان » لنشوان الحميري ، وشرح ابن الجون الأشعري (ت ٦٥٢هـ) على المقصورة الخمرطاشية في تاريخ اليمن القديم ، وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، وكتاب « الباب » للأشعري[٣٩] ، وكتاب

(٣٩) كذا ورد اسمه في « كشف الظنون » في أكثر من موضع ، ومن ذلك ما ورد في المجلد الثاني ص ١٥٤٠ :

« اللباب إلى معرفة الأنساب ، مختصر لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ذكر فيه جملة مصنفات في هذا الفن ، ثم قال : « وقد استخرجت من هذه (أي المصنفات) كتاباً مختصراً سمّيته التعريف بالأنساب ، توسطت فيه بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت « اللباب » ... وقد ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . » . وقد أثبت الأستاذ المنجد اسمه كما ورد في كشف الظنون وخطّأ ما وجده في المطبوعة (ص ٦٧) .

وهو عبارة : « قال الأشعري في كتابه المعروف بالباب » فأثبت في الحاشية عبارة : « كذا ، والصواب : اللباب ، » اعتماداً على ما وجده في كشف الظنون .

إلا أن الأستاذ المحقق حمد الجاسر خالف الأستاذ المنجد فيما ذهب إليه ورأى أن الصواب في اسم الكتاب هو « الباب » وأيّد كلامه بما جاء في مقدمة كتاب الباب (مطبوع بجدة) وهو : « هذا مختصر في علم النسب وقبائل العرب جعلته ذريعةً إلى الاختصار وسبباً في الاقتصار وسميته كتاب الباب إلى معرفة الأنساب ... » والصواب ما ذهب إليه الأستاذ الجاسر لأنه يوافق ما جاء =

« مقدمة الأنساب » للشريف الحسيني[٤٠] ، وكتاب « خلاصة السير » لمحب الدين الطبري أحمد بن عبد الملك (ت ٦٩٤هـ) وكتاب « بُلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » .

طبع الكتاب في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن) بتحقيق المستشرق ستر ستين ، دمشق ١٩٤٩م وقدّم له الأستاذ صلاح الدين المنجّد .

وقد استدرك الأستاذ الجاسر على المؤلف طائفة من الأخطاء سواء في ضبط أسماء القبائل أو في نسبة بعض الأشخاص ، (انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي المجلد ٢٦ ص٢٢٣) ومن ذلك أنه نسب أبا مسلم الخراساني إلى قبيلة خولان (ص٥٧ من الكتاب) والصحيح أنه عجمي خراساني ، أما المنسوب إلى خولان فهو أبو مسلم الخَولاني الفقيه الزاهد . وكذلك جعله ربيعة من أبناء مضر ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ آنفًا ، ومنها أيضًا أنه نسب قس بن ساعدة إلى قبيلة أنمار (ص٦٣ من الكتاب) والصحيح أنه من قبيلة إياد العدنانية ، إلى غير ذلك من الأخطاء .

= في الأصل وما جاء في مقدمة كتاب « الباب » نفسه ، ويؤيد هذا عنوان الكتاب « الباب إلى معرفة الأنساب » يريد أنه جعله مدخلاً إلى معرفة الأنساب ولو كان اسمه « اللباب » لكان عنوانه : اللباب في معرفة الأنساب . ولايصح أن يدعى : اللباب إلى معرفة الأنساب ، وقد أخطأ صاحب كشف الظنون في تسميته باللباب . (انظر مقالة الأستاذ حمد الجاسر في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٢٦ ص ٢٢٣) .

ولم يذكر حاجي خليفة سنة وفاة الأشعري في هذا الموضع ، ولكنه حين تحدث عن كتابه الآخر وهو « التعريف بالأنساب » ذكر أن وفاته كانت في حدود سنة ٥٥٠ للهجرة .

(٤٠) لعله الشريف أبو البركات الجَوّاني الحسيني أسعد بن علي الذي استمدّ منه النويري في نهاية الأرب ، كما سيأتي ، ومقدمته تعرف بمقدمة الشريف الجوّاني وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .

كتاب
نهاية الأرب في فنون الأدب
لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(*) ٦٨٢ - ٧٣٣هـ

المؤلف

هو شهاب الدين ابو العبّاس أحمد بن عبد الوهاب ، تُرجع أسرته نسبها إلى أبي بكر الصدّيق ، ومن هنا قيل له البَكري ، أما لقبه النُويري الذي اشتهر به فهو نسبة إلى النُويرة ، وهي قرية مصرية تابعة لمديرية بني سُويف بالصعيد ، وكانت أسرته تقيم بها ، ولكنّ مولده كان - فيما يذكر الأدفوي(٤١) - بمدينة قُوص ، من مدن صعيد مصر ، وكان مَولده سنة اثنتين وثمانين وستمئة للهجرة(٤٢) ، وبها كانت نشأته . وليس لدينا الكثير حول نشأته وحياته في تلك المدينة ، وجُلّ ما عرفناه عنه أنه أخذ الحديث والفقه عن طائفة من الشيوخ منهم الشريف موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، ويعقوب بن أحمد بن الصابوني ، وأحمد الحجّار ، وزينب بنت يحيى ، وقاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة .

اتّصل النويري بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٨٤-٧٤١هـ) وأصبحت له حظوة عنده ، ويذكر الأدفوي أن الناصر وكله في بعض أموره وأنه تقلب في الخدم الديوانية وباشر نظر الجيش بطرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .

(*) من مصادر ترجمته : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوي ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٩٩/٩ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/١٤ ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ، الجزء الأول ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر .

(٤١) الطالع السعيد ص٩٦ .

(٤٢) هذا ما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي ٣٦١/١ ، وفي الأعلام للزركلي أنه ولد سنة ٦٧٧هـ .

وكان إلى جانب عمله في الديوان يقوم بنسخ الكتب بخطه ثم يبيعها ، ويذكرون أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرّات ، وكان يقابل كل نسخة بالأصل ثم يجلّدها ويبيع النسخة بألف درهم ، وكان له طاقة عجيبة على النسخ والتأليف ، ذكروا أنه كان يكتب في اليوم ثلاث كراريس .

أثنى المؤرخون على علم النويري وذكروا أنه كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، وكان يجيد الخطّ ويكتب الخط المنسوب ، وله نظم يسير ، ونثر حسن ، وكان إلى ذلك ظريفًا متودّدًا حسن المعاشرة ، ويصفه ابن كثير بأنه « بالجملة كان نادرًا في وقته »[٤٣] .

اشتهر النويري بكتابه « نهاية الأرب » على أن بعض المؤرخين ذكروا أن له كتابًا آخر في التاريخ في ثلاثين مجلدة[٤٣] . وأرى أن الأمر اختلط عليهم فكتابه في التاريخ هو كتاب « نهاية الأرب » عينه ، والقسم التاريخي يحتل منه جانبًا كبيرًا ، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تغري بردي فهو يقول : « وألف تاريخًا سمّاه نهاية الأرب في علم الأدب ، في ثلاثين مجلدًا[٤٤] » . وذكر نحو ذلك في كتابه النجوم الزاهرة[٤٥] ، فليس للنويري كتاب مستقل في التاريخ ، وكان ينسخ كتابه هذا ويبيعه بألفي درهم .

يذكر معاصره الأُدفُوي أن وفاته كانت بسبب وجع حصل له في أطراف أصابع يديه ، ومات وله خمسون سنة أو تزيد قليلاً ، واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته بين سنتي ٧٣٢هـ و٧٣٣هـ .

الكتاب

الكتاب موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية ضخمة تجمع فنونًا شتى من المعرفة ، وعنوان الكتاب المطبوع : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وهو

---

(٤٣) البداية والنهاية ١٤/١٦٤ .

(٤٤) المنهل الصافي ١/٣٦١ .

(٤٥) النجوم الزاهرة ٩/٢٩٩ .

عند ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « نهاية الأرب في علم الأدب »[٤٦] ، ولكنه في كتابه الآخر النجوم الزاهرة يجعل اسمه : « منتهى الأرب في علم الأدب » ، كما يذكر أن كتابه هذا يعرف باسم « تاريخ النويري »[٤٧] .

ولست هنا بصدد دراسة الكتاب وإنما يعنيني منه القسم الخاص بالأنساب ، وقد قسّم النويري كتابه إلى فنون ، والفنون إلى أقسام ، والأقسام إلى أبواب ، وبحث النسب يشغل الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني الذي تناول فيه الإنسان وما يتعلّق به ، ويقع هذا الباب في الجزء الثاني من الكتاب ، وهو في ثلاث وثمانين صفحة .

بحث النويري في الأنساب موجز ليس فيه إضافة إلى ما في كتب الأنساب السابقة ، ولا يدلّ على تعمّق في أنساب العرب ، وإنما أتى به هنا استيفاءً للمباحث المتصلة بالإنسان . ويبدو أن جُلّ اعتماده فيه كان على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني ، يقول في مستهلّ حديثه عن الأنساب : « وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجَوّاني[٤٨] ، فرفعت له عَلَمًا ، ونصبت له إلى المعالي سُلّمًا ، لأنه أتقن أصولها ، وحرّر فصولها ، وأورد فيه من الأنساب ما ينتفع به اللبيب ، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب .. »[٤٩] .

---

(٤٦) المنهل الصافي ٣٦١/١ .

(٤٧) النجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ .

(٤٨) الشريف أبو البركات الجَوّاني هو أسعد بن علي الحسيني الجَوّاني نسبة إلى (الجَوّانيّة) وهي من قرى المدينة المنورة ، وكان يقيم بمصر . وقد ترجم له القفطي في الإنباه (٢٣٠/١) وذكر أنه موصلي الأصل ، ولم يعين سنة وفاته ولكنه ذكر أنه أدرك أيام الصالح بن رُزّيك المتوفى سنة ٥٥٦هـ . على أنه لم يكن معروفًا باشتغاله بالأنساب وإنما عرف بذلك ولده محمد بن أسعد بن علي الشريف الجوّاني وكنيته أبو علي ، وله كتاب في النسب اسمه « تاج الأنساب ومنهاج الصواب » . (انظر : الوافي في الوفيات ٢٠٢/٢ ولسان الميزان لابن حجر ٧٤/٥) .

(٤٩) نهاية الأرب ٢٦١/٢ .

ثم يقول بعد قليل : « وعلى الشريف العمدة فيما أوردته ، والعهدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت ، وعلى مقالته اعتمدت »[٥٠] . على أن في الكتاب ذكرًا لعلماء آخرين في النسب ومنهم ابن الكلبي والوزير المغربي ، مؤلف كتاب الإيناس .

بدأ النويري حديثه عن أنساب العرب ببيان عناية العرب بأنسابها وافتخارها بمعرفتها . ثم قسّم العرب إلى عشر طبقات : الجِذم ، فالجمهور ، فالشَعب ، فالقبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالعشيرة ، فالفصيلة ، فالرهط ، وعرّف كلاً منها . وهذا التقسيم ليس من ابتكار النويري فقد سبقه إليه علماء النسب قبله ، وإن كان بين علماء النسب خلاف في ترتيب الجماعات القبلية . والعرب عنده – وعند جمهور علماء النسب – يرجعون جميعًا إلى جذمي قحطان وعدنان . ولكن النويري لم يتحدث عن الأنساب القحطانية والعدنانية مباشرة وإنما بدأ بذكر الأنساب منذ زمن آدم ، وجعل آدم الجدّ الخمسين للرسول عليه السلام ، مع أنه ذكر قبل ذلك أنه « قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعدّ وعدنان ، واقْتُصر على ذكر ما دونهما لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معدّ بن عدنان : « كذب النسّابون فيما فوق ذلك »[٥١] ، فقد أباح النويري لنفسه هنا أن يتقصى أنساب العرب منذ عهد آدم ، وقد جعل عمود النسب المحمّدي من آدم في ابنه شيث وأمّه حوّاء[٥٢] . ثم أخذ يسلسل أبناء آدم من شيث ويذكر العقب من كل منهم ، ويرد في سياقة هذه الأنساب ذكر ابن الكلبي وصاحب الشجرة[٥٣] ، حتى يصل إلى سام بن نوح

(٥٠) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥١) الكتاب ٢/٢٦٢ .

(٥٢) نفسه ٢/٢٧٠ .

(٥٣) لم يصرح النويري باسم مؤلف هذا الكتاب ولعله محمد بن رضوان المتوفى سنة ٦٥٧هـ فقد ذكر صاحب كشف الظنون (١٠٢٧/٢) أن له كتابًا اسمه « الشجرة في الأنساب » .

فيجعله الجدّ الأربعين للرسول عليه السلام ، وهو هنا يعتمد على روايات النّسابين القدامى ، وأكثرها لا يصحّ .

وبعد أن فرغ من الأنساب القديمة انتقل إلى قحطان وعدنان ، وقسّم العرب إلى أقسامها الثلاثة : عاربة ، ومتعرّبة ، ومستعربة . فالعاربة هي البائدة ، والمتعرّبة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم ، والمستعربة هم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العدنانية . وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه جلّ النّسابين .

ثم بدأ بذكر أنساب قحطان على وجه الاختصار ، ومعتمده على الشريف الجوّاني . وقف أولاً عند قبيلة حمير وما تفرّع عنها ، وهو ينقل عن الجوّاني ترجيحه انتساب حضرموت إلى حمير ، وهو قول شيوخه في النسب .

وهو يذهب مذهب بعض النّسابين في جعل قبيلة صنهاجة البربرية من نسل الهميسع بن حمير ، كما يجعل قضاعة من ولد مالك بن حمير ، خلافًا لمن جعلها معدّية عدنانية .

وحين فرغ من حمير انتقل إلى كهلان فعدّد قبائلها وبطونها وأفخاذها المشهورة ، على وجه الإيجاز . وكان أحيانًا يذكر أسماء بعض الرجال المعروفين في كل بطن ، ولكنه لا يفصّل القول في ذكر الأعلام ، على نقيض ما فعله ابن حزم .

وقد أنهى حديثه عن أنساب اليمن بقول الجوّاني : « وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب[٥٤] .

وبعد فراغه من أنساب قحطان انتقل إلى عمود النسب النبوي في

---

(٥٤) الكتاب ، ص٣٠٣ .

عدنان بدءًا من فالغ بن عابر بن شالخ حتى وصل إلى إبراهيم الخليل ، وهو عنده الجد الحادي والثلاثون للرسول عليه السلام ، فذكر عقِبه وأبناءه حتى انتهى إلى إسماعيل ؛ وهو يقرّر أن سياقة النسب بين آدم وإسماعيل ، على ما أورده ، صحيحة لا خلاف فيها بين النسّابين ، وذلك نقلاً عن التوراة . والخلاف إنما وقع عندهم فيما بين إسماعيل وعدنان ، ويعلّل هذا الاختلاف بأُمِّيَّة العرب واعتمادهم في معرفة انسابهم على الحفظ والرواية الشفهية . ومن بين الروايات المتعددة يختار الجوّاني رواية كان يعتمدها شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العبدلي النسّابة ، وهي منسوبة إلى عبد الله بن عباس ، وهي – عنده – عمدة أكثر النسّابين . وممّن اختارها أبو بكر محمد بن عبده الفقعسي النسّابة الطرسوسي ، وهو يوثّق هذه الرواية على رغم ما أورده من حديث الرسول عليه السلام الآنف الذكر في تكذيب النسّابين حين يعرضون لذكر أنساب من كانوا قبل عدنان .

وحين يصل إلى عدنان يذكر تفرّعها إلى مضر وربيعة وأنمار وإياد ، ثم يذكر قبائل كل منها وبطونها باختصار شديد ، وأنمار عنده التحقت بأنساب اليمن . وقد فصّل بعض التفصيل في الأنساب المضرية بفرعيها : خندف وقيس عيلان ، وحين وصل إلى قريش عدّد بطونها وأفخاذها حتى بلغ الرسول عليه السلام فذكر نسبه كاملاً حتى بلغ به آدم ، وبذلك ينتهي حديثه عن أنساب العرب .

طبع الكتاب بدار الكتب المصرية ، عام ١٩٢٣م وما بعدها ، وقد طبع منه حتى الآن ثمانية عشر جزءًا .

* * *

مصادر البحث :

– الأُدفوي جعفر بن تغلب : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . تح . سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ابن بشكوال : الصلة . تح . عزة العطار ، القاهرة ١٩٥٥م .
- ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٩م ، القاهرة .
- حاجي خليفة مصطفى الجلبي بن عبد الله : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبعة بالأوفست عن طبعة استامبول ، إيران ١٣٨٦هـ .
- ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . حيدر آباد ١٣٤٨هـ .
- حمد الجاسر : مقالة حول كتاب « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٦ ص٢٢٣ نيسان ١٩٥١م .
- الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية تح . محمد بن علي الأكوع بيروت ١٩٨٣ .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان . تح . إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠م .
- ابن رسول ، عمر بن يوسف : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب . تح . سترستين . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩م .
- ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب . تح . شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣م .
- السيوطي جلال الدين : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم جزءان القاهرة ١٩٦٤م .

– ابن عبد البر : القصد والأمم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥٠هـ ، ومعه كتاب الإنباه على قبائل الرواة .

– ابن عميرة الضبي ، أحمد بن يحيي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبعة مصورة عن طبعة مدريد سنة ١٨٨٤م بعناية المستشرقين كوديرا وريبيرا ، مكتبة المثنى ببغداد .

– ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب . القاهرة ١٩٥١م .

– ابن كثير : البداية والنهاية . مطبعة السعادة ، القاهرة .

– نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . أشرف على طبعه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، القاهرة وبيروت .

– النُويري ، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب . طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٣م ، وما بعدها .

ألوانٌ من التصحيف والتحريف

في كتب التراث الأدبي المُحقّقة

« محاولة لعرض آفات التصحيف والتحريف على أساسٍ منهجيٍّ تطبيقي »

الدكتور صالح الأشتر

تمهيد

كتب فلوبير في أواخر أيام حياته إلى إحدى أديبات عصره يقول باعتزاز كبير : « إنما نحن ، أعني رجال الأدب ، نحن وحدنا الناس ، وبتعبير أوفى ، إنما نحن وحدنا تراثُ البشرية » وقد عبّر الأديب الفرنسي الشهير بهذا القول عن إيمانه بأنّ التراث الأدبي هو أهمُّ جانب في التراث الإنساني كُلّه ، ولا نحسبه مبالغاً في ذلك ، فالتراث الأدبي في كل حضارة من الحضارات الإنسانية هو مقياس تقدُّمها ورقيِّها ، والتراث الأدبي عند العرب دليلٌ على رفعة الحضارة الإسلامية التي ساهموا في بنائها وازدهارها بأوفى نصيب ، ويطيب لبعض الدارسين لحضارة الإسلام من المستشرقين ، أن يحكموا بأنَّ « المساهمة الوحيدة العظيمة التي ساهم بها العرب في الحضارة الإسلامية هي تراثُهم الأدبيُّ[1] » وفي مثل هذا الحكم مبالغة لا تخلو من غرض يدعو إلى الغضِّ من نصيب العرب الكبير في بناء الجوانب الأخرى من حضارة الإسلام .

ومهما يكن فإن الأمم جميعاً تهتمُّ بالحفاظ على تراثها الأدبيّ ، وتعمل على إحيائه ونشره ، فتسعى دور النشر لديها إلى تقديمه في طبعات أنيقة مُحقّقة ، ومُجلّدات مُذهّبة متسلسلة ، يحرص الناس على اقتنائها في دورهم ومكاتبهم ، وأمّتنا العربية منذ بداية عصر النهضة الحديثة بدأت تستيقظ بعد

(١) حضارة الإسلام : لغوستاف غرونيباوم : ص٢٨٨ .

قرون من النوم والخمول والظلام ، وقد هالها أن تجد تراثها الأدبيَّ العظيم لُعبةً في يد الفناء ، فراحت تعمل على إنقاذ ما يُمكن إنقاذه ، وإلى اليوم تُوالي لجان وهيئات علميةٌ في الأقطار العربية إشرافها على عملية إحياء التراث الأدبي ونشره مُحقّقاً مُنقّحاً سليماً من العبث والتصحيف والتحريف والتشويه ، وهي تبذل غاية جهدها في ذلك ، غير أنّ العبء مرهق وثقيل ، ويتطلّب أن تتضافر جهود الجماعة من العلماء المتمكنين على تحمّله ، والجهودُ الفردية في حقل التحقيق والتنقيح تظل قاصرةً ، وهذه الصفحات التي نعرض فيها ألواناً من التصحيف والتحريف ، نقع عليها في كتب التراث الأدبي المحقّقة التي عُني بتنقيحها رجال فضلاء بذلوا غاية مجهودهم في عملهم ، ولم يكن همُّهم فيه أن يفوزوا بكسب ماديٍّ عاجل عن طريق استغلال التراث وتشويهه ، وقد سار أكثرهم في التحقيق على منهج علمي رصين .. هذه الصفحات تشهد بقصور الجهود الفردية وسَهْوها ، وتدعو أن تتآزر الجماعة من الأكفياء في عملية إحياء التراث لتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، وتقديمه إلى القراء في أصحّ صورة وأسلمها .

والفرق بين مُصطلحي التصحيف والتحريف دقيقٌ حتى ليصعب أحياناً التمييز الواضح بين مدلوليهما : فكلا المصطلحين تغيير وتبديل في ألفاظ « تتشابه في صورة الخط ، فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف » كما يقول العسكريُّ[1] ، وللتفريق بين المصطلحين نقول :

١ ــ التصحيف ينشأ من رواية الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف ، ففي الكتابة العربية عدد من الحروف لها رسمٌ مشترك ، فإذا أخطأ القارئ بسبب تشابه الحروف في قراءة الكلمة في الصحف ، ولم يكن قد سمعها مشافهةً من أفواه الشيوخ أو قراها عليهم سمّوا خطأه تصحيفاً . وقد بقي الناس في القرن الهجري الأول يكتبون بدون نقط

(١) التصحيف والتحريف للعسكري ١/١ .

ولا شكـل ، فتشتبـه الحروف في الكلمة على القارئ فيُصحّفها ، وبعد استعمال التنقيط والإعجام لم يتوقف التصحيف أيضاً ، لأنهم « إذا أغفلوا الاستقصاءَ في تنقيط الكلمة وإعجامها وقع التصحيف »[١] . وظل الجهلة من النُسّاخِ يعبثون فيما ينسخون ، ويُكثرون من التصحيف فيما ينقلون ، حتى أصبحت مشكلة التصيف كما قدَّمنا من أثقل الأعباء التي تُرهق كاهل المحققين العاملين اليوم على إحياء تراثنا العظيم .

٢ ــ وأمّـا التحـريف فهو « تغييـر اللفظ دون المعنى »[٢] وبه يتمُّ تحريف الكلم عن مواضعه وإفساد المراد منه ، ويزوّدنا العسكريُّ[٣] بشاهدٍ على التحريف : فقد أنشد أحدُهـم الفرزدق قول ابن أحمر الباهلي[٤] الذي يوصي فيه امرأته بألا تنكح من بعده رجلاً مطروقاً ضعيفاً مُسترخياً ، يطرقه كل أحد لضَعْفه :

فــإمّــا زال سَـــرْجٌ عن مَعَـدٌّ وأجْـدِرْ بـالحوادثِ أنْ تكـونـا
فــلا تَصْـــلَيْ بمَطْـرُوقٍ إذا مـا ســرى بـالقومِ أصبح مُستكينـا

فَلَفَتَـهُ الفرزدقُ إلى خطئـه وقال له : « إذا كان ممّن يسري بالقوم (أي يُسيّرهم ليلاً ويقودهم) فليس بمطروقٍ ، وإنما هو : إذا ما سرى في الحيّ ! » ومراد الشاعر : « إن هلكتُ وصرتِ إلى أن تتزوّجي غيري فلا تنكحي رجلاً ضعيفاً إذا ما سار ليلاً في الحيّ أصبح مُسترخياً ، ويقول العسكريُّ : « وهذا من التحريف لا من التصحيف » .

وقد شغلت قضية التصحيف والتحريف قديماً عدداً من الباحثين لخطرهـا وأهميّتهـا ، فأفاضـوا في بحث جوانبهـا اللغوية والفكرية والدينيـة

(١) التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني : ص٢٨ .
(٢) التعريفات للجرجاني : ص٥٥ .
(٣)التصحيف والتحريف للعسكري ٩٣/١ ــ ٩٤ .
(٤) شعر عمرو بن أحمر الباهلي : جمع وتحقيق حسين عطوان : ص١٦١ .

والتاريخية ، وفيما وصل إلينا من أبحاثهم[1] غَناءٌ لمن يريد الإحاطة بالقضية وأسباب حدوثها ، والإلمام بأخبار طائفة من العلماء والأدباء ، ممّن لم يسلموا فيما يروون من التصحيف ، فتصدّى لهم من يدلُّهم على أخطائهم ويدعوهم إلى تصويبها .

ولكننا نريد اليوم أن نعرض لأمثلة من التصحيف والتحريف سها محققو الكتب التراثية وطابعوها عن تصحيحها ، أو لم يتمكّنوا من إصلاحها ، فسارت بين القراء بصورها المشوّهة ، وأصبحت تنقل إليهم الوهم والخطأ ، إلى أن يقع عليها بعض النقاد من العلماء أو القرّاء الأكفياء القادرين على اكتشاف التصحيف والاهتداء إلى تصويبه ، فينشروا في الصحف والدوريات الأدبية ملاحظاتهم وتصويباتهم ، ليستعين بها المحققون الناشرون ، ويعملوا على تدارك ما سهوا عن تصحيحه في الطبعات الجديدة .

ولسنا بحاجة في تمهيدنا لتقديم تلك الأمثلة من ألوان التصحيف والتحريف إلى إيضاح غايتنا من وراء جمعها وتصنيفها ، ونحن نكُنُّ أعظم التقدير والاحترام لجهود أولئك العلماء الأفاضل الذين استعرنا الأمثلة من بعض الكتب التراثية التي حققّوها ونقّحوها ونشروها وكان لهم الفضل في إحيائها وانتشالها من يد الفناء والضياع ، وكل ما نرجوه أن تُسهم هذه الصفحات في خدمة التراث وتخليصه من آفات التصحيف والتحريف ، فالمهمة كبيرة وخطيرة ، والعبء ثقيل ينوء بالعصبة أولي القوة ، وما نُقدمه

(١) مثل كتاب التصحيف والتحريف وما يقع فيه للحسن العسكري (ـ ٢٨٢هـ) وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (ـ ٣٦٠هـ) وقد صدرا عن مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي المزهر للسيوطي فصل وافٍ في (معرفة التصحيف والتحريف) : ٢/٣٥٣ ـ ٣٩٤ وفي الخصائص لابن جني (باب في سقطات العلماء) : ٣/٢٨٢ ـ ٣٠٩ .

جهدٌ متواضع يحاول أن يعرض قضية التصحيف في كتب التراث الأدبي المحققة عرضاً منهجياً تطبيقياً ، يعين على وعي المشكلة وإدراك أبعادها والاهتداء إلى سبيل الخلاص منها ، والله نسأل أن يُسدّد خطانا ، ويجنّبنا مواطن الزلل ، ولئن تمّ لنا بعضُ ما نرجو من وراء هذا الجهد القاصر كُنّا سعداء به ومحظوظين ، والله من وراء القصد .

ـ ١ ـ

حكايتي مع التصحيف وتقصّي مواقعه في كتب التراث الأدبي حكاية طويلة تدفع بي إلى عرض جانب من تجربتي مع المخطوطات وصلتي القديمة بها وعملي المتواضع في ميدان التحقيق ونشر بعض كتب التراث التي لم تُطبع من قبلُ : فقد شُغفت منذ سنٍ مبكّرة ، وأنا بعدُ طالبٌ في المرحلة الثانوية بحلب ، بارتياد مكتبة الأوقاف وغيرها فيها ، لمطالعة الكتب المخطوطة في خزائنها وازدادت صلتي بالمخطوطات مع تقدّم مراحل حياتي ودراساتي الجامعية والعليا ، فكنتُ أجدني أقضي الساعات الطويلة مع نفائس المخطوطات في المكتبة الظاهرية بدمشق ، أو المكتبة الوطنية بباريس ، أو مكتبة الاسكوريال بضاحية مدريد ، ثم أتاح لي عملي بعد ذلك في المغرب (١٩٦٤ ـ ١٩٧٧) أن أقضي أوقاتاً هانئة في مكتباته الغنية بروائع المخطوطات العربية ، وفي مكتبة جامعة القرويّين بفاس خاصة ، وأفادتني خبرتي المتواضعة بالخط المغربي (من عملي في تحقيق كتاب إعتاب الكتاب لابن الأبّار عن أصول خطيّة مغربية) فيسّرت لي الانتفاع ببعض تلك النفائس . أما خزائن المخطوطات في اسطنبول فكانت زيارتي لها خلال صيف ١٩٤٩ خاطفة[١] ، وكم حاولت أن أعاود زيارتها بعد ذلك ، وأسأل

(١) ولكن الحظ أسعدني بلقاء الأستاذ رشاد عبد المطلب فيها ، وكان يومذاك =

الله أن يُعين على تحقيق هذه الأمنية إذا كان في العُمر متّسع لذلك . وهكذا توثقت الصلة بيني وبين المخطوطات ، ويُخيّل لي أني كنت أحسُّ بأنفاس من كتبوها وأنا أقلّب أوراقها ، وكنتُ أجدني أضطرم ألماً وحزناً عندما أشهد بعض الأوراق في المخطوطة ، وقد فتّتها الزمن ، فعبثت الرطوبة بأطرافها ، ومزّق التآكل جوانب منها ، أو تسلّلتِ الأَرَضَةُ إلى جوانب أخرى فخلّفت فيها أنفاقاً من الثقوب والخروق ، أو عندما تنفرط الأوراق المخطوطة ويتخلخل ترتيبها ، فيختل نسقها ويضيع تسلسلُها ، بسقوط بعض الأوراق أو انخرامها أو انتقالها إلى غير مواضعها ، فإذا كانت الأوراق الساقطة من أوّل المخطوطة ضاع اسمها واسم مؤلّفها بضياعها ، وإذا كانت من آخر المخطوطة ضاع معها اسم الناسخ وتاريخ نسخها .. إلى آخر تلك الآفات التي تفتك بالمخطوطات عبر العصور ، ولكنّ هذه الآفات كلّها لا تكاد تعدل الآفة الكبرى حين يكون ناسخ المخطوطة على حظ من الجهل والغفلة ، فيصحّف ويُحرّف ما ينقل ، وحين تنفرد مخطوطته في البقاء وتغدو النسخة اليتيمة الوحيدة التي تُعتمد اليوم لاستخلاص طبعة محقّقة عنها ، فهاهنا يعاني المحقق ألواناً من المشقة لتقويم ما في الأصل الفريد من تحريف وتصحيف ، وغلطٍ وسقط ، وكان الجاحظ يشكو من مشقة إصلاح التصحيف في كلمة مشهورة يقول فيها : « ولَرُبَّما أراد مؤلّف الكتاب أن يُصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ اللفظ وشريف المعاني أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردَّه إلى موضعه من اتصال الكلام »[1] فإذا كان الجاحظ نفسه يشكو من صعوبة تصويب التصحيف فكيف يكون حال غيره اليوم من العاملين في ميدان التحقيق إذا

= يُصوّر النفائس المخطوطة لحساب الجامعة العربية ، ونشأت صداقة بيننا أتاحت لي الاستفادة من خبرته الغنية بالمخطوطات إلى آخر عمره ، رحمه الله وأثابه ، وجزاه عني أوفى الجزاء .

(١) الحيوان (هارون) ١/٧٩ .

وقفوا حائرين أمام النصوص التراثية في نسخة خطية وحيدة ولم تسعفهم المظان والمصادر الأخرى في تصويب ما فيها من تصحيف وتحريف وتشويه ، وقد بلوتُ بنفسي شيئاً من ذلك في عملي لتحقيق ديوان خالد بن يزيد الكاتب عن النسخة اليتيمة الفريدة المحفوظة في الظاهرية ، وقد تمكنت من إصلاح عدد كبير من أخطاء الناسخ وعجزتُ عن إصلاح عدد منها على رغم ما بذلتُ من جهد وما أنفقتُ من وقت ، ولا أزال أطمع بالاهتداء إلى تصحيح ما لم يصحح من عويص التصحيف والتحريف ، بالصبر والأناة ، والبحث في المصادر والمراجع والمظان ، قبل أن أعزم على دفع عملي في تحقيق هذا الديوان إلى الطبع[1] . ولا بُدَّ من الاعتراف بأني أُحسُّ بمتعة لا حدَّ لها عندما تُطالعني النصوص المخطوطة القديمة بكلمات مُصحفّة ، فأهتدي حيناً إلى إصلاحها ، أو أقف حيناً حائراً أمامها ، أُقلِّبُ النظر في شتى الاحتمالات الممكنة ، فإذا عجزتُ لم أيأس ، وعمدتُ إلى نقل النص المصحّف نقلاً تصويرياً ، لأُتابع النظر إليه والتفكير فيه أياماً ، قبل أن يحالفني التوفيق في الاهتداء إلى إصلاحه حيناً ، أو أن أُقرّ بالعجز عن تصويبه أحياناً ، وألتمس العون عليه من الآخرين ، ممّن أثق بفضلهم وتمكّنهم ، وحسن اطّلاعهم ووفرة نصيبهم من الرواية والدراية ، ليجرّبوا حظهم ، فإن لم أجد عندهم ما أرجو ذكرتُ أنّ أحداً من المحقّقين العاملين اليوم على إحياء كتب التراث العربية – وفيهم عدد من العلماء العرب الفحول الذين تفوّقوا في ميدان التحقيق – لا يسلم من القصور والعجز عن تقويم بعض الأخطاء وإصلاح بعض التصحيف العويص والتحريف والتشويه ، وأدركتُ صعوبة المهمة التي كان الجاحظ يشكو منها

(١) كانت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أعلنت عن الديوان وعملي في تحقيقه وجعلته في جملة « الكتب التي ستقدم إلى المجمع لنشرها » منذ عام ١٩٧٤ (المجلة : ٤٩ العدد الأول ص٢٢٤ كانون الثاني ١٩٧٤) .

في عصره ، يوم كان التصحيف آفة عامةً لا يسلم منها الأجلاءُ من شيوخ اللغة وأئمة الحديث ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن يَعْرى من الخطأ والتصحيف ! »[1] فإذا لم يكن باستطاعة أحد أن ينجو من الخطأ والتصحيف – مهما يكن حظه من الرواية والدراية والفطنة والذكاء وموالاة الاطلاع والبحث كبيراً – لأنه بشرٌ ، والعصمة لله وحده ، لم نر في قصوره ذاك منقصةً من أفضاله ومزاياه : ويوم كان الدكتور طه حسين يجهل وجود كتاب للمبرّد اسمه (الفاضل) صدر قبل أشهر عن دار الكتب المصرية بتحقيق العلاّمة الميمني الراجكوتي ، وقرئ عليه إعلانٌ في الصحف القاهرية عنه ، غُمَّ عليه أمرُه ، وذهب به الظن إلى أنه كتاب (الكامل) المشهور للمبرّد ، وحكم بوقوع التصحيف ، وقال في محاضرة له في مؤتمر المجامع العلمية العربية بدمشق عام ١٩٥٦ بأسلوبه الساخر آخذاً على الصحف جهلها وتصحيفها : « والكتاب – في الصحف – **لا يُسمى الكامل بل يُسمّى الفاضل** ! وقد يكون للمبرّد كتاب اسمه الفاضل ، ولكني أعترف أنني لم أقرأه ولم أسمع به قبل اليوم ! »[2] وعندما قيل للدكتور طه حسين بعد المحاضرة إن كتاب الفاضل للمبرّد وصلت منه نسخٌ إلى دمشق اعترف ثانية أنه لا يعرف شيئاً عنه[3] ! .

وكان القدماء يردّدون القول « لا أعلم نصفُ العلم » والمحققون العاملون اليوم على إحياء كتب التراث ونشرها يُصوِّبون ما يستطيعون تصويبه من الأخطاء وعويص التصحيف ، ويَدَعون ما لم يقدروا على إصلاحه ، بعد معاناة المشقة وبذل أقصى الجهد ، لعلَّ في القراء والنقّاد بعد

(١) المزهر : ٢/٣٥٣ .

(٢) مجلة الآداب (البيروتية) : العدد الحادي عشر لعام ١٩٥٦/ت ٢ ص٧٣ .

(٣) هذا الاعتراف بحد ذاته فضيلة ، وسأشير إلى موقف العلماء المصحِّفين من التنبيه على تصحيفهم فيما بعدُ : (الفصل : ١٢) .

صدور الطبعات الأولى ، من يكون أقدرَ على الاهتداء إلى الصواب فيها ، ليتمّ استدراك ما يرون استدراكه في الطبعات التالية ، حتى يتمكّن الكتاب التراثي العربي من التخلص من تلك الآفات التي أصابته بأيدي الناسخين الماسخين قديماً ، والطّابعين الجاهلين حديثاً ؛ والعمل في إحياء التراث جهدٌ دائب ومستمر ، ولن يحقّق ما يُرجى منه إذا لم يتّصف العاملون فيه بالسماحة والتواضع ، ولم يُرحّبوا بما يُقدّمه النقدُ إليهم من توجيه وتقويم .

- ٢ -

والحقُّ أن بين القُرّاء - على اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية - من يهتدون إلى أوجه الصواب في كثير من أخطاء التصحيف والتحريف التي يسهو المحققون البارعون عنها أحياناً ، أو يعجزون عن إصلاحها ، ذلك أن ذهن المحقق يتّجه حيناً في قراءة الكلمة المصحَّفة وجهة واحدة ضيِّقة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها ، فتظلُّ الصورة الصحيحة بعيدةً عن دائرة رؤيته ومجال تفكيره ، فإذا عُرضت الكلمة على قارئٍ خالي الذهن اهتدى بِيُسر إلى وجة الصواب فيها ، من غير إعمال فكره فيها ، وتلك ظاهرة عرفتُها وأفدتُ منها في قراءة النصوص المخطوطة ، وقد لَفَتَني إليها ما كنت أراه من عَرْض الأساتذة المستشرقين على طلبتهم لصور صفحات من المخطوطات التي كانوا يعملون في تحقيقها وإعدادها للنشر ، وقد اتّفق لي في أول درس حضرته في الدراسات العليا على المستشرق الكبير الأستاذ بلاشير في السربون ، أني دخلت القاعة فوجدت الأستاذ يتصدّر المجلس وحوله الطلبة الذين يعملون تحت إشرافه ، من العرب والمستعربين ، فجلست حيث انتهى بي المجلس ، وكان الأستاذ يدفع إلى الطلبة أوراقاً مصوَّرة ليقرؤوا ما يُريده من سطورها ، وقرأ غير واحد منهم هذه العبارة : « وكان يهوى جارية **لمعين** » وشرح بعضهم ما قرأ بقوله : « لرجلٍ مُعَيَّنٍ » وقرأتُ أنا

بتوفيق من الله – لسابق صلتي بالمخطوطات والتصحيف فيها – « لِمُقَيِّنٍ » وقلتُ : هو بائع القيان والجواري ، فتهلّل وجه الأستاذ لقراءتي ، واستدناني منه ليسألني عن اسمي وبلدي والجامعة التي أوفدتني ، وكان تصويبي للكلمة المُصحَّفة فاتحة خير لكل ما لقيتُ من عنايته وعونه لي من بعد ، مما سأظلّ أذكره دائماً بالتقدير والشكر والعرفان .

ولا أحسبني بحاجة إلى تقديم الشواهد الكثيرة على صحة الظاهرة التي ذكرتُها ، وأكتفي بمثال واحد نقع عليه في (نظرات الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار) الذي شرحه وحقّقه الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور[1] ، وفي تلك النظرات ما شئتَ من جُهدٍ كبير وعلمٍ غزير ، ومقدرةٍ على معرفة المصحّف والاهتداء إلى تصويبه ، وقد بذل فيها صاحبُها وُسْعَه واستفرغ مجهوده ، كما يقول بحقٍ في مقدّمته لتلك النظرات[2] ، ونقف عند النظرة (١٥٩) لنقرأ بعض ما جاء فيها :

« قال بشار في هجاء بني زيد : (الديوان : ٨٧/٣)

إذا الليلُ غطّاهم **غدَوا** تحتَ ظِلّهِ وأثوابُهم **مسحورةٌ** لِفَسادِ

كتب « غدوا » بالغين المُعجمة ، و« مسحورة » بالسين المهملة والحاء : ولعلّ صواب الأولى : « عَدَوْا » بالعين المهملة ، والمعنى : جروا وسَعَوْا في الفساد ، مُتَسَتِّرين بظُلمة الليل . ولم أهتد إلى وجه الصواب في الثانية « مسحورة »[3] .

لقد أدرك الدكتور الفحّام بثاقب نظرته وذوقه اللغوي والأدبي أنّ في البيت تصحيفاً في كلمتي (غَدَوْا) و(مسحورة) واهتدى إلى إصلاح التصحيف في الأولى ، ولم يهتد إلى إصلاحه في الثانية ، مع أن وجه

(١) ديوان بشار بن برد (ط القاهرة ١٩٥٧) .

(٢) نظرات في ديوان بشار (ط : ٢ دمشق ١٩٨٣) ص٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٩ ــ ١٥٠ .

الصواب في الثانية أقربُ وأظهرُ ، لو لم يكن الذهن غافلاً عن ملاحظته ، وهو (محسورةٌ) ، تقول : حَسَرَ الثوبَ وحَسَرَ عنه إذا كشفه ، وهنا يزداد معنى البيت اتّضاحاً ، وتتألق صنعة بشار في الطباق بين الليل وقد ستر بني زيد وغطّاهم ، وثيابهم التي كشفوها وحسروها عنهم ، وهم ماضون في الرِّيبة ومنهمكون في الفساد ! وليس في (مسحورة) غيرُ تقديم السين على الحاء ، وهو تحريف مألوف يكثر النساخ من الوقوع فيه ، وفي نظرات الدكتور شاكر الفحام في ديوان بشار أكثر من مثال على تصويب هذا اللون من التحريف في كلمات الديوان ، ففي النظرة (٣٥) ينقل بيت بشار : (الديوان : ١/١٨٠) :

تَكَلَّفُ إرشادي وقد شابَ مفرقي وحمَّلني أهلي فليس أُريبُ

الذي يتحدث فيه عن ناصحة له تريد له أن يرعوي عن جهل الصبا ، ويقول : « والصحيح أن كلمة (حمّلني) محرّفة صوابُها (حلّمني) بتقديم اللام على الميم ، من الحلم ، وهو تعبير شائع في كلام العرب وأشعار السابقين المتقدّمين ، قال في اللسان : حلَّمه تحليماً : جعله حليماً إلخ ... »[1] وفي النظرة (١٨٥) ينقل قول بشار في رثاء صديقين له : (الديوان : ٣/١٥٥) :

قد كنتُ أرجو مع الرّاجي إيابَهما حتى أقاما على رَغْمي **بمَخْلُود**

ويقول : « كتب (بمخلود) : بالخاء المعجمة تليها اللام ، والصواب : (بملحود) باللام تليها الحاء المهملة ، ... وقال في الأساس : « وقبروه في لحدٍ وملحود »[2] وفي هذا المثال يلتقي التحريف والتصحيف في الكلمة ، وتزداد مهمة المحقق في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها صعوبة وعُسراً ، لِيبينَ فضلُه وإحسانه .

(١) المصدر السابق : ٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

- ٣ -

غير أن الحكم بوقوع التصحيف في النص وتحديد موضعه فيه أمرٌ ليس باليسير الهيّن دائماً ، فهو يتطلّب حيناً قدراً من البصيرة النافذة والدراية الواسعة والذائقة اللغوية والأدبية ، كيلا يخطئ المحقق فيصحّف غير المصحَّف ، وقد ألفنا من كثير من العاملين في ميدان التحقيق أن يغفلوا أو يتغافلوا عن ملاحظة التصحيف أو التحريف في بعض ما ينشرون ، وبعضهم من ذوي الكفاية والتجربة الكبيرة في تحقيق المخطوطات ونشر كتب التراث ، وليس لهم من عذر في غير العجلة ، ولولاها لكان في وسعهم أن يُنبِّهوا إلى ما غفلوا أو تغافلوا عن ملاحظته ، ولبذلوا ما يستطيعون من جهد في إصلاحه ، فإن عجزوا اكتفوا بالتنبيه على الخطأ ، وتركوا للنقّاد والقراء أن يشاركوا في محاولة تصحيحه ؛ وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف أهمل المحقّقون التنبيه عليه فيما نشروه من كتب التراث الأدبي ، وكلهم من العلماء المتمكّنين الأفاضل المعروفين بإخلاصهم في خدمة التراث والعمل الجاد على إحيائه ونشره :

١ - في (وفيات الأعيان) لابن خلّكان (٤٢٠/١) بتحقيق الدكتور إحسان عباس نقرأ : « بشار بن بُرد وهو من الشعراء مُخضرمي الدولتين العباسية والأموية ، وقد **شَرَّفهما** ومدح وهجا وأخذ الجوائز السنيَّة مع الشعراء » ويُعلِّق الناقد الدكتور علي جواد الطاهر على النص (ملاحظات على وفيات الأعيان : ٢٨) بقوله : « إنّ كلمة شرّفهما غير واضحة ، وفي غير مكانها ، فما ورد يوماً أن شاعراً شرَّف دولةً ، فلا بُدَّ - إذاً - من وقوع تحريف في الكلمة يحسن التنبيه عليه ، إن استحال تحديده وتصحيحه » ولكن المحقق لم ينتبه إليه ولم يُنبّه عليه ، وتصحيح التحريف لم يكن مستحيلاً ، ففي رجوعنا إلى ترجمة بشار في كتاب الأغاني (دار : ١٣٥/٣) نقع بيُسر على الأصل الذي نقل ابن خلكان عنه

وفيه التصحيح « وقد شهِرَ فيهما » والأغاني من أهمّ مصادر ابن خلكان في وفياته !

٢ - وفي كتاب (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره) ص٤٢٣ بتحقيق الدكتور شكري فيصل نقرأ هذا البيت للشاعر في الحكم :

يُكْرِمُ المرءُ وإنْ أمْـ ــلَقَ أقصاهُ بَنُوهُ

وفيه تصحيف لم ينتبه المحقق إليه ولم يُنبِّه عليه وتصويبه : يُكرم المُثري ... كما في (شرح المقامات للشريشي : ٦٦/١) وبهذا التصويب يبرز المعنى ويتألّق الطباق بين الثراء والإملاق ، ولا حجة بورود البيت مُصَحّفاً أيضاً في الطبعة المحقّقة من كتاب (المزهر) : ١٥٧/١ برواية ابن دريد ، فقد رجعنا إلى مخطوطة (تعليق من أمالي ابن دريد) المكتوبة في دمشق عام ٦٤١هـ والمحفوظة في الخزانة العامة بالرباط : ص٨٦ فوجدنا بيت أبي العتاهية فيها سليماً من التصحيف ! .

٣ - وفي (ديوان الخالديين) ص١٤٥ - ١٤٦ الذي جمعه وحقّقه الدكتور سامي الدهان نجد هذه الأبيات لأبي عثمان الخالدي منقولةً عن (يتيمة الدهر للثعالبي) و(معجم البلدان لياقوت) :

قمرٌ بديرِ المَوْصِلِ الأعلى أنا عبدُهُ وهَواهُ لي مَوْلى

لَثَمَ الصليبَ فقلتُ من حَسَدٍ قُبَلُ الحبيبِ فَمِي بها أوْلى

جُدْ لي بإحداهُنَّ **كي يحيا بها** قلبي فَحَبَّتُهُ على المَقْلى

وصدر البيت الثالث مكسور ، ولم يفطن المحقق إلى كسره ، واكتفى بالإشارة إلى أن رواية ياقوت للبيت :

جُد لي بإحداهن **تحويها** قلبي ....

ولم ينتبه إلى التصحيف في كلمة (تحويها) وصوابه (تَحْوِ بها) والفعل مجزومٌ بجواب الطلب ، والمعنى : تمتلكْ بها قلبي ، ورواية ياقوت

تشير إلى زيادة (كي) في رواية اليتيمة ، وبإسقاطها يتَّزن الصدر أيضاً ويعتدل بوقوع الجزم على الفعل :

جُـد لي بـإحداهُنَّ يَحْيَ بهـا   قلبي ....

وقد سها محقّقو اليتيمة عن تصحيح وزنه[1] ، كما سها عنه ناقد الديوان الأستاذ محمد عبد الغني حسن في مقالته القيمة التي صحّح فيها عدداً من أخطاء التصحيف والتحريف فيه[2] .

٤ – وفي (ديوان ديك الجن الحمصي) ص١٠٧ الذي جمعه وشرحه الأستاذان عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش نجد هذين البيتين في وصف نُحول جسم العاشق ، منقولين عن (ديوان المعاني) و(محاضرات الأدباء) :

أَنْحَلَ الوجدُ جسمَهُ والحنينُ   وبَرَاهُ الهوى فما يَسْتَبِينُ
لم يعِشْ أنّه جليدٌ ولكنْ   دقَّ جدّاً فما تراهُ **العُيونُ**

ولم ينتبه جامعا الديوان إلى التصحيف في كلمة (العيونَ) وصوابه (المَنُونُ) كما نقع عليه في نهاية الأرب (٢/ ٢٦٠) وهذا الكتاب من مصادرهما في جمع شعر ديك الجن ، فقد نقلا عنه ثماني مرات[3] ، وفاتَهما العثورُ على البيتين فيه ، وجاء في شرحهما لهما : « لقد أنحل الحبُّ والشوقُ جسم هذا العاشق وبَرَاه (وَبَرياه ؟) وإذا كان ما يزال يعيش فما ذلك لأنه قوي قادرٌ على الحياة ، ولكن لأنه يختفي عن عيون الموت ، فلا تراه من نُحوله ! » وبتصحيح التصحيف يبرز الطباق بين الحياة والموت (العيش والمنون) ويستغني الشرح عن التأويل واستعارة العيون للموت .

(١) انظر طبعة الصاوي (مصر : ١٩٣٤) : ١٨٦/٢ ، وطبعة الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر : ١٩٤٧) : ٢٠٦/٢ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ٦٩٠/٤٥ – ٦٩٦ .

(٣) انظر ديوان ديك الجن : ٢٩ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ .

٥ – وفي (رسائل الجاحظ) ١٦/١ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون يقول الجاحظ في رسالته (مناقب الترك) على لسانهم : « ونحن الذين ذكرَنا وذكر بلاءَنا إمامُ الأئمة ، وأبو **الخلائق** العشرة محمد بن علي ، حين أراد توجيه الدُّعاة إلى الآفاق .. » ففي كلمة (الخلائق) تصحيف لم ينتبه المحقق إلى وقوعه فيها ، وتصويبه (الخلائف) ، لأن الجاحظ الذي كتب هذه الرسالة في عهد المعتصم ، ثامن الخلفاء العبّاسيين يقول فيها (ص : ٣٦) : « هذا كتاب كنتُ كتبتُه أيام المعتصم بالله ، رضي الله عنه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحُها » وقد قدّمها من بعدُ إلى الفتح بن خاقان في عهد المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين ، وكان الفتح قد أصبح أهمَّ رجال ذلك العهد وأشهرهم ، وكتب الجاحظ مقدّمات الرسالة من جديد في عهد المتوكل ، ومحمد بن علي يومذاك والد عشرة من الخلفاء : من السفّاح إلى المتوكل ، فوصفه بأنه « أبو الخلائف العشرة » ولم ينتبه المحقق إلى ذلك كله وعلّق في الحاشية بقوله : « محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والد السفّاح والمنصور ، أول من نطق بالدعوة العباسية ، توفي سنة ١٢٥هـ » فدلّل بذلك على أن التصحيف الواقع لم يكن من قبيل الأخطاء المطبعية التي سها المراجعون عن تصحيحها .

٦ – وفي (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ص٣٧٤) بتحقيق الأستاذين علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم نقع على مثالين للتحريف لم ينتبه المحققان الفاضلان إلى وقوعه فيهما ، وأولهما في قول بعض المحدثين في وصف القِصَر :

وقصيرٍ لا تعملُ الشـ ـمسُ ظِلًّا لِقامَتِهْ
يعثرُ الناسُ في الطريـ ـقِ به من **دَمامَتِهْ** !

وفي (دمامته) تحريف تصويبه (قَماءَتِه) والقماءةُ في القامةِ الصِّغَرُ والقِصَرُ ، وبهذا التصويب يستقيم معنى البيت الثاني ويظهر ارتباطه بالبيت

الأول : فالموصوف فيهما قصيرٌ مفرط في قصره ، لا تكاد الشمس ترسم لقامته ظِلاً ، والناس في الطريق لا يرونه من فَرْطِ قصَرِه وضآلة جرْمه فيعثرون به ! أما (الدمامة) فهي قاصرة عن تفسير أسباب تعثر الناس به في الطريق ، إلاّ بتأويلٍ بعيد !

والتحريف الثاني في قول آخر في الإفراط في صفةِ عِظَم الأنف :

لقد مَرَّ عبد الله في السُّوقِ راكباً ... له **حاجةٌ** من أنفِه ومُطَرِّقُ
فأَقْذِرْ بهِ أنفاً وأَقْذِرْ بَرَبِّه ... على وجهه منهُ كنيفٌ مُعَلَّقُ

ففي (حاجة) في عجز البيت الأول تحريفٌ ، وتصويبُه (حاجِبٌ) وبه يتَّضِح معنى البيت : فعندما يجتاز عبد الله بأنفه الكبير ، الأسواق المزدحمة بالناس ، وهو راكبٌ على دابته ، لا يكون بحاجةٍ إلى حاجب له من حاشيته ، يسير أمامه ، وينبِّهُ الناس ليفسحوا المجال لمروره ، فأنفُه العظيم ينتصبُ أمامه ، حاجباً ومُطَرِّقاً ، والمُطرِّق هو الذي يمشي أمامه ليوسِّع له الطريق ويدفع عنه المارّة والزحام !

٧ - وفي (البصائر والذخائر) للتوحيدي (القسم الثاني من المجلّد الثالث : ٦٣٣) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني نقرأ قول أحدهم للحسن البصري : « إنّك تريد الحجَّ ، وأنا أُريدُ ، أفأُصحبُكَ ؟ فقال الحسن : دعنا نتعايش **بعيش الله** ، إني أكره أن نصطحب فيرى بعضُنا من بعضٍ ما نتماقَتُ عليه ! » وفي قوله تصحيفٌ صوابهُ (بستر الله) ، وقد أورد الثعالبي في (ثمار القلوب) : ص٣٢ في كلامه على (سِتْر الله) جواب الحسن البصري سليماً من التصحيف .

٨ - وفي (ثمار القلوب) هذا (ص : ٢٢٥) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم يقول الثعالبي في كلامه على (طبع البحتري) : « ومِمَّن ضربَ المثل بطبعه السَّلاميُّ ، حيث قال :

وأُعطيتُ طبعَ البحتريّ وشعرَهُ ... فمن لي بمالِ البحتريّ **وغَمْرِهِ** »

وأورد المحقق (غَمْرَهُ) بالغين المعجمة المفتوحة فدلّل بذلك على أنه لم يفطن إلى التصحيف في الكلمة ، وتصويبُه (وعُمْرِه) بالعين المهملة المضمومة ، والبيت سليم من التصحيف في (يتيمة الدهر) للثعالبي (٤٢٩/٢) مؤلف (ثمار القلوب) نفسه ، ففي البيت يتمنى السَّلامي أن يُرزق غنى البحتري وطُولَ عُمره ، بعد أن وُهبَ طبع البحتريِّ في شعره ، وكان البحتري يتكسّب بشعره ، حتى أصبح من كبار الأثرياء في عصره[1] ، وامتدَّ عُمره حتى ناهز الثمانين[2] ، ولم يمت حتى ماتت نعمة الترف في عينيه !

٩ – وفي (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابئ : ص٦٤ بتحقيق الأستاذ ميخائيل عواد ، نجد بيتاً من قصيدة للصاحب إسماعيل بن عبّاد ، يمدح بها عضد الدولة البُويهيَّ ويذكر فيها هزيمة أبي تغلب الحمداني[3] أمير الموصل وديار ربيعة ، وهو :

ضَمَمْتَ على أبناء تغلبَ ثَأْيَها فتَغْلِبُ ماكرَّ الجديدانِ تُغْلَبُ

واكتفى المحقق بالتعليق على كلمة (ضممتَ) بقوله : « لعلّها هجمت » فدلل بذلك على سهوه عن التصحيف الواقع في كلمة (ثأيها) وتصويبه (تاءَها) والمعنى : بانتصارك يا عضد الدولة على بني تغلب

(١) فاض كسب البحتري من شعره حتى أصبح يملك الضياع الكثيرة (أخبار البحتري : ١١٩ – الخبر : ٦٦) ويركب عند مسيره في موكب من عبيده (العمدة : ١٧٧/٢) .

(٢) من عام (٢٠٦ إلى ٢٨٤هـ) : أخبار البحتري : ١٩١ ، ووفيات الأعيان : ٨١/٥ .

(٣) هو فضل الله بن ناصر الدولة المقتول عام ٣٦٩ وتفصيل مصرعه في هذا العام في (الكامل) لابن الأثير .

الحمدانيين ضممتَ حرف التاء في (تَغْلِب) فصارت (تُغْلَبُ) دائماً ، والبيت شاهدٌ على ولع الصاحب بالصنعة ، وقد شُهر بذلك .

وفي هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات التسع السابقة لونٌ من التصحيف والتحريف يَغفل المحقّقون عن ملاحظته والتنبيه عليه ، أو يتغافلون عن ذلك عندما تحول العجلة دون الاهتداء إلى وجه الصواب فيه ، والخطر الكبير هنا في تعميم الخطأ ونشره وسيرورته عند الكثرة الكاثرة من القُرّاء ، وهم يحسبونه سليماً فلا يحتاطون في قبوله ، ولو أنهم وجدوا تنبيهاً عليه من المحقّق لاحتاطوا ، وشارك بعضُهم في بذل الجهد لتصحيحه وإصلاحه .

٤

إن تنبيه المحققين على وقوع التصحيف أو التحريف في النصوص التي ينشرونها ، عندما تعجز جهودهم عن الاهتداء إلى الصواب ، من أهم الواجبات في أصول التحقيق على أسس علمية منهجية ، ويكون التنبيه بطريقة ما : كإفراد تعليق له في الحاشية ، أو الاكتفاء بكتابة كلمة (كذا) أو بوضع علامة التعجب (!) إلى جانب المُصحَّف أو المحرَّف ، وبهذا التنبيه يعلن المحقق قصوره ، بعد بذل قصارى جهده ، وقد أدّى الأمانة على قدر طاقته ، وترك للقراء أن يشاركوا في البحث ويحتاطوا من قبول الخطأ وسيرورته بينهم ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التصحيف والتحريف ، نختارها من كتب تراثية محققة بإشراف المجمع بدمشق ، وصدرت في جملة مطبوعاته :

١ - في (كتاب أخلاق الوزيرين) للتوحيدي (ص : ٢٩٢) بتحقيق الأُستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، يتحدث عن القُضاة بقوله :

« ألا تراهم كيف يُوسِّعون أكمامَهم ، ويُعرِّضون جيوبَهم .. ألا ترى إلى دَنِّياتِهم **وقرامعتهم** وقلانِسهم وعمائمهم » ويكتفي المحقق بالتعليق على كلمة (قرامعتهم) بقوله في الحاشية : « كذا الأصل » لِيُنبِّه قارئه إلى التصحيف فيها وقصوره عن تصويبه !

والحق أن كتاب (رسوم دار الخلافة) للصابئ يُقدِّم التصويب ففيه وصفٌ للدَّنِّيَّاتِ والقَراقِفات التي يلبسها القضاةُ في العهد العبّاسي « وقد تُركت في زماننا ، وعُدِل إلى العمائم السود المصنقولة » كما يقول الصابئ في كتابه (ص : ٩١) فالتصحيف تصويبه (وقَراقِفَتِهم) ، والكلمة جمع الجمع لقَرْقَفَة الآرامية ، وهي قلنسوة ضخمة من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين[1] ، ويبدو أنها لم تكن مقصورة عليهم ، فقد شوهد الشاعر البحتري عندما جاء لزيارة صديقه المبرّد ، و« على رأسه قرقفةٌ ، وعلى كتفه طيلسان أخضر[2] » كما ينقل ذلك الزبيدي في طبقاته (ص : ١١٤) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ، وجاءت الكلمة عنده مصحَّفة إلى (**فرافقة**) وعلّق المحقق عليها في الحاشية : « كذا في الأصل ، ولم أتبيَّن وجه الصواب فيها ! » وعندما نقلنا خبر الزبيدي في حواشي كتاب (أخبار البحتري) اعترضنا التصحيف في الطبعة الأولى الصادرة عن المجمع عام ١٩٥٨ فاجتهدنا في تصحيحه ، ولم نُصب ، ثم صوّبناه في الطبعتين التاليتين للأخبار[3] ، بعد الاطلاع على (رسوم دار الخلافة) الصادر في بغداد عام ١٩٦٤ ، كما

(١) رسوم دار الخلافة : ص٩١ الحاشية : ٣ ، ويُحيلنا المحقق على (دليل الراغبين في لغة الآراميين : ص٧٠٩) .

(٢) أخبار البحتري للصولي : الخبر الأول وحواشينا عليه .

(٣) طبعة ثانية في دار الفكر بدمشق (١٩٦٤) وطبعة ثالثة في دار الأوزاعي ببيروت (١٩٨٧) .

أخطأ وجه الصواب الدكتور عزة حسن في اجتهاده لإصلاح هذا التصحيف في تحقيقه لكتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري إذ جاء فيه : « **والعرافقة** ، وهي التي يلبسها الخُطباءُ والقضاةُ مُعَرَّبة » (٢٠٥/١) فصوّبها المحقق : « والقراطفّ » وعلّق على الكلمة بقوله في الحاشية : « في الأصل المخطوط : العرافقة ، ولم أجدها في كتب اللغة ، ونراها تصحيفاً للقراطف جمع قرطف ، وهي القطيفة المخملية ! » وهكذا يشارك عدد من المحقّقين في محاولة الاهتداء إلى تصويب تصحيف ما ، ولولا تضافر جهودهم لما أصابوا وجها الصواب فيه .

٢ - وفي (كتاب الاختيارين) للأخفش الأصغر : (ص : ٣٠٦) بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة نقرأ للنظّار الفَقْعَسي[1] من قصيدة يصف فيها فرسه :

له شَظَيً لا عيبَ فيه مِن شَظًيً هُنِّي لِلجَرْيِ ومَتْنٌ رَيَّانْ
إلى عُجاياتٍ له مَلْكُوكَةٍ في دَخَسٍ دُرْمِ الكُعوبِ **اتان**

ويُعلق المحقّق على الكلمة الأخيرة بقوله في الحاشية : (كذا « اسان » في ع و ل - يعني مخطوطتي صنعاءَ ولندن - ومثله في اللسان (لكك) . م : « أفنان » - يعني ما نُشر في الهند بعنوان : « نُخبة من كتاب الاختيارين » ولعلَّ الصواب : « إبنان » وهو جمع بنّ : الطرق من الشحم ، ويُكنى به عن القوّة ؛ وربما كانت « أبيان » جمع بَيِّن ، وهو الواضح ، أو « إثنان » أي بعضها يُشبه بعضاً في مرأى العين .)

وفي هذا التعليق المُطوّل الدليلُ على أن المحقق بذل غاية جهده في اجتهاده للكشف عن الكلمة الغامضة ، بأحرفها التي فقدت نُقطها في الأصلين المخطوطين ، وترك للنقّاد والقراء أن يشاركوا في محاولة الاهتداء

(١) شاعر إسلامي من بني فقعس ، من أسد : الأعلام : ٣٦٠/٨ .

إلى وجه الصواب فيها ، وهو (أُثنان) جمع ثِنّ : وهو المِثْلُ والشَّبيهُ ، وقصيدة النظّار الفَقْعسي - أو القسم الأكبر منها - نجدها مع شرح مفرداتها ومعانيها في (كتاب الفصوص) لصاعد البغدادي ، وقد وصل إلينا منه نسختان خطّيتان[١] ،وفيهما شرح صاعد للبيتين ، ويصف الشاعر في ثانيهما عجايات فرسه أي قوائمه فيقول إنها قويةٌ وصلبة (ملكوكة) ومتشابهة (أُثنان) بلحمها المكتنز (الدخيس) والكعوب المغطّاة باللحم (وهي الدُّرْم) وبوقوعنا على البيت وشرحه في كتاب الفصوص تمَّ لنا إيضاح الكلمة الغامضة وتصويب التصحيف فيها .

٣ - وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : ٣٠٣/١ بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس نجد هذا البيت :

أيُّها القلبُ لم يَدَعْ لكَ في وَصْـ ـلِ العَذَارى نِصْفُ الهَبِيدَةِ عُذْرا(!)

وعلامة التعجب في آخر البيت وضعها الحقق واكتفى بها عن إعلان حيرته أمام غموض معناه وتحديد موضع الغموض فيه، وترك للنقّاد والقراء أن يحاولوا بدورهم كشف غموضه .. وكذلك حار ناقد الديوان (الأستاذ رشدي الحكيم) في مقالة له في مجلة المجمع (٤٨١/٣٣) في تصحيح البيت وفهم معناه وعلّق عليه بقوله : « لعلّه النَّصف بفتح النون من تنصّف الشيبُ إذا كان والسواد نصفين ، والهبيدة حبُّ الحنظل كناية عن الشيب » وعلّقت لجنة المجلة عليه : « لم نجد هذه الكناية في كتابٍ ، ويظلُّ المعنى غامضاً ! » وقد ظل المعنى غامضاً حتى أُتيح لناقدٍ آخر وهو العالم المغربي الجليل الأستاذ عبد الله كنون أن يوضّحه بحكمه بوقوع التصحيف في كلمة (الهَبِيدة) وتصويبه (الهُنَيْدَة) ، وهي اسمٌ للمائة

(١) نسخة القرويين والنسخة الكتانية ، والثانية في جزأين كتبت عام ١٢٥٨هـ .

من الإبل وغيرها ، وقوله « نصفُ الهُنيدَة في بيت ابن أبي حصينة معناه خمسون سنة ، وهي التي لم تدع له عذراً في وصل العذارى » (مجلة المجمع : ٦٩٦/٣٣) وقد أصاب الأستاذ كنون في تصويبه ، وفي الأغاني (دار : ١٩٣/١٤ - ١٩٤) خبرٌ عن أحمد بن المكي قال : « غنّيتُ المتوكل صوتاً ... فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلتُ : يا سيدي أسألُ الله أن يُبلِّغَكَ الهُنَيْدَة ، فسأل عنها الفتح [بن خاقان] فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أُخرى » .

٤ - وفي القسم المطبوع من كتاب (قطب السرور) لابن الرقيق القيرواني : (ص٤١٣) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقرأ : « وقال الصنوبريُّ :

شَربْنا في **بَغَادينِ** على تلكَ الميادينِ
على ضحكِ الهزاراتِ على نَوْح **الشّنانينِ** »

ونجد المحقق وقد تفطّن إلى وقوع التصحيف في كلمتي (بغادين) و(الشنانين) فأفرد لهما حاشيتين ، فقال في الأولى : « لم نعثر على كلمة بغادين ، وقد يكون الشاعر قصد بغداد » وقال في الثانية : « كذا في الأصل » ولم نعثر على أصل هذه الكلمة ، وقد تكون السّعانين (بالسين والشين) وهو عيد عند النصارى قبل الفصح بأسبوع » ولم يُصب المحقق توفيقاً في اجتهاده لتصحيح الكلمتين المُصَحَّفتين ، وتصويبهما (بَعَاذِين) و(الشَّفَانين) : فأما (بَعَاذينُ) فهي قرية من قرى حلب ، كما يذكر ياقوت في (معجم البلدان : ٤٥٢/١) وينقل لنا بيت الصنوبري سليما من التصحيف ؛ وأما (الشفانين) فهي جمع لِلشّفنين ، وهو ضربٌ من الحمام ، وفي (الديارات) للشابشتي (ص١٤٣) بيت للصنوبري في وصف دير زكّى :

صاح فيه الهزارُ ناحَ به القُمْـ ـريُّ غنّى في جَوِّه الشّفنِينُ

وقصيدتُه في (بعاذين) كانت من مشهور شعره في حياته ، وذكروا أن المتنبي لقيه ذات يوم فسأله : « أنتَ صاحبُ بعاذين ؟ » (العمدة : ٨٣ – ٨٤) والقصيدةُ كلُّها كما تقول مجلة المجمع (١١/٣٣) في (جمهرة الإسلام) للشيزري .

٥ – وفي (كتاب العرب أو الردّ على الشعوبية) لابن قتيبة الذي نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، وضمّه الأستاذ محمد كرد علي إلى غيره من (رسائل البلغاء) من اختياره وتصنيفه ، يقول ابن قتيبة (ص : ٣٧٠) في الردّ على الشعوبية :

« وأمّا أكلُهم **باليارحين** والسكّين فَمُفسدٌ للطعام ، ناقصٌ لِلَذَّتِهِ ، والناس يعلمون ... أنّ أطيبَ المأكول ما باشرتْه كفُّ آكله ... الخ » ويعلّق ناشر الكتاب أو جامع الرسائل على كلمة (اليارحين) بقوله في الحاشية : (كذا) وقد ظلّت الكلمة المصحّفة غامضة عندي حتى عثرت على تصويبها في (كتاب البخلاء) للجاحظ بتحقيق الدكتور طه الحاجري (ص : ٥٩) وهو (البارجين) وقد جاء على لسان الحارثي : « والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحَسْو ... وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكّين » ويقول محقق الكتاب : « يظهر أن هذه الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي « برچيدن » ومعناه الالتقاط ، ويُلاحظ أن مادة الفعل « برچين » ويُؤخذ من سياق ذكرها أنها أداةٌ من أدوات الأكل ، ولعلّها كانت شيئاً قريباً من الشوكة المستعملة الآن » (البخلاء : ٣٠٨) .

في هذه الأمثلة التي قدّمناها في الفقرات الخمس السابقة لونٌ من التصحيف لم يَسْهُ المحققون عن ملاحظته ولم يُغفلوا التنبيه عليه ، بل وقفوا عنده واجتهدوا في صبر وأناة أحياناً ليصلوا إلى وجه الصواب فيه ، فلما أعياهم الأمر بسطوا رأيهم وتركوا لغيرهم من النقّاد والقراء أن يشاركوا

في خدمة التراث وتصحيحه ، فالمهمة جليلة والعبء ثقيل ، فإذا تضافرت الجهود الجماعيّة وتآزرت أفاد التراث منها أطيب الفوائد .

— ٥ —

غير أنّ بعض المحققين لا يكفيهم أن يبسطوا رأيهم حتى يفرضوه ، ونجدهم يعمدون إلى طرح ما يحكمون بوقوع التصحيف أو التحريف فيه من المتون ، ويستبدلون به ما يرونه صواباً ، ويعلّقون في الحواشي على ما فعلوا ، وهم لا يدرون أنّهم قد أخطؤوا الحكم وصحّفوا وحرّفوا ما لا تصحيف فيه ولا تحريف من النصوص السليمة الصحيحة ، وأنهم أذاعوا الخطأ وحجبوا الصواب ، وصحَّ فيهم القول المأثور : « جُناتُها أُساتُها » ..

ومهما يكن من أمر فليس من الإنصاف أن نقسو على من اجتهد فأخطأ ، وحَسْبُ أولئك المحققين أنهم أعملوا فكرهم واستفرغوا مجهودهم وأخلصوا في عملهم ، وأشاروا في الحواشي إلى ما فعلوا بأمانةٍ تامة ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون من التحصيف والتحريف ، وسنحاول من خلالها أن نتبيّن أسباب توهّم الإشْكال في غير المُشْكل ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير !

١ – في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص : ٤٥) بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج نجد هذا الحكم على شعر مروان بن أبي حفصة : « ومروانُ من المُجيدين **المُحْكِمين** للشعر » ويقول المحقق في الحاشية تعليقاً على كلمة (المُحْكمين) : « وفي الأصل المُحَكّكين ، وهو تحريف ! » فهو إذاً يحكم بوجود التحريف في الكلمة ، وقد أشكل عليه أمرها ، فعمد إلى تصحيحها ، والكلمة في الأصل سليمة لا تحريف فيها ولا تصحيف ، ومصادر النقد العربي القديمة حين تتحدث عن التثقيف

والتنقيح في الشعر تجيء بـ (التحكيك) مرادفاً للكلمتين ؛ فابن قتيبة يقول في مقدمته لكتاب (الشعر والشعراء : ٢٣/١) : « وكان الحطيئة يقولُ : خيرُ الشعر الحَوْليُّ المُنَقَّحُ المُحَكَّكُ » وابن رشيق في (العمدة : ١١٢/١) يتحدّث عن عبيد الشعر فيذكر زهيراً والنابغة وعكوفَهما على تنقيح شعرهما ، ويقول : « ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيكِ طُفَيْلٌ الغَنَويُّ » ، فالكلمة سليمة ولا إشكال فيها ، وهي من مُصطلح النقد القديم المألوف ، ولكن المحقق لم يألفها فأشكلت عليه ، وعدَّها محرفةً واجتهد في تصويبها ، وعندما مرّت الكلمةُ مُصحَّفةً في موضع آخر من الكتاب (ص١٩٥) لم يلاحظ التصحيف فيها ، وقد جاء فيه : « كان أبو نواس آدَبَ الناس ، وأعرفَهم بكُلّ شعر ، وكان مطبوعاً ، لا يستقصي ولا يُحَلِّلُ شعره ، ولا يقومُ عليه ، ويقوله على السُّكر كثيراً » ففي كلمة (يُحلِّلُ) تصحيف تصويبُه (يُحكِّكُ) إذ لا معنى لقوله (يُحلِّل شعره) ، وبإصلاح التصحيف يستقيم المعنى : فأبو نواس من الشعراء المطبوعين الذين لا ينقّحون شعرهم ولا يُحكِّكونه ، ولا يقومون على تثقيفه ومراجعته !

٢ - وفي (طبقات الشعراء) أيضاً (ص٤١٣) نجد هذا البيت للأُخيطل الأهوازي يصف فيه محبوبه بالترف وعناية حواضنه به ، ومسح جسمه بالطِّيب والعطور في كل يوم :

تَعَاوَرُهُ الحواضنُ كُلَّ يومٍ   بِمَسْحِ العَارِضَيْنِ إلى التراقي

ويُعلِّق المحقق الأستاذ فرّاج على الكلمة الأولى في البيت بحاشية يقول فيها : « في الأصل : (تُعاوِدُهُ) وفي المختصر (تُعوِّدُه) وتعاوَرَ الشيءَ تعاطاه وتداوله » ويستدرك في آخر مقدمته للكتاب (ص : ١٦) : « تَعاوَرُهُ لعلّها محرَّفة أيضاً عن (تُعَوِّذُه) » وفي تعليق المحقق واستداركه دليلٌ على إخلاص المحقق في بذل أقصى وُسْعه لتقديم النص التراثي للقارئ

في أسلم صورة يراها ، غير أن النص هنا ليس بحاجة إلى هذا الجُهد كُلِّه ، فالكلمة كما جاءت في الأصل المخطوطة (تُعاوِدُهُ) سليمة لا تصحيف ولا تحريف فيها ، وفي صحيح اللغة (عاوده يُعاوِدُه بالمسألة إذا سأله مرَّةً بعد أُخرى) والشاعر يقول في صفة محبوبه : إنَّ حواضنَه يُعاوِدْنه كُلَّ يومٍ بمَسْح جسمه ، من عارِضَيْه إلى التراقي بالطِّيب ، لأنه مُترَف ومُنعَّم ؛ ورواية (المختصر) (تُعوِّذُهُ) على أنها خطأ تُثبت صحة (تُعاوده) ، أما الاستدراك فليس فيه طائل ، لأنّ التعويذ (تُعوِّذه) لا يكون بالتطيُّب ، ورواية الأصل مع صحتها وسلامتها فيها يُسرٌ وطبع يسيل عذوبةً ، وتصويبها بكلمة (تَعاوَرُه) وأصلها (تَتعاوَرُهُ) فيها عُسرٌ وتكلُّفٌ ، وفي تصوير المحبوب بشيء تتداوله الحواضن واحدة بعد أخرى استهانة واستخفاف بشخصيته ، والشاعر الأُخيطل مشهودٌ له بالطبع والإحسان وعدم التكلُّف ، وهو كما يقول ابن المعتز عنه (ص : ٤١٢) : « من المجيدين المحسنين » ويروي خبراً عن لقائه بأبي تمام الذي قال له بعد أن أنشده شيئاً من شعره : « اذهب إذا شئتَ فليس للناس بعدي غيرُك ! » فأبو تمام ، أمير شعراء عصره ، يرشح الأخيطل لإمارة الشعراء من بعده ، وتلك شهادة من ناقد عظيم تُؤيد كُلَّ ما قدمناه .

٣ – وفي (كتاب الأغاني) للأصفهاني (دار : ٢٣/١٤) بتحقيق الأستاذ أحمد زكي صفوت بيتان من قصيدة طويلة لمحمد بن يسير الرياشي يصف فيهما شاة منيع ، جارِه البقّال ، وكانت اقتحمت عليه حديقة داره وأكلت نَباتَها وبقلَها :

تُزْهِجُ الطُّـرْقَ على مُجتـازِهـا   **يَـدِ** في المَشْـيِ والخَطْـوِ القَطِفْ
في يـديهـا **طَرَقٌ** ، **مِشْـيَتُـهـا**   حَلْقَةُ القوس وفي الرِّجْلِ حَنَفْ

وفي عجز البيت الأول تصحيف تصويبه في (الوافي بالوفيات للصفدي : ٢٥٢/٢) : (بِتَدَاني) وبه يتضح المعنى : فشاةُ منيع كانت

تُثير الغبار في الطرقات بوجه المارّةِ ، بتداني مَشْيها وتقارُب خَطْوِها ، ولكن المحقق لم ينتبـه إلى مـا في البيت الأول من تصحيف وغمـوض ، وأطال الوقوف عند البيت الثاني ليعلّق عليه بحاشية فيها : « في الأصول : في يدها طَرَفٌ من مشيتهـا خلقة القوس ، وهو تحريفٌ وخطأ ، وقد صحّحتُه كما ترى ، والطَّرَقُ : ضعفٌ في رُكبتي البعير ويده ، أو اعوجاجٌ في سـاقه ، يُقـال : بعيرٌ أطرق ، وناقةٌ طَرْقاءُ : أي في يديها لينٌ واسـترخاءٌ وتكسُّرٌ وضعفٌ ، مشيتُها حَلْقَةُ القوس : أي مشيتها معوجّة كحلقة القوس غير مستقيمة ، والحَنَفُ : الاعوجاج في الرِّجل إلى داخل » .

من هذا التعـليق المطـوّل يظهـر الجهد الكبـير الذي بذله المحقق لتصحيح ما حكم بوقوع التحريف والخطأ فيه ، غير أن بعض جهده انتهى بـه إلى تحريف غـير المُحـرَّف وتصحيفـه : فخِلْقَةُ القوس في الأصـول صحيحةٌ ، وروايةُ البيت في (الوافي بالوفيات : ٢/٢٥٣) :

في يـديهـا **طَرَفٌ** من مَشْـيِهـا خِلْقـةَ القوسِ وفي الرِّجل حَنَفْ

تُؤيِّد ذلك ، ويستقـيم معنى البيت بعد تصـويب التصحيف في (طَرَف) بـ (طَرَق) : فالشاةُ الموصوفةُ في يديها تقوُّسٌ ، وقد خُلقتا على صـورة القوس ، وفي رِجليهـا اعوجاجٌ أيضـاً ، وأثر ذلك بادٍ في مشيتها المتعرّجة وسيرها المُتَلَوِّي وغير المستقيم ضعفاً واسترخاءً ، وكان المثل يُضرب بشـاة منيع هذه في ضعفهـا وهُزالها ، كما يقول الثعالبي (ثمار القلوب : ٣٧٥) .

٤ ـ وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) أيضاً يعمد المحقق إلى تصحيح كلمة يعدُّها محرَّفةً في موضعين من الكتاب : ففي الصفحة (١٣١) نقـرأ : « وكان **طَبًّا** مليح النوادر ، مَزّاحاً خبيث الهجـاء » وفي الصفحة (١٩٣) نقرأ أيضاً : « وكان **طَبًّا** نادِراً كثير الغزل ماجناً » وعلّق المحقق في الصفحتين بحاشية واحدة مكرَّرة : « الطبُّ الحاذق الماهر ، وفي

الأصول طَيِّباً ، وهو تحريف ! » . والحقُّ أن الكلمة في الأصول جميعها صحيحةً وسليمة ، لا تحريف ولا تصحيف فيها : ومعناها هنا الظريف المزّاح المعروف بخفّة روحه ولُطف دعابته وكثرة فكاهاته ونوادره المثيرة للضحك ، وكان الجاحظ يصف بها من يستظرفهم ، فيقول : (الحيوان : ٣٢٥/٣) : « كان المكيُّ طيِّباً ، طيِّبَ الحُجج ، ظريفَ الحِيَل » ويصف أمرين يستظرفهما بقوله : (الحيوان : ٦/٣) : « إنّهما يُثيران من غريب الطّيب ما يُضحكُ كُلَّ ثكلان » والجاحظ نفسه يُفسر المراد من الكلمة بأنهم : « إذا قالوا : فلانٌ طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظرف والمِلْح – أي الملاحة » (الحيوان : ٥٨/٤) وفي (كتاب الورقة : ٣٨) نجد وصفاً لواحدٍ من أولئك الظُّرفاء المُضحكين : « وكان أبو الحارث جُمَّيز مُضحكاً طيِّباً » ؛ ووصف الثعالبيُّ (اليتيمة : ٣٧٧/٢) أبا الورد بقوله : « بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المُطايبة والمحاكاة ... ويُضحك الثّكلان ! » وفي (اللسان) : « طايبه : مازحه » ، وفي (زهر الآداب : ٢١٤/١) : « وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً وأكثرهم طيباً وأحلاهم مُزاحاً » .

٥ – وفي (قطب السرور) المتقدّم ذكره (ص٢٩٦) نقرأ : « وقال إبراهيم بن المدبّر لمحمد بن يزيد المبرِّد : أحب أن تنظر لي جليساً **يجتمع مع إيناسي ومنادمتي** ، **فناديتُ ولدي** فبعث إليه عليَّ بن سليمان النحويَّ[1] » ويُعلِّق المحقق الأستاذ أحمد الجندي على كلمة (فناديتُ) بقوله في الحاشية : « أضفتُ الفاء إلى (ناديتُ) لاقتضاء سياق العبارة ذلك ! » ولم يكن الأصلُ الصحيح بحاجة إلى تلك الإضافة التي تمعن في تصحيف غير المصحَّف ، وفيه : (يجمع مع إيناسي ومُنادمتي تأديب ولدي) فابن المدبّر يطلب من المبرّد أن يختار له جليساً نديماً عالماً يُنادمه ويُؤانسه ويتولّى تأديبَ

(١) هو الأخفش الصغير (–٣١٥هـ) وانظر (إنباه الرواة) : ٢٧٦/٢ – ٢٧٨ .

ولده وتعـليمَــه ، فأرســل إليـه واحداً من خيـار طلبتـه ومُريديه ، وهو الأخفش ... والخبر مشهور ونقع عليـه في أخبـار الأخفش في (طبقات النحويـين واللغـويين : ١٢٦) للزبيدي ، وفي ترجمتـه في (إنبـاه الرواة : ٢٧٧/٢) للقفطي ، ولو أن المحقق رجع إليهما في تحقيق النص لَتَيَسَّرَتْ مهمته ، ولم يُخطئه التوفيق .

في هذه الفقـرات الخمس الســابقــة لونٌ جديد من التصحيف والتحريف : يُضيفه المحققون بأيديهم إلى النصوص التي يتولّون تصحيحها وتنقيحها ، فإذا أشكل عليهم فهمُ ما يقرؤون توهّموا الخطأ فيه ، واندفعوا في اجتهــادهم لتصحيحـه ، في غير أناة ولا رويّة ، فصحّفوا بذلك غير المصحّف ، وحرّفوا غير المحرَّف ، وشوّهوا الأُصول الصحيحة السليمة ، ولو أنهم لم يتعجّـلوا واستوفوا مراجعـة المصــادر والمظان ، واستعانوا بآراء غيرهم من المحقّقـين المتمكّنـين المعروفين بكفـايتهم وقدرتهم ، لتمكّنوا من تذليل أكثر ما صعب عليهم وأشكل ، وقد قدّمنا أن العمل في خدمة التراث ينبغي أن يكون جماعياً ، تتضافر الجهود وتتآزر فيه ، ولن نملَّ تكرار القول بذلك ، غيرةً على التراث وتصحيحه وإحيائه .

— ٦ —

ويعمد بعض المحققين أحياناً ، عندما تتعدّد أمامهم الروايات للكلمة الواحدة في النص ، إلى اختيـار الرواية المُصحَّفـة أو المحرَّفة ، المرجوحة ، وإثباتها في المتن ، ووضع الرواية الســليمـة والراجحـة في الحاشية ، وهم يصدرون إمّا عن خطأ في توهّم السلامة فيما يختارون ، أو عن حُجة بالتزام رواية النسخة الخطية التي اتخذوا منها المخطوطة الأم في عملهم ، والحق أن المنهج الســليم في قواعد تحقيق النصوص يقتضي أن نثبت في المتن أصح الروايات التي نجدها في النسخ الخطيـة للكـلمـة ، ونشـير في الحاشية إلى

الروايات الأخرى المرجوحة ، أو التي لا تخلو من الخطأ ، فواجبنا أن ننشر النص في أصح صورة لقراءاته التي رُوي بها أو كُتب في النسخ المختلفة ، « ولا يختلف اثنان في أن رائدنا من النشر أو التحقيق أن ننشر الكتاب في الصورة التي أخرجه بها المؤلف بقدر المستطاع[1] » وفيما يلي أمثلة على إيثار الرواية المرجوحة وإثباتها في المتن ، ونبذ الرواية الراجحة والصحيحة وطرحها في الحاشية :

١ - في (رسالة الصداقة والصديق) للتوحيدي (ص١٣٩) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، معتمداً فيها على مخطوطة مكتبة أسعد أفندي في استانبول ، نقرأ هذا البيت للفضل بن العباس :

لقد عجبتُ وما بالدّهر من عجبٍ يدٌ تَشُحُّ وأخرى منكَ تأسُوني

وقد وضع المحقق في هامشه عنواناً يلخّص فكرته : (بين الشُحّ والمواساة) وعلّق في الحاشية بقوله : « هذا البيت منسوبٌ في (حماسة البحتري) إلى صالح بن عبد القدوس من أبيات يقول فيها :

قُل لِلّذي لستُ أدري من تلوُّنِه أناصِحٌ أم على غِشٌّ يُداجيني
إنّي لأُكثرُ مما سُمْتَني عجباً يدٌ تَشُجُّ وأخرى منكَ تأسُوني

إلخ ... » وهكذا نجد المحقق يحتفظ برواية الأصل المخطوط (تشُحُّ) في المتن ، ويُشير في الحاشية إلى الرواية الأُخرى (تشجُّ) التي وردت في (حماسة البحتري) ، وكذلك فعل ثانية عندما كرّر التوحيدي الاستشهاد بالبيت في موضع آخر من رسالته (ص : ٣١٩) ورواية الحماسة هي الصحيحة ، ويتطلّبها الطباق بين كلمتي (تشجُّ وتأسو) أي تجرح وتُداوي ، وبه يتألق المعنى المُراد ، ولو أراد الشاعر العَجَب من التلوُّن بين (الشُحِّ والمُواساة) لقال : (يدٌ تَشُحُّ وأُخرى منكَ تُغنيني !) .

(١) البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف : ١٧٨ وانظر بالفرنسية كتاب (قواعد لتحقيق النصوص العربية وترجمتها) للمستشرقين الأستاذين بلاشير وسوفاجيه : ٢٠ (القاعدة : ٨٠) .

٢ – وفي (المفوات النادرة) لغرس النعمة الصابئ (ص : ١١٤) بتحقيقنا نقرأ : « الحمدُ لله الذي قتل أبرويز على يدك ... فإنه كان يأخذ **الأجنّةَ** ويقتُل بالظنّ ، ويُخيف البريءَ ، ويعمل بالهوى » وقلنا في التعليق على كلمة (الأجنَّة) في الحاشية : « (ب) : بالإحنة ، و(التاج) بالحبة » ويعني ذلك أننا آثرنا رواية النسخة الخطية (الأم) التي جعلناها أساساً للمطبوعة وهي نسخة (أ) التي نقلنا عنها متن الكتاب ، وهي رواية النسخة الأخرى (ع) أيضاً ، وأشرنا في الحاشية إلى الروايات الأخرى المرجوحة : (رواية النسخة الخطية الثالثة (ب) ورواية كتاب التاج) ثم تبيّن لنا بأخرةٍ أننا أخطأنا في ترجيح المرجوح ونبذ الراجح الصحيح عندما قرأنا مقالة صديقنا وزميلنا القديم الدكتور إبراهيم السامرائي ، وعنوانها (جولة في المفوات النادرة) في كتابه (مع المصادر في اللغة والأدب : ٢٦٧/٣) قال فيها : « لا معنى لقوله : يأخذ بالأجنَّةِ والصواب : يأخذ بالإحنة ، أي الحقد ، ويدل على هذا قولُه : ويقتل بالظن » وهذا التصويب يَلْفتنا إلى الخطأ في نبذ الرواية الراجحة للنسخة الخطية (ب) ويدفعنا إلى تصحيحه في طبعة ثالثة قادمة ، فقد صدرت الطبعة الثانية قبل اطلاعنا على مقالة الصديق الناقد الفاضل ، واستفدنا فيها من نقد الناقدين ، وقلنا في مقدّمتها : « هذه هي الطبعة الثانية المُصححة من كتاب (المفوات) تنتظر أن تحظى بالمزيد من التصويبات ليُتاح لها أن تتلافاها في طبعة قادمة ، والعمل في خدمة التراث جهد دائبٌ مُستمر ... الخ[1] » .

٣ – وفي كتاب (العثمانية) للجاحظ (ص : ٣) بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، يقول الجاحظ : « وليس بين الأشعار وبين الأخبار فرقٌ إذا امتنع في مجيئها وأصل مخرجها **التباعُدُ** والاتفاقُ والتواطُؤ » ، ويُعلِّق المحقّق على كلمة (التباعد) بقوله في الحاشية : « في الأصل

(١) المفوات النادرة (طبعة دار الأوزاعي) المقدمة : (ص 54 – 55) .

و(ب) التشـاعر ، وصوابُه من (ح) » ويعني بذلك أن رواية الأصـل المخطوط في مكتبـة كوبريلي بتركيا ، ورواية المقتطفات التي اختارها عبيد الله بن حسّان من (العثمانية) هي : (التشاعر) ، وقد نبذها المحقق واختار رواية ابن أبي الحديد في منقولاته عن العثمانية في شرحه لنهج البلاغة ، وهي (التباعد) فأثبتها في المتن ، ويؤكّد الناقد الدكتور ناصر الدين الأسد في نقدِهِ لكتاب العثمانية[1] أن الرواية المنبوذة (التشاعر) هي الصواب ، وهي بمعنى التعارف والتعالم والتواطؤ ، ويؤيد رأيه بقول الجاحظ في الكتاب نفسه (ص : ٢٦٣) : « وليس يُنتفَعُ باتّفاق أهوائهم ما لم يتشاعروا .. » .

٤ – وفي كتاب (العثمانية) أيضاً (ص : ١٠) يقول الجاحظ : « ولو لم تعرف الروافضُ .. باطلَ هذه الدعوى .. إلاّ بتركِ عليٍّ ذكرَ ذلك لنفسـه ، والاحتجاج به على خصمه وأهلِ دهره ، منذ نازع الرجالَ ، وخاصم الأكفاء ... الخ » ويُعلّق المحقق على قول الجاحظ : (وخاصم) في الحاشية : « هذا ما في (ب) وفي الأصل : (وخايَرَ) » وهو بذلك يُفضّل رواية المقتطفات على رواية الأصل المخطوط للعثمانية (وخايَرَ) التي نبذها ، ويؤكد النـاقد الدكتـور الأسـد أنهـا هي الرواية الصحيحـة[2] ، ومعنى (خـايره) : فـاضـلـه بالخير وكاثَرَهُ ، وقد تخلّى المحقق عنهـا وآثر الرواية المرجوحة عليها .

فهذه أمثال أربعة لهذا اللون من ترجيح المحققين للروايات الخاطئة ، المصحّفة أو المحرّفة ، على الروايات الصحيحة والسليمة ، التي نجدها منبوذة في الحواشي ، وخطر هذا اللون يظهر أثره المُدمِّر في تشويه التراث عندما يعمد بعض النـاشـرين المستغلّين إلى طبع متون النصوص وحدها ، دون التعـليقـات في الحواشـي عليها ، وكثيراً ما يفعلون ذلك ، فلا يجد القُرّاء

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية : المجلد : ٢ ، الجزء الأول : ٢١٢ – ٢١٥ .
(٢) انظر المصدر السابق .

أمامهـم في تلك المتون غير الروايات الخاطئة والمرجوحة ، وقد غابت عن أعينهـم الروايات الســليمـة والراجحة ، بحذف الحواشي وتعليقاتها ، وأنّى لأولئك الجشعين من الناشرين أن يدركوا أنهم لم يقتصروا بذاك على طمس معالـم سـرقتهـم لجهود المحقّقـين وحقوقهم ، بل هم قد جنوا على التراث وشاركوا في تشويهه وإفساده !

— ٧ —

وما أكثر ما نقع في كتب التراث الأدبي المحققة بغير قليل من الجهد والتدقيق على تصحيف أو تحريف لم يُثر لدى المحققين ارتياباً في صحته ، فقبلوه بِيُسر ورضىً ، وراحوا يعلقون عليه بحواشٍ تُفسِّره ، وكأنهم يؤكدون بذلك صوابه ، وخطر هذا اللون من التصحيف والتحريف كبير لأنه يُذيع الخطأ ويُوهم القراء بصوابه ، فلا يرتاب في صحته إلا القـارئ البصير ، وأين هو ، إلى أن يتصدّى للغلط ناقد متمكّن ، فيكشف زيفه ويُعين على تصويبه ، وفيما يلي أمثلة على هذا اللون السائر من التصحيف والتحريف :

١ — في (الديارات) للشـابشتي : (ص٥٦ — ٥٧) نقرأ هذين البيتين لأبي العيناء في علي بن الجهم :

أراد عـلِيٌّ أن يقــول قصــيــدةً بِمَــدْح أمـيرِ المـؤمنـين **فـأَدَّنا**
فقــلـتُ له : لا تَعْجَـلَنْ بـإقـامةٍ فلستُ على طُهرٍ فقـال : ولا أنا

وقبـل محقق الكتاب الأستاذ كوركيس عواد التصحيف في كلمة (فأدَّنا) وعلّق عليها بحاشية تشرح معنى الفعل فيها فقال : « أدَّهُ الأمرُ : أثقله وعظم عليه! » ؛ والصوابُ (فأذَّنا) بالذّال المعجمة ، وبه يتم ربط البيت الثاني بالأول : فلما أذّن عليٌّ بن الجهم قال له أبو العيناء : لا تَعْجل بإقامة الصلاة ، فلستُ على طُهر .. الخ .. والبيتان في (طبقات الشعراء) لابن المعتز : (ص٤١٦) من غير تصحيف ، ولا يتطلّب تصويب مثله

مراجعة المصادر والمظان لسهولة ووضوح المُراد وارتباط البيت الثاني بالأول .

٢ – وفي الجزء الرابع عشر من (كتاب الأغاني) بتحقيق الأستاذ أحمد زكي صفوت نقع على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ، ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ١٩) نقرأ بيتاً لمحمد بن يسير الرياشي ، ينقد فيه نفسه نقداً ذاتياً ، لِما أظهر من تعالٍ وتكبّرٍ على أصحابه :

أيا عجباً من ذا **التَسَرِّي** فإنه له نَخْوةٌ من نفسه وتكابُرُ

ولم يرتب المحقق في التصحيف الواقع في كلمة (التَسَرِّي) فأسهب في شرح معناها معلِّقاً في الحاشية : « السرو : المروءة في شرف ، سرو ككرم ودعا ورضي فهو سَري ، وتسرّى تَسَرِّياً : تكلّف السرو » وتصويبُها (اليَسِيري) نسبة إلى (يسير) أبي الشاعر ، والشاعر يعجب من نفسه : أيا عجباً من ذا اليسيري فإنه ... الخ . وفي (التاج – مادة يسر) أورد الزبيدي بيتين للشاعر لقّب نفسه فيهما باليسيري . (عن الأعلام : ١٦/٨) .

وفي (الصفحة : ٤١) يروي صاحب الأغاني خبراً عن ... علي بن القاسم فيقول : « كنتُ مع المعتصم لّما غزا الروم ، فجاء بعضُ سراياهُ **بِخَبَرِ عَمِّهِ** ، فركب من فَوْره ، وسار أجدَّ سيرٍ .. الخ .. » ونقرأ تعليق المُحقق على كلمة (عَمِّهِ) في الحاشية : « هو إبراهيمُ بنُ المهدي ، وخبره هو خروجُه على المأمون فندرك أنه لم يشكّ في التصحيف الواقع في كلمة (عَمِّه) فراح يُعرِّف بعمِّ المعتصم إبراهيم بن المهدي ، ويُفسّر (خبره) بما كان من خروجه على المأمون ! وتصويبُ التصحيف : (بخبرٍ غَمَّهُ) أي أحزنَهُ وأقْلَقَهُ ، وليس فيه غيرُ استبدال الغين المعجمة بالعين المُهملة ، والخبر الذي يرويه الراوي يتصل بالمعتصم في أثناء خلافته (٢١٨ – ٢٢٧هـ) في إحدى غزواته للروم ، أما خروج عمّه إبراهيم بن المهدي على

المأمون فهو بين عامي (٢٠١ – ٢٠٣هـ) ولم يكن للمعتصم في هذه المدة شأن في الحرب ولا في الخلافة ، وقد بويع بها بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨هـ وكان الرشيد أخرجه من الخلافة وولّى الأمين والمأمون والمؤتمن ، إلى أن جعله المأمون وليّاً لعهده . (الأعلام : ٣٥١/٧) .

٣ – وفي القسم المطبوع من (قطب السرور) بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي نقع أيضاً على أمثلة كثيرة لهذا اللون من التصحيف ، ونكتفي باثنين منها :

ففي (الصفحة : ٣٠٥) نقرأ ما نصُّه : « وقد رأينا جماعةً من جِلَّةِ الرؤساء **يتبدَّلُون** أتباعهم ، ويمتهنونهم من الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعضَ مماليكهم » وقد علّق المحقق على كلمة (يتبدَّلُون) بشرحها في الحاشية : « تبدَّلَهُ وبه ، واستبدلَهُ وبِهِ : أخذه مكانه ، مثل بَدَّله » وبهذا الشرح أكّد المحقق غفلته عن التصحيف الواقع فيها ، وتصويبُه (يتَبَذِلُون) أتباعَهم ويمتهنونهم ، والابتذالُ والامتهانُ بمعنى .

وفي (الصفحة : ٣١٦) نقرأ ما يلي : « وكان **ابن جوار** كاتب العباس بن أحمد بن طولون ، يُنادم أبا حفص .. الخ .. » وقد علّق المحقق على (ابن جوار) بقوله في الحاشية : « ويُروى ابن جِرار ، أو ابن حدار – بالحاء المهملة – واسمه جعفر الكاتب الشاعر من بطانة العباس بن أحمد بن طولون » ، ومثل هذا التعليق يجعل القارئ يطمئن إلى صحة الاسم فلا يرتابُ فيما وقع فيه من تصحيف صوابُه (ابن جدار) وهو جعفر بن جدار الشاعر المصري الكاتب العالم ، صاحبُ القصيدة الميميّة الرقيقة التي يوردها صاحب (العقد الفريد : ٣٤٨/٥) بتمامها ، ويُشيد ببديع الصنعة ولُطف التشبيه فيها ، وصاحبُ الكتاب « المعروف بطبقات الشعراء » الذي نجد إشارةً إليه في (كتاب الذخائر والتحف : ص١٠٥)

للقاضي الرشيد بن الزبير[1] ، وقد نُشر (العقد) عام ١٩٤٦ ، و(الذخائر) عام ١٩٥٩ ، قبل عشر سنوات من صدور القسم المطبوع من (قطب السرور) ولم يُتح للمحقق الإفادة منهما في تصحيح اسم الشاعر ؛ وفي عام ١٩٧٣ نشرت مجلة المجمع بدمشق (٦٨٨/٤٨ – ٦٩٩) مقالتين لكل من الأستاذ عبد الله كنون والأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي شاركتا في تصحيح اسم الشاعر والتعريف به والإشادة بفضله بعد قرون من الإهمال والنكران .

٤ – وفي (معجم الأدباء) لياقوت ، طبعة دار المأمون ، بإشراف عدد من الأساتذة المحقّقين في قسم التصحيح بالدار ، نقع على أخطاء كثيرة من التصحيف في الكلمات والتحريف فيها ، وقد تتبّع بعضها العلامة الأستاذ الميمني الراجكوتي بالتصحيح والتقويم في سلسلة من المقالات في مجلة المجمع بدمشق بعنوان (طُرَر على معجم الأدباء : المجلّدات : ٤٠ و٤١ و٤٢) ولكننا نكتفي بإيراد مثالين على هذا اللون من التصحيف الذي نعرضه هنا ، وهما مما أهمل الأستاذ الميمني تصويبه :

ففي الجزء الأول من (معجم الأدباء) : ص : ٣٧ ينقل الناشرون ترجمة لياقوت عن (وفيات الأعيان) وصف فيها ما عاناه في حياته بعد وصوله إلى الموصل ، من خُوارزم ، طريدَ التتر عام ٦١٧هـ : « والمملوك الآن بالموصل مُقيمٌ ، يُعالَجُ لِما خَرَّ بهِ من هذا الأمر المُقعد المُقيم » وفي الحاشية شرح لقوله (خَرَّ بهِ) : « خَرَّ بِهِ : نزل به » مما يُؤكّد أن المحققين لم ينتبهوا إلى التصحيف ولم يرتابوا فيه ، وتصويبه (حَزَبَهُ) أي أصابه ، ولو رجعنا إلى (الوفيات : ١٨٧/٥) لوجدنا الرواية الصحيحة أيضاً !

وفي الجزء السادس من (المعجم) ص : ١٧٥ ينقل ياقوت عن

(١) أو المنسوب إليه : انظر تعليق الدكتور مصطفى جواد في حاشية من كتاب (نساء الخلفاء) لابن السّاعي : ١٣٤ .

كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي وصفه للوزير الصاحب بن عباد : « وهو حَسَنُ القيام بالعروض والقوافي ، ويقول الشعرَ ، وليس بِزَالٍّ » ولم يرتب أحد من المصححين في دار المأمون في التصحيف الواقع في كلمة (بِزَالٍّ) وراحوا يفسرونها في الحاشية بقولهم : « أي ليس مُنحرفاً عن الصواب » وكأنهم يؤكدون للقارئ صحتها ، وقد شوّهوا بذلك مُراد التوحيدي الذي كان يُعدِّدُ مثالب الوزير ، فكيف يشهد له بعدم الانحرافِ عن الصواب ! وتصويبُ التصحيف : « ويقول الشعرَ وليس بِذاكَ ! » فهو يصف الوزير بأنه نظّامٌ يحسن العروض والقوافي وليس بالشاعر ! ولو عدنا إلى مراجعة (الامتاع والمؤانسة : ٥٥/١) لوجدنا الكلمة سليمةً لا إشكال فيها .

ففي هذه الفقرات الأربع المتقدمة من الأمثلة على هذا اللون من التصحيف كفايةٌ ، وقد أشرنا إلى خطره في نشر الخطأ وإذاعته في القراء دون عائق ، لاطمئنان كثرتهم إلى تعليقات المحققين عليه وشرحهم له وقبولهم إياه ، دون أن يساورهم شكٌّ أو ارتيابٌ فيه .

— ٨ —

وكثرةُ التصحيف والتحريف في أشعار الدواوين القديمة ظاهرة لا يمكن تجاهلها ، على رغم العناية التي بُذلت في تحقيقها أحياناً ، والإفادة من تعدّد نسخ الأصول في تصحيحها ، وتلك آفةٌ يعاني طلبة الدراسات الأدبية العليا مشقّةً كبيرة للتغلّب عليها ، ولن أنسى أنا ما عانيت في دراستي للبحتري قبل أربعين سنة[1] ، ولم يكن لديوانه حينذاك غير طبعات ثلاث سقيمة ، أهمها طبعة الجوائب لعام ١٣٠١هـ/١٨٨٢م ، وهي من تصحيح

(١) شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري (رسالة بالفرنسية) باريس : ١٩٥٣ .

الشيخ رسول النجاري ، أحد المساعدين للعلاّمة أحمد فارس الشدياق في تنقيح المطبوعات الصادرة عن مطبعته بالقسطنطينية ، وهو القائل في تقريظ تصحيحه للديوان[١] :

ولقد بذلتُ الجهدَ في تصحيحه لِغُموضِهِ بتفكُّرٍ وتَدَبُّرِ
للهِ درُّ البحتريّ إذ ازدرتْ حُسنى معانيهِ بِدُرِّ الأبْحُرِ

ولكن طبعة الجوائب ظلّت مع ذلك تغصُّ بالمُصحَّفِ والمُحرَّف والغامض ، وحكَمَ العلامةُ الميمني عليها بأنها « رديئةٌ لم تُنقَّح ، ولم تُعارَضْ بالأصول على يدَيْ خبيرٍ بصير ، وابتُلِيَتْ بدعوى فارغة ... الخ ..[٢] » ولهذا كان عليَّ أن أعود إلى الأصول الخطيّة للديوان – وهي كثيرةٌ ، وإلى المصادر الأخرى ، لتصحيح أخطاء التصحيف والتحريف في طبعة الجوائب للديوان ، وما أكثرها ، مثل هذا التحريف في كلمة (قُطبها) في البيت[٣] :

قد رحَلْنا عن العرا قِ وعن **قُطْبِها** النَّكِدْ

وتصويبه (قيظها) عن مخطوطة باريس للديوان ؛ ومثل هذا التصحيف في كلمة (دَعَةً) في البيت[٤] :

أَبْدى التواضُعَ لَمّا نالَها **دَعَةً** عنها ونالَتْهُ فاختالتْ بهِ تِيها

وتصويبه (رِعَةً) أي وَرَعاً ، عن الموازنةِ للآمدي ؛ كل ذلك قبل

(١) انظر مقالة لعلي حيدر النجاري ابن الشيخ رسول في مجلة المجمع بدمشق : ٤٦٥/٥٧ – ٤٧١ .

(٢) الطرائف الأدبية (مقدمة للمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام) للجرجاني : ١٩٩ .

(٣) ديوان البحتري (ط : الجوائب) : ٩/١ ، (ط : الصيرفي : ٧٠٧/٢) .

(٤) المصدر السابق : (ط : الجوائب) : ١٨/١ ، (ط : الصيرفي : ٢٤١٤/٤) .

أن أتهيأ لدراسة الشاعر على أساس منهجي قويم ؛ غير أن معاناتي في تصحيح الكثير من أخطاء ديوان البحتري يومذاك لا تُقاس بما عاناه الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام في تصحيح كثير من أخطاء ديوان بشار قبل أن ينصرف إلى دراسة شعره وكتابة رسالته عنه ، عام ١٩٥٩ ، لأن ما عُثر عليه من ديوان بشّار في تونس صدر بمصر في ثلاثة أجزاء ، بتحقيق شيخ جامع الزيتونة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، بين عامي (١٩٥٠ – ١٩٥٧) عن نسخة خطيَّة فريدة « تمورُ بالتصحيف والتحريف »[1] لضعف ناسخها الذي « عبث أيّما عبث بالديوان وأفسده وأحاله حتى كاد يصير غلطاً صِرْفاً »[2] وتصويب مثل هذا الغلط في النسخة الخطية اليتيمة الوحيدة يتطلَّب جهوداً مُضنية وبحثاً دائباً عن المصادر والمظان ، وتجربة طويلة وبصيرة في ميدان التحقيق ، وسنفرد لهذا اللون من التصحيف والتحريف فصلاً خاصاً يُبرز مدى المشقة والمعاناة في الاهتداء إلى تصويبه ، ويُنصف جهود المحقّقين في تصحيحه .

والحق أن تصويب أخطاء التصحيف والتحريف في الشعر يمكن أن يكون أحياناً أسهلَ وأيسر منه في النثر ، لما في الوزن والقافية من مُرشدٍ ومُعينٍ على ذلك ، وعندما يشعر المحقق باضطراب الوزن أو القافية في البيت يبحث عن الخطأ فيه ويعمل على إصلاحه وتلافيه ، في حدود السلامة في الوزن والقافية ، بأيسر السبل وأقصرها ، وفيما يلي أمثلةٌ على ذلك :

١ – في (ديوان الخالديين) : ٥٧ من جمع الدكتور سامي الدهان وتحقيقه ، وقد تقدّم ذكره ، نقرأ هذين البيتين :

رُبَّ ليلٍ فضحتُه بضياء الرّ　　　احِ حتى تركتُه كالنّهارِ

(١) نظرات في ديوان بشار : ١٩٥ .

(٢) مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٦٠/٦٠٠ .

ذي سمـاءِ **كَخَـزامٍ** ونُجـومٍ مُشـرقـاتٍ كنَـرْجِسٍ وبَهـارِ

فيستوقفنا صدر البيت الثاني لاختلاف وزنه ، فالبيتان من الخفيف ، والصدر من الرمل ، لوقوع التصحيف في كلمة (كخَزامٍ) وتصويبه (كخُرَّمٍ) وبه يستقيم الوزن ، والخُرَّم نبات مثل القرنفل(١) ، والمحقق ينقل البيت عن (اليتيمة) للثعالبي ، وهو سليم من التصحيف في طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٤/٢) ، كما يشير إلى رواية (كخُرَّم) في (مسالك الأبصار) في الحاشية دون أن ينتبه إلى صحّتها وحاجة الوزن المضطرب إليها .

٢ – وفي كتاب (التحف والهدايا) للخالديين : (ص٢٤١) بتحقيق الدكتور سامي الدهان أيضاً ، نقرأ هذا البيت :

شبَّهتُهـا قد **المَحَتْ فضـاضـةً** ونحـافـةً ولطـافـةً وسَـقَـامـا

فيستوقفنا اختلال الوزن في صدره ، ويَلْفِتُنا إلى التصحيف الواقع فيه ، ويُرشدنا الوزنُ السليمُ إلى التصويب الملائم له ولِرسم الكلمات فيه ، وهو :

شبّهتُهـا **قَدَّ المُحِبِّ بَضَـاضَـةً** ونَحافةً ....

وهو الصواب الذي اهتدى إليه الدكتور إبراهيم السامرّائي قبلنا(٢) وبه يزول التصحيف ، ويتّزن البيت ، ويتألّق معناه وتَتّسق الصفات التي يُشبّه بها الشاعرُ قَدَّ مُحِبِّهِ دلالةً وإيقاعاً .

٣ – وفي (ديوان ابن أبي حصينة) : (٢٧٠/١) وقد تقدّم ذكره ، نقرأ هذا البيت :

---

(١) انظر نقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن للديوان : مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٦٩٠/٤٥ – ٦٩٦ .

(٢) مع المصادر في اللغة والأدب : ٨٠/١ .

أأمــامُ بِعَـيْشِــكِ هــل ذَرَفَتْ عيـنــاكِ وهــل أرِقَتْ أرَقي

ويستوقفنا في عجزه قوله (أرِقَتْ) وكان عليه أن يقول : (وهل أرِقَتا) بضمير المثنى ، فالعينان ، وقد تقدّمتا الفعل هما المُؤرَّقتان ، ولكن الوزن لا يُعين على ذلك ، ويتّزن الشطر بإسقاط (هل) وتشديد عين الفعل (أرّق) ومعناه : أسْهَرَ ، فنقول : (عيناكِ وأُرِّقتا أرَقي ؟) وبذلك يزول التحريف ويستقيم عجز البيت لُغةً ودلالةً أيضاً .

٤ - وفي كتــاب (الورقـة) لابن الجراح (ص : ٧٣) بتحقيق الدكتـور عبـد الوهـاب عزام والأستـاذ عبد الستّـار أحمد فرّاج نقرأ هذه الأبيات للرِّياحي يقولها في واحدٍ من أحفاد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان يمدحه :

أيـآبنَ الذي حَنَّ الحصى في يمينـهِ وأكرمِ من وافى مِنًى والمُحَـصَّبِ
وخــيرِ إمــامٍ كان بعــد ثـلاثـةٍ مَضَـوْا سَـلفاً أرواحُهم لم تَشَعَّبِ
هو الثـالثُ الهـادي بِهَدْي محمدٍ على رَغْم أنفِ السَّـاخِطِ المُتَعَتِّبِ

فيستوقفنا عجز البيت الأول بتخطّيه قواعد اللغة ، ولولا ذاك لقال : (وافى منًى والمُحَصَّبا) ولَخرج بذلك على حركة الروي للأبيات (الباء المكسـورة) ! وننظر في تعـليق المُحقّقَيْن على كلمـة (مِنًى) في الحاشية بقولهما : « في الأصل : (جما) ! والمعروف أن (مِنًى) هو الذي يُذكر مع المُحَصَّب . قال عمر بن أبي ربيعة :

نظـرتُ إليهـا بالمُحَصَّبِ من مِنًى ولي نظــرٌ لولا التحــرُّجُ عــارِمُ

أمّـا (جما) التي وردت في الأصــل ، فليس لها ذكرٌ في معجـم البلدان ! » ومن هذا التعليق يتبيّن وهمُ المُحقّقَيْن ، فقد ظنّا (جما) اسماً لموضعٍ ، وحكما بأنه مُحرَّف عندما لم يجدا له في معجم البلدان ذكراً ، ولم ينتبها إلى أن حركة الروي في القافية لا تُؤيد ظنّهما وحكمهما ، ولو

أنهما أمعنا الفكر في رواية الأصل : (جما والمُحَصَّبِ) وامتحنا الأوجه الممكنة لتصويبها ، في حدود قواعد اللغة والوزن الشعري وحركة الرويّ في القافية ، لوجدا (جِمارَ المُحَصّب) وجهاً للصواب يُلبّي كل ذلك ، مع مُراعاة الرسم في رواية الأصل أيضاً ، و(الجِمارُ) اسم موضع بمنى ، و(المُحَصَّب) هو موضع رمي الجمار فيه ، ولكلٍ من الموضعين ذكرٌ في (معجم البلدان) (١٥٩/٢ و٦٢/٥) ، مما يُؤَكّد أن تصويب التصحيف في (جما والمُحَصَّب) لا يتطلّب غيرَ استبدال الراء بالواو ، ليستقيم البيت معنى ومبنى ، وتبرز الصلة بين (الحصى) في صدر البيت ، و(حصى الجمار) ومواضعِ رَمْي الحُجاج لها في منىً والمُحصَّب ، واشتقاقُ اسم المُحصَّب من رَمْي الحصباء ، والحَصْبُ هو الرمي بالحصى ، والمُحَصّبُ هو اسم المفعول منه ، وجميعُ هذه الشروح نقع عليها في (معجم البلدان) .

٥ – وفي (رسالة الصداقة والصديق) : (ص : ٢٨٣) للتوحيدي ، وقد تقدّم ذكرها نقرأ هذين البيتين :

يا ذا الذي أَلِفَ القطيعةَ دهرَهُ إن القطيعةَ **موضعُ الرِّيَبِ**
إنْ كان ودُّكَ كامناً في نِيَّةٍ فاطلُبْ صَديقاً عالماً بالغَيْبِ

فيستوقفنا اختلافُ الوزن في ضَرْبَي البيتين : فهو في الأول أحذُّ مُضمر (رِيَبِ = فعْلن) وفي الثاني مقطوع مُضمر (بالغيبِ = فعْلاتن) وبذلك يكون البيت الأول من ثالث الكامل ، والثاني من ثاني الكامل ، وينبغي توحيد الضربين لتقويم الاختلال بتصويب التحريف الطارئ على أحدهما ، فإذا كان البيتان من ثاني الكامل قُلنا :

إن القطيعةَ موضعٌ لِلرَّيْبِ
فاطلُبْ صديقاً عالماً بالغيبِ

وإذا كانا من ثالث الكامل قُلنا :

إن القـطـيـعـة موضـعُ الرَّيْبِ
فـاطـلُب صـديقـاً عـالمَ الغَيْبِ

والذوق الشعري قد يُرجّح التصويب الأول ويتبنّاه .

٦ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٤٠٢) بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي هذه المقطوعة الرباعية :

يـا عـالمَ الحُسـن الذي ... أصحبتَ فيـه عَـلَـمـا
لا أشتـكـي السُّـقْـم وإنْ ... كَسَـوْتَ جسـمي سَـقَمـا
أكتم حُبـيـكَ فيـأ ... بى الدمع أن يَتَـكـتَّـمـا
لم تَـرْثِ عيـنـاكَ لِمَـنْ ... بكتـكَ عيـنـاهُ دمـا

واختلال الوزن في عجز البيت الثالث واضح ، وفي الحاشية تعليق على كلمة (يتكتّما) فيه : « الأصل : (يكتما) ولا يستقيم الوزن » ولكن تصحيح المحقق للتصحيف في الأصل يخرج بعجز البيت عن بحر المقطوعة (مجزوء الرجز) إلى بحر آخر (مجزوء الكامل) والتصويب الصحيح الذي يلتزم ببحر المقطوعة واتّساق قوافيها ولا يبعد عن رسم الكلمة المُصحَّفة هو (يَنْكَتِما) مطاوع (كتم) تقول : كتمه فانكتم ، وهذه الصيغة مألوفة في دوان الشاعر كقوله : (ص٤١٦) : (أو ذِلَّةُ المُشتاقِ تَنْكتمُ) وقوله : (ص٤١٧) : (لم تَدَعْهُ العينُ أن ينكتما) .

في هذه الفقرات الست التي قدّمناها كفايةٌ لتمثيلِ هذا اللون من التصحيف والتحريف في الشعر ، وبيانِ السهولة في الاهتداء إلى أوجه الصواب ، من أقرب السُّبل وأيسرها ، بإرشادٍ من الوزن والقافية فيه إذا لم يضلّ المُحقّق بِسَهْوِهِ الطريق !.

– ٩ –

أما الصعوبة والمشقة والمعاناة فهي في تحقيق النصوص التراثية عن

نسخة يتيمة وحيدة بخط ناسخ ماسخ ، شأن بعض الدواوين الشعرية القديمة التي لم يُعثر إلا على نسخة خطية واحدة فريدة ، كديوان بشار الذي أشرنا إلى كثرة التصحيف والتحريف في طبعته المحقّقة التي تولّى الأخ الصديق الدكتور شاكر الفحام تصحيح عدد كبير من عويص أخطائها ، وبذل جهداً صابراً موفقاً في تصويبها ، ولكنه يُقرّ مع ذلك بأنّ الديوان « ما زالَ يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه ، فيُقوّموا عِوجَه ، ويمسحوا الهَناتِ عن وجهه » . (نظرات في ديوان بشار : ١٦) وكديوان خالد الكاتب الذي نُشر في بغداد عام ١٩٨١ بتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي ، وسنستعير من طبعته هذه للديوان ما نقدمه من أمثلة على هذا اللون من التحريف والتصحيف في كتب التراث المحققة والمنشورة عن أصول يتيمة وحيدة ، لِنُقدِّر جهد المحقّق وعذابه فيها .

والحق أن لديوان خالد الكاتب نسخة خطية أخرى ، غير تلك المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، والمكتوبة في عام ١١١٠هـ ، وهي نسخة حديثة منقولة عنها في عام ١٣٢٧هـ ومحفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ولم يكن ناسخها ليفضل الناسخ الأول في غفلته وجهله ، ولا نقع فيها على ما يُفيد في تصحيح أخطاء الأولى ، ولهذا « فالنسخة الظاهرية - كما يقول الدكتور السامرائي - تُعد الوحيدة أو الفريدة لهذا الديوان » (ديوان خالد الكاتب : ٦٤) .

وليس من نافلة القول أن نشير إلى أن تحقيق النصوص التراثية عن أصول وحيدة يتطلّب ثقافة واسعة وتجربة غنيّة سابقة ، وخبرة كبيرة بالمخطوطات وخطوطها ورموزها ، وسعياً صابراً دائباً وراء المصادر والمراجع والمظان للعثور على ما يمكن أن تُعارض به تلك النصوص ، لإصلاح السقط والتصحيف والتحريف ، وإنارة الغموض وإزالة الإشكال ، لتقديم النصوص المحققة إلى الطبع في أسلم صورة وأقربها إلى صورتها الأصلية ، قبل تشويه

الناسخين لها ومسخهم لملامحها . فهل تحقق شيء من ذلك كله لديوان خالد الكاتب في طبعته البغدادية الأولى ؟

ولعلَّ من الإنصاف أن نُقرّ قبل تقديم الأمثلة من الديوان المطبوع بأن النسخة الأصلية (الظاهرية) تغصُّ بفيضٍ من التصحيف العويص والتحريف المُشوّه والكلمات الممسوخة ، وتزداد مهمة المحقق لتصويب تلك الأخطاء في جانب كبير من شعر الديوان صعوبةً ، وهو القسم الذي تنفرد النسخة المخطوطة به ، فلا نعثر عليه في غيرها من المصادر الأخرى ، وفيما يلي أمثلة على كل ذلك :

١ – في (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ١٨٣) نقرأ المقطوعة الرباعية التالية :

كُلُّ مَنْ مُـلِّكَ عبـدا أظهـر **النِـيَّـةَ قَصْـدا**
مـا لِمـن حُظَّ بـوجـهٍ حَسَـنٍ أن **يتـعـدّى**
زاهـدٌ فيَّ **وقـد نَقَّـصْتُـه** وُدّاً وَوَجْـدا
إنمـا تفـعـلُ مـا تَفْـعـلُ بي من ذاكَ عَمْـدا

ويُعلّق المحقق في الحاشية على كلمة (حُظَّ) في صدر البيت الثاني بقوله : « (حُظَّ) كذا ، ولعلَّها (خُصَّ) ، فهل أراد بـ (حُظَّ) أنه ذو حظٍّ ونصيب ؟ » .

ويُعلّق أيضاً على كلمتي (وقد نَقَّصْتُه) في البيت الثالث بقوله : « (وقد نَقَّصْتُه) كذا في الأصل ، ولعلّها (وما نَقّصتُه) ليستقيم المعنى » .

هذه المقطوعة ينفرد بها الديوان فلا نعثر عليها أو على بيتٍ منها في مصدر آخر من كتب التراث الأدبي ، وقد وقع فيها من التصحيف ما أفسد بعض معانيها ، وإن لم ينتبه المحقق إليه : ففي عجز البيت الأول تصحيف ماسخ لمعناه ، وتصويبه (أَظْهَرَ التِّيهَ فَصَدَّا) وبه يبرز المعنى المراد ؛ أما

الفعل (حُظَّ) في صدر البيت الثاني فاللغويون مختلفون فيه ، وفي اللسان : « قال الجوهري : لم أسمع لِمحظوظٍ بفعل ، يعني أنهم لم يقولوا : (حُظَّ) ، وقال الأزهري : لِلحظّ فعلٌ عن العرب وإن لم يعرفه الليث ولم يسمعه ! » ولعلَّ قافية البيت (يتعدّى) مصحّفة وتصويبها (يتحدّى) ؛ والبيت الثالث لا يستقيم معناه ، وما يقترحه المحقق في تعليقه (وما نَقَّصْتُه) مقبول ، وأولى منه في رأينا (وقد أَمْحَضْتُه) وفي اللسان عن الجوهري : « مَحَضْتُه الوُدَّ وأمحضتُه » أي أخلصته وصدقتُه !

٢ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص٣٨٩) نقرأ مقطوعة رباعية أُخرى مطلعها :

عذابي بِعَذْب الذِّكْرِ عَذْبِ المُقَبَّلِ ومَنْ سَهْمُهُ الريَّانُ من دَمِ مَقْتَلي

والبيت الأخير فيها :

وغالَبني من دَمْعِ عَيْنيَّ واكفٌ جرى منه مجرى عَبْرَةِ **المُتنحّلِ**

ويُعلِّق المحقق على كلمة (المُتنحّل) بقوله : « (المُتَنحّل) كذا فهل أصلها (المُتَنخّل) ؟ المُتَنحّل : المُدَّعي ، المُتَنخّل : الشيء المُتخَيَّر » ومن هذا التعليق نُدرك أن المحقق اهتدى بإرشاد من الوزن والقافية إلى الصيغة المُصَحَّفَة ، وهي (المُتَفعّل) وكان على ثقافته الأدبية أن تُوصله إلى (المُتَنخّل) الشاعر الهُذلي الجاهلي المشهور بِمَراثيه لابنه المقتول أُثَيْلَة ، وبدُموعِه الغزيرةِ التي سكبها حزناً عليه ، كقوله : (ما بالُ عينكَ تبكي دمعُها خَضِلُ) وقوله :

(فانهلَّ بالدمع شؤوني كأنْ نَ الدمع يستبدرُ من مُنْخُلِ)

إلخ ..[1] وخالد الكاتب يضرب المثل بعبرة المُتَنخّل الهُذَلي لذلك ، ولكن

(١) انظر أشعار المُتنخّل الهُذلي في (ديوان الهذليين) القسم الثاني ، وانظر (الأغاني) : ٢٤/١٠٣ (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

المحقق قفز إلى (المُتَنَخَّل) والشيءِ المُتخيَّر ، فضلَّ الطريق !

٣ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (٣٣٦ – ٣٣٧) نقع على المقطوعة الرشيقة التالية :

يـا عـينُ كم أدعـو عَـلَيْـ ـكِ ولا يُـريحُ اللهُ مِنْـكِ
مـا كان أفقـرني إلى قـلبـي وأغـنى القـلبَ عنكِ
كم خُنتِـني وخَـذَلْتِ قَـلْـ ـبـاً لم يَخُنْـكِ ولم أُخُنْـكِ
يـا ليـلةً بـل ليـلتي لم أأْتَمـنكِ **ومـا أتـا منـكِ**

ومن تعليقات المحقق على الأبيات نعلم أن البيت الأول وحده في (الأغاني : ٢٠٩/٢٣) وأن الديوان ينفرد برواية الأبيات الباقية ، ويقول المحقق في التعليق على البيت الرابع :

« (وما أتا منك) كذا » فندرك أن التصحيف الشامل في صدر البيت لم يستوقفه بغموضه وفساد معناه ، فلم يُشر إلى ذلك في الحاشية ، واكتفى بالإشارة إلى القافية وحيرته في الاهتداء إلى وجه الصواب فيها ، وتصحيحُ البيت كلِّه :

يـا لَيْتَـهُ بـل لَيْتَـني لم أأْتَمِـنْـكِ وَيَـأْتَمِـنْـكِ

وبه يزول الغموض ، ويتّضح المراد ، ويتصـل معنى البيت الأخير بمعاني الأبيات في المقطوعة ، ويُلخّص فكرتها العامة .

٤ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص : ٣٣٨) نجد المقطوعة التالية :

سالِمَ الجسمِ لا عَدِمْتَ **رُقادَكْ** **وتَمَكَّنْتَ** مـا حييتَ رُقـادَكْ
ارْحَمِ المُبْتلَى الكئيبَ الذي يَشْـ ـكـو إلى اللهِ وَجْدَهُ وبِعـادَكْ
كن رؤوفـاً بـهِ وأنعِـمْ عـليـهِ وخَفِ اللهَ واذْكُرَنَّ مَعـادَكْ
ثُـمَّ عُدْهُ ولو يكـونُ – ولا كُنْـ ـتَ – سقيماً ، **كان يكون بعادَكْ**

وهي مّما ينفرد الديوان بروايته ، ونجد المحقق يكتفي بنقل ما في الأصل المخطوط بأمانة ، مع التعليق على البيت الأول بهذه الحاشية : « (رُقادك) » كذا في العروض والضرب ، وعلى البيت الرابع بحاشية ثانية : « كذا العجز » ، ومن هاتين الحاشيتين نُدرك أن المحقق يُعلن حيرته وقُصوره عن تصويب التصحيف الماسخ للمعنى في البيتين ، ويُنبّه قارئه إليه ؛ فإذا أعلمنا الفكر وراعينا رسم الحروف وظلال المعاني التي نلمحُها من وراء الكلمات الممسوخة في البيتين صححناها كما يلي :

سالِمَ الجسمِ لا عدمتَ رَشَادَكْ   وتَمَلَّيْتَ ما حَيِيتَ رُقادَكْ

....

....

ثُمَّ عُذْهُ ولو تكونُ – ولا كُنْـ   ـتَ – سَقِيماً كما يكونُ لَعَادَكْ

وبهذا التصحيح يبرز المعنى المراد في البيتين ويزول غموضه .

٥ – وفي (ديوان خالد الكاتب) : (ص ٣٤٢ – ٣٤٥) تُطالعنا واحدةٌ من قصائد المديح القليلة في شعره[1] ، لنقف عند الأبيات السبعة الأولى منها ، وكلُّها في النسيب :

عينٌ بها من دمعِها كُحْلُ   **يكفحها** عن نومها شُغْلُ
أنِسَتْ مآقيها بِعَبْرتِها   فكأنَّ عبرتَها لها شَكْلُ
تبكي على قلبٍ أضرَّ بهِ   طولُ الهوى ، **وبيانُهُ** الوَصْلُ
مُستشعِرٍ حُرَقاً مَخَيِّمَةً   بين الضُلوع كأنّها النَّبْلُ
حَيْرانَ من شوقٍ إلى رَشَأٍ   يحظى به الإخلافُ والمَطْلُ
مَلَكَ القلوبَ بِطَرْفٍ ساحِرَةٍ   حوراءَ صَنْعَةُ لَحْظِها الخَبْلُ
يرنو بها قمرٌ تَضَمَّنَهُ   غُصنٌ يَنُوءُ **بِبَعْدِهِ القَتْلُ**

(١) انظر مقالتنا (شاعر عبّاسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) في مجلة (المعرفة) الدمشقية : العدد : ٣٦ (شباط ١٩٦٥) ص : ١٢٠ – ١٢٧ .

ونقرأ تعليقات المحقق على الأبيات بأرقامها في الحواشي :

١ – (يكفحها) في الأصل : (يكفخها) .

٢ – (شكل) : شبه ومثل ومناسب .

٣ – (وبيانُه الوصلُ) كذا .

٤ – (حُرَقاً) في الأصـل (خرقا) تصحيف ، و(النُّبـل) في الأصل : (التبل) .

٥ – (الإخلافُ) في الأصل : (الأخلاق) تحريف .

٧ – (ببعده القتلُ) كذا .

ومن هذه التعليقات يتبيَّن لنا أن جهد المُحقّق اقتصر على تصويب التصحيف في البيتين الرابع والخامس ، واجتهد دون جدوى في تصحيح التحريف في البيت الأول فجاء بكلمة (يكفحها) التي لا يقبلها الوزن ولا المعنى ، واكتفى بإعلان حيرته بوضع كلمـة (كذا) في التعليق على الأخطـاء الأخرى ، وترك للنقّـاد والقـراء أن يحـاولوا الاهتداء إلى أوجه الصواب فيها ، وفيما يلي ثمرة محاولتنا المتواضعة ، ورجاؤنا أن يحالفنا التوفيق فيها :

١ – عينٌ بها من دمعها كُحْلُ وبِجَفْنِهـا عن نَوْمهـا شُغْـلُ
٣ – تبكي على قلبٍ أضَـرَّ بِهِ طولُ الهوى ونَبَـا بِـهِ الوصـلُ
٧ – يرنـو بهـا قمرٌ تَضَمَّنَـهُ غُصـنٌ ينـوء بِبَعـدِهِ القَبْـلُ

والتـصحـيف في عجـز البيت الأخـير من أعوص التصحيف في الديوان ، والشاعر يكني بالبَعْدِ والقَبْلِ عن الرِّدف والخصر ، وهو يكرّر هذه الكناية في موضع آخر من الديوان (ص : ٣٦٨) فيقولُ في وصف المحبوب :

مثـالُ نُـورٍ يمشـي بـه غُصُنٌ يعجـزُ عن حَمْـل بَعْـدِهِ القَبْـلُ

ولم يفطن المحقق إلى الكناية فيه لأنه نقل بأمانة تامةٍ رواية الأصل المصحّفة : (**بعدِه الفِيلُ**) وعلّق عليها في الحاشية : « كذا ! » مُعلناً قصوره أيضاً عن الاهتداء إلى التصويب ! وكذلك يُصبح التعليق بـ (كذا) وسيلة سهلة وسريعة لتخطّي مواطن المشكلات في ديوان خالد – وما أكثرها – ويفقد التحقيق جانباً كبيراً من قيمته ، ويحكم على الديوان بالحاجة إلى تحقيقٍ جادٍّ من جديد !

٦ – وللتدليل على صحة هذا الحكم على الديوان المطبوع نُقدّم بإيجاز كبير أمثلة أخرى للتصحيف والتحريف فيه ، مما لم يهتد المحقق إلى تصويب الأخطاء فيها ، واكتفى حيناً بالتعليق بـ (كذا) في الحاشية ، واجتهد حيناً في البحث عن تصحيح مقبول فلم يُسعفه التوفيق في اجتهاده ، وتغافل أحياناً عن التنبيه على كثير من الأخطاء فلم يقف عندها ولم يُعلق عليها في الحواشي :

أ – في الصفحة : (١٥٥) من الديوان هذا البيت :

يا قُرْبَةُ حلفَ الذنوبُ وتنافست فيه القلوبُ

وعلّق عليه في الحاشية : « (حَلَف) كذا ، فهل أصلُها (خَفَّ) » ؛ وتصويبه :

يا مَنْ بِهِ حَلَّتِ الذنوبُ ....

ب – وفي الصفحة (١٦١) من الديوان هذا البيت أيضاً :

يا مُقلةً سوف أبكيها ويا كبداً بها **أُنيط** الهوى والشوقُ فاحترقتْ

وعلّق عليه : « الأصل (لعاط) تحريف ، ولعل الصواب ما أثبتناه » ولكن التصويب الذي يُقرّبنا من رسم الكلمة هو : (بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت !) .

جـ – وفي الصفحة (١٧٧) هذا البيت :

كيف لي أن أراك قبـــل ممـاتي منـكَ يـا مَن أُحِبُّـه مـا أُريـدُ

ولم يعلّق عليه بشيء ، وكأنه غافل عن التحريف في صدره ، وقد أفسد معنى البيت كله ، وتصويبه :

كيف لي أن أنـال قبـل ممـاتي ....

د ـ وفي الصفحة (١٨١) هذا البيت :

بـــواتـــه كيف الوصـــا لُ فقــال لي : هــل من مَـزِيـدِ

وعلّق عليه « (بواته) كذا .. ولعلّها بدأتُه ... » والتصويب الذي غُمَّ عليه أمرُه واضحٌ وقريب :

بَـــوَّأْتُـــهُ كنَفَ الوصـــا لِ ....

هـ ـ وفي الصفحة (٢٠٥) هذا البيت :

ينــامُ من لا سَـهِـرَتْ عينُــهُ فَعَبْـدُهـا يخشـى يكـن راقـدا

وعلّق عليه : « (يكن) كذا ، ولا وجه لجزمه ! » فدلّل المحقق على غفلته عن التحريف في عجز البيت ، وهو من عويص أخطاء الديوان الماسخة لمعانيه ، وتصويبه : (فحيثُما يُمْسِ يكُنْ راقِدا) .

و ـ وفي الصفحة (٢٦٣) هذا البيت :

يا ليلةَ الوصـلِ إنّي شـاكرٌ أَبَداً فبـالزِّيارة يُجْزى كُلُّ من شَكَرا

ولم يُعلّق على البيت بشيء ، ولم يستوقفه التصحيف في كلمة (فبالزِّيارة) الذي أفسد معناه ، وقطع الصلة بين صدره وعجزه ؛ وتصويبه (فبالزّيادَةِ) يُجزى الشاكرون ، وفيه تضمينٌ لمعنى الآية الكريمة : ﴿ لئن شكرتُم لأزيدنَّكُـمْ ﴾ (سورة إبراهيم : ٧) وبهذا التصويب يتألّق معنى البيت ويُشرق بيانُه ، وتبرز الصلة بين شطريه .

ز ـ وفي الصفحة (٣٠٦) هذا البيت ، مع سابقه لصلته بمعناه :

يـا مَن وفى قـلبي له وتَضَمَّنَتْ نفسـي له مِقَـةَ الحبيبِ ومَا وَفى
ما كان صبرُكَ حين أسمَعَكَ الهوى شكوى المُحبِّ الليلَ أن تَتَعَطَّفا

ولم يُعلّق على البيت الثاني بكلمة ، وغفل عن ملاحظة التصحيف في صدره (صبرك) وملاحظة التحريف في عجزه (الليل) ولم ينتبه إلى اضطراب المعنى وغموضه فيهما ، والتصويبُ :

ما كان ضَرَّكَ .... شكوى المُحِبِّ إليكَ ....

وفي الصفحة (٣٩٢) يقول خالد الكاتب في مدح الحسن بن وهب الكاتب :

مُذَهَّبٌ في لُبـابِ المُلْكِ أُسْرتُهُ أهـلُ الكتـابةِ والألبـابِ والحُلُمِ

ويكتفي المحقق بشـرح كلمـة (مُذَهَّب) في التعـليق فيقـول : « مُذَهَّبٌ : مَطْليٌّ بالذهب » ! ومثل هذا الشرح الذي لا حاجة إليه ولا فائدة منه للكلمة المُحرَّفة يخدع القارئ ويصرفه عن الشك في تحريفها ، ويدل على القصور والعجلة والاستخفاف بمُهمّة التحقيق وَوَعْي القُرّاء في آنٍ معاً ، وتصويب الكلمة (مُهَذَّبٌ) وهذا اللون من التحريف بتقديم حرف على آخر مألوف من النُسّاخ ، وتصحيحه سهلٌ ويسير !.

ط – وفي الصفحة (٤١٠) هذا البيت من مقطوعة رباعية :

والذي أهـوى يَمـيـني وكفـى بـالذي أهـواهُ عنـدي سَـقَمـا

وتعليقُ المحقق عليه بقوله : « (السَّقَما) الواردة في بيت آخر من هذه المقطوعة : إيطاء ! » يؤكد سهوه عن ملاحظة التحريف في الكلمة ، وهو من اللون المألوف كما قلنا في المثل السابق ، وتصويبه : (قسما) وكلمة (يميني) في صـدر البيت تقتضي هذه القـافيـة له ، وأصحـاب البديع يتحدثون عن مثل هذه القافية في باب (الإرصاد أو التسهيم أو الترشيح إلخ ..) (العمدة : ٢/٣٠ – ٣٣) وبزوال التحريف استقام معنى البيت :

فخالد يُقسم بمن يهوى وكفى به قسماً .

ي – وفي الصفحة (٤١٢) هذان البيتان من مقطوعة رباعية :

حَلَّ من القلبِ في الصميم مَحَلَّ مُسْتَوْطِنٍ مُقيمِ

من حَلَّ حُسناً بدون حتى دقَّ عن الحسن والنّسيمِ

وعلّق المحقق على البيت الثاني بقوله : « (حلَّ) كذا ، ولعَلّها (جلَّ) . (بدون حتى) : كذا » ولكنَّ هذه المقطوعة لم ينفرد بها الديوان ، وهي في (طبقات الشعراء) لابن المعتز (ص : ٤٠٥) ولم يعثر المحقق عليها ، ولو فعل لأفاد منها في تصويب البيت :

من جَلَّ حُسناً ودَقَّ حتى دقَّ عن الحِسِّ والنسم

ورواية الطبقات (عن اللحظ والنسيم) ولعل تصويبنا لرواية الديوان هنا أولى ، والمقطوعة يعزوها ابن المعتز إلى محمد بن القاسم الدمشقي ، وجاءت أخبار خالد بن يزيد الكاتب بعدها مباشرةً عنده ، مّما يدعو إلى الشكّ في صحة نسبتها إلى الدمشقي ، واحتمال انتقالها إلى أخباره ، من أخبار خالد التي تتلوها في الصفحة المشار إليها من (طبقات الشعراء) .

هذه الوفرةُ من أمثلة التصحيف والتحريف في أشعار ديوان مطبوع عن نسخة فريدة تُظهرنا على الصعوبة البالغة في تحقيق نصوصها ، فإذا لم يكن المحقق مُؤهَّلاً تأهيلاً كاملاً لتذليل العقبات والتغلّب عليها بالأناة والصبر والتبصُّر وسعة الاطلاع والخبرة غدت عملية التحقيق على يديه شيئاً عقيماً لا فائدة منه ، ولا بُدَّ للغيورين على التراث من التصدّي لعمله والكشف عن مساوئه وعيوبه ، والدعوة إلى إعادة التحقيق للكتاب من جديد لتخليصه من التشويه ، وتقويم أخطائه ، وتقديمه إلى القُرّاء ، بعد بذل أقصى الجهود الجادّة ، في أصح صورة له ممكنة وأسلمها .

- ١٠ -

ومهما يكن فإن الجهود الجادة في التحقيق تعجز أحياناً عن تصويب العويص من التصحيف وتصحيح الغريب من التحريف ، في النصوص التراثية التي لم يصل إلينا منها غير نسخة وحيدة عبث بها الناسخ الماسخ وأفسدها ، فهذا لونٌ من التصحيف والتحريف يتطلب تضافر العلماء المتمكّنين المؤهّلين ليضطلعوا بتصحيحه ويُشاركوا في تحمّل ذلك العبء الثقيل على كاهل الأفراد من المُحققين ، ويدُ الله مع الجماعة ، وفيما يلي أمثلة على ذلك :

١ - في (ديوان بشار بن برد) : ٣٣٥/٢ الذي حقّقه وشرحه الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ، شيخ جامع الزيتونة بتونس ، والذي راجعه عالمان من مصر وعلّقا عليه ووقفا على طبعه ، هذان البيتان من قصيدة طويلة يمدح بها بشار سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، ويتحدث عن معارك أبيه قُتيبةَ الفاتح العظيم وغزوه بفرسانه أطراف الصين :

قادَ الجنودَ من البُصَيْرَةِ للعِدا حتى وقعن **بصِين ثغر** قُودا
خيلاً **مُخَفَّفَةً** وخيلاً حُسَّراً لا يَخْتَلِجْنَ مع الشكائمِ عُودا

وشرح المحقق في تعليقه على البيت الأول كلمة (البصيرة) : تصغير البصرة و(صين ثغر) : موضع لم يرد ذكره في ياقوت ولا في كتب التاريخ ، والظاهر أنه من ثغور الصين ، وهي فرغانة التي فتحها قتيبة أو كاشغر .. والأظهر أن يكون مركَّباً مزجياً ، فتكون نون (صين) مفتوحة وتنوين (ثغر) للضرورة ! كما شرح المحقق كلمة (قودا) : جمع أقود وهو الفرس المنقاد المذلّل وأضاف المعلّقان المصريان أن نون (صين) مكسورة في المخطوطة وفي نسخة الشارح بالفتح ، واكتفيا بذلك .

وقرأ الناقد الدكتور شاكر الفحّام البيت فاستوقفه التحريف في

صـــدره وعجزه ، وبذل جهداً حميداً في الوصـول إلى وجه الصـواب في كليهما ، فقال في (نظراته في الديوان : ص١٢٣) : « كلمة (الجنود) في صدر البيت مُحرّفة عن (الخيول) يدل على ذلك قولُه (وقعن ... قُودا) في العجز ، فنون النسـوة التي أسند إليها الفعل وقع ، لا تصحّ أن تكون ضمير الجنود ، والقود من صفات الخيل لا الجنود ، وبهذا التصحيح يستقيم مطـلع البيت الثـاني (خيلاً ... وخيلاً ...) لأنها بدلٌ من الخيول التي وردت في البيت الأول ، وكلمة (ثغر) في عجزه يُخيَّل إليَّ أنها محرّفة عن كلمة (بغر) أو (بغبر) » ويقول الناقد في موضع آخر من (نظراته في الديوان : ص١١٨) : « وكلمة (بغبر) أو (بغبور) كانت تعني الأرض المـترامية الأطراف في المشـرق ، فيما بعـد وراء النهر ، حتى تبـلغ تخوم الصين » .

أما البيت الثـاني فقد جاء في شـرح المحقق له : « (مُخفّفة) أي مجعول لها خفاف جمع خُف ، وهو جلد يُلَفُّ فيه حافر الفرس إذا خيف عليه التورُّم من كثرة المشي ... و(الحُسَّر) : جمع حاسر ، وهو الذي سار حتى عَيِيَ ... وقابل المُخفَّفةَ بالحُسَّر لما يتضمّنه معنى الحسر من الاحتياج إلى جعل الخفاف لها ؛ ويعتلجن : يعالجن ، يقول : إنهنّ لإعيائهن لا يحتاج الراكـب أن يضيّق عليهـا الشكائم بأعوادٍ في الأفواه تزاد في اللجم للخيل الشـديدة ! » ولم يجد المعـلّقـان المصريان بعد هذا الشرح ما يقولان ... ولكن الناقد وجد ما يقوله ، وقد استوقفه التصحيف في كلمة (مخفَّفة) وأعانه جهدُه الصـــابر وثقافته على الاهتداء إلى تصويبه ، فصحة الكلمة (مُجَفّفـة) ، ففي اللســـان « فرسٌ مجفّف ، عليـه تجفـاف ، وتجفيف الفرس : أن تُلبسه التجفاف الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب » وفي أساس البلاغة : « جفّف أهل الحرب : صنعوا التجافيف » وفي تاريخ الطـبري : « وإنّ معـه لمجفّفة أمامه » وينتهي الناقد إلى القول :

« وبذلك يتألّق معنى بشار الذي يصف به قوة القائد العظيم فاتح بلاد الترك ، وحُسنَ تأهبه للقاء أعدائه ، وتمُّ له الصنعة الجميلة التي كان يُزيّن بها أشعاره » .

وهكذا نرى أن التحريف والتصحيف في بيتي بشار هذين احتاج تصحيحُهما إلى تضافر جهود عدد من العلماء المتمكنين من الأقطار العربية (من تونس ومصر وسورية) ولولا ذاك لما أمكن تقويم أخطاء البيتين والاهتداء إلى حقيقة ما أراد الشاعر أن يقول فيهما .

٢ – ومثال ثانٍ على عويص التصحيف في ديوان بشار أيضاً : (١٤٤/١) ومساهمة ناقد سوري آخر هو الدكتور محمد حموية في كشف غموضه ، بعد الجهد الذي بذله شارح الديوان ومحققه التونسي ، ومراجعة المعلقين المصريين الفاضلين للديوان وشرحه عند طبعه ، والحق أن (نظرات الدكتور الفحام في ديوان بشار) حرّكت الدارسين على موالاة العناية بديوان بشار لتخليصه من الآفات والأخطاء وألوان التصحيف والتحريف التي يغص بها ، لما قدمناه من الكلام على عبث الناسخ بالديوان حتى كاد يصير غلطاً صرفاً ، وكتب الدكتور حموية (ملاحظات على ديوان بشار) في مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٦٠/الجزء الثالث والرابع لعام ١٩٨٥) وقد سار فيها على نهج أستاذه الدكتور الفحام في (نظراته) وفيما يلي إحدى ملاحظاته (ورقمها : ١٧ – مجلة المجمع : ٥٩٠/٦٠ – ٥٩١) على خاتمة أُرجوزة لبشار يمدح بها عُقبة بن سلم وقد جاء فيها :

إنّي من الحَبْسِ على اكتئابِ
فاحسم **تَبَيّا أو تُنيلُ** ما بي
ولا يكُنْ حَظّي انتظارَ البابِ

كما جاء في تعليق الشارح قوله : « (تبيّا) : أصلها تتبيّا ، أي تتبيّن ، أو يقال : بيّاكَ اللهُ ، أي قرّبكَ إليه وأنعمك » ولم يجد المعلّقان

المصريان ما يضيفان إلى شرح الشارح المحقق ، وقد استوقف التصحيف في قول بشار : (فاحسم تبيّا أو تُنيل ما بي) الناقد عنده وحكم بأن في هذا القول : « أعوص تصحيف وأغمضه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يُرشد إلى معناه .. والصوابُ فيه : (فاحسم بِتَيَّا أو بِتِيكَ ما بي) وتَيّا وتيكَ : اسما إشارة ، ولا بد من شرح المعنى حتى يتّضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنا أن بشاراً يستنجزُ عُقبة (الممدوح) وعداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مُكثه) على بابه دون انجاز ، فتضايق بشار من هذا المطل ، فطلب من ممدوحه أن يحسم الأمر إمّا بنعم وإمّا بلا ، فـ (تيّا وتيكَ) اشارتان إلى (نعم ولا) ، وقد استعمل بشار هذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال : (١١٩/٣) :

صِـدْقُ البخيـلِ يَسُـرُّني ... ويَسُـوءُني كَذِبُ الجَوَادِ
إنّي لأُنجِـزُ مـا وَعَـدْ ... تُ على الطريفِ وفي التِّلادِ
وإذا سُـئلتُ أتيتُـها ... ضَـرْبَ الأميرِ طُلا الأعادي
إمّـا بِتَـيّـا أو بِتِيـ ... ـكَ وراحـةٌ تَـرْكُ الكـدادِ

إلخ ... » وأشار الناقد إلى أن البحتري أفرد لهذا المعنى باباً في حماسته (الباب الخامس والثمانون) وهو معنى مطروق ، فالممدوح مطالب بأن يحسم الأمر (إمّا بنعم وإمّا بلا) ولا يدع الشاعر ينتظر طويلاً على بابه ، يستنجزه وعده بالعطاء ، فترك الإلحاح راحة ، واليأس إحدى الراحتين كما يقولون .

٣ – وفي (نكت الهميان في نُكت العُميان) للصفدي (ص٢٩٢ – ٢٩٣) الذي حققه ووقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي نقرأ خبراً عن الشاعر المصري الأعمى موفّق الدين العَيْلاني (٥٤٤ – ٦٢٣هـ) وهجاءِ ابن المنجّم له ، فقد « كان الموفق يقرأ في مسجد كهف الدين طُغان ، فكتب ابنُ المنجم إليه :

يـــا كهفَ دينِ الله يـــأوي له فتـيـــةُ كهفٍ قطُّ لم يكـفــروا
لا تظـلـم الاستبطـل في كفّهـم فهــو بِسَبِّ النـــاسِ مُسْتَهْتَــرُ
ولا تَقُــل دَعْـهُ يكـن كلبَهــم فكــلبُ أهـلِ الكهف لا يَعْقِـرُ

فطرده طُغانُ من المسجد » .

نقرأ الخبر فيستوقفنا اختلال الوزن في صدر البيت الثاني ، ونعجب من سهو المحقق عنه وإغفال التعليق بحاشية عليه ، ففي هذا الشطر وحده أكثر من تصحيف وتحريف : وربما كان فيه أعوص تصحيف أو أغمض تحريف في الكتاب كله : فكلمة (الاستبطل) محرّفة عن (الإسْطِيل) ولهذه الكلمة في معاناة التصحيف والتحريف تاريخٌ طويل ، ومعناها (الأعمى) وقد ذكرها الجاحظ في (البخلاء : ٣٩ و٤٥) وهو يُعدِّد أصناف المُكَدّين (الشحّاذين) وتولّى بنفسه شرحها فقال : « الاسطيلُ : هو المُتَعامي : إن شاء أراكَ أنه مُنخسفُ العينين ، وإن شاء أراك أنَّ بهما ماءً ، وإن شاء أراكَ أنه لا يُبصر »[1] ، وذكرها الثعالبي في اليتيمة (٣٥٩/٣) في تفسيره لبيتٍ من القصيدة الساسانية جاء فيه (سَطَّل) فقال : « سَطَّلَ : إذا تعامى وهو بصيرٌ ، يُقال للأعمى : الإسطيلُ » وفي بيتٍ آخر من تلك القصيدة يقول : « (اليتيمة : ٣٦٦/٣)

ومِنّـــا كُلُّ إســـطيــــلٍ نَقِـــيّ الذهنِ والفـــكـــرِ

الأسطيل : الأعمى » وجاء في (شفاء الغليل) للخفاجي : (ص٦١) : « الاصطيل بلغة أهل الشام : الأعمى » وهو ينقل شرح الكلمة عن (نكت الهميان) : (ص١٠٣) الذي صُحِّفت فيه الكلمة فصارت (الاسطبل) في خبر مشهور عن المعري في بغداد ، حين قصد العالم النحويَّ عليَّ بن عيسى الرَّبَعي ليقرأ عليه ، فلما أُدخل عليه قال له : ليصعد

(١) وانظر أيضاً (المحاسن والمساوئ) للبيهقي : ٥٨٣ (نقلاً عن الجاحظ) .

الاسطبل ! (والاسطبلُ في لغة أهل الشام الأعمى) فخرج المعري مُغضباً ولم يعد إليه ! وأصبحت كلمة (الاسطبل) أو (الاصطبل) من التصحيفات السائرة نقع عليها في كل كتاب ينقل حادثة المعري مع الرَبَعيّ[1] خلال العصور ، والعلماء الاجلاء الذين تولوا جمع تراجم أبي العلاء بإشراف الدكتور طه حسين في كتاب سمّوه (تعريف القدماء بأبي العلاء) وقد صدر في عام ١٩٤٤ بمناسبة المهرجان الألفي لأبي العلاء ، لم ينتبهوا إلى التصحيف في الكلمة فنقلوها مُصحّفةً خمس مرات (ص : ١٦ ، ٧٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٥١٦) إلى أن تمّ تصحيحها في (المعجم الوسيط) ففيه :

« الاصطيل : الأعمى ، خاطب بها الشريف المرتضى أبا العلاء في بغداد » (باب الهمزة من المعجم الوسيط : ١٩/١) وأُشير فيه إلى أنها لفظ دخيل ، دخل العربية دون تغيير من اللفظ الأجنبي ؛ وعرض الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر لذلك في كتابه (أباطيل وأسمار)[2] ، غير أن الكلمة في بيت ابن المنجم ازدادت تحريفاً وتشويهاً ، فغدت (الاستبطل) وتهشّم بها الوزن ، وبتصحيحها يتّزن البيت ، ولكن المعنى يظل غامضاً (لا تظلم الاسطيلَ في كفّهم) وكلمة (تظلم) قلقة وليست في موضعها ، فكيف يُطالب الشاعر بالعدل مع الأعمى وهو يهجوه ، ويُخيّل لي أن في الكلمة تحريفاً ، وأن كلمة (كفّهم) خطأ مطبعي صوابه (كهفهم) يُعين على تصحيح التحريف :

(١) انظر ترجمة المعري في (نزهة الألباء) لابن الأنباري ، و(الانصاف والتحرّي) لابن العديم ، و(معجم الأدباء) لياقوت و(نكت الهميان) و(الوافي بالوفيات) للصفدي ، وهي كلها في كتاب (تعريف القدماء بأبي العلاء) .

(٢) هذا إن لم تخني الذاكرة ، وقد بعد عهدي بالكتاب ، ولا أجده تحت يدي اليوم !

لا تَنْظِـمِ الاسطيـلَ في كهفهـم ....

وبهذا التصحيح يزول غموض البيت ويَتَّسِق معنى الأبيات الثلاثة : فالشاعر يسأل أن يُطرد الشاعر الأعمى من مسجد كهف الدين طُغان ، ويُحرّض صاحب المسجد لكيلا يدعه يقرأ فيه مع الطلبة الآخرين ، فهؤلاء الطلبة مثل فتية الكهف ، الذين آمنوا بربّهم ولم يكفروا به أبداً ، والأعمى ليس جديراً بالانضمام إليهم ، والانتظام في سلكهم لأنه سبّابٌ للناس ، وهو ليس جديراً بأن يكون بمنزلة الكلب الذي رافق أهل الكهف ، لأن كلبهم ذاك كان وديعاً مُسالماً لا ينهش الناس ولا يجرحهم ولا يُؤذيهم ، وقد استمع طُغان إلى نصيحة الشاعر فطرد الأعمى من مسجده !.

٤ – والأمثلة على هذا اللون من التصحيف العويص والتحريف الغامض في كتب التراث الأدبي المحققة لا تنتهي ، فإذا اقتصرنا على تقديم أمثلة أخرى من (ديوان بشار) و(نكت الهميان) أدركنا حاجة التراث إلى تخليصه من تلك الآفات بجهد جماعي يُشارك فيه كل ذي قدرة وخبرة من العاملين في ميدان التحقيق ، فهذا ديوان بشار بعد الجهود المضنية التي بذلها الشيخ الجليل ابن عاشور وأعانه من أعانه على مراجعة التحقيق من العلماء بمصر ، وبعد المساهمة الجادة لتصحيح الديوان المطبوع الذي يغصُّ « بألوان من التصحيف والتحريف » (مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٦٠/٦٠٠) من قبل عدد من العلماء الغيورين على التراث في سورية ، « ما زال يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه » كما يقول بحقٍ الدكتور شاكر الفحام في نظراته (ص : ١٦) فالديوان ما زال بحاجة إلى من يتصدى للكشف عن عويص تصحيفاته وتحريفاته الكثيرة، من أمثال قول بشار : (٥٨/٢)

حلفتُ بمن حجَّ المُلَبُّون بيتَه وبالخيفِ والرّامين للجمراتِ

لتقبيـلُ خَدَّيْهـا ومصٌّ لسـانها **ألذُّ من البـاكين في عرفـاتِ**

وكان ابن عاشور – رحمه الله – أشار إلى اختلال المعنى في البيتين وغموضه في التعليق عليهما فقال : « ليس البكاءُ في عرفات من اللذات ! » فهناك دون ريب تصحيف ماسخٌ للمعنى الذي أراده بشار ، ينتظر همّة النقّاد والدارسين لتصويبه ؛ ومثل هذا المثال في ديوان بشار كثير !

٥ – ومن (نكت الهميان) : (ص١٩٦) هذا المثال من قول ابن حجّاج في أنف الخليفة الطائع ، وكان كبير الأنف :

خـليفـةٌ في وجهـه رَوْشَـنٌ **خَـرْبَشْتُـهُ** قد ظلّل العسكـرا
عهـدي بـه يمشـي على رِجْلِهِ وأنفُـه قـد صـعِـد المنـبرا

وانتبـه المحقـق الأستـاذ أحمـد زكي إلى التـصحيف في كلمـة (خَرْبَشْتُـه) واكتفى بالتنبيـه عليـه بهذا التعـليق في الحاشية : (كذا في الأصـول) لكي يُجرّبَ غيرُه حظَّه في تصحيحه ، وقد ورد البيتان في : (فوات الوفيات : ٦/٢)ولكن محققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد لم ينتبه إلى التصحيف العويص ولم يُنبِّه عليه(١) !

والحق أن التصـدي لهذا اللون الصعب من التصحيف والتحريف العويص والغـامض يتطـلّب من القـادرين عليـه حظـاً كبـيراً من الكفاية والدراية ، والفطنة والذكاء ، والتضحية والصبر ، والتضامن والتعاون ، لبلوغ الغاية ، وقد قلنا – ونعاود القول – إن العمل الجاد في هذا الميدان عبء ثقيل ينوء بالعصبة أولي القوة ، ولكن ما لا يُدركُ كُلُّه لا يُترك جُلُّه .

– ١١ –

ونصـل الآن إلى لون أخـير من التصحيف والتحريف : فهنـاك

(١) انظر نقد الأستاذ الدكتور مصطفى جواد لهذه الطبعة من (فوات الوفيات) في مجلة المجمع بدمشق (المجلد : ٢٧٢/٤٣ – ٢٩٥) .

نصوص تراثية مشهورة يتناقلها الرواة جيلاً بعد جيل ، ولا يرون خطأً فيها ، ويحفظها المتأدبون لأنها من مأثور تُراثنا الأدبي ، وننظر فنجد من يدَّعي حدوث التصحيف أو التحريف فيها ، ويُقدّم التصويب الذي يرى فيه تصحيحاً للخطأ السائر المتداول .

ونورد فيما يلي ثلاثة أمثلة على ذلك ، من مشهور شعر بشار وأبي نواس والبحتري :

١ – في (مختارات أحمد تيمور) : (ص : ٦٩) التي انتقاها من طرائف روائع الأدب العربي فائدةٌ منقولة عن كتاب (تثقيف اللسان) للقاضي عمر بن مكي الصقلّي النحوي :

« باب التصحيف : ... ومن ذلك قولُ بشار :

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذن تعشق **مثل** العين أحيانا

يقولون : (قبلَ العين) والروايةُ (مثل العين) ويدلُّ على ذلك الذي بعده :

قالوا: بِمَنْ لاترى تهذي فقلتُ لهم الأُذن كالعين تُوفي القلبَ ما كانا

فقولُه : (الأذن كالعين) يشهد لـ (مثل) لأنّ معنى الكاف ومعنى مثل واحد . »

٢ – وفي كتاب (مع المصادر في اللغة والأدب) للدكتور إبراهيم السامرائي : (٢٧٩/٣ – ٢٨٠) نجد تعليقاً على بيت أبي نواس المشهور في مدح الأمين محمد بن هرون الرشيد :

وإذا المطيُّ بنا بَلَغْن محمّداً فظُهورُهنَّ على **الرِّجال** حرامُ

جاء فيه : « أقول : هذه هي قراءة البيت .. في الديوان وسائر الكتب التي أثبتت القصيدة ، غير أن الدكتور مصطفى جواد قال : والصواب : (فظهورهنّ على الرِّحال حرامُ) أي الرِّحال جمع رَحْل ، وليس

الرّجال جمع رجل ، والمعنى : يجب أن تعرى المطيُّ من الرِّحال ! »

٣ – وفي مقالة للدكتور محمد صبري في (مجلة قافلة الزيت المجلد : ١١ العدد الخامس : ص : ١١) عنوانها (منهاجي كمؤرّخ في النظر إلى العمل الأدبي) يقول :

« بعض أبيات من أشهر قصائد البحتري التي يتدارسها كبارُ الأدباء والنقاد منذ قرون تتضمَّن أخطاءً كبيرةً لم يلتفت إليها أحدٌ كقوله في وصف البركة :

تغني بساتينها القصوى **بِرُؤيتها** عن السّحائبِ مُنحلاً عَزَاليها

(برؤيتها) هنا لا محلّ لها ، وصِحّتُها (بِريِّتها) : يُريد أن ماءَ دجلة أو البركة – البحيرة – يُغني البساتينَ القُصوى في أرجاء البحيرة عن ماء السّحاب . »

فهذه التصويبات لا يأخذ المحققون بها لأنها صادرةٌ عن اجتهاد شخصي خاصٍ في قراءة النصوص التراثية ، يُخالف ما أجمع عليه المتقدّمون من الرواة وأهل الأدب ونُقّاد الشعر ، وما حوته النسخ الخطية المختلفة من دواوين هؤلاء الشعراء ، وما نقلته عنها كتب التراث الأدبي عبر العصور إلى اليوم ، وستظلُّ تلك الاجتهادات الشخصية الخاصة ممثلةً لوجهة نظر أصحابها في قراءة تلك الأبيات وأمثالها .

– ١٢ –

وقبل أن نصل إلى خاتمة عرضنا لتلك الألوان من التصحيف والتحريف لا بُدَّ من التذكير بأننا اخترنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية التراثية التي تهيأ لها في نشرها من التحقيق والتدقيق ما يجعل طبعاتها علمية نقديه ، وقد نهض بتنقيحها والإشراف على طبعها علماءُ أجلاّء عُرف أكثرهم بالكفاية والخبرة البصيرة الطويلة والإخلاص في خدمة التراث

وإحيائه ، وتمّ إصدارها بإشراف المؤسسات العلمية في أرجاء العالم العربي : مثل دار الكتب المصرية ومجمع اللغة العربية بدمشق وجامعة دمشق وجامعة بغداد وبعض دور النشر الجادة في مصر وسورية وغيرهما من الأقطار العربية ، ولم نعمد في اختيارنا إلى المطبوعات التجارية الرديئة التي تُفسد التراث وتجني عليه جناية كبيرة ، وإنا لنأمل أن يعمَّ الوعي عند القراء فينبذوا تلك المطبوعات للحدّ من جشع ناشريها واستغلالهم وعبثهم بالتراث وتشويههم إياه !

وهل نحن بحاجة - بعدما قدمناه - إلى التصريح بأننا في هذه الصفحات التي حاولنا فيها عرض آفات التصحيف والتحريف على أساس منهجي تطبيقي لم نرد أن ننال من أحد أو أن نغمز من جانب أحد من المحققين الأفاضل ، ونحن الذين عرفنا مبلغ التضحية التي يتطلّبها العمل الجادُّ في خدمة التراث وإحيائه ، فيما نشرنا من كتبه ، وما أعددناه للنشر ، ونسأل الله أن يعصمنا من الغرور والعُجب فلا ننكر على أحد من العاملين في ميدان التحقيق سهوه أو وهمه ، وجلَّ من لا يسهو ولا يتوهّم ! وكيف نفعل ونحن أولى بتقدير عظيم جهدهم ونُبل مسعاهم وسُموّ مقاصدهم ، وهم يبذلون وُسعهم ليستخلصوا نفائس تراثنا العظيم من يد الفناء ، ويُرمّموا الجوانب المتداعية منها .

نقول هذا لأن كتب الأدب تروي لنا الأخبار عن تجهُّم عدد من كبار العلماء لمن يُنبّههم إلى تصحيف سهواً عن تصويبه ، وعن استثقالهم مِنْ بَعْدُ لهم ، مثل ما يحكيه القاضي الأندلسي المنذر بن سعيد البلُّوطي عن استثقال أبي جعفر ابن النحّاس إياه بعد أن نبّهه إلى تصحيفه لقول المجنون (بانت وبان قرينُها) وكان يُمليه على طلبته (**باتت وبات قرينُها**) فتجهّم له ، ويقول المنذر : « وما زال يستثقلني بعد ذلك » (معجم الأدباء : ٢٢٦/٤ - ٢٢٧) . كما تنقل لنا كتب الأدب أخباراً عن علماء آخرين

يـرفضـــون بعنـــادٍ قبـول التصحيح لتصحيفهـــم ، ويُصرون على روايـة المُصحَّف ، ويَـلِجُّون ويضجُّون ويرفعون أصـواتهم استكبـاراً ، وكان ابن الأعرابي واحداً منهم ، وكان يحتجُّ بأنه سمع تلك الرواية – المصحّفة – من أكثر من ألف أعرابي ، حتى قال بعضهم : « ما رأيتُ من أهل العلم أحداً قطُّ أشدَّ عصبيةً من ابن الأعرابي : كان يَدَعُ ما يعرفُ ويركبُ الخطأ ، ويُقيم في العصبية عليه ! »[1] .

إلاّ أن كتب الأدب تروي لنا أيضاً أخباراً كثيرةً أخرى عن علماء أجـلّةٍ آخرين لم يتحـرَّجوا عنـدمـا نُبّهـوا إلى تصحيفهـم وعمـدوا إلى تصحيحـه ، ولم يستكـبروا عن الاعتراف بخطئهم ، إذعاناً للحقّ والتزاماً بالصدق والأمانة ، كالذي حكوه عن ابن الأنباري ، وكان آيةً في الحفظ والإتقـان ، عندما أملى حديثاً فصحّف في إسناده اسماً ، وكان الدارقطني يومذاك شـابّاً يحضر المجلس ، فاقترب من شيخه عند فراغه من إملائه ، وعرّفه صواب القول في الاسم المصحَّف وانصرف ، فلما كان المجلس التالي قال ابن الأنباري للمُستملي : « عَرِّف جماعة الحاضرين أنّا صَحَّفنا الاسم الفلانيَّ لمّا أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية ، ونَبَّهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعَرِّف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال . » (معجم الأدباء : ١٨/٣٠٨ – ٣٠٩) .

إنّ أمثال ابن الأنباري في إذعانهم للحق وانصياعهم له وقبولهم إياه كُثرٌ في تاريخنا والحمدُ لله[2] وإنّ في سعة صدورهم وسماحة نفوسهم ما يُغري بمصارحتهم بكلمة الحق دونما تحرُّجٍ أو تَرَدُّدٍ لِنبذ الخطأ وتعميم الصواب في النصوص التي يرونها ...

---

(١) (التصحيف والتحريف) للعسكري : ١/١٨٦ .

(٢) في كتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) أمثلة كثيرة على ذلك : (انظر الصفحات : ٦١ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٦ الخ ...) .

ونحن في عرضنا لتـلك الألوان المتعدّدة من التصحيف والتحريف وتقديمنا الأمثلة عليها من الكتب الأدبية التراثية المحققة ، نأمل أن نجد عند مُحققيها الأفاضل تلك الروح السمحة الرضيَّة التي واجه بها ابن الأنباري تلميذه الدارقطني عندما نبّهه على خطئه ، وما الغاية التي نرجوها من كتابة هذه الصفحات إلاّ المساهمة في تخليص التّراث من آفاته ، وتعميم الغيرة عليه عند العاملين على إحيائه ونشره ، لتتضافر جهودهم في التغلّب على المشكلات والصعاب وتذليلها ، والله الموفّق .

خاتمة

في ختــام هذه الجولة النقـدية الطويلة في المكتبـة الأدبيـة ، وبعد مراجعتنا ذلك العدد الكبير من كتب التراث المحققة ، لكي نستعير منها الأمثلة على كل لون من ألوان التصحيف والتحريف التي رصدناها ، يحق لنا أن نتسـاءل : أليست هناك كتب أدبية تراثية مطبوعة ، تخلو – أو تكاد تخلو – من آفات التصحيف والتحريف ؟ والجواب : بلى ، وإنها لتُعدُّ من النفائس ، وقد عُني بتحقيقها عددٌ من الشيوخ الكبار ، ممن كانوا يدركون حقّ الإدراك قيمـة التراث ، وتبعة العاملين على خدمته وإحيائه ونشره ، ويُقدّرون تمام التقدير شرف المهمة ونُبل الهدف في عملهم ، فبذلوا أسخى الجهود لتقديم نصوص التراث في أصح صورة وأقربها إلى الكمال ، ليُعلّموا الأجيال من بعدهم كيف يُوالون المسيرة على نهجهم ، وقليلون هم اليوم القـادرون على تحمّـل العبء كما تحمّـله أولئك المحققون الأوائل الأفذاذ ، وما عاناه أولئك الروّاد المخلصون من المشقّات ، وسنظل نذكر بالإجلال والإكبار أولئك الأعلام : من أمثال العلاّمة الميمني الراجكوتي والشيخ أحمد محمـد شـاكر والأستـاذ الرئيس محمد كرد علي والعـلامة عبد الله كنون والدكتور مصطفى جواد والأسـاتذة الأجلاء الآخرين : مصطفى السقا وحمد الجاسـر والعلامة محمود محمد شـاكر وغيرهم وغيرهـم ، ومنهم من توفّاه الله إليه فندعو لأرواحهم الطاهرة بالرحمة وعظيم الأجر ، ومنهم من لا يزالون يُوالون العطاء السخيَّ فندعو لهم بطول العمر والمزيد من النتاج الوفير ، وإذا وقعنا في أعمال هؤلاء الأعلام على أخطاء قليلة أو تصحيف نادر نجده من قبيل التطبيعات وسهو المراجعين والطابعين ، وكان بودّي أن أقدّم بعض الأمثلة على ذلك ، لولا أن الخاتمة لا تحتمل الافاضة والتفصيل ، وحسبي هذا المثال أذكره في الحاشية[1] ، وذكره يُغني عن غيره .

(١) في كتـاب (تلخيص مجمع الآداب في معجـم الألقـاب) للفوطي (الجزء =

ويزداد تقديرنا لأعمال جيل الروّاد الأعلام هؤلاء عندما نُبصر الخلل والتهاون والاستخفاف في بعض أعمال من تلاهم من العاملين في ميدان التحقيق والنشر ، ويحزُّ في نفوسنا أن تتوالى الطبعات الجديدة من كتبهم دون مراجعة لها أو تنقيح لأخطائها أو إفادة من نقد النقاد لتصحيحها ، وقد كثرت المجلات التي تُعنى بالتراث ومخطوطاته ونقد ما يطبع محققاً منها ، في كثير من الأقطار العربية ، وأحرى بالعاملين اليوم في تحقيق التراث ونشره أن يستفيدوا من نقدها وتوجيهاتها ، وأن يُؤمنوا بأن العمل الجادَّ في ميدانهم لا يكتفي بالجهود الفردية المتفرقة ، فالمهمة كبيرة ، والعبء – كما لا نملّ أن نقول – ثقيل جداً ، فإذا تضافرت عليه جهود المحقق والناقد والقارئ الحصيف خفّ ثقله وهان احتماله ، وأُمكن التغلّب على مشكلاته وصعابه ...

فلتكن هذه الصفحات حافزاً على تلاقي تلك الجهود وتآزرها وتضافرها ، لكي يتعاون الغيورون على التراث لتخليصه من تلك الآفات التي عرضناها ، المؤمنون بجدوى التعاون بينهم لتصحيح أخطائه ، وتقديمه إلى القُراء سليماً مُعافى قادراً على الحياة ، جديراً بالبقاء والخلود ، يُطاول عوادي الزمن ، ويتحدّى عوامل الفناء ، ويبقى ما بقيت أمتُنا العربية المجيدة وحضارتُها الإنسانية العظيمة .

= الرابع – القسم الثاني : ص٧٢٤) بتحقيق الدكتور مصطفى جواد ، نقرأ هذا البيت ، وهو مطلع لأبيات :

أيها العاذلون لي بَيِّنُوا فلكم دينُكم ولي دينُ

والوزن (الخفيف) والتصريع في الشطرين والمعنى المراد : كل ذلك يُشير إلى الخطأ المطبعي في (بَيِّنوا) وتصحيحه (بِينُوا) أي فارقوني وابتعدوا عني ! وكان الدكتور مصطفى جواد من أفذاذ المحققين ، رحمه الله وأثابه .

الفهارس

١ ـ كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف .

٢ ـ المصادر الأخرى والمراجع .

٣ ـ المجلات .

٤ ـ المحتوى .

١ - كتب التراث التي اختيرت منها الأمثلة على ألوان التصحيف والتحريف

١ - أبو العتاهية : أشعاره وأخباره ، بتحقيق الدكتور شكري فيصل (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥) .

٢ - أخبار البحتري للصولي ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر
(ط : ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٨
ط : ٢ دار الفكر بدمشق ١٩٦٤
ط : ٣ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٧) .

٣ - أخلاق الوزيرين للتوحيدي ، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٥) .

٤ - الأغاني للأصفهاني (الجزء الرابع عشر) بتحقيق أحمد زكي صفوت (ط: دار الكتب المصرية) .

٥ - البصائر والذخائر للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني (مكتبة أطلس بدمشق) .

٦ - التحف والهدايا للخالديين ، بتحقيق الدكتور سامي الدهان (دار المعارف بمصر) .

٧ - التلخيص لأبي هلال العسكري ، بتحقيق الدكتور عزة حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .

٨ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ، بتحقيق

الدكتور مصطفى جواد (مطبوعات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٣) .

٩ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (مصر ١٩٦٥) .

١٠ – الديارات للشابشتي ، بتحقيق كوركيس عواد (ط ١ مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥١) .

١١ – ديوان ابن أبي حصينة ، بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٦) .

١٢ – ديوان البحتري :

أ – مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس – القسم العربي رقم ٣٠٨٦ .

ب – ط الجوائب بالآستانة ، بتصحيح الشيخ رسول النجاري ١٨٨٢ .

جـ – ط دار المعارف بمصر ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٦٣ – ١٩٦٤ .

١٣ – ديوان بشار بن برد ، بتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ومراجعة محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين (القاهرة ١٩٥٠ – ١٩٥٧) .

١٤ – ديوان خالد الكاتب :

أ – مخطوطة الظاهرية .

ب – (ط بغداد ١٩٨١) بتحقيق الدكتور أحمد يونس السامرائي .

١٥ – ديوان الخالديين : جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩) .

١٦ - ديوان ديك الجن الحمصي ، جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي ومحي الدين درويش (حمص ١٩٦٠) .
١٧ - رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٦٤) .
١٨ - رسالة الصداقة والصديق للتوحيدي ، بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني (دار الفكر بدمشق ١٩٦٤) .
١٩ - رسوم دار الخلافة لهلال الصابئ ، بتحقيق ميخائيل عواد (بغداد ١٩٦٤) .
٢٠ - طبقات الشعراء لابن المعتز ، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٦) .
٢١ - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ١ مصر ١٩٥٤) .
٢٢ - العثمانية للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : القاهرة ١٩٥٥) .
٢٣ - فوات الوفيات لابن شاكر ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٥١) .
٢٤ - قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور لابن الرقيق القيرواني ، بتحقيق أحمد الجندي (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٦٩) .
٢٥ - كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٧٤) .
٢٦ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم (ط: ٢ مصر ١٩٧١) .
٢٧ - كتاب العرب أو الرد على الشعوبية لابن قتيبة (في كتاب رسائل

البلغاء لمحمد كرد علي : (ط: ٤ مصر ١٩٥٤) نشره الشيخ جمال الدين القاسمي ، ثم ضُم إلى (رسائل البلغاء) .
٢٨ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (ط دار المأمون ١٩٣٦) .
٢٩ ـ نكت الهميان في نُكت العميان للصفدي ، بتحقيق أحمد زكي (مصر ١٩١١) .
٣٠ ـ الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابئ ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر :
أ ـ (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٧)
ب ـ (ط: ٢ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٧)
٣١ ـ الورقة لابن الجرّاح ، بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر ١٩٥٣) .
٣٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ، بتحقيق الدكتور إحسان عباس (وملاحظات الدكتور علي جواد الطاهر عليه) بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧١ . وطبعة أخرى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٤٨) .

٢ ـ المصادر الأخرى والمراجع

٣٣ ـ أباطيل وأسمار للأستاذ محمود محمد شاكر .
٣٤ ـ أساس البلاغة للزمخشري .
٣٥ ـ إعتاب الكتاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صالح الأشتر :
أ ـ (ط: ١ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١)
ب ـ (ط: ٢ دار الأوزاعي ببيروت ١٩٨٦) .

٣٦ – الأعلام للزركلي (ط: ٢ بمصر في عشرة أجزاء) .
٣٧ – الأغاني للأصفهاني (الأجزاء : ٣ و٢٣ و٢٤) ط دار الكتب المصرية والهيئة المصرية العامة للكتاب .
٣٨ – الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ، بتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين (القاهرة ١٩٣٩) .
٣٩ – إنباه الرواة للقفطي ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (دار الكتب المصرية : ١٩٥٠ – ١٩٥٥) .
٤٠ – الإنصاف والتحرّي لابن العديم (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص٤٨٣ – ٥٧٨) .
٤١ – البحث الأدبي لشوقي ضيف (دار المعارف بمصر ١٩٧٢) .
٤٢ – البخلاء للجاحظ . بتحقيق الدكتور طه الحاجري (دار الكاتب المصري : ١٩٤٨) .
٤٣ – التاج ، تاج العروس للزبيدي .
٤٤ – التعريفات للجرجاني ، بتحقيق غوستاف فلوغل (مكتبة لبنان : ١٩٦٩) .
٤٥ – تعريف القدماء بأبي العلاء (بإشراف الدكتور طه حسين وتحقيق مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام محمد هارون وحامد عبد المجيد) صدر عام ١٩٤٤ عن دار الكتب (نسخة مصوّرة عنها – القاهرة ١٩٦٥) .
٤٦ – تعليق من أمالي ابن دريد (مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط – مخطوطات الأوقاف : ١٥٣) .
٤٧ – حضارة الإسلام : غوستاف غرونيباوم – ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (الألف كتاب : مصر ١٩٥٦) .

٤٨ ـ الحيوان للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الجاحظ : مصر ١٣٥٧ ـ ١٣٦٤هـ) .

٤٩ ـ حماسة البحتري = الحماسة للبحتري ، بتحقيق كمال مصطفى (القاهرة ١٩٢٩) .

٥٠ ـ الخصائص لابن جني ، بتحقيق محمد علي النجار ، (دار الكتب المصرية : ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) .

٥١ ـ دليل الراغبين في لغة الآراميين (رسوم دار الخلافة : ٩١) .

٥٢ ـ ديوان الهذليين ـ القسم الثاني (دار الكتب المصرية ١٩٤٨) .

٥٣ ـ الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير (أو المنسوب إليه) بتحقيق الدكتور محمد حميد الله (الكويت : ١٩٥٩) .

٥٤ ـ زهر الآداب للحصري ، بعناية الدكتور زكي مبارك (مصر ١٩٢٩) .

٥٥ ـ شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري ، للدكتور صالح الأشتر (رسالة بالفرنسية مطبوعة على الآلة الكاتبة : باريس ١٩٥٣) .

٥٦ ـ شرح المقامات الحريرية للشريشي (ط: ٢ بولاق : ١٣٠٠هـ) .

٥٧ ـ شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، بتحقيق الدكتور حسين عطوان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : دون تاريخ !) .

٥٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة : ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦) .

٥٩ ـ الطرائف الأدبية : بتحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي (القاهرة : ١٩٣٧) .

٦٠ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ، بتحقيق أمين والزين والأبياري

(مصر ١٩٤٠ - ١٩٤٩) .

٦١ - العمدة لابن رشيق ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٣٤) .

٦٢ - قواعد لتحقيق النصوص وترجمتها (بالفرنسية) لبلاشير وسوفاجيه (باريس ١٩٤٥) .

٦٣ - الفاضل للمبرد ، بتحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي (دار الكتب المصرية : القاهرة : ١٩٥٦) .

٦٤ - الكامل لابن الأثير .

٦٥ - الكامل للمبرّد .

٦٦ - كتاب التاج للجاحظ ، بتحقيق أحمد زكي باشا (ط: ١ القاهرة ١٩١٤) .

٦٧ - كتاب التصحيف والتحريف للحسن العسكري (مطبوعات المجمع بدمشق : ١٩٨١) .

٦٨ - كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس (مطبوعات المجمع بدمشق ١٩٦٨) .

٦٩ - كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (مخطوطتان : نسخة القرويين والنسخة الكتانية ، في المغرب) .

٧٠ - لسان العرب - اللسان -: لابن منظور .

٧١ - المحاسن والمساوئ للبيهقي (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ .

٧٢ - مختارات أحمد تيمور (طرائف من روائع الأدب العربي) (لجنة نشر مؤلفاته : ١٩٥٩) .

٧٣ ـ المختصر : مختصر طبقات الشعراء لابن المعتز : للمبارك بن أحمد (في آخر كتاب ابن المعتز) .

٧٤ ـ المزهر للسيوطي ، بتحقيق جاد المولى ورفيقيه (ط: ١ القاهرة) .

٧٥ ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة : ديوان الخالديين : ٥٧ ، ٢٥٠) .

٧٦ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (ط: دار صادر ودار بيروت) .

٧٧ ـ مع المصادر في اللغة والأدب : للدكتور إبراهيم السامرائي (دار الفكر : عمان ١٩٨٢) .

٧٨ ـ ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد حموية (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : المجلد : ٦٠) .

٧٩ ـ ملاحظات على (وفيات الأعيان) للدكتور علي جواد الطاهر (ط: ١ بيروت ١٩٧٧) .

٨٠ ـ مناقب الترك للجاحظ (في رسائل الجاحظ : بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٩٦٤ .

٨١ ـ الموازنة للآمدي ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٩٤٤) .

٨٢ ـ نزهة الألبا لابن الأنباري (تعريف القدماء بأبي العلاء : ص١٦ ـ ١٧) .

٨٣ ـ نساء الخلفاء لابن الساعي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (دار المعارف بمصر ـ دون تاريخ!).

٨٤ ـ نظرات في ديوان بشار بن برد : للدكتور شاكر الفحّام (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط: ٢ ١٩٨٣) .

٨٥ ـ نهاية الأرب للنويري (ط: دار الكتب المصرية ١٩٢٣) .

٨٦ – الوافي بالوفيات للصفدي ، (النشرات الإسلامية) الجزء الثاني – ١٩٧٤ .

٨٧ – اليتيمة – يتيمة الدهر للثعالبي :
(ط: الصاوي بمصر ١٩٣٤
وطبعة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : مصر ١٩٤٧) .

٣ – المجلات

٨٨ – مجلة الآداب البيروتية (العدد : ١١ – ت ٢ ١٩٥٦) .

٨٩ – مجلة قافلة الزيت (مقالة منهاجي كمؤرخ للدكتور محمد صبري) – (المجلد : ١١ العدد : ٥ لعام ١٩٦٣) .

٩٠ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

أ – المجلد : ٣٣ جمهرة الإسلام للشيزري
نقد رشدي الحكيم لديوان ابن أبي حصينة
تعليق عبد الله كنون على (الهنيدة) .

ب – المجلدات : ٤٠ و ٤١ و ٤٢ مقالة (طُرر على معجم الأدباء) لعبد العزيز الميمني .

جـ – المجلد : ٤٣ نقد الدكتور مصطفى جواد لـ (فوات الوفيات) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

د – المجلد : ٤٥ نقد محمد عبد الغني حسن لديوان الخالديين جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .

هـ – المجلد : ٤٨ تعليقات عبد الله كنون والدكتور أمجد

الطرابلسي لتحقيق اسم الشاعر المصري (ابن جدار) .

و ـ المجلد : ٤٩ الإعلان عن (ديوان خالد بن يزيد الكاتب) بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

ز ـ المجلد : ٥٧ مقالة لعلي حيدر النجاري ابن الشيخ رسول ، مصحح طبعة الجوائب لديوان البحتري .

ح ـ المجلد : ٦٠ ملاحظات على ديوان بشار للدكتور محمد حموية وتعليق الدكتور شاكر الفحام عليها .

٩١ ـ مجلة المعرفة الدمشقية (العدد : ٣٦ شباط ١٩٦٥) مقالة (شاعر عباسي ذاتي : خالد بن يزيد الكاتب) للدكتور صالح الأشتر .

٩٢ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر : المجلد : ٢ ج١ مايو ١٩٥٦) نقد الدكتور ناصر الدين الأسد لكتاب (العثمانية) للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

٤ ـ المحتوى

معروف الأرناؤوط

١٨٩٢ - ١٩٤٨

رائد الرواية التاريخية في سورية

عبد اللطيف أرناؤوط

عرف لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر نهضة ثقافية ومعرفية متميزة بحكم انفتاحه على العالم، واهتمام الغرب بنشر لغاته وثقافاته فيه، وكثيراً ما تنوّه كتب الأدب بدور الأدباء اللبنانيين الذي نزحوا إلى مصر، وأسهموا في نهضتها الفكرية في مجالي الصحافة والأدب، دون أن تُشير إلى اسهام معروف الأرناؤوط الأديب المبدع، والناثر المجدد في تطوير النثر العربي وتخليصه من قيود السجع والتكلف، وعَرْضِ معانيه وأغراضه حيَّة بأفانين من غنّي الخيال، وتحليته ببديع الصور، وتطويعه للتعبير عن أدق خلجات النفس الإنسانية، وروح العصر، حتى ليمكن أن يعدّ من أبرز روّاد النثر الحديث.

مرّ على وفاة هذا الأديب الكبير ما يقارب نصف قرن من الزمن، غير أن ريشته الساحرة ما زالت ترود أقلامنا، وإليه يعود الفضل في إطلاق العبارة العربية وتحريرها من جمودها وغثاثتها، وانبعاث ما عفّى عليه الزمن من مفرداتها الجميلة، وتأليفها بقالب ساحر، دون خروج علي أصول التعبير فيها، أو ندٍّ عن قوانين نظمها.

وما أحوج كتّابنا اليوم أن يتتلمذوا على آثاره، ويتخذوا منها الهدي

[(*) انتخب الأستاذ معروف الأرناؤوط عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق في ٨/١٠/١٩٣٠] لجنة المجلة .

والمثل ليدركوا أن التجديد لا يكون بتغريب اللغة عن منابتها ، وتحطيم قوالبها ، وإنما هو بعث وإحياء لأساليبها الرائعة ، واستغلالٍ لطاقاتها الكامنة .

فمن هو معروف الأرناؤوط ، وما هو ؟

معروف أرناؤوط أديب ألباني الأصل ، يعود نسبه إلى مدينة (آلونية) ، وَفَدَ جده حسن آغا المولى يوسف إلى بيروت في منتصف القرن التاسع عشر أيام الدولة العثمانية مقصى عن بلده بسبب نزعاته القومية ، وتولّى أمن مدينة بيروت ، فنجح في عمله ، حتى نال رضا الدولة العلية بعد نفيه ، فعينته مرافقاً عسكرياً للمتصرف خليل باشا إضافة إلى عمله ، وتزوج سيدة لبنانية هي مريم ابنة يوسف ساسين أرملة الشيخ مصطفى الرفاعي . فرُزق منها بغلامين أحدهما أحمد الأرناؤوط والد معروف ، وقد عانى التجارة ، وتزوج امرأة دمشقية فاضلة تعتز بدينها ، وتواظب على الصلاة والعبادة ، وتحفظ سيرة الرسول ﷺ وصحبه الأكرمين ، فكان لها أكبر الأثر في غرس حب الإسلام والاعتزاز بأخبار أعلامه في نفس ولدها معروف .

تحدث الكاتب عن أمه فقال : « يوم كانت أمي تجلس إليَّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليَّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . فكانت تلك القصص البذرة التي أنتشت وأبدعت فيما بعد روائع رواياته التاريخية . وكان حظ معروف من العلم خيراً من حظ أبيه ، فقد انتعشت مدينة بيروت ثقافياً ومعرفياً وعلمياً في زمانه ، وشاعت فيها المدارس الخاصة ، فانتظم الطفل في أحد الكتاتيب ، وكان شيخه حسن الحبال شديد التمسك بعثمانيته لشدة تدينه ، وهو الذي عمل فيما بعد في الصحافة وأنشأ جريدة أبابيل فتعلّم معروف على يديه القراءة حتى صار يحفظ نصوصاً من القرآن الكريم ، ويستظهر من سير الفرسان .

ثم دخل المدرسة العثمانية أو (الكلية العثمانية الإسلامية) التي كان يديرها الشيخ أحمد عباس الأزهري بحزم وحسن تدبير ، وكان حريصاً على زرع بذور الوطنية وحب العربية في نفوس طلابه ، وتعليمهم اللغات الأجنبية ، والتمرس بالخطابة ونظم الشعر ، فتأثر معروف بكتاب (أم القرى) لعبد الرحمن الكواكبي الذي كان يدرّس في المدرسة ، مما عزّز نزعته الإسلامية العربية ، ودَرَسَ اللغة الفرنسية على المعلم يوسف حرفوش الذي كان يلقن تلاميذه تاريخ اليقظات القومية في الغرب ، لينفذوا من خلالها إلى الإيمان بحق العرب الشرعي في الاستقلال والحرية . وقد زامل معروفاً في الكلية نفر من التلاميذ أصبحوا فيما بعد من أعلام الفكر والقومية ، منهم : عمر فاخوري ، والشهيد عمر حمد .

برزت مواهب معروف منذ الطفولة ، فمارس الخطابة والكتابة ونظم الشعر ، وعرفته بيروت في السادسة عشرة من عمره يقف بين عمالقة البيان فيها ، فيلقي قصيدة في تكريم الشاعر معروف الرصافي بمناسبة زيارته لها ، فيلفت أنظار الناس ، ويتفاءلون له بمستقبل أدبي مشرق .

وانطلق الشاب معروف يُدَبِّج المقالات والقصائد وينشرها في الصحف ، ويترجم عن اللغة الفرنسية قصصاً متوالية بعربية فصيحة وبيان مشرق ، فترجم لكبار الكتّاب الفرنسيين أمثال : فرانسوا كوبيه ، وتيوفيل غوتييه ، والكسندر دوما ، وألفريد دي موسيه ، وميشيل زيفاكو ، وغيرهم من أعلام القصص البوليسية ، ثم تشجّع فنشر بعضها بطبعات تجارية لا يتجاوز حجمها ثلاثين صفحة ، بقصد التسلية ، وتزجية الفراغ ، ليجني من ورائها ما يكسب به رزقه ، ويدرّب قلمه على الكتابة ، وقد ساعده إلمامه باللغات العربية والتركية والفرنسية في الاطلاع الواسع على الأفانين المتنوعة من الأساليب الأدبية . وكانت سورية ولبنان آنذاك بلداً واحداً ، فقرأ السوريون مقالات معروف وقصصه التي بدأ ينشرها في

الصحف البيروتية الموالية لحكومة استانبول بنزعة عثمانية رسّخها تعلمه في الكلية العثمانية ، فكتب في جريدة (البلاغ) وصاحبها محمد باقر ، وجريدة (الرأي العام) لطه مدور ، وعمل مترجماً عن اللغة الفرنسية ، فترجم (الفردوس المفقود) لجون ملتن ، ووضع قصة (الصحفي الشريف) ، وغير ذلك .

وكان أول عمل إبداعي أصدره كتابه عن أبي العلاء المعري الذي أسماه : (فردوس المعري) وهو رحلة خيالية استوحاها من رسالة الغفران ، أراد بها أن يكرّم ذلك العبقري الأعمى ، فرفعه إلى مصاف كبار الأدباء في العالم ، وطاف به فوق جبل الأولمب ، ثم استقر في مدينة باريس بلد الثقافة ، فكان موضع تكريم وإعزاز من آلهة الشعر والجمال وعباقرة الكلمة على مدى العصور ، وفي عام ١٩١٤م بعد اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ، سيق معروف إلى الخدمة الإلزامية في استانبول على ضفاف البوسفور ، فتعرّف إلى بعض أدبائها ، وتمتع بسحر جمال الطبيعة فيها ، حيث البحر يعانق اليابسة ، وحمل معه كتاب الله وسيرة نبيه مع دعوات أمه ورجائها أن يستمسك بعرى الإيمان ، ويفزع إلى القرآن كلما حزبته شدة .

ثم تخرج الدولة العثمانية من الحرب مهزومة ، فيتزعزع إيمان معروف بقدرتها على صَوْن الخلافة الإسلامية ، ويُدرك أن أمله في إعادة المجد الغابر سيكون بيد العرب ، ولا سيما أنه علم بقيام الثورة العربية في الحجاز سرّاً ، فلم ينتظر حتى يشهد بأسىً نهاية الدولة العثمانية . بل هرب من الخدمة في الجيش العثماني سنة ١٩١٦ ولسان حاله يقول : « ولقد خرجت من الحرب وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر ، فأما الهمّ الذي حملته ، فلقد سرب إلى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحببتها ، ومن إخفاقها في جني ثمار كدحها ، وجدّها ... » .

ويصل في فراره ماشياً إلى زحلة بعد سير أربعة أشهر ، عانى فيها ألواناً من الجوع والعطش والخوف ، ويتوارى زمناً في قرى الجبل ، ويعلم آنذاك أن والده فارق الحياة ، مما ضاعف من أحزانه ، ثم ينسل إلى حوران ومنها إلى (العقبة) فيلتحق بجيش الشريف حسين ، ويدخل بعد عامين مع جيش الشريف دمشق في خريف ١٩١٨ ، فيجعلها دار إقامة له ، ويسكن في حي متفرع من سوق الحميدية ، ويعمل في الصحافة ، ويؤسس مع قاسم عثمان جريدة (الاستقلال العربي) التي عاشت شهوراً . ثم مجلة (العلم العربي) التي جعلها مجلة أدبية شهرية عام ١٩١٩ ، ولم يُصدر منها إلا عدداً يتيماً واحداً .

ثم يصدر جريدة سماها (فتى العرب) ظل يعيش معها ، ويرتفق من ريعها إلى أن مات عام ١٩٤٨م .

وجريدة (فتى العرب) امتد عمرها ثلاثين عاماً ، وكان لا ينصرف عنها إلا إلى كتابة رواياته التاريخية التي نشر أكثرها مسلسلة في جريدته . وكان يدبِّج فيها المقال الرئيس « الافتتاحية » ، ويختار لها المقالات والأخبار من الصحف العربية والخارجية ، ويكتب الأخبار المحلية ورسائل الجهات على أنها من مراسلين خصوصيين ، ويشرف على طبعها في أربع صفحات ، ويتابع حساباتها واشتراكاتها ، ومثل هذه الأعمال تحتاج على حد تعبير أحد الصحفيين إلى عشرين شخصاً في الحد الأدنى .

واستقر معروف في دمشق ، وتزوج ، ورزق ثلاثة أولاد ، وأسس لصحيفته مطبعة أسماها (فتى العرب) كان فيها شريكاً لابن عم له من جهة زوجته وهو مظهر شيخ الأرض ، وطبع في هذه الدار معظم آثاره .

وتنقلت به الأحوال ، فلم يدم الحكم الفيصلي في سورية أكثر من عامين ، وخاب أمل معروف في نهضة عربية إسلامية ، وضايقه الفرنسيون فهادنهم في جريدته ، ووقف على الحياد إزاء سياستهم ، إلا أنه حسّه الديني

ما لبث أن وجهه نحو تركيا فسخّر جريدته لمدح الثورة الكمالية والتنويه بمنجزاتها ، واتخذ من غاياتها وأسبابها ما يؤلف به قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

وكان القراء من أنصار الدولة العثمانية يتلقون جريدته في شوق ولذة ، ويجدون فيها طَلِبتهم . ومع أن معروفاً نجح في ميدان الصحافة إلا أنها لم تكن المجال الحقيقي لموهبته ، فقد وُلد يكون أديباً ، بل روائياً موهوباً ، وكأنما امتزجت الرواية بلحمه ودمه ، وقد ساعده على ذلك ثقافته واطلاعه الواسع على أدب الغرب ، وافتقار الأدب العربي إلى الأدب الروائي ، والحاجة الملحة إلى تزويد صحيفته بما يشوق القراء ويمتعهم ، فانصرف إلى القصة والرواية ، ولم تخل جريدته يوماً من نسائم القصة ، بل كانت كتاباته السياسية تلبس ثوب السرد الروائي .

شخصية معروف الأرناؤوط :

تحدث عنه عارفوه وأصدقاؤه ووصفوه ، فقال فيه وجيه بيضون صديقه وزميله في الصحافة : « وجه اجتمعت إليه ضروب من الوسامة والوضاءة والملاءة ».. وعينان كأنما رنّق فيهما النعاس ، فهما غافيتان في يقظة ، مستيقظتان في غفوة ، وبسمة ناعمة هادئة في مطاويها معان عما انطوت عليه الحياة من أفراح وآلام ، فإذا أخذته بجملته على وهلة ، وبنظرة مجملة تكذّبك الحساب في حقيقة عمره ، ارتفع من نضارته وما يخالط هذه النضارة من أناقة يُسقط عدة سنوات من مجموعة أيامه ، ولأن صحته الوقور ، ولهجته الساخرة ، واستغراقه الحالم ، وانكماشه الدائم يمثله على غير ما عرف به ، ويغيب كثيراً من سجاياه ... » .

كان ربعة من الرجال ، يمشي متخايلاً ، يستهويك حديثه ، ولهجته مزيج من اللبنانية والدمشقية ، مولع بالدعابة ، لاذع النكتة ، طيب النفس

كالأطفـال ، كان صبوراً على المحن ، متسـامحاً في العداوة ، مترفعـاً عن الغيبـة ، لا يذم النفـر الذين يتعرضـون له بالأذى ، سهـل الخلق ، لين العريكة ، جزل المروءة ، رقيق الحس ، رفيع النفس ، كريماً ، متفائلاً يتناول الحياة من وجهها المشرق ، ولا تفارقه الابتسامة حتى في أيام مرضه ، وكان رديء الخط ، لا يكاد خطه يُقرأ ، يكتب متعجلاً بسيولة وتدفق ، وهي سمة من سمات النموذج الانفعـالي ، وكان مولعـاً بالنرجيلة لا يفارقها وهو يعمـل فصـورته الذاتيـة تختلف عن صورته التي يكوّنها القارئ عنه من كتاباته ، فقد روى عن نفسه أنه كان في طفولته معابثاً ، صاحب مقالب وحيل ، ومن طرائفه أن الناس من قرائه كانوا يحسبون أنه شيخ وقور معمّم ، فلما مرّ بدمشق وفد من وجهاء الهند وعلمائها من قرائه والمعجبين به ، راحوا يســألون عن فضيلتـه للســلام عليه ، وما زالوا حتى اهتدوا إلى مكتب جريدته ، وهم يتوقعون أن يروا شيخاً ملتحياً ، وأدرك معروف حرج موقفه فأعلمهم أن صـاحب الفضيلة غائب ، وسوف يستدعيه ليروه ويسـلموا عليه ، واستعان بأحد المشايخ من ذوي العمائم الضخمة واللحى الضافية ، « ولا تسل عن حسن لقياهم واحتفائهم به ، وتبركهم الشديد بتقبيل يديه والتماس دعائه » ..

وفاته :

في عـام ١٩٤٨ اشتـد به المرض ، فبدّل نضرته شحوباً وحيويتـه انكسـاراً ، وأسـلم الروح إلى بارئها في ٣٠ كانون الثاني ، وسكـت القلم المغرّد ، فخسرت العروبة والإسـلام بفقده علماً ، لم يضـاهه في الكتابة الإبداعية إلا مصطفى صادق الرافعي ، غير أن عبارة معروف تبدو أكثر عفوية وتألقاً ، وخياله أعلى تحليقاً ، وأقرب إلى روح العصر ، أما المهجريون فقد ماثلوه في النفس الإبداعي دون أن يجاروه في متانة النسج وبُرْءِ التعبير من الضعف والتردّي ، واستغلال طاقات اللغة العربية الكامنة ، وتفجيرها

في دروب التجديد .

معروف الأرناؤوط الروائي :

في عام ١٩٢٩م أصدر روايته التاريخية (سيد قريش) رسم فيها حياة العرب في فترة البعثة النبوية ، وصوّر معجزة النبوة وأثرها في حياة العرب ، وقد سُئل عن أسباب كتابة هذه الرواية ، فأجاب أن السبب هو إظهار الحقيقة التي حاول طمسها أعداء الإسلام ، ولا سيا بعد أن قرأ كتاب فلورندا البيزنطية للكاتب الفرنسي رينيه دي سيكونزاك ووجد فيه المغالطات عن فتوحات العرب في الأندلس ، والحضارة الإسلامية ، فكانت رواية (سيد قريش) صوت الحق وصوت التاريخ ، ولعل من الأسباب في التحوّل إلى التاريخ هو التضييق والكبت الذي فرضه الانتداب الفرنسي على الأدباء ، فاتجه إلى التاريخ والرواية ليعبر من خلالهما وبصورة غير مباشرة عن دعوته إلى اليقظة ، وقد طبع روايته طبعة ثانية في ثلاثة أجزاء ، استغرقت ألف صفحة من القطع الكبير وأدخل عليها ملاحق تاريخية وتعديلات ، وأصدرها في حلة جديدة سنة ١٩٣١م . ومعروف لا يروعك بفنّه الروائي في هذه الرواية ، فإن سيد قريش لا تخلو من عيوب فنية كثيرة ، إذا أجريتها على معيار النقد الروائي المعاصر ، فهي تاريخ في ثوب روائي ، أكثر منها رواية فنية ، وقد طغى فيها الأسلوب على التحليل والتعليل ، لكنها لا تفتقر إلى الخيال المجنح الفني ، والحبكة الفنية ، والأسلوب الرائع المُصَفّى .

وأصدر بعدها روايته التاريخية الثانية (عمر بن الخطاب) عام ١٩٣٦ في جزأين أولهما (ليالي شاعر) والثاني (فرسان سيد قريش) ووعد بإصدار الجزأين الثالث والرابع ، ولم يصدرهما لأسباب لا نعرفها ، وتناول في الرواية معارك الحرية بين الفرس وعرب العراق ، والروم وعرب بلاد الشام ، ورسم شخصية الخليفة عمر رضي الله عنه ، ونزع فيها نزعة إنسانية ، إذ جعل الشعوب المقهورة تُسهم في الانتفاض على حكم الرومان حتى الروم

أنفسهم ، وأفاد من رحلاته في وصف جغرافية بلاد الشام ، ومن ثقافته التاريخية المحصلة من المصادر في تحليل الوقائع ، وأوجد بعض الشخصيات التي ليس لها أساس تاريخي إلى جانب الشخصيات التاريخية ، وكتبها ببيان أدبي راق مجنح يقترب من لغة الشعر .

وفي عام ١٩٤١ أكمل ما رسمه من الفتوح العربية الإسلامية برواية (طارق بن زياد) التي وضعها فصوّر فيها فتح إفريقية والأندلس ، وما نهض به العرب والبربر من دور في ذلك ، ورسم فيها مواقف رقيقة من الحب والجمال ، وطبيعة الأندلس الساحرة ، ودور العرب الحضاري ، ومعجزة الأمويين في توسيع رقعة بلاد الخلافة العربية الإسلامية .

وكانت آخر رواياته التاريخية (فاطمة البتول) صدرت في عام ١٩٤٢ روى فيها مجريات بيعة يزيد ، والصراع بين معاوية وعلي ، ثم يزيد والحسين ، وما كان من ضحايا الفتنة ، وأثر الانقسام في تمزيق وحدة الصف ، وبدا فيها حزيناً لمأساة الحسين منتصراً له في قيامه بحقه .

والغريب في هذه الروايات أن معروفاً تتجلى فيه عروبة النزعة وهو ألباني النسب ، وكأن ثقافته العربية ، وحياته في رحاب الأرض العربية ، قد جبلته بجبلتها ، بل يتجاوز أبناءها اعتزازاً بتاريخهم ، ووعياً لماضيهم ، واستشرافاً لمستقبلهم ، ويبدو أن الحكم الفرنسي قد حال بينه وبين التصريح بطموحه في نهضة عربية إسلامية ، فوجد في التاريخ ضالته فهو يذكّر الأمة العربية بماضيها ، ويحفزها بصورة غير مباشرة إلى النهوض واليقظة .

يقول وجيه بيضون : « وسيذكره التاريخ مؤرخاً لرسالة العربية في أمجادها ومفاخرها استمدها من خياله ، فإذا هي الإيمان خلص من الريب » .

ووصف الدكتور سامي الدهان أسلوب معروف في الروايات التاريخية فقال : « كان معروف يكتب على الورق ، كما ينسكب الربيع على

الطبيعـة ، فيـورق ويُزهر ويُعطـر ويسحـر ، ويضحك ويتبسـم ، ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة .

يرسم المعركة فتسمع القعقعة والدويّ ، ويصف الليل الساجي ، فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصوّر المحبين فتحس الصدور والثغور والقدود تلتقي وتنفصل ، كل ذلك في كلمات جمعت للكاتب وجعلت طوع بنـانه ، يصففها ويرصفها لتحل في المحل المناسب ، وتقع في الموقع المرضي ، ولا تكاد تنبو لفظة إلا في القليل ، فكأنه يقول الشعر من غير قواف ، أو كأنـه يرصف الدرر في السـطور من غير أن تحس له تصنعـاً كبيراً ... » .

وقد تنـاول أعـلام الأدب في تلك المدة روايات معروف بالنقد ، فعدّوها فتحاً جديداً في الأدب العربي ، استطاع مؤلفها أن يجعل لغة أبطاله حافلة بالشعر والعطر والموسيقا .

مكانته الأدبية :

دخل معروف الأرناؤوط غمار الحياة الأدبية ، واللغة العربية ما زالت مشدودة إلى ماضيها ، والمدرسة الرومانسية كانت هي السائدة ، والأساليب النثرية تسير على أصول البلاغة العربية في التعبير ، وتقوم على تزويق العبارة وإظهار البراعة ، إذ لم تكن قد تخلصت من تأثير ماضيها الأدبي الذي يُعنى بالمزاوجة والترادف والتوازن ، والاحتفاء بصوغ القوالب التعبيرية ، فكان طه حسين أستاذاً لنمط من الكتابة يجمع بين متانة اللغة والتفنن في تقسيم العبـارة بنفس طويل ، فهو لا يقودك إلى الفكرة مبـاشرة ، وكان الرافعي يعتمد في كتاباته على جمال العبارة ، وموسيقا التركيب ، وروعة الصورة ، ولم تستطع الفنون الأدبية الدخيلة كالقصة أن تحرر فَنَّ الترسل من هذه الأساليب البديعية إلا بعد زمن . فالبلاغة عندهم أن يتجلّى الإبداع في النص شكلاً ومضموناً ، وساعدهم على ذلك تمكنهم اللغوي وسعة معرفتهم

التي جمعت بين القديم والحديث ، ومعروف الأرناؤوط أحد أعلام تلك المدرسة .

كان معروف ابن عصره ، فهو يُعنى بقالب التعبير عنايته باللغة ، ويلتمس التأثير في قرائه بفنية الكلمة وسحرها ، فالقصة عنده ليست تعبيراً عن الحياة ، وتصويراً لها بلغة الحياة فحسب ، وإنما هي نص أدبي يجب أن تتوافر له عناصر الفن في الشكل والمضمون .

ونقّاد اليوم يقلّدون النقد الغربي في تسفيههم هذه الأساليب في كتابة القصة أو الرواية أو المسرحية ، بحجة أنها تبعدها عن الحياة ، وواقع الأمر أن الإنسان العادي في عالمنا الشرقي عامة والعربي خاصة يستخدم كثيراً من الأساليب البلاغية والمؤثرات الأدبية في تعبيره ، فهو يبالغ حين يتحدث ويطنب ويجمل كلامه ويعمد إلى الصور البيانية .

ومعروف أرناؤوط يكتب عن شخصيات تاريخية عاشت مع شباب اللغة ونقائها ، فلم يبعد كثيراً عن مشاكلة الواقع حين كتب رواياته بلغة أدبية تشاكل ما كان يكتب في عصورها الماضية ، فالحوار الأدبي عنده يناسب الشخصيات ، وإن كان يندُّ أحياناً عن هدفه في رسمها إلى أغراض بلاغية ، ويؤخذ عليه أنه لم يُحسن تركيب رواياته في بنية تستبعد أثر التاريخ وطابعه ، ولكنه مع ذلك يظل من روّاد هذا الفن الذي حمل لواءه قبله وبعده كتّاب آخرون أمثال جرجي زيدان ومحمد حسين هيكل و ....

* * *

مات معروف الأرناؤوط لكن أدبه يبقى خالداً يقدّم للأجيال دروساً في القومية والعقيدة والاعتزاز بالتراث الإسلامي ، فهو حرز تُصان به مقدرات هذه الأمة التي تكاثرت عليها المحن ، ولكن رايتها ستظل مرفوعة بفضل أعلامها المخلصين .

مراجع البحث

١ – بين الصناديق خمسين عاماً : تأليف وجيه بيضون ، ٢٣٠ صفحة .
٢ –قدماء ومعاصرون : تأليف الدكتور سامي الدهان ، ٢٤٤ صفحة .
٣ –معروف الأرناؤوط : (ملحق جريدة النهار) للأستاذ إبراهيم يوسف يزبك .

التعريف والنقد

الأندلس

في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار

تحقيق

ايميليو مولينا لوبس وخاثينتو بوسك بيلا

الدكتور شاكر الفحام

نعمتُ بقراءة المقالة الممتعة التي حبرها أستاذنا الجليل حمد الجاسر في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج٤) بعنوان : (أنساب الرشاطي الأندلسي ومختصراته) ، فقدّم لنا في مقالته الجامعة أنفس الفوائد ، قد نقّر عنها وبحث في خزائن الكتب ونوادر المخطوطات فأجاد وأطاب كالعهد به دائماً .

ومنذ أيام وقع بيدي كتاب : (الأندلس في اقتباس الأنوار ، وفي اختصار اقتباس الأنوار) وهو الكتاب السابع في سلسلة المصادر الأندلسية ، قام بتحقيقه الأستاذان ايميليو مولينا لوبس وخاثينتو بوسك بيلا (مدريد – ١٩٩٠م) . فرأيتُ أن أعرف بالكتاب وألخص محتواه ليكون لحقاً أضمه إلى مقالة أستاذنا حمد الجاسر حفظه الله للصلة الوشيجة بينهما .

عمد الأستاذان المحققان إلى انتفاء ما جاء من الأنساب الأندلسية في كتاب اقتباس الأنوار للإمام الرشاطي ، وما جاء في اختصاره لأبي محمد بن الخراط الإشبيلي فأصدراه بين دفتي هذا الكتاب .

وقد ترجم المحققان للإمام أبي محمد عبد الله بن علي الرشاطي

اللخمي (٤٦٦ -٥٤٢هـ) ، وذكرا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى بغية الملتمس للضبي ، والصلة لابن بشكوال ، وكتابي التكملة والمعجم لابن الأبار ، والوفيات لابن خلكان ، والمطرب لابن دحية ، ونفح الطيب للمقري (ص١٧ - ١٨ من المقدمة باللغة الإسبانية) .

ثم ترجما لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠ - ٥٨١) ، وذكرا أنهما رجعا في هذه الترجمة إلى عنوان الدراية للغبريني ، وصلة الصلة لابن الزبير ، وبغية الملتمس للضبي ، والتكملة لابن الأبار ، والديباج المذهب لابن فرحون ، ونفح الطيب للمقري (ص١٩ - ٢٠م) .

ووصف المحققان المخطوطات التي استعانا بها في تحقيقَ الأنساب الأندلسية المنتزعة من كتاب الرشاطي واختصاره ، فذكرا القطع المخطوطة الثلاث من كتاب اقتباس الأنوار (ص٣١ - ٣٥م) ، ثم وصفا مختصر ابن الخراط الاشبيلي الذي تحتفظ به مكتبة الأزهر (ص٣٥ - ٣٧م) ، وعرضا من بعد لوصف مخطوطة القبس للبلبيسي (ص٣٧ - ٣٨م) فنقلا ما كتبه الأستاذ عبد البديع في صفتها .

وقد تحدث الأستاذ حمد الجاسر في مقالته المذكورة آنفاً عن هذه المخطوطات الثلاث ، وبيّن أن للبلبيسي اختصارين لكتاب اقتباس الأنوار : أولهما القبس ، والثاني المختصر الذي تحتفظ بمخطوطته مكتبة الأزهر ، وقد جمع فيه بين اقتباس الرشاطي ولباب ابن الأثير[1] .

* * *

(١) وفي مختصر البلبيسي نقول من كتب أخرى كقوله في ترجمة الأندي :
« ... قلت : زاد الذهبي في نسبه ... واستدرك ابن كثير هذه الترجمة على السمعاني ... » =

بدأ المحققان بذكر ما جاء في مختصر البلبيسي من الأنساب المبتدئة بحرف الألف مما لم يرد في المخطوطات المعروفة لكتاب اقتباس الأنوار ، فأوردا :

(الأشوني ، الأقليشي ، الإلبيري ، الأندي ، الأندلسي ، الأوريولي) (ص١٥ – ٢١) .

ثم نقلا من السفر الأول من كتاب اقتباس الأنوار للرشاطي الأنساب :

(الباجي ، البتّي ، البجاني ، البرياني ، البزلياني ، البطليوسي ، البطروبري ، البلدي ، البلّوطي ، البلنسي) (ص٢٥ – ٤٦) .

ومن السفر الثالث الأنساب :

(الكشكنياني ، اللاردي ، اللبلي ، اللورقي ، الماردي ، المالقي ، المجريطي ، المدوّري ، المروي (نسبة إلى مدينة المرية) ، المرسي ، المرشاني ، المنتجيلي ، المني (نسبة إلى منية عجب بقرطبة) ، المغامي) (ص٤٩ – ٦٩) .

ومن السفر الخامس الأنساب :

(القبري ، القبّشي ، القرطبي ، السبتي ، السرقسطي ، الشبيني ، الشذوني ، الشرفي ، الشمنتاني ، الشنتريني ، الشنتجالي ، الوادآشي ، الوقّشي ، الوشقي ، اليابسي ، اليابري) (ص٧٣ – ٩٥) .

فتلك أربعون نسبة ساقها المحققان من كتاب اقتباس الأنوار ، وست

= (الأندلس في اقتباس الأنوار : ١٨) .

ساقاها من مختصر البلبيسي .

* * *

وانتقلا من بعدُ إلى كتاب اختصار اقتباس الأنوار لأبي محمد عبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط ، وصدّراه بنقل من كتاب صلة السمط لابن الشباط استدركا فيه ما فات النسخة المخطوطة لابن الخراط فذكرا :

(الإستجي ، الإشبيلي ، الأندلسي) (ص١٠١ – ١٠٣)

ثم نقلا من السفر الأول من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الباجي ، البتّي ، البجّاني ، البرياني ، البزلياني ، البطليوسي ، البطروبري ، البلدي ، البلغي ، البلّوطي ، البلنسي ، البلّسي ، البلذوذي ، البسطي ، البشتني ، البشكلاري ، البنتي ، البياري ، البيّاني ، التاكرني ، التاريخي (ينسب إلى التاريخ لاعتنائه به) ، التدميري ، التطيلي ، الجالطي ، الجلّيقي ، الجزري ، الجيّاني ، الحجاري ، الخطابي ، الداني ، الدلائي ، الخيطي ، الرباحي ، الربضي ، الرصافي ، الربي ، الزهراوي ، الطالقي ، الطبلاطي ، الطبيخي ، الطرطوشي ، الطلمنكي ، الطليطلي ، الطماطي ، الكشكنياني ، اللاردي ، اللبلي ، اللورقي) (ص١٠٧ – ١٥٦) .

ونقلا من السفر الثاني من كتاب اختصار اقتباس الأنوار لابن الخراط الأنساب :

(الماردي ، المالقي ، المجريطي ، المدوّري ، المرسي ، المروي ،

المرشـــاني ، المنتجيلي ، المنيي ، المغـامي ، الموروري ، الصقلي ، العدوي ، الغرناطي ، الغرّيشي ، الفنتوري ، القبري ، القبّشي ، القرطبي ، القرموني ، القطيني ، القلساني ، القلعي ، القسطلي ، السبتي ، السرقسطي ، الشبيني ، الشـذوني ، الشمنتـاني ، الشنـتريني ، الشنتجـالي ، الوادآشي ، الوقّشي ، الوشقي ، اليابسي ، اليابري) (ص١٥٩ – ١٩٩) .

فتلك أربع وثمانون نسبة اختاراها من اختصار اقتباس الأنوار لأبي محمد بن الخراط ، وصدّراها بثلاث اختاراها من كتاب صلة السمط لابن الشباط .

ثم ذكرا مصـــادر التحـقـيق (ص٢٠٣ – ٢٠٥) فـالفهــارس (ص٢٠٩ –٢٤٤) .

* * *

ألف الرشاطي كتابه سنة ٥٢٧هـ[٢] ، وأشار إلى كثير من المصادر التي أخذ عنها ، مثل ابن الفرضي (وقد أكثر من الرجوع إليه) واليعقوبي ، والرازي ، وابن حارث ، وأبي الخطـاب العلاء بن عبد الوهاب بن حزم ، وأبي عمـر بن الحذاء ، وأبي بكـر الزبيـدي ، والأمـير ابن مـاكولا ، وابن يـونس ، وابن أبي حـاتم ، وأبي محمـد علي بن أحمد (ابن حزم) ، وابن الخولاني ، وابن مفرج ....

وقد قام المحققـان بتخريج التراجم التي وردت في كتـابي الاقتباس والاختصار وعُنيـا بتصحيح النصـوص وإكمالها بالاستئنـاس بما جاء في المصادر الأخرى ، وأحالا في تخريج تراجم ابن الخراط أيضاً على ما جاء منها في اقتباس الرشاطي .

(٢) الأندلس في اقتباس الأنوار ... ص٦٠ ، ١١٦ .

ولكنهما أغفلا تخريج جملة من النصوص جاءت في المصادر التي عادا إليها كثيراً ، كقول ابن الخراط (ص١٣٧) : « ذكر الحميدي أن عبد الرحمن بن الحكم الخطابي المرسي شاعر غزير المادة » فقد أغفلا تخريجه في جذوة المقتبس : ٢٥٣ (رقم ٥٩٥) ، وبغية الملتمس : ٣٥٠ (رقم ١٠٠٨) وهما من مصادرهما المتداولة .

ومن ذلك تخريج المصادر التي ترجمت للعذري (ص١٣٩) ، واغفالهما ذكر جذوة المقتبس وهو أولى المصادر بالذكر ، لأنه أقدم المصادر الأندلسية التي ترجمت له وأوسعها ، ولأن الحميدي أخذ عنه وسمع منه (الجذوة : ١٢٧ – ١٣٠) .

أما نقول الرشاطي الأخرى التي أشار إلى مصادرها فلم يقم الباحثان بالعودة إليها ولو كانت من المصادر المطبوعة القريبة المتداولة مثل كتاب الإكمال لابن ماكولا (ص٦١ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٦٤) .

كذلك لم يترجما لطائفة من الرجال كان يحسن الترجمة لهم . لقد ترجما للأمير ابن ماكولا (ص٦١) وأغفلا الترجمة لأبي الخطاب بن حزم (ص٣٢ ، ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٩٣) وأمثاله من العلماء والأدباء .

ووقع في الكتاب أغلاط كثيرة ، طائفة منها أغلاط مطبعية مبعثها العجلة . وقد رأيت الإشارة إلى جملة منها تدل على ما وراءها .

١ – في ص٢٦ بيتان أنشدهما الباجي :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه
فلم أكون ضنيناً بها وأنفقها في صلاح وطاعه

وصدر البيت الثاني مختل الوزن ، وصواب إنشاده : فلِمْ لا أكونُ

ضنيناً بها . وجاء على الصواب في المصادر الأخرى مثل بغية الملتمس : ٢٨٩ ، والصلة لابن بشكوال ١ : ٢٠٠ (رقم ٤٤٩) .

٢ – في ص٢٨ جاء صدر البيت : وفي كل حال لم تزال بخيلة والصواب : لم تزالي بخيلة ، (انظر الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٤) .

٣ – في ص٤٤ السطر ٧ –٨ : « مع أنه إذا دام أحد أن يصيب من دينه شعره ... » والصواب : ... إذا رام أحدٌ ... ، بالراء .

٤ – ص٤٤ س١٢ : « وقال له : ملك لا تساعد الحاجب في فعله » والصواب : مالك لا تساعد الحاجب ... ؟

٥ – ص٥٤ س٢ – ٣ : « ومسايرة ما بين مدينة ماردة وقرطبة .... » والصواب : ومسيرة ما بين مدينة .... ، وقد جاءت على الصواب : ص١٥٩ .

٦ – ص٥٤ س١٠ – ١١ ، يتحدث عن فضل رخام ماردة : « فلما وليتُ ماردة تطلبته وانتقلت منه كلما استحسنت ... » .

والصواب : وانتقيت منه كلّ ما استحسنت .

٧ – ص٦٤ س٢ – ٣ ، ص ١٦٦ س ٢ – ٣ : « المنتجيل .... وهو لفظ أعجمي ، منت : جبل ، وجبل : صغير ... » .

والصواب : وجيل : صغير ، (جيل بياء مثناة تحتية) .

٨ – ص٦٤ هامش : « الصدفي : الوافي ... »

الصواب : الصفدي (بتقديم الصاد على الفاء) .

٩ – ص٦٦ هامش : « يؤثر على أسطر عديدة » العبارة ركيكة ، ومثله ما جاء ص٤٣ هامش ، وص٩٢ هامش .

يقال في العربية : أثّر في . ولكن المعنى المراد لا يحسن فيه استعمال هذا الفعل .

١٠ – ص٦٨ س٢ ، ص١٦٨ س٢

جاء في ص٦٨ مغام ، وفي ص١٦٨ مغامة ، ولم يعلق المحققان بشيء . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « مغام ويقال : مغامة ، بالفتح فيهما : بلد بالأندلس ... » فأوضح أن الاسمين لبلد واحد .

وجاء في الصفحتين المذكورتين آنفاً : « وفيها الطفل الذي لا يشبه طفل لجودته وكثرته .. » ..

والصواب : « ... الذي لا يشبهه طفل ... » وجاءت العبارة صحيحة في الروض المعطار : ٥٥٥ (مغام) .

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (مغام) : « وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرؤوس ، ومنها ينتقل إلى سائر بلاد المغرب » .

ويقول صاحب الروض المعطار : ٣٩٤ (طليطلة) : « وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغام ، في جبالها وترابها الطين المأكول ، يتجهز به إلى مصر والشام والعراق ، ليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله ، وتنظيف الشعر به ... » .

١١ – ص٧٤ الهامش رقم (٢) رقم ٦٥ والصواب رقم ٦٤

١٢ – ص٧٦ س٤ قال في صفة جامع قرطبة : « ... من أجلّ مصانع الدنيا لكبر مساحة ، وأحكام صناعة ... » .

والصواب : « ... من أجلّ مصانع الدنيا كبرَ مساحة ، وإحكام (بكسر الهمزة) صناعة ... » وجاءت العبارة على الصواب (ص١٧٩) .

١٣ – ص٨٦ س٤ – ٥ : « أدركته وكان صديق أبيه رحمهما الله .... » .

الصواب : أدركته وكان صديق أبي رحمهما الله .

١٤ – ص٨٩ س٢ – ٣ : « شنتجاله ... ويقال لها أيضاً : جنجالة ، وإليها ينسب الوطّاء الجنجالي لعمله بها » .

الصواب : الوطاء ككتاب (وروي عن الكسائي فتح الواو) وهو خلاف الغطاء . فلا يجوز تشديد الطاء .

وجاء في ص١٩٤ س٢ : « ويقال لها أيضاً : جنجانة » ، بالنون ، وهو خطأ ، والصواب : جنجالة ، باللام .

١٥ – ص٩٥ س٢ – ٥ : « يابرة : مدينة ... ينسب إليها عبدون اليابري ... لم أجد له عندي إلا قوله في الخيري :

قمــر وأثـواب الظــلام تظــلله ويخفى إذا ما الصبح أحدق حاجبه»

وجاء البيت (ص١٩٩) :

قمــر وأثــواب الظــلام تظــلّه ويخفى إذا مـا الصبح أحدق حاجبه

والشطر الأول ، على هذه الرواية ، من البحر الكامل . والشطر الثاني من الطويل . ولعل صواب إنشاده رواية الضبي في بغية الملتمس :

يــنمّ وأثــواب الظــلام تظــلّه ويخفى إذا ما الصبح أشرق حاجبه

وقد أنشد الحميدي (الجذوة : ٣٨٢) والضبي (البغية : ٥٢٣) البيت منسوباً إلى ابن عبدون اليابري في الباب الذي عنوانه : (باب من نسب إلى أحد آبائه ولم أعلم اسمه) .

وجاء في الجذوة (ص٣٨٢) والبغية (ص٥٢٤) بيتان في الخيري

أيضاً يتردد في أولهما معنى بيت اليابري وهو :

ينمّ على الإمساء طيب نسيمه ويخبو مع الاصباح كالمتستّر

١٦ – ص١٠٢ س١ « الأشبيلي » والصواب : « الإشبيلي » بكسر الهمزة .

١٧ – ص١١٤ ص٤ – ٥ : قال في صفة أبي محمد عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم « ... كان صالحاً ... ذا علم بارع .... وصدع بالحق لا يأبى فيه ملائمة لائم » .

وملائمة صوابها : ملامة .

والعبارة غير مستقيمة ، لا تدل على المراد ، ولفظة (يأبى) فيها قد تكون محرفة .

وقد جاءت صفة أبي محمد عبد الله في موضع آخر (ص١٨٤) : « كان فقيهاً ... صليباً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم ». وهي عبارة ابن الفرضي في تاريخه (١ : ٢٨٥) .

١٨ – ص١١٨ س٦ – ٧ : « ينسب إليها [إلى بلنسية] جماعة من العلماء ، منهم جحّاف بن يمن القاضي ، أحرقه القنبطور النصراني عند أخذه بلنسية سنة ثمان وثمانين وأربع مئة » .

لم يعلق المحققان بشيء على هذه العبارة . وقد سبق (ص٤٥ – ٤٦) في الحديث عن بلنسية أن قال الرشاطي : « ينسب إليها جماعة من العلماء منهم جحاف بن يمن ، ولاه أمير المؤمنين الناصر ... أحكام القضاء بموضعه ، فلم يزل قاضياً إلى أن استشهد في غزاة الخندق سنة سبع وعشرين وثلاث مئة . ذكره ابن حارث » .

وما قاله الرشاطي مطابق لما جاء في ترجمة جحاف بن يمن في كتب أصحاب التراجم .

أما الذي أحرقه القنبطور سنة ٤٨٨هـ فهو جعفر بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يمن قاضي بلنسية (انظر بغية الملتمس : ٢٤٠ – ٢٤١) ، وأحرق معه الكاتب الشاعر أبا جعفر أحمد بن عبد الولي البتي (الأندلس في اقتباس الأنوار : ٢٨ ، بغية الملتمس : ١٨٢ ، الذيل والتكملة ١/١ : ٢٧٦) .

١٩ – ص١٢٣ س٤ : « قال أبو علي : أجاز في جميع رِواياته عن شيوخه ... » .

الصواب : أجاز لي جميع رواياته عن شيوخه . وقد جاءت على الصواب في بغية الملتمس للضبي : ٣٣٢ .

٢٠ – ص١٢٣ السطر الأخير : « وذكره غيرهم » . الصواب : « وذكر غيرهم » .

٢١ – ص١٣٢ س٥ – ٦ : « روى بالأندلس عن أبي عبيد الجبيري ... وأبو بكر الزبيدي ... » الصواب : وأبي بكر الزبيدي .

٢٢ – ص١٣٣ س٦ – ٧ : « والرجلُ من الجلالقة يقادم عدة من الافرنجة »

الصواب : يقاوم ....

٢٣ – ص١٣٤ س٣ – ٤ : « وكل قطعة من وسط البحر جزيرة إن قطعت وفصلت ... »

الصواب : إذ قطعت وفصلت ...

٢٤ – ص١٣٦ س٩ : « وسمع بمكة من أبي مسلم الكثي ... » .

الصواب : وسمع بمكة من أبي مسلم الكشي ، بالشين المعجمة .

٢٥ – ص١٣٦ س١٠ « وسمع ببغداد من أبي قتيبة ... » .

الصواب : وسمع ببغداد من ابن قتيبة ...

٢٦ – ص١٤٠ جاءت ترجمة الخيطي بعد الداني والدلائي ، والصواب أن تسبقهما ، لأن المؤلف قد نسق أنسابه وفق الترتيب الهجائي .

لم يشر المحققان إلى ذلك .

٢٧ – ص١٤٢ س٦ – ٨ : « وينسب كذلك موسى بن مطروح الربضي ... ذكره الحميدي » .

علق المحققان أن الحميدي ذكره في الجذوة ، الترجمة ٨٨٧ ، والترجمة المشار إليهاهي ترجمة يحيى بن الحكم الغزال . لقد وقع تحريف في اسم المترجم ، صوابه : يوسف بن مطروح الربضي . وذكره الحميدي في الجذوة : ٣٤٦ (رقم ٨٧٧) والضبي في البغية : ٤٧٨ (رقم ١٤٥١) .

٢٨ – ص١٤٤ س٢ – ٣ : « ريّة كورة من كور الأندلس ... لها جند الأردن من العرب ... » الصواب : رية ... بها جند الأردن من العرب . قال في الروض المعطار (ص٧٩) : « رية : كورة من كور الأندلس ... نزلها جند الأردن من العرب .... » ، وانظر نفح الطيب ٢٣٧:١ .

٢٩ – ص١٤٥ س٤ : « وأهل قرطبة ينتقلون منها إلى الآن رخامها وعمدانها » الصواب : ينقلون منها ...

٣٠ – ص١٤٨ س٣ : « ... إنه ولد الرشيد موالي الوليد ... »

الصواب : انه ولد الرشيد مولى الوليد ...

٣١ – ص١٦٦ س٤ : « ينسب كذلك أبو عمرو أحمد بن سعيد ... » .

الصواب : أبو عمر ، كما جاء في ص٦٤ ، وقد أطبقت على ذلك كتب التراجم : تاريخ ابن الفرضي ، والجذوة والبغية ...

٣٢ – ص١٧٣ س٣ : « ويقال : عدوة ، بالضم والكسر ، وقوي بها جميعاً .

الصواب : وقرئ بهما ....

٣٣ – ص١٨٤ السطر الأخير ، ص١٨٥ السطر الأول : « كان يشبه بسفيان الثور في استقضاء المستنصر بالله في موضعه استعفاه فصرفه ... »

الصواب : كان يشبّه بسفيان الثوري [في زمانه] ، استقضاه المستنصر بالله في موضعه ثم استعفاه فصرفه (انظر تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٨٥) .

٣٤ – ص٢٠٤ س١٥ : « روض المعطار » الصواب : الروض المعطار .

٣٥ – ص٢٠٥ س١ : « ترسيع الأخبار » الصواب : ترصيع الأخبار .

* * *

وكتاب الرشاطي ، وهو كتاب نسب وتراجم ، يمور بالفوائد ، وقد اجتزأت بنماذج من درره النفيسة في اللغة والأدب والتاريخ ...

١ – معنى ارش اليمن : نحلتهم وعطيتهم (ص٢٩ س٣ ، ص١١٠ س٣)

٢ – والبلدة أيضا : منى ، كانوا يسمونها البلدة ... (ص٣٦ س٨ ، ص١١٥ س٦)

٣ – في ترجمة أبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي فوائد جمة (ص٣٧ – ٤٤) :

جلب إلى الأندلس كتاب العين للخليل ، رواه عن أبي العباس بن ولاد وعن أبي جعفر النحاس ، وكان أخطب الناس ، وله الخطبة الشهيرة أمام الناصر لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك القسطنطينية ، وأُثرت عنه الموعظة التي وعظ بها الناصر حين انهمك في بناء الزهراء .

٤ – ومن الفوائد اللغوية :

– الجوف في مصطلح الأندلسيين يعني الشمال (ص٥٤ س٢ ، ١٣٣ س٢ ، ١٣٥ س٢ ،...)

– تهمم به الخلفاء (ص٧٦ ، ١٧٩) ، يستعمل الأندلسيون تهمم به بمعنى عُني به ، فهي ترادف كلمة (اهتم) في الاستعمال الحديث .

–عدوة الوادي : شطه . وعدوتاه : شطاه ... ويقال : عدوة ، بالضم والكسر وقرئ بهما جميعاً (ص١٧٣ س٢ – ٣) .

– النسبة إلى مدينة (المرية) : المروي . وينسب إليها الأمير ابن ماكولا : (المريي) (ص٦١ س١ ، ص١٦٤ السطران الأخيران)

–رأيت تحت خزانة كانت في بيته خريطة مملوءة دراهم ... (ص٨٦ س٧)

وفي اللسان : « الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم

تشرج على ما فيها ، ومنه خرائط كتب السلطان وعمّاله » .

– سبتـة : مدينـة على الخليج الرومي ... والذي سمعتُ أبداً في سبتة ، بفتح السين ، وفي النسب إليها بكسرها (ص١٨٧ س٢ – ٥) .

٥ – ويبدع الرشاطي في صفة بعض المدن وروعة بنيانها كوصفة مدينـة ماردة ، ومدينـة قرطبـة وجامعها ، وسرقسطة (ص٥٤ ، ١٥٩ ، ٧٦ ، ١٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٨) .

٦ – ألّف أبو غـالب تمام بن غالب المعروف بابن التيـاني اللغوي المرسي كتابه الموعب في اللغة ، فأرسل إليه أبو الجيش مجاهد صاحب دانية ألف دينار على أن يزيد في ترجمة الكتاب : « مما ألفه لأبي الجيش مجاهد » ، فرد الدنانير وأبى من ذلك ... (ص٦٢ ، ١٦٣) .

٧ – قصة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى وزوجه أخت أبي عمر أحمد بن سعيـد (ص٦٥ – ٦٦) وفيهـا دلالة على اعتداد المرأة بنفسهـا وكبريائها .

٨ – البحر الأعظم المسمى بأقيانس المعروف عندنا بالأندلس ببحر الظلمة (ص٧٩ ، ١٨٧) .

٩ – يقال إن قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي وأباه أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس (ص٨١ ، ١٨٩) وانظر الفقرة (٣) .

١٠ – شجر الشبين هو الصنوبر ، كثير بجزيرة يابسة (ص٨٢ ، ١٩٠) .

١١ – يتحـدث عن أحمد بن مسعـود الأزدي الشمنتـاني ، وأنه أديب شاعر ، شعره على نحو طريقة أبي الفتح البستي (ص٨٦ – ٨٧) .

١٢ – وممـا يدل على روح الدعـابة والظرف التي عرف بها بعض

العلماء ما ذكر عن الوقشي أنه اختصم إليه رجلان فقال أحدهما : يا فقيه ، هذا الرجل اشتريت منه اثني عشر تيساً حاشاك . فقال له الفقيه : فقل : أحد عشر ... (ص٩١) .

١٣ — ويقول في تفسير كلمة باجة : رأيت في بعض التواريخ ان تفسير باجة في لغة العجم : السلم (ص١٠٧) .

١٤ — كورة تدمير سبع مدائن : اوريولة وبلنتلة ولقنت ومولة وبقسرة واية ولورقة (ص١٣٠) .

ومرسية من بلاد تدمير . وقد ذكرنا تدمير ... وسمينا هناك بلادها ، وليس مرسية مما ذكرنا هنالك ، لأنها مدينة محدثة بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ص٦٢ س٢ — ٣ ، ص١٦٣ س٢ — ٣) .

١٥ — يتحدث عن تطيلة فيقول : « وهي محاذية لأهل الشرك الذين يسكنون مدينة بمبلونة ، يقال لهم : البشقنس ، ولسانهم البشقنة غير لسان الجلالقة » (ص١٣١) .

١٦ — يتحدث عن أبي يحيى زكريا بن خطاب بن إسماعيل الكلبي التطيلي ، وأنه كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٢٩٣هـ ، وسمع كتاب النسب للزبير بن بكار سمعه من الجرجاني ... (ص١٣١) .

وتفصيل ما أوجزه ابن الخراط قد جاء في تاريخ ابن الفرضي (١ : ١٧٧) : « سمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني ، حدثه به عن علي بن عبد العزيز والجمحي والعائذي عن الزبير » .

١٧ — ... والجزيرة ما بين الفرات ودجلة ، قيل لها الجزيرة لأنها مثل الجزيرة من جزائر البحر ، مشتقة من الجزر وهو القطع . وكل قطعة من وسط البحر جزيرة إذ قطعت وفصلت عن تخوم الأرض .... والجزائر

كثيرة ، فجزيرة الأندلس قيل لها جزيرة لأنها بين البحر وبلاد النصارى فهي منقطعة عن أهل ملتها ... والجزائر كثيرة كجزيرة ميورقة ومنورقة وجزيرة يابسة وصقلية ... وكل قطعة في وسط البحر لا يعلوها فهي جزيرة (ص١٣٤) .

١٨ – طالقة : مدينة بالأندلس بقرب إشبيلية ... وكانت دار مملكة الأفارقة بالأندلس (ص١٤٦) .

١٩ – فرّيش : موضع بالأندلس بين الجوف والغرب من قرطبة ... والغالب على أشجارها القسطل (ص١٧٥) .

٢٠ – شنتجالة ... ويقال لها : جنجالة ، وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها (ص٨٩ ، ١٩٤) .

* * *

أختم هذا العرض بتعداد أبرز المصادر والمراجع التي ترجمت للرشاطي ، أو ذكرت شيئاً من خبره .

١ – الصلة لابن بشكوال (ط مجريط ١٨٨٢م) ١ : ٢٩١ ، رقم ٦٤٨ .

٢ – بغية الملتمس للضبي (ط مجريط ١٨٨٤م) : ٣٣٦ رقم ٩٤٣ ، وانظر شيئاً من خبره في الترجمات ذوات الأرقام : ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ٤٤٢ ، ٧٤٣ ، ١٢٤٢ ، ١٤٩٧ (ص٤٩٧ من هذه الترجمة) .

٣ – معجم البلدان لياقوت الحموي (ط ليبزيغ ١٨٦٧) ٢ : ٧٨١ (رشاطة) .

٤ – المطرب لابن دحية (القاهرة ١٩٥٤م) : ٦١ ، ١٢٠ .

٥ ـ المعجم لابن الأبار (ط مجريط ١٨٨٦م) : ٢١٧ – ٢٢٢ ، رقم ٢٠٠ .

٦ ـ التكملة لابن الابار (ط مجريط ١٨٨٩م) ٢ : ٧٥٦ ، رقم ٢١٥١ .

٧ ـ وفيات الأعيان (تح. احسان عباس) ٣ : ١٠٦ – ١٠٧ .

٨ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للأنصاري المراكشي (ط بيروت ١٩٦٥) ٥/١ : ٢٣٤ (ترجمة أبيه)، ٥/١ : ٢٣٤ – ٢٣٥ (ترجمة ابنه) .

٩ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ١٣٠٧ – ١٣٠٨ .

١٠ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي : ٢٠ : ٢٥٨ – ٢٦٠ .

١١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٢٣ .

١٢ ـ لب اللباب للسيوطي (ط بريل ١٨٦٠) : ١١٧ .

١٣ ـ نفح الطيب (تح. احسان عباس) ٤ : ٤٦٢ .

١٤ ـ تاج العروس (رشط) .

١٥ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ١ : ١٣٤ (اقتباس الأنوار ...) .

١٦ ـ هدية العارفين : ١: ٤٥٦ .

١٧ ـ الأعلام للزركلي ٤ : ١٠٥ .

١٨ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ : ٩٠ .

جامع الأصول

في أحاديث الرسول وتتمته

مأمون الصاغرجي

جامع الأصول كتاب جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الأصول الستة التي تعدُّ أمَّ كتب الحديث وأشهرها في أيدي الناس، والتي بأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام، وهي: صحيحا البخاري ومسلم، وموطأ مالك، وكتب السنن الثلاثة: سنن أبي داود السجستاني، والترمذي، والنسائي. وأصحاب هذه الأصول من أشهر المحدّثين في الإسلام وأكثرهم حفظاً، وأعرفهم بمواضع الخطأ والصواب، وإليهم المنتهى في هذا الفن، لذلك تلقت الأمة كتبهم بالقبول والرضا، فأحب ابن الأثير[1] أن يضم هذه الكتب الستة في كتاب واحد يكون جامعاً لمتون الحديث، على أن يحذف الإسناد والمكرر، ثم يعزوها إلى الأصل الذي أخرجها منه، وكان قد تقدَّمه في ذلك رزين بن معاوية العبدري

---

(١) هو المبارك بن محمد أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي، يكنى أبا السعادات ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير، والأثير لقب أبيه أثير الدين أبي الكرم، وشيبان القبيلة التي انتسبت إليها أسرته، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر، وهي بلدة صغيرة على الشاطىء الغربي لدجلة شمالي الموصل، وبها توفي سنة ٦٠٦هـ.

ويعرف بابن الأثير أشقاء ثلاثة حازوا المجد من أطرافه، فأكبرهم صاحب الكتاب الذي نتحدث عنه وهو مؤلف النهاية في غريب الحديث، وثانيهم علي المتوفى سنة ٦٣٠هـ وهو صاحب الكامل في التاريخ وأسد الغابة واللباب في الأنساب، وثالثهم الوزير الكاتب نصر الله المتوفى سنة ٦٣٧هـ صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

السرقسطي الأندلسي المتوفى ٥٣٥هـ ، إذ جمع الأصول الستة تلك في كتاب سماه « التجريد للصحاح الستة »[٢] ، بيد أنه وجده قد أودع مؤلفه فيه أحاديث في أبواب ربما كان غيرها أولى بها ، وكرر فيه أحاديث كثيرة وأغفل غيرها لغرض ما ؛ فكان هذا هو الباعث لابن الأثير على تهذيب كتاب رزين وترتيبه وبنائه من جديد ، فبوّبه وشرح غريبه وسماه « كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول »[٣] .

وبقي هذا الجامع مخطوطاً لا ينتفع به إلا الأقلّون ، إلى أن قُيض له أن يظهر للناس بين الأعوام ١٩٤٩ و١٩٥٥م[٤] على يد الشيخ محمد حامد الفقي بمطبعة السنَّة المحمدية بالقاهرة ، أخرج منه اثني عشر جزءاً ، وأشار في خاتمة الجزء الثاني عشر ص٣٩٣ أن سيتلوه الجزء الثالث عشر ، ويبتدئ بالخواتم وهي مفاتيح الكتاب التي لا غنى له عنها . ولأمرٍ نجهله توقف الكتاب عن الصدور ، ثم تلا ذلك وفاة الشيخ الفقي عام ١٩٥٩[٥] رحمه الله ولما يتم الكتاب بعد .

وبعد نحو من عشرين سنة على طبعة الشيخ الفقي قام بإعادة تحقيقه ونشره الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وذلك في سنة ١٩٦٩م ، وامتازت هذه من سالفتها بأن الأستاذ عبد القادر نهض بتخريج الأحاديث الواردة فيه ، مبيِّناً درجة كل حديث من حيث الصحة والحسن والضعف ، وقد صدر من هذه الطبعة أحد عشر مجلداً ، واشتركت الطبعتان في توقفهما عند آخر كتاب اللواحق ، أي عندما يعادل ثلثي الكتاب .

---

(٢) انظر جامع الأصول ١/٤٩ .

(٣) انظر جامع الأصول ١/٥٢ .

(٤) ذكر بعضهم أنه طبع في الهند سنة ١٣٤٦هـ ، ولم أقف على هذه الطبعة انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٥ ، ص٦٣٥ .

(٥) انظر ترجمة الشيخ الفقي في معجم المؤلفين ٩/١٧٢ .

والآن بعد مضي نحو من عشرين سنة على طبعة الأستاذ الأرناؤوط ظن كثير من الناس أن الكتاب انتهت أجزاؤه وكمل بإصدار جزأين في فهرسة أحاديثه ، وربما كانت هذه المدة المنصرمة على مضي الطبعة الأولى والثانية ، والطبعات المصورة المتعددة التالية لهما قد رسخ عندهم أن الكتاب تمّ بهذا القدر ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك ، فالمؤلف عندما وضع كتابه بناه على ثلاثة أركان[٦] : الأول خصَّه بالمبادئ ، وفيه تحدث عن الباعث على عمل الكتاب ، ومبدأ انتشار علم الحديث وجمعه وتأليفه ، واختلاف الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث ، ثم كيفية وضع الكتاب ، وفرَّع في طرق نقل الحديث وما اصطلحه أهل هذا الفن في ذكر أنواع الحديث وطبقات المحدثين جرحاً وتعديلاً ، فاستغرق ذلك مئتي صفحة ونيِّفاً . والركن الثاني خصه بالمقاصد ، وهي الكتب المقسّمة على حسَب اختلاف معاني الأحاديث في ثمانية وعشرين حرفاً من حروف المعجم ، وحسَب الحرف الذي ابتدأ به معنى الحديث ، مثال ذلك : الإيمان ، البِرّ ، التفسير ، الثناء ، الجهاد ، الحج ، الخَلْق ، الدعاء ... وهكذا كل معنى تجده في كتاب ، وكل كتاب يندرج في أحد الحروف الثمانية والعشرين[٧] ، وقد استغرقت هذه الكتب بقية الجزء الأول إلى آخر الجزء الحادي عشر منه .

أما الركن الثالث فقد خصّه بالخواتم أو الخواتيم ، وهي أربعة الأجزاء التي نحن بصدد التعريف بها ، وقد أشار ابن الأثير إلى هذا الركن في مقدمته ص٢٥ من الجزء الأول بقوله : « وقد أفردت باباً في آخر الكتاب يتضمن أسماء الجماعة المذكورين في جميع الكتاب ، إن كان صحابياً أو تابعياً أو غيره ، ورتبته على حروف (أ ب ت ث ....) » . وقال أيضاً في ص٦٧ ،

(٦) انظر جامع الأصول ١/٣٤ ، ٣٥ .

(٧) بلغ عدد هذه الكتب ١٢٩ كتاب .

٦٨ من مقدمته : « لما استقرَّ وضع الأحاديث في الأبواب والكتب والحروف تتبَّعتها فوجدت فيها أحاديث ينبو بها مكانها ، وإن كان أولى بها من غيره من سائر الأمكنة ، وكان طالب تلك الأحاديث أو بعضها ربما شذَّ عن خاطره موضعها والتبس عليه مكانها ، أو مشتبهة على طالبها ، وخرَّجت منها كلمات ومعاني تعرف بها الأحاديث ، وأفردت لها في آخر الكتاب باباً أثبتُّ فيه تلك المعاني مرتبة على حروف (أ ب ت ث) مسطورة في هامش الكتاب وبإزائها موضعها من أبواب الكتاب » .

وأثبت المحقق راموز الورقة الأخيرة من النسخة الأولى ، وفيها تبيان للركن الثالث من الكتاب ، وفيه : الفن الأول في التنبيه على أحاديث مجهولة الموضع ، والفن الثاني في الأسماء والكنى والأبناء والألقاب والأنساب ...

والخلاصة : إن هذه الأدلة واضحة في أن الكتاب لَمَّا ينته إلا بإصدار الركن الثالث منه ، وبعد هذه السنين المنصرمة تهيأ لإتمامه دار للنشر تنهض بطبعه وتتسمى باسم مؤلفه ، وهي دار ابن الأثير – بيروت ، فأصدرته في أربعة أجزاء محققة بإشراف الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في العام الفائت ١٤١٢هـ/١٩٩١م وهذه نبذة عنها :

الجزء الثاني عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط ، ويتضمن :

الفن الأول من الركن الثالث : وهو فهرس للتنبيه على الأحاديث المجهولة الموضع ، سماه المحقق « فهرس الألفاظ الخفية »[8] . (من ص٢٥

(٨) قال ابن الأثير في مقدمة هذا الجزء ص٢٥ : « قد استخرجنا من تلك الأحاديث التي ربما اشتبه موضعها كلماتٍ هي أشهر ما فيها ، كان الحديث يعرف بها ، فإنه لا يخلو الإنسان أن يعرف من ذلك الحديث كلمة يُستدل بها » . قلت : وهذا يناقض معنى الاسم الذي أطلقه المحقق ، ولو أنه سمّاه « فهرس الألفاظ المشتهرة » لكان أشبه بالصواب ، لأن هذه الألفاظ اشتهرت فاستدل بها على موضع الحديث .

إلى ٢١٤) .

الفن الثاني من الركن الثالث وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول : وفيه ذكر النبي ﷺ وما يتعلق به من مولده وأسمائه وأسماء مراضعه ومنشئه وتنقله وصفاته وأزواجه وسراريه وأولاده وأسماء أعمامه وعماته ومرضه ووفاته ومدة عمره . (من ص٢١٥ – ٢٨١) .

الباب الثاني : في ذكر جماعة من الأنبياء ومن يتعلق بهم (ص٢٨٢ – ٢٩٧) .

الباب الثالث : في ذكر العشرة من الصحابة المبشرين بالجنة (ص٢٩٨ – ٣٢٠) .

الجزء الثالث عشر : تحقيق محمود الأرناؤوط . ويحتوي هذا الجزء على :

الباب الرابع : وفيه ذكر تراجم الصحابة رضي الله عنهم ثم من بعدهم من التابعين وغيرهم ممن لهم ذكر أو رواية في الكتاب ، سواء كان جاهلياً أم قديماً ، وسواء كان اسم قبيلة أم من اشتهر بكنية أو لقب أو نسب . وقد رتب المؤلف هذه الأعلام جميعها على حروف المعجم ، وكل حرف قسمه إلى فرعين أو ثلاثة ، ففرع للصحابة وآخر للتابعين فمن بعدهم ، وثالث لغير هذين الفرعين من جاهلي قديم أو غيره ، وربما جاء آحاد الحروف من النساء واحدة أو اثنتان فسلكه المؤلف في أسماء الرجال ، ابتدأ هذا الجزء بحرف الهمزة ص٧ ، وانتهى بنهاية حرف الخاء المعجمة عند ترجمة الخولاني ص٤٦٤ .

الجزء الرابع عشر : تحقيق رياض عبد الحميد مراد ، ويتضمن قسماً من الباب الرابع الذي ذكرتُه آنفاً في الجزء الثالث عشر ، فيبتدئ بحرف الدال ترجمة دحية الكلبي (ص٥) وينتهي بنهاية حرف العين المهملة ؛

ترجمة العيشي (ص٨٦٠) .

الجزء الخامس عشر : تحقيق محمد أديب الجادر ، وفيه تتمة الباب الرابع الذي ذكرتُ بدايته في الجزء الثالث عشر ، فيفتتح الجزء (ص٥) ببداية حرف الغين المعجمة ، ترجمة غالب بن أبجر إلى آخر حرف الياء ، ترجمة اليماني (ص٥٩٣) . وفيه أيضاً :

الباب الخامس : وفيه ذكر جماعة لهم ذكر ورواية ولم يصرَّح بأسمائهم في الأحاديث التي مرَّ ذكرها في الكتاب ، فنبه المؤلف على اسم من عرفه منهم ، وهذا الباب من الأبواب المهمة في الكتاب ، (من ص٥٩٤ إلى ٦١٥) وقد عرف هذا الفن في اصطلاح المحدثين بـ « الأسماء المبهمة » أو « المبهمات » ، وقد أُفردتْ له مؤلفات خاصة .

ويحوي هذا الجزء أيضاً الفن الثالث[٩] من الكتاب ، وهو فهرس لجميع الكتب الواردة في الركن الثاني الذي ألمعت إليه في ص٣ (من ص٦١٦ – ٦٨٤) ثم خاتمة الكتاب (من ٦٨٥ – ٦٨٨) .

---

(٩) جاء في المطبوع بعنوان « الفن الرابع » وهو خطأ .

مطبوعات مجمع اللغة العربية

في عام ١٩٩١م

مأمون الصاغرجي

عبد الله كنون - سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة ورد شبهات الحاقدين والدققة - تأليف الدكتور عدنان الخطيب (٨٢ صفحة).

الأستاذ كنون عضو مراسل في مجمع دمشق منذ عام ١٩٥٥، وفي مجمع القاهرة منذ عام ١٩٦٢، وكان عضواً في كل من مجمع بغداد وعمان والمملكة المغربية، وأميناً عاماً لرابطة علماء المغرب، وعضواً عاملاً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. وقد كان للأستاذ كنون - رحمه الله - مشاركة وافرة في النشاط المجمعي علماً وأدباً ولغةً وتاريخاً، وكان له نشاطات ثقافية بارزة متعددة، اختاره الله إلى جواره عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. فكتب الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق مؤلفاً لطيفاً في ترجمته تخليداً لذكراه، استهلّه بلمحة تاريخية عن مدينة فاس مهد الأستاذ كنون وعاصمة المغرب الأقصى، وخصَّ من اشتهر من بيوتاتها بالذكر بيت كنون المنتسبين في أصلهم إلى الأدارسة، وألمح إلى هجرتهم من فاس إلى طنجة بسبب الاستعمار الفرنسي، وبطنجة استقرت أسرته وبها نشأ وتلقى علومه.

ثم تحدث الدكتور الخطيب عن الفقيد ونبوغه المبكر، وبخاصة في كتابه « النبوغ المغربي في الأدب العربي » إذ ألفه وهو في العشرينات من

عمره ، ملمعا إلى صداه الواسع في الجامعات الأوربية ، وتنويه بروكلمان وجيوفاني بيانكي به (ص١٨) .

وتناول الدكتور الخطيب بالبحث أبرز الجوانب الثقافية في حياة كنون ، تجلّى ذلك في كونه كاتباً مسلماً ، وأديباً ناقداً ، وشاعراً مرهف الإحساس . واختار نماذج من مآخذه على كتاب « المنجد في الآداب والعلوم » ، (ص٢٤) وذكر منتخبات من أشعاره (ص٤٠) ، وأفرد فقرة لنشاطه المجمعي فذكر قائمة بأسماء المقالات التي نشرت له في مجمع دمشق خاصة (ص٥٦ – ٥٨) ، وأشار إلى صلته بمجمع القاهرة (ص٥٩) . ثم ختم الدكتور الخطيب مؤلفه هذا بملخص عن حفل التأبين الذي أقامه مجمع القاهرة في ذكرى وفاته (ص٦٨) ، وقائمة بمصادر ترجمته .

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية – تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري المتوفى نحو ٣٩٠هـ – تحقيق وفاء تقي الدين (١١٢ صفحة) .

ربما يدفع هذا الكتاب – على ضآلة حجمه – التهمة عن المكتبة العربية خلوَّها من المعجمات المتخصصة ، بل ربما يُعدّ من أوائل الكتب التي عنيت بالاصطلاحات الطبية ، وهو يمثل مرحلة مبكرة من مراحل التصنيف العلمي المنهجي .

وتبدو أهمية هذا الكتاب من كونه يمثل نواة لمعجم متخصص في ألفاظ اصطلح عليها الأطباء في العصر العباسي قد لا يفهمها إلا أهل هذه الصناعة ، وربما كانت هذه الألفاظ عربية الأصل ولكنها اكتسبت معاني خاصة ، أو أعجمية معرَّبة (ص٤) . وقد ألمع المؤلف في خطبة الكتاب إلى أنه التقط هذه الألفاظ من بطون الكتب وتضاعيف الكنَّاشات ، ووقف عليها متفرقة في كتب شتى ، والباحث في علم الطب يحتاج في تحصيلها والوقوف على معانيها إلى تكلف شديد ربما حمله على الإعراض عنها

(ص١٢) . وقد فسَّر هذه الألفاظ تفسيراً مجرداً ، مُعْرضاً فيه عن ذكر الأسباب والعلل ، مدركاً أن اللغة العربية بطبيعتها تحتمل معاني خارجة عن مقصود الأطباء في صناعتهم .

قسمّ المؤلف كتابه في عشرة أبواب ، أدرج فيها أسامي العلل والطبائع في بدن الإنسان ، وذكر أسماء أشياء تستخدم في العلاجات والقراباذينات ، كما ذكر الأوزان والمكاييل المستخدمة في هذه الصناعة .

اعتمدت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه على عدد من النسخ وصفتها في مقدمة الكتاب ، وأحسنت عملاً إذ صنعت فهارس منوعة ، يجد الباحث نفسه في أمس الحاجة إليها ، ففهرس لمواد الكتاب ، وآخر لأسماء النبات ، وثالث لأسماء الحيوان ، ورابع لأسماء الأدوات .

تاريخ مدينة دمشق ــ تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ــ المجلد الحادي والأربعون ــ تحقيق سكينة الشهابي (٤٨٥ صفحة) .

يتضمن هذا المجلد التراجم من : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن أبو القاسم المقرئ ، إلى عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة .

سلكت المحققة في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحته في مجلد ترجمة عثمان بن عفان ، وبقية الأجزاء التي عنيت بإخراجها من التاريخ ، والتزمت بصنع فهارس فنية تضمنت أسماء المترجمين والأعلام والشيوخ والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والأماكن والأيام والوقائع والكتب التي ذكرها المصنف .

تاريخ مدينة دمشق ــ تأليف الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ــ السيرة النبوية (القسم الثاني) ــ تحقيق نشاط غزاوي (٤٧٠ ص) .

تضمن هذا المجلد ١٤ أربعة عشر باباً من السيرة النبوية ، يبدأ بالباب الثالث عشر « باب عروجه ﷺ إلى السماء واجتماعه بجماعة من الأنبياء » ، وينتهي بالباب السادس والعشرين « باب مختصر من دلائل نبوته » عند خبر حنين الجذع . وكانت المحققة قد أخرجت القسم الأول (طبع سنة ١٩٨٤) وفيه اثنا عشر باباً .

وقد بينت في مقدمتها الموجزة الأصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وأشارت إلى الخروم الواقعة فيها ، واتبعت في إخراج النص والتعليق عليه المنهج الذي أوضحته في القسم الأول ، وتوجت عملها بصنع فهارس فنية انتظمت فيها الموضوعات وأسماء الشيوخ وسماعات هذا الجزء والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر .

ومما يحسن الإشارة إليه هنا أن ما طبع في المجمع من تاريخ ابن عساكر حتى إصدار هذا الجزء بلغ أربعة عشر مجلداً ذكرت في الصفحة الأخيرة من غلافه .

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب مجلس مجمع اللغـة العربية بدمشق السـادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين في المجمع :

١ ـ من جمهورية مصر العربية :

ـ الدكتور شوقي ضيف .

ـ الدكتور كمال بشر .

٢ ـ من الجمهورية الجزائرية :

ـ الأستاذ مولود قاسم .

ـ الدكتور أبو القاسم سعد الله .

٣ ـ من أسبانيا :

ـ الدكتور خيسوس ريو ساليدو .

٤ ـ من ألمانيا :

ـ الدكتور رودلف زلهايم .

٥ ـ من المملكة العربية السعودية :

ـ الأستاذ حسن عبد الله القرشي .

ـ الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

ـ الأستاذ عبد الله خميس .

٦ ـ من الجمهورية العربية السورية :

ـ الدكتور صلاح الدين المنجد .
ـ الدكتور شاكر مصطفى .
ـ الدكتور عبد الله عبد الدايم .
ـ الأستاذ عبد المعين ملوحي .
ـ الدكتور عبد السلام العجيلي .
ـ الدكتور عبد الكريم الأشتر .
ـ الدكتور عمر الدقاق .
ـ الدكتور خالد الماغوط .

وقد صدر عن السيد وزير التعليم العالي قرار تعيينهم (القرار ذو الرقم ١٧ في ١٩٩٢/٣/٢٥) .

انتخاب لجان المجمع الدائمة

نظر مجلس المجمع في جلسته العاشرة المنعقدة في (١٢/٦/١٤١٢هـ - ١٨/١٢/١٩٩١م) في لجان المجمع الدائمة وأقر تأليفها على النحو الآتي ذكره :

لجنة المصطلح : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٢/ن تاريخ ١٦/١/١٩٩٢م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب
الأستاذ المهندس وجيه السمان
الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان
الأستاذ الدكتور مختار هاشم
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
الأستاذ الدكتور عادل العوا
الأستاذ جورج صدقني

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .
مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة الأصول : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٣/ن تاريخ ١٩٩٢/١/١٦م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المخطوطات وإحياء التراث : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٢٤/ن تاريخ ١٩٩٢/١/١٦م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

الأستاذ الدكتور عادل العوا

وممن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع .

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

لجنة المجلة والمطبوعات : (قرار السيد نائب رئيس المجمع رقم ٣٦/ن تاريخ ١٩٩٢/١/١٦م) وتتألف من السادة :

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص
الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا
الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد
الأستاذ جورج صدقني

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءاً من تاريخ صدور هذا القرار .

الأستاذ أحمد راتب النفاخ
في ذمة الله

الدكتور إحسان النص

فقد مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً بارزاً من أعضائه العاملين هو المرحوم الأستاذ أحمد راتب النفاخ الذي اختاره الله لجواره صبيحة يوم الجمعة الحادي عشر من شعبان ١٤١٢هـ الموافق للرابع عشر من شباط ١٩٩٢م ، فأثار فقده عميق الأسى والحسرة في نفوس ذويه وزملائه وأصدقائه وطلابه . تغمده الله بفيض رحمته وجعل مثواه جنان الخلد .

لقد فقد مجمعنا بفقده ركناً من أركانه الوطيدة ، وفقدت الأمة العربية باحثاً محققاً قل نظراؤه في أقطار الوطن العربي .

كان الفقيد قمة شامخة من قمم البحث العلمي ، وكان بحراً فياضاً في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية وكل ما يتصل بالتراث العربي الإسلامي ، نهل من معينه الثرّ المئات من الباحثين واغترف من مورده الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه في الجامعة .

كان الفقيد لا يضن بما لديه على طالب علم يقصده للاستنارة برأيه وتوجيهه ، ينفق الساعات الطوال في مراجعة ما أشكل أمره على أصدقائه وطلابه من عويص المعضلات اللغوية والأدبية والنحوية . كان أبذل الناس لما عنده ، يسخو بعلمه وكتبه ووقته على قاصديه ، لا يضيق بمهمة تناط به أو ببحث يكلف مراجعته ، جليسه الدائم كتاب الله والكتب التي تحفل بها مكتبته الزاخرة بأمهات المراجع وعيون التراث ، وكان بيته مقصد طالبي المعرفة والعلماء .

ولد الفقيد الكريم سنة سبع وعشرين وتسعمئة وألف بمدينة دمشق ، وهو سليل أسرة تنقلت بين حوران وبعلبك لتستقر آخر الأمر بدمشق ، وتلقّى دروسه الابتدائية والثانوية والجامعية فيها ، ولما حصل على الإجازة في الآداب عام خمسين وتسعمئة وألف عيّن أستاذاً للعربية في إحدى ثانويات مدينة درعا . وبعد ثلاث سنوات عيّن في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق . (كلية الآداب) لتدريس العربية ، فنهض بهذه المهمة على خير وجه وتخرّج به كثيرون ، ثم أوفد إلى جامعة القاهرة لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه فحصل على الماجستير عام ثمانية وخمسين وتسعمئة وألف ، وكان موضوع رسالته دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة وشعره وتحقيق ديوانه . ثم سجل موضوع رسالة الدكتوراه في القراءات وأنجز الجانب الكبير منها ، ولم يكن بينه وبين نيلها إلا استيفاء بعض جوانبها ، ولكن أمراً ما دفع راتباً إلى الإحجام عن إنجازها والرجوع إلى دمشق لمعاودة التدريس في جامعتها ، فخسر البحث العلمي بذلك دراسة متعمقة في القراءات القرآنية لا يقوى على النهوض بها إلا أولو العزم والكفاية من العلماء ، ولم يكن همّ الفقيد الحصول على الألقاب العلمية والتباهي بها بل كان زاهداً في ذلك كل الزهد ، وهمّه إنما هو في تحصيل العلم الصحيح ليس غير .

لم يكن الفقيد ممن يتعجلون في إنجاز بحوثهم وإنما كان يؤثر الأناة والرويّة وإمعان النظر ، وطبيعته المتأنية المدققة هذه هي التي حملته على التريث في إنجاز رسالة الدكتوراه ، وهي تفسر كذلك عدم إقدامه على تأليف الكثير من الكتب والدراسات واكتفائه بالقليل الذي يطمئن إلى صحته وسلامته من المآخذ والهنات . وقد عني بالتحقيق فجاء صنيعه غاية في دقة الضبط ، وقد قام بتحقيق كتابين أولهما ديوان ابن الدمينة ، والثاني كتاب « القوافي » للأخفش .

ومن آثاره صنع فهرس لشواهد سيبويه ، وقد يسّر بهذا الفهرس السبيل على الناظرين في كتاب سيبويه ، وعني الفقيد كذلك بجمع مختارات من الشعر الجاهلي وضعها بين أيدي طلابه في الجامعة ، واختياره ينمّ عن تذوق لعيون الشعر الجاهلي وخبرة وافية بدقائق معانيه .

وإلى ذلك عني الفقيد بنقد بعض ما نشره المحققون من كتب التراث ، إيدفعه إلى ذلك غيرته الشديدة على التراث ، وحرصه على عدم العبث به ، وكانت هذه الغيرة وذاك الحرص ربما دفعاه إلى أن يعنف أحياناً في نقده ، وعذره في ذلك نظرته المثالية إلى تحقيق التراث الذي ينبغي أن يكون عنده بريئاً من آفات التصحيف والتحريف ، وإلى المحقق الذي ينبغي أن يكون عنده مستوفياً عدة البحث والتحقيق ، متأنياً في عمله ، طويل النفس في تقصي مظان البحث وموارد التحقيق . وقد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق وفي غيرها من المجلات نقداً حول تحقيق طائفة من كتب التراث المنشورة ، ومنها : « رسالة الغفران » للمعري ، و« المحتسب » لابن جنّي ، و« القوافي » للأخفش ، و« إعراب القرآن » المنسوب للزجاج . وقد ردّ إلى الصواب ما وقع فيه محققو هذه الكتب من أخطاء التصحيف والتحريف وشرح المعاني وغيرها .

وفضلاً عن إسهام الفقيد في تحقيق كتب التراث ونقد ما ينشر منها ، كان له مشاركته البارزة في أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق ، سواء في تقويم البحوث التي ترسل إلى المجمع لنشرها في مجلته أو في معالجة المشكلات التي تعرض في جلساته ، وكان – رحمه الله – يبذل من الجهد في قراءة بحوث المجلة وتقويمها ما يوهي قوى أولي العزم .

وللفقيد أصدقاؤه من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام ، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية والدراسات الإسلامية والقرآنية ، فالخسارة بفقده جسيمة لا تعوّض ، والله

نسأل أن يتغمده بشآبيب رحمته ، ولئن قل لبثه في هذه الدنيا الفانية ، لمقامه في جنة الخلد التي ندعو الله أن يجعلها مثواه أبقى وأخلد .

توصيات

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة الثامنة والخمسين

(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

عقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورته الثامنة والخمسين في المدة (٢٣ رجب - ٧ شعبان ١٤١٢هـ = ١/٢٧ - ١٩٩٢/٢/١٠م) ، وقد نوقشت وأقرت في جلساته الثلاث عشرة مصطلحات في الجغرافيا والجيولوجيا وعلوم الأحياء والزراعة والحاسبات والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبية والتربية الرياضية والهندسة الميكانيكية .

وألقى الأساتذة المشاركون بحوثاً في تعريب التعليم الجامعي وفي موضوعات متنوعة نحوية ولغوية وتاريخية وجغرافية وأدبية ، وناقشوا أعمال اللجان اللغوية : لجنة الأصول ، ولجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ، واستعرضوا جزءاً من المعجم الكبير .

وقد ختم المؤتمر جلساته بإصدار القرارات والتوصيات . وهذا نص ما جاء في توصيات المؤتمر :

١ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بأن يُعنى في مرحلة التعليم الأساسي بحفظ الناشئة للأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم على الأقل ، لتستقيم الملكة اللغوية لهم ، ويتمثلوا قيمه الجمالية والسلوكية والاجتماعية .

٢ - يوصي المؤتمر الدول العربية وجامعاتها بتعريب التعليم الجامعي في جميع مراحله ، وتعد المعجمات العلمية المتخصصة التي أصدرتها مجامع

اللغة العربية الركيزة التي تقوم عليها حرمة التعريب .

٣ – يوصي المؤتمر حكومات الدول العربية بإنشاء مؤسسة على مستوى الوطن العربي ، على أن تكون هذه المؤسسة مستقلة وذات جدوى اقتصادية ، وتكون مهمة هذه المؤسسة العمل على ما يلي :

أولاً : نقل العلوم والتقنيات والمهنيات الحديثة والمعجمات المتخصصة والموسوعات والدوريات وما أشبه ذلك إلى اللغة العربية .

ثانياً : نقل تراث الفكر والأدب العالميين إلى اللغة العربية .

٤ – يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية بالحرص على أن تكون اللغة العربية (لغتنا القومية) هي اللغة التي تلتزم بها جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

٥ – يوصي المؤتمر جميع الدول العربية المنتمية إلى جامعة الدول العربية بضرورة الالتزام بالحرف العربي في الكتابة باللغة الفصحى ، ويؤكد المؤتمر دعوته السابقة إلى حكومة الصومال بالعودة إلى الأبجدية العربية .

٦ – يوصي المؤتمر جميع الدول الإسلامية أن تلتزم بما كانت ملتزمة به من استعمال الحرف العربي في كتابة لغاتها القومية .

٧ – يؤكد المؤتمر توصيته السابقة ببذل الجهود لوضع معجم كبير للعامي الذي له أصل في الفصحى المشترك في البلدان العربية ، حتى تتقارب وتتعارف بلغة مشتركة .

٨ – يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بدعوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية ، والجامعات ، والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم بالوطن العربي ، حتى تنتهي البلبلة فيها ، ويتعاون علماؤنا في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية .

٩ – يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بزيادة عدد الساعات في تدريس

اللغة العربية ، مع العناية في النصوص بالضبط الكامل ، ومع تيسير القواعد للناشئة والاستعانة في ذلك بما أقره المجمع من تيسير لهذه القواعد .

١٠ – يوصي المؤتمر بالعناية في التدريس للناشئة ، وفي جميع وسائل الإعلام ، وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام الفصحى ، ولتحقيق ذلك يوصي المؤتمر بإعداد المذيعين والمذيعات إعداداً لغوياً سليماً نطقاً وكتابة .

١١ – يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بضرورة إصدار تشريعات تقضي بكتابة اللافتات على المحالّ التجارية والشركات والفنادق بالعربية إلى جانب اللغة الأجنبية ، كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية عليها بحروف عربية .

١٢ – يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن يلتزموا في خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير اللغة العربية السليمة ، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير ، وتمثيلها القويم للبيان العربي .

نقش جُديد بالخط الآرامي

في مدينة متسخيتا ـ سامتافرو

المؤلف : قسطنطين تسيرتيلي

غسان منيف عيسى

صدر هذا الكتاب (وصفحاته ٨٠ صفحة بالقطع الصغير) في مدينة تفليس عاصمة جورجيا (بلاد الكرج) سنة ١٩٩٠م ، باللغتين الروسية والانكليزية ، ويتحدث مؤلف الكتاب عن كشف مدفن في مدينة متسخيتا بجورجيا يعود تاريخه إلى القرنين الثاني والثالث للميلاد ، ويحوي بقايا جثتين ، ومجموعة من الأواني البرونزية والفضية والذهبية . ويلفت المؤلف الانتباه إلى وجود صحن فضي يحمل نقشاً بالخط الآرامي ، ويبين صلته الوثيقة بالكتابة الأرمازية (الاسم الحالي للآرامية في جورجيا وما جاورها) ، ونقوش بلاد الرافدين .

ثم ينتقل المؤلف إلى مقارنة النقش الجديد بالنقوش الآرامية الأخرى ، فيبين وجود تشابه ملحوظ بينه وبين نماذج النقوش الآرامية التي استخدمتها الشعوب الإيرانية على نطاق واسع (بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثالث للميلاد) ، ويتألف النقش من ستة عشرة حرفاً (من اليمين إلى اليسار) وهي غير متصلة .

ويعمد المؤلف إلى تحليل للحروف على نحو مفصل بالاعتماد على المقارنة بين حروف النقش الجديد والحروف التي كشفت في النقوش الآرامية الأخرى (مثل نقوش شمالي بلاد الرافدين ، والنقوش البارثية (الفرثية) ، ونقوش مدينتي نيبور في جنوبي العراق ، وتدمر . ويخلص إلى أن النقش آرامي يحمل عبارة : « تيريدت بَر بيتأ نبجه » ومعناها : « تيريدت الأمير

(هذا الصحن) ملكه » .

ويبين المؤلف معتمداً على افتراضات علماء الآثار أن قسماً من هذه الأدوات المكتشفة في المدفن ، ومن ضمنها الصحن الفضي قد وصلت إلى جورجيا هدية قدمها دبلوماسيون ، وأن الصحن يخص أسرة من علية الناس (قد تكون أسرة ملكية) .

ويرجح المؤلف أن النقش بارثي ، إذ كان الخط الآرامي متداولاً في المملكة البارثية ، لأن اللغة الآرامية انتشرت في الامبراطورية البارثية الواسعة ، وقد بلغت من الازدهار أن نطقت بها عدة شعوب إلى جانب لغاتها المحلية .

ويعتمد المؤلف على تحليل التشابهات الجزئية بين حروف نقش متسخيتا — سامتافرو وحروف لنماذج من النقوش البارثية (مثل وثائق نيسا ، ولوح كومس ، ومخطوطة افرومن رقم ٣ ، ولوح ينبور ، ونقوش أخرى) محاولاً تحديد تاريخ النقش . ويرجح في ختام تحليله أن تاريخه يعود إلى القرن الأول للميلاد .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية
(١/٩/١٩٩٠ - ٣١/٨/١٩٩١)

أولاً - مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية (١٩٩٠ - ١٩٩١) تسع عشرة جلسة كان مما تمَّ فيها :

أ - عرض على المجلس الكتب الواردة إلى المجمع من مؤسسات علمية مختلفة ، تضمنت إعلام المجمع بضروب مناشطها الثقافية المتصلة بالتراث العربي والإسلامي ، والرغبة في مشاركة المجمع فيها ، وقد أقر ما يجب في شأنها . ومن تلك الكتب :

١ - كتاب من المملكة المغربية (١٥/١٠/١٩٩٠) حول سبل تعزيز التعاون بين المجمع ومكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم طبقاً للمادة التاسعة من الجدول التنفيذي للاتفاق الثقافي بين الجمهورية العربية السورية والمملكة المغربية .

٢ - كتاب من جامعة دار السلام (٢٢/١١/١٩٩٠) يتضمن تقريراً ثقافياً بشأن اللغة السواحلية وطرق إغنائها وتطويرها .

٣ ـ كتـــاب من لجنـــة التـعــريب في جــامعـــة قطــر (١٩٩٠/١٢/٣١) ، تبدي فيـه رغبتها في الحصول على معلومات تفصيلية عن جهود التعريب .

٤ ـ كتاب من مؤسسة فورد التربوية (١٩٩١/٢/١٠) تعرب فيه عن رغبتها في مشاركة المجمع ببرنامجها لبحوث الشرق الأوسط في العلوم الاجتماعية والقضايا الراهنة .

٥ ـ كتاب من مؤسســة كاتالا لدراسـات البحر المتوسط في إسبانيا (١٩٩١/٣/٢٥) ترغب في التعرف على نشاطات المجمع .

٦ ـ كتاب من بيت الحكمة بتونس (١٩٩١/٤/١٤) بشأن إقامة حلقة بحث عن شكسبير في العالم العربي .

٧ ـ كتـاب من الأمانة العـامة لجائزة المـلك فيصــل العـالمية (١٩٩١/٤/٢٠) لترشيح من يراه من العلماء لنيل هذه الجائزة .

٨ ـ كتاب من أكاديمية المملكة المغربية (١٩٩١/٥/٩) حول دورها في حماية اللغة العربية ورغبتها في زيادة التعاون مع المجمع .

٩ ـ مـذكرة من ســفــارة المـمـــلكـــة المغـربيــة بدمشــق (١٩٩١/٥/٢٠) تتضمن ما تعده المصالح التابعة لمكتب تنسيق التعـريب بالرباط في مجال تعريب المصطـلحـات وتوحيدها على المستوى العربي ، والمشاريع المزمع إنجازها في المستقبل .

١٠ -كتاب من مكتب تنسيق التعريب بالرباط (١٩٩١/٥/٢٦) يطلب فيه تزويده بما استجد من مصطلحات في مجال الطباعة .

١١ -كتاب من وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية (١٩٩١/٥/٢٢) بشأن موافاتها بالنهج الذي يتبعه المجمع في وضع المصطلحات العلمية ؛ لاعتماد قواعد موحدة للترجمة والتأليف والنشر .

١٢ -دعوة من اتحاد المجامع العالمية (١٩٩١/٦/٤) لتمثيل المجمع في اجتماعات الاتحاد الأكاديمي في بروكسل في (٩ - ١٩٩١/٦/١٥) .

ب - جدد المجلس انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضواً في اللجنة الإدارية لمدة أربع سنوات أخرى بدءاً من ١٩٩١/٢/٤ .

ج - اطلع المجلس على التقارير المقدمة عن أعمال لجان المجمع : لجنة المجلة والمطبوعات ــ لجنة المخطوطات وإحياء التراث ــ لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة ــ لجنة الأصول .

د - استمع المجلس إلى شرح مفصل من اللجنة المشكلة للاطلاع على مشروع ترميم المدرسة العادلية الكبرى ودار الكتب الظاهرية المقدم من مديرية الآثار وإلى اقتراحات اللجنة بشأن توظيف غرف المدرسة العادلية وقاعاتها لتكون أكثر تأدية للمناشط الثقافية التي يضطلع بها المجمع ودار الكتب الظاهرية فوافق على المشروع .

ثانياً ـ أعمال لجان المجمع

١ ـ اللجنة الإدارية

عقدت اللجنة الإدارية في هذه الدورة المجمعية خمس عشرة جلسة بحثت فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية ، وأصدرت عدداً من القرارات الإدارية والمالية . وقررت إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات العلمية العربية والأجنبية وإلى بعض الباحثين والدارسين . وقامت بشراء مجموعة من الكتب الجديدة لمكتبة المجمع . كما وافقت على تعيين بعض العاملين الوكلاء للعمل في المجمع ودار الكتب الظاهرية .

٢ ـ لجنة المجلة والمطبوعات

عقدت لجنة المجلة والمطبوعات في هذه الدورة ست عشرة جلسة تدارست فيها جملة كبيرة من المقالات الواردة إلى المجلة ، وقررت نشر ما رأته صالحاً منها . وأشرفت على طباعة عدد من كتب التراث المحققة التي وافقت لجنة التراث على نشرها .

٣ ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث

درست اللجنة في هذه الدورة عدداً من كتب التراث المحققة المقدمة إليها ، فأحالت ما أقرته منها على لجنة المجلة والمطبوعات لنشره ، وبقي عدد منها ما زال قيد النظر والدراسة .

٤ ـ لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة

عقدت لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة في هذه الدورة تسع جلسات ، تدارست فيها عدداً من الأمور المتعلقة بالمصطلحات وطرق توحيدها ، وضرورة تنسيق الجهود المبذولة بشأنها بين المجمع ومكتب تنسيق

التعريب التابع للجامعة العربية والمجامع اللغوية ، وغيرهما من المؤسسات العربية المعنية بأمور المصطلح . وتداولت اللجنة في المصطلحات الفيزيائية الواردة إليها من المجمع الأردني .

وقدمت اللجنة تقريراً يوضح النهج الذي يتبعه المجمع في اعتماد المصطلح فنوقش في مجلس المجمع وأُقر . ثم صدر كتاب إلى السيد وزير التعليم العالي (رقم ٢٧٢/ص تاريخ ١٦/٧/١٩٩١م) هذا نصه :

السيد وزير التعليم العالي

اشارة إلى كتابكم رقم ٣٨٠٢/ت تاريخ ٢٢/٥/١٩٩١م بشأن بيان النهج المتبع في مجمع اللغة العربية لاعتماد المصطلح .

نبين ما يلي :

١ – لقد بذلت جهود كبيرة وواسعة لوضع المصطلحات العلمية والفنية والتقنية والقانونية وسواها من فروع المعرفة الإنسانية ، قامت بها المجامع والجامعات ولا سيما جامعات الجمهورية العربية السورية ، ومؤتمرات التعريب ، والمؤسسات العلمية ، والأفراد المختصون .

وهذه الثروة الكبيرة من المصطلحات ينتقى منها المصطلح العربي المقابل للفظ الأعجمي طبقاً للقواعد التالية بعد تحري المعنى الصحيح للمصطلح الأجنبي :

(١) يفضل اللفظ العربي على المعرب ، إلا إذا اشتهر المعرب .

(٢) تفضل الاصطلاحات العربية القديمة الواردة في المعجمات والمؤلفات العربية القديمة .

(٣) تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر إذا أمكن ذلك .

(٤) يقتصر على اسم واحد للمعنى الواحد في العلم الواحد .

٢ – إذا كان المصطلح الأجنبي جديداً ، ولم نجد ما يقابله في كتب المصطلح العربية المتوافرة فيلجأ :

(١) إما إلى ترجمته ووضع لفظة عربية سليمة تؤدي معناه ، وذلك بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المزجي .

(٢) وإما إلى تعريبه حين تعذّر وضع لفظ عربي مقابل .

٣ – في موضوع السوابق واللواحق قدمت المجامع قواعد عدة تعين الباحثين والمتصدين لوضع المصطلح .

وقد أودع الأستاذ مصطفى الشهابي كثيراً من هذه القواعد في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص٧٦ –٧٩) .

كذلك فإن المعجم الطبي الموحد أورد جملة من السوابق واللواحق المستعملة في المصطلحات الطبية (ثلاث صفحات في مطلع الكتاب) .

وان مجمع اللغة العربية بدمشق ليسعده أن يبذل كل عون صادق في هذا المضمار ، فيشارك في اللجان المؤلفة لبحث أمور المصطلح ، ويبدي الرأي في كل الاستشارات اللغوية التي ترسل إليه ، ويفتح صدر مجلته لنشر المباحث المفيدة التي تنتهي إليها اللجان في باب المصطلح . ويقدم كل ما في وسعه في سبيل خدمة هذه اللغة العربية الشريفة .

ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر

شارك الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السابعة والخمسين (١١ ـ ٢٥/٢/١٩٩١م).

وقد ألقى بحثاً في المؤتمر عنوانه (قراءة في فهرست ابن النديم) .

كما شارك الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام في المؤتمر نفسه ، وألقى بحثاً عنوانه (ألفاظ ومعان ليست في الفصحى ولكنها من الفصيح) .

رابعاً ـ استقبال أعضاء عاملين

استقبل المجمع في هذه الدورة عضوين جديدين من الأعضاء العاملين وهما :

١ ـ الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة . واحتفل باستقباله مساء الأربعاء في ١٤/٣/١٤١١هـ الموافق ٣/١٠/١٩٩٠ .

٢ ـ والأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم . واحتفل باستقباله مساء الأربعاء في ٢٨/٣/١٤١١هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٩٠م .

وأقيم حفلا الاستقبال في المدرسة العادلية الكبرى .

خامساً ـ انتخاب أعضاء جدد في المجمع

ـ انتخب مجلس المجمع في ٧/٥/١٤١١هـ الموافق ٢٤/١١/١٩٩٠م

ـ العماد مصطفى طلاس

ـ الأستاذ الدكتور عادل العوا

ـ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

ـ الأستاذ جورج صدقني

ـ الأستاذ سليمان العيسى

أعضاء عاملين في المجمع .

٢ ـ انتخب مجلس المجمع في ١٣/٨/١٤١١هـ الموافق ٢٧/٢/١٩٩١ السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين :

من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

الأستاذ الدكتور كمال بشر

من الجزائر :

الأستاذ الدكتور مولود قاسم

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

من إسبانيا :

الأستاذ خيسوس ريو ساليدو

من ألمانيا :

الأستاذ رودرف زلهايم

وانتخب مجلس المجمع في ٢٧/٨/١٤١١هـ الموافق ١٣/٣/١٩٩١ السادة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين أيضاً :

من المملكة العربية السعودية :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

الأستاذ عبد الله بن خميس

الأستاذ حسن عبد الله القرشي

من الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى

الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الدائم

الأستاذ عبد المعين الملوحي

الأستاذ الدكتور عبد السلام العجيلي

الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر

الأستاذ الدكتور عمر دقاق

الأستاذ الدكتور خالد الماغوط

سادساً – مطبوعات المجمع

أ – الكتب التي نجز طبعها

١ – المجلد الحادي والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن – عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة) تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

٢ – السيرة النبوية (القسم الثاني) – من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . تحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٣ – عبد الله كنون . تأليف الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام .

٤ – كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية – لأبي منصور القمري . تحقيق الأستاذة وفاء تقي الدين .

ب – الكتب التي يجري طبعها

١ – كشف المشكلات وإيضاح المعضلات – لجامع العلوم الأصبهاني . تحقيق الدكتور محمد الدالي .

٢ ـ المجلد الثاني والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد الرحمن بن مصاد ـ عبد العزيز بن عمر)
تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

٣ ـ المجلد الثالث والأربعون من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر
(عبد العزيز بن عمير ـ عبد الواحد بن زيد)
تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

سابعاً : مشاركة المجمع في معارض الكتب

شارك المجمع بالتعاون مع دار الفكر في المعارض التالية :

١ ـ معرض فرانكفورت للكتاب ـ الثالث والأربعين ٩ ـ ١٩٩٠/١٠/١٤ .

٢ـ معرض المغرب الأول للكتاب العربي ١٠/٢٦ ـ ١٩٩٠/١١/٥ .

٣ ـ معرض القاهرة الدولي ـ الثاني والعشرين ٨ ـ ١٩٩١/١/١٥ .

٤ ـ معرض تونس الدولي ـ العاشر ٣ ـ ١٩٩١/٥/١٢ .

٥ ـ معرض طهران الدولي الثالث ٧ ـ ١٩٩١/٥/١٧ .

٦ ـ معرض باريس الأوربي العربي الأول للكتاب ٤ ـ ١٩٩١/٦/٩ .

ثامناً ـ مكتبة المجمع الخاصة

اقتنت مكتبة المجمع في هذه الدورة المجمعية (١٩٣) كتاب و(٣٩٤) عدد من المجلات والدوريات .

تاسعاً ـ ميزانية المجمع

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في ميزانية الدولة العامة لعام ١٩٩١ مبلغ (٣,٢٧٦,٠٠٠) ليرة سورية ، ورصد له من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ (١,٠٠٠,٠٠٠) ليرة سورية .

صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ١٩٩١/٨/٣١ مبلغ (١,٨٦٠,٠٠٠) ليرة سورية . وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ المذكور مبلغ (٥٠,٠٠٠) ليرة سورية .

عاشراً ـ دار الكتب الظاهرية

١ ـ بلغ عدد الكتب الواردة إلى الدار خلال الدورة المجمعية المذكورة (١٧٢) كتاب باللغة العربية و(٢٠٠) كتاب باللغة الأجنبية . وأصبح مجموع ما في الدار من الكتب (٧١٧٦٦) عنوان .

٢ ـ وورد إليها (١٢٩) عدد من المجلات والدوريات باللغة العربية ، إضافة إلى (١٤١) عدد باللغة الأجنبية .

٣ ـ بلغ عدد المطالعين في هذه الدورة (٣٠,٠٠٠) مطالع .

٤ ـ وبلغ عدد الكتب المعارة (٣٧,٠٠٠) كتاب ، وعدد الدوريات المعارة (٩٨٠) .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أسرار البلاغة ـ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي ، تحقيق محمود محمد شاكر ـ جدة ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

أسس إدارة الأعمال التجارية الصغيرة ـ كليفورد م. بومباك ، جامعة ايوا ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة ـ مركز الكتب الأردني ١٩٨٩ .

اسكالنتي أفضل المعلمين في أمريكا ـ جاي ماثيوز ، تدقيق وتحرير الدكتور فاروق منصور ـ مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري مما فسره من أبيات الحماسة أولاً وثانياً ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بأبي محمد الأعرابي ، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع ١٩٨٨ .

أفكار عظيمة في الإدارة دروس من مؤسسي ومؤسسات العمل الإداري

– تأليف و. جاك دنكان ، ترجمة محمد الحديدي – الدار الدونية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

الإمام الخميني ، الاستيطان والصهيونية – سمير أرشدي ، والدكتور رياض سليمان عواد – دار عواد ١٩٩١ .

الإمام الخميني ، سياسة اللاشرقية واللاغربية – سمير أرشدي ، والدكتور رياض سليمان عواد – دار عواد ١٩٩٢ .

أوضح البيان في تفسير القرآن ، جزء عَمَّ – تأليف محمد حسين الحسيني الجلالي – مؤسسة المعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٩١م ، ١٤١١هـ .

البحث عن أنشودة الفتى الحزين – فاسيلي اكسيونوف ، ترجمة د. قيس الوهابي ، مراجعة أحمد محمد منيب .

بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص – تأليف الدكتور حاتم صالح الضامن – جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

بلوغ سن الرشد في المجرة – تأليف تِمُثي فِرس ، ترجمة هنري مطر ، تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠.

تاريخ الحياة الثقافية في أميركا – لويس بيري ، ترجمة أحمد العناني – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي – عدد من الباحثين للمؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة العرب الذي كان مقرراً

عقده ببغداد سنة ١٩٩٠ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

تربية دجاج اللحم ـ تأليف الدكتور علي أكبر التميمي ، تبسيط جاسم الحسون ـ سلسلة الكتب الثقافية للراشدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

التعليم العالي عن بعد ، وجهات نظر للتعاون الدولي ولتطويرات حديثة في التكنولوجيا إصدارات مؤتمر اليونسكو للاستشارة الدولية بشأن التعليم عن بعد على المستوى العالي المنعقد بأستراليا ١٩٨٧ ، ترجمة الدكتور كمال يوسف اسكندر ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

تقارير علمية لمجموعة من الاختصاصيين ـ تحرير يحيى أحمد كوسا ـ دار البشير ١٩٩١ .

التنسيق الإقليمي للمواقع في الولايات المتحدة وكندا ـ تأليف ستيفن إس . بيردسال ، جون دبليو . فلورن ، ترجمة فيصل زواتي ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة ـ مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

تنظيم الأسرة ـ إعداد إبراهيم جعفر سليمان ـ الكتب الثقافية للراشدين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١ .

حتمية القيادة ، الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية ـ تأليف جوزيف س. ناي ، ج.ر ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تدقيق وتحرير الدكتور فاروق منصور ـ مركز الكتب الأردني ١٩٩١ .

دليل الصحفي في العالم الثالث – تحرير ألبرت ل. هستر ، واي لان ج. تو ، ترجمة كمال عبد الرؤوف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ .

دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط – الدكتور يوسف العش ، ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ – دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .

رحلة أمريكية – تأليف ريتشارد ريفز ، ترجمة صلاح الدين الشريف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

روح الرأسمالية الديموقراطية – تأليف ميخائيل نوفاك ، ترجمة غالي عودة – دار البشير ، عمّان ١٩٨٩ .

السياسات التنموية ، مقدمة حول القضايا والمسائل العالمية – جون ل. سايتز ، ترجمة سمير حمارنة – دار عمار ، عمّان ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

شجرة الجامعة في مصر ، رؤية تاريخية تحليلية – سليمان حزيّن – مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٥ ، في مناسبة العيد الخامس والسبعين لجامعة القاهرة ١٩٠٨ – ١٩٨٣ .

شذرات مضيئة عن علم الحياة الحيوانية في التراث العلمي العربي الإسلامي – الدكتور محمد مروان السبع – معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

الصحفي المحترف ـ جون هوهنبرج ، ترجمة محمد كمال عبد الرؤوف ـ الدار الدوليـة للنشـر والتوزيع ١٩٩٠ .

ظاءات القرآن ويليه كتاب الفرق بين الظاء والضـاد ـ نظم أحمد بن عمـار المقرئ ، وشـرح إسمـاعيـل بن أحمد التجيبي ، وتأليف سعـد بن علي الزنجاني ، تحقيق وتقديم محمد سعيد المولوي ـ دار الفكر المعـاصر ١٤١١هـ ١٩٩١م .

عشـاء في مطعـم المشتـاقين للأهل ـ آن تايلر ، ترجمة وتقديم د. أمين العيوطي ـ من روائع الأدب الأمريكي المعـاصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١١هـ ١٩٩١ .

عشرة شعراء مقلون ـ الأستاذ الدكتور حاتم صـالح الضـامن ـ جامعة بغداد ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

فهرس الأطروحات والرسـائل ١٩٥٣ ـ ١٩٨٤ ـ الجمعيـة المغربيـة للتأليف والنشر ـ الرباط ١٩٨٧م .

في بيتنـا مدمن ، كيف نمنع الكـارثة ؟ ـ إبراهيم نافع ـ مزكز الأهرام للترجمـة والنشـر ، القـاهرة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

قصـائد من قلم الشـاعر الأمريكي ولاس ستيفـنز ـ ترجمها د. أحمد يعقوب المجدوبة ـ مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

قضـايا دستورية ـ فريد و. فرندلي ، مارتاج هـ. اليوت ، ترجمة وتعليق المستشـار ياقوت العشماوي ـ دار المعـارف ، القـاهرة ١٩٨٨.

القضيـة اللغوية في الجزائر وانتصـار اللغة العربية ـ شحادة الخوري ـ دمشق ١٩٩١ .

كيف تحكم أمريكا – ماكس سكيد مور ، مارشال كارتر وانك ، ترجمة نظمي لوقا ، مراجعة محمد علي ناصف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ .

مدخل إلى النظام التشريعي في الولايات المتحدة – تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني .

المراسل الصحفي ومصادر الأخبار – تأليف هربرت سترنز ، ترجمة سميرة أبو سيف – الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٩٨٩.

المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير – تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة – دار ابن كثير ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

مسؤوليات الصحافة – تأليف روبرت شمول ، ترجمة ألفرد عصفور ، تدقيق وتحرير الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

المطهري العبقري الرسالي دراسة لأفكاره من خلال المؤتمر الدولي الذي عقد في دمشق – المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ١٤١١هـ ١٩٩١م .

مقدمة في الاتصال الجماهيري – جون ر. بيتنر – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ .

المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (انجليزي – فرنسي – عربي) – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

من قضايا اللغة العربية المعاصرة – عدد من الباحثين – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٠ .

نحو التآلف والاتفاق ، بناء علاقات إيجابية – تأليف روجر فيشر وسكوت براون ، ترجمة د. محمد محمود رضوان – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

ندوة تناوب دورات الهطول المطري في منطقة دمشق – جمعية أصدقاء دمشق ، عقدت في المركز الثقافي العربي ، دمشق ٢٠ أيار ١٩٩١ .

نصوص محققة في علوم القرآن الكريم – تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن – جامعة بغداد ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية – بروسترك. ديني ، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران ، مراجعة شويكار محمد زكي – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نظم الإعلام المقارنة – ل. جون مارتن ، أنجو جروفر شودري ، ترجمة علي درويش ، مراجعة د. محمد محمود رضوان – الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩١ .

نوبة حراسة وقصص أخرى – ترجمة وتقديم د. نهاد صليحة – من روائع الأدب الأمريكي المعاصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

الهجرات العربية من الجزيرة إلى الهلال الخصيب – الدكتور حسن حدة – العربي للنشر والطباعة والتوزيع دمشق .

وراء الصفحة الأولى ، نظرة صريحة على صناعة الخبز – تأليف ديفيد إس. برودر ، ترجمة عبد القادر عثمان ، تحرير وتدقيق الدكتور رائد السمرة – مركز الكتب الأردني ١٩٩٠ ،

وقائع نزع السلاح ، الأسلحة التقليدية ، الجهود الرامية إلى الحد منها وتخفيضها – الأمم المتحدة ، ١٩٩١ .

وقائع نزع السلاح ، التسلح ونزع السلاح ، أسئلة وأجوبة – الأمم المتحدة ١٩٩٠ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	من ٢٩١ إلى ٣٠٦	١٩٩٢	سورية
البطريركية	١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢	١٩٩٢	سورية
بناة الأجيال	١١	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٤ ، ٤٥	٩١ ، ١٩٩٢	سورية
التعريب	٢	١٩٩١	سورية
الثقافة	كانون ثاني ، شباط ، آذار	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٤٩ ـ ٥٠	١٩٩١	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ١ ـ ٩	١٩٩٢	سورية
جامعة البعث	٨	١٩٩٠	سورية
جامعة دمشق	٢٧	١٩٩٢	سورية
الحياة المسرحية	٣٧	١٩٩١	سورية
صوت فلسطين	٢٨٧ ـ ٢٨٩	٩١ ـ ١٩٩٢	سورية
الضاد	٩ ـ ١٢	٩١ ـ ١٩٩٢	سورية
طب الفم	٣	١٩٩١	سورية
عالم الذرة	١٥ ، ١٦	١٩٩١	سورية
المعرفة	٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٣	١٩٩١	سورية
نهج الإسلام	٤٦	١٩٩٢	سورية

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الإصدار	المصدر
آفاق علمية	٣٤	١٩٩١	الأردن
دراسات	٤	١٩٩٠	الأردن
المجلة العربية للتربية	١	١٩٩١	الأردن
تعليم الجماهير	٣٨	١٩٩١	تونس
الحياة الثقافية	٩٢	١٩٩١	تونس
المجلة العربية للثقافة	١٨ ، ١٩	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للعلوم	١٦	١٩٩٠	تونس
المجلة العربية للمعلومات	١٢/١	١٩٩١	تونس
الدارة	٣	١٩٩١	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢	١٩٨٩	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢	١٩٩٠	السعودية
حولية كلية الإنسانيات	١٣	١٩٩٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٤	١٩٩٠	الكويت
دراسات فلسطينية	٨	١٩٩١	لبنان
الشراع	من ٥٠٤ ــ ٥١٨	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٦	١٩٩١	لبنان
الموسم	٩ ، ١٠	١٩٩١	لبنان
الدعوة الإسلامية	٨	١٩٩١	ليبيا
حولية كلية دار العلوم	١٣ ، ١٤	١٩٩١	مصر
الإرشاد	١ ، ٢	١٩٩١	المغرب
دعوة الحق	٢٨٥ ، ٢٨٦	١٩٩٠	المغرب
اللسان العربي	٣٤	١٩٩٠	المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية	١٦	١٩٩١	المغرب
الوحدة	٨٦ ، ٨٧	١٩٩١	المغرب
العلم والتكنولوجيا	١٠ ، ١١	١٩٩١	بريطانيا
ثقافة الهند	١	١٩٩١	الهند

جـ ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء المحاسني

I – Books:

– The World Almanac and book of Facts, 1992. – New York, 1992.

– Yearbook of socio Economic Indicators of the OIC Member countries, 1989.

– Statistical sources and Methods, vol. 6: Household Income and expenditure surveys/by International Labour Office, Geneve, 1992.

– Disarmament, Topical papers,/by u.n., vols.,5,6,7, New York 1991.

– Statistical yearbook, 1991/by Unesco. – Paris, 1991.

– The United Nations Disarmament Yearbook 1990, Vol.15, U.S.A, 1991.

– Promises, Heritage and Peace/by Sami K. Hamarneh. – U.S.A, 1986.

– Ibn Al – Quff's writing on Hygienic Regulations and the preservation of Health/by Sami k. Hamarneh. – U.S.A,

– Proceedings of the Symposium on Bilad al – Sham during the Byzentine Period, Nov. 15 – 19, 1983/ed. by Muhammad Adnan Bakhit and Muhammad Asfour. – Amman, 1986.

– Ibn Al – Quff's contributions to Arab – Islamic Medical Sciences/by Sami K. Hamarneh. – Off – Print of (Hamdard quarterly Journal of Science and Medicine Vol. XXXIV, No. I, 1991.

– Nutritions and Dietetics in Ibn Al – Quff Al – Karaki's writing/by Sami k. Hamarneh. – Vol. XXXIII, No.4, 1990 (Off – Print of Hamdard Quarterly Journal of Science and Medicine.

2 – PERIODICALS:

– Names, Journal of the American Name Society, vol.39, Nos. 1,2,1991, Published by univ. of south Dakota, American Name society newyork.

– ABN Correspondence, vol. XLII, Nov – Dec. 1991.

– Law and State, A Biannual collection of recent German contributions

to these fields, ed. by: Institute for Scientific co – operation, Tubingen, vol.44, 1991.

– Muslim Education quarterly, U.K., winter issue, vol. 8, No. 2, 1991.

– The Middle East Journal, publ. by Middle East Institute, Washington, Vol. 45, Autumn, 1991.

– Awraq, Estudios sobre el mundo árabe e Islámico contemporáneo, publ. by: Instituto de cooperacion con el Mundo Arabe, Madrid, vol. XI (1990).

– East Asian Review, publ. by: The Institute for East Asian Studies, Seoul, Korea, vol. III, No. 4, Winter 1991.

– Le Muséon, Revue D'Etudes Orientales, Louvain – la – Neuve (Belgique). Tome 104 – Fasc.3 – 4, 1991.

– Disarmament, publ. by: U.N, vol.XIV, No. 4, 1991.

– The Muslim World, publ. by: The Duncan Black Macdonald center at Hartford seminary, U.S.A, vol. LXXXI, NO; 2, April, 1991.

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٢٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء ج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعه د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

المحرم ١٤١٣ هـ
تموز (يوليو) ١٩٩٢ م

مطبعة الصباح

دمشق ـ هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (٢٠٠٠)

الشاعر يَعْلَى الشَّكْرِيُّ الأَزدي

لا (اليشكري) ولا (الكندي)

الأستاذ حمد الجاسر

لفت نظري وأنا أطالع ما نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مما كتبه الدكتور مصطفى الحدري (م٦٦ ص٧٦٠ وما بعده جزء ربيع الأول ١٤١٢هـ) عن ملاحظاته على كتاب أشعار اللصوص وأخبارهم للأستاذ عبد المعين الملوحي – لفت نظري ما مرَّ عرضاً عن يعلى الأَحول الأَزْدي ، وكون ياقوت دعاه الأحولَ (الكنديُّ) في رسم (طَهَيان) من معجم البلدان ، لفت نظري هذا إلى ما سبق أن قرأته في مصادر كثيرة من نسبة يعلى هذا إلى (يَشْكُر) .

وكنت قد كتبت عنه كلمة في مجلة « العرب »[1] نبهت فيها إلى خطأ هذه النسبة ، وأن الشاعر (شَكْرِيٌّ) لَيْسَ (يَشْكُرِيّاً) كما أوضحت هذا عند ذكره حين تحدثت عن بلاد قبيلته من السَّرَاة أثناء زيارتها سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) في كتاب : (في سراة غامد وزهران)[2] .

ولقد أدركت أن ما كتبته في هذا الكتاب وفي مجلة « العرب » ليس من الرواج بالدرجة التي تمكِّنُ أكثَر الباحثين من الاطلاع عليه ، ومن هنا

---

(١) س٣ ص١٨٣ وما بعدها (ج٢/شعبان ١٣٨٨هـ – تشرين الثاني ١٩٦٨م) .

(٢) ص٤٦٥ – ٤٦٩ .

كان ما ورد عن ياقوت من الحوافز التي دفعتني لكتابة كلمة مفصلة عن نسب هذا الشاعر بعد أنْ أُشِيرَ إلى ما اطلعت عليه فيما بين يدي من المصادر حوله .

لعل من أقدم المصادر في ذالك ما جاء في كتاب « الأغاني »[٣] ونصه : (يعلى الأحولُ بن مسلم بن أبي قَيْسٍ ، أحد بني يشكر بن عَمْرِو بن رالان ، ورالان هو يشكر ، ويشكر لقبٌ لُقّب به ، ابن عمران بن عمرو بن عدِيٍّ بن حارثة بن لَوْذَانَ بن كهف الظلام – هكذا وجدته بخط المُبَرِّدِ – ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر) .

ثم جاء صاحب خزانة الأدب[٤] فنقل عن الأغاني ما هذا نصه : (يعلى الأحول الأزدي هو ابن مسلم بن أبي قيس ، أحد بني يشكر بن عمرو بن فلان ، وفلان هو يشكر ، ويشكر لقبٌ لُقب به ، ابن عمران بن عَمْرِو بن عَدِيٍّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام) وعلق الأستاذ عبد السلام هارون – رحمه الله – في الهامش : في الأغاني ١١١/١٩[٥] : (ابن رالان ورالان هو يشكر) .

ومثل ما تقدم في مطبوعة دار الكتب المصرية[٦] .

وإذَنْ فكأن الطبعات الثلاث اتفقت في سياق النسب على ما تقدم ، وفيه خَطَآنِ واضحان (يشكر) و(رالان) التي يبدو أنها (فلان) التي وقعت محرفة في كتاب خزانة الأدب .

ثم يأتي الأستاذان الكريمان الدكتور داود سلُّوم والدكتور نوري

(٣) ١٤٢/٢٢ طبعة الثقافة في بيروت .
(٤) ٢٧٧/٥ .
(٥) طبعة الساسي .
(٦) ج٢٢ ص١٤٧ .

حمودي القيسي في كتابهما شخصيات كتاب[٧] الأغاني ، فيوردان النسب كما في كتاب الأغاني من حيث إثبات (يشكر) و(رالان) ، وتكررت كلمة (يشكر) في هذه الصفحة ثلاث مرات .

ويرجع أستاذنا أبو الغيث الزركلي – رحمه الله – في كتاب الأعلام[٨] إلى الأغاني وحماسة ابن الشَّجَري وخزانة الأدب ومجلة المجمع العلمي العربي[٩] بدمشق ، فيسمي الشاعر يعلى بن مسلم بن أبي قيس اليشكري الأزدي .

ولكي يتضح ما وقع فيما تقدم من تصحيف أو تحريف في نسب الشاعر يحسن الرجوع في ذالك إلى أقدم ما بين يدي الباحث من كتب النسب ، ومنها كتاب النسب الكبير لابن الكلبي ، وفيه ما نصه – بعد ذكر نسب بارق[١٠] قال : « وولد عمران بن عدي بن حارثة عَمْراً ، فولد عَمْرٌو وألآنَ ، وهو شَكْرُ ، بطنٌ عظيم بالسَّراة ، لهم عدد وجَلَدٌ ليس بالعراق منهم أحد » .

وجاء في مختصر جمهرة النسب[١١] – والأصل لابن الكلبي بعد ذكر ما هو مماثل لما ورد في كتاب النسب الكبير –: زعم الشَّرْقِيُّ أنه سُمِّيَ شَكْراً لأنه مَرَّ بقومٍ فأعطوه شَكْراً وهو الْحَمَلُ قال : ويقال شَكْرُ هو خزيمة ، وعلق المختصر على هذا في الحاشية : يقال إنَّ شَكْراً – واسمه

---

(٧) ص٢٠٩ .

(٨) ٢٠٤/٨ الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م .

(٩) مج٣٧١/٤٩ .

(١٠) ج٢ ص١٥٤ تحقيق الأستاذ فردوس العظم .

(١١) ص٢٠٩ – مخطوطة راغب باشا الموصوفة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج٢٧ ص٤٠ .

وَأَلاَنُ - بن حَزِيْمَةَ بن أنمار بن إِرَاش بنِ عَمْرِو بن الغوث بن مالك - بتمام ذالك - هو الذي يقال له الآنَ وَألاَنُ بنُ عَمْرِو بن كَهْف الظلم بن عمرو بن عَدِيٍّ بن حارثة بن عَمْرِو مزَيْقِيَاءَ .

وأضاف في الحاشية : أن في بَجِيلة حَزِيمة ، دخل في الأَزْدِ ، يعني ابنَ أَنْمَار بن إراش .

وقد تحدثتُ عن كتاب مختصر الجمهرة هذا في مجلة المجمع العلمي[١٢] العربي بدمشق ، مشيراً إلى جَهْلِ المُخْتصِر - بكسر الصاد - ولكنني اهتديتُ فيما بعد إلى أنه هو المبارك بن يحيى بن المبارك بن مقبل الغسَّاني الحِمْصي (٥٩٧/٦٥٨هـ)[١٣] .

وهذا الكتابُ في مخطوطته الموصوفة المحفوظة في مكتبة راغب باشا في (اصطنبول) على غاية من الدقة والضبط في الكتابة ، بحيث تمنيت أن يصور كما هو ، وألا يطبع بطريقة تنضيد الحروف ، التي تسبب التصحيف والتحريف غالباً .

ولتكن العودة إلى تصحيح اسم (شَكْرٍ) قال في لسان العرب : وبنو شَكْرٍ قبيلة في الأزد ، وفي تاج العروس[١٤] : « و(شَكْر) بالفتح لَقَبُ وألانَ بنِ عَمْرِو ، أبي حَيٍّ بالسراة ، ثم نقل عن البكرِيِّ : ومن قبائل الأزد شَكْر » ، وفي الاشتقاق[١٥] لابن دريد : وقد سمَّت العرب (شَكْراً) .

وفي حاشية مختصر جمهرة النسب[١٦] - من صنيع المختصر

(١٢) المجلد الـ (٢٧ ص٤٠ وما بعدها) سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٢م) .

(١٣) انظر لتفصيل ذالك مجلة العرب س٢١ ص٢٨٩ .

(١٤) رسم (شكر) .

(١٥) ص٣٤٠ .

(١٦) ص٢٠٩ .

المبـارك بن يحيى الحِمْصِيّ – مَا نَصُّـهُ : في فتوح الشـام تأليف هذا ابن الكلبي : أن الطُّفَيْلَ ذَا النُّور قاتل يوم اليرموك الرومَ حتى قُتِلَ ، بعدَ أن قَتَلَ سبعة من الروم وهو يقول :

قَدْ عَلِمَتْ دَوْسٌ وشَكْرٌ تَعْلَمُ

وطُفَيلُ هذا دَوْسِيٌّ من بني سُلَيم بن فَهْم بن غَنْمٍ رهط أبي هريرة .

انتهى

ولكنني رأيتُ الرَّجَزَ منسوباً إلى عمرو بن الطُّفَيْل في كتاب فتوح الشام(١٧) للأزديِّ البغدادي ، ونَصُّ ما في هذا الكتاب : (قال عَمْرُو بنُ الطُّفيـل : يا مَعْشَر الأزد ! لايُؤْتَيَنَّ المسملون مِنْ قِبَلِكُمْ ، وأخذ يضرب بسيفه متقدِّماً عليهم ، وهو يقول :

قَدْ عَـلِمَتْ دَوْسٌ وشَـكْـرٌ تَعْـلَمُ أَنِي إِذَا الأَبْيَـضُ يَـوْمـاً مُظْـلِمُ
وَعَـرَّدَ النِّـكْسُ وَفَـرَّ الأَيْهَـمُ أَنِّي عفْـرٌ فِي الْوِقَـاعِ ضَيْغَـمُ

وقاتل قتـالاً شـديداً وقتَـلَ من أَشِـدَّائهم تسعـةً ، ثم قُتِل – رحمه الله –) .

فيما تقدم أوضح دليل على أن (يشكر) تصحيف (شَكْر) وأن الشاعر (شَكْرِيٌّ) ينسب إلى شَكْرٍ لَقَبِ أحدِ أُجداده ؛ لا (يشكر) .

أما الاسم الوارد في سياق نسب الشاعر بكونه اسم شَكْر ، وهو كما ورد مصحفـاً (رالان) في الأغـاني ، و(فـلان) في الخزانـة ، فصـوابه

(١٧) ص٢٥ مطبعة سجل العرب في القاهرة سنة ١٩٧٠م . [طبع كتاب فتوح الشام طبعته الأولى في كلكتا سنة ١٨٥٤م . وجاء على صفحة الغلاف : كتاب فتوح الشام لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري صححه ولم ناسو ليس الايرلندي . وقد ورد رجز عمرو بن الطفيل الدوسي الأزدي في الصفحة ٢٠١ ، ورجّح (ليس) أن يكون المؤلف من رجال القرن الثاني الهجري ، توفي نحو سنة ١٧٨هـ/المجلة] .

(وَأْلاَن) بعـد الواو همزة مفتـوحة فلام ألف فنون ، كما ورد في مخطوطة كتاب : مختصر جمهرة النسب ، والْكَلِمَةُ مَضْبُوطةٌ ضبطاً تامّاً ، وفي تاج العـروس[١٨] قال ابنُ حَبِيب : وأْلاَنُ لقب شَكْرِ بن عَمْرِو بن عِمران بن عديٍّ بن حارثة ، وقال ابنُ السِّيْرَافِيِّ : هو من وَأْلَ .

ويأتي إيضاحُ الخَطَأ في وصف يعلى الشَّكْرِي بـ (الكِنْدي) الوارد في معجم البلدان ونصه : (طَهَيَانُ – وبعد إيراد المعنى اللغوي –: والطَّهَيَانُ اسْمُ قُلَّةِ جَبَلٍ بعينه ، قال نصرٌ : باليمن ، أنشَدَ الباهِلِيُّ للأحول الكِنْدِيِّ :

لَيْتَ لَنَـا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَـرْبَـةً مُبَـرَّدَةً بَـاتَتْ عَـلَى طَهَـيَـانِ

يبدو أَنَّ مصـدَرَ ياقوت عن الطهَيـان كتـابان ، كتـاب نصر بن عبد الرحمن الاسكندري : الأمكنة والمياه والجبال والآثار ، وهذا بين أيدي الباحثين ، ونصُّ ما فيه في باب المفردات من حرف الطاء : (الطَّهَيَانُ جَبَلٌ باليمن) . انتهى .

والمصدر الثاني الذي ورد فيه قول الباهلي هو فيما يَبْدُو لي كتاب « تهذيب اللغة » للأزهري ، فياقوت كَثِيرُ النَّقْلِ عنه مصرحاً باسمه وغير مصرح ، ومن هذا الكتـاب نقل النصَّ الذي ورد في معجم البلدان من وصف الأحول بـ (الْكِنْدِيِّ) كما نقله الصاغاني في كتابيه العُبَاب ، رسم (بَرَد) والتكملة ، رسم (طها) وبعده جاء صاحبا لسان العرب وتاج العروس فنقلاه في رسم (طها) ، ولما أورد صاحب خزانة[١٩] الأدب كلام الصاغاني في العباب أضاف : وهذا خِلاَفُ ما عليه الرواة فإنهم قالوا : إنَّ البيت : (فـليت لنـا مِنْ ماءِ زمزم) آخر القصيدة ليعلى الأَزْدِي . إِذَنْ فوصف الأحولِ بـ (الكنديِّ) مصـدره الباهلي ، والباهليُّ هو أبو نصر

(١٨) رسم (وأل) .

(١٩) ٩/٤٥٣ .

أحمد بن حاتم ، المتوفى سنة ٢٣١هـ ، صاحبُ الأَصْمَعيِّ ، وراوي كتبه ، وقد ذكره الأزهريُّ في كتابه[٢٠] ، ممن روى عنهم ، ومن مؤلفاته كتاب المعاني أو أبيات المعاني لا يزال مجهولاً ، ولعل نسبة الأحول إلى كندة وقعت في هذا الكتاب ، وعنه نقل الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهر الهرويُّ (٢٨٢/٣٧٠هـ) وعن كتاب الأزهريِّ نقل من جاء بعده .

ومهما يكن فيعلى الأَحْوَلُ شَكْرِيٌّ أُزْدِيٌّ كما تقدَّم ، ولو لم يَرد البيتُ في قصيدة مشهورة له لجاز القولُ بِأَنَّ الْمَعْنِيَّ بقول الباهلي أَحَدُ حُولان كندة من الشعراء ، إذ من الممكن أن لا يختص الوصفُ (الأحول) بواحد ، ولكن ما دام البيت من شعر الأحول الأزدي ، وقد اتضحت نسبته ، فإن أقرب احتمال لوقوع كلمة (الكندي) في نسبته التَّصْحِيْفُ ، وما أسهل تصحيف (الشَّكْرِي) بـ (الكندِي) وهذا يدركه كل من تعمق في صور الحروف العربية ، فقد تكتب السين بدون أسنان ، فيظنها الكاتب لاماً ، وقد توضع فوق الكاف علامة السكون ، فيتخيلها نقطة ، ويبدو تقويس الراء مشابهاً للدال .

ويحسن أن نشير إلى موطن (شَكْرٍ) هاؤلاء لكي نتوسَّمَ مَواقِعَ بعضِ ما ورد من المواضع في شعره .

لَقَدْ أوضح الهمدانيُّ أن بني شَكْرٍ هاؤلاء من سكان السَّراة ، سَراةِ الحجاز ، الواقعة جنوب شرق الطائف ، فقال في كتاب « صفة جزيرة العرب » بعد أن ذكر سراة عَنْز ، وسراة الحَجْرِ قال : (ثم سراة ناه (؟) من الأزد ، وبنو الْقَرْنِ وبنو خالد نجدُهُمْ خَثْعَمُ ، وغورُهُمْ قبائل من الأزد ، ثم سراةُ الْحَالِ لِشَكْرٍ ، نَجْدُهُمْ خَثْعَمُ ، وغَوْرُهُمْ قبائل من الأَسْد بن

(٢٠) تهذيب اللغة ١٥/١ .

عمران)[٢١] وقال في موضع آخر : (ثم قطع بين الحَجْرِ وبين بلد شَكْرٍ بطنان من خَثْعَم يقال لهما ألوس والْفَزَع ، فقطعتاه إلى تهامة ، وسَعْد الهماهم نِزَارِيَّةٌ ، ثم بلَدُ شَكْرٍ سَرَوِيٌّ ، ثم غَامِد ، ثم بلد النَّمِر ، ثم بلد دَوْسٍ ، من وراء ذالك بلد بَجِيلة)[٢٢] . وفي موضع ثالث في كلامه على الأزد قال : (وأما من سكن السَّرَوَاتِ فَالْحَجْرُ بن الْهِنْوِ ، ولِهْبٌ وناه (؟) وغامِد ، ومن دَوْسٍ وشَكْرٍ وبارق السوداء)[٢٣] .

ولا تزال بعضُ هذه القبائل التي ذكر الهمداني معروفةً تحل السراة ، متجاورة من شرق الطائف حتى نهاية السراة ، سراة جَنْب (عَبِيْدَةَ الآن) فَالْحَجْرُ – وهم بنو الأَحْمَرِ وبنو الأَسْمَر وبنو شِهْرٍ وإخوانهم – بلادهم من السراة غرب بلاد عَسِير ، وخَثْعَمُ التي تقطع بلادهم بين بلاد الْحَجْرِ وبلادِ شَكْرٍ لا يزالون معروفين ، وكذا الحال بالنسبة إلى منازلهم الآن ، فهي فاصلة بين بلاد الحَجْرِ ومن يليهم وهم غامدٌ الآن ، أي أن بلاد شَكْرٍ كانت تقع مجاورةً لبلاد غامِدٍ من ناحية الجنوب ، ويقع جنوب بلاد شكر بعضُ بطون من خَثْعَم ، ومن بني الْقَرْنِ ، جنوباً شرقياً .

ولا يزال الأمر كذالك بالنسبة لسكان السروات الذين لا تزال أسماؤهم معروفة ، كبني الْقَرْنِ والْحَجْرِ والْفَزَعِ من خَثْعَمَ وغامِدٍ ، وغيرهم .

وقد نلمحُ بينَ أسماءِ المواضع الواردة في شعر يعلى الشكري مَا لاَ يزال باقياً ومعروفاً في سراة قومه ، ومن ذالك :

١ – شَدَوَانِ : في قوله :

(٢١) ص١١٩ طبع دار اليمامة .

(٢٢) ص٢٧٢ .

(٢٣) ص٣٧٤ .

أرقتُ لِبَـرْقٍ دونـه شَدَوانِ يَمَـانٍ وأَهْوَى الْبَرْقَ كُلُّ يَمَـان

ودعك من رواية البيت وشرحه الوارد في الأغاني ، مطبوعة دار الكتب المصرية[٢٤] حيث ورد : (شذوان) وفي الهامش : (شذوان تثنية شذا : شجر تتخذ منه المساويك) وكذا ما نسب الاستاذ عبد المعين الملوحي إلى البغدادي أنه قال : شدوان موضع كان فيه حبس الشاعر[٢٥] ، كيف هذا وفي القصيدة :

فبتُّ لَدَى البيتِ العَتِيقِ أُرِيغُـهُ وَمِطْـوَايَ مُشْتَـاقَانِ لَهْ أَرِقَـانِ

وأُريغه : هي بمعنى أُخيله ، في الرواية الأخرى ، فكيف يخيل برقاً يمانياً وهو محبوس بموقعه ؟ ، والبغدادي قال : شَدَوان – بفتح الشين المعجمة والدال – قال أبو عبيد في « المعجم » : هو موضع ذكره أبو بكر[٢٦] .

إنَّ شَدَوَيْنِ في قول الشاعر جَبَلاَنِ لا يزالانِ معروفَيْنِ ، بقرب سَراةِ بني شَكْرٍ التي سبق تحديدها ، إذا أَطَلَّ الناظرُ من المُرْتَفِع من قُلَلِهَا نحو الغرب شاهدَ جبلي شَدَوَيْنِ بَارِزَيْنِ في تِهامة ، يشاهدُهُما رأْيَ العين ، وهما جبلان كبيران ، فيهما سفوح واسعة ، لا تزال مأهولة بسكان من قبيلتي غامد وزهران ، اللتين تطل سراتهما على هذين الجبلين ، وتمتدُّ بلادهما لتشمل بلاداً تِهاميةً حولهما ، ويُدْعَى أعلى الجبلين (شدَا الأَعْلَى) وفي قراه الصغيرة فخذ (الحنشا) من قبيلة زهران ، وبنو الحويرث من بني عبد الله من غامد ، وفي قمة شدا الأعلى مكان يدعى (مصلى إبراهيم) يقال : إنه منسوب إلى إبراهيم بن أدهم الزاهد المعروف كما نسب إليه جبل

(٢٤) ج٢٢ ص١٤٦ .
(٢٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق – مج الـ (٤٩ ص٣٧٩) .
(٢٦) خزانة الأدب ٥/٢٧٦ .

إبراهيم في بلاد بني[٢٧] مالك ، وشـدا الثـاني هو (شَـدَا الأَسْفَل) ويقع جنوب (شَدَا الأَعْلَى) ، يفصل بين الجبلين وادي الحُوا ، بضم الحاء من روافد وادي الأَحْسَبَةِ المشهور ، ويسكن في سفوح شدا الأسفل فخذ من بني الحويرث من قبيلة بني عبد الله من غامد ، وغيرهم .

(وجبـلا شَـدَا يقعان بقرب خط العرض : ٤٥'/١٩° ، وبقرب خط الطول : ٥٠'/٤١°) .

٢ ـ حَلْيَةُ : وقال :

وَلَيْتَ لَنَـــا بِـالجَوْزِ واللَّوْزِ غِيْـلَةً جَنَـاهَا لَنَـا مِنْ بَطْنِ حَلْيَةُ جَانِي
وَلَيْتَ لَنَـا بِالدِّيْكِ مُكَّـاءَ رَوْضَـةٍ عَـلَى فَنَنٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَـةَ دَانِي

وكما تمنى الشـاعرُ أن قِلاَصه وخدَتْ به في وادٍ يمان ، وكل ما هو جنوب الكعبة فهو يَمَانٍ ـ فقد تمَنَّى ثمر أراك وادِي حَلْية ، وهذا الوادي من أعْظـم الأَوْدية التي تخترق تِهـامة ، أعاليه تنحدر من سَراة الأزد ، غامدٍ وزهرانَ وشَكْرٍ ، وقول بعض شراح البيت : حلية أَجَمَةٌ في اليمن ، لا ينطبق على الحقيقـة ، فَحَلْيَةُ وادٍ ذُو آجَامٍ كثيرة ، وهو من أشهر أودية تهامة ، ينحدر من السراة من سفوح جبل إبراهيم (بَثْرَة) .

ومن الجبـال الواقعـة بقرب حَجْرَةِ دَوْسٍ ، بقرب خط العرض ٠٠/٢٠° حتى ينتهي إلى البحر عند خط العرض ٥٥'/١٩° ، ويقع فيما بين خطي الطول :٤٥'/٤٠° ،و٣٠'/٤٠° ،والشـاعر يعلى الشكرِيُّ خبير بهذا الوادي التهامي القريب من بلاد قومه كمعرفته بجبلي (شَدَوَيْنِ) التِّهَامِيَّيْنِ لوقوع بلاد قومه في تلك الجهات .

٣ ـ حُزْنَةُ : وقال :

---

(٢٧) انظر عنه العرب س٢٢ ص٢٨٣ .

وَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ حُزْنَةَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

كذا جاء في رواية صاحب الأغاني ، أما الرواية الأخرى (فليت لنا من ماء زمزم) فالشاعر يريد بدلاً من ماء زمزم ، أما على ما في رواية صاحب الأغاني فهو يتمنّى شربة من ماء حُزْنَةَ ، و(من) للتبعيض ، قال ياقوت في معجم البلدان : حُزْنَةُ – بالضم ثم السكون ونون –: جبل في ديار شَكْرٍ إِخْوَةِ بارِقٍ من الأَزْد باليمن . انتهى

وهذا صحيح وهو يقصد باليمن الجهة الجنوبية من الكعبة ، فحُزْنَةُ جبل مستدير أسود ، يطلُّ على بلدة (بَلْجُرَشِيٍّ) في الجنوب الغربي منها ، والاسم يطلق أيضاً على وادٍ تسيل فروعه من هذا الجبل وما حوله ، والجبل والوادي واقعان فيما يعرف قديماً بـ (سراة شَكْرٍ) ، وفي سفح هذا الجبل الشرقي على ضَفَّةِ وادي حُزْنَة قرية كبيرة تسمى حُزْنَة أيضاً ، سكانها من قبيلة غامد من (بَلْجُرَشِي) ويقع جبل حُزْنَةَ والوادي أسفله بقرب خط العرض ٥٠ʹ/٢١° ، وخط الطول ٣٣ʹ/٤١° جنوب مدينة بَلْجُرَشِي .

ولا أستبعد أن حُزنَة هذه تصحفت (حذمة) على أبي عبيد البكري ، فوردت في كتابه معجم ما استعجم ، رسم (جنفاء) وهو يتحدث عن بلاد فزارة ، وبلاد هاؤلاء جنوب الجزيرة فقال : ثم نزلنا حذمة وهي في أصل طَهَيان ، وطهيان : جبل قال الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان

يريد بدلاً من ماء زمزم ... ، ولقد أبعد النجعة – رحمه الله – هو أو من روى عنه .

ولا أستبعد أن يكون الطَّهَيَان الجبل هو ما يعرف الآن باسم جبل (حُزْنَةَ) ، فمن عادة العامة أن يُغَيِّرُوا الاسم الذي يصعب عليهم نطقه ،

أو لا يفهمون معناه ، ولكن لا شك أن ما ذكره البكري بعيد عن موطن الشاعر الواقع في جنوب الجزيرة .

٤ ـ الشَّرَى وقال يعلى :

جَرَى مِنْهُ أَطْرَافُ الشَّرَى فَمُشَيَّعٌ فَـأُبْيَـانُ فَـالْحَيَّـان منْ دَمِرَانِ

هذا الشَّرَى وادٍ لا يزال معروفاً ، يقع حدّاً بين بلاد غامد وبين بلاد خَثْعَم ـ أي في حد سراة شَكْرٍ قديماً ـ تنحدر سفوحه من جبل أَثْرُب الشرقي الجنوبي ، ويمتد حتى يتصل بوادي شُوَاصٍ ، أحدِ روافد وادِي رَنْيَةَ

ويقع وادي الشَّرَى بقرب خط الطول : ٥٨'/٤١° وبقرب خط العرض : ١٥'/١٩° .

تلك مواضع أربعة سماها الشاعر متشوقاً إليها ، ولا شك أنها من البلاد التي أَلِفها وعَرَفها فهي واقعة في سراة قومه وبقربها ، ومن هنا يمكن القول إن المواضع التي ذكرها الشاعر في قصديته تلك كلها واقعة في تلك الجهة من السراة في جنوب الجزيرة ، منها ما قد يكون معروفاً في عهدنا هذا ، ولكن لم تَجْرِ دارسةٌ شاملةٌ دقيقةٌ لجميع المواضع الواقعة في تلك المنطقة ، ومنها ما قد تغير اسمه ، إما لغرابة ذالك الاسم ، أو لدروس موضعه إذا لم يكن ذا صلة بما يستفيد منه السكان ، بحيث يبقى الاسم متوارثاً بينهم . وان ما ورد في كتب المتقدمين أو المتأخرين مما لا يتفق مع هذا التحديد ليس صحيحاً ، وأكتفي بهذا عن ذكر أمثلة من ذالك .

وأشير في ختام هذه الكلمة إلى ما قد يخطر في ذهن القارئ عن قبيلة شَكْر وهل لا تزال باقية ؟ والذي ظهر لي أنها وقد سبق ذكر الاختلاف في أصلها ، والقول بأنها من بَجِيلة ، ثم دخلت في الأزد ، ومثل

هذا يضعف منزلتها بين من انتسبت إليهم بالحلف أو الجوار ، وهم أُزدُ السَّرَاة زهران وغامد ، فقد كانت في صدر الإسلام – على ما يفهم من رجز الدوسي –، تشارك قبيلة دَوْس الزهرانية ، ثم نراها مجاورة لقبيلة غامد من الناحية الجنوبية – على ما ذكر الهمداني وهو من أهل القرن الرابع – وليس من المستبعد أن تكون دخلتْ في هذه القبيلة ، فأصبحت من قبائل (بَلْجُرَشِي) الغامدية ، كما دخلت قبيلة لِهْبِ الأزدية بسبب الجوار والنسب ، وأستأنسُ لهذا بأن بجوار قاعدة بَلْجُرَشِي وادياً يبعد عنها نحو ثلاثة أميال ، يدعى وادي (شَكْرَانَ) ، لا أستبعد أن يكون هذا الوادي مسمى باسم قبيلة شَكْرٍ ، وكثيراً ما تلحق العامة الألف والنون بالأسماء ، والمتتبع لدراسة تاريخ القبائل العربية يدرك أن كثيراً من فروع القبيلة قد تطغى شهرته ومكانته فتنضم إليه فروع أخرى من القبيلة بالنسب أو الحلف أو الجوار .

ولا يتسع المقام للتفصيل .

الرشاطي الأندلسي

الأستاذ عبد القادر زمامة

كانت الحاجة وما تزال ماسّة في المباحث الراجعة إلى اللغة والتاريخ والجغرافية والحديث والفقه والأدب والحضارة وغيرها من العلوم الإسلامية ، إلى تصحيح وبيان « المؤتلف والمختلف » من الأعلام والألقاب والأنساب والكنى وما إلى ذلك .

فالباحثون والدارسون والرواة والرحّالون منذ العهد الأول لتدوين العلوم الإسلامية ، أدبية وشرعية ، أوْلَوا الموضوع جانباً كبيراً من اهتماماتهم ، وتسابقوا إلى تدوين هذا الرصيد من المؤلفات التي تتسع مجالاتها تارةً وتضيق تارةً أخرى . وهي في اتساعها وضيقها وتخصيصها وتعميمها واختلاف مناهجها في التناول والترتيب تُصَنَّفُ – في الغالب – داخل إطارين هما :

– **كتب الأنساب .**

– **وكتب المؤتلف والمختلف .**

ولا حاجة هنا إلى التنصيص على أننا نجد من مؤلفي كتب **الأنساب والمؤتلف والمختلف** المؤرّخ ، والمحدِّث ، والفقيه ، واللغويّ ، والأديب ، والرحّالة ، وغيرهم ، من أهل المشرق والأندلس والمغرب في عصور مختلفة .

كما أنه لا حاجة هنا إلى التنصيص على أن عدداً لا يُستهان به من رصيد اللغة العربية في هذا الموضوع قد عرف طريقه إلى النور ، طبعاً وتحقيقاً ودراسة ورواجاً في هذا العصر .

إلا أننا نعلم أن هناك أيضاً عدداً لا يُسْتهان به من هذا الرصيد الثمين المفيد ما يزال — كلياً أو جزئياً — في عالم الخزائن ، مجتمعاً أو متفرقاً ترفعه رافعة ، وتخفضه خافضة .

ومن جملة ذلك كتاب :

— **اقتباس الأنوار والتماس الأزهار من أنساب الصحابة ورواة الآثار** ، لمؤلفه أبي محمد عبد الله الرُّشاطي الأندلسي ، لهذا وجدت نفسي مندفعة إلى كتابة هذا المقال الموجز ، أتحدث فيه عن هذا المؤلِّف الأندلسي وعن كتابه المذكور .

هناك معالم من ترجمة **الرُّشاطي** فيه عدة مصادر ، أندلسية ومشرقية ، من أهمها كتاب « **معجم أصحاب أبي علي الصَّدَفي** » الذي ألفه المؤرخ البلنسي أبو عبد الله ابن الأبَّار القضاعي (٦٥٨هـ = ١٢٦٠م)[1] .

ومن ترجمته هناك نستفيد اسمه ، ونسبه ، وميلاده ، وبعض شيوخه ، وبعض تلاميذه ، وبعض الغمرات العلمية التي خاضها مع معاصريه .

فهو عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي الحافظ النسَّابة من أهل مدينة **أوريولة** ، وُلد بها في سنة (٤٦٦هـ = ١٠٧٣م) وانتقل صغيراً مع أسرته إلى مدينة **المرية** وهو ابن ستة أعوام .

(١) المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي : ٢١٧ – ٢٢٢ (ط. مدريد ١٨٨٥م) .

أما والده علي فقد كان من أهل الفضل والعلم ، وهو من أصحاب أبي الوليد الباجي الفقيه القاضي الأندلسي الشهير (٤٧٤هـ = ١٠٨١م) انتقل بأسرته إلى المرية في نحو سنة (٤٧٢هـ = ١٠٧٩م) أواخر عهد ملوك الطوائف .

وقد كتب له ترجمة قصيرة المؤرخ الحافظ محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه **الذيل والتكملة** كما كتب أيضاً ترجمة قصيرة لنجل مؤلفنا **الرُّشاطي** المسمَّى علياً[2] .

وهكذا يكون أبو محمد الرشاطي ولد بأوريولة ، وانتقل صغيراً إلى المرية . وبها نشأ وتعلم ولازم الأساتذة ، ومنها انتقل إلى مدن أندلسية أخرى بحثاً عن شيوخ المعرفة وأعلامها على عادةِ الأندلسيين .

وفي حدود المعلومات التي نتوفر عليها الآن من معالم ترجمة الرشاطي لا نعلم أنه قام برحلة خارج الأندلس ، لا إلى المشرق ولا إلى المغرب .

وكل ما نعلم أنه كان من الشخصيات العلمية البارزة في مدينة المرية ، على عهد دولة المرابطين التي كانت تحكم الأندلس في ذلك العصر ، وأنه كان مشهوراً ببعده عن صراعات عصره ، إلا أن ذلك لم يمنعه – وهو الخبير بأحوال بلاده – من أن يشيد بما قامت به دولة المرابطين من تحصينات وغزوات ، وما كان يقوم بها رجالها في الأندلس ، وما يحققونه من إنجازات أكسبتهم – كما يقول الرشاطي – احتراماً وهيبة وتقديراً داخل الأندلس وخارجها .

ولقد كتب الرشاطي في مادة « المرية » فقرات تفيض حيوية وتقديرا وتنويهاً بأعمال أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وما ظهر منها في ثغر

(٢) الذيل والتكملة ١/٥ : ٢٣٤ (ط. بيروت ١٩٦٥م) .

المرية على الخصوص قائلاً :

« وهي الآن في سنة سبع وعشرين وخمسمائة أعمر دار في الدنيا ، متخذة لهذا الشأن ، فيها من الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط » .

ومن أشهر شيوخ الرشاطي في الأندلس :

ـ أبو علي الصدفي القاضي الشهيد المعروف بابن سُكَّرة ٥١٤هـ ١١٢٠م .

ـ أبو علي الغساني المحدث الشهير المعروف بالجياني ٤٩٨هـ ١١٠٥م .

ـ أبو بكر بن العربي المعافري دفين فاس ٥٤٣هـ ١١٤٨م .

ومن أشهر تلامذته :

ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي المعروف بابن قرقول ٥٦٩هـ ١١٧٣م.

ـ أبو بكر محمد بن خير الأموي صاحب الفهرسة الشهيرة ٥٧٥هـ ١١٧٩م .

ـ أبو القاسم ابن بشكوال صاحب الصلة ٥٧٨هـ ١١٨٢م .

وكتب هذا الأخير لأستاذه الرُّشاطي ترجمة متوسطة أثنى فيها على كتاب : اقتباس الأنوار[٣] .

والرشاطي في عصره اشتهر بحفظ الحديث وروايته والاهتمام بتراجم الرواة وأنسابهم وأسمائهم وألقابهم وأوطانهم ، وانقطع إلى البحث والتحقيق في

(٣) الصلة ١ : ٢٨٥ (ط. القاهرة ١٩٥٥م) .

ضبط المعالم والأعلام وأعانه على ذلك تضلُّعُه من علوم اللغة والأنساب والتاريخ وجغرافية الأقاليم الشرقية والغربية ، وقد ترجم له الحافظ الذهبي في كتابه : « تذكرة الحفاظ[٤] » باعتباره من حفاظ الحديث المشهورين في الأندلس .

وبطبيعة الحال يكون تأليفه لكتاب : « اقتباس الأنوار » نتيجة لهذا الاهتمام حيث ذلل بعمله هذا كثيراً من الصعوبات أمام تلامذته وأمام رجال العلم والرواية في عصره وأفاد أجيالاً جاءت بعده بقرون ، فاهتمت بكتابه ونقلت عنه الشيء الكثير . وألف الرشاطي كتباً أخرى ذكرها ابن الأبار في ترجمته التي أشرنا إليها سابقاً . لكنه يجدر بنا أن نقف عند واحد منها يلفت الأنظار ، ألفه الرشاطي وهو يخوض غمرة من غمرات الحياة العلمية مع أحد أعلام عصره ، وهو القاضي المفسر عبد الحق بن عطية مؤلف التفسير الشهير : « المحرر الوجيز »٥٤٢هـ١١٤٨م وقد كان ابن عطية قاضياً في مدينة المرية وكان الرشاطي من علمائها الأعلام فحينما ظهر كتاب : « اقتباس الأنوار » واطلع عليه القاضي ابن عطية ، كتب انتقاداً له . يقول ابن الابار[٥] :

« وعابه بأشياء أوردها في تضاعيفه لم يخل فيها من تحامل وتعسف ، كان تركها أولى به » .

ولم يترك الرشاطي هذا « الانتقاد » الذي كتبه القاضي المفسر ابن عطية يمضي في طريقه منفرداً إلى مجالس العلماء ومحافل الباحثين بل إنه ألف كتاباً سماه :

---

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٣٠٧ . ط الهند ١٣٣٤هـ .

(٥) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص٢١٨ .

« إظهار فساد الاعتقاد ببيان سوء الانتقاد » رد فيه على : « انتقاد » ابن عطية . ولا شك أنه كان لكل من القاضي ابن عطية والمحدث الرشاطي من يقف إلى جانبه وينتصر لرأيه .

وهذه غمرة خاضها الرشاطي في حياته العلمية بالمرية لا نعلم الآن الكثير عن تفاصيلها ، باستثناء ما أفادنا به المؤرخ ابن الأبار في ترجمة الرشاطي .

ويأبى القدر إلا أن يودع أبو محمد الرشاطي حياته العلمية الحافلة التي كانت تعطي ثمارها الناضجة في محافل البحث ومجالس الدرس وخلوات الكتابة والمطالعة والتأليف وداع العلماء الأبرار الصالحين الشهداء ، وذلك سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧م عندما دُخلت المرية على أهلها ، بعد حصار شديد ودفاع مستميت .

والباحثون عادة يخوضون في ضبط كلمة : « الرُّشاطي » ويبحثون عن أصلها ، وقد نقل الحافظ ابن عبد الملك المراكشي في كتابه : « الذيل والتكملة » عن كتاب : « اقتباس الأنوار » ما رواه الرشاطي عن عمة والده : « أسماء » في أصل هذه التسمية التي عُرف بها أحد أجداده . وسبب اطلاقها عليه ثم على ذريته من بعده[٦] .

---

(٦) الذيل والتكملة ٨/٢ : ٤٧٨ (تح. د. محمد بن شريفة/ الرباط ١٩٨٤) .
[ويشير الباحث الفاضل إلى ما قاله ابن عبد الملك في الذيل والتكملة وهو : « حكى أبو محمد عبد الله بن علي ... [الرشاطي] في كتابه : اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار نسبته الرشاطي وقال : ونقلته من خطه : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها ، وقد كنت أظن أنها نسبة إلى موضع أو بلد ، فسألت عن ذلك أبي رحمه الله فقال : هذه نسبة قد شهرنا بها نحن وأباؤنا ولا أعلم لها أصلاً ، فسألت عن ذلك « أسماء » عمة أبي رحمهما الله فقالت : إن أحد أجدادنا كانت به في جسمه شامة كبيرة هي التي =

وبالاطلاع على ذلك تُطوى صفحة الظنون الأخطاء والفروض والاحتمالات التي خاض فيها كثير من المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً في أصل هذه التسمية وسجلوا ذلك في مؤلفات ومعاجم وأبحاث معروفة . ومنهم السيوطي الذي يقول : رشاطة بلد بالغرب[٧] .

لأن كلام الرشاطي حجة في الموضوع ولأن ابن عبد الملك نقل ذلك عن كتاب : « اقتباس الأنوار » مباشرة . وقد سبقه المؤرخ ابن خلكان إلى ذلك عند ترجمته للرشاطي في وفيات الأعيان[٨] .

ومن الطريف فيما يرجع لاهتمام رجال المعاجم والموسوعات بالرُّشاطي ، أن يستدرك الشيخ مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ ١٧٩٠م مؤلف تاج العروس اسم الرشاطي على الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط ٨١٧هـ ١٤١٥م ويعاتبه قائلاً :

« وقد أغفله المصنف وهو آكد من كثير من الألفاظ العجمية التي يوردها[٩] » .

وعتاب الزبيدي مُنْصَبٌّ على الفيروزابادي لأنه كان يعرف الرشاطي من خلال آثاره – ولا سيما اقتباس الأنوار – وينقل عنه في عدة مواد لغوية في قاموسه المحيط مشيراً إليه باسمه الخاص – الرشاطي – ومع ذلك لم

= تعرف بالوردة ، ويسميها العجم : رشته ، وكانت له في صغره خادم عجمية تحضنه وتكفله ، فكانت عندما تخدّعه وتلاعبه تقول له : رشطاله ، وكثر ذلك منها حتى غلب عليه ، وقيل رشاطي » وانظر مجلة العرب للأستاذ حمد الجاسر ، س٢٦/ج١١–/، ص٧٢٤–٧٢٥/لجنة المجلة] .

(٧) لب اللباب : ١١٧ .

(٨) وفيات الأعيان ٢ : ٢٩٢ (تح. محيي الدين عبد الحميد) ، [وفيات الأعيان ٣ : ١٠٧ ، تح. د. احسان عباس] .

(٩) تاج العروس (رشط) .

يذكره في البـاب الذي ينبغي أن يذكره فيه ، وهذه وجهة نظر للزبيدي صاحب تاج العروس .

بعد هذه الخطوط العريضة من ترجمة الرشاطي التي قدمناها بايجاز وانتقاء ، نقف أمام مخطوطة : « اقتباس الأنوار » بنفس الطريقة والمنهاج .

لقد حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة منذ القرن السادس الهجري في الأندلس وأقطار المغرب والمشرق . واعتمده اللغويون والمحدثون والمؤرخون والرحالون وغيرهم وقام عدد من الأعلام باختصاره ، ومنهم من كان يسميه تسمية مختصرة فيقول : « الانساب » للرشاطي .

ومن المصادفات التاريخية أن يؤلف أبو سعد عبد الكريم السمعاني المروزي ٥٦٢هـ-١١٦٦م كتابه الشهير : « الأنساب » في نفس العصر وهو على طراز اقتباس الأنوار شكلاً ومضموناً مع بعض الفروق المعروفة .

وبالاستقراء والتتبع لمواد كتاب – الأنساب – يظهر أن السمعاني لم يستفد علمياً من مواد الرشـاطي ، وان كانت وفاته قد تأخرت عن وفاة أبي محمد الرشاطي عشرين سنة .

كما أن السمعاني كان على صلة وثيقة ببعض أهل الأندلس وأقطار المغرب الذين جابوا أقطار المشرق في رحلاتهم العلمية ، ووصلوا إلى مرو ونيسـابور ، وصاحب بعضهم وتبادل معهم الافادة والاستفادة ، وتحدث بذلك مرات في كتاب : « الانساب » في عدة مواد متفرقة منه .

والسمعاني يذكر في كتابه بعض الأنساب الأندلسية والمغربية مثل : الباجي ، والقرطبي ، والبطليوسي ، والسبتي ، والفاسي ، والأغماتي ، إلا أنه لا يستوعب . ولا يطيل النَّفس كما هو الشأن بالنسبة للرشاطي الذي هو عمدة في الأنساب الأندلسية والمغربية .

ولو أنه اطلع على كتاب : اقتباس الأنوار أثناء تأليفه كتاب : الأنساب لما وقع في بعض الشكوك والأخطاء ، مثل قوله عن مدينة تلمسان :

« وظني أنها من نواحي الشام[١٠] » .

وقد عقب المؤرخ عز الدين ابن الأثير ٦٣٠هـ-١٢٣٢م في كتابه : « اللباب في تهذيب الأنساب » على كلام السمعاني فقال :

« ليست تلمسان من نواحي الشام وإنما هي من افريقية بين بجاية وفاس[١١] » .

وتتبعُ المصادر والمؤلفات الأندلسية والمغربية والمشرقية التي اتخذت – اقتباس الأنوار – سنداً لها ومرجعاً تنقل عنه وتستشهد بكلامه ، ليس هدفاً لنا في هذا العرض .

وكذلك تتبع المؤلفات التي قام أصحابها في مختلف العصور باختصار كتاب : « اقتباس الأنوار » ليس هدفاً لنا أيضاً .

ويلفت النظر أن الذين رأوا كتاب : اقتباس الأنوار في صورته الكاملة ذكروا أنه متسع المادة وأن هذه المادة الراجعة إلى الأنساب : شرقية وأندلسية ومغربية مرتبة على الحروف وأن الكتاب يشتمل على ستة أجزاء ضخام كما يقول ابن حجر العسقلاني في كتابه : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه[١٢] » والشيخ مرتضى الزبيدي في تاج العروس[١٣] .

---

(١٠) الأنساب ٣ : ٧١ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١١) اللباب في تهذيب الأنساب ١ : ٢٢٠ (ط. بيروت ١٩٨٠) .

(١٢) انظر مقدمة الكتاب ١ : ٢ (ط. القاهرة ١٩٦٤) ، ٤ : ١٥١٢ .

(١٣) تاج العروس ٥ : ١٤٣ (مادة رشط) .

كما يلفت النظر أن كلاً من أبي الحسن علي الخزاعي كاتب أشغال الدولة المرينية في المغرب ٧٨٩هـ ١٣٨٩م .

وابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ١٤٤٨م الحافظ المشهور .

يجعل كتاب : ـ اقتباس الأنوار ـ مصدراً له .

ـ الأول في كتاب : تخريج الدلالات السمعية[١٤] .

ـ والثاني في كتاب : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .

واستخلاصاً من استقراءات وأبحاث متعددة يظهر أنه ـ حتى الساعة ـ لا يمكننا أن نشير إلى نسخة مخطوطة كاملة معروفة من كتاب : اقتباس الأنوار كالتي كانت بيد المؤلفين المستفيدين منها طوال قرون ، والمؤلفين الذين اختصروا موادها أو هذبوها .

وكل ما يمكن أن نشير إليه الآن مما هو موجود :

١ ـ النقول المتعددة التي بقيت في عدة كتب أندلسية ومغربية ومشرقية وهي شيء كثير .

٢ ـ المختصرات التي منها التام ومنها الناقص .

٣ ـ أقسام من أصل الكتاب يشار إليها عند الباحثين المهتمين بالرشاطي وكتابه . وقد ضاع بعضها من الخزائن التي كانت مقراً لها ، ولا نتتبع ذلك الآن .

---

(١٤) انظر المقدمة والخاتمة من هذا الكتاب (ط. بيروت 1980) . [نشرت دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٨٥ كتاب تخريج الدلالات السمعية بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، وقد عدّد المحقق (ص٨٣٢) المواضع التي ورد فيها النقل عن الرشاطي . وكان أبو الحسن الخزاعي قد ساق في ختام كتابه التواليف التي رجع إليها في كتابه ، فذكر من بينها كتاب اقتباس الأنوار (ص٧٩١)/لجنة المجلة] .

ولا نودع الحديث عن الرشاطي الأندلسي وكتابه دون أن نشير إلى عملين مفيدين منشورين :

– **الأول** : نص نشرته مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد في عددها الرابع عشر سنة ١٩٦٧/ ١٩٦٨م وهو نص لابن الشباط التوزري المصري ٦٨١هـ-١٢٨٢م ساقه في شرحه للقصيدة المعروفة باسم : الشقراطيسية وهي من قصائد المدح النبوي ، واعتمد في ذلك النص على نقول من المختصر الذي كتبه عبد الحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط ٥٨١هـ ١١٨٥م لكتاب : اقتباس الأنوار .

– **الثاني** : كتاب نشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد ١٩٩٠م يشتمل على نصوص من كتاب اقتباس الأنوار ونصوص من اختصاراته اختيرت بعناية ودقة وهي خاصة بالأنساب المتعلقة بالمدن الأندلسية مع تقديم وتحقيق وفهرسة على جانب كبير من التنظيم والإتقان .

مع بيتي الرقمتين أيضاً

الأستاذ عبد القادر زمامة

عرف الزملاء والأصدقاء في أخيهم هذا = ومند سنوات = بحثه في المصادر والمراجع المتعددة عن نسبة عدة آثار شعرية ونثرية إلى أصحابها ، وتحقيق هذه النسبة بما يكفي من الأدلة الممكنة .

وكان من جملة تلك الآثار بيتا الرقمتين الشهيران اللذان يستشهد بهما النحاةُ واللغويون ومؤلفوا كتب البلاغة والبيان ، ويستعملهما بعض المتأدبين من رجال التصوف . وهما :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالِيَ وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكنْ رأيتُ بعينها ورأت بعيني

وكان كثير ممن يستشهد بهما يهمل نسبتهما ، أو ينسبهما إلى عالم المغرب ونابغة سبتة القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، وكان في نفسي من ذلك شيء .

وهذا ما حمل هذا القلم على كتابة بحث في الموضوع انتهى فيه إلى تحقيق نسبة بيتي الرقمتين إلى صاحبهما الحقيقي وهو : أبو البركات المبارك بن أحمد بن موهوب اللخمي الإربلي شرف الدين بن المستوفي ، وزير ملك إربل مظفر الدين كُوكبوري ، وقد توفي ابن المستوفي بالموصل سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٤م) . وله آثار شعرية ونثرية طبع بعضها في هذا العصر .

وكان الفضل في إفادتي بصاحب بيتي الرقمتين يرجع إلى كتيّب اسمه : « كمالُ العطية بإعراب كلمات من العربية » لمؤلفه العالم المغربي المرحوم محمد بن علي دينية الأندلسي الرباطي .

ثم إلى شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) في كتابه : طراز المجالس ، حيث نسبهما إلى ابن المستوفي في المجلس الحادي والعشرين من كتابه المذكور .

ولعله من المفيد أن نذكر هنا بعضَ المصادر والمراجع المتداولة التي نسبت بيتي الرقمتين إلى القاضي عياض . وبعض الباحثين المعاصرين يعتمدون عليها . فمنها :

– المعجم اللغوي الذي ألّفه بطرس البستاني (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) : محيط المحيط ، واختصاره : قطر المحيط ، حيث نسب بيتي الرقمتين في مادة (ر ق م) إلى القاضي عياض .

– المختارات الشعرية المسماة : « نفح الأزهار في منتخبات الأشعار » التي جمعها شاكر البتلوني الحاصباني المتوفى بعد سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م . وقد ذكر البيتين (ص٩) ، ونسبهما إلى القاضي عياض .

– النبوغ المغربي في الأدب العربي لمؤلفه العالم المغربي المرحوم عبد الله كنون ، فقد ذكر البيتين في قسم المنظوم (الجزء الثالث ، ص٦١ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ونسبهما إلى القاضي عياض .

ومن أجل هذا وجب التنبيه .

تعليق

الدكتور شاكر الفحام

١

عُرف الأستاذ عبد القادر زمامة بشدة تنقيره وبحثه عن صاحب بيتي الرقمتين ، وكان مما قام به في هذا الباب أن نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج٤٦ ، ج١٩٧١/٤م) كلمة بيّن فيها الخطوات التي سارها للكشف عن قائل هذين البيتين ، وأشار إلى إغفال المؤلفين السابقين نسبة البيتين إلى قائلهما ، وساق أمثلة لذلك ما جاء في نفح الطيب ، ودرة الحجال ، والمسلك السهل ، والأنيس المطرب . وتشكك في نسبة البيتين إلى القاضي عياض كما جاء في كتاب نفح الأزهار للبتلوني ، وكتاب النبوغ المغربي الذي نقل عنه . ورغب إلى الباحثين أن يفيدوه بما لديهم في نسبة البيتين .

ثم نشرت مجلة المجمع (مج٥٤ ، ج١٩٧٩/٤م) كلمة للأستاذ عبد الإله نبهان ذكر فيها أن الشهاب الخفاجي أورد البيتين في كتابه : طراز المجالس . وكان الشهاب قد قرأهما في ديوان ابن المستوفي الإربلي الذي قالهما بديهة في سنة ٦٠٤هـ ، وعقّب الشهاب الخفاجي مشيراً إلى ما لقيه هذان البيتان من عناية الأدباء واهتمامهم .

وعاد الأستاذ زمامة فنشر في مجلة المناهل (العدد ٣٤/يوليو ١٩٨٦م ، ص٦٩ – ٧٩) مقالته : (مع بيتي الرقمتين وصاحبهما) ، ومما تضمنته أنه عثر في كتاب : « كمال العطية بإعراب كلمات من العربية »

لمحمد بن علي دينية الأندلسي الرباطي على نسبة البيتين إلى ابن المستوفي ، كذلك فقد أشـار إلى كلمة الأستاذ عبد الإله نبهان التي نشرها في مجلة المجمع .

وتأتي كلمـة الأستاذ زمامة هذه (مع بيتي الرقمتين أيضـاً) إكمالاً وتتمة لما سبق أن نشره .

٢

وكنتُ قد علقت في نسختي من مجلة المنـاهل على حاشيـة مقالة الأستاذ زمامة جملةً من الفوائد التي طالعتني في بطون الكتب فرأيت الإشارة إليها :

١ – جاء في كتاب كشف الظنون (١ : ٦٣٥) وهدية العارفين (١ : ١٢٦) أن أحمـد بن محمـد البجـائي (ت ٨٤١هـ) قد صـنف كتاب : حدق المقلتين في شرح بيتي الرقمتين .

٢ – وأشار البارون دو سلان في فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية (ص٧٥٣) إلى مخطوط البجائي : حدق المقلتين .

٣ – وذكر الزركلي في كتابه الأعلام (١ : ٢٢٧) مخطوط البجائي في شرح بيتي الرقمتين ، وأنه يتضمن (٤١) معنى لهما .

٤ – ومن الكتب التي عرضت لتفسير بيتي الرقمتين ، فضلاً عما أورده الأستاذ زمامة (مجلة المجمع ، مج٤٦ ، ص٨٣٠ ـ ٨٣١) :

(١) كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٥ : ٣٥) للمقري ، فقد ساق الخبر نفسه الذي أورده الأستاذ زمامة من كتاب نفح الطيب .

(٢) كتاب المواقف (٢ : ٣١٥) للأمير عبد القادر الجزائري ، في الموقف التسعين بعد المئتين .

(٣) وخلاصة الأثر (١ : ٤٣١) في ترجمة الشيخ أيوب بن أحمد الخلوتي .

(٤) ومعادن الجواهر ونزهة الخواطر (١ : ١٦٣) للعلامة السيد محسن الأمين العاملي . والغريب أن العلامة محسن الأمين العاملي يستفتح البيتين بقوله : « قال ابن المستوفي » ، وكأن موضوع نسبة البيتين إلى صاحبهما على طرف الثمام .

وكان الأستاذ زمامة قد تحدث عن كثرة السائلين والمجيبين عن معنى البيتين ، ورأى ألا مجال لإيراد ذلك (مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، ص٧٢) .

٣

١ – ذكر الأستاذ زمامة أن مؤلف كتاب « كمال العطية » هو محمد بن علي دينية .

وقد وجدتُ الأستاذ الزركلي في الأعلام (٦ : ٣٠٤) وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (١١ : ١٠) يذكران أنه : دنية (بدال تليها نون فياء ...) .

٢ – أورد الأستاذ زمامة أن شاكراً البتلوني توفي بعد سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م . وجاء مثل ذلك في كتاب الأعلام للزركلي (٣ :

١٥٢) ، أما صاحب معجم المؤلفين (٤ : ٢٩٠) فقد ذكر أنه كان حياً سنة ١٨٧٦م .

لم يتح لي أن أحقق تاريخ وفاة البتلوني . ولكني وجدت في مجلة الضياء للشيخ إبراهيم اليازجي (السنة السادسة – الجزء الخامس الصادر في ١٥/١٢/١٩٠٣ ، ص١٥٢) حديثاً عن الطبعة السابعة لكتاب نفح الأزهار في منتخبات الأشعار للمرحوم شاكر البتلوني ، مما يقطع بأن ما جاء في كتاب الأعلام للزركلي بشأن تاريخ وفاته مجانب للصواب .

أما الطبعة الأولى لكتاب نفح الأزهار فقد تمت سنة ١٨٧٨م (مجلة المقتطف ، السنة الثالثة – الجزء الرابع ، ص١١٢) .

ويحسن أن يصحح على هدي ذلك ما جاء في كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس (١ : ٥٢٦) .

٣ – تحدث الأستاذ زمامة عن أربعة من المراجع المتداولة التي نسبت بيتي الرقمتين إلى القاضي عياض .

قلت : يُضم إليها خامس هو معجم أقرب الموارد للشرتوني (مادة/رقم) .

بقية الخاطريات

للإمام

أبي الفتح عثمان بن جني

« وهي مالم ينشر في المطبوعة »

تحقيق

الدكتور محمد أحمد الدالي

بقيَّة « الخاطريات »

للإمام أبي الفتح عثمان بن جني
وهي ما لم ينشر في المطبوعة

حققها وعلّق عليها
الدكتور محمد أحمد الدالي

وقفت يوماً – أظنه سنة ١٩٨٠م – على مصورة عن قطعة من مخطوطة كتاب الإمام أبي الفتح عثمان بن جني « الخاطريات » التي تحتفظ بها مكتبة الأسكوريال برقم ٧٧٨ ، وسماها بعض من وقف عليها « مجموع في علم البلاغة » !! ولا تُعرف لها ثانية فيما نعلم .

وهذه القطعة المصورة ثلاثون لوحاً (٤٢ – ٧٢) فيه الأوراق ٤١ظ – ٧١ظ ؛ فعدّة صفحاتها ستون (٨٢ – ١٤٢) . وفيها خرم في غير موضع منها واضطراب في ترتيب أوراقها .

وكنت قد أخذت في انتساخها ، وحدثت بأمرها أستاذي علامة الشام أحمد راتب النفاخ(*) ، فأخبرني – حفظه الله – أن الأستاذ علي ذو الفقار شاكر ابن أخي العلامة الشيخ محمود محمد شاكر – أطال الله بقاءه – يعمل فيها ، فتركتها وانتظرت فراغ الأستاذ علي من العمل فيها ونشرها . ثم لقيت الأستاذ علياً سنة ١٩٨٢ فيما أظن في منزل الأستاذ

(*) [اختار الله لجواره الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ يوم الجمعة ١١ شعبان ١٤١٢هـ/١٤ شباط ١٩٩٢م ، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له . وكان صاحب المقالة سلّمها إلى المجمع من قبل] .

النفاخ ، فأخبرني – وقد جرى ذكر الخاطريات – أنه يكاد يفرغ من العمل فيها .

ثم كرّت السنون ، وسمعت أنها طبعت بدار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٨ ، ولم أرها . ثم اقتنيت نسخة منها بتاريخ ١٩٩١/١٢/١٥ . فأخذت في قراءتها ، وخطر لي أن أبحث عن مسائل فيها كنت على ذُكر منها ، ومسائل كنت أحلت عليها في بعض ما نشرت أو في بعض ما أراجع فيه من كتب العربية ، فلم أُصب في « الخاطريات » المطبوعة بعض تلك المسائل . ثم أيقنت أن المطبوعة خالية من بعض المسائل .

ولمّا رجعت النظر في مصورة قطعة مخطوطة الخاطريات التي عندي والمطبوعة تبين لي أن الأستاذ عليّاً حقق من الخاطريات ٥٢ لوحاً ، وترك ٢٠ لوحاً ، هي الألواح ٢/٥٣ – ١/٧٢ وهو آخر الكتاب .

أعاد الأستاذ علي الأوراق المضطربة إلى مواضعها ، وجعل الكتاب في ثلاثة أقسام :

القسم الأول تضمن ٢٢٥ مسألة . وهو في المخطوطة في الصفحات ١ – ١٠٥ = الألواح ١ – ٢/٥٣ .

والثاني ما خرجه ابن جني من شعر تأبط شرّاً ٣٧ مسالة (المسائل ٢٢٦ – ٢٦٢) . وهو في المخطوطة في الصفحات ٩٣ – ٩٦ = الألواح ٢/٤٧ – ١/٤٩ و٧٥ – ٨٠ = الألواح ٢/٣٨ – ٢/٤٠ ، و١٣٩ = اللوح ٢/٧٠ .

والثالث معان وفوائد عن أحمد بن يحيى أبي العباس ثعلب ١٧ مسألة (المسائل ٢٦٣ – ٢٧٩) ، وهو في المخطوطة في الصفحات ٥١ – ٥٥ = الألواح ١/٢٦ – ٢/٢٨ .

وآخر القسم الأول الذي اشتمل على ٢٢٥ مسألة انتهى في الصفحة

١٠٥ من المخطوطة = اللوح ٢/٥٣ في السطر السادس منها . وما يأتي بعده من السطر السابع إلى آخر الكتاب – وعدة ألواحه ٢٠ لوحاً (الألواح ٢/٥٣ – ١/٧٢ = الصفحات ١٠٥ – ١٤٢ من المخطوطة – لم ينشره الأستاذ المحقق .

ولا أملك تفسيراً لهذا إلا أن يكون الأستاذ في حلّه وترحاله وبعد عهده بعمله في الكتاب ندت عنه هذه الأوراق من المخطوطة محققة أو غير محققة ، ثم لّما تفرّغ له رقم مسائله التي بين يديه في الأقسام الثلاثة ، ولم يكن قد رقمها أولُ لأنه لو فعل لوقف على النقص الذي لحق الكتاب في القسم الأول منه .

فرأيت أن أستدرك ذلك ، فأحقق ما لم ينشر من الخاطريات ليفيد منه قارئو الكتاب ، وليكون بين يدي الأستاذ الفاضل المحقق ، فيجعله في موضعه من الخاطريات في طبعة تالية إن شاء الله .

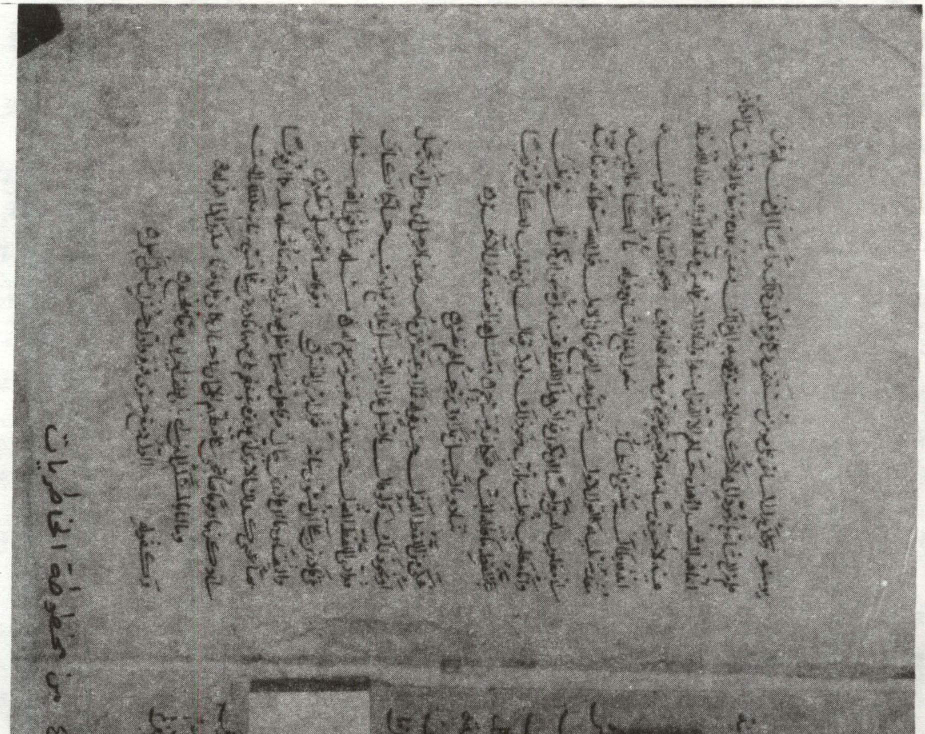
ورقمتُ المسائل برقمين : الأول رقم المسألة في بقية الكتاب التي أنشرها ، والرقم الثاني الذي جعلته بعد علامة المساواة (=) رقم المسألة في « الخاطريات » ، وتبدأ الأرقام بالرقم (٢٢٦) وموضعه في الخاطريات المطبوعة ص١٦٤ عقب المسألة ٢٢٥ .

ولم آلُ جهداً في قراءة المخطوطة ، وبقي فيها في بعض المواضع كلمات لم أحسن قراءتها أو لم أكن على ثقة منها ، فأثبت صورتها التي ظهرت لي فيها .

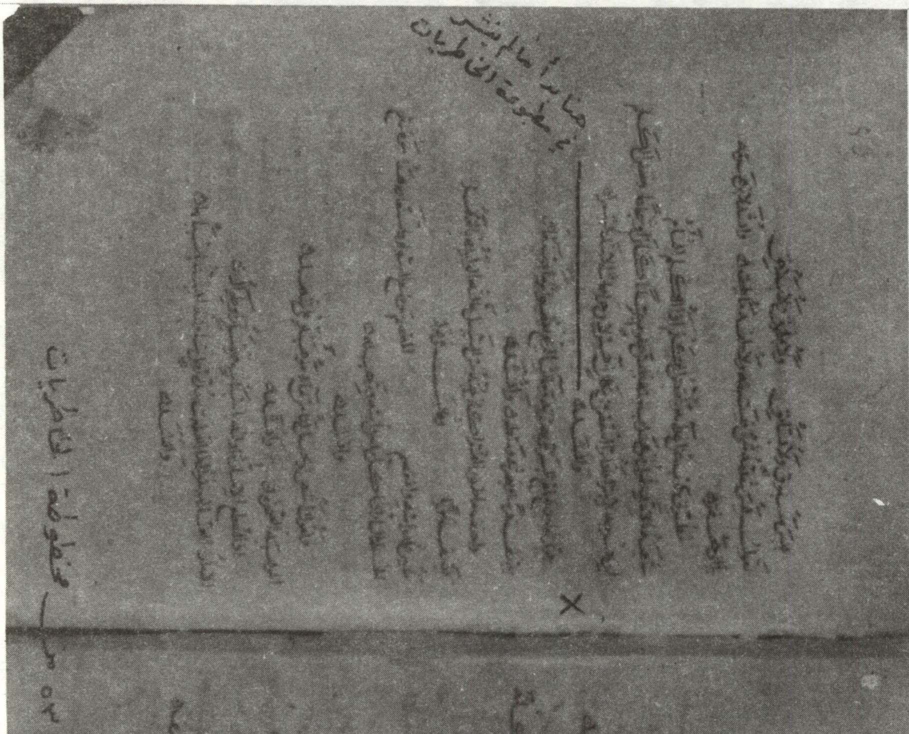
واقتصدت في التعليق اقتصاداً ، واقتصرت على ما لا بدّ منه ؛ لأنّ في غير مسألة من مسائل « بقية الخاطريات » هذه وفي غيرها من المسائل التي تقدمتها وتلتها =مواضع يحتاج النظر فيها وتحريرها وتحقيقها وتتبعها إلى وقت طويل وجهد عظيم ، وذلك ما يؤمل من الأستاذ الكريم أن يصنعه في

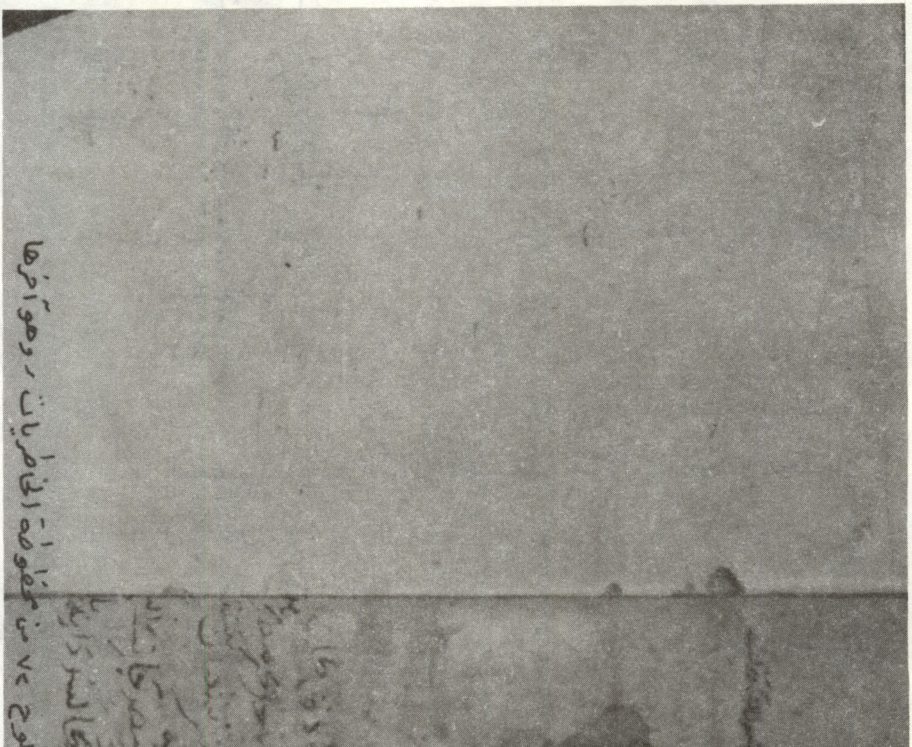
طبعة تالية ، وهو أهل له وذو مقدرة عليه إن شاء الله . والخير أردت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه محمد أحمد الدالي



اللوح ٤٢ من مخطوطة الفاخرات


اللوح ٥٣ ص مخطوطة الخاطريات



اللوح ٢٧ب من مخطوطة الظاهرية، وهو آخرها

١ = [٢٢٦] وأنشد[١] :

جَرَى فأَوْدَعَ لَمْعَ البَرْقِ بُهْرَتَهُ ... وجَاءَتِ الرِّيحُ تَعْفُو أَثْرَ ما صَنَعا

يصف فرساً . وبُهْرَتُه : وسطه .

٢ = [٢٢٧] وأنشد :

وأَحْنَفَ مَأْطُورِ القَرَا كانَ جُنَّةً ... مِنَ السَّيْلِ عَالَتْهُ الوَلِيدَةُ بالفِهْرِ[٢]

يصف نؤياً .

٣ = [٢٢٨] وقال في قوله[٣] :

ما بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ والمِعْصَمِ

المعصم : موضع السِّوَار ، فاستعاره هنا [لـ][٤] موضع الخلخال . أراد تأكل ما بين رأسه ورجله .

٤ = [٢٢٩] وأنشد[٥] :

ولَفُوكِ أَشْهَى لو يَحِلُّ لنا ... مِنْ ماءِ مَوْهَبَةٍ على شَهْدِ

الموهبة : الصخرة .

٥ = [٢٣٠] وأنشد .

---

(١) الضمير في « وأنشد » أكبر الظن أنه يعود على ابن الأعرابي ، يدل على ذلك سياق المسائل السابقة ، وكأنّ ابن جني ينقل من نوادره .

(٢) في الأصل : « بالقَهْر » وهو تصحيف صوابه ما أثبت .

(٣) وهو عنترة ، والبيت من معلقته ، ديوانه ٢١٠ . وصدر البيت :

وتركتُه جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥)البيت بلا نسبة في الصحاح (و هـ ب) ، وتهذيب اللغة ٦/٤٦٤ . وروايته في اللسان (و هـ ب) : « أشهى إن بذلت لنا ... على خَمْرٍ » عن المحكم ، والروايتان في التاج (و هـ ب) . وقال ابن الأعرابي : « الموهبة : نقرة في صخرة ، يستنقع فيها ماء السماء » عن تهذيب اللغة .

إذَا انْقَطَعَ الأُمَارُ تَنَاوَلَتْهُ بِأَسْبَابٍ قِصَارٍ أو طِوَالِ

الأُمار : العلامة . يقول : إذا انقطعت مدة رجل تناولته المنيّة بأسبابها .

٦ = [٢٣١] وأنشد/ : ٢/٥٤

وكانَ لنا جِرْجٌ قديمٌ عليكم وأَسْلاَبُ جَبَّارِ المُلُوكِ وحامِلُهْ

حامله : فرسه . يريد أنه سلب ثيابه وفرسه .

٧ = [٢٣٢] وأنشد - ع[٦] هذا كقوله[٧] :

لَهـا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيـ ـدِ . . . . :

تَرَكْنَا بالنَّوَاصِفِ مِنْ حُسَيْنٍ نِسَاءَ الحَيِّ يَلْقُطْنَ الجُمَانا[٨]

يقول : أَمِنَّ حتى لو مكثت امرأة على لقط جمانها إذا سقط ما خافت . و« حُسَين » موضع .

٨ = [٢٣٣] وأنشد :

---

(٦) رمز ابن جني في « الخاطريات » لنفسه بالحرف الأول من اسمه عثمان .

(٧) وهو عوف بن عطية بن الخَرِع ، المفضليات ٤١٤ ، والكامل ١٠١٤ ، وأدب الكاتب ١٢٠ . وتمام البيت :

يتَّخِذُ الفأرُ فيه مَغارا

قال المبرد : « يريد لو دخل الفأر فيه لصلح » .

(٨) البيت ثالث ثلاثة أبيات لزيادة بن زيد العذري أنشد ابن حبيب أولها في أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢/٢٥٨) ، وهي بلا نسبة في ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٢/١٤ . ونسب البيت إلى هدبة بن خشرم العذري في الفصول والغايات ٢٨٠ ، والصاهل والشاحج ٣٥٢ (وفيه : للحارثي ، وهو هدبة) ، وهو وهمٌ ، ولهدبة بيتان على هذا القريّ أجاب بهما زيادة ، انظر أسماء المغتالين . والبيت بلا نسبة في معجم البلدان ٢/٢٦٠ ، ومعجم ما استعجم ٤٤٨ ، وسمط اللآلي ٢٨٧ ، والدرة الفاخرة ٥٢٦ ، والصحاح واللسان والتاج (ح س ن) .

(إذا ما البيد أزمل أُصْرَمَاهُ)[٩] فثَمَّ أُكَلِّفُ الحَمْلَ الخَلِيلا
فأحْمَدُهُ على ما كانَ مِنْهُ ويَحْمَدُني إذا نَزَلَ المَقِيلا

يقول : أنحر بعيري لخليلي إذا لم يجد ما يأكل ، وأكلفه حمل رحلي ، فأحمد فعله ويحمدني عند نزوله .

٩ = [٢٣٤] وأنشد :

تَظَلُّ [به][١٠] العِشَار مُخَزَّماتٍ وتَتْبَعُ أَهْلَها المِعْزَى الرُّبابُ

يصف موضعاً قد سمنت عِشاره حتى انفتقت سِمَناً ، فيَشُدُّون[١١] آنُفَها حتى تمنع من الأكل .

١٠ = [٢٣٥]وأنشد :

بِتْنَا يُحَاكي الفحْجُ دَمْكَ الأَحْجَارْ
يَدْحَضُ منها كُلُّ جَلْدٍ جِعْظَارْ

هؤلاء قوم في وَحَلٍ قد نشبوا فيه ، فهم[١٢] ينفحجون كأنهم يحكون الذين يطحنون بالأحجار . والجعظار : الغليظ الشديد .

١١ = [٢٣٦] وأنشد :

ثُمَّتَ يَصْدُرْنَ إذا الرَّاعِي صَدَرْ
في مِثْلِ جِلْبَابِ العَرُوسِ ذِي العِطِرْ[١٣]

يريد من طيب رائحة ما تأكل من النبت والعشب . ولذلك قال

(٩) كذا وقع .

(١٠) زيادة يستقيم بها الوزن .

(١١) في الأصل : « فيسرّون » ولعل الصواب ما أثبت . أي يشدون آنفها بالخِزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزّمام .

(١٢) في الأصل « فهو » والصواب ما أثبت .

(١٣) ضبط في الأصل : العَطِر ، والصواب ما أثبت .

أبو مَهْدِيّة[١٤] لمّا وجَّه إليه أبو عمرو بن العلاء[١٥] : كيف تقول : ليس الطِّيب إلا المِسْك ؟ فلم يدر أنهم يريدون الإعراب = فأين الجَادِيُّ ، فأين أدهانٌ بحَجْر ، فأين بَنَّةُ الإبل الصادرة ؟. أي من طيب ما تأكل لها بَنّة ./ ٥/١

١٢ = [٢٣٧] وأنشد[١٦] :

الشَّوْلُ والنُّطْفَةُ والذَّنُوبُ
حتى تَرَى مَرْكُوَّها يَثُوبُ

الشَّوْل : الماء القليل ، والنطفة أقلّ منه وأكثر من الذَّنوب[١٧] . والمَرْكُوّ : المُصْلَح[١٨] ، والهاء راجعة على الإبل . يريد : يُجْمع شيء إلى شيء فيكثر .

١٣ = [٢٣٨] حَيَّاك الله وبَيَّاك وبَوَّاك .

١٤ = [٢٣٩] وأنشد :

تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الخَيْزُرَانِ جَرِيدَةً وبَعْدَ ثِيابِ الخَزِّ أَحْلاَمَ نائم

يقول : تبدَّلت بعد اللين شدة . والجريدة : السَّعَفة . وأحلام نائم

(١٤) انظر النبات لأبي حنيفة الدينوري ١٩٥ .

(١٥) انظر خبر مجلس أبي عمرو مع عيسى بن عمر في مجالس العلماء ١ ، والأشباه والنظائر ٥١/٣ – ٥٣ ، وذيل الأمالي ٣٩ ، وسفر السعادة ٨٠٢ والمصادر المذكورة ثمة .

(١٦) البيتان في اللسان (ر ك و ، س ج ل) ، وتهذيب اللغة ٥٨٥/١٠ . والرواية في البيت الأول : « السَّجل والنطفة » .

(١٧) كذا وقع !! وصوابه : والنطفة أكثر منه وأقلّ من الذنوب .

(١٨) في تهذيب اللغة ٣٤٩/١٠ عن ابن الأعرابي : « ركوتُ الحوضَ : أي سوّيته » . ونقل الأزهري عن أبي عبيد عن أبي عمرو أنّ المركوّ الحوض الكبير ، ثم قال : « والذي سمعته من العرب في المركوّ أنه الحوض الصغير الذي يسوّيه الرجل بيديه على رأس البئر ... » .

ثياب بالمدينة مشهورة .

١٥ = [٢٤٠] وأنشد[١٩] :

فقد تَركتْ خُزَيْبَةُ كلَّ وَغْدٍ يُمَشِّي بين خاتَامٍ وطَاقِ

خزيبة : معدن من معادن الذهب . أي تَرك الأوغادَ يمشون في الطيالسة والخواتيم لكثرة ما أخذوا منه .

١٦ = [٢٤١] وأنشد[٢٠] :

فشَنَّ في الإبريقِ مِنْها نُزَفا

مِنْ رَصَف نازَعَ سَيْلاً رَصَفا

أي فشنّ في إبريق من الخمر إبريقاً من الماء .

قال أبو العباس[٢١] : دخلت إلى أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب وعنده محمدُ بن عمرو بن أبي عمرو[٢٢] الشيباني وجماعة من أهل الأدب ، وكان أحمد بمحلّ من الأدب والفهم ، فسألوني عن هذا البيت ، فجهدت أن يفهموا تفسيره فلم يفهموه ، وافترقوا على تعجبهم من فهمي . عُ[٦] يعني فشن في الإبريق .

١٧ = [٢٤٢] وأنشد :

مَتَى تُنْتَجُ البَلْقَاءُ يا سَعْدُ أَمْ مَتَى تُلَقَّحُ مِنْ هَذَا النَّعَامِ شَوَائِلُهْ

هذا مثل قولهم « دجاجتُهم تحمل كُرّاً » يضرب مثلاً للقوم إذا رفعوا

---

(١٩) البيت في تهذيب اللغة ٧/٢١٢ ، واللسان (خ ز ب ، ط و ق) ، ومعجم البلدان (خزيبة) ٢/٣٧٠ (وفيه : وقد نزلت خزيبة ، وهو تحريف) .

(٢٠) للعجاج ، ديوانه ٢/٢٢٤ .

(٢١) أحمد بن يحيى ثعلب .

(٢٢) في الأصل : محمد بن عمر بن أبي عمر ، والصواب ما أثبت . وقد ذكر محمد هذا في مجالس ثعلب ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ .

أنفسهم فوق أقدارهم ؛ ومثل قوله[٢٣] :

قَدْ طَرَّقَتْ نَاقَتُهُمْ بِإِنْسَانْ

٢/٥٤ ١٨ = [٢٤٣] وأنشد[٢٤]/ :

دَعَوْنَا نَزَالِ فَلَمْ يَنْزِلُوا وكانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَطَمْ

وأُطُمْ[٢٥] ، أي جعلناهم مثل القصر .

١٩ = [٢٤٤] وأنشد :

وشاربِ ما وَعَاهُ بَطْنُ صَاحِبِهِ رِيّاً فأَحْيَاهُ مَيْتٌ بَعْدَما ماتا

يعني افْتِظاظ[٢٦] كرش البعير لِعوَز الماء .

٢٠ = [٢٤٥] مسألة :

قال سيبويه[٢٧] في تحقير عِثْوَلّ : عُثَيِّل وعُثَيِّيل ، واحتجَّ بأنه ملحق بـ « قِرْشَبّ » ، فكما تقول في تكسيره قراشبُ فكذلك تقول عَثاوِل وعُثَيِّل . ثم إنه قال[٢٨] فيا بعد في حَبَنْطًى : إن شئت حُبَيْطٍ ، بحذف النون ، وإن شئت حُبَيْنِط ، بحذف الألف ، قال : لأنهما ملحقتان بذوات الخمسة . وكذلك قال في « كَوَأْلَل » : إن شئت كُوَيْئِل ، وإن شئت

(٢٣) وهو سالم بن دارة الغطفاني ، والبيت من أبيات له في اللسان (ح د ب) ، والتكملة (ح د ب ، ح د ب د) . وعزيت إلى أبي المنهال في اللسان (أ ي ن) . وهي بلا نسبة في الخصائص ٩١/٣ . أي ولدت ناقتهم حُواراً نصفه إنسان ونصفه جمل .

(٢٤) لجُرَيّة بن الأشيم الفقعسي ، ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٧٧٦ ، واللسان (ن ز ل) ، وهو بلا نسبة في الإنصاف ٥٣٥ .

(٢٥) لا أعرف أحداً رواه « أُطُم » وهي رواية معناها كما تراه . و« أطمّ » أفعل من طمّ البحر : إذا غلب سائر البحور ، عن المرزوقي .

(٢٦) افتظاظ الكرش : أن يعتصر ماؤها ويشرب في المفاوز .

(٢٧) في الكتاب ١١٢/٢ .

(٢٨) في الكتاب ١١٥/٢ ـ ١١٦ .

كُوَيْلِل[٢٩] .

وللســائل فيما بعد أن يقول : إذا كان[٣٠] « عثولّ » عنده ملحقاً بـ « قرشبّ » حتى إنه قال : عَثَاوِلُ وعُثَيِّل لا غير ، فهلاّ قال أيضـاً في « حَبَنْطَى » إنه ملحق بـ « حَبَرْكَى »[٣١] فقال فيه بحذف الألف لا غير كما تقول : حُبَيْرِك وحَبَـارِكُ ؛ وهلاّ قال أيضـاً في « كَوَأْلَل » إنه ملحق بـ « سَبَهْلَل »[٣٢] فقال فيه بحذف اللام الأخيرة لا غير ، كما تقول : سَبَاهِلُ وسُبَيْهِـل ، فنظيره كَوَائل وكُوَيْئِـل = أو هلاّ لمّا جعل حبنطى ملحقاً بسفرجل دون حبركى حتى أجاز فيه حذف أي الزائدين أريد = جعل أيضاً عِثْوَلاًّ ملحقاً بـ « جِرْدَحْل » فخيّر فيه بين حذف أي الزائدين أريد ، فقـال تارة عثيِّـل وتارة عثيِّل ، كما أجاز حُبَيْنِط وحُبَيْطٍ ، (أو من)[٣٣] جعله أيضاً بأن يجعل عثولاً ملحقاً بـ « قرشبّ » حتى يقول عثاولُ وعثيِّل قيـاســاً على قراشب وقريشب أولى من أن يجعـله ملحقـاً بـ « عِلّكد » و« هِلَّقس »[٣٤] فيقول فيه عُثَيْلٌ[٣٥] وعَثَالٌ لا غير ، فتحذف الواو لا غير ، كما يحذف أحد المثلين في قوله عَلاكِدُ وهَلاقِسُ وعُلَيْكِد وهُلَيْقِس . ويقال له أيضاً : إذا قلت : حبنطى ملحق بـ « سفرجل » فهلا أعطيت الملحق

---

(٢٩) أجاز سيبويه في تحقير كوألل : كويئل وكويئيل وكوَيلل وكوَيليل ، الكتاب ١١٥/٢ .

(٣٠) في الأصل كانت ، والصواب ما أثبت .

(٣١) انظر حبركى في الكتاب ١٠٧/٢ ، ١٢٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ (وهنا أنه على مثال سفرجل) .

(٣٢) انظر سبهلل في الكتاب ٣٤٠/٢ ، ٤٠٢ (وهوملحق بـ « همرجل ») .

(٣٣) كذا وقع .

(٣٤) انظر علكد وهلقس في الكتاب ٣٣٩/٢ .

(٣٥) هذا مذهب المبرد في تصغير عثولّ ، انظر المقتضب ٢٤٧/٢ .

حكم الملحق به فقلت بحذف الألف لا غير : حبانظ وحبينط ، كما تحذف ما هي في موضعه ، وذلك قولك : فريزد وفرازد ، وسفيرج وسفارج .

١/ب (استقلّ)[٣٣]/السؤال

الجواب : الذي ينبغي أن يعمد في هذا أن يقال : إن الغرض في الإلحاق إنما هو تشبيه مثال بمثال ، وكلما قوي الشبه فيهما كان أذْهَبَ في الصنعة مما يقل فيه الشبه . فحبنطى ملحق بسفرجل لا يمنع منه شيء لتخلُّص حروفه تخلُّصَ[٣٦] حروف سفرجل . وأما عثولّ ففيه مع الزِّنة[٣٧] شيء آخر وهو الإدغام الذي فيه . فـ « عثول » بـ « قرشب » للإدغام في كل واحد منهما أشبهُ منه بـ « جردحل » ، فكما تقول : قريشب وقريشيب ، لا غير = كذلك تقول : عُثَيِّل وعُثَيْويل وعُثَيِّيل ، لا غير ، فاعرف هذا واكتف به .

وأما ترك اقتصارهم على حبينط وحبينيط كسفيرج وسفيريج البتة = فلأن هناك زائداً هو النون ، فلم يكن ليلزم لزوم الأصل .

٢١ = [٢٤٦] ابن الأعرابي في قوله[٣٨] :

وأَرَى كَرِيمَكَ لا كريمَ كَمِثْلِهِ   وأَرَى بِلادَكَ مَنْقَعَ الأَجْوادِ

أي مروى العطاش .

عُ[٦] هو عندي كقوله[٣٩] :

(٣٦) في الأصل : لتخلص ، والصواب ما أثبت .

(٣٧) كأنه كذلك في الأصل .

(٣٨) سلف البيت في هذا الكتاب (الخاطريات) ص١٥٨ برقم ١٩٨ . وحيث قلت في التعليق : سلف ص كذا برقم كذا فالمراد مطبوعة الخاطريات .

(٣٩) في الأصل : كقولهم ، والصواب ما أثبت .

فَلَوْ أَنَّ رُمْحِي لَمْ يَخُنِّي انْكِسَارُهُ   لَقَالُوا وَجَدْنا خَالِداً شَيْخَ عَارِمِ[٤٠]

أي عارماً ، فكذلك « كريمك » أي وأراك لا كريم مثلك . ويقال : جِيدَ الرجلُ فهو مَجُود : إذا عطش ؛ فكأنّ « الأجواد » جمع مَجُود ، كُسِّر مفعول على أفعال كما كسِّر فاعل عليه في نحو صاحب وأصحاب ، وشاهد وأشهاد ، وذلك لوقوع فاعل موقع مفعول كـ ﴿ ماءٍ دَافِقٍ ﴾ [سورة الطارق : ٦] أي مدفوق ، وناقة ضارب : أي مضروبة ، و﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٢١ ، والقارعة : ٧] أي مرضيّة ، و﴿ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ [سورة هود : ٤٣] أي معصوم .

٢٢ = [٢٤٧] أنشد أحمد ين يحيى :

إذا نَظَرَتْ بِلادُ بَنِي طَرِيفٍ   بعَيْنٍ أَوْ بِلادُ بَنِي صُبَاحِ[٤١]

وقال : نظرتِ الأرض : إذا ظهر نبتُها .

عُ[٦] هذا من توكيد[٤٢] المجاز ، لأنه قال « بعين » ، وإنما النظر بالعين : تقليب البصر . فهذا يدلّك على صحة ما ذكرناه/ في كتابنا ٥٥/ الموسوم بـ « الخصائص »[٤٣] من أن المجاز قد يوكّد كما توكد الحقائق . ألا ترى إلى قوله[٤٤] :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاءُ عَضَّتْ صَفِيحَةٌ   بِحِرْبائِها صَاحَتْ صِيَاحاً وصَلَّتِ

فوكّد « صاحت » بقوله « صياحاً » ، وليست هناك حقيقة صياح ، وله نظائر .

---

(٤٠) كذا .

(٤١) سلف البيت مع آخر ص١٥٥ برقم ١٨٨ وتخريجهما ثمة .

(٤٢) في الأصل : توكد ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤٣) في « باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة » الخصائص ٢/٤٥٣

(٤٤) البيت بلا نسبة في الخصائص ٢/٤٥٤ .

٢٣ = [٢٤٨] مسألة :

تكاد تستحيل معارف أسماء الزمان نكرات . ألا ترى أن شهور السنة وأيام الأسابيع والأعياد وما يجري هذا المجرى لا تخص شيئاً بعينه ؟ وذلك أنّ المحرّم يعمّ كل ما كان من الأوقات مثله ، وكذلك شهرا ربيع والجمادَيَين ، وكذلك السبت والأربعاء . فتعرُّف ذلك كتعرُّف الأجناس نحو أُسامة وثُعَالة وذُألان وسَمْسَم(٤٥) . ومعلوم أن مفادَ معرفة الجنس من ذلك مفادُ نكرته . ألا ترى أنّ أسداً وأبا الحارث(٤٦) يستفاد من كل واحد منهما ما يستفاد من صاحبه . وكذلك يوم عرفة والنحر والفطر والأضحى هو شائع في كل يوم يصادف تلك الحال . فلما كان كذلك جاز للفعل أن يتناول كل شيء منها فيعمل فيه ظرفاً . وليس كذلك المكان ، لأنه ليس كل ما كان كالبصرة بصرة ولا كعمان عمان . فأما اليوم والليلة فكقولك : قمت ذلك المكان الذي قام فيه زيد(٤٧) . وأيضاً فإنه لا يبرد في اليد من الزمان حقيقةٌ تبلّ بها ، وهو ألطف من أن يحصّل أصلاً يعرَّف أو ينكّر ، فاعرف ذلك وما مثله .

٢٤ = [٢٤٩] مسألة :

أم كيف وأم مَن ونحو ذلك بمنزلة أرأيتك زيداً ما صنع(٤٨) .

---

(٤٥) أسامة علم للأسد ، وثعالة علم للثعلب ، وذألان علم للذئب ، وسمسم علم للثعلب ويقال للذئب الصغير .

(٤٦) كنية الأسد .

(٤٧) كذا وقع .

(٤٨) انظر كلامهم على « أرأيتك زيداً ما صنع » ونحوه في الكتاب ١/١٢٢ ، ١٢٥ ، والمقتضب ٣/٢٠٩ ، والحجة ٣/٣٠٨ ، ٣١٠ ، وسر الصناعة ٣٠٩ – ٣١٢ ، والبحر ٤/١٢٤ – ١٢٨ . وانظر ما يأتي برقم ٧٨ [٣٠٣] . ولم يظهر لي وجه الجمع بين أم كيف وأم من وأرأيتك زيداً ما صنع .

٢٥ = [٢٥٠] حدثني أبو سعد الجنّان عفا الله عنا وعنه ، قال : كنت أُبَايِتُ[٤٩] الصُّولي في جماعة يلعبون عنده بالشِّطْرَنْج ، فقال لي ليلة : كيف دَسْتُكَ[٥٠] ؟ فقلت : ضعيفة ، فقال : آه ، كالمستقلّ لي ، فقلت له : شيء أصلُه لعبٌ الزيادةُ فيه نقصانٌ ، فغضب عليَّ وأعرض عني ، فعلمت ما جنيتُه ، فعملت له[٥١] أبياتاً أمدحه بها وأعتذر إليه فيها ، فعاد لي/. ١/٥٦

٢٦ = [٢٥١] مسألة بخط أحمد بن يحيى :

قال أبو الوليد الحارثي :

نَفِسُوا القَلِيلَ عليكَ مِنْهُ وعِنْدَهُ ... لَوْ نَالَهُ مِنْكَ القَلِيلُ كثيرُ

عُ[٦] أي والقليل منك عنده لو ناله كثير ، ففي « ناله » ضمير القليل ، وهو فاعله ، و« منه » حال من « القليل » الأول ، وفصل بينهما بـ « عليك » وهو معمول « نَفِسوا » .

٢٧ = [٢٥٢] مسألة :

مثل الذِّكْر والذِّكرى : القُرْب والقُرْبى ، والبُؤْس والبُؤْسى ، ونحو من الذكر والذكرى : الشِّيز والشِّيزى[٥٢] .

٢٨ = [٢٥٣] مسألة :

مما وقع فيه « فَعَلَ » للكثرة نحو قوله :

---

(٤٩) أي أُساهر ، من قولهم : بات الرجل : إذا سهر الليل ، ولم يذكر « بايت » في المعجمات .

(٥٠) أي كيف لعبتُك ، والدست : دست القمار ، يقال : فلان حسن الدست أي شطرنجي حاذق (الأساس والتاج د س ت) .

(٥١) كأنها كذلك في الأصل .

(٥٢) الشيز والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع .

فقَتْلاً بتَقْتِيل[٥٣]

وقوله :

ونَقَـرْتَهـا بيَـدَيْكَ كُلَّ مُنَقَّـرِ[٥٤]

إلى غير ذلك ، [و][٥٥] قول الله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بماءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [سورة القمر : ١١] ودليله موضعان : أحدهما : أن أبواب السماء كثيرة ، والآخر : العطف عليه بقوله : ﴿ وفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾ [سورة القمر : ١٢].

إذا استعمـل هنـا « فعَّل » واللفظ واحد – أعني ﴿ الأرض ﴾ – حملاً على المعنى فما ظنُّك بالـ ﴿ أبواب ﴾ وهي جمع لفظاً ومعنى ؟

٢٩ = [٢٥٤] مسألة :

قوله عز اسمه : ﴿ هل جَزَاءُ الإحْسَـانِ إلاّ الإحْسَـانُ ﴾ [سورة الرحمن : ٦٠] سمى الأول إحساناً لأنه مقابل لجزائه وهو الإحسان والأول طاعة ، فكـأنه قال : هل جزاء الطاعة إلا الثواب . إلا أن هذا سُمّي فيه الأول باسم ما بعده .

ونحوه وإن كان عكسه قوله : ﴿ وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مثْلُها ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] .

فالأول كقولنا : اُدْخُل ، اُقْتُل ، حمل الأول على الثاني .

---

(٥٣) هذه قطعة من بيت لم أعرفه تمامه .

(٥٤) البيت بلا نسبة في المحتسب ٨١/١ ، ١٩٤ ، ٣٠١ و٦/٢ ، ٢١ . وصدره :

أنت الفـداء لقِبـلة هـدَّمتهـا

(٥٥) زيادة يقتضيها السياق .

والآخر كـ « مُنْذُ » وشُـدُّ[٥٦] وفِرٍّ وضَـنَّ ، في حمل الثـاني على الأول./

٣٠ = [٢٥٥] بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة :

قول الله سبحانه : ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٢] ثم قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] فعاد إلى الخطاب . وجهُ ذلك أن حال الحمد في التقرب إلى الله عز اسمه دون حال العبادة ، فخصها بأن خاطب مع ذكرها ، فكان ذلك أبلغ في معناه وأَذْهَبَ في التقرب به لقوة معنى الخطاب على معنى الغيبة .

وبقَدر[٥٧] ذلك ما قوي لفظه . ألا تراك تقول : قام وقمتَ ، فإذا جمعت بينهما أضفت لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقلت : قمتُما . وكذلك هو وأنت تقول : أنتما ، ورأيتكَ ورأيتُه ثم تقول : رأيتكما ، وهو البابُ . وكذلك قوله[٥٨] :

شَطَّتْ مَزَارَ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

فذكرها بالغيبة في أول البيت لأنه لم يخلص فعلها من الشط له نفسه[٥٩] ، وإنما قال « العاشقين » على لفظ الغيبة فيهم حبيبته ، على أنه هو أيضاً مشطوط المزار معنى لا لفظاً ؛ فساغ لضعف المعنى أن يذكرها بلفظ الغيبة ، ثم لمّا أَصْرَحَ في آخر البيت بقوله « عسراً عليَّ » بلفظ الخطاب

(٥٦) في الأصل : فشد ، والصواب ما أثبت . وقد ذكر ابن جني في الخصائص ١١١/٢ حمل الأول على الثاني وحمل الثاني على الأول وانظر كلامه في « منذ » في اللسان (م ن ذ

(٥٧) كأنها كذلك في الأصل .

(٥٨) وهو عنترة ، والبيت من معلقته ، ديوانه ١٨٦ .

(٥٩) كذا وقع ، والوجه : له هو نفسه .

ـ أعني اليـاء ـ عدل إلى مخاطبتهـا بالكـاف في قوله « طلابك » لأنه لما أصرح بذكر الشدة اللاحقة له في نفسه فعناه الأمرُ ونال منه وكّد بلفظ الخطاب تظلّماً منها واعتداداً بما يلقاه من حبّها .

فأما قوله عز اسمه : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] فإن المعدول فيه عن الخطاب إلى الغَيبة إنما هو لضربٍ من التصرف عارياً من معنى ما تقدم .

فإن قيل : فإذا كان ذلك إنما هو للتصرف في القول ، فهلا كان ما عللتَه أنت ليس لما ذكرتَ بخلوّ هذا الموضع من الغرض الذي قدمت .

= قيل : أما ما قدمناه فقد أُخذ من الاحتجاج له ما حدَّه . وأما تجرُّد الثاني مما في الأول في هذا الموضع فغير قادح فيما ذهبنا إليه لأن هذا
١/٥ لغرض وذلك لغرض/ وليس في شرط الأغراض أن تتساوى . وذلك أنا قد دللنا في كتاب « الخصائص »(٦٠) أن الحكم الواحد قد يكون معلولاً بعلتين وأكثر من ذلك . وأيضـاً فإنه لو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم = لكان هذا لفظاً مقصوراً على الخطاب ، ولم يدخل فيه من غاب عنه إلا بالاستدلال من غير اللفظ عليه . ولما قال سبحانه ﴿ وجرين بهم ﴾ فجاء بلفظ الغيبة مع لفظ الحضور جمعت الآية ذكر عموم النعمة وأنها على الحاضرين المخاطبين ومن عداهم من الغيب الأبعدين . وكذلك أيضاً كانت ﴿ حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بهم ﴾ لأنه كان يكون كلاماً مقصوراً في الظاهر منه على ذكر النعمة على غير المخاطبين ثم يدخل فيه المخاطبون بالاستدلال لا بصريح الكلام .

فإن قلت : فلو كانت التلاوة : حتى إذا كانوا في الفلك وجرين بكم أكان يكـون مـاذا = فالجواب : أنه كان يكون دون اللفظ الذي ورد به

(٦٠) الخصائص ١/١٧٤ ـ ١٨٠ « باب في حكم المعلول بعلتين » .

القرآن . وذلك أنه موضع قد عُمّ فيه بالنعمة الحاضرون والغائبون جميعاً ، فكان تقديم اللفظ بالحضور أولى من تأخيره وتقديم لفظ الغيبة عليه لأن المخاطبين أشد عناية في اللفظ من الغائبين ؛ فكان تقديم اللفظ بذكرهم أولى وأحجى من تأخيره .

ونحو من ذلك قول رسول الله ﷺ : « ابْدَؤُوا بما بَدَأ اللهُ به »[٦١] وهو يريد الصَّفا والمَرْوَةَ .

ويدلك على مزية ما يتقدم اللفظ به على ما يتأخر قوله عز اسمه ﴿ وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُم عنكم وأَيْدِيَكُم عنهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٤] فقدم في اللفظ أذْهَبَه في الاعتداد عليهم بنعمة الله عندهم لأن انكفاف أيدي أعدائهم عنهم أَمَسُّ وأَعْنَى في الاعتداد به عليهم من انكفاف أيديهم عن أعدائهم ، فاعرفه .

٣١ = [٢٥٦] بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة

أرى في اللغة ألفاظاً صالحة يتوالى فيها التضعيف واعتلال الأول من المثلين جميعاً/ . وذلك كقولهم الضَّحّ والضَّيْح ، ونحوه قولهم انصبَّ وصاب يصُوب ، ومثله قَطَطْتُ الشيءَ وقالوا في القَوْط هو القطيع من الغنم ، وقالوا ضرَّه يضرُّه وضاره يَضُوره ويضيره ، وقالوا ضِفَّةُ الوادي وضِيفُه وضِيفَتُه .

ومما تقاربت معانيه : فرّ يفِرّ وفار يَفُور لأنه إذا فرَّ فقد فارق موضعه وكذلك فار يفور ، ومثله مرَّ يمرّ ومار يمُور ، وقالوا خرّ يخِرّ وخار يخُور لأنه إذا خار فقد انحط وضعف ، ومنه سلَّ يَسَلُّ وسال يسيل لأنهما جميعاً مفارقة وانسلال ، وقالوا : فلَّه يفلّه : إذا هزمه ، وقالوا : فال رأيُه يفِيل لأن هذا إلى ضَعَة وضعف ، وقالوا : هَنَّ : إذا بكى وهان يهون ، وقالوا : ضمَّه

(٦١) الحديث في زاد المعاد ٢/٢٢٧ ، ٣٥١ وتخريجه ثمة .

يضمُّه وضامه يضيمه لأن هذا غَضّ منه وذاك جَمْع له ومنه قولهم : اجتمع من الأمر : إذا فرق منه ، وقالوا : رق يرِقّ وراق الماءُ يريق : إذا انصبّ وإذا انصبّ تفرقت أجزاؤه ، وقالوا : انْقَضَّت البئر وتَقَوَّضَت ، وقالوا : زال يَزُول وزال الشيءَ يَزيله وزلّ يزِلّ والمعنيان كما ترى متقاربان ، وقال[٦٢] : ﴿ حَقَّ عليه العذابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ﴿ وحاقَ بِهِم ما كانوا به يسْتَهْزِئُونَ ﴾ [سورة هود : ٨] وقالوا للشّقّ في الجبل : الشِّيق ، وقالوا : حفّه يحفه : إذا جلاه وأبرز صفحته ، وحاف عليه يحيف وتحوَّفه : إذا انتقصه من حافاته ، وقالوا : ذهب شعاعاً أي متفرقاً وشاع الشيء يشيع : إذا تفرق ، وقالوا : حَزَّه [يحزّه][٦٣] : إذا قطعه وحازه يحوزه : إذا اقتطعه من غيره ، وقالوا : غمَّه يغمّه : إذا ستره والغَيْم لأنه يستر السماء ويحجبها ، وقالوا الغَرّ للشق الذي في الأرض والغَوْر نحوه ، وغار على أهله كقولهم تساقط من الحِفْظة والغَيْرَة[٦٤] ، وقالوا : شكَّه بالرمح ورمح شاكٍ ، وقالوا : هَفَّت الريح أي جرت والهَيْف والهَوْف : الريح الحارة تأتي من قبل اليمن ، وقالوا عادَّه المرض أي عاوده ، وقالوا انحلَّ عقد ودِّه وحال عن مودته وعهده ، وقالوا : ملَّ الشيء يملّه أي تركه ومال عنه ، وقالوا قصَّه يقصّه ٢/٥
وانقاصت السنّ : إذا انكسرت .

وهو كثير جداً ، وهو من باب تقارب اللفظين لتقارب المعنيين وكأن اطّراد هذا وكثرته هو الذي شجعهم قليلاً مع استكراههم

(٦٢) في الأصل : وقالوا ، والصواب ما أثبت .

(٦٣) في الأصل : « حزّه إذا .. » وكتب بعضهم في الهامش : « بيان حزّ فيه » . والفعل متعد بنفسه ، ولعل الصواب ما أثبت . وزدت ما بين حاصرتين ليكون الكلام على سياق ما قبله .

(٦٤) قوله « وغار على أهله ... والغيرة » كذا وقع ، وهو غير ما هو فيه .

التضعيف[٦٥] على أن قالوا دينار وقيراط/وديماس وديباج فيمن قال دماميس ٥٨/
ودبابيج ، ومنه ديوان واجلوَّذَ اجْلِوَّاذاً .

فأما قوله[٦٦] فيما أنشده خلف الأحمر :

عَدَاني أَنْ أَزُورَكِ أُمَّ عَمْرٍو دَيَاوِينٌ تُشَقَّقُ بالمِدَادِ

فيحتمل أمرين : أحدهما أن تجعله بدلاً لازماً كعِيد وأَعياد وعُيَيْد ، والآخر : أن يكون واحد « دياوين »[٦٧] دِيَّان أو دِيوَان ، فاستغني بديوان المقلوب عن دِوَّان منه كما استغنوا بـ « لمحة » عن ملمحة وبـ « ذَكَر » عن مِذْكِير ونحوه ، وكما استغني بـ « حاجة » عن حائجة . ويكون دِيّان هذا الذي استغني بـ « ديوان » منه فِيعالاً كـ « ديماس » فيمن قال دياميس ، فيكون أصله على هذا ديواناً ، فقلبت إلى دِيّان ، فلما كسِّر زال التقاء المعتلين فعادت الواو إلى الظهور .

ويجوز أن يكون ديوان هذا الظاهر المستعمل فيعالاً خرج على أصله غير معلّ كـ« ضَيْوَن » ولا يكون على هذا أصله دِوَّان على أنه فعّال ، فاعرف ذلك .

٣٢ = [٢٥٧] مسألة :

مّما يوكّد حال مشابهة فَعَلَة لفَعْل على حد ما نقوله من حديث ترافع الأحكام قولهم شَيْء وأَشْياء على قول الخليل[٦٨] ألا تراه ذكر أنها في الأصل فَعْلاء شيئاء ، فهذا في أنه اسم للجمع على فَعْلاء وواحده فَعْل نظيرُ قولهم

(٦٥) في الأصل : الضعيف ، والصواب ما أثبت .

(٦٦) البيت أنشده ابن جني أيضاً في الخصائص ١٥٨/٣، والمنصف٣٢/٢ ، وسر الصناعة ٧٣٥ .

(٦٧) في الأصل : « ديوان » والصواب ما أثبت .

(٦٨) انظر مذهب الخليل في الكتاب ١٧٤/٢ ، ٣٧٩ – ٣٨٠ ، وانظر الكلام على أشياء في سفر السعادة ٦٥ وذكر مصادر الكلام عليها ثمة .

قَصَبة وقَصْباء وطَرَفَة وطَرْفاء وحَلَفَة وحَلْفاء . أفلا ترى إلى بنائك لجمع فَعْل وفَعَلَة اسماً على فَعْلاء ؟ فليضف هذا إلى ما كنا أثبتناه في كتابنا « الخصائص » في « باب ترافع الأحكام »(٦٩) .

٣٣ = [٢٥٨] مسألة :

ينبغي أن تكون العلة في كثرة مجيء اسم الفاعل مما تجاوز ماضيه الثلاثة على فاعل وقلة مجيء اسم المفعول فيما تجاوز الثلاثة على مفعول نحو قولهم أَوْرَسَ الرِّمْثُ فهو وارس وأَيفع الغلام فهو يافع وأبقل المكان فهو باقل وقوله(٧٠) :

يَخْرُجْنَ من أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضِي(٧١)

وقوله(٧٢) :

تَكْشِفُ عَنْ جَمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالْ

٢/٥ وقلة نحو قوله(٧٣) :/

إذا ما اسْتَحَمّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وهو مَوْدُوعٌ وواعِدُ مَصْدَقِ

وإنما قياسه مُودَع لأنه منقول من ودع يدع : إذا استراح واتّدع ، ومنقوله أودعته ، كـ « قرّ » و« أقررته » و« هدأ » و« أهدأته » وهدّأته = هو كثرة فاعل في الكلام وقلة مفعول . ألا ترى أن فاعلاً يكون اسماً

(٦٩) الخصائص ١٠٨/٢ .

(٧٠) وهو رؤبة ، ديوانه ٨٢ . والبيت بلا نسبة في المحتسب ٢٤٢/٢ ، والمقتضب ١٧٩/٤ ، وتخريجه فيه .

(٧١) في الأصل « أجواد » ، وهو تحريف .

(٧٢) نسب البيت إلى العجاج ، ولم يرد في أصول ديوانه ، انظر ديوانه ــ ملحقات مستقلة ٣٢١/٢ وتخريجه فيه ٤٧٥/٢ . وهو بلا نسبة في المنصف ١٧٩/٤ .

(٧٣) وهو خفاف بن ندبة السلمي ، الأصمعيات ٢٤ ، وشعر خفاف ٣٣ . وهو بلا نسبة في المحتسب ٢٤٢/٢ ، والخصائص ٢١٦/٢ .

كالكاهل والغارب والساعد ، وصفةً كالضارب والراكب ، ومصدراً كالباغز[٧٤] والفالج والباطل ، واسماً للجمع كالسَّامر والدابر[٧٥] . فلما كثر فاعل عندهم جاز أن يُنصَرف إليه عن مُفعِل على اعتقاد حذف الزيادة . ولمّا كان مفعول لا يوجد عندهم إلا صفة[٧٦] نحو مضروب ومقتول وعزَّ في كلامهم لم يُخْرَج إليه عن مُفْعَل خروجَهم إلى فاعل عن مفعِل إلا في هذا الحرف الشاذ ، وهو « مودوع » .

وأما قوله[٧٧] :

يــــا رُبَّ مُهْــــرٍ مَــــزْعُـــوقْ

فإنه كأنه من نشاطه قد صيح به وزعق به ، فهذا كقوله[٧٨] :

إلى غَيْرِ مَوْثُوقٍ مِنَ الأَرْضِ تَذْهَبُ

أي موثوق به ، وكقول لبيد[٧٩] :

(٧٤) الباغز : النشاط .

(٧٥) لم أجد « الدابر » اسماً للجمع . وفي كونه كذلك نظر ، فقد يراد به المفرد وقد يراد به الجمع بحسب ما يضاف إليه ، يقال : دابر الشيء : آخره ، فهذا من المفرد ، ويقال : دابر القوم : آخر من يبقى منهم ويجيء في آخرهم ، فهذا قد يراد به المفرد وقد يراد به الجمع .

(٧٦) قد يقع « مفعول » مصدراً كالميسور والمعسور والمعقول ، انظر ما سلف ص٤٥ برقم ٢٢ ، والكامل ١٥٦ ، والمسائل المنثورة ١٢٢ .

(٧٧) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢٨٩/٣ ، واللسان (ز ع ق) .

(٧٨) يشبه ما أنشده ابن جني هنا وفي الخصائص ١٩٣/١ ، وصاحب اللسان (و ث ق) أن يكون رواية لقول بشر بن أبي خازم [ديوانه ٩] :

لَتَحْتَمِـلَنْ منكـم بـليـل ظعينـةٌ إلى غـير مـوثـوق من العـزّ تهـربُ

وفي الأصل « يذهب » والصواب من الخصائص واللسان .

(٧٩) ديوانه ١١٩ ، وتخريجه فيه ٣٧٦ ، وهو في الكتاب ٢٧٤/٢ ، والخصائص ١٩٣/١ . وصدر البيت :

أَلنَّاطِقُ المَبْرُوزُ والْمَخْتُومُ

أي المبروز به ، ثم حذف حرف الجر ، فلما حذف ارتفع الضمير ، فلما ارتفع تضمنه اسم المفعول .

٣٤ = [٢٥٩] مسألة :

القول على « سِجِسْتان » يجب أن تكون تاؤه زائدة لمخالفة البناء بها مثال الأصول . ألا ترى أنه ليس معنا في الرباعي فِعِلّ نحو جِعِفْر ؟ فمثاله على هذا فِعِلْتان . ويجوز مع هذا أن تكون التاء فيه أصلاً[٨٠] وإن لم يوجد في كلامهم فِعِلّ رباعياً . ألا ترى أنه قد يجوز مع الألف والنون من المُثُل ما لا يوجد على انفراده منهما نحو رَيْبُدان[٨١] ورَيْهُقان[٨٢] وهَيْرُدان[٨٣] وعَرَيْقُصان[٨٤] . فأما عَرَنْقُصان بالنون فليس كذلك لأنه قد جاء عنهم القَرَنْفُل . ومثل العَرَيْقُصان العَبَيْثَران والعَبَوْثَران[٨٥] أيضاً كذلك . ونحو منه

أو مُـــذْهَب جُـــدَد عـــلى ألواحِـــه

ويروى : « ...ألواحهنّ النّاطق ... » .

(٨٠) ذكر ابن سيده « سجستان » في الرباعي (س ج س ت) ، انظر اللسان والتاج .

(٨١) هو نبت . انظر سفر السعادة ٢٨٦ والمصادر ثمة .

(٨٢) كأنه في الأصل « ريهتان » ولم أجده . ولعل الصواب ما أثبت . وقد ذكره ابن جني – أعني الريهقان – في الخصائص ١٩٤/٣ ، وهو الزعفران .

(٨٣) هو نبت ، وعن ثعلب أنه اللصّ ، وليس بثبت ، انظر الكلام عليه في سفر السعادة ٥٠٣ والمصادر ثمة .

(٨٤) هو الذي يسمى الحندقوق . وانظر « العريقصان » في الكتاب ٣٣٧/٢ ، وأبنية الزبيدي ١٣٩ ، ١٤٢ ، والنكت للأعلم ١١٧٢ ، وتهذيب اللغة ٢٧٩/٣ ، والقاموس واللسان والتاج (ع ر ق ص) ، وسفر السعادة ٣٧٢ .

(٨٥) وهو نبت طيب الريح ، انظر سفر السعادة ٣٦٤ .

التَّرْقُوَة[٨٦] والقَمَحْدُوة[٨٧] وتَحَوِيّ[٨٨] في النسب/إلى تحِيّة . ومنه خُطُوات وحُسُوات ، ولذلك نظائر . ٩ د

فقد تكون على هذا « سِجِسْتان » فِعِلاّن كما كانت تاء تَرْجُمان[٨٩] أصلاً وإن لم يكن يوجد في ذوات الأربعة فَعْلُل ، فاعرف ذلك .

٣٥ = [٢٦٠] مسألة :

امتنع أبو الحسن[٩٠] من إجازة نحو قولهم « أحقُّ النـاس بمال أبيه ابنُـه » قـال : لأنه ليس في الخبر إلا ما في المبتدأ ، وليس كذلك وَضْعُ الخبر ، بل وضعُه على تناول الفائدة منه .

قال أبو علي[٩١] : فإن قلت : « أحقّ الناس بمال أبيه ابنُه البَرُّ به ، أو المُجْدي عليه » أو نحو ذلك = كانت المسألة على فسادها أيضاً . قال : لأن الخبر نفسه الذي هو « ابنه » غير مفيد ولا ينفعه مجيء الصفة المفيدة من بعده لأن نفس لفظ الخبر غير مفيد ، وليس على هذا وضعُ الأخبار . فإن قيل من بعد : فقد قال الله سبحانه : ﴿ قل إنَّ الموتَ الذي تَفِرُّونَ منه فإنَّه مُلاَقِيكم ﴾ [سورة الجمعة : ٨] ولولا الصفة الضَّامنة[٩٢] لمعنى الشرط لَما

(٨٦) العظم المشرف على ثغرة النحر ، انظر سفر السعادة ١٨٥ .

(٨٧) فأس الرأس المشرف على نقرة القفا ، انظر سفر السعادة ٤٣٤ .

(٨٨) انظر الخصائص ١٩٤/٣ .

(٨٩) انظر الخصائص ١٩٣/٣ .

(٩٠) سعيد بن مسعدة الأخفش . ولم أصب كلامه . وقد تكلم أبو الفتح على هذه المسـألة في الخصـائص ٣٣٦/٣ ـ ٣٣٨ ولم ينقل ثمة كلام أبي الحسن ولا كلام أبي علي ، وقال في آخر كلامه : « .. ولكن صحـة المسـألة : أحقّ النـاس بمـال أبيـه أبرُّهم به وأقوَمُهم بحقوقه . فتزيد في الثاني ما ليس موجوداً [كذا] في الأول » .

(٩١) الفارسي . ولم أصب كلامه .

(٩٢) كأنها كذلك في الأصل .

جاز دخول الفاء في الخبر ، ألا تراك لو قلت : إن الموت فإنه ملاقيكم لم يجز كما لا يجوز « زيد فمنطلق »[٩٣] ؛ فهلاّ كما جاز دخول الفاء لما ضمنه معنى الصفة من الشرط في الصفة جاز أيضاً « أحق الناس بمال أبيه ابنُه البارُّ به » ونحو ذلك ، لما اتصل بالخبر من الصفة الزائدة المعنى على مجرد المبتدأ = قيل : جمعت بين أمرين متباعدين . ألا تعلم أنه ليس من شرط المبتدأ أن يكون مفيداً ، إنما من شرط الخبر أن تكون الفائدة مجتناة منه . فإذا كان كذلك لم ينكر أن يقنع المبتدأ بما أفيد من صفته ولا يقنع الخبر بما أفيد من صفته . وهذا فرق ظاهر مع أدنى تأمل .

٣٦ = [٢٦١] مسألة :

إذا دخل على حرف الشرط واو الحال لم يُجَبْ ، بذلك ورد كلامهم . وذلك قولنا : أحسن إلى زيد وإن كفرك واشكره وإن أساء إليك ، أي أحسن إليه كافراً لك واشكره مسيئاً إليك . فإن أجيب الشرط كانت الواو عاطفة لا للحال ، وذلك كقولنا : أحسن إليه وإن كفرك فلا تَدَعِ الإحسانَ إليه ، واشكرْه وإن أساء إليك فأَقِمْ على شكره ، ونحو ذلك . فالواوان للعطف[٩٤] لا للحال/ولو كانت للحال لم يكن هناك ٢/٥٩
جواب . ألا ترى إلى بيت « الكتاب »[٩٥] :

عَاوِدْ هَرَاةَ وإنْ مَعْمُورها خَرِبا

(٩٣) لأنّ المبتدأ عارٍ عن معنى الشرط والجزاء ، انظر شرح المفصل ١/٩٩ – ١٠٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٤ .

(٩٤) في الأصل : « ونحو ذلك قالو الا ان للعطف » وكتب الناسخ تحت « لا » من « إلا » : « و » ، كأنه أراد قراءة العبارة كما أثبت .

(٩٥) الكتاب ١/٤٥٧ بولاق = ٣/١١٢ هارون ، وشرح المفصل ٩/١٠ . وهو من أبياتَ لشاعر هرويّ في اللسان (هـ ر ا) ، وعجز البيت كما في اللسان :

وأَسْعِدِ اليومَ مشغوفاً إذا طربا

أي عاود هراة خرباً معمورها . وإنما كان ذلك من قبل أن الحال فضلة وأصل وضع الفضلة أن يكون مفرداً كالظرف والمصدر والمفعول به ونحو ذلك . فلما كان كذلك لم يجيبوا الشرط إذا وقع في موضع الحال ، لأنه لو أجيب لصار جملة ، والحال إنما هي فضلة ، فالمفرد أولى بها من الجملة .

فإن قلت : فإن الشرط أيضاً جملة ، ألا تراه من فعل وفاعل = قيل : الشرط وإن كان جملة فإنه يجري عندهم مجرى الآحاد من حيث كان محتاجاً إلى جوابه احتياج المبتدأ إلى خبره . ولو كان له حكم الجمل البتة لساغ الاقتصار عليه . ويدلك على ذلك أيضاً قول الله سبحانه : ﴿ وأَمَّا إنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة : ٩٠] و« أَمَّا » هذه لا يقع بعدها الجمل ، إنما هو موضع للمفردات ، كقولك : أمَّا زيد فمنطلق ، وأمّا فرسخاً فسار عبد الله ، وقوله تعالى : ﴿ فأَمَّا الْيَتِيمَ فلا تَقْهَرْ ﴾ [سورة الضحى : ٩٠] ولو كان للشرط حكم الجمل البتة لَماجاز أن يُباشر[٩٦] « أمّا » هذه . فلمّا كان هذا حكم الشرط ووقعت قبله واو الحال لم يُجَبْ لأنه إذا لم يُجَب أشبه المفرد من حيث ذكرنا ، والحال بابها أن تكون مفردة . (فأصلح)[٩٧] اللفظ بذلك .

فإن قيل[٩٨] : ألا تعلم أن واو الحال إنما هي موضوعة لوقوع الجمل بعدها لا لوقوع المفردات ، ألا تراك تقول : مررت بزيد وهو جالسٌ ، وضربت عبد الله ويدُه مشغولة .

٣٧ = [٢٦٢] مسألة :

(٩٦) في الأصل : تباشر ، والصواب ما أثبت .

(٩٧) كذا وقع .

(٩٨) لم يأت لـ « إنْ » بجواب ، والكلام ناقص .

لَاهُـــمَّ إنَّ الحَــارِثَ بنَ رُهْــمِ[٩٩]
أَوْذَم حَجّـــاً في ثيـــابٍ دُسْـــمِ

هذا كقـول الله سبحـانـه : ﴿ بمـا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَـانَ ﴾ [سـورة المائدة : ٨٩] ، وقوله[١٠٠] :

قَوْمٌ إذَا عَقَـدُوا عَقْـداً لِجَـارِهِـمُ

ونحوه : ﴿ لا جُنَاحَ عليكم ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٦] ومثل قوله
٦/١ ﴿ لا جناح عليكم ﴾ قولهم الذَّنْب وأَذْنَب . ومنه قوله عز اسمه :/﴿ فَقَد احْتَمَلَ بُهْتَاناً وإثْماً مُبيناً ﴾ [سورة النساء : ١١٢] ، وقوله[١٠١] :

وحَمَّـلْتَـني ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَـهُ

فاجمع بين هذه الأشباه من طريق المعنى .

٣٨ = [٢٦٣] مسألة :

أَبْـلِغِ النُّـعْـمَــانَ عَنِّي مَـأْلُكـاً أَنَّـــه[١٠٢] . . . .

---

(٩٩) البيتان بلا نسبة في تهذيب اللغة ٣٧٧/١٢ و٢٩/١٥ ، واللسان (د س م ، و ذ م) . ورواية الأول :

لا هـــمَّ إنّ عـــامـــر بن جَهْـــمِ

(١٠٠) وهو الحطيئة ، ديوانه ١٢٨ ، وعجز البيت :

شـــدوا العنـــاجَ وشـــدوا فوقـه الكـربا

(١٠١) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه ٤٨ (صنعة ابن السكيت) ٣٧ (صنعة الأعلم) ، واللسان (ع ر ر) . وعجز البيت :

كذي العُـــرِّ يكـــوى غـــيره وهـــو راتعُ

وفي اللسان « فحملتني » ، وفي الديوان (صنعة ابن السكيت) : « حملت علي ذنبه وتركته » ، وفي صنعة الأعلم « لكلفتني » واللام جواب قوله :

حـــلفت فـــلم أترك لنفسك ريبـــة وهـــل يـــأثمن ذو إمـــة وهـــو طـــائع

(١٠٢) تمام البيت :

أنـــه قـــد طـــال حبســـي وانتـــظـــار =

بالفتح والكسر . فمن فتح جعله بدلاً من « مألكاً » يصير كأنه قال : أبلغ النعمان عني أنه قد طال حبسي وانتظار . ويجوز أن يكون « مألكاً » على هذا القول حالاً من قوله « أنه »[١٠٣] أي أبلغه هذه الصورة رسالةً ، ثم قدم حال المفعول به عليه ، كقولك : ضربت قائمةً هندَ ، وكقول العَجَّاج[١٠٤] :

إذا سَمِعْتَ صَوْتَها الخَرَّارا
أَصَمَّ يَهْوِي وَقْعُها الصَّرَّارا

أي أصمَّ وقعُها الصَّرَّارَ هاوياً ، ثم قدم « يهوي » وهو حال على صاحبها وهو « الصرّار »/ . فهو أوكد من الأول لأنه نظير : ضرب قائمةً ٦٠
زيدٌ هندَ .

وأمّا مع كسر « إنَّ » فـ « مألكاً » مفعول به ، ثم ابتدأ فقال :

= وسلف الاستشهاد به ص١٣٧ برقم ١٥٣ ، وعلق المحقق الأستاذ علي شاكر عليه بقوله « والبيت من قصيدة في ديوان عدي ص٩٣ أخطأ محقق الديوان فجعلها مكسورة القافية وهي ساكنة » اهـ .

قلت : بل هي مكسورة الروي ، انظر الديوان ، والأغاني ١٤٤/٢ ، وشرح أبيات المغني ٨٣/٥ . وقد استشهد صاحب العقد ٤٦٢/٥ بهذا البيت على الضرب المتمّم في الرمل : فاعلاتن ، فالروي عنده مكسور « وانتظاري » .

ويجوز التقييد في الرمل ، انظر قوافي الأخفش ٩٩ وأنشد على التقييد في الوافي ١٢٣ = الكافي ٩٤ ، وحاشية الدمنهوري على متن الكافي ٩٢ (عن معجم شواهد العربية ١٣٥ . وقال الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله : وصوابه : وانتظاري . وهذا ليس بخطأ فيقال فيه ذلك) .

والبيت في المنصف ٣٠٩/١ و١٠٤/٢ ، والمحتسب ١٤٤/١ ، ٣٣٥ .

(١٠٣) في الأصل : أني ، والصواب ما أثبت .

(١٠٤) ديوانه ١٢١/٢ ، وتخريجهما فيه ٤٢٣/٢ . وكتب بعد البيتين في الأصل « من عصفور » ؟

إنَّــهُ قَـدْ طَـالَ حَبْسِـي وانْتِظَــارْ

فكانت هذه الجملة بعد قوله « مألكاً » مفسرة للمألك ، كما أن قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] فصار قوله ﴿ خلقه ثم ﴾ كذا تفسيراً للمَثَل ؛ وكقوله : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة المائدة : ٩] فقوله ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ تفسير للوعد ؛ وكقوله[١٠٥] :

عَشِيَّــةَ مَـاوَدَّ ابنُ غَـرَّاءَ أُمُّــه   لهـا مِنْ سِـوَانـا إذْ دَعـا أَبَوَانِ

فقوله « أمّه » إلى آخر البيت تفسير للودّ .

ووجه آخر ، وهو أن يكون قوله :

إنــه قـد طـال حبسـي وانتظــار

ذا موضع منصوب بدلاً من « مألكاً » ، فكأنه قال : أبلغ النعمان عني إنه قد طال حبسي ، فيجري مجرى قولك : أبلغه عني قام زيد ، وحدِّثه عنا الحقُّ واضح أي أبلغه وحدّثه بهذا اللفظ ، فهو كقولك : أخبرته أخوك قائم ، أي أخبرته بهذا القول . فالبدل إذاً مع المكسورة كالبدل فيما مضى مع المفتوحة ، إلا أن بينهما فرقاً ما ، وهو أنه إذا فتح فكأنه قال : أبلغه هذا المعنى إن شئت بهذا اللفظ وإن شئت بغيره حتى كأنه قال : قل له هو يصف لك ويشكو إليك طول حبسه وانتظاره أو ما هو عليه من امتداد زمان انتظاره وحبسه وغير ذلك .

٣٩ = [٢٦٤] مسألة :

(١٠٥) وهو الفرزدق ، ديوانه ٨٧٢ ، والنقائض ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، والرواية فيهما :

« .... ابن غرّاء أنه   له من ... » .

قالوا : أَقرضت[١٠٦] الرجل قَرْضاً وقِرْضاً ، فجاء المصدر لمّا حذفت زيادته على فَعْل وفِعْل ، وقد جاء أيضاً على فُعْل ، قالوا : أفحش[١٠٧] في قوله فُحْشاً . إلا أنّ أقْيَس ذلك فَعْل مفتوح الفاء من موضعين :

أحدهما : أنك إذا حذفت الزيادة عاد ثلاثياً ، وأكثر الثلاثي فَعَل ، وأكثر فَعَل متعدّ ، ومصدر فَعَل المتعدية فَعْل ، كضربته ضرباً وشتمته شتماً ، فهذا هذا .

والثاني : أن ما حذف زائده من الفعل أكثرُه فَعْل . منه « جاء وَحْدَه » وإنما هو مصدر أوحدته إيحاداً ، ومنه « عَمْرَكَ اللهَ » أي عمرتك الله تعميراً/ ، وقالوا : عَلِق الشيءُ بالشيء ، وقالوا : غَلِقَ الرجلُ : إذا لم ٦١
يتجه لأمره ، ففصلوا بين المعنيين باختلاف الحرفين ، وخصوا أحدهما بالعين لأنها أنصع من الغين ، وذلك أن الشيء إذا علق بالشيء خصّ موضعاً منه وخلص له كالرجل يُعْلِق صاحبه يده ، وكالخطّاف يعلق بغيره ، ونحو ذلك ، وليس كذلك الغين . ألا ترى أن الغَلْق انطباق الشيء وتحيّزه لا يخص جهة دون جهة كالقلب لا يُهتدى لوجهه ولا يُنصع لحال مختصة . وكذلك « غَلِقَ » الرَّهن لأنه لا يهتدى له ولا يُنصّ على حال محصّلة منه . فلصفاء العين ونصاعتها ما خُصّت بالشيء يعلق بالشيء مختصاً بجهة مميزة ، ولغلظ الغين وانغمامها ما خصت بما تصحبه الحبسة والحيرة ولا توضع اليد منه على ناحية مخلصة .

فتفطن لهذا ونحوه ، وسرّ حكمة هذه اللغة الشريفة ، وتأتَّ له ، ولا تجفُ عليه . ألا ترى أنهم قالوا لمن لا يتجه لأمره : عَيَاياء طَبَاقاء ، فـ« طباقاء » مما نحن فيه ، وقال الله سبحانه : ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ

(١٠٦) في الأصل : قرضت ، والصواب ما أثبت .

(١٠٧) في الأصل : فحش ، والصواب ما أثبت .

بِخَيْرٍ ﴾ [سورة النحل : ٧٦] . وكلام العرب أغمض وألطف ، وإنما نتلامح وحياً ونشاهد لطفاً .

٤٠ = [٢٦٥] مسألة :

قولهم : مررت برجلٍ عاملٍ كاتبٍ ، من غير عطف الصفة الثانية على الأولى = يوكّد ما يذهب[١٠٨] إليه من أن الصفة الثانية صفة للموصوف موصوفاً بالصفة الأولى ، فالضمير في الصفة الثانية إذاً عائد على الموصوف والصفة الأولى جميعاً . وهذا يدلّ أيضاً على شدة اتصال الموصوف بالصفة مضافاً إلى ما يدل عليه من الأماكن من غير هذا الوجه .

٤١ = [٢٦٦] مسألة :

قال بشامة بن الغدير :

دَرَسَتْ وقَدْ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ   بَعْدَ الأَنِيسِ عَفَوْنَها سَبْعِ

قدّم الظرف في وصف النكرة على الجملة والجملة على المفرد . وأعدلُ من هذا البيت الآيةُ وهي قول الله سبحانه : ﴿ وقال رجلٌ مؤمِنٌ من آل فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانه ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ألا تراه قدّم المفرد على الظرف والظرف على الجملة ؟ وهكذا يجب في الترتيب لأن

٢/٦ الموضع/للمفرد ، والظرف أقرب إلى المفرد من الجملة ، والجملة فيما بعد . وقال عزّ اسمه : ﴿ وجاءَ رجلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يسعى ﴾ [سورة القصص : ٢٠] فقدم الظرف على الجملة كما ترى ، هذا إذا جعلتهما صفتين ، وكذا ينبغي .

بقي في القسمة شيء آخر ، وهو أن ترفع الصفة المفردة مُظْهَراً نحو مررت برجل قائمٍ أخوه ، فهذا في الرتبة قبل الظرف وبعد الصفة المفردة الرافعة للمضمر نحو مررت برجل ظريف ، فاعرفه .

(١٠٨) قوله « يذهب » لم أعرف من عناه . وربما كان الصواب « نذهب » .

٤٢ = [٢٦٧] أنشد أبو العباس محمد بن يزيد لمحمد بن عبد الملك الزيات :

ما لِي إذا غِبْتُ لَمْ أُذْكَرْ بِوَاحِدَةٍ وإنْ مَرِضْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعَدِ
ما أَعْجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتُحْرَمُهُ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلأْتُ يَدي

٤٣ = [٢٦٨] من باب « عَلِجّ »[١٠٩] وبابه قولهم : جمل بُخْتِجّ[١١٠] .

٤٤ = [٢٦٩] وقال ابن عباس[١١١] : « لا بأس برمي الحِدَوْ » يريد الحِدا ، ومثله « حُبْلَوْ » و« أَفْعَوْ » .

٤٥ = [٢٧٠] وقال :

أدام اللهُ إمْتَاعَ المناعي[١١٢] بطُول بقاء سيِّدنا المُطَاعِ
فنحنُ بطَوْلِه وعلى يديهِ بنو الأنعامِ والعَدْلِ المُشَاعِ

٤٦ = [٢٧١] حدثني أبو القاسم المظفّر بن المغيرة عن أبيه عن جده – وكان يُخصّ بأبي تمّام ويخفّ عليه – قال : دخلت يوماً على أبي تمام وإذا هو مؤتزر بفوطة متّشح بأخرى ، وبين يديه دواوين العرب ، ينظر في هذا ثم في هذا ، ثم يجمّ شيئاً ، ويثبت بيده شيئاً يكتبه ، وإذا هو في شدة قد مسَّته . قال : فقلت له : يا سيدي ، أنت – والله – في أمر عظيم ينال منك وأُشفق منه عليك ، فلو اقتصرت على بعض هذا ، فإنَّ الناس يكفيهم عفوك من جهدك ، أو كلاماً هذا نحوه ، أشكّ أنا فيه ، إلا أن هذا طريقه . قال : فقال لي : ويك ! إنها قلائد تبقى في أعناق الرجال فانظر بماذا

(١٠٩) أي عليّ وبابه مما أبدلت فيه الجيم من الياء ، انظر سر الصناعة ١٧٥ .
(١١٠) أي بختيّ ، ولا أعرف أحداً ذكر إبدال الجيم من الياء في هذا الحرف .
(١١١) انظر اللسان (ح د و) .
(١١٢) كأنه كذلك في الأصل .

تقلّدهم .

٤٧ = [٢٧٢] مسألة :

كان أبو عليّ – رحمه الله – يقول[١١٣] في النداء : إنَّ فيه معنى الفعل ، قال : « ألا ترى أنه إذا قال لها يا زانية ، وجب عليه الحدّ ، كما أنه
١/٦١ إذا قال لها : زنيت ، كان/كذلك » . هكذا كان رحمه الله يقول مرسلاً كما ترى .

والذي أراه في هذا أنه ينبغي أن يكون معنى الفعل مفاداً من لفظ[١١٤] المنادى إذا كان فيه معنى الفعل . ألا ترى أنه إنما يفاد معنى الفعل على قدر لفظ المنادى ومعناه. فإذا قال له : يا قائم ، أفيد منه معنى القيام ، وإذا قال له يا قاعد أفيد منه معنى القعود ، وإذا قال له يا ساكت أفيد منه معنى السكوت ، وإذا قال يا متكلم أفيد منه معنى كلامه . فلو كان هذا أمراً مفاداً من نفس « يا » لَما تناول الشيء وضده واستمر هكذا . فقد علمت بذلك أنه إنما ينبغي أن يكون معنى الفعل مفاداً من نفس المدعوّ لا من لفظ « يا » . يؤكده عندك أنه لو قال : يا زيد ، أو يا جعفر ، لَما أفيد هناك معنى فعل غير ما يفيده « يا » من معنى النداء كما تفيده « هل » من معنى الاستفهام و« بل » من معنى الإضراب ، و« مِن » من معنى الابتداء والتبعيض .

وليس هذا أراد . ألا ترى أنه قال : لو قال لها يا زانية لَحُدَّ ، والإنسان لا يحدّ للنداء وإنما يحدّ للقذف . ولو كان هذا أمراً راجعاً إلى نفس النداء لوجب أن يكون لو قال له يا زيد ، حُدَّ لوجود لفظ النداء هناك ، وكذلك لو قال لها : يا هند ، ويا جُمل . وهذا واضح . ويؤكد

---

(١١٣) لم أصب كلامه .

(١١٤) في الأصل : « من معنيين لفظ » بإقحام « معنيين » .

عندك ما ذكرنا قولُه(١١٥) :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي   فَيَا عَجَبًا لِرَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

ألا ترى أن فائدة القول « ويوم عقرت للعذارى مطيتي » : يوم عقرت فعجبتُ لرحلها المتحمّل ؟ ألا ترى كيف عطف العجب على العقر ، فمعنى العجب مفاد من لفظه لا من لفظ « يا » فافهم ذلك .

٤٨ = [٢٧٣] مسألة :

من قوة شَبَه الظرف بالفعل أن شُرِط به ، وأن أُجيب الشرط به نحو قوله(١١٦) تعالى : ﴿ إذا هم يَقْنَطُون ﴾ [سورة الروم : ٣٦] ، وأن عُطف على الفعل وعُطف الفعل عليه(١١٧) .

٤٩ = [٢٧٤] مسألة :

من باب قوله(١١٨) :

مِئْبَرَةُ العُرْقُوبِ إشْفَى المِرْفَقِ

وقوله(١١٩) :/ /٦٢

يَتَقَيَّلُونَ ظِلاَلَ كُلِّ مُطَهَّمٍ   أَجِلِ الظَّلِيمِ ورِبْقَةِ السِّرْحَانِ

(١١٥) وهو امرؤ القيس ، والبيت هو العاشر من معلقته ، ديوانه ١١ ، ويروى « من رحلها » انظر الديوان ٣٦٨ .

(١١٦) في الأصل : « الشرط به وقوله » والصواب ما أثبت .

(١١٧) سلف عطف الظرف على الفعل وعطف الفعل على الظرف ص٣٨ برقم ١١ و١٢ .

(١١٨) سلف البيت ص١٠٥ برقم ٩٠ .

(١١٩) وهو المتنبي ، ديوانه ٤/١٧٩ .

فاجمع بينهما[١٢٠] . ومنه قوله[١٢١] :

طَبَـــقُ الأَرْضِ تَحَـــرَّى وتَـــدُرّْ

٥٠ = [٢٧٥]

أَسْتَــغْــفِــرُ اللهَ وأَسْتَــقِــيـــلُهْ
مَـــا أَنـــا مِمَّـــنْ شَـــيْبُـــهُ يَهُـــولُهُ
أَشَـــــدُّ مِنْ نُـــزُولِهِ رَحِيـــــلُهْ

٥١ = [٢٧٦] قولُه[١٢٢] :

رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

من باب « العَوَاوِر »[١٢٣] فاجمع بينهما[١٢٤].

---

(١٢٠) الجمع بينهما أن المتنبي وصف بالاسم « أجل » و« ربقة » كما وصف الأول بـ « مئبرة » و« إشفى » ، وكما وصف امرؤ القيس بقوله « طبق » وهي جميعاً أسماء .

(١٢١) وهو امرؤ القيس ، ديوانه ١٤٤ ، وصدر البيت :

ديمَـــــةٌ هطـــــلاءُ فيهـــــا وَطَفٌ

(١٢٢) وهو أبو كبير الهذلي ، ديوان الهذليين ٨٩/٢ ، والمحتسب ٣٤٣/٢ ، وكتاب الشعر لأبي علي ٧٣ ، وشرح المفصل ٣١/٨ ، والإنصاف ٢٨٥ ، والخزانة ١٦٥/٤ – ١٦٦ . وصدر البيت :

أزهَـــيْرُ إن يَشِبِ القَـــذالُ فـــإنّـــني

ويروى « رُبَّ » بفتح الباء .

(١٢٣) من قول جندل بن المثنى الطهوي :

وكحَّـــلَ العَيـــنـــين بـــالعـــواوِرِ

وهو في الكتاب ٣٧٤/٢ ، وشرح أبياته لابن السيرافي ٤٢٨/٢ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٣٧٤ ، وسر الصناعة ٧٧١ ، والمحتسب ١٠٧/١ ، ٢٩٠ ، والمنصف ٤٩/٢ ، والخصائص ١٩٥/١ و١٦٤/٣ ، ٣٢٦ (ونسبه إلى العجاج وليس له) .

(١٢٤) اجتماعهما أنه حذف الباء من « رُبَّ » وبقيت الباء ساكنة « كما كانت قبل الحذف وإن لم يكن هناك موجب للحركة لالتقاء الساكنين ، ولولا ذلك لوجب تسكين =

٥٢ = [٢٧٧] كان يقال : أربع لا يشبعن من أربع : عَيْن من نَظَر ، وأنثى من ذَكَر ، وسمع من خَبَر ، وأرض من مطر . ينبغي أن يضاف إليها خامسة : وقلب من فِكَر .

٥٣ = [٢٧٨] مسألة :

ينبغي أن تكون لام « المزيّة » ياء حتى كأنها مقلوبة من مِزْته من صاحبه ، لأن صاحب المزية مميَّز عن غيره ومؤثَر .

٥٤ = [٢٧٩] قال لي أبو علي(١٢٥) رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين(١٢٦) : ما لي صديق إلا واشتهى أن يكون كتاب أبي الحسن(١٢٧) في معاني القرآن عنده .

٥٥ = [٢٨٠] وقلت له يوماً ببغداد – أظنه سنة خمس وسبعين(١٢٦) – شيئاً ذكرت فيه أبا الحسن علي بن عيسى بن الرُّمّاني عفا الله عنا وعنه – وأبو الحسن إذ ذاك قد ساند الثمانين – فقال : نعم ، هو صبيّ .

٥٦ = [٢٨١] وكان أبو عليّ – رحمه الله – في هذا الباب ونحوه جبّاراً ، يرى نفسه وأهل هذا الشأن بحيث هي وهم ، وقد كان فيما يراه منه

= باء ربّ كتسكين لام هل وبل ودال قد إذ لا ساكنين هناك فتجب الحركة لالتقائهما » عن المحتسب = كما أنه حذف الياء من « العواوير » وصحّح الواو في « العواوِر » ولم يهمزها وإن كان القياس همزها لأن الألف قد اكتنفها واوان لإرادة الياء في العواوير وللدلالة على أن هذا « العواور » محذوف من ذلك « العواوير » الذي لو لم يحذف لما كانت الواو فيه إلا مصححة ، أفدته من كلام ابن جني في الخصائص ٣٢٦/٣ ، والمنصف ٤٩/٢ ، والمحتسب ٣٤٣/٢ في كلامه على « لا أكلمك حيريْ دهر » .

(١٢٥) الفارسي ، شيخ ابن جني .

(١٢٦) وثلاثمائة .

(١٢٧) سعيد بن مسعدة الأخفش .

معذوراً بالإضافة إليهم ، فإنه كان فيه أحداً ولا أحد إليه أحداً .

٥٧ = [٢٨٢] وكان يعظّم أبا عثمان ، ويكاد يعبد أبا الحسن[١٢٧]، ولم يكن أبو العباس[١٢٨] عنده إلاّ رُجَيْلاً ، ولم تكن جنايته عنده على نفسه في تعقّبه كلام سيبويه بكتابه الموسوم بـ « الغلط » إلى غاية ، وكان أبو عمر[١٢٩] في نفسه قصداً ومتسلِّماً[١٣٠] ، وكان بأَخَرة ربما جمش أبا بكر[١٣١] وعذمه[١٣٢] ، ولم يكن رأيه فيه متأخراً رَأيُه فيه متقدماً ، وكان عن أبي إسحق[١٣٣] راضياً مع ما عمله به في كتاب « الإغفال » الذي ردَّ به عليه ./ ١/٦٤

٥٨ = [٢٨٣] وذاكرتُه يوماً بابن كَيْسان فرأيته قابلاً به ومشتغلاً بمذهبه .

٥٩ = [٢٨٤] وقال لي : قال لي أبو بكر محمد بن الحسن[١٣٤] وقد جئته لأقرأ عليه كتابه في « الجمهرة » ، وبدأت برسالته لأقرأها عليه ، فقال لي : أنت — والله — يا أبا عليّ — أعلم بهذا الأمر مني ، فقلت : لا بدّ من قراءتها على كل حال ، هي سماعٌ .

٦٠ = [٢٨٥] وقال لي : عملت كتابي في « إصلاح الإغفال »

(١٢٧) سعيد بن مسعدة الأخفش .

(١٢٨) محمد بن يزيد المبرّد .

(١٢٩) الجَرْمِيّ .

(١٣٠) قصداً : عدلاً ، ومتسلماً يريد سالماً ، ولم أجده . والذي ذكروه « مسلّماً » .

(١٣١) ابن السرّاج .

(١٣٢) قوله « جمش » كذا وقع . وعذمه : لامه وعنفه .

(١٣٣) الزجّاج .

(١٣٤) ابن دريد .

الردّ على أبي إسحق[١٣٣] قبل سنة عشرين[١٢٦] وأنا جالس في الرّواقين بطاق الحَرَّاني[١٣٥] ورجلاي مدلاّتان[١٣٦] إلى الطريق .

٦١ = [٢٨٦] وقال لي : كان قد أصاب رجلي حرّ ونزل إليها فصل[١٣٧] ففُصِدت ، وأشار علي الطبيب بلزوم المِدرعة[١٣٨] ، فأقمت بصف شُونيز[١٣٩] أربعين يوماً لا أتحرك . وكان يعتادني بعض الفقهاء يقرأ عليّ كتاب « الأَيمان » لمحمد[١٤٠] ، فأمللت عليه فيه شيئاً صالحاً – وأومأ إليّ أنه كثير وحسن – وعملتُ على انتساخه منه ففاتني ذاك ولم أتمكن منه فيما بعد ، لعائق ذكره .

٦٢ = [٢٨٧] وقال لي[١٤١] : لم أُودع كتابي في « الحُجَّة » شيئاً من انتزاع أبي العباس[١٢٨] غير جمعه بين الآية التي هي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إنَّ المَوْتَ الَّذي تَفِرُّونَ منه فإنَّه مُلاَقِيكُم ﴾ [سورة الجمعة : ٨] وبين البيت الذي هو قول زهير[١٤٢] :

---

(١٣٥) محلة ببغداد بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٤/٥ .

(١٣٦) في الأصل : مدلايتان ، وهو خطأ .

(١٣٧) كذا وقع .

(١٣٨) كأنها كذلك في الأصل . ويمكن أن تقرأ الميدعة ؟ ولعلها الدَّعَة .

(١٣٩) لم يذكر في معجم البلدان . وفيه الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، معجم البلدان ٣٧٤/٣ . وقال أبو علي في الحلبيات ١٥٩ : « ... كانوا يرونه [يعني السيرافي] يغشاني في صف شونيز ... » .

(١٤٠) ابن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة .

(١٤١) ذكر ذلك في الخصائص ٣٢٥/٣ أيضاً .

(١٤٢) البيت من معلقته ، ديوانه صنعة ثعلب ٣٠ (الدار) ٣٥ (قباوة) . ويروى :

ولو رام أسباب السماء بسلّم

ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ولَوْ رَامَ أَنْ يَرْقَى السَّمَاءَ بِسُلَّمِ

٦٣ = [٢٨٨] وقال لي بحلب سنة ست وأربعين(١٢٦) : إذا كان عند الإنسان كتاب أبي عبيدة في « المجاز » ، وكتاب أبي الحسن في « إعراب القرآن » ، وكتاب قُطْرُب في « الردّ على الملحدين » = استغنى بذلك عن هذه الكتب الطوال .

٦٤ = [٢٨٩] قال أبو العباس أحمد بن يحيى : قلت لأبي يوسف يعقوب بن السكِّيت : أكان قطرب يُتَّهم في روايته ؟ فقال : وأيُّ تُهَمة ! عندي عنه قِمَطْر سماعاً ، ولا أجسر أن أروي عنه حرفاً .

عُ(٦) ليس هذا رأي أصحابنا في قطرب ، وما هو عندهم بحمد الله إلاّ ثقةٌ .

٦٥ = [٢٩٠] اعلم أنّ جميع ما حذف منه حرف الجر مع الفعل تخفيفاً فلن(١٤٣) يعدو أن يكون قد نظر فيه إلى أنه في معنى فعل يصل بنفسه

٢/٦٢ من غير حرف يوصله . وذلك/نحو قوله(١٤٤) :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ

أي من ذنب ، ألا تراه في معنى : أستوهب الله ذنباً ؟

وكذلك قوله(١٤٥) :

(١٤٣) قوله : « اعلم أنَّ جميع ما حذف ... فلن » الفاء في قوله « لن يعدو » – وهو خبر « أنَّ » – زائدة ، وزيدت فيه لأن اسم أنَّ أضيف إلى الموصول « ما » .

(١٤٤) البيت بلا نسبة في الكتاب ١٧/١ ، والمقتضب ٣٢١/٢ و٣٣١/٤ ، والخصائص ٢٤٧/٣ ، والخزانة ٤٨٦/١ ، وعجزه :

رَبُّ العبـاد إليـه الوجـه والعمـل

(١٤٥) نسب البيت إلى أعشى بني طرود وغيره ، انظر الخزانة ١٦٤/١ – ١٦٦ . وهو في الكتاب ١٧/١ ، والمقتضب ٣٦/٢ ، ٨٦ ، ٣٢١ و٣٣١/٤ ، والكامل ٤٧ – =

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ

ألا ترى أن معناه : ألزمتك الخير وأشعرتك الخير وأوجبت عليك الخير ؟

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ واختارَ مُوسَى قَوْمَه سَبْعِينَ رَجُلاً ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] أي من قومه . ألا ترى أن معناه : سَلَبَ موسى قومَه سبعين رجلاً وأُفقد قومه سبعين رجلاً وابتزَّ قومه سبعين رجلاً ؟ لأنه إذا اختارهم منهم وحازهم(١٤٦) عنهم فقد ابتزَّهم إياهم وأفقدهم إياهم وسلبهم إياهم .

وكذلك قوله : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٣] أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . ألا ترى أن معناه [إذا](٤) عاملوهم أخسروهم .

وكذلك قوله(١٤٧) :

إذَا قالتْ حَذَامِ فأَنْصِتُوها

أي فأنصتوا إليها . ألا ترى أن معناه : إذا قالت فأولوها أسماعكم ؟

فتأمل جميع ما يعرض في اللغة من هذا النحو فإنك لا تعدم فيه نحواً مّما أريتك في هذا . وكله من باب الحمل على المعنى ، وقد ذكرنا من هذا

= ٤٨ والتعليق عليه ثمة . وعجزه :

فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(١٤٦) كأنه في الأصل « مازهم » والصواب ما أثبت .

(١٤٧) وهو لجيم بن صعب ، وقيل ديسم بن طارق ، انظر شرح أبيات المغني ٤/٣٢٩ – ٣٣١ . وهو في الكامل ٥٩١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٩٤ ، والخصائص ٢/١٧٨ . وعجزه :

فإنّ القولَ ما قالت حذامِ

ويروى « فصدقوها » وهي رواية ابن جني في الخصائص وعليها فلا شاهد فيه على ذلك .

ونحوه في كتابنا في « الخصائص »[١٤٨] شيئاً كثيراً ، فليضف هذا ونحوه إليه بإذن الله .

وكذلك ما زيد فيه حرف الجر نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تُلقُوا بِأَيْدِيكم إلى التَّهْلُكَة ﴾ [سورة البقرة : ١٩٥] زاد الباء لمّا كان معناه : لا تعطوا[١٤٩] بأيديكم إليها .

٦٦ = [٢٩١] مسألة :

قول الله عز اسمه : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهم يُخسِرُونَ . ألا يَظُنُّ أولئكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٣ – ٤] .

إن شئت كانت « يظن » هنا بمعنى « يعلم » ، وهو فاشٍ في اللغة ، نحو قوله[١٥٠] :

فَقُـلْتُ لَهُـمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ

أي تيقنوا .

وإن شئت كانت « يظن » هنا على بابها تصوراً وتَظَنِّياً ، وهو مع ذلك أقوى معنى . وإنما كان أقوى معنى لأنه يصير إلى أنه كأنه قال : ألا يتوهم أولئك أنهم مبعوثون ، أي فقد يُقنع في هذا بالتوهم ففيه كاف من ١/٦٤ تحقُّقه لِعظم الأمر وشدّته/فيكون إذاً كقول الشاعر :

(١٤٨) انظر الخصائص ٢/٤١١ – ٤٣٥ « فصل في الحمل على المعنى » و٢/٣٠٦ – ٣١٥ « باب في استعمال الحروف بعضها في مكان بعض » .

(١٤٩) كذا وقع ، ولعله « تُفْضُوا » .

(١٥٠) وهو دريد بن الصمة ، ديوانه ٤٧ وتخريجه فيه . وعجزه :

سـراتهـم في الفـارسـيّ المُسَـرَّدِ

ورواية الديوان : « علانية ظنوا .. » . والرواية كما هنا في اللسان (ظ ن ن) .

يَكْفِيكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ(١٥١)

أي فقد يجب لتوهّم البعث والنشور وما هناك وعظم الأمر وشدته = أن تجتنب المعاصي وتحذر كلَّ الحذر ، فضلاً عن تحقق الأمر والقطع بنفسه ، فلذلك كان أبلغ .

٦٧ = [٢٩٢]

مسألة من أحكام الوقف والابتداء يبنى عليها غيرها ، فإن المسائل فيه كثيرة وحسنة ، وقد يُعلم كثير من الحلال والحرام بها .

اعلم أنه إذا تداخل الوقفان اعتمد أهمُّهما وهو أشدهما إيضاحاً للمعنى ، وذلك كقول الله سبحانه : ﴿ مُتَّكِئِينَ فيها على الأَرَائِكِ ينظرون . هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُون ﴾(١٥٢) [سورة المطففين : ٣٥ - ٣٦] فيمن جعل قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ معمولَ المعنى لـ ﴿ ينظرون ﴾ أي يتأملون : هل كان كذا . فعلى هذا ينبغي أن يكون

(١٥١) لم أجده على هذه الرواية . ولعاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي عليه السلام :

سائل بنا في قومنا وليكفِ من شرّ سماعُهْ

ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ٧٤١ ، وشرح أبيات المغني ٢٨٣/٧ .

وفي المثل « حسبُك من شرّ سماعُه » انظر الأمثال لأبي عبيد ٧٢ وتخريجه فيه .

(١٥٢) هذا خطأ في التلاوة ، التبس عليه صدر الآية بغيرها . وعلى هذا الخطأ بنى ابن جني - رحمه الله - المسألة . وقوله ﴿ فيها ﴾ ليس في الأصل .

فسياق التلاوة في سورة المطففين : ﴿ فاليومَ الذين آمنوا من الكفار يضحكون [٣٤] على الأرائك ينظرون [٣٥] هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون [٣٦] ﴾ . أما قوله تعالى ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ فقد جاء في قوله تعالى في سورة الكهف : ٣١ ﴿ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ وفي قوله تعالى في سورة الإنسان : ١٣ ﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ .

الوقف على قوله ﴿ الأرائك ﴾ ثم يستأنف فيقول : ينظرون[١٥٣] هل كان كذا . وإنما كان هذا من الوقف المتداخل أنَّ قوله ﴿ ينظرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ متكئين ﴾ فقد يجب على هذا أن يكون الوقف على ﴿ ينظرون ﴾ لأنه حال من الضمير في الجملة المتقدمة ، وإذا كان حالاً منه لم يحسن أن تُفصل الحال مما هي منه لأنها جزء من الجملة كلها . إلا أنه لو فَعَل ذلك فِعل ﴿ ينظرون ﴾[١٥٤] لانتقض المعنى فيما[١٥٥] يسبق إلى النفس ، لأنه كان يصير قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ مستأنفاً من كلام الله تعالى لا حالاً[١٥٦] مما قبله ، فيكون حينئذ في استئنافه على أنه من كلام الله تعالى وجهه بمنزلة قوله تقدست أسماؤه في قصة بلقيس ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ [سورة النمل : ٣٤] لأنه لمّا انتهى كلامها إلى قولها : ﴿ وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً ﴾ [سورة النمل : ٣٤] قال الله تعالى : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ . فكان نظير قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ﴾ مستأنفاً من كلام الله كهذا .

وليس على هذا هو عند من كان معناه عنده ﴿ ينظرون هل ثوّب
٢/٦ الكفار ﴾ أي يتأملون هذا ، كقوله/عز اسمه : ﴿ فلينظر أيُّها أَزْكى طعاماً ﴾ [سورة الكهف : ١٩] أي فليتأمل الحال في ذلك .

فإذا خيف هذا اللبس المؤدي إلى نقض الغرض احتمل فصل الحال مما قبلها لأن ذلك أمر صناعي . ولم يجز فصل المنصوب المعلّق الفعل عنه - أعني قوله ﴿ هل ثوّب الكفار ﴾ - لأنه أمر معنوي .

(١٥٣) في الأصل : « فيقول هل ينظرون » بإقحام هل .
(١٥٤) بالهامش ما نصه : « بخطه صورته : لو فعل ذلك قول ينظرون » .
(١٥٥) كأنه كذلك في الأصل .
(١٥٦) كذا وقع وصوابه « لا معمولاً لما قبله » .

وقد دللنا في كتابنا الموسوم بـ « الخصائص »[١٥٧] على أنّ عناية العرب بمعانيها أشرف وأوكد من عنايتها بألفاظها . فذلك نفسه ما أردناه من تداخل الوقفين وأنه يجب أن يعتمد أقواهما ويتسمّح في أدناهما ، فاعرفه .

٦٨ = [٢٩٣] مسألة :

قولها[١٥٨] :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلاَقِي الحُرُوبَ بِأَنْ لاَ يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزا

ينبغي أن ينتصب « عجزاً » على المصدر ، أي فقد ظن ظنّاً عاجزاً ، ووصف بالمصدر ، وحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه .

ولا يجوز الرفع في قولها[١٥٩] « بأن لا يصاب » لأنه إذا رفع بعد الظن ذهب به مذهب العلم ، ولا يجوز أن يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ، فافهم .

٦٩ = [٢٩٤] مسألة :

يمر بنا في الخط القديم نحو قوله[١٦٠] :

طاوِ المَصيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ

« طاوِ » كما ترى بغير ياء ، وله وجه من القياس . وذلك أنه مضاف ، والمضاف لا ينفك من المضاف إليه ، وبعد الياء من « طاوي »

(١٥٧) الخصائص ٢١٥/١ – ٢٣٧ « باب في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني » .

(١٥٨) وهي الخنساء ، ديوانها ٨٢ .

(١٥٩) في الأصل : قوله ، والصواب ما أثبت .

(١٦٠) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه صنعة ابن السكيت ٧ وصنعة الأعلم ١٧ ، وتهذيب اللغة ٩٩/١٤ ، ورسم فيها « طاوي » . وصدر البيت :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ موشيٍّ أكارِعُهُ

لام التعريف ساكنة ، وذلك يسقط الياء لالتقاء الساكنين ، فبنوه على الوصل الذي تسقط فيه الياء لما ذكرنا ، فصار « طاوِ المصير » كما ترى .

ومثله كَتْبُهم « ذات مال »[١٦١] ونحو ذلك بالتاء كما ترى . وذلك أنه لا يوقف عليها لأنها مضافة إلى « مال » ونحوه ، وإذا اتصلت كانت تاء على الأصل لا محالة . فعليه كتبوا : ذا مال وذات[١٦٢] عقل ، بالتاء وإنما « ذات » تأنيث « ذا » فهي كـ « شاة » إلا أن الإضافة لزمتها فاتصلت فكتبت تاء على ما يجب في أصلها وهو التاء .

١/٦ ٧٠ = [٢٩٥] قال[١٦٣] :/

وإنِّي لأَبْكِي اليَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً فِـرَاقَكِ والحَيَّـانِ مُؤْتَـلِفـان

قد قلنا قديماً[١٦٤] في هذا البيت : إنَّ « غداً » مفعول به لا ظرف[١٦٥] ، و« فراقك » بدل منه أي فراقك فيه . وأجزناه فقلنا :

فما حِيلَتِي إنْ جَدَّ بَيْنُ أُحِبَّتِي وعَيْنَاي مِنْ ذِكْرِ النَّوَى تَكِفَان
فيا حادِيَيْ عِيرِ المَلِيحَةِ وَقْفَةً شُفِيتُ مِنَ الأَحْزَانِ إن تقفانِ[١٦٦]

٧١ = [٢٩٦] مسألة :

قال[١٦٧] :

(١٦١) انظر كتاب الكتاب لابن درستويه ٤٩ ـ ٥٠ ، واللسان (ذو ، وذوات) .

(١٦٢) رسم هنا في الأصل : ذاة .

(١٦٣) المجنون ، ديوانه ٢٧٥ .

(١٦٤) لم أجد البيت فيما بين يدي من كتب أبي الفتح .

(١٦٥) في الأصل : « وأن » ، ولعل الصواب ما أثبت . وما قاله أبو الفتح فيه خلاف ما عليه المعنى أن غداً ظرف للفراق والفراق مفعول به ، وهو الظاهر .

(١٦٦) كذا .

(١٦٧) أبو حزام العكلي كما في سر الصناعة ٣٧٧ ، والخزانة ٣٣١/٤ . والرواية « للامتشابهان » .

وأَعْـــلَمُ أنَّ تَسْـــلِيماً وتَـرْكاً لَلاَمُتَــقَــارِبــانِ ولا سَـــوَاءُ

فيه ثلاثة أشياء :

أحدها : الدلالة على أنّ نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته . ألا ترى أنه كأنه قال : وأعلم أن التسليم والترك لا متقاربان ولا سواء

= وفيه إدخال لام الإثبات مع « لا » النافية ، وسببه أنه محمول على معنى « غير » ، فكأنه قال : لغير متقاربين(١٦٨) ولا سواء .

وأمّا قوله(١٦٩) :

لَمَـا أَغْفَـلْتُ شُكْرَكَ فاصْطَنِعْني فكيفَ ومِنْ عطَـائِكَ جُـلُّ مالي

فإن شبَّه « ما » النافية بـ « ما » التي بمعنى « الذي » شبهاً لفظياً .

وكما شبهت « لا » هنا بـ « غير » فكذلك شبهت « لا » بـ « غير » أيضاً في قولهم : جئت بلا مال ، أي بغير مال .

= وفيـه : أنه قال « للامتقـاربان » ثم قال « ولا سواء » ، وإذا لم يتقاربا فهما أبعد من الاستواء . وكان أَوْفَق من هذا أن يقول « للاسـواء ولا متقاربان » فيبدأ بالأعلى ثم ينحط عنه إلى الأدنى .

٧٢ = [٢٩٧] مسألة :

قال شاعرنا(١٧٠) :

جَـــلَلاً كما بي فَـــلْيَــكُ التَّبْــرِيحُ

أراد : فليكن التبريح ، فحذف النون لالتقاء الساكنين ، وفيه قُبْحٌ

---

(١٦٨) في الأصل : لغير متقارب ، والصواب ما أثبت .

(١٦٩) وهو النابغة الذبياني ، ديوانه ١٣٩ (صنعة ابن السكيت) ١٥١ (صنعة الأعلم) ، وسر الصناعة ٣٧٧ ، وفيها « وكيف » .

(١٧٠) وهو أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ٢٤٣/١ . وعجز البيت :

أَغِـــذاءُ ذا الرشـــأ الأغنّ الشّـــيحُ

٦/٢ للإدغام الذي بعده ، وأنت لا/تقول(١٧١) : فلان من بَنَّجار وتريد من بني النَّجّار قياساً على بَلْعَنْبر وبَلْحارث . إلا أنّ فيه ما أذكره فتأمَّلْه . وذلك أن هذا البيت من بحر(١٧٢) الكامل ، وتقطيعه :

جَـلَلَنْ كَمـا بِي فَـلْ يَكُتْـ ـتَبْ رِي حُو

متـفـا عـلن مس تف علن مف عـو لن

أفلا ترى أن التاء الأولى من التبريح قابلت نون « مس تف علن » وهي آخر الجزء ، وللعرب في مقاطع الأجزاء وقفات ما يحذف عن استيفاء الحرف ، ويقوى ذلك ويضعف بحسب عادة المنشد من إدراجه أو تمهّله لا سيما إذا حدا أو ترنَّم ، فإن الوقوف على مقاطع الأجزاء يكون أُبْيَنَ وأُوضَحَ . فلما كان كذلك علمت به الوقفة على تاء(١٧٣) « فليكت » إذا حصلت هناك وقفة ما انفصل في اللفظ عن تمام لفظ الإدغام ، وإذا ضعف هنا أمر الإدغام لما ذكرنا جرى نحواً من مجرى « بَلْحارث » و« بَلْعنبر » في ترك الإدغام ، فاعرف ذلك فإنه لطيف بإذن الله .

ونحو منه ما كنا رأيناه(١٧٤) قبلُ في قول عَبيد(١٧٥) :

وَلَقَـد يَغْنَـى بِـه جِيـرَانُكَ الْـ مُمْسِكُو مِنْكَ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

في أنه حذف النون من « الممسكو » في آخر المصراع الأول ، وهذا مما يزيد في ثقل الاسم للوقفة العارضة عند انقضاء المصراع الأول . فلما

(١٧١) انظر الكتاب ٤٣٠/٢ ، والمقتضب ٢٥١/٢ ، والكامل ١٢٢٨ .

(١٧٢) في الأصل : بحور ، والصواب ما أثبت .

(١٧٣) في الأصل : « على نون تاء » بإقحام « نون » .

(١٧٤) في المنصف ٦٦/١ – ٦٧ .

(١٧٥) ابن الأبرص ، ديوانه ١٢٠ ، وهو من أبيات له في الخصائص ٢٥٥/٢ . وقوله « الممسكو » آخر المصراع الأول من البيت « ال » منه و« ممسكو » أول المصراع الثاني .

أفرط طول [الاسم][١٧٦] حسن حذف النون لذلك .

وليس كذلك قوله[١٧٧] :

الحـافِظُـو عَوْرَةَ العَشِـيرةِ[١٧٨]

لأن هـذا العمـل في مصراع واحد . ولعمـري إنّ الواو من « الحافظو » في آخر الجزء الذي هو « مس تف علن » إلا أنك تعلم أن الوقفة[١٧٩] في آخر الجزء ليست في تمام الوقفة في آخر المصراع ، فاعرف ذلك .

٧٣ = [٢٩٨] مسألة :

ما جاء من « استفعل » المعتل العين مصحَّحَها :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾/[سورة المجادلة : ١٩] ، وقول ٦٦
زهير[١٨٠] :

هنالك إن يُسْتَخْوَلُوا المال يُخْوِلُوا[١٨١]

---

(١٧٦) زيادة يقتضيها السياق .

(١٧٧) الأرجح أن البيت من كلمة لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري ، انظر فرحة الأديب ١٦٧ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٦٢ ، والخزانة ٢/١٩٠ وبسط البغدادي الخلاف في نسبتها . والبيت في سفر السعادة ٦٩٣ وما يجوز للشاعر في الضرورة ٢٥١ وتخريجه فيهما .

(١٧٨) تمامه كما رواه ابن جني في المنصف ١/٦٧ ، والمحتسب ٢/٨٠ :

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائهم نَطَفُ

ويروى « ورائنا » و« وَكَفُ » .

(١٧٩) في الأصل : « الوقف » والصواب ما أثبت .

(١٨٠) ديوانه صنعة ثعلب ١١٢ (الدار) ٩٣ (قباوة) ، والخصائص ١/٩٨ .

(١٨١) عجزه :

وإن يُسْأَلوا يُعْطوا وإن يَيْسِروا يُغْلُوا

فيمن رواه هكـذا[١٨٢] ، و« استنـوق الجمـل »[١٨٣] و« استتيست الشاة »[١٨٤] و« استفيَل الجمل »[١٨٥] ، قال أبو النجم[١٨٦] :

يُـدِيرُ عَيْـنَـيْ مُصْـعَبٍ مُسْتَفْيِـلِ

وقوله :

واسْتَنْـوَكَتْ وللشَّبَـابِ نُوكُ[١٨٧]

٧٤ =[٢٩٩] مسألة :

قالوا : له زِيٌّ كما قالوا : له أَدَب، فاجمع بينهما .

٧٥ = ٣٠٠ مسألة :

قولهـم : الأُرْفَـةُ[١٨٨] والعَـلَم نحو[١٨٩] قولهـم : الشُّـهْبـة والشُّهب والكُدْرَة والكَدَر ، والغُبْسَـة والغَبَس والعِينـة والعَيَن ، فافهـم الغرض فيه وتأمّله .

٧٦ = [٣٠١] قال :

أَعْـزِزْ علـيَّ بِفَـائِتٍ مِنْ خِدْمَتِكْ   وبأَنْ أُرَى مُتَـأَخِّراً عَنْ حَضْرَتِكْ

---

(١٨٢) ويروى :

هنـــالك إن يستخبـــلوا المـــال يخبـــلوا

(١٨٣) انظر الخصائص ٩٨/١ ، وسفر السعادة ٦٧١ ، وجمهرة الأمثال ٥٤/١ ، والمستقصى ١٥٨/١ .

(١٨٤) انظر الخصـــائص ٩٨/١ . وفي سـفـر السـعـادة ٦٧١ ، والمستقصى ١٥٦/١ : « استتيست العنز » .

(١٨٥) انظر الخصائص ٩٨/١ ، واللسان (ف ي ل) .

(١٨٦) البيت من لاميته في الطرائف الأدبية ٦١ ، والخصائص ٩٨/١ .

(١٨٧) البيت في المنصف ٨٩/٣ ، والمخصص ١٨٤/١٤ ، واللسان (ن و ك) .

(١٨٨) الأُرفة : العلامة .

(١٨٩) في الأصل « نحور » وهو سهو . وقوله « قولهم الأرفة والعلم نحو قولهم .. » كذا هو .

ثِقَتي لديك وديعةٌ مِنْ رَغْبَةٍ لا زلتَ مُحْتَسِباً بها مِنْ حَمْلَتِكْ
أَأَخافُ إِحْضَاراً لديكَ أَمَانةً إنَّ المَكَارِمَ والعُلاَ مِنْ ذِمَّتِكْ

٧٧ =[٣٠٢] مسألة :

« نحن في زمان صعب » . إن قيل : كيف جاز أن يكون ظرف الزمان هنا خبراً عن الجثة ؟ قيل : إذا وصف ظرف الزمان حسُن أن يكون خبراً عن الجثة ، ألا ترى إلى قول أَوْس[١٩٠] :

لَعَمْرُكَ إنا والأحاليفَ هؤلا لَفي حِقْبَةٍ أَظْفَارُها لم تُقَلَّمِ

وسبب ذلك أن الصفة لم تخصه بالفائدة من هذا الوجه . وذلك أنه إنما امتنع « زيدٌ يومَ الجمعة »[١٩١] ونحو ذلك من حيث كان الزمان إذا حضر لم يغب عنه أحد ، فلا فائدة إذاً في ذلك . وأما قولهم : « الناس في وقت طيب أو في زمان صعب » فإنه/محمول على معناه ، أي الناس في /٦٦ طيب من الزمان وفي صعوبة من الوقت ، فصارت الفائدة هنا من حيث كانت في قولهم « نحن في شدة ، والقوم في صعوبة » . وأما « زيد يوم الجمعة » فلا يتخلّص[١٩٢] منه ما نحن بسبيله . قصدت الشدة والطيب والصعوبة إذاً ظروفاً غير زمانية ، كقولهم : « نحن في خير ، والقوم في بؤس » فاعرف ذلك .

٧٨ =[٣٠٣] مسألة :

قال ذو الرمة[١٩٣] :

(١٩٠) ابن حجر ، ديوانه ١٢٠ .

(١٩١) انظر اللمع ٨٣ – ٨٤ ، وشرح المفصل ٨٩/١ – ٩١ ، وهمع الهوامع ٢٣/٢ – ٢٤ .

(١٩٢) في الأصل : « يتلخص » وهو سبق قلم .

(١٩٣) ديوانه ٤١٣ ، والرواية :

كأنّنا والقنان القود يحملنا

كأنَّهـا والقِنـانَ القُـودَ يَضْـرِبُهـا مَـوْجُ الفُـرَاتِ إذا الْتَجَّ الدَّيَـامِيمُ

إن شئت كانت « إذا » حالاً من « موج » ، وإن شئت كانت متعلقة بنفس « موج » ، وأيًّا ما أردت فقد أجريت فيه الجثة مجرى الحدث . وذلك أن الموج في الأصل مصدر ماج يموج موجاً ، ثم جعل عبارة عن الجثة التي هي الماء الذي له ظُلَّةٌ . فإن جعلتها حالاً منه جرى مجرى قولك : الصيام يوم الجمعة مباركٌ ، أي الصيام كائناً يوم الجمعة مبارك . وإن جعلت « إذا » متعلقة بنفس « الموج » جرى ذلك مجرى قولك : سرني قيامك إلى زيد ورغبتك في عمرو .

فإن قيل : فكيف يجوز أن يُعلق به الظرف أو يُجعل حالاً منه وقد صار المصدر هنا عبارة عن الجثة ؟ قيل : لا ينكر أن تراجع الأصول وتُقرّ أحكامُها بعد الانصراف عنها . ألا ترى إلى قولهم « صُغت الخاتم » و « صُنتُ الثوب » عدّى كلٌّ واحد منهما وهو فَعُلْت محافظةً على أصله الذي هو فَعَلْت ، وقالوا : أرأيتك زيداً ما صنع(١٩٤) ؟ لم يمنعه ما دخله من معنى « أخبرني » من أن يتعدى إلى مفعولين كما كانت « رأيت » تتعدى أوّلُ إليهما .

وبذلك أيضاً ينبغي أن تَعلم أن قول الله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لكم صَيْدُ البَحْرِ ﴾ [سورة المائدة : ٩٦] ليس كقولنا « لحم الخنزير حرام » أو « حُرِّم عليكم لحم الخنزير » ونحو ذلك . وذلك أن « الصَّيْد » في الأصل مصدر : صِذت الطير والوحش ونحو ذلك صَيْداً ، ثم وضع الصَّيْد على المَصِيد الذي هو الجوهر . والتحليل عندنا والتحريم لا يتناولان لنفس(١٩٥)
١/٦٧ الجواهر/لأن تلك من أفعال القديم سبحانه ، ولا تأثير لنا نحن في فعلها ،

(١٩٤) انظر ما سلف برقم ٢٤ [٢٤٩] .

(١٩٥) كذا وقع بزيادة اللام في المفعول ؟.

وإنما المحرَّم علينا أفعالنا نحن التي هي الأكل والشرب والمشي والحركة ونحو ذلك . إلا أن الصيد في الأصل حدثٌ ، فكان وقوعُ لفظ التحليل عليه أقربَ مأخذاً من وقوع التحريم على لحم الخنزير ونحوه ممّا[١٩٦] ليس في الأصل مصدراً .

وذلك أنك لاحظت أصل ما كان عليه الصيد من الحَدَثِيَّة كما لاحظ ذو الرمة أصل ما كان عليه الموج من الحدثيّة . ألا تراه كيف علّق به الظرف أو جعله حالاً منه ؟ وأما لحم الخنزير ونحوه مما[١٩٧] بعد من تصور لفظ المصدر فيه فإنما[١٩٨] هو على حذف المضاف البتة من غير ملاحظة معنى الحدث ، فكأنه قال سبحانه : ﴿ إنما حَرَّمَ عليكم المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزِيرِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٣ ، والنحل : ١١٥] أي تناولَ كلٍّ واحد من هذه الجواهر . و« التناول » من فعلنا نحن ، فأما هذه الأعيان فمن أفعال القديم عز وعلا ، وليس إلى مخلوق إحداثُ جسم ، هذا مما يخصّ القديم سبحانه ، فاعرف ذلك .

فإن قيل : فقد علمنا أنّ المراد بقوله تعالى : ﴿ أُحل لكم صيد البحر ﴾ إنما هو أكلُه لا نفس صيده ، وأنت إذا تصورت فيه معنى الحدث إذ ذاك إلى أن تصير الفائدة فيه تحليل صيده وليس في لفظه إباحة أكله .

قيل : هذا موضع اكتفي فيه بالسبب من المسبّب ، وهو غَوْرٌ من العربية بَطِينٌ[١٩٩] . وذلك أن العُرف والعادة في هذه المصيدات أنها إنما تصاد لتؤكل ، فإذا أُبيح الصيد الذي هو سبب الأكل ، فالمسبَّب الذي هو الأكل مباح ؛ وإن كان قد يجوز أيضاً أن تصاد بعض المصيدات لغير

(١٩٦) في الأصل : فما ، وهو تحريف .

(١٩٧) في الأصل « ما » والصواب ما أثبت .

(١٩٨) في الأصل « وإنما » وهو تحريف .

(١٩٩) أي بعيد . ومثل هذه العبارة في الخصائص ٣١٩/٣ .

الأكل ، فإن الغالب إنما هو ما قدّمنا ، وهو الأكثر ، فعليه يجب أن يكون العمل .

وإقامة السبب مقام المسبَّب باب طويل ، وقد أفردنا له في كتابنا « الخصائص »[٢٠٠] باباً ، فالتمسه منه إن شاء الله .

٢/٦٧ ٧٩ = ٣٠٤ أنشدني بعضهم :/

زرعتُ الجُودَ في أرض العطـايا فأَصْبَحَتِ المَوَاهِبُ[٢٠١] في حَصَاد

ومـا وجبتْ علـيّ زكاةُ مـالٍ وهَـلْ تَجبُ الزكاةُ على جَوَادِ

٨٠ = ٣٠٥ مسألة :

حكى سيبويه[٢٠٢] عنهم في « أُبو أَيوب » « أُبُوَيُّوب » . عليه من السؤال أن يقـال[٢٠٣] : إن الواو المضموم ما قبلهـا إذا كانت منفصلة لا تدغم نحو « ظلمُوا وَاقداً » وقول الله سبحانه : ﴿ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُم ﴾ [سورة الإسراء : ٧] ، فكيف أدغم واو « أبو » في الواو المبدلة من همزة « أَيوب » فقال[٢٠٤] « أبوَيُّوب » ، وهناك من الانفصال ما تراه ، لولا نراك تجيز في « أبو وجزة »[٢٠٥] « أُبُوَّجْزة » ؟

الجواب : إن الذي قال في « أبو أيوب » : « أُبُوَيُّوب » إنما فعل ذلك تشبيهاً للهمزة في « أيوب » بالهمزة المتصلة[٢٠٦] في « سَوْأَة » ؛

---

(٢٠٠) الخصائص ٣/١٧٣ – ١٧٧ .

(٢٠١) في الأصل : « المراهب » وهو تحريف . والمواهب العطايا .

(٢٠٢) في الكتاب ٢/١٧٠ .

(٢٠٣) في الأصل : قال ، والصواب ما أثبت .

(٢٠٤) في الأصل : يقال ، وهو تحريف .

(٢٠٥) في الأصل « لا تجيز » بإقحام « لا » . وفيه حيث وقع « أبو وخزة » مصحفاً .

(٢٠٦) في الأصل : « والمتصلة » بإقحام الواو .

فكمـا قالوا في « سَوْأَة » : « سَـوَّة » . فكذلك قالوا في « أبو أيوب » : « أَبُوَيّوب » تشبيهاً للمنفصـل بالمتصل في إبدال الهمزة للواو قبلها واواً ، وليس كذلك « ظـلمـوا واقداً » و« أبو وجْزة » لأنـه لا همزة بعـد واو « ظلموا » و« أبو » فيشبّه[٢٠٧] المنفصل بالمتصل . وهذا البدل في « سَوّة » إنما كان مع الإدغام ، فلذلك احتمل الإدغام في واو « ظلموا » ليتكامل الشبه بين الموضعين ، ولم يكن مثل ذلك في نحو « أبو وجزة » فيحتمل فيه ما ذكرته . وقد أفردنا في كتابنا « الخصائص »[٢٠٨] لما أجري من المنفصل مجرى المتصل ومن المتصل مجرى المنفصل باباً ، وهو كثير جداً .

وأدغم أبو عمرو[٢٠٩] في قراءته في الإدغام قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُم هُو وّقَبِيلُهُ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] . وجاز الإدغام في المنفصل من قـوله ﴿ هـو وقبيـــله ﴾ من حيث كانت واو « هو » ليست كواو « ظلموا » لأن واو « هو » مفتوحة ، فقوي الاعتماد فيهـا لحركتهـا ، وواو « ظلموا » ساكنة عند كل قوم وفي كل لغة ، فلم يجز إدغامها لضعفها . وليس كذلك ﴿ هو وقبيله ﴾ ، وذلك أن أصله فتح الواو ، وإنما أسكنها توصلاً إلى الإدغام على العبرة في كل حرف أريدَ إدغامه فلأنه لا بُدّ[٢١٠] من إسكانه إن كان متحركاً ، فلما سكنت الواو فصارت في التقدير « هُوْ » لم يكن ليمتنع من الإدغام اعتباراً للفصل/لما في ذلك من انتكاث الغرض . ١/٦٨
ألا ترى أنه إنما أسكن ليدغم ؟ فلو امتنع للسكون لكان يكون تراجعاً ،

(٢٠٧) في الأصل : فشبه ، والصواب ما أثبت .

(٢٠٨) الخصائص ٩٣/٣ ـ ٩٦ .

(٢٠٩) انظر مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير في السبعة ١١٦ ، والمبسوط ٩١ ، والإتحاف ١٠٩/١ .

(٢١٠) في الأصل «فلأنه لا من بدّ » بإقحام « من » . وقوله « فلأنه » كذا وقع بزيادة الفاء .

فأمضى ما اعتزمه من الإدغام لئلا ينتقض غرضه . وقد أفردنا في كتابنا في « الخصائص »[٢١١] لتحامي انتقاض الغرض باباً .

وعلى ذلك أيضاً عندي قول الأخطل[٢١٢] :

إذا شِئْتَ أن تَلْهُو بِبَعْضِ حَدِيثِها   نَـزَلْنَ وأَنْـزَلْنَ القَـطِـينَ المُـوَلَّدا

لو وقع بعد واو « تلهو » هذه – وقد أسكنت ضرورة كما ترى – واوٌ لجاز الإدغام جوازاً حسناً ، فكنت تقول : أريد أن يَلْهُو وَّاقد ، تريد[٢١٣] : أن يـلهـوَ . وذلك أن واو « يـلهـو » أصـلهـا هنـا الحـركة ، وإنمـا أسكنت استخفـافـاً ، يريد أن يـلهوَ ، وليست كذلك واو « ظلموا » لأن أحداً لا يحرك هذه الواو حركة لنفسها ، اللهم إلا أن تخفف الهمزة بعدها فتلقى حركتهـا عليهـا نحو « ظلموا أخاك » فتقول « ظلمُوَخَاك » ، وكذلك إن أسكنت واو «أريد أن يلهو واقد » للإدغام لا للضرورة التي تقدمت كان الإدغام هنا أحسن لأنه إنما أُسكن ليدغم لا لضرورة الشاعر ؛ فإذا كان إسكانها هو لأجل الإدغام لم يجز أن يتراجع كما بعُد عن الإدغام الذي إنما أسكن اعتزاماً له ، بل كان يكون الإدغام هنا كأنه أقوى منه لو أسكن الواو ضرورة للشعر . ألا ترى أنه لمّـا[٢١٤] أسكنها الأخطل في قوله « أن تلهو ببعض حديثهـا » ضرورة [لا][٢١٥] للإدغام فإذا كان إسكـانها إنما هو للإدغام ضاق العذر في ترك الإدغام الذي إنما كان له ومن أجله الإسكان .

(٢١١) الخصائص ٣/٢٣١ – ٢٤٠ « باب في الامتناع من نقض الغرض » .

(٢١٢) ديوانه ٣٠٣ ، والخصـائص ٢/٣٤٢ ، والمحتسب ١/١٢٦ ، والمنصف ٢/١١٥ .

(٢١٣) في الأصل : « أريد أن يلهو تلهوّ واقد يريد » والصواب ما أثبت .

(٢١٤) لم يأت لـ « لمّا » بجواب ، والكلام ناقص .

(٢١٥) زيادة يقتضيها السياق .

وكذلك قول الآخر[٢١٦] :

أَبَى اللهُ أنْ أَسْمُو[٢١٧] بِـأُمٍّ ولا أَبِ

الكلام هناك كالكلام في بيت الأخطل سواء . وكذلك الكلام في « هي يقوم أخوها » ونحو ذلك ، يجوز فيه الإدغام فتقول : هِيَّقوم أخوها ، وهُوَّقَف هنا . وكذلك من كان من لغته إسكان الواو والياء وأن يقول : هُوْ أخوك وهِيْ أُختك/ . وذلك أن الإسكان قليل جداً . وينبغي أن يكون ٦٨/ أصـــل هذه اللغــة تخفيفــاً ثم استمـرت ، فـإذا وقع بعـدهمـا يـاء وواو (واجمع)[٢١٨] من يقول هِيَ وهُوَ لغة من حرَّك يقال هي وهو لا سيما وصاحب هذه اللغة قد يراعي لغة غيره .

وقد بيّنا هذا في كتاب « الخصـائص »[٢١٩] وأفردنا له هناك أيضاً باباً . وقد يجوز أن يعتبر من أسكن الواو والياء هنا لغة له ما هو عليه من ظاهر الإسكـان[٢٢٠] فلا يدغم له وللانفصـــال . وكأنّ القولين معتدلان فافهم ذلك .

٨١ = ٣٠٦ مسألة :

قد يجوز أن يكـون إنمـا حذف الوقفُ التنـوينَ في نحو : هذا زيد ومررت بزيد ، من قِبل أنّ كل واحد من الوقف والتنوين جميعاً قد جرى

(٢١٦) وهو عامر بن الطفيل ، ديوانه ١٣ ، والخزانة ٥٢٧/٣ ، وشرح أبيات المغني ٤٦/٨ . والبيت في الخصائص ٣٤٢/٢ ، والمحتسب ١٢٧/١ . وصدره :

فمـــا ســـوّدتـني عـــامـر عن وراثـــة

(٢١٧) في الأصل « يسمو » والصواب ما أثبت من المصادر .

(٢١٨) كذا وقع .

(٢١٩) لعله يريد البـاب الذي سماه « باب في العربي يسمع لغة غيره ، أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها » الخصائص ١٤/٢ ــ ١٥ .

(٢٢٠) في الأصل : « الإسكان كان فلا يدغم » بإقحام كان .

مجرى صاحبه . وذلك أن كل واحد منهما مؤذن بتمام الجزء . ألا ترى أن المضاف لّما كان محتاجاً إلى المضاف إليه فلم يجز الوقف عليه حذف منه التنوين الآتي لتمام الاسم ؟ فإذا وصلت إلى المضاف إليه نونت ، فالتنوين عَلَم للتمام . ألا ترى أنك لا تقف عن نقصان ؟ فلما كان كل واحد من الوقف ومن التنوين مؤذناً بالتمام لم يُجمع بينهما في الوقف ، لأنّ عَلَماً واحداً كافٍ من آخر في معناه . لذلك لم ينون الفعل لأن الفاعل من تمام جزئه ، فلما لم يتمّ لم ينون إذ كان التنوين عَلَماً للتمام .

فإن قلت : فقد تقول : زيدٌ أخوك ، فتنون زيداً والكلام ناقص = قيل : أَجَلْ ، إلا أن الاسم الذي هو المبتدأ قد تمَّ فنوِّن .

فإن قيل : فالفعل قبل الفاعل أيضاً كالمبتدأ قبل الخبر ، فهلاّ نون الفعل كما نون الاسم = قيل : الفعل مع الفاعل كالجزء الواحد . وقد دَللنا على ذلك في كتابنا الموسوم بـ « سرّ صناعة الإعراب »(٢٢١) باثني عشر دليلاً(٢٢٢) ، فجريا مجرى المضاف والمضاف إليه في أنّ كل واحد منهما(٢٢٣) غايته الاسم الثاني الذي هو الفاعل والمضاف إليه ، وليس كذلك المبتدأ وخبره لأنه ليس اتصال المبتدأ بخبره في شدة امتزاج الفعل بفاعله ، والتنوين إنما يأتي علماً على تمام الجزء الذي يخصه لا لتمام الجملة ، فافهم ذلك ./ ١/٦٩

٨٢ = ٣٠٧ أنشدت قديماً(٢٢٤) :

(٢٢١) سر صناعة الإعراب ٢٢٠ ـ ٢٢٦ .

(٢٢٢) في الأصل « اثني عشر دليلاً » والصواب ما أثبت . والذي ذكره في الاستدلال على ذلك تسعة أدلّة ، وقال : « واستدل أبو علي على شدة اتصال الفعل بالفاعل بأربعة أدلة ، واستدللت أنا أيضاً بخمسة أدلة أخر غير ما استدل به هو ... » فأوردها .

(٢٢٣) في الأصل : منه ، والصواب ما أثبت .

(٢٢٤) لعروة بن أذينة ، انظر سمط اللآلي ١٣٧ ، وتخريجهما ثمة . وينسبان إلى عمر بن أبي ربيعة ، ولم يردا في أصول ديوانه ، انظر الديوان ٤٩٣ . [وانظر شعر عروة بن أذينة (تح د . يحيى الجبوري) : ص ٣٢٣] .

قالتْ وأَبْثَثْتُها وَجْدِي فَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتَ عندي تُحِبُّ السِّتْرَ فاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلي فَقُلْتُ لها غطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي

٨٣ = ٣٠٨ مسألة :

من باب قوله[٢٢٥] :

لَسْنَا كَمَنْ حَلَّتْ إيادٍ دارَها

وتلك الأبيات والآيات[٢٢٦] في هذا المعنى قولُ جميل[٢٢٧] :

إذا قُلْتُ ما بِي يا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ الحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ ويَزِيدُ

٨٤ = ٣٠٩ مسألة :

متحرك المعتل كساكن الصحيح . ألا ترى أن الواو والياء في « النَّوَى » و« الحَيَا » لَمّا صحَّا جريا مجرى الواو والياء في « حَوْض » و« بَيْت » . وساكن المعتل قد أجري مجرى ساكن الصحيح من عدة

(٢٢٥) وهو الأعشى ، ديوانه ٢٦٧ ، والخصائص ٢/٤٠٢ –٤٠٣ و٣/٢٥٦ ، وشرح أبيات المغني ٧/١٧٠ – ١٧٢ . وفي مطبوعة الديوان « جعلت إياد » وكذا وقع في بعض نسخ مغني اللبيب . قال البغدادي : « وهو تحريف من النسّاخ » . وعجز البيت :

تكريتَ ترقبُ حَبَّها أن يُحصدا

ورواية الديوان « تنظر حبها » .

وقوله إياد بدل من « مَنْ » والبدل مؤذن بتمام المبدل منه . ولا يجوز أن تنتصب « دارها » بـ « حلت » هذه الظاهرة لفصل البدل بين بعض الصلة وبعض ، فتنتصب بـ « حلت » مقدرة ، انظر الخصائص .

(٢٢٦) التي ذكرها في الخصائص .

(٢٢٧) ديوانه ٢٢٦ . والمعنى : إذا قلت يا بثينة ما بي من الحب قاتلي . ولا يجوز أن يتعلق الجار « مِن الحب » بحال من « ما » لأن الخبر قد فصل بين بعض الصلة وبعض والخبر مؤذن بتمام المبتدأ ؛ فلا بد من تقدير ما يتعلق به « من » ، وتقديره : هو من الحب ، أو نحو ذلك .

فقول جميل من باب قول الأعشى .

أوجه : أحدها : اعتداد كل واحد منهما في وزن العروض اعتداداً واحداً . ألا ترى الواوين في قوله « يقولو » من قوله[٢٢٨] :

يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسىً وتَجَمَّلِ

يقابلهما غيرهما من الصحيح ، وهو قوله « بسق طل » من قوله[٢٢٩] :

بِسِقْطِ اللِّوى

ومنها قولهم في تكسير ثَوْب وعَيْن : « أَثْوُب » و« أَعْيُن » كـ « أَكْلُب » و« أَفْرُخ » . فعلى هذا قالوا في المعنى الواحد « النأي » و« النوى » فكأنهما مثال واحد . وحسن ذلك أيضاً أن المفتوح في كثير من أحكام العربية يجري مجرى الساكن . وقد دللنا على ذلك في كتابنا « المُغرِب » وفي « الخصائص »[٢٣٠] وغيرهما . فكأن « النأي » و« النّوى » مثال واحد ، فهذه طريق .

وقد استعملت العرب عكس ذلك ، فأجرت المعتل من الساكن مجرى المتحرك ، فقالوا : ثوب وأَثْوَاب كجبل وأجبال ، وشيخ وأشياخ كقدَم وأقدام ؛ وأجروا ألف التثنية مجرى الحرف المتحرك . ألا ترى أن سيبويه[٢٣١] لم يقدر فيها حركة كما أن الحرف المتحرك لا تقدر فيه مع
٢/٦ حركته حركة أخرى . وهو مذهب العرب/ : أن يسلكوا الطريق وضدها ،

---

(٢٢٨) وهو امرؤ القيس ، والبيت من معلقته ، ديوانه ٩ . وصدر البيت :

وقوفاً بها صحبي علّي مطيّهم

(٢٢٩) وهو امرؤ القيس ، والبيت مطلع معلقته ، ديوانه ٨ . وتمامه :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

(٢٣٠) لم أتهد إلى موضع ذلك في الخصائص .

(٢٣١) في الكتاب ١/٤ .

وذلك لسعة اللغة وانتشارها لأنها (تأخذ وتؤخذ)[٢٣٢] كل أدب بها ، فاعرفه .

ومن ذلك باب في كتابنا « الخصائص »[٢٣٣] ترجمته « هذا باب في أن سبب الحكم قد يكون سبباً لضده على وجه » من ذلك أن الإدغام يقوي المعتل وهو أيضاً بعينه يضعف الصحيح .

ومنه أن الحركة نفسها تقوي الحرف وهي بنفسها تضعفه . وقد شرحنا ذلك هناك ، فغنينا عن إعادته هنا .

٨٥ = ٣١٠ مسألة :

قول شاعرنا[٢٣٤] :

يَرَوْنَ[٢٣٥] مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَـهِيـلَ الجِيَـادِ وخَفْقَ البُنُـودِ

لا يجوز أن يكون « يرون » ههنا من رؤية العين لاستحالة ذلك في المعنى . ولا يجوز أيضاً أن يكون بمعنى « يعلمون » لأن الأمر بخلاف ذلك . فلم يبق إلا أن تكون « رأيت » بمعنى « اعتقدت » كقولنا : فلان يرى رأي الخوارج ويرى رأيَ أبي حنيفة ونحو ذلك ، أي يعتقد اعتقاده . وإذا كان كذلك وجب النظر في انتصاب « صهيل الجياد » :

فلا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لأن « رأيت » هذه لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد . ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِتَحْكُمَ بينَ النَّاسِ بما أَرَاكَ اللهُ ﴾ [سورة النساء : ١٠٥] فهذه منقولة من « رأيت » بمعنى

(٢٣٢) كذا وقع .

(٢٣٣) الخصائص ٥١/٣ ـ ٥٦ .

(٢٣٤) وهو أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ٣٤٤/١ .

(٢٣٥) ظاهر كلام ابن جني أنها « يرون » بفتح الياء . وفي شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري : « الرواية الصحيحة يُرَوْن بضم الياء لأن ما ذكره ظنٌّ وليس بعلم . وقال الواحدي : من روى بفتح الياء فهو غالط » .

« اعتقدت » وإنما معها مفعولان : أحدهما الكاف في « أراك » والآخر ضمير « ما » المحذوف ، أي بما أراكه الله . ولو كانت متعدية إلى مفعولين لوجب بعد النقل أن تتعدى إلى ثلاثة مفعولين . فإذا بطل أن يكون مفعولاً ثانياً وجب التماس وجه له ينتصب عليه .

ولا يحسن البدل أيضاً لأن المعنى ليس عليه . ألا ترى أنه يصير إلى أنه كأنه قال : يرون من الذعر صهيل الجياد وخفق البنود ، وليس المعنى هذا ، وإنما هو : يحسبون هذا هذا أو يظنون هذا هذا . و« رأيت » هذه لا تكون بمعنى « حسبت » إنما هي لحاسة البصر أو للعلم أو للاعتقاد ، ففيه ما تراه .

وطريق جوازه عندي أن يكون أراد بـ « رأيت » هنا معنى الاعتقاد ، إلا أنه لما كان عظيماً في نفسه ومنعدماً في اعتقاده لحق عنده[٢٣٦]/ ١/٧
[خرم] .

٨٦ = [٣١١] مسألة :

يجوز في قول جرير[٢٣٧] :

يا أَحسنَ الناسِ كُلٌّ الناسِ إنْسانا

غيرُ ما قالوه من أن « إنساناً » هنا هو إنسان العين[٢٣٨] ، كقولك : يا أحسن الناس عيناً ؛ وذلك أن يكون أراد : يا إنساناً أحسنَ الناس ،

(٢٣٦) وقع هنا خرم ، فاللوح ٢/٧٠ فيه آخر ما خرجه ابن جني من شعر تأبط شرّاً .

(٢٣٧) ديوانه ١٦٢/١ . وصدره :

ألستِ أحسنَ من يمشي على قدم

ورواية الديوان « يا أملح الناس » .

(٢٣٨) كذا في الديوان .

فقدّم وصف النكرة عليها فنصبه على الحال منها ، فهو كقولك : يا قائماً زيدُ على حدّ قولك : يا زيدُ قائماً ، ثم قدمت الحال على صاحبها ، فاعرفه .

٨٧ =[٣١٢] مسألة :

يشهد بصحة قول أبي الحسن في إجازته « زيد كيف »(٢٣٩) : أن يكون في « كيف » ضمير مرفوع على حد ارتفاعه بالفعل = قولُ بعض الأعراب(٢٤٠) :

ومـــــا أدراكَ أَيْنَ أَنْتَ أَيْنَـــــه

فتفهّمه .

٨٨ =[٣١٣]مسألة :

قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الفتح : ٤] هو منقول من نزلت الدار ونحوها ، فكأنه أحلَّها إياها وجعلها مَألَفاً ومَعَاناً لها . فالظرف إذاً متعلق بنفس « أنزل » لا بالسكينة ولا بمحذوف هو في الأصل حال منها على حد قولك : كلمت زيداً في الدار ، والظرف حال لـ « زيد » أي كلمته كائناً في الدار هو . وليس في المعنى كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُم فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٥] لأنه عندنا من السكون لا من السكن والحلول . ألا ترى أن السكون أبلغ من السكن لأنه قد يجوز أن يسكن الدار وهو قلق فيها وعلى مشارفة لزواله عنها ، فإذا هو سكن فيها فقد اجتمع له إلى السكنى فيها السكون إليها ، فلذلك قال ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ أي هدأتم بها واطمأننتم إليها ؛ فهو أذهبُ في توبيخهم والاحتجاج عليهم من أن يكونوا سكنوها غير وادعين ولا مختارين لها .

(٢٣٩) كذا وقع .

(٢٤٠) لم أجده .

٨٩ =[٣١٤]وقوله سبحانه : ﴿ لِيُدْخِلَ المُؤمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِين فِيها ﴾ [سورة الفتح : ٥] ليس ببدل من قوله ﴿ لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمانِهِم ﴾ [سورة الفتح : ٤] لأن ازديادهم إيماناً من أفعالهم ، وإدخاله إياهم الجنات من أفعاله تعالى ، أي اللام في قوله « ليدخل » متعلقة بنفس « يزدادوا »[٢٤١] أي ليزدادوا إيماناً للدخول/إلى الجنات ، أي يكون ازديادهم منه للدخول ومن أجل الدخول . ١/

ويجوز أيضاً أن تكون متعلقة بنفس « إيمانهم » أي مع إيمانهم لأجل دخولهم الجنات ، كأنهم إنما آمنوا ليدخلوا .

ولا يحسن أن تكون اللام متعلقة بقوله ﴿ إيماناً ﴾ لأن بعده ﴿ مع إيمانهم ﴾ ، وليس من صلة « إيمان » فهو أجنبي ، وإذا كان أجنبياً لم يجز أن تتعلق اللام بنفس قوله ﴿ إيماناً ﴾ لِمَا فيه من استحالة الفصل بين الموصول والصلة بالأجنبي .

وإن شئت علقتها بمحذوف يدل عليه جملة الكلام ، أي وقعت هذه الأشياء ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ . وحسن إضمار هذا الفعل مع جواز تناول الظاهر من أجل المعنى . ألا ترى أنه يصير أَجْمَعَ للمراد المقصود هنا ، ألا ترى أنّ بعده ﴿ ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَات والمُشْرِكينَ والمُشرِكات ﴾ [سورة الفتح : ٦] ، وهذا واضح .

٩٠ =[٣١٥]مثل قول المتنبي[٢٤٢] :

مِنْ طَاعِنِي ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ومِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وخَلاَخِلُ

قولُ الأعشى[٢٤٣] :

(٢٤١) بعده في الأصل : « بها » .

(٢٤٢) ديوانه ٣/٢٥٢ .

(٢٤٣) ديوانه ٥٣ . وفي الأصل : « وقال الأعشى » والصواب ما أثبت .

إذا هُنَّ نَـــازَلْنَ أَقْـــرَانَهُـــنَّ وكانَ المِصَـــاعُ بِمـــا في الجُوَنْ

أي يقاتلن الشباب بالخضاب والطِّيب = وقولُ الآخر(٢٤٤) :

هَـــلْ يَغْـــلِبَـنِّـــي واحـدٌ أُقـاتِـلُهْ
رِيمٌ عـلى لَبَّـــاتِـــهِ سَـــلاَسِـــلُهْ
سِـــلاَحُـــهُ يـومَ الوَغَى مَكَـاحِـلُهْ

٩١ =[٣١٦] مسألة :

قوله :

ومـــا ذَكَرَتْكِ النَّفْسُ إلاَّ تَفَـرَّقَتْ فَـرِيقَـيْـنِ منهـــا عـــاذِرٌ لي ولاَئِمُ

ينبغي أن يكـون أراد : منهمـــا عاذر لي ومنهمـــا لائم ، كقول الله سبحانه ﴿ منها قائمٌ وحَصِيدٌ ﴾ [سورة هود: ١٠٠] أي ومنها حصيد ، فحذف أحد الظرفين لدلالة صاحبه عليه . لا بدَّ من تقدير « منها » أخرى لاختلاف معنى الصفتين – يعني عاذر ولائم وقائم وحصيد ، إلا أنه أعاد الضمـير بلفظ الإفراد فقال « منها عاذر » حملاً على المعنى . ألا ترى أن النفس إذا تفرقت فريقين فإنها هي الفريقان . وإذا كان كذلك صحَّ ما قلناه من ردّ لفظِ/الفريقـين بمعنى ما هي هما وهو النفس ، كقول الله سبحانه ٧١/ ﴿ ومنهـــم مَنْ يَسْتَـمِعُـونَ إليـك ﴾ [ســـورة يـونس : ٤٢] وقـول الفرزدق(٢٤٥) :

نكنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئب يصطحبان

أي مثل رفيقين يصطحبان أو مثل اللذين يصطحبان ، وهو كثير فاعرفه .

---

(٢٤٤) الأبيات في شرح ديوان المتنبي المنسوب إلى العكبري ٣/٢٥٢ .

(٢٤٥) ديوانه ٨٧٠ ، وصدر البيت :

تعشَّ فـــإن واثقتـــني لا تخونـــني

تم المجموع بحمد الله وعونه
من كلام الإمام عثمان بن جني رحمه الله تعالى
منقولاً من خطه ، وذلك بحلب المحروسة بالقرب
من عمود الأسر بتاريخ شهر الله الأصم رجب
سنة سبع وخمسين وستمائة على يد أضعف
خلق الله وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه عفا الله
عنه محمد بن عبد الرحيم حامداً لله تعالى ومصلياً
ومسلّماً

فهرس المصادر

أبنية كتاب سبيويه ، للزبيدي ، تحقيق أحمد راتب حموش (رسالة جامعية ، جامعة دمشق ١٩٧٨) .

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنّا ، تحقيق د. شعبان إسماعيل ، عالم الكتب ببيروت ١٩٨٧ .

أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، تحقيق د. محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٢ .

أساس البلاغة ، للزمخشري ، دار صادر ببيروت ١٩٧٩ .

أسماء المغتالين ، لابن حبيب (في نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٣ .

الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، تحقيق عبد الإله نبهان وأصحابه ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥ - ١٩٨٧ .

الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

الأمثال ، لأبي عبيد ، تحقيق د. عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٨٠ .

الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٦١ .

تاجر العروس ، للزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .
تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد الحليم النجار ومحمد علي النجار وآخرين ، القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٧٥ .
جمهرة أشعار العرب ، للقرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ١٩٦٧ .
جمهرة الأمثال ، للعسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، القاهرة ١٩٦٤ .
الحجة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٨٥ (لم يتمّ) .
الخاطريات ، لابن جني ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨ .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ، لحمزة الأصبهاني ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .
ديوان الأخطل ، صنعة السكري ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩ .
ديوان الأعشى ، تحقيق د. محمد محمد حسين ، بيروت ١٩٦٨ .
ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
ديوان أوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٧٩ .

ديوان بشـر بن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن ، وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢ .

ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق د. نعمان طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

ديوان جميل ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ، دار مصر للطباعة ١٩٦٧ .

ديوان الحطيئـة بشـرح ابن السـكيت والسـكري والسجستـاني ، تحقيق د. نعمان طه ، مكتبة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ .

ديوان خفـاف بن ندبة ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسـي ، بغداد ١٩٦٧ .

ديوان الخنساء ، دار صادر ببيروت .

ديوان دريد بن الصمة ، جمعه محمد خير البقاعي ، دار قتيبة بدمشق١٩٨١ .

ديوان ذي الرمـة ، بشـرح أبي نصر البـاهلي ، تحقيق د. عبـد القـدوس أبو صالح ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢ .

ديوان رؤبة ، جمع وتحقيق وليم بن الورد ، ليبسك ١٩٠٣ .

ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤ .

ديوان زهـير ، بشـرح ثعـلب ، تحقيق د. فخر الدين قبـاوة ، دار الآفاق الجديدة ١٩٨٢ .

ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ببيروت ١٩٦٣ .

ديوان العجاج ، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧١ .

ديوان عمـر بن أبي ربيعـة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعـة مصورة ، دار الأندلس ببيروت .

ديوان عنـترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسـلامي بدمشق ١٩٧٠ .

ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله الصاوي ، القاهرة ١٩٣٦ .

ديوان لبيد ، تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .

ديوان المتنبي ، بشرح [منسوب إلى] العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وصحبه ، القاهرة ١٩٧١ .

ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق د. شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ .

ديوان النابغة الذبياني ، صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٥ .

ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ، دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

رسالة الصاهل والشاحج ، للمعري ، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .

زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨١ .

السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم بدمشق ١٩٨٥ .

سفر السعادة وسفير الإفادة ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق د. محمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٦ .

شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦ .

شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .

شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، بولاق ١٢٩٦هـ .

شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٧ .

شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .

الصحاح ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٧٩ .

الطرائف الأدبية ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٧ .

فرحة الأديب ، للأسود الغندجاني ، تحقيق د. محمد علي سلطاني ، دار قتيبة بدمشق ١٩٨١ .

الفصول والغايات ، للمعري ، تحقيق حسن زناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

القوافي ، للأخفش ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، دار الإرشاد ودار الأمانة ١٩٧٤ .

الكافي في العروض والقوافي ، للتبريزي ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، القاهرة ٩٦٩ = الوافي في العروض والقوافي .

الكامل ، للمبرد ، تحقيق د. محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٦ .

الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٣١٦هـ .

كتاب الشعر ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق د. محمود الطناحي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨ .

كتاب الكتاب ، لابن درستويه ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٧ .

لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .

اللمع ، لابن جني ، تحقيق حامد المؤمن ، بغداد ١٩٨٢ .

ما يجوز للشاعر في الضرورة ، للقزاز ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ود. صلاح الدين الهادي ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٢ .

المبسوط في القراءات العشر ، لابن مهران الأصبهاني ، تحقيق سبيع حاكمي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .

مجالس العلماء ، للزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ .

المحتسب ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

المسائل الحلبيات ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٧ .

المستقصى ، للزمخشري ، حيدر آباد ١٩٦٢ .

معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق د. فائز فارس ، الكويت ١٩٧٩ .

معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، دار الكتب المصرية ١٩٥٥ .

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار صادر ببيروت .

معجم شواهد العربية ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٢ .

معجم ما استعجم ، لأبي عبيد البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥ .

المفضليات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .

المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ .

النبات ، لأبي حنيفة ، تحقيق برنهارد لفين ، فرانز شتاينر بفيسبادن ١٩٧٤ .

النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري ، تحقيق زهير سلطان ، معهد المخطوطات العربية بالكويت ١٩٨٧ .

الوافي في العروض والقوافي ، للتبريزي ، تحقيق عمر يحيى ود. فخر الدين قباوة ، دار الفكر بدمشق ١٩٧٥ .

السيد محسن الأمين العاملي
(١٢٨٤ - ١٣٧١هـ)
(١٨٦٧ - ١٩٥٢م)

الدكتور شاكر الفحام

الجانب الأدبي

إن من يتتبعُ سيرة السيد محسن الأمين وأعمـالَه الخيرة ، ويتبينُ طريقته التي التزمها نهجاً في حياته ، ويطالعُ مؤلفاته ومقالاته ، وما أكثرها وما أنفعها ، لا يملك إلا أن يُكْبر هذه العبقريةَ الفذَّة التي اجتمع لها العلمُ

(*) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقيم في مكتبة الأسد يوم ٢١ شوال ١٤١٢هـ/٢٢ نيسان ١٩٩٢م ، في الذكرى الأربعين لرحيل العلامة الكبير والأستاذ الجليل السيد محسن الأمين العاملي .

وقد تناولت فيها أدب الفقيد رحمه الله وأغدق عليه سحائب رضوانه .

(**) تجد ترجمة السيد محسن الأمين وأخباره في كتابه : الرحيق المختوم ١ : ٣٣٩ – ٤٠٧ (دمشق – ١٣٣٣هـ) ، ٢ : ١٣٩ – ١٦٢ (دمشق – ١٣٤٨هـ) ، وكتابه : أعيان الشيعة ١٠ : ٣٣٣ – ٤٤٦ (بيروت – ١٩٨٦م) ، وأحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة للسيد محمد مهدي الموسوي ٢ : ٢٨٠ – ٢٨١ (النجف الأشرف – ١٩٦٨م) وأحسن الأثر للشيخ صالح الكاظمي : ٣١ –٣٦ (بغداد – ١٩٣٣م) ، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٢٨ – ٥٣٤ ، ٥٥٠ – ٥٥١ ، مج٢٧ : ٦١٩ – ٦٢٣ ، مج٢٩ : ٤٤٢ – ٤٥٨ ، مج٣١ : ٤٨٣ – ٤٨٦ ، وأعيان الشيعة ٨ : ٢٩١ ، وانظر بقية المراجع في الأعلام للزركلي ٥ : ٢٨٧ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨ : ١٨٣ – ١٨٥ .

الواسعُ الغزير والاستقامةُ في السـلوك والعمل ، والانقطاعُ إلى الإصلاح والإرشاد ، ويتهدّى إلى الأسباب التي رفعت السيد الأمين ليكون منارةً هاديةً تتشوّف إليها الأبصار .

لقد وقف نفسه طَوال حياته يسدّد ويقوّم ، ويعلّم ويهدي ، ويدعو إلى وحدةِ القلوب واجتماعِها على المحبة والخير . لم تَعُقْه العقبات ، ولم تثنه الصعاب ، بل زادته عزماً وتصميماً على السير قدماً حتى يبلغ هدفه المأمول[1] .

إننا ونحن نجلو اليوم جوانب من سيرة هذا العالم الكبير ، والصالح المصلح لنزدادَ معرفةً به ، وتقديراً لجهوده ، وإحاطةً بالمهمة الرفيعة التي اضطلع بها ، لا يفوتنا أن نرمي إلى غرضٍ ثانٍ ، هو تقريب هذه السيرة إلى الأجيال الجديدة ، تجدُ فيها القدوة والأسوة ، فتنصرفُ إلى العلم ، تبذلُ في سبيله كل جهد مستطاع ، وتنهلُ من معينه ما يُسْعفها لترقى بالوطن درجات وترفعَ من طاقاته وقدراته ، ثم تهيبُ بها هذه السيرةُ المباركةُ أن تتمسك بالقيم والمبادئ ، وتتعلقَ بالفضائل والمُثُل ، فترنوَ بأبصارها إلى معالي الأمور ، وتتجنبَ سَفْسافها .

* * *

ولد السيد محسن الأمين في حدود سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) بقرية شقرا التابعة لناحية هونين من أعمال مرجعيون ، وهي من قرى جبل عامل . وبدأ تعلمه في مسقط رأسه لينتقلَ من بعدُ إلى مدارس جبل عامل ، ويقرأ على علمائها ، وقد جدَّ في التحصيل حتى لان له عَصيُّ العلوم . وكان يتكئُ على نفسه في قراءة العلوم حين لا يجدُ المدرسَ المسعفَ المساعد . ومما قرأه بنفسه في أواخر هذه المرحلة من التعليم شرحُ نهج

(١) أعيان الشيعة ١ : ٨٦ ـ ٨٧ (نصيحة مهمة) .

البلاغة لابن أبي الحديد . وبدأ التأليفَ في تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وقال الشعر . ولما ملأ عِيابَه مما أخذ عن العلماء العامليين وجَّه همَّه إلى الرحلة في طلب العلم ، شأن السلف الصالح ، فقصد النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) ، وقرأ على علمائه الفضلاء ، فلما بلغ مراده ، ونال بغيته ، غادر النجف إلى دمشق سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) ليتخذها منزلاً ومقاماً . ونصب نفسه للتعليم والتأليف والهداية ، وأنشأ المدرستين المحسنية واليوسفية ، إلى جانب جميعة الإحسان ، وجمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام .

وكان ، رحمه الله ، منهوماً بالعلم ، مشغوفاً بالمطالعة ، يصف أيام مقامه بالنجف فيقول : « كنتُ فيها مكباً على المطالعة والمراجعة والقراءة والتدريس والإفادة ، والتصنيف والتأليف ، ليلي ونهاري ، معرضاً عما سوى ذلك إلا بقدر الضرورة .... موجهاً إلى تحصيل العلم همةً أعلى من الضُراح ، وعزمةً أمضى من بيض الصفاح »[٢] وظلَّ ذلك دأبه وديدنه طَوال حياته ، وقد تحدَّث عن حبه للعلم وتبتُّله في محرابه في غير موضع من كتبه[٣] . وقال في صفة الكتاب :

رضيتُ بالوحدة في منزل ليس جليسي فيه غيرَ الكتابْ[٤]
أَكْرِمْ به من صاحبٍ صادقٍ يَهْدي إلى نهج الهدى والصوابْ
بصحبتي إياه في غربتي وموطني قد لذَّ عيشي وطابْ

(٢) الرحيق المختوم ١ : ٣٤٨ ، والضُّراح ، بضم الضاد : بيت في السماء حيال الكعبة .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٢٧ : ٦٢١ - ٦٢٣ ، الرحيق المختوم ١ : ٣٥١ ، ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ، أعيان الشيعة ١ : ١٤/ع٢ ، ١٠ : ٣٣٤/ع١ ، ٣٣٨/ع١ ، ٣٦٩/ع٢ .

(٤) الرحيق المختوم ١ : ٢٤١ .

وجعل مطلع كتابه : (معادن الجواهر) بيانَ فضل العلم والتأليف والكتابة . ووصف نفسه فقال :

أنـــا الذي في طـــلاب الـ ـــعـــلوم أفنيتُ عمــري[٥]
وليس لي من جـــــليسٍ إلا دواتي وسِـــــفْـــري
وفي يمــــيــــنـــي يَـــراعٌ في الطِـــرْس مـــا زال يجـــري

وكان ، رحمه الله ، كما وصف نفسه ، يواصل الكتابة والتأليف ، فغزر نتاجه ، وكثرت كتبه ومصنفاته . يقول عن نفسه : « له مؤلفات كثيرة ، وبعضها قد طبع مرتين أو مراراً ، وبعضها قد ترجم إلى غير العربية وطبع ، وأكثرُها يزيد على ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة . وحسبك أن يكون أعيان الشيعة يبلغ مئة مجلد .... ولو قُسِم ما كتبناه تسويداً وتبييضاً ونسخاً وغيرها على عمرنا لما نقص كل يوم عن كراس ، مع عدم المساعد والمعين غيرَ اللهِ تعالى »[٦] .

وكان يتحمل الشدائدَ والمشاقَّ ، ليبلغ مشتهاه في التحقيق والتدقيق ، ويكفي أن نشير إلى رحلاته ، ولا سيما الرحلة العراقية الإيرانية ، لنتبين مدى ما قدّم وما بذل ليصل إلى طَلِبته[٧] .

وتتجلى في مؤلفاته روحُ النَّصَفَةِ والنزاهة وحب الحقيقة . وكان حريصاً على توثيق نقوله ، وذكر مصادره ، ليكون القارئُ على بيّنة مما بين يديه . وقد بلغ عددُ المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه (أعيان

(٥) معادن الجواهر (دمشق ــ ١٣٥١هـ) ٣ : ٤٠٣ .

(٦) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٧١ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٢٧ : ٦٢٣ .

(٧) الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت ــ ١٩٥٤م) ، رحلات السيد محسن الأمين (بيروت ــ دار الغدير) ، معادن الجواهر ٢ : ٢٨٩ ــ ٣٤٣ ، أعيان الشيعة ١٠ : ٣٦٩ ــ ٣٧٠ ، ٣٧٣ .

الشيعة) ثلاثةً وتسعين وثلاثَ مئة مصدر[٨] .

وتقديراً لمكانته العلمية السامية ، وما قام به من جليل الأعمال والمآثر فقد اختاره أعضاءُ المجمع العلمي العربي بدمشق زميلاً لهم ، فانضمّ إلى مجمع الخالدين سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) ، وشارك زملاءه في أعمال المجمع ، وآزرهم في مهمتهم ، وكان نعم العونُ والعضد ، حتى اختاره اللهُ إلى جواره سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م)[٩] .

لقد كان ، رحمه الله ، من أولئك العلماء الأعلام الذين لا يقصرون جهودهم على علم واحد ، بل يمدون من آفاق معرفتهم لتشمل أنواعاً شتى من العلوم ، فبرع ، رحمه الله ، في العلوم الدينية ، واتسع في قراءة التاريخ وعلم الرجال والأدب ، وعُني باللغة وأتقن علوم العربية ، ورُزق حافظة قوية ، أسعفته في حفظ الكثير من مختار الشعر ، وبليغ النثر . وألَّف فأكثر ونوَّع . ويكفي أن نشير إلى كتاب أعيان الشيعة ليدرك القارئ دائرة المعارف الواسعة التي كان ، رحمه الله ، يجول في رحابها ، ويجني من ثمارها[١٠] .

* * *

ليس من همي أن أتقصَّى جوانب نشاط السيد الأمين ، فذلك فوق الوسع والطاقة . وإنما أنا قاصر كلمتي على الجانب الأدبي .

كان طالبُ العلم ، كما قصّ علينا السيد الأمين في سيرة حياته ، يبدأ بختم القرآن الكريم ، وتعلُّم الكتابة ، ثم يجوّد الخط ، ويقرأ كتب

(٨) أعيان الشيعة ١ : ٢٠٩ ــ ٢١٨ .

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٥٠ ــ ٥٥١ ، مج٢٩ : ٤٤٢ ــ ٤٥٨ .

(١٠) انظر ما كتبه الأستاذ سليمان ظاهر في أعيان الشيعة ٧ : ١٨٧ ، وفي مقدمة الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت ــ ١٩٥٤م) : ٥ ــ ١٥ .

النحو متدرجاً من الآجرومية إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام ، إلى شرح ابن الناظم على ألفيه ابن مالك ، إلى ما فوقها من كتب ، مثل شرح الرضي على الكافية ، والتصريح على التوضيح للشيخ خالد ، ثم يضم إلى ذلك دراسة علوم أخرى مثل قراءة المعالم في أصول الفقه ، والمطول في البلاغة ، وما يختاره المدرس من كتب الفقه والمنطق والأدب وسواها . وعمادُ الدراسة في ذلك الحفظُ غيباً في المتون خاصة .

ويحدثنا السيد الأمين أن أول ديوان شعر قرأه كان ديوان أبي فراس الحمداني ، وأنه حفظ كثيراً منه . وتدلُّنا آثار السيد الأمين على تمكنه من ناصية اللغة ، ومقدرته المبكرة على فهم أساليب العربية ، قد أوتي الحافظة القوية ، والموهبة المسعفة ، والذكاء اللمّاح . وظهر تفوقُه على أقرانه وأنداده ، وكان يتفطّن إلى ما لا يتفطن له سواه : مرّ ببيروت سنة ١٣٠٨هـ في طريقه إلى النجف ، وكان في الرابعة والعشرين من عمره ، فاطلع في مكتبة الشيخ أحمد عباس على كراسة من ديوان الشريف الرضي الذي كان يُطبع آنذاك ، فنبه على الخطأ الذي وقع في تفسير بيت الشريف :

ومَوقفٍ صافحت أيدي الرجال به طلى الرجال على الخرصان من كَثَبِ

ودلّ على الصواب[١١] . وطالما فعل ذلك .

ومكّنه تفوقه من التأليف المبكر ، وقول الشعر ، فكتب حاشية على المطول ، وحاشية على المعالم ، وكتاباً في النحو[١٢] . وقد ضمَّ ديوانُ الرحيق المختوم بجزأيه جُلَّ شعر السيد الأمين ، وكثيرٌ منه مما نظمه في أيام الشباب . وفيه قصائدُ قالها سنتي ١٣٠٣هـ و١٣٠٤هـ يرثي بها أقرباء وعلماء فجع بهم[١٣] .

(١١) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(١٢) أعيان الشيعة : ١٠ : ٣٤٣/ع١٦ .

(١٣) الرحيق المختوم ١ : ١٨٥ ـ ١٩٠ ، ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، ٢٠٩ ـ ٢١٢ .

وهو يمضي في شعره على سنن السابقين من الشعراء ، يجاريهم في أغراضهم ومعانيهم وصورهم وأساليبهم . وقد نهج نهجهم فيما سلكوه من التشطير ، والتخميس ، والتوشيح ، والتذييل ، وقول القصائد المحبوكات ، والمعميات والألغاز ، وفن التأريخ ، والملح ، والمعارضة .

وتعدّدت الأغراض التي طرقها ، وقد نسقها في الجزء الأول من ديوان : الرحيق المختوم في ثمانية عشر باباً منها المديح والغزل والرثاء والحماسة والصفات والحنين إلى الأهل والأوطان .

وجلُّ مدائح السيد الأمين قالها في مدح النبي ﷺ والإمام علي رضوان الله عليه ، والعترة الطاهرين . وإذا كان السيد محسن الأمين قد أفرد قصائد للغزل والنسيب فانه قد افتتح جملة من قصائده الأخرى ولا سيما المديح بالغزل على غرار الشعراء السابقين .

ويطالعك في غزله أحياناً شيء من نفحات حجازيات الشريف الرضي . يقول :

يا سائرين تيمموا نجدا ... تخِدُ المطيُّ بظعنهم وَخْدا(١٤)
حَطُّوا الرحالَ على مرابعها ... واستنشقوا من تربها النَدّا
يا ساكني نجدٍ سألتكمُ ... بالعهد أن ترعَوْا لنا العهدا
سَقْياً لأيام مضين بها ... قد كان عيشي ناعماً رغدا
وبأيمن العلمين ريمُ فلاً ... قد واصل الهجرانَ والصدّا

وساير السيد الأمين شعراء العصر ، فوصف في شعره المخترعات الحديثة . يقول في مطلع قصيدة له في مدح نبيّ الرحمة محمد ﷺ يصف القطار الذي امتطاه لزيارة الرسول في المدينة ، وتخلّص من الوصف إلى المديح ، وهو ما يسمّى عند علماء البديع حسن التخلص :

---

(١٤) الرحيق المختوم ١ : ٩٧ .

سرت بنا تقطع الغيطان والأَكَما تسابق الريح مهما هبّ أو نسما[١٥]
بزلاء ليس لها رحل ولا قتب ولا زمام ولا شدُّوا لها حزما
من السوابق في المضمار ما حملت سرجاً ولا مضغت في دهرها اللجما
تخبُّ طوراً وطوراً سيرها رَمَلٌ وتارة تسبق السيل الذي دهما

وزاره الشيب مبكراً ، وظهر في مفرقه ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، فهاجه للقول ، فقال :

دهى مفرقي بالشيب صرفُ زماني وما تمَّ لي عشر مضت وثماني[١٦]
وأسرع فيَّ الشيبُ قبل أوانه ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ

وقال :

أرى نوب الزمان تعاورتني ونالت قصدها بالرغم مني
وشيّب مفرقي صرفُ الليالي وما أوفت على العشرين سني

والشطر الأخير مستعار من قول أبي تمام وقد دهاه ما دهى السيد الأمين فقال :

وما أوفت على العشرين سني فما عذرُ المشيب إلى عذاري

وحافظةُ السيد الأمين القوية كانت ترفده وتمده دائماً . وقد ألف أن يضمن شعره ونثره قطوفاً من أشعار السابقين ونثرهم ، ومأثور الحكم والأمثال . بله آيات الذكر الحكيم ، وأقوال الرسول الكريم .

ومما قاله في الحنين إلى دمشق :

خان الزمان وقدماً كان خوانا فشطَّ منزل من نهوى ويهوانا[١٧]
أحبابنا بدمشق لا أَغَبَّكم فيضُ السحائب هطّالاً وهتّانا

(١٥) الرحيق المختوم ١ : ٤ ـ ٥ ، وانظر أيضاً ١ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(١٦) الرحيق المختوم : ١ : ١٠٥ .
(١٧) معادن الجواهر ٣ : ٤٣٠ .

إنْ يَنْأَ ربعُكم عن ربعنا فلكم في القلب ربعٌ غدوتم فيه سُكّانا
ذكراكُمُ في محاني القلب ثابتةٌ فهل نسيتم لبعد العهد ذكرانا

وكان السيد الأمين يباهي بأشعاره ويفاخر ، فعل الشعراء المتقدمين ، فيقول :

إليك من غرر الأقوال قافيةً كالتبر منسبكاً والدرِّ منتظما(١٨)
تُعيي فصاحتها قُسّاً وتتركُ مِنْ ورائها كلَّ ذي نثرٍ ومن نظما

ويقول أيضاً :

في الشعر كم لي قوافٍ من كلّ غرّاء بِكْرِ(١٩)
شواردٍ سائراتٍ في كل سهل ووعر
يشدو بها الركبُ حدواً في كل بيداء قَفْر
تسري مسير الدراري في كل برّ وبحر

لقد كانت صور السيد الأمين وأخيلته ومعانيه تجول في رياض الشعر الموروث . أما أسلوبه فكان أقرب إلى الجزالة في أغراض الفخر والحماسة والمديح ، ويرقّ في غرض النسيب . وقد طاوعته العبارة ، وأسلست له قيادها ، وواتته الألفاظ لسعة محفوظه واقتداره ، تنثال عليه الكلمات يختار منها ما يروقه . وقد رضي عن مذهبه في الشعر ، وكأنما كان يردّد لنفسه :

أتيتُ بمنطق العرب الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قيلي

أما نثره فكان السهل القريب المتناول ، تقرأ سيرته التي حبّرها فتحسّ أنه قريب منك يقصّ عليك بأسلوب سلس ، لا تعمّل فيه ولا تكلف . لقد كانت غايته الأولى في كتبه ورسائله التعليم والإفهام ، فاختار العبارة الواضحة السهلة . وقد هيّأ له هذا الأسلوب انتشار كتبه وتداولها بين فئات

---

(١٨) الرحيق المختوم ١ : ٦ .

(١٩) معادن الجواهر ٣ : ٤٠٢ .

مختلفة ، كل فئة منها تجد فيها طلبتها ومرادها .

ويضطرنا ضيق المقام إلى إيجاز القول في منظوم السيد الأمين ومنثوره ، ومجال القول ذو سعة ، لننتقل إلى الحديث عن مؤلفاته الأدبية .

لقد بدأ السيد الأمين الكتابة في الأدب وعلومه في مطلع شبابه ، وكان حريصاً على اقتناص الفوائد يختارها ويجمعها . وقد أشار إلى ذلك في مطلع كتابه : معادن الجواهر ونزهة الخواطر الذي حشاه فوائد مصطفاة ، ولآلئ نفيسة تدل على الميدان الرحب من الثقافات المنوعة التي طوّف السيد في جنباتها ، يجتبي ويجني الخيار منها .

وقد قصر الجزء الثالث من كتابه على الشعر والأدب ، فدل ما جمعه واختاره في هذا الجزء على ما يتمتع به من مقدرة فائقة في تذوق الكلام ونقده ، ومن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بتراثنا الأدبي .

وتبدت طاقات السيد الأمين الأدبية ، وذوقه الناقد ، وحسه المرهف في كتابه أعيان الشيعة حين تصدى لترجمة كبار الأدباء من الشعراء والكتاب .

كان يرى فرضاً واجباً أن يحيط بأخبار الشاعر أو الكاتب الإحاطة البالغة ، فيبحث وينقّر في الكتب المطبوعة والمخطوطة ليعود بزاد وفير . ثم يعرض ما جمع على محك النقد ، فيوازن بين الأخبار ليدلّ على المتناقض منها ، وينفي المتهافت الضعيف . ويعودُ إلى ديوان الشاعر وآثار الكاتب يستعين بها في التحقق من صحة الأخبار . وينتقي بعد ذلك مختارات من رائع شعره أو بليغ قوله ، ويذكر ما أخذه النقاد عليه ، ملتزماً النَّصَفَةَ والنزاهة . وهو في كل ذلك لا يتوقف عن تصحيح المحرف وتقويم المصحّف من النصوص التي مسخها النساخ .

كان رحمه الله يطيل في تراجم الأدباء من الشعراء والكتاب منساقاً

بفطرته الأدبية ، وذوقه الناقد ، وانك لتستطيع ان تجتزئ كل ترجمة من تلك التراجم لتفردها بكتاب مستقل ، كترجمة المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي تمام وأبي نواس ودعبل بن علي الخزاعي والصاحب بن عباد .

كانت تلك طريقته في عمله ، يقول في مقدمة ترجمة أبي فراس : « ... وبعد فإني ذاكر في هذه الأوراق ترجمة أحوال الأمير أبي فراس الحمداني .... مما استفدته من أقوال المؤرخين ، وما استنبطته من مجرى الحوادث وقرائن الأحوال ، ومن التأمل وإعمال الفكر في أشعاره وما يستفاد من جملة منها من صفاته ومختلف حالاته ، حسبما أدى إليه بحثي وتنقيبي ، ووصل إليه فهمي ومعرفتي مما أرجو أن أكون أصبت فيه شاكلة الصواب ، مع إيراد نبذ صالحة من شعره المستحسن .... ولا سيما ما عثرت عليه زيادة على ما في ديوانه المطبوع وهو شيءٌ كثير » .

وكان يدرك أنه بذلك قد قدم ما لم يقدم سواه ، وأنه تفرد بما لم يشركه فيه غيره . يقول في مقدمة ترجمة أبي نواس : « ... وبعد فهذه سيرة الشاعر الشهير أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي .... تامة مستوفاة مستقصاة من جميع نواحيها بما لم يُسبق إليه . » .

وبعد ، فلقد كنت وأنا أقرأ سيرة السيد محسن الأمين ، تطالعني صورته المحببة بعلمه الغزير ، وسعة أفقه ، وتسامحه ، ومناقبه ، وتواضعه الجم يستقبل قاصديه لا فرق بين كبير وصغير ، ويزودهم بنصحه وإرشاده ، قد نذر نفسه لخدمة مجتمعه ، وهدايته ، ورَفَعَ منارةَ العلم يبدد بها ظلمات الجهل وغشاوة التخلف ، ودعا إلى الوحدة ونبذ الخلاف ، لم يبخل بتضحية ، وعزف عن المغريات ، ولم تغرّه مظاهر الدنيا البراقة ، فكان المؤمن المتمسك بالمبدأ والقيم والمثل ، وكان القدوة الحسنة الطيبة في خلقه ومسلكه وعلمه ونزاهته .

لقد كنت وأنا أقرأ أردّد لنفسي قول رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة ؟ أحاسنُكم أخلاقاً ، الموطّؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون » .

رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأسكنه فسيح جنانه ، فلقد كان الحسن الأخلاق ، الموطأ الأكناف ، يألف ويُؤلف ، فعل المؤمنين الأبرار .

(التعريف والنقد)

الشرق والغرب رفيقا الدرب عند رِنْفرُوْ

(مؤلف معروض)(*)

الدكتور عبد الرزاق قدورة

نرمز بالدرب إلى البقعة التي انطلق منها أجداد الناطقين اليوم باللغات الهندية الأوروبية أي الأوروبيين والهنود والفرس وأخوانهم . وهذه البقعة هي ديار بكر أو تكاد تكون . وهذا رأي كولن رنفرو ، أستاذ علم الآثار في جامعة كمبردج ، وعميد كلية يسوع فيها .

منذ اكتشاف القرابة بين لغات فارس والهند وأوروبا ، والناس يتساءلون عن أصلها . والرأي الشائع هو أن أم هذه اللغات جميعاً لغة كان يتكلمها بدو خيَّالة كانوا يسكنون في شمال البحر الأسود في مطلع عصر البرنز . وغزا هؤلاء الفرسان جيرانهم شرقاً وغرباً ، وفرضوا لغتهم التي تشعبت ، على مر السنين ، إلى اللغات الهندية الأوروبية المعروفة اليوم . هذا الرأي الشائع يخالفه عدد من العلماء يستند بعضهم إلى علم الآثار (ومنهم رِنْفرو) ، وآخرون إلى علم اللسان ، وغيرهم إلى علم الحياة . والمُؤلَّف المعروض ، وهو : « علم الآثار واللسان : معضلة الأصول الهندية الأوروبية » يدافع عن هذا الرأي الجديد . وهناك مُؤَلَّف آخر ينظر في الأمر نفسه ، هو : « البحث عن الهنود الأوروبيين : اللسان وعلم الآثار والأساطير » ، بقلم مَالُوْرِيْ . وسوف نستعين به في هذا العرض ، كما

(*) Archaeology and Language. By Colin Renfrew. Penguin Book, 1989.

٢/٥٦ نستعين بمقالات نشرها رِنْفرو وآخرون في مجلة الأمريكي العلمي « سَيَنْتِفِيكْ أمِريكَانْ » .

رأي رنفرو يعارضه كثيرون . ونشرت مجلة « نِيْتْشَرْ » حديثاً بحثاً دَرَسَ أُسْنانَ جِيادٍ عاشت في شمال البحر الأسود قبل بضعة آلاف من السنين . وقد تبين أنَّ على الأسنان أثَرَ حَكٍّ اللجام بها ، أي أن هذه الجياد كانت مُرَوَّضَةً مركوبة ، وأن أصحابها كانوا فرساناً يمكن أن يكونوا الغزاة أجداد الأوروبيين الذين يفترضهم الرأي الشائع الذي يسعى رنفرو إلى نقضه .

رنفرو يقول إن هؤلاء الأقدمين أتوا من بلاد الأناضول التي كانت قد انتشرت فيها الزراعة قادمة من الهلال الخصيب . وانهم لم يغزوا البلاد الجديدة التي انتقلوا إليها ، أي أوروبا وفارس والهند ، بل انتقلوا إليها تدريجياً كلما دعتهم الحاجة إلى أراضٍ زراعية جديدة بسبب ازدياد أعدادهم .

القرابة بين اللغات الهندية الأوروبية واضحة من تشابه كلماتها ، ومنها الأعداد . فالواحد هو « أنْ » بالفرنسية ، و« وَنْ » بالانكليزية ، و« آيْنسْ » بالألمانية ، و« اونوس » في اللاتينية ، و« هيس » في اليونانية ، و« ايكاس » في السنسكريتية . ويصح مثل ذلك في الأعداد الأخرى . ولا شبه بين هذه الكلمات وبين الكلمة العربية المقابلة أي « واحد » . وليست القرابة مقتصرة على الكلمات بل هي أيضاً ظاهرة في القواعد واللفظ . وتدل الدراسة على أن اللغات الهندية الأوروبية تنقسم إلى أسر منها الرومانسية التي انحدرت من اللاتينية وتحوي الفرنسية ، والايطالية ، والاسبانية ، والبرتغالية ، والرومانية ، ومنها الجرمانية وتحوي الألمانية ، والنروجية ، والدنماركية ، والسويدية ، ومنها السلافية ، وتحوي الروسية ، والبولونية ، والتشيكية ، والسلوڤاكية ، والصربية الكرواتية ، والبلغارية .

وكل اللغات الأوروبية الحالية تنتمي إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية إلا الهنغارية ، والفنلندية ، والاستونية ، والباسكية ، وأشباهها .

الاعتقاد بان الناطقين اليوم باللغات الهندية الأوروبية انحدروا من أصل واحد هو اعتقاد منبعه التشابه بين لغاتهم . ولكن لا بد لاختبار صحته من الرجوع إلى علم الآثار وعلم الحياة . وتحديدُ الأرض التي كانت موطن أجدادهم يستند إلى دراسة هذه العلوم الثلاثة معاً (أي اللسان ، والآثار ، والحياة) ، ومقارنة نتائجها بعضها ببعض . فالرجوع إلى الأصول بدراسة علم اللسان سبيله اكتشاف الكلمات المشتركة اليوم بين اللغات الهندية الأوروبية ، لأن هذه الكلمات منحدرة من اللغة الأم ، فمجموعها يؤلف اللب الذي حفظته الأيام . وبدراسة كلمات هذا اللب يمكن استنتاج الوسط الذي كان يعيش فيه الأجداد الذين كانوا ينطقون باللغة الأم . فكلمات اللب التي تسمي حيوانات أو نباتات تدل على أن هذه الحيوانات والنباتات كانت موجودة في الوسط الأصلي . فمن كلمات اللب مثلاً كلمة حصان . وهذا دليل على أن الأجداد ، والوسط الذي عاشوا فيه ، كانوا يعرفون الحصان . ولا تفيد كلمات اللب في التعرف على الوسط الأصلي فحسب ، بل إنها تدل أيضاً على الزمان . فمن كلمات اللب مثلاً كلمة عجلة مما يدل على أن الأجداد عرفوها . ولكن ليس من بينها كلمة حديد ولا كلمة برنز ، فهم اذن ما عرفوها . وهكذا يمكن استنتاج معلومات عن مكان سكنى الأجداد ، وعن زمان انتقالهم منه ، من دراسة كلمات اللب . فهم مثلاً بدؤوا بالتفرق بعد زمان ترويض الحصان وبناء العربات ولكن قبل اكتشاف الحديد والبرنز .

جاءت اللغة الأم من مسكنها الأصلي وانتشرت شرقاً وغرباً . فكيف تم هذا الانتشار ؟ إن دراسته تعطي أيضاً دلائل عن المسكن الأصلي .

هناك عدة أشكال من الانتشار اللغوي . فأولها هو أن يأتي الناطقون باللغة إلى أرض غير مسكونة فيستعمروها ، وتستقر لغتهم فيها . وطبعاً هذا الشكل لا يصح في حالة اللغات الهندية الأوروبية لأن الأراضي التي انتقل إليها أجداد الناطقين بها كانت حتماً مسكونة قبل دخولهم إليها ، وما تزال بقايا من هذه الشعوب ، واللغات ، الأصلية فيها .

الذي حدث في حال الهنديين الأوروبيين هو أن لغتهم حلت محل لغات الأقوام التي انتقلوا إلى بلادها . وهذا الحلول يمكن أن يتم بأشكال مختلفة . منها أن يكون عند القادمين وسائل جديدة لتحصيل الرزق تسمح لهم بالتعايش مع السكان الأصليين ، الذين يتكسبون من وسائلهم الخاصة بهم ، دون أن يكون بين هؤلاء وأولئك تنافس على الموارد نفسها يؤدي إلى النزاع والصدام . وهناك شكل آخر تحل به لغة محل لغة ، غير شكل النجاح الاقتصادي للجدد الذي أشرنا إليه الآن ، هو الهيمنة عندما يكون عند القادمين نظام وسلاح أقوى من اللَّذَيْن عند السكان الأصليين . فعندئذ يحكم أولئك هؤلاء وتحل اللغة الجديدة تدريجياً محل اللغة الأصلية . ولكن لا بد لكي يتم ذلك من تحقق شرطين : أولهما ، كما قلنا ، هو أن يكون القادمون أقوى من القاطنين ، بالنظام والسلاح ، وثانيهما هو أن يكون للفئتين نظام اجتماعي كافٍ ليجعل أولئك حكاماً وهؤلاء محكومين . فقيام الحكم لا يفترض فقط أن يكون لدى الحكام ما يكفي من العزم للقيام بأعبائه ، بل أن يكون لدى المحكومين أيضاً ما يكفي من الرضا لتحمل أوزاره . وهذا وذاك لا يكونان إلا إذا كانت كل فئة من الفئتين منظمة تنظيماً كافياً يمكن هذه من أن تَحْكُم وتلك من أن تُحْكَم . وطبعاً هذه الطريقة في الحلول هي التي يظنها من يقولون إن أجداد الأوروبيين أتوا غازين راكبين ، وفتحوا الأرض التي يسكنونها اليوم ، وحكموا سكانها

الأصـليـين ، وحلت لغتهم محل لغاتهم . غير أن رنفرو ينكر ذلك ، فلا القـادمون كان عندهم سـلاح ونظام أقوى ، ولا القاطنون كانوا مُنَظَّمين لِيُحْكَمـوا فقـد كانوا صـيـادين جامعـين للقوت ، متسـاوين في المراتب والدرجـات . ويقـول رنفـرو ان الطبقـات في أوروبا لم تبدأ إلا في عصر البرنز . وهنـاك طبعاً شكلان آخران تحل بهما لغة محل لغة . أحدهما أن تضعف دولة ما وتنهار ، فيغزوها الذين كانوا يعيشون وراء حدودها وكانت تدفعهـم عنهـا أثناء سـلطانها ، فتحل لغاتهم محل لغاتها ، وهذا ما حدث للرومان عند انحلالهم . والشكل الثاني هو عندما تحمل التجارة لغة واحدة عـبر أقوام كثر ، فيعتمـدونهـا في تجارتهـم وتواصـلهـم بعضهـم ببعض ، ويَصْبِغُونَهـا بخصـائصهـم ، فتتولد لغة جديدة تنتشر على نطاق واسع ، وتتعـايش مع اللغـات الأصـليـة حينـاً ثم تحل محلهـا ، ومثال ذلك اللغة السواحلية التي ولدت من اللغة العربية في أفريقيا الشرقية والوسطى .

يرى رنفرو ، بعد أن ينظر في أشكال حلول لغة محل أخرى ، أن الشكل الذي يصح في حالة اللغة الهندية الأوروبية هو الشكل الأول الذي ذكرناه ، أي الشكل المستند إلى عوامل اقتصـادية وتكاثرية عندما يكون لدى القـادمين وسـائل أفضـل لاكتسـاب الرزق من وسائل القاطنين ، فيدخلون بلادهم سلماً ، ويستثمرون موارد غير التي يستثمرها القاطنون ، فـلا يتنـازعون ولا يتصـادمون ، ولكن يتكـاثرون بسـرعة أكبر ، فتزيد أعدادهم على أعداد القـاطنين ، ولا يلبثون ، بعد انقضـاء زمن كافٍ أن يغمروهم بأعدادهم ، وتحل لغتهـم محل لغة الأصـليين . ويقول رنفرو إن الأسـلوب الجديد في كسب العيش الذي جـلبـه معهـم أجداد الهنود الأوروبيين إلى البلاد التي هاجروا إليها هو الزراعة .

قبل تسعة آلاف سنة بدأت الزراعة تنتشر في أوروبا ، فصار يزرع

فيها القمح والشعير ويُرَبَّى فيها الغنم والماعز . وكل هذه النباتات والحيوانات من أصل غير أوروبي . وكلها أتت من البلاد التي ولدت فيها الزراعة وتربية المواشي أي بلاد الشام والرافدين . وقد انتشرت أساليب الحياة الجديدة عندئذ هذه كما تنتشر الأمواج على سطح الماء ، أي ان الفلاحين كانوا كلما تكاثروا ، وضاقت عليهم الأرض المزروعة ، هاجروا منها واستعمروا أرضاً سواها . ذلك أن الزراعة تغذي أهلها أفضل بكثير مما يغذيهم الصيد وجمع الطعام ، فيتكاثرون أكثر من الصيادين والجامعين ، ولا تلبث الأرض أن تضيق بهم . والذين يهاجرون ، عندما يحتاجون إلى ذلك ، هم الشباب . فإذا افترضنا أن الفلاح الشاب المهاجر ينتقل من أرض والديه في أي اتجاه يرجو أن يجد فيه أرضاً خالية صالحة للزراعة ، وأن معدل انتقاله الوسطي بضعة عشر كيلو متراً ، فان حساب الاحتمال يدل على أن أمواج المهاجرين هذه تغطي أوروبا بكاملها بسرعة وسطى قدرها كيلو متر واحد في السنة . وإذا صح ذلك فإن الذين انطلقوا من ديار بكر يصل أحفادهم إلى أوروبا الشمالية بعد نحو ستين جيلاً أي الف وخمس مائة عام .

هذا طبعاً نموذج مفرط في التبسيط . والواقع أعقد منه بكثير . فالأرض التي كان ينتقل إليها المهاجرون ، إن كانت خالية من الزراعة ، فانها لم تكن خالية من الناس ، بل كان فيها الصيادون والجامعون ، وان كان هؤلاء موزعين عليها بكثافة أقل بكثير من كثافة المزارعين . ذلك ان كسب الرزق بالصيد والجمع أقل جدوى من كسبه بالزراعة ، ويتطلب من صاحبه الانتقال الدائم . فالكيلو متر المربع الواحد لا يستطيع أن يغذي وسطيًّا بالصيد والجمع أكثر من عشرة أشخاص ، بينما تستطيع الزراعة أن تغذي ، في الكيلو متر المربع الواحد ، خمس مائة شخص . ونموذج رنفرو ، كما قلنا ، يفترض أن القادمين والأقدمين يتعايشون بسلام ، لأن مواردهم

مختلفة لا يتنازعون عليها ، فهؤلاء يصيدون وأولئك يزرعون ، وموجتاهم تتقدمان شيئاً فشيئاً إلى الشمال والغرب ، فيكون الصيادون هم السابقين ، والزراع هم اللاحقين . ولكن رنفرو يقبل أيضاً بأن بعض الصيادين قد يكون أدرك أن أسلوب الزراع في كسب الرزق أقل مشقة وأعظم جدوى من الصيد والجمع ، فاعتمده واستقر على أرض زراعية . وإذا صح هذا فإنه يعني أن بعض الأوروبيين الحاليين هم من سلالة سكان أوروبا الأصليين هؤلاء الذين كانوا صيادين وانقلبوا زُرّاعاً ، وليسوا من سلالة القادمين من ديار بكر . وعندئذ تكون لغات الذين ينحدرون من الأوروبيين الأصليين غير اللغات الهندية التي هي لغات سلالة القادمين . وفعلاً يجد الباحث بين اللغات الأوروبية الحالية ، أو التي لم تندثر إلا قبل ألفي سنة ، لغات ليست هندية أوروبية منها لغة الباسك التي ما تزال اليوم حية ، ولغة الاترسك الذين عاشوا حتى أيام الرومان .

نظرية رنفرو هذه ، التي تجعل نسب سكان أوروبا الحاليين ، إلاّ جَزائر قليلة ، وفارس والهند ، يرقى إلى أجداد بعيدين في ديار بكر بدؤوا انتقالهم قبل تسعة آلاف سنة تقريباً ، يُوَسِّعها رنفرو ليجعلها تصح في المنطقتين الأخريين اللتين نشأت فيهما الزراعة ، في وقت واحد تقريباً مع نشوئها في ديار بكر وهما بلاد الشام وبلاد العراقين . ذلك أنه لما كانت الفكرة الأساسية في الموضوع هي أن الزراعة أقدر من وسائل العيش التي سبقتها على إطعام أهلها ، فإنها إذن لا بد من أن تزيد أعدادهم ، فتضيق بهم الأرض ، ويضطرون إلى الهجرة باحثين عن أرض جديدة يزرعونها ، فكل منطقة تبدأ فيها الزراعة تصبح إذن بعد حين منبعاً لموجة من الناس المهاجرين . فإذا صح ذلك نتج منه . أن بلاد الشام أصبحت ، بعد أن نشأت فيها الزراعة ، وزاد أهلها عما كانوا ، منطلق هجرة إلى شبه جزيرة

العرب وشمال إفريقيا . وكذلك أن بلاد العراقين أصبحت منطلق هجرة إلى جنوب شرق آسيا وشرقها . وهذا أمر يفرضه الواقع الجغرافي والبحث عن بلاد جديدة ليس فيها زراع . ويؤيد هذا الرأي ان علم الآثار يبين أن الزراعة وصلت إلى شمال إفريقيا بعد بدء وصولها إلى أوروبا بقليل . ويؤيده أيضاً أن لغات شمال إفريقيا هي لغات أخوات من الزمرة الإفريقية الآسيوية ومنها لغة قدماء المصريين ، واللغة البربرية ، واللغة العربية وأخواتها ، ولعل هذه اللغات جميعاً بنات لغة أم كان يتكلمها الذين بدؤوا الزراعة في بلاد الشام . وإذا نظرنا في موجة الهجرة الثالثة المنطلقة من بلاد العراقين ، وجدنا أنها انطلقت شرقاً لتغطي جنوب فارس وتمتد حتى الباكستان . ويؤيد هذا الرأي أن اللغة العيلامية التي كان يتكلمها سكان عربستان الأقدمون قريبة من اللغة الدراڤيدية التي تفرعت منها لغات جنوب الهند الحالية . فنظرية رنفرو تقول إذن إن أصحاب موجة الهجرة الثالثة حملوا معهم أم اللغات العيلامية والدراڤيدية حتى بلغوا بها الهند والباكستان . وفي وقت لاحق وصلت الموجة الأولى ، الآتية من ديار بكر ، وحاملة اللغات الهندية الأوروبية ، إلى الهند فازاحت المتكلمين باللغات الدراڤيدية ودفعتهم إلى الجنوب .

نظرية رنفرو هذه ترد إذن أصول بني الإنسان جميعاً ، إلا القلائل ، إلى ثلاث بقع من الأرض ، قريب بعضها من بعض ، هي ديار بكر ، بلاد الشام ، وبلاد العراقين ، التي انطلق منها الأجداد قبل نحو عشرة آلاف سنة . ويؤيد هذا القول علماء من العاملين في علم اللسان ، وآخرون من العاملين في علم الحياة . فالأوائل يقولون إن أسرة اللغات الهندية الأوروبية ، وأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية ، وأسرة اللغات الدراڤيدية ، تنتمي كلها إلى أسرة كبيرة يسمونها النُسْتراتية . وبعضُ علماء الحياة الذين درسوا

مورثات البشر الحاليين ، بطرائق احصائية ، وجدوا تقارباً عظيماً بين مورثات الذين يتكلمون اليوم اللغات الهندية الأوروبية ، واللغات الإفريقية الآسيوية ، واللغات الدراڤيدية ، واستنتجوا من ذلك أن أجداد هؤلاء وأؤلاء وأولئك أقرباء لصيقون .

إن نظرية رنفرو هذه تذكرنا بما توصل إليه علماء الحياة حديثاً من أن الإنسان الحالي ، المسمى بالإنسان الحكيم الحكيم ، بكل أعراقه وأجناسه وألوانه ، هو من سلالة امرأة واحدة عاشت في شرق افريقيا قبل مائتي ألف عام . وقد رجع الباحثون إلى الأصول بالأمهات لأنهم درسوا مورثات تنتقل من الأم فقط إلى من تلدهم . وذلك أن الدراسة تكون عندئذ أسهل ، وكشف شجرة الأسرة أهون ، لأن هذه المورثات تنتقل إلى المولود دون أن تكون قد اختلطت فيها مورثات الوالد بمورثات الوالدة بالتزاوج كما هو شأن المورثات الأخرى . وهكذا يكون الباحثون قد اكتشفوا أم الإنسان ، أو حواء كما سمتها الصحف السيارة . وبعض العاملين يعتقدون أنهم قد وجدوا أيضاً آدم ، ولكن قولهم غير مقبول حتى الآن .

إذا صحت هذه النظريات دلت على شيئين : شيء خاص ، وشيء عام . فأما الأول فهو أن كتلتي الأرض اللتين تحملان بلاد العرب ، واللتين تتباعدان منذ آلاف الآف السنين ، فيتسع من ابتعادهما البحر الأحمر الذي مافتئ ينشق منذئذ ، هما مهد الإنسان ، فعليهما ولد الإنسان القديم منذ ألف ألف عام ، وعليهما ولد الإنسان الجديد ، الإنسان الحكيم الحكيم ، منذ مائتي ألف عام ، ومنهما انطلق ، قبل عشرة آلاف عام ، أجداد الإنسان الذين يملؤون اليوم أكثر بقاع الأرض .

أما الشيء العام فهو أننا ، بني الإنسان جميعاً ، أخوة : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٣] .

أبو الحسين الرازي وآثاره

للدكتور غيرهارد كونراد

الدكتور ستيفن ليدر

إن تأريخ مدينة دمشق للإمام أبي القاسم علي المعروف بابن عساكر من أهم المصادر لتأريخ بلاد الشام . وقد نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ثلاثة عشر مجلداً من هذا الكتاب العظيم ، الذي جمع فيه مؤلفه روايات نادرة لصحف وكتب عديدة ، من بينها أقدم المؤلفات في تأريخ بلاد الشام .

صنف ابن عساكر تراجم علماء دمشق وفضلائها وأمرائها على ترتيب حروف الهجاء . وكان يورد الأسانيد الكاملة لكل خبر أو قول . ويعدّ هذا الكتاب موسوعة للمكتبة العربية القديمة ، ولا سيما في مجال التأريخ والتراجم .

ومع شهرة تأريخ مدينة دمشقَ شرقاً وغرباً فإن البحث فيه ما زال في مراحله الأولى . ولعل ما يعرقل جماعة الباحثين من تعميق النظر فيه .أن أغلب مجلداته ما زالت مخطوطة ، ولن تتسع معرفتنا لمنهج ابن عساكر والمصادر التي اعتمد عليها إلا بعد أن يتمّ نشر الكتاب ، ويزداد الرجوع إلبه في المباحث التاريخية .

لقد صدرت دراسة جديدة عن مصادر تأريخ مدينة دمشق قام بها الدكتور غيرهارد كونراد (Gerhard Conrad) خريج جامعة بون بألمانيا ، وتناول فيها آثار أبي الحسين الرازي (ت ٣٤٧هـ) التي وردت في كتاب

ابن عساكر (شتوتغارد ١٩٩١ ، ١٥١ صفحة) . وقد عثر د. كونراد على رواية مؤلفات أبي الحسين الرازي واكتشف أهميته مؤرخاً لبلاد الشام حين اطلاعه بدمشق في سنتي ١٩٨٢ - ١٩٨٣م على مخطوطات تاريخ ابن عساكر . وهيأت له بحوثه التي قام بها دراسة ثانية أيضاً عن قضاة الشام ومذهب الأوزاعي ، ستنشر في سلسلة المعهد الألماني ببيروت .

يتضمن كتابه المؤلّف في آثار أبي الحسين الرازي قوائم النصوص التي اقتبسها ابن عساكر عنه . ويسعى د. كونراد إلى إلحاق هذه النصوص بمؤلفات أبي الحسين التي يحتمل أن يكون ابن عساكر أخذ منها . ولا تشمل دراسته كل النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين عند ابن عساكر ، لأن كتاب تأريخ مدينة دمشق يحتوي ، حسب تقدير الباحث ، على مقتبسات أخرى في المجلدات التي لم يحلّلها .

يستعرض المؤلف في مقدمته الدراسات الغربية في تاريخ بلاد الشام لأربعة القرون الأولى الهجرية ، ويكشف عن قلة استخدامها تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وإغفالها الرجوع إلى المعلومات التي نقلها ابن عساكر عن الكتب الأصول . ويقصد د. كونراد بدراسته المشاركة في استخراج كتب التأريخ القديمة .

أما أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الجنيد الرازي فقد أشير إلى أهميته في مقدمة الجزء الثاني من تأريخ مدينة دمشق ، وفي مقدمة كتاب « أمراء دمشق في الإسلام » الذي يتضمن كتاب « ذكر من ولي إمرة دمشق في الإسلام » للصفدي . وقد اختصر فيهما الأستاذ صلاح الدين المنجد ترجمة أبي الحسين من تأريخ ابن عساكر ، ولكنه لم يقارن بين عناوين مؤلفات أبي الحسين المذكورة عند ابن عساكر والمرويات عنه التي

وردت في كتابي ابن عساكر والصفدي .

لا تتوفر المعلومات عن أبي الحسين الرازي في كتب التراجم ، ويذكره لأول مرة الكتّاني في ذيله لكتاب « مولد العلماء ووفياتهم » لأبي سليمان محمد بن زبر الربعي . أما ابن عساكر فيسمّي في ترجمته القيمة اثنين وخمسين رجلاً من شيوخ أبي الحسين والرواة عنه . وقد كمّل د. كونراد هذه القائمة بأسماء (٣١) شيخاً ورد ذكرهم في النصوص التي يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين . ثم ثبّت هذه الأسماء كلها ورتّبها حسب بلدانهم ووفياتهم . تدلّ هذه المعلومات على رحلات أبي الحسين في طلب العلم ، ويستنتج د. كونراد منها تأريخ نزوله دمشق (في السنة ٣١٧هـ) ، وسكنه فيها حتى توفي بها في السنة ٣٤٧هـ .

قسم د. كونراد دراسته إلى ستة فصول :

تناول في الفصل الأول النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين في تسمية أمراء دمشق ما بين سنتي ١٣٢ و٣٣٧هـ . وقد جمعها د. كونراد (وعددها ١٠٨) مما ورد في كتاب « ذكر من ولي دمشق » للصفدي ، الذي أخذها عن ابن عساكر ، وكشف جزءاً كبيراً منها في تأريخ مدينة دمشق ، يرويها ابن عساكر عن أبي الحسين .

يضاف إلى هذه المجموعة عشرون نصاً من تأريخ ابن عساكر لا تخص المترجمين عند الصفدي ، بل تخبر عن حوادث متعلقة بنشاط ولاة دمشق ، لكن ابن عساكر لا يذكر لكل هذه النصوص عنوان كتاب لأبي الحسين ، ويكتفي بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » .

إن تحليل أسانيد هذه النصوص يوضح بعضاً من مصادرها . من بينها مجموعة لإسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي

الذي كان والي حمص حتى السنة ١٩٤هـ ، ونصوصٌ ترجع إلى أحمد بن المعلَّى بن يزيد الأسدي (ت ٢٨٦هـ) ، الذي ألف كتاباً مشهوراً « في جامع دمشق وبنائه » . يعرض د. كونراد أخيراً نصوصاً تتضمن تفصيلات تاريخية تزيد من معرفتنا للعصر الأموي ، والقرن الأول العباسي في بلاد الشام .

أما الفصل الثاني فيعالج نصوصاً يقدّمها ابن عساكر بقوله : « ذكر أبو الحسين الرازي في تسمية كُتّاب أمراء دمشق » ، ولا يمكن أن نقطع إن كان أصل هذه النصوص كتاباً مستقلاً لأبي الحسين ، وهي تكوّن موضوعاً مهماً يتضمن خمسين نصاً . وقد قام د. كونراد بمقارنة بينها وبين المصادر الأخرى التي تسمّي كُتّاب دمشق ، مثل « تاريخ خليفة بن خياط » و« كتاب الوزراء » للجهشياري ، وأثبت عدم تطابق هذه المواد ، وذلك بسبب النقص في الرواية عن أبي الحسين عند ابن عساكر .

ويناقش المؤلف في الفصل الثالث (٢٧) نصاً تتحدث عن فضائل دمشق ، قدمها ابن عساكر بقوله : « قرأتُ بخط ، أو كتاب أبي الحسين » . وضمّ إليها سبعة نصوص تخبر عن محبة الخليفتين المأمون والمتوكّل لدمشق . وذكر ابن عساكر كذلك من كتاب لشيخه عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن صابر السلمي (ت ٥١١هـ) بعض القصص التي تتحدث عن الأنبياء الذين خطوا أو بنوا دمشق ، وهي منسوبة إلى أبي الحسين . ونجد ضمن هذه المجموعة ذكر عنوان : « في معرفة الآثارات بمدينة دمشق وغوطتها مما تُرجى إجابة الدعاء فيها » ، وثَمَّ عدد النصوص تطابق هذا العنوان .

يسند أبو الحسين الرازي كثيراً إلى محمد بن أبي طيفور الجرجاني

(ت ٢٤٧هـ) الذي قال ابن عساكر فيه : « صنَّف جزءاً يشتمل على فضل دمشق وصحة هوائها وعذوبة مائها يحض به المتوكل على الخروج إليها ، حين عزم على قصدها » . وكشف د. كونراد عن مصدر ثان في مجموعة ليحي بن حمزة الحضرمي البلخي (ت ١٨٣هـ) الذي ينسب أبو الحسين إليه أحد عشر نصاً .

وموضوع الفصل الرابع مجموعة من الأخبار في « دور دمشق » حفظها ابن عساكر في المجلد الأول لتأريخه ، مع مقدّمة لأبي الحسين الذي يسمّي فيها مصادره . وصحّح د. كونراد النص المطبوع (تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) ، واستدرك عليه مما وجد في المخطوطات (ولا سيما مخطوطة أحمد الثالث) ، وبيّن ما زاد ابن عساكر على الأصل في تعلقياته . كما درس مسألة قرينة النصوص المنسوبة إلى أبي الحسين جميعاً ، ويبدو كتاب (دور دمشق) في هذا الضوء باباً من كتاب شامل للرازي . ثم يوجه النظر ، كما فعل فيما سبق ، إلى المصادر وهي مذكورة في مقدمة المجموعة ، ويظهر فيها محمد بن عائذ القرشي (مولاهم ، ت ٢٣٣هـ) الذي يروي أخباراً في نزول الصحابة دمشق .

يحوي الفصل الخامس عدداً كبيراً (١٢١ نص) من معلومات مهمّة فيمن كتب أبو الحسين عنه بدمشق . إن هذه المواد التي تشتّتْ في تأريخ ابن عساكر تمثل تطور تسمية الشيوخ ما قبل المشيخات ومعجمات الشيوخ . فهي لا تحتوي على أحاديث الشيوخ أو آثارهم ، ولكن نجد فيها تأريخ وفيات الشيوخ ، وملاحظات تلقي ضوءاً على « معلمي حارات دمشق » ، وعلى الحلقات في جامعها . وجد ابن عساكر هذه التسمية بخط نجى بن أحمد العطار (ت ٤٦٩هـ) الذي نقلها من خط أبي الحسين .

ينهي المؤلف دراسته القيمة المفيدة بالفصل السادس ، يذكر فيه بكلمة « كتاب مناقب الشافعي » المنسوب إلى أبي الحسين . ولا يوجد منه حتى الآن إلا خبران يجيزان التقدير أنهما تابعان لهذا الكتاب المفقود .

وقد زود المؤلف كتابه أخيراً بفهرس شامل للأعلام يسهّل للقارئ الاطلاع على مساهمة جيدة في البحث عن تأريخ دمشق ومؤرخيها .

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع
الأستاذ أحمد راتب النفاخ

أقام مجمع اللغة العربية بدمشق حفلاً تأبينياً بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاة عضو المجمع الفقيد الأستاذ أحمد راتب النفاخ رحمه الله ، وذلك في تمام الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء السادس من شوال ١٤١٢هـ/٨ نيسان ١٩٩٢ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد بدمشق .

وقد حضر الحفل ثلة من كبار العلماء والأدباء والمثقفين ومن محبي الأستاذ النفاخ وطلابه وذويه .

افتتح الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم ، ثم تلاها كلمة المجمع ألقاها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع ، ثم كلمة الزملاء الجامعيين (جامعة دمشق) ألقاها الأستاذ الدكتور عادل العوّا ، ثم كلمة أصدقاء الفقيد للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر ، ثم كلمة طلاب الفقيد للدكتور محمد الدالي ، وفي الختام كلمة آل الفقيد ألقاها الأستاذ نزار النفاخ شقيق الفقيد .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

كلمة مجمع اللغة العربية

فقيد المجمع
الأستاذ أحمد راتب النفاخ

(١٩٢٧ - ١٩٩٢م)

الدكتور شاكر الفحام

شاءت إرادةُ الله العلي القدير أن يفارقنا الأخ الصديق الأستاذ أحمد راتب النفاخ إلى جوار ربه الكريم أوفرَ ما كان نشاطاً، وأكثرَ ما كان عطاء.

ما زلتُ أتمثل صورته في جلسات المجمع الأخيرة، وهو يناقش معنا بكل الجد والحيوية مشروع خطة جديدة ترسم وجوه نشاط المجمع في المستقبل، لتفسحَ له أن يكون أقدر على تأدية أغراضه وتحقيق مقاصده في ميادين اللغة والأدب وإحياء التراث وإقرار المصطلح ووضع المعجمات، ولتتيحَ له المشاركة الواسعة في الحركة الثقافية بإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وإقامة المؤتمرات وتوثيق الصلات بالمجامع والمؤسسات اللغوية والثقافية.

وكان أشدَّ ما كان تفاؤلاً بما توفره الخطة المقترحة من افتتاح صفحة جديدة في العمل المجمعي المثمر.

وشهد معنا جلسة يوم الأربعاء في ١٢/٢/١٩٩٢م، واتعدنا على اللقاء صباح الأحد في لجنة المجلة والمطبوعات، ولكن القدر لم يمهله، لقد نهض صباح يوم الجمعة (١١/٨/١٤١٢هـ - ١٤/٢/١٩٩٢م) كعادته، فأدّى صلاته أحسن أداء، ثم بدأ التلاوة، فقرأ ما شاء الله له أن يقرأ من سورة البقرة، ولكن الصوت المرتّل لم يلبث أن خفت وسكت،

وهُرع الأهلُ إلى الطبيب . وبذل الأطباء ما بذلوا فما أنجحوا ، وكان أمرُ الله قَدَراً مَقْدُورا ، فأسلم الروح إلى بارئها ، راضياً مرضيا . رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

لقد ترك بوفاته ثلمة لا تسدّ ، وإن الخسارة بفقده جسيمة لا تُعوَّض .

فما كان قيسٌ هلكه هُلْكَ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تهدَّما

* * *

ولد رحمه الله عام ١٩٢٧م في أسرة كانت قد وفدت على دمشق من بعلبك في أوائل القرن الماضي ، وعرفت بالصلاح والتقوى .

وبدأ التعلم في سنٍّ مبكرة ، وكان المجلّي في دراسته الإبتدائية والثانوية ، فأحبه مدرسوه ، وأشادوا به . وقد مَهَر بالعربية ، وبرّز في معرفتها تبريزاً أفرده بين لِداته ، وطالما فاخر به أستاذه محمد البزم وأثنى عليه .

ولما التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب (جامعة دمشق) وجد المجالَ رحباً لتفتُّح مواهبه ، والتفوق على أقرانه . وشهد له أساتذته بالمقدرة والفضل ، وأحلّوه المحلّ الأرفع ، وتخرّج من كلية الآداب عام ١٩٥٠م ، ونال من بعدُ شهادة أهلية التعليم الثانوي من كلية التربية عام ١٩٥١م . وقضى سنتين يدرّس العربية في المدارس الثانوية بحوران .

واستقبلته كلية الآداب بجامعة دمشق معيداً (١٩٥٣ – ١٩٥٥م) لتوفده إلى جامعة القاهرة ، فنال درجة الماجستير (عام ١٩٥٨م) وكان موضوع رسالته : دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة وشعره وتحقيق ديوانه .

ثم اختار موضوعاً في القراءات لشهادة الدكتوراه . وبعد أن أنجز القسم الأكبر من رسالته ، وقدّمه إلى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف المشرف

على الرسالة بدا له أن يتوقف عن إنجاز ما بدأ ، وزهد في الألقاب ، وعزف عنها ، وعاد إلى دمشق ليستأنف التدريس في الجامعة .

وما زلتُ أذكر أن الدكتور شوقي ضيف ، وكان المشرف على رسالتي أيضاً ، حدثني عن رسالة الأستاذ راتب في القراءات حديث المعجَب ، وذكر لي أن الجزء الذي قدّمه كافٍ لنيل درجة الدكتوراه ، وطلب إليّ أن أبلغه ذلك ، وأحثّه على الحضور إلى القاهرة للمناقشة ، وأبلغتُ الصديق الرسالة ، فما زاد على أن تبسم .

وأمضى الأستاذ النفاخ على منبر التدريس في جامعة دمشق بعد عودته من القاهرة سبعة عشر عاماً (١٩٦٢ – ١٩٧٩م) ، وتخرَّجت به أجيال من الطلاب ما زالت تذكر له ما بذل من جهد ، وما قدّم من عون ، ليبصّرهم ويرشدهم ويدلَّهم على أصول البحث ، ويضعَ بين أيديهم مفاتيح المعرفة يتهدَّون بها إلى فهم كلام الأقدمين .

واختار أعضاءُ مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ أحمد راتب النفاخ عضواً عاملاً في المجمع عام ١٩٧٦م ، فكان هذا الاختيار تتويجاً للصلات الوطيدة بينه وبين المجمع . وشارك الأستاذ النفاخ في أعمال المجمع المشاركة الطيبة ، وقام بجهد جاهد في لجانه ، وكان له القِدْحُ المعلَّى في أعمال لجنة الأصول ولجنة المجلة والمطبوعات .

وسعد المجمع من بعدُ بتسميته رئيس المقررين فيه (١٩٧٩ – ١٩٩٢م) .

* *

كان رحمه الله جبلاً راسخاً من جبال العلم ، قد جعل الكتاب خدينه وأنيسه ، فلا تراه إلا قارئاً أو مقرئاً ، « وقد أتقن كثيراً من العلوم التي عرفها السلف ، أو استحدثها الخلف ، وبذّ الأقران في فنون منها ، انتهت

إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا ، كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة فقهِها وعلمِها ، وأصبح حجة فيها لا ينازعه منازع . هذا إلى أسلوب جزل متميز في الكتابة تفرّد به واشتهر »[١] .

وقد أَلِف طلابُه وأصدقاؤه أن ينعتوه بلقب (علامة الشام) إيذاناً بما يُكنّون له من الإجلال والتقدير .

عرفته في أواخر الخمسينات ، وأنست بصحبته ، وامتدت صداقتنا حتى قضى الله قضاءه ، فعرفتُ فيه الصديق المخلص ، الكريم الخلق ، الطيب القلب ، الصادق الودّ ، يسارع في الخيرات ، قد نصب نفسه لتلبية قاصديه ، ومساعدة طلابه ، فلا يبخل بعلم ، ولا يضنّ بعون ، مهما يكلفه ذلك من مشقة وجهد .

وكنتُ كثيراً ما أستشيره وأسائله في قضايا لغوية ونحوية شَمَسَتْ واستعصت ، فيلينُ أبيَّها ، ويستدني قاصيَها ، فأُحسّ أنه البحرُ علماً ومعرفة .

من أبرز صفاته أنه كان معلماً ، بالمعنى الرفيع للكلمة . فُطر على القراءة والمطالعة ، وأحب العربية وعلومها الحب الجمّ . وكان طُلَعة لا يريد أن يفوته شيء في الباب الذي ندب نفسه للقراءة والإقراء فيه ، فأكبَّ على الكتب المصادر التي ألّفها علماء العربية الأقدمون ، وما زال يدارسها حتى كشفت له أسرارها ، وتبيَّن أصولَها ومراميَها . ثم ضمَّ إلى ذلك مطالعة ما أُلف في عصرنا من علوم اللغة المستحدثة ليستبين خطأها من صوابها ، على هدي ما عرف من منطق العربية الصحيح . ولقد تعشق العربية وشغفه حبها ، إنها له لسان وهوية وحياة ، وقد عبّر عما يحسّه من ذلك بقوله :

(١) من كلمة للأستاذ عبد الهادي هاشم في حفل استقباله (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٥٣ ، ج١ ، ص٢١٤) .

« آليتُ على نفسي ألا أعيش إلا لها ، ولكتابها العربي المبين »[٢] . ولقد وقف حياته حقاً لدرس العربية وتدريسها .

وكان شديد الحرص أن يذيع بين تلامذته وإخوانه ومريديه أطرافاً من عبقرية هذا اللسان العربي المبين ليحبّبه إليهم ، فكان لا يكتفي بالمحاضرات التي يلقيها على منبر الجامعة ، ولا بالحلقات التي تعقد في غرفته بالجامعة ، بل كان يستقبل طلابه وزائريه في منزله المعمور دائماً ، حيث كان يلتقي العالمُ قد جاء يستفتي في مُشْكلٍ صادفه ، والطالبُ قد أقبل يريد العون في موضوع تصدى لمعالجته ، والأصدقاءُ الذين ألفوا مجلس الأستاذ يلتقطون الفوائد النفيسة .

وكان الأستاذ جمَّ النشاط ، يتدفق في حديثه لا يملّ ولا يتوقف ، يحيط بجوانب المسألة المطروحة ، ويعدّد الآراء والأقوال ، ويحيل على المصادر ليقدم لسائله وسامعه ما ينير الطريق ، ويهدي إلى سواء السبيل .

وكان يفد إلى مجلسه كبار العلماء الذين يزورون دمشق ، يأتونه قاصدين ، حباً في لقائه ، وتطلعاً إلى فوائده .

كان شعاره الأول في حياته نشر العلم وبثه ، وكان يرى في نهج علماء السلف الصالح قدوة طيبة . ففتح بابه ، وأقبل إليه الطلاب والمريدون والأصدقاء . وطالما تطلع إلى أن يكون مجلسه بأحاديثه ، وما يتفرع إليه من حوار ، النواة الصالحة ، والوسيلة الناجعة لتخريج طلاب يحملون عنه العلم ، لينشروه في الملأ .

وكان من تمام إيمانه بنشر العلم وبثه أنه وضع مكتبته المترعة بنفائس الكتب ، وصور المخطوطات بين أيدي طلابه وزائريه ، يبحثون فيها عن

---

(٢) من كلمة له في حفل استقباله (مجلة المجمع ، مج٥٣ ، ج١ ، ص٢٢١) .

طَلِباتهم ، فإذا شاؤوا الاستعارة أعارهم من الكتب النادرة ما يريدون ، خَلَّة نبيلة كريمة جُبل عليها ، ولم يعدل عن عادته تلك ، على ما رُزئَ به من ضياع كثيرٍ من كتبه النفائس .

وحفلت كتبه بالتعليقات الثمينة القيّمة ، فقد كان ، رحمه الله ، إذا لاح له ، وهو يقرأ كتاباً ، موضعٌ يحتاج إلى تعليق لإيضاح مبهم ، أو إصلاح غلط ، يسارع إلى إثباته في حاشية الكتاب . وكانت هذه الفوائد التي لا يقوى عليها إلا عالم ثَبت متمكن كالأستاذ راتب ، معروضةً لكل واردٍ أحبَّ أن ينتفع بها .

وكان رحمه الله يسارع أحياناً فيرسل بتلك التعليقات إلى محقق الكتاب ، يضعها بين يديه ، لأن غايته ومطلبه أن يُنْشر الكتاب محققاً صحيحاً بريئاً من الآفات .

وما أكثر ما كتب وصحح للآخرين ، يبذل ذلك دون منّ ، ولولا أن أشار عدة مؤلفين في كتبهم إلى ما قدّم لهم ، وشكروا له جميل ما صَنَع من أجلهم ، لما علمنا علم ذلك .

وإذا كانت مكتبة الأستاذ أحمد راتب تغصُّ بالكتب النوادر والنفائس ، فإن أغلى ما فيها وأنفسَه تلك التعليقاتُ التي حفلت بها حواشي كتبه . وطالما رجوتُ الصديق الكريم أن ينشر تلك التعليقات ليفيد منها الباحثون وطلاب العلم .

وكان رحمه الله على خلق كريم ، وفياً لأصدقائه ، محباً لإخوانه ، وكان شديد التعلق بالمُثُل العليا ، والقيم الخلقية ، قد أخذ نفسه بها أخذاً شديداً . وكان صريحاً صُلْباً في الحق ، لم يعرف الهوادة ، ولم يرض عن المصانعة .

وفي هذا وحده تفسيرٌ لمسلكه وصلاته بالناس . وكان هذا المسلك

الصارم سبب تنكّبه حيناً بعد حين عن أصدقاء خُيّل إليه أنهم دون ما كان يأمله فيهم . وكانت هذه الصدمات تزيده تشبثاً بموقفه ، وإصراراً على نهجه ، وابتعاداً عن دنيا الناس وواقعهم ، وزهداً فيما يرغبون فيه .

فقصر نفسه على عمله المجمعي ، ووقف عليه كثيراً من جهده ووقته : كان رئيس لجنة الأصول ، وكان عضواً في لجنة المجلة والمطبوعات ، فكان ينفق الساعات الطوال في النظر في مقالات المجلة وتصحيح ما زاغ عن الصواب ، فإذا ما انتهى من عمله المجمعي انقلب إلى منزله ليستأنف العمل والقراءة ، وليستقبل الطلاب والمريدين والعلماء من أصدقائه . وكان يرى في ابنه الصغير عبد الله ـ سلّمه الله ـ قُرّةَ عينه ، وأنسه الأنيس ، يستروح به من أثقال الهموم التي يكابد . وهكذا قضى سنواته الأخيرة بين المجمع والمنزل ، متزهداً مترفعاً ، لا همَّ له إلا القراءة والتعليم ومعونة أصدقائه وقاصديه في بحوثهم .

وبدا له أنه لم يحقق ما كان يصبو إليه . لقد دَأَبَ وعمل ، وجَهَد وجاهد ليل نهار لتخريج جيل يضطلع بعبء درس العربية وتدريسها ، قد وعى منطقها ، واستبانت له أسرارها ، وأوتي القدرة على نشر كنوزها الثمينة فلم يبلغ مأموله .

كان يحسّ أنه غريب في دنياه ، فهو يحمل همومه ، وتبهظه أحزانه ، ولا يكاد يرى من يبوح له بها . لقد أفردته أخلاقه ومُثُله ، وباعدت بينه وبين ما حوله . وكنتُ حين أراه ، وأحسّ ما يعتلج في نفسه أردّد هامساً قول رسول الله ﷺ : « طوبى للغرباء » .

لم أجد في صفته أبلغ من قوله يصف صديقه الأستاذ عبد الكريم زهور وكأنما كان يصف نفسه : « كان ـ رحمه الله ـ لا يتعلق من الحياة إلا بمعانيها السامية ، لا تزدهيه المناصب ، ولا تغرّه الألقاب ، ولا تستغرقه همومُ نفسه . وإنما كان همُّه الأكبرُ الذي ظلّ أبداً يعتلج في فكره وضميره ،

ويصرّفه في كل ما زاول من عمل على حكمه همَّ أمته ومطامحها ومستقبلَها ، يسدّده في مساعيه فكرٌ نيّر لا تعمى عليه معه السبل ، وخُلُقٌ قويم يرتفع به فوق ما ينحطُّ فيه ضعافُ النفوس من سفاسف ، وإلى ذلك عزمٌ صادق لا يلين أمام الصعاب . ولم تزده - أكرم الله مثواه - تجاربُه وما قاسى من محن إلا مضاءً في عزمه ، وتسامياً في فكره ، واستبصاراً في طريقه ، كالذهب الإبريز لا يزداد على امتحانه بالنار إلا خلوصاً وتوهجاً .

كان الصدق في القول والعمل طبيعةً راسخة فيه . يتوخى الحق ويتبعه حيثما لاح له ، ثم يثبتُ عليه لا يفتنه عنه هوى ، ولا تنحرف به عنه رهبة ، ولا تحمله على الترخّص فيه مصانعة .... »[٣] .

* * *

وأداه حبُّه للعربية وحرصُه على إظهار تراثها المكنون ، محقّقاً ، محرّراً ، أن يشقّ على نفسه حين يتصدى للتأليف أو التحقيق أو النقد ، فهو يروّي في عمله ويتأنّى في خطواته ، لا يقبل أول خاطر يهجم عليه ، بل يقلّب وجوه النظر ، ويأخذ نفسه بالتثبت ، ويتشوف إلى بلوغ الكمال .

لقد هيّأ وكتب الكثير ، ولكنه لم ينشر إلا القليل القليل .

ولهذه الخصلة التي تملكته كان يضيق ذرعاً بأولئك الذين يتعجلون في تحقيق التراث ، ولا يوفّونه حقه من الجهد والتمحيص ، ولا يرعَوْن ما يجب في مثله من الدقة والأمانة ، فيقعون في الغلط تلو الغلط ، فكان يرى من واجبه أن ينهض للتصحيح والتقويم ، ذياداً عن التراث ، يقول : « ومن ثَمَّ رأيت من حقّ العلم عليّ ، ومن الوفاء لهذا التراث ، وللأئمة الذين أورثونا إياه ، ألا أدع بيان ما وقفت عليه »[٤] .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٠ ، ج٣ ، ص٦٢٥ - ٦٢٦ .
(٤) كتاب القوافي للأخفش : 6 .

ولكنه كان رحمه الله يقسو أحياناً في النقد ، مأخوذاً بغيرته على تراث الأجداد .

أول ما نشر كلمةٌ في نقد رسالة الغفران التي ظهرت في مصر عام ١٩٥٠م ، وقد أرسل كلمته إلى مجلة الكتاب المصرية فنشرتها بعد أن تصرفت بها تصرفاً أفسدها .

فلما ظهرت الطبعة الثانية لرسالة الغفران عام ١٩٥٧م علق عليها في مقالٍ له في مجلة المجمع . وكان رائده في كل ما صنع هو الوصول إلى وجه الصواب . يقول : « .... فأحببتُ أن أعرض وجهة نظري فيما توقفتُ [أي الدكتورة بنت الشاطئ] فيه ، على العاملين في هذا المضمار ليدلي بوجهة نظره من عنَّ له رأي فيه ، عسى أن نصل إلى وجه الصواب في هذا كله ... » . ثم يختم تعليقاته بقوله : « هذا ما عنّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران ، وإني لأشكر من رأى فيما أبديتُ خطأً فردني إلى الصواب .... »(٥) .

وأصدر الأستاذ راتب ديوان ابن الدمينة عام ١٩٥٩م ، وهو جزء من رسالة الماجستير فدل على تمكنه في باب التحقيق ، وسعة اطلاعه على مصادر التراث ، ومقدرته الفذة في البحث والتقصي والتهدي إلى حل المشكلات المعضلات .

وكتب مقالة جليلة في نقد الجزء الأول من طبعة المحتسب لابن جني ، وعرض جملة ما استدركه حتى ختام الكلام في سورة البقرة ، ثم رغب إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية ، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى(٦) .

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٣٢ ، ج٤ ، ص٦٨٦ ، مج٣٣ ، ج١ ، ص١٥٤ .

(٦) مجلة المجمع ، مج٤٢ ، ج٤ ، مج٤٣ ، ج١ ، ج٢ .

ومن كتبه القيمة : فهرس شواهد سيبويه (عام ١٩٧٠م) .

وقد نسق فيه شواهد القرآن فشواهد الحديث (وهي قليلة لا تتجاوز خمسة/ص٥٧ ـ ٥٨) ، فشواهد الشعر (وقد بلغت ١٠٤٧ بيت ، بإلغاء المكرر/ص٩) . فقرب بفهرسه الممتع كتاب سيبويه إلى الناس ، ودلّهم على مواضع كثيرة من مسائله ، ومهّد لهم بتعليقاته الإفادة منه .

وأصدر كتاب القوافي للأخفش عام ١٩٧٤م ، إثر طبعة للكتاب لم تكن عنده بالمرضية . وكان هو قد هيأ الكتاب وأعده للنشر ، فنقد الكتاب المطبوع ، وأظهر عثراته[٧] ، ثم نشر كتابه محققاً محرراً . وإنك لتحس الجهد البالغ الذي بذله المحقق والعلم الغزير في تلك التعليقات التي شفت قارئها ، ووضعت يده على مصادر المعرفة .

ووُكل إليه مراجعة كتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لأبي أحمد العسكري وقد قام بتحقيقه الدكتور السيد محمد يوسف ، فأضاف الأستاذ النفاخ بتعليقاته فوائد جمة . ثم دعت الضرورة أن تزيد تعليقاته في الأبواب الأخيرة زيادة كبيرة طال بها الكتاب ، مما دعا إلى جعله في قسمين : وقد صدر القسم الأول من الكتاب عام ١٩٨١م ، ومما يؤسف له أن الأسباب لم تتهيأ لصدور القسم الثاني منه ، ففاتنا بذلك علم غزير .

وللأستاذ مقالات شتى صحح بها جملة من كتب التراث المحققة وهي تمور بالفوائد النفيسة .

وقد رأيتُ من المفيد أن أجعل في ختام كلمتي لحقاً يضم كل ما عثرت عليه من آثار الأستاذ الكريم .

اللهم ارحمه الرحمة الواسعة ، وأنزله منازل الأبرار في عليين ، وارزق

(٧) مجلة المجمع ، مج٤٧ ، ج١ ، ص٩٢ ـ ١٣٠ .

آله وأصدقاءه وعارفيه الصبر الجميل .

ولا زال ريحــان ومســك وعنــبر على منتهـــاه ديمـــةٌ ثم هــاطــلُ

* * *

لحق
آثار الأستاذ أحمد راتب النفاخ

أولاً ـ الكتب

١ ـ النصوص الأدبية : (منهاج شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب) بإشراف أحمد راتب النفاخ ، مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

٢ ـ ديوان ابن الدمينة : صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تح. أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م .

٣ ـ مختارات من الشعر الجاهلي : اختارها وعلق عليها أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار الفتح ـ دمشق ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

٤ ـ فهرس شواهد سيبويه : صنعة أحمد راتب النفاخ ، دار الإرشاد ـ دار الأمانة/بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م .

٥ ـ كتاب القوافي : لأبي الحسن الأخفش ، تح. أحمد راتب النفاخ ، دار الأمانة ـ بيروت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٦ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : لأبي أحمد العسكري ج١ ، تح. الدكتور السيد محمد يوسف مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

ثانياً ـ المقالات

١ ـ رسالة الغفران : مجلة الكتاب المصرية ، مج١٠ ، ج٦ حزيران/يونيه ١٩٥١ .

٢ ـ القصيدة الصورية : مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٢ ، ج١/١٩٥٦م .
٣ ـ رسالة الغفران : مجلة المجمع بدمشق ، مج٣٢ ، ج٤/١٩٥٧م مج٣٣ ، ج١/١٩٥٨م .
٤ ـ المحتسب : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٢ ، ج٤/١٩٦٧م مج٤٣ ، ج١ ، ج٢/١٩٦٨م .
٥ ـ المعيار في أوزان الأشعار : مجلة معهد المخطوطات العربية مج١٥ ، ج١ ـ ٢/١٩٦٩م .
٦ ـ نظرات في كتاب اللامات : مجلة العرب ، س٥ ، ج١/١٩٧٠م .
٧ ـ كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٧ ، ج١/١٩٧٢م .
٨ ـ تعقيب على أرجوزة في العروض : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٧ ، ج٤/١٩٧٢م .
٩ ـ كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج : مجلة المجمع بدمشق ، مج٤٨ ، ج٤/١٩٧٣م ، مج٤٩ ، ج١/١٩٧٤م .
١٠ ـ كلمة في حفل استقباله يتحدث فيها عن سلفه الشيخ محمد بهجة البيطار : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٣ ، ج١/١٩٧٨م .
١١ ـ حركة عين المضارع من (فَعَل) : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٧ ، ج٣/١٩٨٢م .
١٢ ـ كتاب المحبة لله سبحانه : تح. الأستاذ عبد الكريم زهور مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مجلة المجمع بدمشق مج٥٨ ، ج٤/١٩٨٣م ، مج٥٩ ، ج١ ، ج٢ ، ج٣/١٩٨٤م .
١٣ ـ نظرات في نظرات : مجلة المجمع بدمشق ، مج٥٩ ، ج٣/١٩٨٤م ، مج٦٠ ، ج٢ ، ج٣/١٩٨٥م .

١٤ – فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور : مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٠ ، ج٣/١٩٨٥م .

١٥ – استفتاء وجوابه : مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٠ ، ج٤/١٩٨٥م .

١٦ – أشعار اللصوص وأخبارهم : التعليقات الأستاذان أحمد راتب النفاخ وشاكر الفحام ، مجلة المجمع بدمشق ، مج٦٦ ، ج٤/١٩٩١م .

كلمة الزملاء الجامعيين

الدكتور عادل العوا

في الومضة الأولى من فجر استقلالنا السياسي الراهن ، ومنذ جلاء كَرْب الغزو الأجنبي بالجلاء ، أنشــأت الجامعـة السـورية المعهد العـالي للمعلمين بجناحين هما كليتا الآداب والعلوم .

وقد جمعتني منذ السنـة الأولى من تاريخ هذا الحدث العظيم قاعة تدريس عرفتُ فيها الفقيد الغالي المرحوم الأستاذ (راتب) ، طالباً متميزاً بأفكاره ، وسلوكه ، وشخصيته ، ومزاجه . وقد بان ولعه ، بل شغفه باللغة العربيـة أجلى بيـان حين كاد يعزِف عن النطق بلغـة أجنبيـة ، وكأن لغة الإنسان الحق هي اللغة القرآنية ، لغة الصدق واللسان المبين .

وقد حَرَص أعضاء الهيئة التدريسية في المعهد المذكور ، وفي كلية الآداب ، على رعاية الطـالب (راتب) رعاية محبة وإعجاب ، وما لبثت الجامعـة أن احتضنتـه مدرِّساً واعداً للغة العربية وعلومها ، وأوفدته لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة ، فأصاب نجاحاً موفوراً في الأولى ، واعترض سبيـلَه شـيء ما حال دون بلوغه المَرام في نيـل الدرجة الأخيرة . وهذا الشيء القاهر العنيد لم يكن في الحق امرأ طارئاً جديداً ، ولا أمراً خارجياً غريباً ، بل إنه لم يكن مانعاً عضوياً ، ولا حائلاً اجتماعياً ولا جامعياً . بل كان عائقاً ذاتياً حميداً . وهل سمعتم بعائق نفسي يقف عثرة في درب نجاح صاحبه فيغدو دافعاً ورادعاً معاً ؟

أجل ، إنني أشير هنا إلى خصلة جلّى ، خصلة واحدة ذاتِ دلالة

إيضاحية شاملة ، ألا وهي مطلب الاتقان الذي تحلى به عزيزنا (راتب) الطالب الموفد ، وزميلنا الأستاذ في الجامعة ، والفقيد الغالي لمجمع الخالدين . إنه إتقانٌ مبتغًى في كل ما ابتغى هو ذاته من شؤون الحياة .

اختار المرحوم القراءات القرآنية موضوعاً لدراسته لنيل درجة الدكتوراه في الآداب . وعمل من أجل ذلك وأجاد . وإنما إجادته تلك هي الاتقان الذي أعاقه بعضُ نقصٍ في المصادر ، على نحو ما سمعتُ منه غير مرة ، فكان أن أجحم من ذاته ، وبذاته ، عن طماح اللقب ، ولم يستجب لالحاح معلميه في القاهرة ، وهم ما برحوا سنين كثيرةً ، ومراتٍ متعاقبة ، يدعونه للحضور إليهم ، مجرد الحضور ، لمناقشة ما كتب ، والاستمتاع باللقب ، ولكنه أبى ، وأصرّ على موقفه حرصاً مخلصاً منه على تلبية حافز الإتقان . وهذا الحافز هو الذي عرفناه في حياة زميلنا الجامعي الأستاذ (راتب) طوال سني تدريسه في كلية الآداب .

أنفق الفقيد في هذه الكلية ما وسعه الجهد والإخلاص في تدريس علوم اللغة العربية ، وفي نشر نصوص مختارة من تراثها المجيد . ومثلاً من كتاب « الكامل » أو من كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » . وقد نقّب في كل مرة عن الصواب التائه بين علماء الكوفة والبصرة .وحكى رأيه مؤيَّداً بالدليل . والدليل معيار . وهذا المعيار عنده هو تواتر الرواية عن إنسان عربي صريح من صميم العرب . فكلام هذا الإنسان العربي الصريح هو إذن كلام صحيح ، وحجة دامغة ، وبرهان قاطع . ومثل هذا التدقيق البصير يطالعنا به الأستاذ (راتب) في سائر أعماله العلمية ، ومختلف إسهاماته ، ومثلاً عندما نشر كتاب « القوافي » للأخفش ، و« فِهرس كتاب سيبويه » ...

ومن العرفان بالحق أن نلمع هنا إلى نضاله الحميد في فترة عمله الجامعي . ذلك أن طريقه لم تكن آنذاك مفروشة بالورد والرياحين . بل كان

تدريسه جهاداً ضد الجهل والمروق . وكان الدافعَ إلى هذا العناء حبُّه ، بل هيامه ، بالاتقان . فما برح ينافح في سبيل نصرة اللغة العربية وحمايتها ، وصونها وإعلاء شأنها بإحيائها والذود عن سلامتها وصحتها ، مؤمناً صادقاً صريحاً ، مغرِقاً في صراحتـه ، غير هيّـاب ، وقد أخذ عليه بعض صحبه جرأته في الافصاح عما يرى . ولكن ذلك لم يكن ليوهن عزيمته ، لإيمانه بالدفاع عن أمته وقومه ، وشعوره بتقاعس فريق من المَعنيين الجامعيين في صفوف الزملاء والطلاب عن هذه الرسالة . فخاض معركة حقيقية ظلّ فيها البطل الصامد المؤمن بواجب الإخلاص والإتقان . بمثل ما أوجب هو على نفسه . وهلاّ نرى في جامعتنا اليوم من يتقن مثل (راتب) العربية ويمارسُها لغةَ علم وعمل ، حتى في حياته اليومية ، سواء بسواء ؟

وهذا الاتقـان في العلم والبحث العلمي يواكبه ، ويلازمه ، إتقان عِشْـرة وسـلوك . لم يكن الأستـاذ (راتب) « يضنّ بعلمه ، ولا يبخل بعونه ، ولا يتمسك بكتبه ، وهي كثيرة غزيرة ، وبعضها نادر أو مفقود ، يبذل هذا وذاك خدمة للعلم ، وبثاً للحكمة ولعل كتبَه التي في خزانته ، على كثرتها ، أقلُّ من كتبه التي استعارها رفاقه وأصدقاؤه منه » .

زد على ذلك أن المرحوم (راتب) كان قِبلة القاصدين ، من العلماء والطالبين ، يجتذبهم للقائه نِشدانُ الحكم السليم ، والرأي السديد ، والبصر النافذ الناقد ، وكأنه يتمّ في داره تعليمَه الجامعي وغير الجامعي ، جواداً ، كريماً ، محتسباً ، مجيباً كل طامح في تعمق العربية وأسرارها ، وكل راغب في جَني ثمارها والفوز بكنوزها ولآلئها . وهو يقوم بذلك بنفس العارف السمح السعيد المسهِـم في دفع الجهل ، والمجالد المنافح في حرب التزييف والرياء والتخليط .

لقد تحدثتُ قليلاً عن صعاب دربه الجامعي ، بل عن بعض تلك الصعاب ، وفيها من صنع الأغبياء أو الحاسدين القَدْر الكبير . وما هي إلا

لحظة حانت نقل فيها فقيدنا الغالي من دنيا التعليم الجامعي إلى عالَم البحث المجمعي . ولئن كانت خسارة لا تُعوَّض من ناحية ، فقد قابلها ، لحسن الحظ ، نفع جسيم من ناحية أخرى . ولكن مآثر الأستاذ (النفاخ) التعليمية ظلت هي الأفضلَ والأبقى . إنها ، بلا ريب ، المآثر الحية النامية باطراد في نفوس طلابه ومريديه ، والباقيةُ في أعمالهم المشهودة إلى اليوم ، وهم مئون .

جاء في الحديث النبوي : « إن الله يحب إذا عمِل أحدُكم عملاً أن يتقنه » . وقد عاش فقيدنا الأستاذ (راتب) دلالة هذا الحديث في دقائق حياته جميعها . وقد قيل في إحدى الفلسفات المعاصرة : إن الحياة مشروع وجود ناقص لا يتمّ إلا بالموت . فالموت ينفي العبث ، ويحدّد معنى الحياة . وبالموت تتضح رسالة كل مَن عاش ، إذ ينجلي شأوها بانقضائها المحتوم .

ولنا أن نفطن إلى أن الحياة التي تمامها الموت هي حياة الجسد . ويكون الموت نهايتها . والنهاية تمامٌ يباين الكمال . إن تمام الأمر انغلاق . وذاكم هو الموت بالجسد . أما الكمال فإنه قيمة بقاء ، لا فناء . وقد تميز المرحوم الأستاذ (راتب) في حياته الدنيا بمطلب الاتقان نِشدانا للكمال . ولئن غاب عنا جسداً محقّقاً ما استطاع من إتقان ، فإن له حياةً باقية هي الأكمل ، لأنها خالدة بإسهامه المحمود في خدمة اللغة العربية ، وببنائه نفوساً وفيّة تحمل رسالته باتصال ونماء . وليت حبَّ العربية ، والعمل في سبيل رفعتها ، وتطويرها ، وإغنائها ، داءٌ تمتد عدواه إلى كل ناطق بالضاد .

رَحمك المولى يا (أبا عبد الله) . فقد صدقتَ ، وأجدت ، وأتقنت ، فخَلَدت . وإنّا بفراقك لمحزونون .

حزنٌ كطول الدهر، باقٍ، إذا مضت
أوائله ، عادت إلينا أواخره

كلمة أصدقاء الفقيد

الدكتور عبد الكريم الأشتر

أيها السادة !

لو جاز أن نمثل لبعض الناس بالكتاب ، لكان صديقي الأستاذ أحمد راتب النفاخ يكون واحدة من المخطوطات النادرة التي جار عليها الزمان ، فوقعت فيها خروم ، وانطمست كلمات ، وانقصفت أوراق ، ولكنها ظلت حية تحتفظ بقيمتها ، وتنفرد بحقائقها ، فما نجده فيها قد لا نجده في كتاب آخر .

تكوينه تكوين أصحاب العواطف المستبدة من المثاليين الذين يقفون دائماً في نهايات الخطوط . مملكتهم ليست في هذا العالم . يسبحون أبداً ضد التيار . يسخطهم الواقع القائم ويأنسون فيه بالضعفاء والمقهورين .

وربما انسحب ذلك على موقفهم من التاريخ ودوله وأحداثه . فقد كان الأستاذ النفاخ يقف في صف المغلوبين فيه . ولعلهم لو انتصروا فارقهم ، ووجد سبباً للوقوف في صف معارضيهم .

كانت البطولة تستثيره ، فإذا اغتيلت أو أُكرهت بدت له أشدّ استثارة .

من هنا يبلغ عطفه على الفقراء والبائسين وأصحاب الحاجات حداً يغفل فيه ، كما يفعل المثاليون غالباً ، عن حقائق الواقع . فإذا انكشفت لهم ازدادوا إحساساً بالخيبة وبغرابة الواقع من حولهم .

خرجت في صحبته يوماً من باب الجامعة الكبير في البرامكة .

واجتزنا الشارع إلى الرصيف المقابل . فلم ألحظ صبياً مستلقياً عليه ، يسأل الناس ، وقد مدّ رجلاً تكسوها بقع الدم . كانت مظاهر الحياة المتجددة ، في مقدم الربيع ، تجتذب حواس الناس إليها . ولكن الأستاذ النفاخ لم يشغله عن الصبي شيء . رأيته يندفع إليه ، وينحني يسأله عن حاله ، فشكا إليه الصبي ، بلهجة منكسرة ذاب لها قلبه ، الفقر والعجز عن دخول المشفى ، فما أسرع ما ضرب بيده إلى جيبه فأعطاه . ثم لم يكتف ، فاستوقف سيارة أوصى سائقها بحمل الصبي إلى المشفى ، ودفع له أجره .

كنت أتتبع المشهد وأنا مبهور . وفي نفسي إحساس عميق بالخديعة والكذب ، يخالطه إعجاب بالغ بصفاء النية ونبل المشاركة وسطوع النزعة الإنسانية .

في اليوم التالي خرجنا من باب الجامعة ، فرأينا الصبي نفسه مستلقياً على الرصيف ، يسأل الناس ، وقد مد أمامه رجله التي يكسوها الدم الكذب !

كنت أنظر في وجه الأستاذ راتب وهو ينظر في الصبي . فرأيته يلوي وجهه عنه كأنه لا يريد أن يراه . كان يحاول أن يداري إحساسه بعجزه عن تقبل هذا العالم المخادع من حوله .

لعله بمثل هذا الإحساس كان يواجه دائماً خيبته في الحياة والناس ، وهو يحاول عبثاً أن يشد المثال على خشبة الواقع . ولهذا يكثر كلامه في تقويم الناس ، ويغلو فيه أحياناً غلوّ من يريد أن يستنفد قوة الإحساس بالفجيعة . ولهذا أيضاً كان يغلو في الرضا أحياناً غلوّ من يرجو أن يأمنها في نفسه ، فما يزيد في آخر الأمر عن أن يهيئ لنفسه خيبة جديدة .

ويظن الذين لا يعرفونه ، كما كنا نظن قبل أن نعرفه ، ونحن طلاب في الجامعة ، أنه خشن الملمس ، جافي الطباع ، ليس في حياته موضع للإحساس بجمال التواصل الإنساني ، على إطلاق معانيه . فإذا اقتربوا منه

وعرفوه وجدوه لا يؤرقه شيء كما يؤرقه الحب ، بمعناه العميق الشامل ، ووجدوه ندياً رقراقاً يحسن فهم هذه العاطفة النبيلة ، ويستجيب لها أعمق الإستجابة . وقد قضيت إلى جانبه زمناً لا أكتشف ، في هذا الجانب من حياته ، معنى محدداً ، وإن كنت أستذكر اليوم مظاهر كثيرة من رقة الشعور وحرارة الروح ، إلى أن كان يوم جاوزنا فيه منتصف الليل ونحن نمشي في أطراف دمشق ، قريباً من كيوان ، حتى كللنا . كنا في الصيف ، وكانت الليلة مقمرة . فاسترحنا إلى جوار شجرة ضخمة من شجر الصفصاف ، يجري قريباً منها نهر يزيد . فما أدري كيف تصرف بنا الحديث ، فجاشت به نفسه جيشاناً شديداً ، هيأ له ، فيما يبدو ، ما كان يفيض في الجو ، من حولنا ، من رقة الطبيعة وحدة إغرائها بالبوح والاستسلام . رأيته فجأة يضطرب كورق الصفصاف ، ويبدأ فيحدثني عنها ، وكنت أعرفها ، ويصفها كما كان يراها . كان قريباً منها زمناً طويلاً ، قريباً من أهلها . ولكن ذنبها أنها لم تكن تفكر فيه على النحو الذي كان يظن . فقد انغلق عليها القلب إذن ، وظلت ذكراها تنزف فيه ، كما قال يومها . وتعيّن عليه أن يواجه ، في هذا الوقت المبكر ، كبرى خيباته وأثبتها في النفس . ثم إنه لما تهيأ له ، من بعد ، أن يكتب رسالة الماجستير ، اختار ابن الدمينة ، الشاعر الوجداني الرقيق ، موضوعاً لها !

ثم طال الزمان بعدها على الناسك المتبتل الذي يحتضن القرآن ، فتعرض لمحنة قاسية ، لعلها أدلّ محنه على انحدار مثاله في مواجهة الواقع ، وعلى عجزه ، وهو في ارتفاعه عنه ، عن فهم حقائق النفوس المتردية . فهذا الذي كان يجعل منه هدفاً سهلاً للطامعين فيه . كانت أبواب بيته مفتوحة لكل طارق ، حتى كان ربما سلّم بعضهم مفاتيحها ليدخلوه إذا غاب عنه . رغبة مستبدة لا تنكسر في تحدي الواقع والانتصار عليه !

لقد كان ، من الجانب الحي ، أقرب من عرفت من الناس ، إلى

المثال الذي صوروه لأنفسهم . فما خسره في الناس إذن ربحه في نفسه ، باستثناء ما كانت حرارة التكوين تغري به أحياناً ، من حدة الخصومة أو الإمعان في النقد . ولهذا نراه يكثر محبوه ويكثر ناقدوه معاً . ولهذا أيضاً يخلص محبوه في محبتهم إياه إخلاصاً قلّ نظيره في المحبين . لقد كان هو نفسه المثل الحي في الصدق والإخلاص والوفاء لمن يحب . ولو شئت أن أستذكر بعض صورها في حياتي وحياة من أحبهم وأحبوه لما انتهيت .

وكلتُ إليه يوماً ، وكنت مقبلاً على سفر ، أن يتفقد أهلي في غيبتي . فما تخلف عنهم يوماً . يسير إليهم في بيتهم ، فيطرق الباب ويدير إليه ظهره ، ويسألهم عن حاجاتهم . ويكل إليه آخرون الإشراف على طبع بعض كتبهم والنظر فيها ، فينظر فيها ، ويصحح ما يستدعي التصحيح ، ويتمم نقصها ، ويضيف إليها الحواشي والتعليقات . ويقصده الطلبة في بيته ، فيجلس إليهم ساعات يرشدهم ويحقق لهم بعض النصوص ، أو يعيد قراءتها معهم ، لا يضجر ولا يملّ ولا يشكو . وقد قارب بيته ، من هذه الناحية ، أن يكون مدرسة صغيرة لطلاب العلم ، وقارب أن يكون له ، في بعض الرسائل الجامعية ، من أصالة الرأي ، مثل ما لأصحابها فيها ، أو أكثر كثيراً في بعض الأحيان !

* * *

والآن ، ما الذي يبقى من الأستاذ النفاخ لنا وللأجيال المقبلة ؟

يبقى منه النموذج الإنساني الساطع الذي وفق بين قوله وفعله ، وحقق في نفسه مثله : أعرض عن مغريات الدنيا وارتفع عنها : لم يخلبه المال فعاش في بيت بسيط جداً ، في حدود الكفاية التي تصون ماء الوجه . لم يخلف لأهله إلا هذا البيت الذي كان أبوه خلف له ثمنه ، وإلا الكتب التي صحبها ونذر حياته لها . لم يسع إلى منصب ولم تفتنه المظاهر . ولم يقف بباب أحد . وربما جاءه أصحاب الحاجات فقضاها لهم ونسي حاجة نفسه

وأهله !

أنفة أكاد لا أعرف لها مثيلاً في من عرفت من الناس ، وترفع عن كل ما يطمع الناس فيه . ولعل عزوفه عن السعي في مناقشة رسالة الدكتوراه ، بعد أن تأخر فيها (لغلبة نزوعه إلى التحرز والتدقيق) وبلغ من كتابتها حداً فاق ظن مناقشيه ، يقع في هذا الجانب من تكوينه . فقد أنف ، بعد أن تأخر فيها ، من أن يقف مع فلان وفلان ، ممن هم في سن طلبته ، أو في مستواهم أحياناً ، في موقف واحد !

وقد أربكه ذلك في عمله من بعد . ولكنه ، على نحو ما ، كان يستشعر فيه نشوة الانتصار على النفس !

ويبقى من الأستاذ النفاخ ، لنا وللأجيال المقبلة ، مثل شاخص في الانقطاع إلى العلم وإتقانه يبلغان حد التصوف . وقد كنت أقف إلى مكتبته أحياناً وأقلب بعض كتبها ، فتطل عليّ من حواشيها التعليقات والتصحيحات والإحالات ، يكتبها بخطه الدقيق ، ويشير إلى مواضعها ، في المتون ، من فوق السطور ، على طريقة السلف .

كان يجد عزاءه في القراءة . وكان ربما استوفى قراءة الكتاب في ساعات . وكان من أقدر الناس على قوة التمثل والوقوف على مفاصل الكلام ، كما كان يسميها (يعني محاورها الفكرية) . وكان يبلغ من العمق ، في تحليل الكتب أحياناً ، ما يصلح ، لو كتب ، أن يكون درساً يقرأ .

ويبقى من الأستاذ النفاخ ، لنا وللأجيال المقبلة ، كتب وفهارس ثمينة ومقالات ومختارات ونقول ورسائل وشروح وتعليقات ، إضافة إلى ما لم يطبع منها ، وفيها أثره الكبير في القراءات . وهي ، في جملتها ، ثروة أدبية ولغوية تبلغ الغاية في الإتقان . ولو كان انصرف إلى تنميتها عن كل ما شغله من أمور الدنيا والناس ، مع التخفف من المبالغة في التحرز والتدقيق

والتجويد ، لبلغت ، على يده ، أضعاف ما خلف منها . على أنها ، لو جمعت ونسقت موادها ونشرت ، لخففت قليلاً من فداحة الخسارة فيه .

* * *

وبعد

فقد لا يحق لنا ، في هذه المرحلة الحزينة من حياة الوطن وواقع قضيته الكبرى ، أن نبكي أفراد الناس . ولكن « الشجا يبعث الشجا » ، والألم موصول بعضه ببعض . والأوطان ، في نهاية الأمر ، تكبر بأفذاذها . ومن حقهم عليها أن تكرمهم وترفع من ذكرهم . وهي ، إذ تفعل ، تكرم نفسها ، وترفع من ذكرها .

لقد كان الأستاذ النفاخ واحداً من علماء العربية الكبار ، يكاد يكون لا مثيل له في أوطان العربية الممتدة إلى حيث يقرأ القرآن ويؤذن للصلاة . ولئن ضاقتِ به جدران الجامعة يوماً ، إنها قد تضيق بمثله في هذا الوطن الكريم الذي نرجو أن يبلغ يوماً من مرتبة الإنصاف ما بلغنا نحن من مرتبة الحب .

أنت تعرف أيها الصديق ، وقد مضيت اليوم إلى المجهول الكبير ، وتخطيت تخوم هذا العالم الذي عشت حياتك تضيق به ، أنّ ما أقوله فيك لا تمليه المحبة وحدها ، ولكن يمليه معها الإخلاص للحق الذي أخلصت له حياتك . وربما أملته معهما الحسرة : فمن أين يجود الزمان بمثل هذه الصداقات المبنية على معانيها في الصدق والإخلاص ، وعلى حلاوة المؤانسة التي ترتفع عن كل غرض ، وعلى غنى المعرفة التي تجمّل العقل ! من أين يتأتى للمرء ، في هذا العالم المتحجر ، أن ينعم بصحبة مثل هذه العقول المتفتحة والقلوب الغنية والأرواح الحارة !

رحمك الله قدر ما علمت وعلّمت ! رحمك الله قدر ما أحببت !

رحمك الله قدر ما عانيت ! لم يقدّر لك أن تعرف السكينة بيننا ، فلعلك تعرفها بعيداً عنا . على أن مثلك لا يموت ولو انتزعه الموت من القلوب .

أشكركم

كلمة طلاب الفقيد

فقيد العلم
العلامة أحمد راتب النفاخ

الدكتور محمد الدالي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ ولَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ . ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت : ٣٠ – ٣٥] .

والحمد لله الذي استأثر بالبقاء وكتب على عباده الفناء ، فـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٥] و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : ٨٨] ﴿ ولِلّهِ مِيرَاثُ السَّماوَاتِ والأَرْضِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٠] .

... وهي بعدُ يا أستاذ كُليمة سئلتها ، أقولها بلسان من علَّمته – وهم أجيال لا يحصون – وبلسان من اختص بك من طلابك ، وهم فئة غير قليلة . وأنت تراني كلما كتبت حرفاً محوته ، وكلما خطرت خاطرة أردت تقييدها تأبّت ومضت ، وكلما عنَّ معنى حاولت الإبانة عنه تفتحت

معان وصور ما من سبيل إلى حصرها والعبارة عنها . ومثلي فيما أنا فيه وله يحتاج منك العطف والرضا لا الإعراض ، وإن كنتَ غير راض عن كل هذا زاهداً فيه راغباً عنه . فانظر إليّ نظرة أقوى بها ، فأنت وأنا بل كنتَ وكنتُ أباً وولداً . وهي كليمة في موضعها ، لا تعدوه ، ولا ترتفع عنه ، ولا تخرج عما أُريدَ منها ، لا بد منها ، وإن كانت لا تبلغ مما في نفسي شيئاً ، وأنّى لها بذلك ؟!

لو كان الأستاذ لنا واحداً أي واحد ممن درسنا ، وكنتُ أو كنا له طلاباً أي طلاب ممن درسهم لسهل علي العسير ولان العصيّ فقلت فيما سئلت .

وما كان الأستاذ مدرساً أيّ مدرس تتلقى عليه مادته التي يحاضر فيها ، وما كنتُ وبعض من معي ومن تقدّمني طلاباً له أي طلاب درسهم سُنيات حفظوا له فيها صورة عمودها عندهم واحد ، وتختلف في أشياء بين طالب وآخر باختلاف نفوسهم وعقولهم .

فالأستاذ رجل من عباد الله المؤمنين الصالحين الصادقين الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ، ظاهره خير كباطنه ، كريم ، مضياف ، مفضال ، أريحي طيب النفس ، وفيّ ، عازف عن الدنيا وزخرفها ، منقطع للعبادة والعلم ، راغب عن الشهرة ساعية إليه ، كان أُمة ورجل أمة . وهو بعدُ بقية السلف والحبر البحر وريحانة الشام وخزانة علمها ، لم ير الراؤون في هذا العصر مثله ، حقًّا لا يجحدونه .

خُلق ليكون ما كان ، وترفّع عما عفّرت فيه وجوه ، ونزّه نفسه عما خاضوا فيه ، وتواضع لله فرفعه . فيه عزة المعتز بالله ، وقوة المستعين به ، ذو خلق وخلاق ، جبل على الوفاء والإخلاص والرحمة بالناس وحب الخير

لهم . وكان شديداً في الحق ، للقسوة واللين مواضع يضعُهما فيها ، صريح صراحة ، يجهر بقوله ، لا يجامل ولا يورّي ، يسمي الأشياء بأسمائها .

الإحسان عادته ، والتواضع سجيته ، والحياء حليته ، والخير فطرته ، والتقوى جبلته .

وفي الصدر مني معه حديث سبعة عشر عاماً لازمته فيها ، والحديث ذو شجون ، منه ما يدون ومنه ما لا يدون .

ولو تكلفت تدوين ما عرفته خلالها من أحواله وصلته بمن اتصل به بسبب ، وآرائه فيمن حوله وفيما حوله ، وتبحره في فنون من العلم هو آية فيها – ومنها العربية واللغة والعروض والأدب وعلوم القرآن – ونظراته فيها ، وشؤون غيرها ، لو تكلفت ذلك لم أفرغ منه على وجه مرضي في سنين ذات عدد ، ولأتى ذلك في مجلدات ولبقي في النفس أشياء ، ولم يحط لفظي بنعته .

فماذا أقول في كليمتي التي سئلت ولمّا يزل الأستاذ أمام ناظري ، وأجالسه ، ويكون حديث ، فما بيننا لا يقدر رحيله عنا – وهو بنيان قوم تهدم – أن يذهب به .

عرفته حين درست اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٧٤ . وكان في قسم اللغة العربية إذ ذاك أساتذة كبار علت منزلتهم في علومهم . وكان الأستاذ عينهم وزينتهم وعلامة العربية في بلاد الشام ، وهو من مفاخرها ومحاسنها ، وكان جبلاً في العلم لا نظير له في علومه ، وكان وحيد أوانه ونسيج وحده ، وكان أشهر من نار على علم .

تولى الأستاذ في السنة الأولى تدريسنا مادتي علم العروض والمكتبة العربية والأدب القديم . وكان يلتزم في حديثه العربية المبينة ، وكان حريصاً على نشر العلم ، متواضعاً تواضع العلماء الأئمة ، قدوة لطلابه في علمه وخلقه وسلوكه . ظهر لنا خلال محاضراته علم غزير ورواية واسعة وذهن

وقاد وحافظة واعية . ورأى غير واحد منا أن الأستاذ من أولئك الأئمة الأثبات الأعلام المتقدمين في المائة الرابعة أو دونها تأخّر به زمانه فعاش بيننا ، وعلّمنا ما لم يعلّمنا أحد .

ودرّسنا في السنة الثانية نصوصاً من كتاب الكامل لأبي العباس المبرد . ولم يكن في محاضراته فيه دون صاحبه المبرد علماً باللغة والعربية والأخبار وغيرها ، بل إنه استدرك عليه في مواضع من كتابه . ولم تكن مادة النصوص عنده غاية في ذاتها بل كانت وسيلة إلى بيان أصول النظر في كلام المتقدمين وأمهات مصادر التراث العربي الإسلامي .

ثم لمّا تولى تدريسنا مادة علوم اللغة العربية في السنة الثالثة في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري عرفنا أنه فارس هذا الميدان غير مدافع . وقد شرح مسائل من كتاب المغني شرحاً لم يقاربه أحد ممن شرحه ممن نعرف .

وما كانت مادة المغني وحدها هي ما عني به الأستاذ ، بل كان أُعْنَى ببيان منهج فهم كلام المتقدمين والقراءة الناقدة البصيرة بكلامهم ، وعدم الاطمئنان إلى النظرة العجلى فيه ولا إلى الرأي الذي يبدو لك من قراءته أول مرة .

ووجد المجال أرحب ليقول شيئاً مما في صدره من العلوم يوم تولى تدريسنا الموضوع اللغوي من موضوعات دبلوم الدراسات العليا اللغوية ، وهو من كبار أعلام الدراسات العربية الإسلامية اللغوية والأدبية . فشرح لنا أبواباً من الخصائص لابن جني ، وأملى علينا أشياء مما انتهى إليه في القراءات القرآنية . وبسط خلال ذلك أصولاً من أصول علم العربية وعلم القراءات . وهو كلَّ حين على ذُكر من كلام الأئمة المتقدمين في مسألة مسألة ، يملي كلامهم بلفظهم أو يكاد . وبسط لنا أصول تحقيق نصوص التراث العربي الإسلامي ، وهو في هذا الباب لا نظير له في علمه وخلقه ومنهجه ، كان

غاية فيه .

كانت الجامعة مكاناً تتلقى فيه المحاضرات المقررة ، ولم يكن ما يتلقاه الطالب فيها ليكفي طائفة عطشى إلى العلم آنست في نفسها القدرة على الاستزادة منه . وكان بيت الأستاذ محلاً للعلم ومثابة لطلابه . فلما فرغنا من الدبلوم انتقلت الجامعة إلى بيته ، فحيث يكون تكون .

وكنت وبعض زملائي وكثيرون ممن عرفت نختلف إلى الأستاذ في بيته ، كلٌّ يحمل عنه ما كان مهيئاً لحمله من علمه وخلقه العلمي الأصيل وأمانته ودقته . واختار بعضنا بتوجيه منه رسالة الماجستير والدكتوراه . كان يوجهنا ويرعانا ويشجعنا ويبذل علمه ومكتبته ووقته في سبيل طلاب يرى أن لهم عليه حقّاً لأنهم طلابه ، ولأنه يحب الخير للناس ويجري بين يديه .

لازمته أي ملازمة من سنة ١٩٧٩ إلى يوم اختاره الله لجواره . عرفته أستاذاً فذّاً وأخاً ناصحاً وأباً عطوفاً وصديقاً كريماً . وعرفت أي عالم كان ، كان من أوعية العلم ، كان كنيفاً مليئ علماً ، وكان إذا سألته فجرت به ثبج بحر .

إليه انتهى عِلم العربية في عصرنا ، ونظر بذهنه نظر مؤثلي هذا العلم وناقشهم في بعض جوانبه ، ورأى في بعضه غير ما رأوا . وفي المشتغلين بعلوم العربية في عصرنا بلا ريب غير واحد ممن برعوا فيها وحفظوا كثيراً من مسائلها ومذاهب المتقدمين والمتأخرين فيها وعرفوا حل ما اعتاص منها ، لكنك لا تجد فيهم مثل الأستاذ ممن أداه علمه بالجزئيات إلى تصور شامل للغة وقوانينها الوضعية والعقلية . فقد أداه فكرُه في الكتاب – أعني كتاب سيبويه – وطولُ مدارستهِ له والنظرِ فيه لا إلى فهم كلام صاحب الكتاب فهماً دقيقاً – وهو أقصى ما يبلغه المتبصر بكلامه – بل إلى الوقوف على حكمة العرب في كلامها وعلى أغراض الخليل فيما نقله وفسره من كلام العرب ، وفيه ما خفي غرض الخليل فيه حتى على صاحبه سيبويه ، وفي

الكتاب مواضع شمست حتى على أبي عليّ . كان الأستاذ عالماً بمقاييس العربية بصيراً بها محققاً مدققاً لو رآه الخليل لسرّ به وقال له : مرحباً بزائر لا يمل . ولا يزال في الناس علم ما بقي فيهم مثل الأستاذ .

برع في علم العربية براعة ، وحذق علم القراءات حذقاً ، فهو وهذان العلمان سواء . وله فيهما مذاهب ونظرات لا تجدها في كتاب . ووقف في علم القراءات على أصول هذا العلم عند أئمته المتقدمين ، وقد خفي أكثرها على من بعدهم . ولو كان لأحد أن يؤخذ بقوله كله في علم من العلوم لكان للأستاذ أن يؤخذ بقوله كله في غير علم ولا سيما العربية والقراءات .

ولو أراد الأستاذ نفسه أن يضع كتاباً يفرغ فيه ما في صدره من العلم لجاء الكتاب دون ما قدر لسعة علمه بفنون من العلم وبعد غوره فيها ولتشعب مسالك القول فيها وتفرق مسائلها وانتشارها .

في بيته جرت مجالس العلم كل يوم ، وبذل لمعتفيه بذل من لا يرجو منهم جزاء .

عرفت عنده كثيراً من الباحثين من أصدقائه وزملائه ومن قدماء تلامذته وأصحابه ، طلبوا عنده الفائدة فأطلبهم ، وكثير غيرهم ممن لم ألق كتبوا إليه من شتى البلدان العربية فيما علموا أنه مفيدهم فيما استبهم منه وأشكل واستغلق وأعضل ، وكانت الكتب والرسائل تأتيه من كل مكان .

وعرفت في بيته كثيراً من المختلفة إليه من طلاب العلم ، وهم جم غفير من مواضع شتى في سورية وغيرها من البلاد العربية والإسلامية . فطائفة منهم أشكلت عليها مواضع في نصوص تحققها ، وفئة احتاجت إلى مخطوطات أو كتب نادرة في مكتبته ، وجماعة تسأله اختيار موضوع رسالة جامعية ، وثلة لم تتهد إلى تصور مرضي في دراسة علمية ، وطوائف أخرى تستفتيه في مسائل من علم اللغة والعربية والأدب والقراءات والتفسير

والحديث وغيرها . قصدوه فأكرمهم ، وسألوه فأجابهم ، وبذل لهم علمه ومكتبته ووقته . وغير واحد من تلامذته تولَّى مناصبَ علميةً في الجامعات وغيرها من مراكز العلم في سورية وغيرها من البلدان العربية .

وعرفت فيما عرفت أنه كان منكوباً في غير قليل ممن أحسن إليهم ، ما فعل لهم إلا الخير ، وضنوا عليه بالوفاء ، بل إن فيهم من أساء إليه وتنكر له ، ومنهم من أصاب به اليوم علاج ذات نفسه .

عرفت منهم من عرفت ، وحدثني بحديث كثير . كان وفيّاً يحسن الظن بالناس فيخلفه ظنه في كثير ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] .

وأقامت طائفة على الوفاء له ، تلقوا عنه ، وكسبوا بعلمه ومعرفته ما كسبوا .

وما زال الأستاذ يَنبوع علم عِدّ ، ينشر العلم ، وزكاة العلم نشره . فمنه ما وعته صدور الخاصة من أصحابه وتلامذته ، ومنه ما بثه فيما نشره وفيما لم ينشره من النصوص وفيما كتبه من مقالات ، ومنه ما قيده على الكتب التي حوتها مكتبته ، وذهب بموته علم كثير .

والموت حق على كل العباد فما حيٌّ بـاق ويبقى الواحد الأحد

و« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

فعمل الأستاذ باق إلى يوم القيامة ، لا ينقطع حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

رحمك الله يا أستاذ أبا عبد الله رحمة واسعة وجزاك الجزاء الأوفى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [سورة الشعراء : ٨٩] ولا زال لسانك رطباً بذكر الله وتلاوة الزهراوين كلَّ صباح . سلامٌ عليك ﴿ سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ [سورة يس : ٥٨] .

كلمة آل الفقيد

الأستاذ نزار النفاخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الكرام

لم أكن أتصور في يوم من الأيام أن أقف هذا الموقف الصعب والمهيب أمام علماء أجلاء ، وأصدقاء ، وزملاء لأتكلم عن شقيقي أحمد راتب رحمه الله في الذكرى الأربعين لرحيله في حدود رؤيتي له كشقيق كان إلى جانبه في كافة الأوقات ، ولعل السمة المميزة له هو أنه لم يكن يأبه لعرض الدنيا ومباهجها ، ولم يقم لها وزناً ، شأنه في ذلك شأن السلف الصالح من علماء أمتنا ، وانسحبت هذه الصفة على سلوكه وتصرفاته ، فكان يتعامل مع الآخرين ضمن هذا الاعتبار ، وهذا ما دعاه إلى التفاني في بذل العلم لطالبيه على اختلاف مشاربهم وأهوائهم ، لأنه كان على يقين من أنه يؤدي بذلك عبادة ، فالعلم عنده عبادة ، ولم يكن يسخط على أحد إلا بمقدار انتهاكه لحرمة هذه العبادة في أداء ما لم يحسن أداءه .

أما داره فكانت دار علم يؤمها العلماء ، وطالبو العلم من شتى أصقاع العالم ، ومن كل حدب وصوب على اختلاف اختصاصاتهم وهذا ما شاهدته على مدى ثلاثين عاماً ، وكثيراً ما كنت انتظر عدة أيام لأظفر بفرصة أخلو بها إليه للتحدث في أمر من الأمور العائلية التي تخصه مباشرة ، وهذا لم يكن ليتيسر لي في حضور رواد علمه ، ولاأذكر أنني استطعت حمله على إغلاق بابه يوماً واحداً في أمرِّ أيام مرضه وأقساها ، وكنت ألحظ

أنـه كان يستعيد قوته ونشـاطه عندما كان يقوم بشـرح مسـألة علميـة لقـاصـديه ، إذ يجدون عنده حلاً لكـل معضـلة ، وشرحاً مفصـلاً لكل مشكلة ، إضافة إلى توجيهاته العلمية سواءٌ أكانت باختيار مواضيع بحوثهم ، أو وضع خطة منهجية لها ، أو تقويمها ، أو الإشارة إلى مصادر دراستها ، لقد كان يركز على أصـول البحث العـلمي ، وطرائق استخدام المصـادر والصلات الأساسية بين مختلف أنواع العلوم الأساسية ، فضلاً عن التكوين الفكـري والعقلي ، وأصـول المحاكمـة عند الإنسـان ، أما مرحلة الحفظ والاطـلاع فستكون المرحلة اللاحقـة والمتممـة للوصـول إلى بداية المعرفة العلمية ، وفوق ذلك فإنه لم يكن ليضن بعلمه ومكتبته على كل طالب علم ولو لم يكن أهلاً لذلك لقد كان راتب خبيراً بالرجال ومبصراً)لمواقفهم ، وكان وفياً لأساتذته وأصدقائه .

إنني لم أقصد الحديث عن علمه ، فلست أهلاً للحديث في هذا الجانب الذي أفاض فيهزملاؤه ، وأصدقاؤه وطلابه في كلماتهم عنه ، فهم أقدر مني بمعرفة مقدرته ومكانته العلمية ، ولكنني صورت واقعاً عايشته مدة طويلة ، فالعلم ملأ عليه حياته دون أي غرض سوى الثواب وقناعته في أنه يؤدي رسالة العلم كما يأمره بذلك دينه وخلقه ، ولولا ما آل إليه من إرثه من أبيه لغادر الدنيا كما جاء إليها .

وأخيراً لا يسـعـني والألم يعتصر قـلبي ويمزقه إلا أن أبدي جزيل شكري وامتناني للسادة المشاركين في هذه المناسبة ، وهذا ما خفف من المصاب الذي ألم بنا ، فلئن مضى راتب إلى لقاء ربه ، فإن لنا في صفوة أصدقائه ومحبيه خير عزاء وشكراً لكم .

حوليات الجامعة التونسية

مأمون الصاغرجي

من المجلات التي ترد خزانة المجمع وتعنى بلغة العرب وتاريخهم وثقافتهم مجلة « حوليات الجامعة التونسية » ، وفيما يلي نقدِّم إلى قراء مجلتنا الزاهرة في هذه السطور إطلالة على ما يهتم به الكتَّاب والعلماء في المغرب العربي .

لقد ضم العدد ٢٢ من عام ١٩٩١ من المجلة المذكورة بحوثاً قيمة اخترنا منها : بحث الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي الذي افتتح به العدد « في مفهوم الإيقاع » (ص٧ – ٢٢) وقد استهلَّه بتحقيق في وضعية مفهوم الإيقاع في اللغة العربية ، وكونه من مسائل علم الشعر ، ممهِّداً لذلك بمناقشةٍ لآراء تحدِّد معنى اللفظ والمفهوم في اللغة ، وينتهي من ذلك إلى أنه من الممكن التحدُّث عن « الثروة المفهومية » على أنها ظاهرة تعيشها اللغات في بعض ميادينها دون أن يقابلها ثروة لفظية ، ويضرب على ذلك مثلاً كتاب سيبويه الذي يفيض بالرصيد المفهومي على الرصيد المصطلحي ، بمعنى أن فيه من المفاهيم المجردة ما عبرت عنه الجمل الطويلة ، والتعابير الغامضة دون أن يكون قد أفرغ جميعة في مصطلحات فنية .

ولفظ الإيقاع من مصطلحات علم الموسيقى لا من مصطلحات علوم اللغة ولا من مصطلحات علم العروض ، وأنه ظاهرة صوتية ، وهذا

ما يفسر غياب مصطلح الإيقاع من علم العروض ونيابة مصطلح الوزن عند الدلالة على موسيقى الشعر فيه .

ويتحدث الكاتب عن صلة الوزن بالإيقاع وما سبَّبه من إشكال عند بعض الدارسين وما التبس عليهم في مفهومه وعلاقته بالظاهرة الصوتية ، وينتهي الكاتب إلى « أن الإيقاع توظيف خاص للمادة الصوتية في الكلام . يظهر في تردد وحدات صوتية في السياق على مسافات متقايسة بالتساوي أو بالتناسب لإحداث الانسجام وعلى مسافات غير متقايسة أحياناً لتجنب الرتابة » .

وكتب في هذا العدد أيضاً الأستاذ حسن حمزة مقالة بعنوان « ألف الفصل » (ص٢٣ – ٥٢) ، تحدَّث فيها عن ألف الفصل أو الألف الفارقة ، وهي التي تزاد في الخط بعد « واو الجماعة » في آخر الفعل الماضي والمضارع والأمر ، وذلك للفصل بينها وبين الواو التي هي من أصل الفعل مثل « كتبوا » و« يدعو » . ويشير الكاتب في مستهل بحثه إلى أن هذه القاعدة المأخوذ بها في الإملاء الحديث لا تمثل إلا المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الكتابة ، وقد دعاه ذلك إلى استعراض تاريخي لمراحل تطور هذه الظاهرة في التراث النحوي العربي ، فأماط اللثام عن سبب كتابتها ، وأن الأصل هو إثباتها دائماً انطلاقاً من أن الخط هو تصوير للفظ ، وأن هذه الألف في زعم الخليل هي صورة الهمزة التي ينقطع حرف المدّ عندها ، وكتبت الهمزة ألفاً لأن الهمزة لم يكن لها صورة خطية مستقلة كصور غيرها من الحروف ، وربما كتبها العرب ألفاً في كل حال ثم تخففوا منها تدريجيّاً فأسقطوها من الضمائر والأسماء وبعض الأفعال .

وهذا البحث جدير بالقراءة للوقوف على مذاهب القدماء في هذا

الباب .

ومن الدراسات اللغوية في هذا العدد مقالة للأستاذ أحمد طلعت سليمان بعنوان « العنصر العربي في لغة قبائل اليوربا » (ص٧٥ – ١٣٠) ، وقبائل اليوربا هذه تقطن في جنوب غرب نيجيرية المعاصرة ؛ وهدف هذا البحث هو دراسة العنصر العربي في لغة هذه القبائل صوتيّاً وصرفيّاً ودلاليّاً .

قدم الكاتب لبحثه معرِّفاً بقبائل اليوربا وتاريخ اتصالها بالإسلام ، واعتمد على أقوال المؤرخين الذين حدَّدوا دخول الإسلام إلى أرض اليوربا ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ، وأن الإسلام يحرز التقدم تلو الآخر في أجزاء متفرقة من أرض اليوربا حتى بلغ عدد المسلمين منهم في الربع الأول من القرن العشرين خمسين ألفاً .

وقد عرض الكاتب في بحثه للتغيرات المختلفة التي تطرأ على الكلمات الدخيلة في لغة اليوربا مقدِّماً الرموز الصوتية المستعملة . وعرض أيضاً لما يتعلق بصرف المفردات فتبين له أن الكلمات العربية في لغة اليوربا غير متصرفة ، بمعنى أنها تلزم حالة واحدة ، فالأسماء المفردة لا تثنى ولا تجمع حسب قواعد الصرف العربي ، فمثنى (إبرة) في العربية (إبرتان) ، بينما تثنيتهما في اللغة اليوربية : (Abare Meji) أي (إبرة – اثنان) و(كافران = Kefer Meji) ؛ والأسماء التي دخلت بصيغة الجمع لا تأتي مفردة ولا تثنى حسب تلك القواعد (فصحابيان = Sabe Meji) على حين (صحابة = Awon Sabe) كما لا تتغير صورة المصادر أبداً ولا يشتق منها كما هو متبع في العربية ، فللتوصل إلى معنى (اعتكف) من المصدر (اعتكاف) يوظفون فعلاً من لغتهم بمعنى (فَعَلَ) ويجعلونه قبل المصدر فيقولون (Ose Itikafu) أي فعل الاعتكاف ، وكلمة (عِلْم Ilimi) تحدد

معناها عندهم بالعلم بالدين ، فللتوصل إلى الفعل الماضي منها يؤتى بالفعل (OKe) أي قرأ فيقولون : (OKe Ilimi) أي قرأ العلم . وهكذا .

واختص المبحث الثاني من المقال بدراسة الأصوات ، إذ تعرض الكاتب للصوامت التي حذفت من النطق مثل حذف الهمزة المتطرفة والمتوسطة في النطق (الدعاء = Adua) ، (القرآن = Alukurani) .

وتوصّل الكاتب إلى نتائج قيمة في مجال الصوتيات منها :

– « أن النظام الصوتي للغة اليوربا قد فعل فعله في الألفاظ العربية من ناحية الأصوات ، فلم يكن إسقاط الأصوات الحلقية وتحويل أصوات ما بين الأسنان إلى أصوات أخرى ، وفك الإدعام وكسر التجمعات الصوتية ، وإلحاق صوائت بأواخر الكلمات ، إلا تطبيقاً لقواعد ذلك النظام .

– أصبحت الألفاظ العربية غير متصرفة في لغة اليوربا وأصبحت تعامل معاملة الجوامد إذ إن التوصل إلى التثنية والجمع والمشتقات منها يتم بواسطة السوابق واللواحق » .

ومن الدراسات البلاغية في هذا العدد : « الالتفات في القرآن » (ص١٣١ – ١٧٢) كتبه الشاذلي الهيشري ، والالتفات كما هو معروف في علم البلاغة أسلوب يعدِل فيه المتكلم عن ضمير أصلي إلى ضمير آخر يشترك وإياه في العودة على مفسَّر واحد .

استهلَّ الكاتب مقالته بالتعريف بهذا الفن ، وأن العرب القدماء استكثروا منه حتى عدُّوه ضرباً من الشجاعة ، لما فيه من مخالفة مقصودة يتوصل بها القائل إلى غرضه .

وقد اختار الكاتب القرآن لهذه الدارسة لكثرة الالتفات فيه كثرة

تفوق النصوص الشعرية والنثرية ، وأشار إلى الصعوبات التي اعترضته من جرَّاء القراءات المختلفة ، إذ يتحقق الالتفات في قراءة وينعدم في أخرى .

وجعل الكاتب الدارسة في قسمين : الأول نظري والثاني تطبيقي ، وتبين له في القسم التطبيقي أن أكثر الطرق استعمالاً للالتفات هو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، وذلك لارتباطه الشديد بموضوع الكفر والكفار الذين بلغت عداوتهم للإسلام حد الضراوة ، لذلك شُهِّرَ بهم في القرآن بأسلوب الغيبة المناسب للحكاية والاخبار والسرد ، من مثل قوله تعالى : ﴿ **ألا إنهم** من إفكهم ليقولون ، وَلَدَ اللهُ وإنهم لكاذبون ، **أَصْطَفَى** البناتِ على البنين ، **ما لكم** كيف تحكمون ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ **وقالوا** اتخذ الرحمن ولداً ، **لقد جئتم** شيئاً إدّاً ﴾ ، وقوله أيضاً : ﴿ فمن تبعكَ **منهم** فإن جهنم **جزاؤكم** جزاءً موفوراً ﴾ .

وقد أغنى الكاتب بحثه بالنصوص القرآنية المتنوعة التي أحصاها وبيَّن بها هذا الأسلوب البلاغي على نحو واضح .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثاني من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان ـ محمد بن شريفة ـ جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩١ .

أبو المطرِّف أحمد بن عَمِيرة المخزومي حياته وآثاره ـ محمد بن شريفة ـ جامعة محمد الخامس ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٦م .

الاتصالات بالألياف البصرية ـ ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس جورج صنيج ، تدقيق ومراجعة المهندس أحمد مرسي نفاخ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

الأدب المريد في مؤلفات المسعدي ، يليه الأدب الأبيض ، بين الرافعي وطه حسين ـ محمود طرشونة ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٩ .

أرمينية ، بلاد الروم (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) ـ اللواء الركن محمود شيث خطاب ـ دار قتيبة .

الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية – ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس محمد غانم – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق ١٩٩٢ .

الأسس الهندسية لإنشاء الليزرات التقانية – ترجمة الأستاذ الدكتور المهندس محمد غانم، تدقيق ومراجعة الدكتور المهندس محمد علي سلامة – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق ١٩٩٢ .

أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي – الدكتور عبد الكريم شحادة – من أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، حلب ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .

أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة مناهج ترقية اللغة تنظيراً ومصطلحاً ومعجماً – الأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي – دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨ .

أقباس روحانية – اللواء الركن المتقاعد محمود شيث خطاب – دار قتيبة.

بحوث في النص الأدبي – د. محمد الهادي الطرابلسي – الدار العربية للكتاب ١٩٨٨ .

بلاد ما وراء النهر (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب – لمؤلف مجهول، تحقيق عبد الوهاب بن منصور عضو أكاديمية المملكة المغربية – المطبعة الملكية، الرباط ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ، مدونة : المسعدي ، الفارسي ، المدني – المنصف عاشور – منشورات كلية الآداب بمنوبة ١٩٩١ .

تاج التراجم في من صنف من الحنفية – زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي ، عني بتحقيقه إبراهيم صالح – دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

التحفة السنية بالرحلة الملكية الحسنية إلى العاصمة الجزائرية (٦ – ١١ يونيو ١٩٨٨) – عبد الوهاب بن منصور – المطبعة الملكية ، الرباط ١٤١١هـ ١٩٩١م .

تدابير القدر قصص واقعية هادفة – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

تراثنا والمعاصرة – يوسف عز الدين – دار الإبداع الحديث للنشر ١٩٨٧ .

تسع ليال مع كاليبسو – الطاهر قيقة – دار التركي للنشر ١٩٨٥ .

التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث – الدكتور الطيب البكوش ، تقديم صالح القرمادي – نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس ١٩٨٧ .

تعريب المصطلحات العسكرية وتوحيدها – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات – تأليف أبي المطرف أحمد بن عميرة ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة – الطبعة الأولى ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

جامعة تونس الأولى (من أعمال الندوة المتعددة الاختصاصات حول الزمانية) السفر الثاني ـ علي الغيضاوي ، جليلة بلحاج يحي ، عبد المجيد الشرفي ، رشيدة التريكي .

جذور الفكر الإنساني – إبراهيم فاضل – مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر .

جيش الرسول – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

حول تحسين العمل الصحي وتقويته أكثر فأكثر – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢ .

الخروج من الجنة في عصفور السطح – نور الدين كريديس – الدار التونسية للنشر ١٩٩١ .

دليل التنمية المائية في الوطن العربي – إعداد الدكتور المهندس محمد شفيق الصفدي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢ .

ديوان ابن فركون – تقديم وتعليق محمد بن شريفة – مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

الرحلة الملكية إلى المملكة المتحدة البريطانية (١٣ – ١٨ يوليو ١٩٨٧) – عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة – المطبعة الملكية ١٩٨٧م ١٤٠٧هـ .

سليمان القانوني غازي الغزاة – تأليف أندري كلو ، تعريب محمد الزرفي – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٩١ .

طب الجلد عند العرب بحث علمي تاريخي يجمع بعض ما قدمه أطباؤنا

العرب القدامى في طب الجلد – أعد البحث د. حنا توفيق بشور ، قدم له أحمد يوسف داود – دمشق ١٩٩٠ .

عدالة السماء قصص هادفة من الواقع – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

قادة النبي : **القادة الشهداء في مؤتة زيد بن حارثة الكلبي ، جعفر بن أبي طالب ، عبد الله بن رواحة** – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

قادة النبي : **مروان بن الحكم** – محمود شيث خطاب – دار قتيبة .

القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل – الدكتور ف. عبد الرحيم – مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور ، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

كتاب المعاني والمغاني (أغنية وقصيد) – جعفر ماجد – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٩٠ .

كيم إيل سونغ (المؤلفات ٣٧) – دار النشر باللغات الأجنبية بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩١ .

مباحث في الأدب التونسي المعاصر دراسات نقدية في مؤلفات المسعدي والمدني والفارسي وخريّف ... – د. محمود طرشونة – تونس ١٩٨٩ .

المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب – د. حسين الواد – تونس ١٩٩١ .

مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة – د. محمود طرشونة – تونس ١٩٨٦ .

مراجع اللسانيات – الدكتور عبد السلام المسدي – الدار العربية

للكتاب ١٩٨٩ .

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، قانون إحداث المركز ، النظام الأساسي ، النظام الداخلي ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دمشق ١٩٩٠ .

المسائل الفقهية لأبي علي عمر بن علي بن قداح الهواري التونسي المتوفى سنة ٧٣٤هـ ـ دراسة وتحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان ـ مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ١٩٩٢م ١٤١٣هـ .

مظهر النور ـ جمع أبي الحسين بن فركون ، إعداد محمد بن شريفة ١٤١١ ، ١٩٩١ .

مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان ـ عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

مع وفد المملكة المغربية في مؤتمر القمة الخامس للدول الإسلامية المجتمع بالعاصمة الكويتية ـ عبد الوهاب بن منصور ـ المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، المجلد الأول ، القسم العام ـ مركز الدراسات العسكرية بإشراف العماد مصطفى طلاس ـ الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

المعجم العسكري الموسوعي ، المجلد الأول (أ ـ س) والمجلد الثاني (ش ـ ي) ـ مركز الدراسات العسكرية بإشراف العماد مصطفى طلاس ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ .

المعلم ومرغريتا ـ ميخائيل بولغاكوف ، ترجمة يوسف حلاق ، مراجعة عبد الله حبة ـ دار رادوغار موسكو ١٩٩٠ .

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف – تأليف عبد الحق بن إسماعيل البادسي ، تحقيق سعيد أحمد أعراب – المطبعة الملكية ، الرباط ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص – د. عبد القادر المهيري ، د. حمادي صمود ، د. عبد السلام المسدي – الدار التونسية للنشر ١٩٨٨ .

النقد والحداثة – الدكتور عبد السلام المسدي – دار أمية ، الطبعة الثانية ١٩٨٩ .

الهند قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه (من سلسلة : فتوح البلدان الإسلامية) – اللواء الركن محمود شيث خطاب – دار قتيبة.

هندسة الفيزياء النووية – تأليف الدكتور المهندس مطاوع الأشهب – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩١ .

هندسة المفاعلات النووية (جزءان) – الدكتور المهندس مطاوع الأشهب – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩١ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٣٠٣ ـ ٣١٥	١٩٩٢	سورية
البطريركية	١١٣	١٩٩٢	سورية
بحوث جامعة حلب	١٧	١٩٩٠	سورية
التراث العربي	٤٦	١٩٩٢	سورية
التعريب	٢	١٩٩٢	سورية
الثقافة	نيسان ، أيار	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ١٠ ـ ٢٠	١٩٩٢	سورية
جامعة البعث	٩	١٩٩٠	سورية
صوت فلسطين	٢٩٠ ـ ٢٩٢	١٩٩٢	سورية
الضاد	١ ، ٢ ، ٣	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	١٧ ، ١٨	١٩٩٢	سورية
مآب	١	١٩٩٢	سورية
المعرفة	٣٤٣ ، ٣٤٤	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	٢٤٨ ، ٢٤٩	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	١	١٩٩٢	سورية
نهج الإسلام	٤٧	١٩٩٢	سورية
الأنباء	١١ ، ١٢	١٩٩١	الأردن
دراسات	١٨/١ ، ١٨/٣	١٩٩١	الأردن
العلم والتكنلوجيا	٣	١٩٩١	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٢ ، ٣	١٩٩١	الأردن
المنتدى	١٠٥	١٩٩٢	الإمارات المتحدة
مجلة المعجمية	٥ ، ٦	١٩٩٠	تونس
الدارة	٤	١٩٩٢	السعودية

اسم المجلة	الأعداد الورادة	سنة الاصدار	المصدر
الغرب الإسلامي	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨	٨٩ – ١٩٩٠	السعودية
التربية	٩٩	١٩٩١	قطر
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٤	١٩٩٢	قطر
حولية كلية الآداب	٧٣ ، ٧٤	١٩٩٢	الكويت
تاريخ العرب والعالم	١٣٧	١٩٩٢	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٩	١٩٩٢	لبنان
الشراع	من ٥١٧ – ٥٢١	١٩٩٢	لبنان
الشراع	٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٧ ، ٦٨	١٩٩٢	لبنان
المختار الدوائي لاقليم المتوسط	١	١٩٩١	مصر
الخدمات الصحية لاقليم المتوسط	٩ ، ١٠	١٩٩١	مصر
حولية الأمم المتحدة	٩ ، ١٠	١٩٩١	مصر
التحويل والتنمية	٤	١٩٩١	مصر
منبر الصحة العالمي	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	١٩٩١	مصر
نشرة منظمة الصحة العالمية	١ ، ٢	١٩٨٩	مصر
أخبار التراث العربي	٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨	١٩٩٠	مصر
الأكادمية	٦	١٩٨٩	المغرب
الوثائق	٤ ، ٥ ، ٧	١٩٨٩	المغرب
الدراسات الإسلامية	١ ، ٢ ، ٤	١٩٩١	الباكستان
التعاون الاقتصادي	٤	١٩٨٩	تركيا
فرص التدريب في منظمة المؤتمر الإسلامي		١٩٩٢	تركيا
نشرة أخبار منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٧	١٩٩١	تركيا

جـ ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء محاسني

1 – Books:

1 – Sciences et Techniques en Islam, une Histoire illustreé Par Ahmad Y. al – Hassan et Donald R.Hill . – Paris: Unesco, 1991.
translated from English.

2 – Japan International Cooperation Agency, Annual Report, 1991. – Tokyo, 1991.

3 – Muslim Social Scientists of the Subcontinent, A bibliographic Survey/by Mohammad Ataur – Rahim . – Pakistan, 1990.

4 – Handbook of the Oromo language/by Mohammed Ali and Andrzej Zaborski . – Warszawa, 1990 (published by: Polska Akademia Nauk).

5 – World list of Social Science Periodicals, 1991/by Unesco . – Paris: Unesco, 1991.

6 – World Directory of Peace Research and Training Institutions, 1991/by Unesco . – Paris, 1991.

7 – Ninteenth Research report, with Theses and publications of American University of Beirut 1988 – 1990 . – Beirut, 1990.

8 – Classical Islamic Philosophy/by Taufic Ibrahim and Arthur Sagadeev translated from Russian by H.Campbell Creighton . – Moscow, 1990.

9 – De Ajusqu'a Tou Reflets Changeants Sur Méditerranée, Roman/Par Anouar Attia . – Paris, (1991).

10 – littérature d'idées/Par A.M.Chenoufi . – Tunis, 1989. (collection Sources).

11 – Adolescence et Identite/Sons la direction de Noureddine Kridis . – Marseille, 1990. (collection «Psychologie et Societé».)

12 – Méthodes innovatrices dans l'enseignement technologique/Par Unesco . – Paris, 1992 . – (Études sur la formation des ingénieurs.)

13 – Monumenti Antichi De Roma Nei Disegni De Alberto Alberti/Par Giovanna Maria Forni . – published by Accademia Nazionale Dei Lincei, Anno ccc LXXXVI, 1989 . – Roma, 1991. Serie VIII – volume XXXIII.

14 – Compte Rendu De la Soixante – Cinquième session Annuèlle Du Comité, Paris, Du 9 Au 15 Juin, 1991/Par Union Académique Internationale. – Bruxelles, 1991.

وكتب باللغة الفارسية :

١ – رياض السياحة/ تأليف حاجي زين العابدين شيرواني.– موسكو : شعبة أدبيات خاور ، ١٩٧٤ ، المجلدات ١ –٣ .

٢ – حقيقة الحقايق ، شاهيّه في التلويح إلى ترجيح المسالك النعمة اللهيّه/ تأليف حاجي زين العابدين شيرواني .– موسكو : شعبة أدبيات خاور ، ١٩٨١ .– المجلدان ١ ، ٢ .

ثانياً : المجلات :

1 – Folia Orientalia, published by: Polska Akademia Nauk .– Warszawa, 1991. – Vol. XXVII, 1990, Vol. XXVI 1989.

2 – Coree, publ. by: la Republique populair Democratiqu De Coree, No. 386, April, 1992.

3 – Hamdard Islamicus, publ. by: Hamdard Foundation Pakistan, Vol. XIV No.2, Summer 1991.

4 – Muslim education quarterly, spring issue, vol.8, No.3, 1991, and Summer Issue, No.4, 1991.

5 – Names, Journal of the American Name Society, publ. by University of South Dakota, vol.39, No.3, September 1991.

6 – Sources, publ. by: Unesco, Nos. 34, 37, Fevrier & Mai, 1992.

7 – ABN Correspondence, Bulletin of the Anti – Bolshevic Bloc of Nations, vol. XLIII, Nos. 1 – 2, January – April, 1992.

8 – Islamic Studies, quarterly Journal, publ. by Islamic Research Institute, Pakistan, vol. 30, Winter and Autumn 1991, Nos. 3, 4.

9 – Jama, Middel East, the Journal of the American Medical Association, vol. II, No. 6, June, 1992.

10 – Espana, 1992, Revue d'information de L'O.I.D, Nos. 218, 220, 221, Fevrier et Avril et Mai 1992.

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

ــ فهارس مجلة المقتبس ، وضع رياض عبد الحميد مراد .
ــ إعراب الحديث النبوي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق عبد الإله نبهان .
ــ شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي، (ج٢)، تحقيق د. محمد علي سلطاني.
ــ معجم المصطلحات الحديثية ، للدكتور نور الدين العتر .
ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم ــ عائذ) تحقيق د. شكري فيصل .
ــ محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي ألقيت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده).
ــ نص مستدرك من كتاب العبر ، تحقيق رياض مراد .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج١ ، وضع محمد رياض مراد .
ــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران ــ عبد الله بن قيس) ، طبعة مصورة عن مخطوطة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

ــ تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور يوسف العش ، مراجعة سماء المحاسني .
ــ تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد ، تحقيق محمد مطيع الحافظ .
ــ عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، لمحمد خليل المرادي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .
ــ محمد أسعد الحكيم ، للدكتور عدنان الخطيب .
ــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج١ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة) ، وضع مصطفى سعيد الصباغ .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٢ ، وضع محمد رياض المالح .
ــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج١ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج٢ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري ، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .
ــ شعر أبي هلال العسكري ، جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ ـ ٢) ، تحقيق نعمة الله القوجاني .
ـ تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية) ، تحقيق محمد بهجة الأثري .
ـ المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي ، تعليق محمد المصري .
ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج١ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .
ـ القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ، لعبد اللطيف الطيباوي .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ،
تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
ـ شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) ،
تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب)
تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
ـ كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
ـ التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ،
تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
ـ شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
ـ كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ،
تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
ـ زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

الجزء الرابع ٤٤٦ المجلد السابع والستون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ربيع الآخر ١٤١٣هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٢م

الاحتفاء بمرور خمس مئة سنة

على وفاة الامام السيوطي

الدكتور شاكر الفحام

كان الإمــام جــلال الدين عبــد الرحمن الســيـوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) من أشهر علماء عصره ، وأبعدهم أثراً في خالفيه .

نشأ في القاهرة ، مستودع الحضارة العربية الإسلامية ومستقرها ، وأعلى مناراتها الهاديات ، فأقبل على التعلم إقبال منهوم مشغوف ، وقد رُزق الموهبة ، وأُوتي الجلد والصبر والمثابرة ، فما عرف الكلال سبيلاً إلى نفسه . وكان متوقد الذهن ، حيَّ الذاكرة : حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين . ثم حفظ جملة صالحة من المتون ، وشرع من بعدُ في الاشتغال بالعلم ، في مستهل سنة ٨٦٤هـ ، فقرأ على أكابر علماء عصره . وبدأ التأليف في سنٍّ مبكرة ، فألف شرح الاستعاذة والبسملة ، وشرح الحيعلة والحوقلة في زمن الطلب سنة ٨٦٥هـ ، وهو ابن ست عشرة سنة . وحظي بتشجيع أستاذه البلقيني فزاده ذلك ثقة بنفسه ، وأجيز بتدريس العربية سنة ٨٦٦هـ[١] ، وقد انتصب للتدريس في سنة ٨٧٠هـ ، وتصدى للإفتاء في سنة ٨٧١هـ ، وأملى الحديث سنة ٨٧٢هـ ، وتولى تدريس الحديث بالمدرسة الشيخونية سنة ٨٧٧هـ[٢] .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ ، ٢٣٩ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٦ - ١٥٧

(٢) التحدث بنعمة الله : ٨٨ - ٩١ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، مقامات السيوطي ١ : ٥٥٤

وكان السيوطي واسع الثقافة ، طُلَعة ، امتدت لديه آفاق المعرفة ، وبرع في علوم شتى . ولكنه ، كما يذكر عن نفسه ، قد رزق التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع[٣] . وقد أكبَّ على التأليف حتى بلغت مؤلفاته حين ألف كتابه حسن المحاضرة نحو (٣٠٠) كتاب ، سوى ما غسله ورجع عنه[٤] . وعدّد السيوطي كتبه في أحد فهارسه ، فبلغ بها (٤٦٠) كتاب[٥] . ثم تجاوز مترجموه هذا العدد ، فبلغ بها بعضهم نحو ست مئة كتاب .

وتتجلى في مؤلفاته هذه الثقافة العريضة المتنوعة ، وقد نالت القبول والحظوة ، فانتشرت في البلاد ، وسارت بها الركبان ، وعلا صيتُ صاحبها ، وتألق نجمه ، ولقي ما لقي من التجلة والإكبار[٦] . وملأه الإعجاب بما كتب : « ... كتبي التي أصوغها صوغ الذهب ... ثم تطبّق الدنيا بعداً وقرباً ، وتسير إلى الآفاق شرقاً وغرباً ... وما في المشرق والمغرب الآن أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي ، ... فليس في الإسلام قطر إلا وقد وصلت تصانيفي إليه ، ولا مصر إلا وتجد شيئاً من كتبي لديه ، ووصلت إليّ من علماء الأمصار المطالعاتُ والرسائل .... »[٧] . وقد بلغ به الاعتداد بما كتب أن قسم مؤلفاته سبعة أقسام جعل قسمها الأول ما تفرد به من الكتب مما لم يؤلف له نظير في الدنيا ، وسرد في هذا القسم ثمانية

(٣) التحدثُ بنعمة الله : ١٣٨ ، ٢٠٣ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٤) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٥) مجلة عالم الكتب ، مج١٢ ، ع٢ ، ص ٢٣٥ – ٢٤٢

(٦) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٥٥ – ١٥٩ ، مقامات السيوطي ١ : ٥٩٩ – ٥٦٣

(٧) مقامات السيوطي ١ : ٣٩٧ ، ٤١٩ ، ٢ : ٦٨٧

عشر مؤلفاً[٨]

وكان السيوطي يحرص في كتبه على ذكر موارده ومناهله ، لا يُغفل ذلك إلا قليلاً : « وقد علم اللهُ والناسُ من عادتي في التأليف أني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ، ونسبته إلى ناقله ، أداء لشكر نعمته ، وبراءة من دركه وعهدته »[٩] .

وإذا كان السيوطي في مسلكه هذا إنما يؤدي حق العلم ، ويلتزم الجادة التي سلكها السلف الصالح ، فقد أتاح له ذلك أيضاً أن يُطلع الآخرين على ما رُزقه من بسطة في العلم ، وإحاطة بما لم يحط به سواه ، وقدرةٍ لا تبارى في الكشف عن نوادر المصادر وأعلاقها النفيسة .

ورأى السيوطي ، وهو من هو علماً ومعرفة ، أن قد كملت له آلات الاجتهاد ، وأنه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق[١٠] . وخال أنه المبعوث على رأس المئة التاسعة ليجدّد لهذه الأمة دينها[١١] . « وقد ترجّى الفقيرُ من فضل الله أن ينعم عليه بكونه هو المجدّد على رأس المئة . وما ذلك على الله بعزيز »[١٢] .

---

(٨) التحدث بنعمة الله : ١٠٥ – ١٠٦

(٩) مقامات السيوطي ١ : ٥٦٢ – ٥٦٣

(١٠) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٩٩ – ٢٠٠ ، ٢٠٥ – ٢١٤ ، مقامات السيوطي ١ : ٣٨٨ – ٣٨٩ ، ٢ : ١٠٥٢ – ١٠٥٤ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ومما قاله الشهاب ابن حجر الهيتمي : « لما ادعى الجلال ذلك قام عليه معاصروه ، ورموه عن قوس واحدة ، وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل ... » (فيض القدير ١ : ١١ – ١٢) .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ١٥١ ، مقامات السيوطي ٢ : ٦٧٣ – ٦٧٥ ، ٦٨٦ – ٦٨٧ ، ٩٥٨ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ٢ : ٢٨٢

(١٢) التحدث بنعمة الله : ٢٢٧

« وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وَعَدْ
وقد رجوتُ أنني المجدّدُ فيها ففضلُ الله ليس يجحدُ[١٣] »

وكانت هذه الدعوى سبب الخصومة والتنازع بين السيوطي وطائفة من علماء عصره رفعت في وجهه راية الأنكار ، وسلقته بألسنة حداد ، فتصدى لها منددًا بلسان سليط لاذع ، فهجا وسخر وجهّل ، ثم فاخر بنفسه ، وباهى بعلمه ومكانته : « ... على أن لي لساناً لو مددته لوصل إلى جبل قاف ، ولو نشرته لنسف رمال الأحقاف ، ولو أدخلته البحر المحيط لكدّره ثم سجره ، ولو أصعدته الجوّ لغبّره ثم سعره ... »[١٤] .

وخلّفت المعركةُ فيما خلفته آثاراً للسيوطي تتبين فيها حدته وسخريته وذهابه بنفسه ، منها : الدوران الفلكي على ابن الكركي ، وطرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، والكاوي في تاريخ السخاوي ، والمقامة الكلاجية في الأسئلة الناجية ، والمقامة المزهرية[١٥] ....

وشدّد خصوم السيوطي عليه الخناق ، وألّبوا عليه الناس والسلطان ، وأنهكته المعركة وهدّت قواه ، فآثر الانسحاب من الميدان ، وأوى إلى العزلة ، وقطع علائقه بالناس ، وترك التدريس والإفتاء ، وزهد في المناصب كلها[١٦] ، واعتذر لمريديه ومحبيه لهذا الابتعاد عن المجتمع بأن الزمان « زمان الصبر ، الصابرُ فيه كقابض على الجمر ، رأينا فيه ما أنذر به الرسول ...

(١٣) فيض القدير ٢ : ٢٨٢
(١٤) مقامات السيوطي ٢ : ٦٢٠
(١٥) مقامات السيوطي ١ : ٣٧٠ – ٤١٩ ، ٢ : ٦١٦ – ٨١٧ ، ٩٣٣ – ٩٥٧ ، ٩٥٨ – ٩٧١ ، ١٠٤١ – ١٠٥٥ ، وانظر جملة أخرى من مؤلفاته في هذا الباب في المقامات ٢ : ٩٦٠ – ٩٦١ ، وقد وردت المقامة المزهرية في كتاب التحدث بنعمة الله (ص١٩٤ – ٢٠١) بعنوان : رسالة النجح في الإجابة إلى الصلح .
(١٦) مقامات السيوطي ٢ : ١٠٠١ – ١٠٠٦ ، ١٠٣٤

من آيات وعلامات ... وما من آية منها إلا وقد أمر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأن يلزم العالم عندها خاصة نفسه ، ويجلس في بيته ويسكت ... »[١٧] .

وعكف السيوطي على التأليف والتصنيف ، مشيحاً بوجهه عن الدنيا ، وكأنما كان يردد لنفسه ما كان سبق أن قاله : « ... وأيّ شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ... »[١٨] .

وظل التأليف ديدنه ودأبه ، والعزلة مذهبه ، حتى وافاه اليقين ، أحبَّ ما كان إلى الناس ، وآثره عندهم . وخلّف علماً عظيماً ، وكنوزاً من العلم نفيسة ، ما تزال منهل الواردين ، يعبون منها ما يروي ظمأهم إلى المعرفة .

وقد تنادت المؤسسات العلمية والأوساط الثقافية للاحتفاء بمرور خمس مئة عام على وفاة العالم الكبير السيوطي . وإن مجلة المجمع ليسعدها أن تشارك في الاحتفاء ، فتصدر هذا الجزء الذي تناول جوانب من سيرة الإمام السيوطي العالم الفذ ، وما كان لآثاره العلمية من شأن في إغناء المكتبة العربية .

ورجاؤنا أن يؤدي هذا الاحتفاء إلى قيام هيئة علمية تتولى نشر مؤلفات السيوطي المخطوطة ، وإعادة تحقيق المطبوع منها تحقيقاً علمياً ، لتكون منهل القاصدين من العلماء والمتعلمين ، يردون منها العذب النمير ، ويوالون النظر في آثار العالم الكبير إفادة منها ، ودراسة لها .

---

(١٧) مقامات السيوطي ٢ : ٩٩٨ ، وانظر المقامات ٢ : ١٠٠٠ – ١٠٠١

(١٨) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

الإمام جلال الدين السيوطي[1]

سيرة مختصرة

(٨٤٩ - ٩١١هـ)

الدكتور عبد الإله نبهان

كانت حياة السيوطي من ولادته إلى وفاته في عصر المماليك ، ولم يكن عصرهم عصر إبداع في العلم والأدب إنما كان عصر جمع ونقل وترتيب وتأريخ ، وظهر نبوغ السيوطي في هذه المجالات ، وكانت له مشاركة ما في الحياة العامة والرسمية ، لكنه قضى معظم أوقاته - وكان مباركاً له في وقته - في التصنيف والتأليف ، وكتب سيرة حياته بقلمه موجزةً ومطولة[2] ، وترجم له تلامذه من المحبّين[3] ، وخصومه من المبغضين[4] ، ولو كان لنا أن نكتب سيرة حياته كما يحبّ ، لقمنا بتعداد مؤلفاته الكثيرة ، فقد كانت الحياة عنده هي التصنيف في ضروب المعرفة وجمع العلوم ، ونظم

---

(١) موارد ترجمته : التحدث بنعمة الله للسيوطي . وحسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ له أيضاً والضوء اللامع ٤ : ٦٥ وبدائع الزهور ٤ : ٨٣ وشذرات الذهب ٨ : ٥١ والبدر الطالع ١ : ٣٢٨ .

(٢) سيرته المطوّلة هي التحدث بنعمة الله والموجزة ما كتبه عن نفسه في حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٣) من ذلك ما كتبه تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور ٤ : ٨٣ وكتاب تلميذه عبد القادر الشاذلي « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » وما يزال مخطوطاً قيد التحقيق وآمل إنجازه بعونه تعالى .

(٤) من ذلك ماكتبه السخاوي في الضوء اللامع ٤ : ٦٥ .

المتون وشرحها وكتابة التاريخ والتفسير وشرح الحديث ... فلا عجب بعد هذا أن نراه قد خصص القسم الأكثر من سيرته الموجزة وسيرته المطوّلة لتعداد مؤلفاته في علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وعلوم العربية ومتعلقاته والتاريخ ومايتصل به ، وكأن سيرته هي آثاره ، ولم يكن له اهتمام برواية أحداث حياته على نحو تفصيلي ، ولم يذكر زواجه ولا أولاده ولا متاعبه ، ولم يتسع في الحديث عن علاقاته مع أمراء زمانه ، ولم يذكرهم إلا لِماماً ، وألقى الشيخ كثيراً مما يهمّ كاتب سيرته وراء ظهره ، واقتصر على الحديث عن شيوخه ووالده ، مما له علاقة بالعلم والمعرفة والصلاح .

والسيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين أبي المناقب بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخُضيري السيوطي[٥] ، كان والده أبو بكر[٦] من أهل العلم والمعرفة ، فقد ولي القضاء بأسيوط قبل قدومه إلى القاهرة ، فلما قدمها لزم العلامة القاياتي[٧] وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق ، كما أخذ عن غيره من شيوخ زمانه كالحافظ ابن حجر[٨] وغيره ، وبلغ في صناعة التوقيع النهاية ، وهو الذي كتب نسخة العهد[٩] للخليفة المستكفي با لله أبي الربيع

---

(٥) اسمه ونسبه مختصراً عن حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٦) ترجم لوالده في حسن المحاضرة ١ : ٤٤١ وفي نظم العقيان : ٦٥ .

(٧) القاياتي محمد بن علي (٧٨٥ تقريباً ــ ٨٥٠هـ) قاضي القضاة العلامة النحويّ . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٠ ونظم العقيان : ١٥٤ .

(٨) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٧٧٣ ــ ٨٥٢هـ) مولده ووفاته بالقاهرة كان حافظ الإسلام في عصره . البدر الطالع ١ : ٧٩ . نظم العقيان ٤٥ .

(٩) انظر صورة العهد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥١١ وانظر ترجمة المستكفي في الموضع نفسه .

سليمان بن المتوكل ، وكان إماماً له .

تفيدنا هذه الإشارات التي أوردها السيوطي مجتمعة أو مفترقة ، في معرفة نشأته الأولى ، فمنها عرفنا أنه نشأ في كنف والدٍ له بالعلم عناية ، وله عنده رعاية ، وأنه كان على صلةٍ بالخليفة إماماً له ، فلا عجب بعد ذلك أن امتلأت نفس الفتى - وهو يسمع عن أبيه مايسمع - إعجاباً بوالده ، وعزماً على أن يسير على سننه ، ويبالغ في طلب العلم ، بعد أن عزّزت ذلك في نفسه دواعٍ أُخر .

ولد السيوطي في القاهرة ليلة الأحد مستهلّ رجب عام ٨٤٩هـ - ١٤٤٥م في أيام حكم السلطان الظاهر سيف الدين جُقمق[١٠] (٨٤٢ - ٨٥٧هـ) وسمّاه والده عبدَ الرحمن ، ولقبه جلالَ الدين ، ويُستفاد مما كتبه السيوطي بعد ذلك عن نفسه[١١] ، أنه دُفع في طريق العلم منذ نعومة أظفاره ، فإنه ذكر أنّ والده توفي وله من العمر خمس سنين وسبعة أشهر ، وقد وصل في حفظه القرآن إلى سورة التحريم .. وتابع السيوطي بعدئذٍ مسيرة حياته مشمولاً برعاية نفرٍ من العلماء أصحاب أبيه ، منهم العلامة كمال الدين بن الهمام[١٢] ، الذي طلب جلالَ الدين عقب وفاة والده وقرره في وظيفة الشيخونية[١٣] بعد أبيه ، وكان والد السيوطي مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني ، وهكذا رُسم خط سير حياة اليتيم وهو مايزال صبياً لّما يبلغ

(١٠) جقمق : حسن المحاضرة ٢ : ١٢١ .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٦ .

(١٢) ابن الهمام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين (٧٩٠ - ٨٦١هـ) كان علاّمة محققاً جدلياً نظاراً . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ .

(١٣) ذكرها السيوطي عدة مرات في حسن المحاضرة ١ : ٣٩٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٨٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

السادسة من عمره بعد .

ويبدو أن جلال الدين طبع منذ صغره على الدأب والمثابرة ، فلا سبيل للملل إلى نفسه ، ولا تصرفه صوارف الحياة التي تشغل أترابه وتملأ أوقاتهم ، وقد وهب ذاكرة قوية ، وقدرة على الحفظ سريعة ، فما كاد يبلغ الثامنة حتى ملأ بالقرآن الكريم صدره حفظاً ، وأتبع ذلك بحفظ عدة متون في علوم مختلفة كعمدة الأحكام[١٤] ومنهاج النووي[١٥] وألفية ابن مالك[١٦] ومنهاج البيضاوي[١٧] ، ويقول السيوطي إنه عرض المتون الثلاثة الأول عام ٨٦٤هـ على شيخ الإسلام علم الدين البُلْقيني[١٨] وعلى شيخ الإسلام شرف الدين المناوي[١٩] وعلى قاضي القضاة عز الدين الحنبلي[٢٠] وعلى شيخ الشيوخ أمين الدين الأقصرائي[٢١] ، وغيرهم . وتلقّى منهم

(١٤) هنـاك عـدة كتب بهذا العنوان أحدها في الفروع لابن قدامة الحنبلي ت ٦٦٠هـ ، والثاني في الحديث لابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ وأظنه يريد هذا الأخير . كشف الظنون ٢/١١٦٤ .

(١٥) منهاج النووي هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الفقه الشافعي للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ . كشف الظنون ٢ : ١٨٧٣ .

(١٦) الخلاصة الألفية ، اختصرها من مطولته الكافية الشافية .

(١٧) منهاج البيضاوي وهو : منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ ، كشف الظنون ٢ : ١٨٧٨ .

(١٨) علم الدين البُلقيني : صالح بن عمر (٧٩١ - ٨٦٨هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٤ ونظم العقيان ١١٩ وشذرات الذهب ٧ : ٣٠٧ .

(١٩) شرف الدين المناوي (٧٩٨ - ٨٧١هـ) شرف الدين يحيى بن محمد ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٥ .

(٢٠) عز الدين الحنبلي : أحمد بن إبراهيم بن نصر الله ، قاضي القضاة (٨٠٠ - ٨٧٦هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٨٤ .

(٢١) الأقصرائي أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم (٧٩٥ - ٨٨٠هـ) . =

الإجازة ، وما نظنّ السيوطيّ إلا صادقاً فيما أخبر به عن نفسه ، فمن أتمّ حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة ، كان على إتمام هذه المتون في الخامسة عشرة أقدر ، ومن سار هذه السيرة المباركة في طلب العلم كان جديراً أن تتفتّح أمامه سُبُله ، وتذلّل حزونه ، وتلين صعابه ، ولا سيّما أن شيوخه ، وهم شيوخ زمانهم آنذاك ، يرعونه بعين الرأفة ، ويحوطونه بالعناية ، ويحفظون به وصية والده الصالح ... وكان جلال الدين يعتقد بعد أن أجيز بمحفوظاته أنه لم يبدأ الاشتغال بالعلم بعد ، وإنما كان في طور التأسيس . وطرائقهم في ذلك الزمان أن يحفظ الطالب المتن ، فإذا أتقن حفظه ، مدّوا له أسباب الفهم بالشرح ، لذلك رأيناه يحفظ ألفية ابن مالك ويجاز بها عام ٨٦٤هـ ، ثم يقول إنه قرأها في العام نفسه بعد ذلك على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي[٢٢] الإمام بخانقاه شيخو قراءةَ دراية من أولها إلى آخرها ، فأجيز بالإقراء والتدريس سنة ٨٦٦هـ . وبدأ اشتغاله بالعلم بعد إجازته بالحفظ بقراءة علم الفرائض على علامة زمانه في فنّه – كما يذكر – وهو شهاب الدين الشارمساحي[٢٣] ، وكان ذلك عام ٨٦٥هـ . وقرأ صحيح مسلم رواية على الشيخ محمد بن موسى الحنفي وسمع عليه الشفا[٢٤] ، وكانت نهاية ذلك مستهلّ سنة ٨٦٦هـ إذ أجيز كما تقدّم .

= انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره . نظم العقيان : ١٧٨ وحسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ .

(٢٢) شمس الدين محمد بن موسى بن محمود ، إمام الشيخونية ، ورد ذكره في كتاب التحدث بنعمة الله : ٦٨ ، ٢٣٧ .

(٢٣) الشارمساحي : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٦٥هـ) نظم العقيان : ٤٣ والتحدث بنعمة الله : ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢٤) الشفا في تعريف حقوق المصطفى لعياض بن موسى القاضي اليحصبي ت ٥٤٤هـ .

وكان جلال الدين يحضر في هذه السنّ عدة مجالس علم ، ويقرأ في الوقت نفسه على عدة شيوخ ، ويخيّل إلى الناظر في سيرته وفي مسموعاته وفي مقروءاته وفي أسماء شيوخه ، أن الرجل كان لا يكاد ينام ، فهو ينهل من العلم قراءةً وسماعاً بنهم بالغ ، فإذا ماخلا بنفسه استظهر ماقرأ ، وأخذ يجرب التصنيف ، ففي المدة المشار إليها آنفا كان يقرأ على الشيخ شمس الدين الحنفي[٢٥] خازن الكتب بالشيخونية ، قرأ عليه متن الكافية لابن الحاجب[٢٦] ، وشرح الكافية لابن الحاجب أيضاً ، وقرأ عليه مقدّمة إيساغوجي في المنطق وشرحها للكاتي[٢٧] ، وقطعةً من كتاب سيبويه ، وسمع عليه « شافية ابن الحاجب » وشرحها للجاربردي[٢٨] .. وفي الوقت نفسه كان السيوطي يكتب مسودات تصانيف ، فكتب شرحاً منثوراً « للآجُرُّومية »[٢٩] أتبعه بشرح منظوم ، وشرح كتاب « الجمل »

---

(٢٥) شمس الدين الحنفي : محمد بن سعد المرزباني . خازن الكتب بالشيخونية ذكره في التحدث بنعمة الله ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ .

(٢٦) ابن الحاجب : عثمان بن عمر . ولد في الصعيد وتوفي في الإسكندرية عام ٦٤٦ . بغية الوعاة ٢ : ١٣٤ .

(٢٧) إيساغوجي : لفظ يونانيّ معناه الكليات الخمس ، أي : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق .. وصنف فيه كثيرون منهم فرفريوس الصوري وعبد اللطيف البغدادي . وشرحه المشار إليه هنا هو شرح حسام الدين حسن الكاتي المتوفّى سنة ٧٦٠هـ (كشف الظنون ١ : ٢٠٦) .

(٢٨) الجابردي : أحمد بن الحسن فخر الدين . توفي في تبريز عام ٧٤٦هـ بغية الوعاة ١ : ٣٠٣ .

(٢٩) الآجُرّومية : متن نحوي شديد الإيجاز ، وضعها ابن آجُرُّوم (٦٧٢ – ٧٢٣هـ) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي . مولده ووفاته بفاس . وذكر الزركلي أن آجُرُّوم معناه بلغة البربر الفقير . الأعلام ٧ : ٣٣ ط ٤ .

للزجاجي[٣٠] ، ووضع شرحاً على الكافية الكبرى لابن مالك[٣١] . وكتب غير ذلك ، ثم غسل ماكتبه كلّه .. وليس من شك في أن جلال الدين كان يجرب مقدرته في التأليف ، ويدرّب قلمه ، وقد ملأت نفسه المطامح في أن يكون مؤلفاً يذكره التاريخ في أعلام رجاله ، وتدلّ أسماء مؤلفاته التي غسلها على توجّهاته ، وعلى الطريقة التي سيتّبعها بعد ذلك في مؤلفاته ، فإنه سيكون شأنه شأن علماء عصره في اتجاههم إلى شرح المتون ووضع الحواشي وجمع ما تفرق وإعادة تصنيفه ..

ونعود إلى سيرة جلال الدين الذي انصرف في شوال عام ٨٦٥هـ إلى الفقه ، ولزم دروس شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ، وشرع بالقراءة عليه ، فقرأ جملةً من كتب الفقه لم يتمّها ، وإنما كان يقرأ من كل كتاب قسماً ، فقد قرأ عليه قطعة من كتاب « التدريب » لسراج الدين عمر البلقيني الشافعي ، بدأ من أوّله وانتهى إلى كتاب الزكاة ، وكذلك قرأ من أوّل « التنبيه »[٣٢] إلى الزكاة ، وسمع قطعةً من « الروضة »[٣٣] من باب القضاء ، وقطعة من « التكملة »[٣٤] للزركشي من إحياء الموات إلى نحو

---

(٣٠) الزجاجي : أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق . عاش ببغداد ، وتوفي بطبرية ، وكتابه الجمل ، كتاب موجز في النحو ، له شروح كثيرة بعضها مطبوع . بغية الوعاة ٢ : ٧٧ .

(٣١) ابن مالك : أبو عبد الله محمد بن عبد الله . ولد بجيّان بالأندلس . وتوفي بدمشق عام ٦٧٢هـ . بغية الوعاة ١ : ١٣٠ .

(٣٢) التنبيه : في فروع الشافعية ، للشيخ أبي إسحاق الشيرازي إمام الشافعية في عصره . توفي سنة ٤٦٧هـ . كشف الظنون ١ : ٤٨٩ .

(٣٣) الروضة : في فروع الشافية = روضة الطالبين وعمدة المتقين للإمام يحيى بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦هـ .

(٣٤) التكملة : تكملة شرح المنهاج للنووي . صنفها بدر الدين محمد بن عبد الله

الوصـايا ، كما سمع عليه من أول « الحاوي الصغير »[٣٥] إلى باب العدد ، ومن أوّل كتاب « المنهاج »[٣٦] إلى الزكاة . وفي هذه السنة استيقظت في نفسـه شهوة التصنيف ، فقادته أفكاره إلى أن يصنّف تصنيفاً يشرح فيه الاستعاذة والبسملة ، وتصنيفاً آخر يشرح فيه الحوقلة والحيعلة ، وقدّمهما إلى شيخه البلقيني ، ورغب الشيخ في تشجيع تلميذه والأخذ بيده ، ودفعه في طريق التصنيف ، فأخذهما ووقف عليهمـا ، وكتب له تقريظاً ، وفرح السيوطيّ بذلك ، واعتز بتقريظ شيخه ، وإن اعترف بعدئذٍ أنه لم يرض عنهما ، قال « وهذان الكتابان وإن اشتملا على فوائد يبتهج بها المبتدئ ، فـإني لا أعتـبرهما الآن ، ولولا أنّ شيخنـا شيخ الإسـلام وقف عليهمـا وشرّفهما بخطّه لغسلتهما في جملة ماغسلته »[٣٧] .

ولم يلبث شيخه البلقيني أن أجازه بالإفتاء والتدريس في شوال عام ٨٦٦هـ ولما يبلغ من العمر الثامنة عشرة ، وتأهب لشغل منصبه مكان أبيه ، مدرسـاً للفقه بالجامع الشيخوني . وطلب من شيخه أن يسمح له بمباشرة الدرس بنفسـه ، فأجيب إلى ما أراد ، ولبّى شيخه شيخ الإسلام البلقيني طلب تلميذه السيوطي فحضر عنده في أول يوم تشريفاً له ، كما جرت العادة بذلك ، واحتفل السيوطي لدرسـه الأول ، وتأهب له وأعد عدّته ، فإن عليه أن يثبت أنه بالتدريس جدير وعليه قدير أمام شيخه وأمام

=الزركشي ت ٧٩٢هـ وهو صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . انظر كشف الظنون ١ : ١٨٧٤ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٨ .

(٣٥) الحاوي الصغير في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي ت ٦٦٥ ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية .

(٣٦) انظر الحاشية رقم ١٥ .

(٣٧) بهجة العابدين ص ١٧ (مخطوط جستربيتي) .

الحضور ، وكانت نفسه مفعمةً بالرهبة من جلال الموقف ، وخاصة أنه لما أُعلم الناس أن شيخ الإسلام سيحضر درسه كذبه بعضهم ، وهو يقول « فلم يصدّقْ أكثرُ الحسَدة »[٣٨] وذهب وزار مقام الإمام الشافعي وتوسل به ودعا ربّه أن يأخذ بيده .

وفي يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة ٨٦٧هـ حضر شيخ الإسلام البلقيني ومعه نفر من الشيوخ ، وحضر جمهور من طلبة العلم وجمهور من الحسدة ليشهدوا أول درس لجلال الدين .

وكان السيوطي أعدّ خطبةً يفتتح بها درسه ، ولم يجد أنسب من أن يفتتح درسه بخطبة الإمام الشافعي التي صدّر بها كتابه العظيم « الرسالة »[٣٩] وهي خطبة اشتملت على نفيس الكلام وبديع القول ، وصيغت بأسلوب رائع وعبارة معجبة بليغة ، فلا بدع أن كانت تحفظ وتفتتح بها الخطب أو الدروس ، لذلك سار السيوطي على سنن شيخه البلقيني الذي كان يسير على سنن أبيه وأخيه في الافتتاح بها ، وسرّ البلقيني من افتتاح الدرس بخطبة الإمام الشافعي ، ولم يحدثنا السيوطي عن وقع درسه على نفوس الناس ، ويبدو أنه كان راضياً عن نفسه ، مطمئناً إلى ما قدّمه بين يدي شيخه وحضور درسه من الفضلاء والشيوخ .

لم يحدثنا السيوطي عن دروسه ولا عن تلاميذه في هذه المرحلة ، بل إنه أصرَّ في سيرته على أنه لم يتوانَ في طلب العلم ، وفي السعي إلى مجالسه ،

---

(٣٨) المرجع السابق : ص ١٨ .

(٣٩) كتاب الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ ـ ٢٠٤ هو أول كتاب ألف في أصول الفقه . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث أيضاً . انظر الرسالة : المقدمة : ١٣ .

وفي إقذاء الجفون بالسهر لتحصيل أوابده وجمع شوارده ، وكان – رحمه الله – يتبع نظاماً صارماً في حضور مجالس العلم ، فإنه لم ينقطع عن دروس شيخه البلقيني إلى أن توفي ، ولعلّه من المفيد أن أدع السيوطي يتحدث عن نظامه قال :

« واستمررت بعد ذلك – بعد الإجازة – ملازماً لدروس شيخنا شيخ الإسلام ، فلم أنفك عنه إلى أن مات ، وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشُمُنّي[٤٠] ، فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت والاثنين والخميس . وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين[٤١] بكرةً ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافِيَجي »[٤٢] وواضح أن السيوطي بعد أن ألقى درسه الأول لم يتفرّغ للتدريس ، وربما كان درسه الذي ألقاه مجرد إشعار بكونه مجازاً ثم تابع طلب العلم ، ربّما كان يدرّس درساً كل أسبوع أو درسين ؟ ولكن لا سبيل إلى الجزم بذلك ، كلّ ما يمكن أن نؤكده أنه كان منصرفاً إلى الشيوخ وإلى طلب العلم ، فقد ذكر اشتغاله على الشيخ شمس الدين

---

(٤٠) الشُمنّي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري (٨٠١ – ٨٧٢هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ وبغية الوعاة ١ : ٣٧٧ .

(٤١) سيف الدين الحنفي : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري (٨٠٠ – ٨٨١هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ وبغية الوعاة ١ : ٢٣١ وشذرات الذهب ٧ : ٣٣٢ .

(٤٢) النص من بهجة العابدين ص ١٨ – ١٩ (نسخة جستربيتي) ومحيي الدين الكافِيجي هو محمد بن سليمان بن سعد قال عنه السيوطي : أستاذ الدنيا في المعقولات . ولد قبل سنة ثمانمائة وتوفي سنة ٨٧٩هـ . حسن المحاضرة ١ : ٥٤٩ .

الحنفي خازن الكتب بالشيخونية ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين[٤٣] ، كما لزم دروس شيخ الإسلام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن محمد المناوي[٤٤] قاضي القضاة ودروس العلّامة سيف الدين محمد بن محمد الحنفي وسمع عليه : الكشاف والتوضيح وحاشية الشيخ عليه ، وشرح الشذور وتلخيص المفتاح والعضد[٤٥] ، كما أنه لزم دروس الشيخ محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافِيجي الحنفي الرومي ، فأخذ عنه الفنون قراءةً وسماعاً من تفسير وحديث وأصول دين وأصول فقه وعربيةٍ ومعان ، وسمع عليه الكشاف وحواشيه والمغني وحاشيته[٤٦] وغير ذلك من الكتب ، وكانت ملازمة السيوطي لشيخه هذا أربعة عشر عاماً واستفاد منه كثيراً ، قال « مادخلت إليه يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة[٤٧] » وهذا الشيخ أجاز السيوطي بتدريس سائر

---

(٤٣) ذكره صاحب بهجة العابدين نقلاً عن السيوطي ص ١٩ والنص في التحدث بنعمة الله ٢٤١ .

(٤٤) انظر الحاشية ١٩ .

(٤٥) الكشاف للزمخشري ، والتوضيح لابن هشام ، وهو المعروف بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . (كشف الظنون ١ : ٥٠٨) . وشرح الشذور في النحو لابن هشام ، وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني وهو في المعاني والبيان والبديع ، أما العضد فيبدو لي أنه يقصد به العقائد العضدية لعضد الملّة والدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ . وإذا كانت كلمة « العضد » قد حرّفت عن العضدي فالمقصود بها كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي المتوفى ٣٧٧هـ .

(٤٦) المغني هو مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، وعليه حواشٍ كثيرة .

(٤٧) التحدث بنعمة الله ٢٤٤ .

الفنون ، وقرره مدرساً للحديث بالشيخونية بعد وفاة الفخر المقسي[٤٨] .

وفي أثناء ملازمة السيوطي للكافيجي ، ظهرت من السيوطي بوادر تدلّ على انصرافه عن علوم المعقول ، وكان الإمام الكافِيجي من كبار العلماء بالمعقولات ، وذكر السيوطي أن شيخه صنّف كتاباً سماه « أنوار السعادة في علوم الكلام » وطلب منه أن يكتب له شرحاً ، لكنّ نفس السيوطي المنصرفة عن هذه العلوم أبت عليه ، وطلب من شيخه أن يعفيه من هذه المهمة ، وهذا الانصراف رغبة عن علم المعقول سيتحول إلى عداءٍ لهذه العلوم عند السيوطي فيما بعد ، وسيؤلف كتابه « صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام[٤٩] » . وتابع السيوطي طلب العلم موزّعاً في كل اتجاه ، فنراه يقرأ في علم الميقات والطب والفقه ، ويلازم الشُّمنّي من أول سنة ٨٦٨هـ ، ويأخذ عنه الحديث والعربية والمعاني ، وذكر أنه قرأ عليه قطعة من « المطوّل »[٥٠] و« التوضيح »[٥١] لا بن هشام ، ولـمّا كان السيوطي متعجلاً متلهفاً ليعدّ في المؤلفين ، وليسلك في نظام المصنفين ، فإنه قدّم شرحاً صنّفه على ألفية ابن مالك إلى شيخه الشُّمنّي فقرّظه ، وكذلك فعل لما قدّم له كتابه الآخر « جمع الجوامع في العربية »[٥٢] ولم

(٤٨) الفخر المقسي : عثمان بن عبد الله من فقهاء الشافعية . ورد ذكره في عدة مواضع في كتاب التحدث بنعمة الله : ١٠ ، ٩١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

(٤٩) صون المنطق والكلام طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧ بعناية علي بعناية علي سامي النشار وأعاد نشره سنة ١٩٧٠ في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٥٠) المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني (في البيان والمعاني والبديع) .

(٥١) التوضيح = أوضح المسالك .

(٥٢) جمع الجوامع في العربية : نشر مع شرحه (همع الهوامع) في مصر سنة ١٣٢٧هـ وفي الكويت بتحقيق د . عبد العال سالم مكرم .

ينفكّ السيوطي عن شيخه الشُّمنّي حتّى توفي في ذي الحجة عام ٨٧٢هـ فرثاه بأربع قصائد(٥٣) .

كان السيوطي حريصاً على الإجازات من العلماء ، وعلى السماع منهم والرواية عنهم ، فلا غرابة أن جمع معجماً كبيراً بلغ فيه تعداد شيوخه الذين سمع منهم أو أجازوه أو أنشدوه شعراً نحواً من ستمائة نفس(٥٤) .

وفي عام ٨٦٩هـ اتجه السيوطي إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ولم يفوّت في هذه الرحلة فرصة اللقاء مع العلماء والسماع منهم ، ومن الطريف أن السيوطي استفاد من الوقت وهو في السفينة ، فعمل على اختصار الألفية نظماً ، واختتم نظمه بقوله :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ... ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القُلْزم ... مسافراً للبلدِ المحرّم
وفي ربيعٍ لاح زهر نظمها ... وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي ... بعد ثمان مائةٍ للهجرةِ(٥٥)

وبهذه المناسبة ألف كتابه « النحلة الزكية في الرحلة المكية » . وبعد عودته من الحجاز قام برحلة إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما، وتحدث عن هذه الرحلة في كتابه « قطف الزهر في رحلة شهر » والسيوطي لا يهتم بما يشاهده الرحالة عادة ، ولا يهتم بذكر انطباعاته ، فالحياة عنده كلها قراءة وسماع ورواية وإجازة ولقاء رجال ، وكان يطرب ويُسرّ إذا مُدح من قِبل أحد العلماء ، ويروي ما مُدح به ، فقد ذكر في هذه الرحلة أن الشيخ

(٥٣) التحدث بنعمة الله : ٤٣ وبهجة العابدين : ٢٢ .
(٥٤) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .
(٥٥) المرجع السابق : ٨٤ .

الفاضل شمس الدين محمد بن علي العطائي سمع عشارياته وكتبها ، ثم مدح السيوطي وكتب له :

أرى شـــابـــاً مـــا أرى مثـــله ... في العلم والدين معاً والصلاحْ
تبسّـــم الثغـــر بـــه ضـــاحكـــاً ... وافـــترّ عن درّ وشـــهْـــدٍ وراحْ
شـــبهتـــه لمـــا بـــدا مقبـــلاً ... بالشيخ محيي الدين وابن الصلاح

ولاشك أن السيوطي قد سرّ كثيراً ، وامتلأ عجباً بنفسه ، لما شبّه بمحيي الدين النووي وابن الصلاح الشهرزوري(٥٦) .

ورجع جلال الدين إلى القاهرة ، ونصب نفسه للتدريس في شوال عام ٨٧٠هـ ، وتوافد عليه الفضلاء كما يقول ، وقرؤوا تصانيفه ومنهم من لزمه عشر سنوات ، وأقام بالقاهرة حتى وفاته ، ولم تكن له رحلة إلى غير ما ذكرناه ، أي رحلة الحج ورحلة دمياط والإسكندرية ، وإن أولع المحدَثون واهمين بذكر رحلات له أخر(٥٧) .

وكان السيوطي مولعاً بالحديث النبوي الشريف ، بروايته ودرايته ومصطلحه ، لذلك رأيناه يعقد مجلساً لإملاء الحديث الشريف بالجامع الطولوني(٥٨) ، ويقول : إنه جدد بذلك ماكان انقطع من عشرين سنة ، وجعل مجلس الإملاء بعد صلاة الجمعة ، وكان بدء ذلك يوم الجمعة

(٥٦) ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧ ـ ٦٤٣هـ توفي بدمشق أحد الفضلاء المقدّمين في الفقه والتفسير والحديث . وهو صاحب كتاب « معرفة أنواع الحديث » المعروف بمقدمة ابن الصلاح .

(٥٧) معظم الذين ترجموا له من المعاصرين وقعوا في هذا الوهم في مقدمات كتب السيوطي التي حققوها . انظر على سبيل المثال : المزهر ٢ : ٦٥٧ . الاقتراح في أصول النحو : ٨٣ ط د . فجّال . معترك الأقران ١ : ز .

(٥٨) الجامع الطولوني : بناه أحمد بن طولون ، وبدأ ببنائه سنة ٢٦٣هـ وفرغ منه سنة ٢٦٥هـ . انظر خطط المقريزي ٣ : ١٤٢ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٤٦ .

مستهلّ عام ٨٧٢هـ ، ولم يطل به الحال ، فإنه سرعان ما قطع الإملاء في شعبان سنة ٨٧٣هـ بسبب وقوع الطاعون[٥٩] .. ثم جدد مجلس الإملاء عام ٨٧٤هـ فأملى ثلاثين مجلساً ثم قطع ذلك .

وفي هذه المرحلة نفسها – والسيوطي يعمل موزعاً في شتّى الاتجاهات – بدأ بالإفتاء ، وكان البدء عام ٨٧١هـ أي عندما كان في الحادي والعشرين من العمر . وستتراكم هذه الفتاوى ليجمعها بعد ذلك في مجلدات ثلاثة .

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نتحدث عن السيوطي دون الإشارة إلى مؤلفاته ، إن مؤلفاته كانت نسيج حياته ، ومن خلالها وبها كان يؤكد ذاته ويعزز شخصيته ، ومن بداية حياته العلمية أراد أن يكون من المصنفين ، وأن يكون من المحدّثين ، وإلا فما معنى أن يعقد مجلساً لإملاء الحديث سوى أنه كان يتشبه بابن حجر[٦٠] أو بابن عساكر[٦١] ، وظنّ الأمر سهلاً ميسراً ، فعقد المجالس وتصدّرها ، لكن لم تلبث هذه المجالس أن انقطعت ، لماذا ؟ لا ندري ، ولكن نظنّ أن السيوطي والناس الذين يملي عليهم شعروا بعدم جدواها بعد أن تحمّسوا لها تقليداً للسلف الصالح ... وإذا صدّقنا مارمى به السخاويُّ السيوطيَّ من أنه جمع حوله طائفةً من العوام بجامع ابن

(٥٩) صنف السيوطي عدة رسائل في الطاعون منها : رسالة في الطاعون منها نسخة في المكتبة الصديقية بحلب ١٣٨ ومنها ما رواه الواعون في أخبار الطاعون منها نسخة في الظاهرية بدمشق . ١١٥٨ حديث وبدار الكتب المصرية ١٣٣ مجاميع ، ١٠٢ مجاميع وفي ليدن ٢/٤٥٥ والخزانة التيمورية .

(٦٠) انظر التعليق ٨ .

(٦١) ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله . محدّث الديار الشامية (٤٩٩ – ٥٧١) ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٧٣ .

طولون ، وأنه صـار يملي على بعضهم ممن لا يحسنُ شيئاً[٦٢] ، كان لدينا سبب آخر وجيه لتعليل وقف مجالس الإملاء .

كانت أمنية السيوطي أن يصل في الفقه إلى رتبة سراج الدين البلقيني ، وأن يصل في الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ، لذلك رأيناه – من خلال سيرته – يبالغ في قراءة الفقه وسماع الحديث ، بل يسرع في التصدّر لإملائه ، وقد ذكر أنه شرب ماء زمزم مستعيناً به لأمور من أهمّها أن يصل ببركته إلى رتبة هذين العلَمين في الفقه والحديث[٦٣] .

وكان السيوطي في مرحلة الطلب ، وفي المرحلة التي تلتها ، ملازماً للمدرسة المحمودية ، حتى إنّ السخاوي اتّهمه بالإغارة على كتبها وادعائها لنفسه ، وكان لهذه المدرسة مكانة مرموقة ، قال المقريزي « أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار في سنة ٧٩٧هـ ، ورتّب بها درساً وعمل فيها خزانة كتب ، لا يُعرف اليوم بديار مصر والشام مثلها ، وهي باقية إلى اليوم ، لا يُخرج لأحدٍ منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كلّ فن ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر[٦٤] » . وماندري ما نصيب تهمة السخاوي للسيوطي من الصحة ، ولا يمكننا إلا أن نحمل الأمر – وقد غبر الجميع – على أنه ضرب من الطعن الذي تمليه ظروف المعاصرة ، ولكن الحقّ الذي لا يمكن إنكاره ، هو أنّ السيوطيّ استفاد فائدةً عظيمة من هذه المكتبة ، حتّى إنه أراد أن يغيّر شرط الواقف ، وأن يقررّ السماح بالإعارة إلى خارجها ، وصنف في ذلك « بذل

(٦٢) الضوء اللامع ٤ : ٦٦ .

(٦٣) بهجة العابدين : ٢٣ .

(٦٤) خطط المقريزي ٣ : ٣٦٨ .

المجهود في خزانة محمود » .

إذن بدأ السيوطي حياته الرسمية عام ٨٧٢هـ = ١٤٦٧ م عندما تولّى منصب المشيخة في المدرسة الشيخونية ، ثم تولّى مشيخة الصوفية بتربة برقوق[٦٥] نائب الشام وذلك في ربيع الآخر سنة ٨٧٥هـ . وفي عام ٨٩١هـ انتقل إلى مشيخة الخانقاه البيبرسية[٦٦] وقد شغرت بوفاة متوليها ، فوليها السيوطي ، وسأدع السيوطي يحدّثنا بنفسه عن ولايته البيبرسية وعن مواقفه من السلطان ، قال : « ثم شغرت مشيخة الخانقاه البيبرسية بوفاة الشيخ جلال الدين البكري[٦٧] فأرسل إليّ السلطان – ويعني به الأشرف سيف الدين قايتباي[٦٨] (٨٧٢ – ٩٠١هـ) – فطلعت إليه وولاّنيها في ربيع الآخر من السنة ٨٩١هـ ، ولم أطلع إليه بعد ذلك مع إرساله إليّ مرات يطلب مني الطلوع أول كل شهر ، فأجبت قاصدَه بأني أحبّ سلوك طريق السلف ، فإنهم كانوا لا يترددون إلى الملوك إلا المرات اليسيرة في عمرهم ، فلما كان أول المحرم سنة تسع وتسعين [وثمان مئة] أتى قاصده إليّ يذكر أنه رسم بطلوعي إليه ، أنا وجماعة التربة ، فطلعت أنا والجماعة إليه ، ودخلت بطيلساني على العادة ، فقال : أنت مالكيٌّ حتى تتطيلس ؟ لأنه كان يظنّ أن الطيلسان مختصّ بمذهب المالكية ، لكون القضاة الأربعة لا يطلع منهم بالطيلسان إلاّ المالكيّ فقط ، وهذه عادة حدثت قريباً ، وكان

(٦٥) برقوق ابن أنص الملك الظاهر (٧٣٨ – ٨٠١هـ) أول من ملك مصر من المماليك الجراكسة .

(٦٦) الخانقاه البيبرسية : انظر خطط المقريزي ٣ : ٤٠٤ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٦٥ .

(٦٧) التحدث بنعمة الله ١٦٣ .

(٦٨) قايتباي : الأشرف قايتباي المحمودي . حسن المحاضرة ٢ : ١٢٢ .

في الزمن القديم إلى أيام السُّبكي[٦٩] الطيلسانُ شعارَ القاضي الشافعيّ ، وخاص به من بين القضاة ، وفي طبقات السبكي وغيرها إشارة إلى ذلك . فقلتُ له : الطيلسان سنّةٌ في كلّ مذهب ، لا يختصّ بالمالكية . فقال : هذا تكبّر وتجبّر ، وبالغ في التشديد . فقلت له : معاذ الله ، بل سنّة رسول الله ﷺ ، ثم إنه تأدّب في بقية المجلس ، وأحسن القول ، وصرف المعلوم المنكسر لي وللجماعة ، ثم رجعت من عنده . وكان بعد أيام بلغني أن إمامه إبراهيم بن الكركي قال له : ليس الطيلسان سنّة ، ولو كنت حاضراً وقال لك إنه سنّة ، لقلت له : إنّه سنّة اليهود . فقلت : إن كان ابن الكركي قال ذلك فقد كفر ، ولو كان حاضراً وقال ذلك لكفّرته بحضرته .. ثم ألفتُ مؤلفاً حافلاً سميته : الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان[٧٠] » ويتحدث السيوطي كثيراً عن مجابهته للسلطان ، وتأبيه عليه ، ويعتزّ بذلك ، وما ذلك إلا لأنه كان يعتقد أنّ أولي الأمر في أيامه لا حقَّ لهم بإمرة الأمة ، وأن العلماء – وهو منهم – هم الأحقّ بولاية هذا الأمر ، ويؤكد ما نذهب إليه ، ما ذكره تلميذه عبد القادر الشاذلي[٧١] أنه كان عنده في جامع

---

(٦٩) السبكي : علي بن عبد الكافي ، تقي الدين ، أبو الحسن ، قاضي القضاة (٦٨٣ – ٧٥٦هـ) ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى لابنه تاج الدين ٦ : ١٤٦ وقد صنعت ترجمة لحياته وجريدة لمؤلفاته ونشرتها مجلة التراث العربي بدمشق ، العدد ١٧ محرم ١٤٠٥/ تشرين أول ١٩٨٤ .

(٧٠) الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان = في وصف .. نشر في القدس بتحقيق أرازي . الجامعة العبرية ١٩٨٦ .

(٧١) عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي ، تلميذ السيوطي ، ومصنف كتاب « بهجة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين » توفي بعد سنة ٩٤٥هـ . ففي كتابه بهجة العابدين ص ٩١ ذكر حادثة جرت سنة ٩٤٦هـ . وهذا أصح مما ذكره الزركلي من أن وفاته سنة ٩٣٥هـ . الأعلام ٤ : ٤٣ وإيضاح المكنون ١ : ٢٠٢ .

طولون « عندما أتى إليه نقيب الجيش يونس الطويل وخاطبه على لسان الملك الأشرف قانصوه[٧٢] بسبب شكوى أهل البيبرسية فيه ، وقال له : كلّم السلطان ... فقال الشيخ في الجواب وهو متكئ بذراعه الأيمن على وسادته ، وهو في غاية الرياضة ، لم يتحرك ولم يختلج : مالي وللسلطان ؟ إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى عندي .. فقال له نقيب الجيش ثانياً من باب الإغلاظ عليه : أجب وليّ الأمر ، فقال الشيخ : اسكت وإلا أنني أفتي بكفرك وضرب عنقك .. مَنْ هم أولو الأمر ؟ نحن أولو الأمر ، أولو الأمر العلماء .. مثلُك يخاطبني بهذا الكلام ؟! »[٧٣] .

وخلاصة الكلام أن السيوطي ترك مشيخة البيبرسية ولم يعد إليها ، مع أن السلطان قانصوه الغوري عرض عليه أن يكون شيخ مدرسته التي أنشأها بقصبة القاهرة فلم يقبل ، وعرض عليه العودة إلى مشيخة البيبرسية فلم يقبل ، واعتزل الناس منصرفاً إلى التصنيف . قال تلميذه عبد القادر الشاذلي : « فكان – رحمه الله – من الزاهدين في مشيخة الصوفية بالغورية ، وفي مشيخة التصوف بالبيبرسية ، وفي مشيخة الحديث بالشيخونية ، وفي مشيخة التصوف بالبرقوقية .. وترك الجميع وزهد فيها ولم يلتفت إليها ، وكان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع تركته وأكل من ثمنها ، وبعثُ له كتباً كثيرة على يدي ، ولم يسأل مخلوقاً في شيءٍ من أمر الدنيا ، ولم يُعلم بحاله أحداً »[٧٤] وقضى السيوطي ما تبقّى له من أيامه في بيته يؤلف

(٧٢) قانصوه السلطان الغوري بن عبد الله الجركسي . بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥هـ . هزم أمام السلطان سليم العثماني وقتل في مرج دابق قرب حلب سنة ٩٢٢هـ . در الحبب ج٢ ق١ : برقم ٣٨١ والبدر الطالع ٢ : ٥٤ وشذرات الذهب ٨ : ١١٣ والأعلام ٥ : ١٨٧ .

(٧٣) بهجة العابدين : ٦١ – ٦٢ .

(٧٤) المرجع السابق : ٦٠ .

ويصنّف ، ويتردد عليه تلامذته والراغبون في علمه ، حتى كان ثاني عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ إذ داهمه المرض ، وكان ورماً شديداً في ذراعه اليسرى ، ومكث على ذلك سبعة أيام ، وتوفي سحرَ ليلة الجمعة في التاسع عشر من الشهر المذكور ، بمنزل سكنه وملكه بروضة مصر ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وصلّى عليه الناس بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة ، وصلّى عليه مرةً ثانية خلائق كُثر بسبيل المؤمنين ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن بحوش قوصون بخطّ باب القرافة في قبر والده الشيخ كمال الدين[٧٥] . ولما وصل نبأ وفاته إلى دمشق صلى عليه الناس فيها صلاة الغائب[٧٦] .

هذه سيرة السيوطي بإيجاز ، لم أعرض فيها لعلاقاته مع علماء عصره ، ولم أعرض لمؤلفاته ، ولم أتطرّق إلى تحليل دوافعه ورغباته في حياته ، ولم أناقش ما قيل فيه من مدح أو قدح .. لذلك كله رأيت أن أستوفي شيئاً ما مما أشرت إليه فيما يلي من هذا المقال .

إن من أقوى ما امتلأت به نفس السيوطي ، وفاض على قلمه رغبةً وتوقعاً ، وكاد يكون ادعاءً ، هو أنه مجدّد القرن التاسع ، وكان كثير اللهج بهذه الرغبة ، وفكرةُ مجدد القرن تستند إلى حديث نبويّ فحواه أن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر دينها ، وهذا المجدد لا يكون إلا مجتهداً ، فمن البدهي إذن أن تبدأ القضية بدعوى الاجتهاد ، وادّعاء الاجتهاد ليس سهلاً ، ولا يتمّ التسليم لصاحبه به إلا بعد لأي ، فكيف تمّ

(٧٥) المرجع السابق : ٨٤ .

(٧٦) مفاكهة الخلان ١ : ١٦٣ وذكر خطأً أنهم صلّوا عليه عام ٩٠٠ والصواب ماورد في الكتاب نفسه في أحداث ٩١١هـ .

للسيوطي ادّعاء الاجتهاد ، وهل سلّم له علماء عصره بما أراد ، وكيف بدأ ذلك ؟

في عام ٨٨٨هـ كان السيوطي يخوض جدالاً مع أحد علماء عصره في مسائل[٧٧] ، وانحرف الجدال إلى خلاف وتحول إلى ما يشبه الشجار ، وأخذ كل واحد من المتجادلين يطعن في الآخر ، وكان على رأس المشاحنين الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فلمّا استهلّ عام ٨٨٩ ، والأقوال تكثر في السيوطي ، والضجة حوله قائمة ، أثار خصومه قضية دعوى الاجتهاد ، ودعوه إلى المناظرة ، فرفض بحجّة أنه مجتهد وهم مقلدون ، والمجتهد لا يناظر إلا مجتهداً ، فاشتدّت الثائرة عليه حتى قدم الشيخ عبد القادر الطحطوطي وسعى بالصلح[٧٨] .. ووضّح السيوطي أنه لم يصرّح بدعوى الاجتهاد علناً ، وإنما ذكرها أولاً في بعض الكتب ، فلما أشهر هذا الأمرَ خصومُه ، عَدَّ ذلك نعمةً من الله يجب التحدث بها ، ورفع عقيرته بدعوى الاجتهاد في مواضع من كتبه ، وبدعوى التفرد في مقدمات كتب أخر ، ثم حدّد تبحره في سبعة علوم ، قال : « قد رزقت – ولله الحمد – التبحّر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والإنشاء

(٧٧) التحدث بنعمة الله ١٨١ وكان الخصام مع الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم المولود سنة ٨٢١هـ ، التحدث : ١٨٣ .

(٧٨) المرجع السابق ١٩٤ .

والترسّل[٧٩] » وتابع السيوطي تعداد العلوم التي أتقنها ولكن دون الأُول ، كالفرائض والقراءات والطب ، وذكر كراهيته لعلم الحساب وثقله على نفسه وضيق أخلاقه به ..

وذكر السيوطي العلوم التي بلغ فيها رتبة الاجتهاد المطلق ، فإنه بلغ هذه المرتبة في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبويّ وفي العربية ، وقلّ أن تجتمع صفة الاجتهاد في هذه الثلاثة لأحد ، وقد وصف بالاجتهاد المطلق أناس لم تجتمع فيهم هذه الأمور كما اجتمعت لدى السيوطي ، وعدّ منهم أبا إسحاق الشيرازي[٨٠] وأبا نصرٍ بن الصباغ[٨١] وإمام الحرمين[٨٢] وحجة الإسلام أبا حامد الغزالي[٨٣] .

وتمكنت دعوى الاجتهاد في نفس السيوطي وترعرعت ، ولم تلبث أن نبتت منها فكرة المبعوثية ، وهي أمنية ما زال السيوطي يرددها في نفسه حتى جهر بها في مواضع ، وتمنى أن يكون هو المبعوث على رأس المائة ليجدد للناس أمر دينهم ، واحتج بما رواه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة

---

(٧٩) المرجع السابق ٢٠٣ .

(٨٠) أبو إسحاق الشيرازي : إبراهيم بن علي العلاّمة المناظر (٣٩٣ – ٤٧٦هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٨٨ والأعلام ١ : ٥١ .

(٨١) أبو نصر بن الصباغ : عبد السيد بن محمد (٤٠٠ – ٤٧٧) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٣٠ ونكت الهميان ١٩٣ والأعلام ٤ : ١٠ .

(٨٢) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي (٤١٩ – ٤٧٨هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٢٩ والأعلام ٤ : ١٦٠ .

(٨٣) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، حجة الإسلام ٤٥٠ – ٥٠٥ طبقات السبكي ٤ : ١٠١ والأعلام ٧ : ٢٢ .

سنة من يجدّد لها دينها[٨٤] » . قال الحافظ أبو الفضل العراقي[٨٥] في تخريج أحاديث الإحياء[٨٦] : إسناده صحيح . وعدد السيوطي مَنْ يعتقد أنهم مجددو الدين خلال القرون الخالية ، فكان أولَهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز[٨٧] في رأس المائة الأولى ، والإمام الشافعي محمد بن إدريس[٨٨] في المائة الثانية ، وأبو العباس بن سريج[٨٩] في الثالثة ، أما مجدد المائة الرابعة فقد اختلف في تحديده ، فذهب بعضهم إلى أنه الشيخ الإمام أبو حامد الإسفرائيني[٩٠] وبعضهم ذهب إلى أنه الأستاذ سهل بن أبي سهل الصُّعلوكي[٩١] ، ومجدد الخامسة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[٩٢] ، ومجدد السادسة الإمام فخر الدين الرازي[٩٣] ومجدد السابعة تقي الدين بن

(٨٤) الحديث في شرح الجامع الصغير ١ : ١٢٥ عن أبي داود والحاكم ، وعن البيهقي في المعرفة عن أبي هريرة . حديث صحيح .

(٨٥) أبو الفضل العراقي : عبد الرحيم بن الحسين ، زين الدين ت ٨٠٦هـ .

(٨٦) طبع كتابه المذكور بذيل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٨٧) عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين (٦١ – ١٠١هـ) . تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ والأعلام ٥ : ٥٠ .

(٨٨) الشافعي محمد بن إدريس (١٥٠ – ٢٠٤هـ) . طبقات الشافعية ١ : ١٨٥ والأعلام ٦ : ٢٦ .

(٨٩) أبو العباس بن سريج : أحمد بن عمر (٢٤٩ – ٣٠٦هـ) فقيه الشافعية في عصره . طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ والأعلام ١ : ١٨٥ .

(٩٠) أبو حامد الإسفرائيني : أحمد بن محمد (٣٤٤ – ٤٠٦هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ والأعلام ١ : ٢١١ .

(٩١) الصُّعلوكي : سهل بن محمد بن سليمان ت ٣٨٧هـ . الأعلام ٣ : ١٤٣ .

(٩٢) انظر التعليق ٨٣ .

(٩٣) فخر الدين الرازي : محمد بن عمر (٥٤٤ – ٦٠٦هـ) الإمام المفسّر . طبقات الشافعية ٥ : ٣٣ والأعلام ٦ : ٣١٣ .

دقيق العيد[٩٤] ، أما مجدد الثامنة فهو الإمام سراج الدين البلقيني[٩٥] أو ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلي[٩٦] أو زين الدين العراقي ، وذلك لأن « تعيين المجدد إنما هو بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه[٩٧] » ويقول السيوطي عن نفسه بعد ذلك : « فنحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائه ، ولم يجئ المهديّ ولا عيسى ولا أشراط ذلك ، وقد ترجّى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه المجدد على رأس المائة ، وما ذلك على الله بعزيز[٩٨] » وكرر هذه الفكرة أو لنقل هذا الهاجس في مواضع عدة ، منها ما ورد بصيغة الترجي ، ومنها ما ورد بصيغة الادعاء ، ففي رسالته « رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة » يقول : « إني ترجيت من نعم الله وفضله ، كما ترجى الغزالي لنفسه ، أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحّر في أنواع العلوم .. وقد اخترعت علم أصول اللغة وورّثته ، ولم أُسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه ، وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى البحر المحيط ، ولا مشاركة لي في مجموع

(٩٤) ابن دقيق العيد : محمد بن علي (٦٢٥ – ٧٠٢هـ) . الأعلام ٦ : ٢٨٣ .

(٩٥) سراج الدين البلقيني : عمر بن رسلان (٧٢٤ – ٨٠٥) . حسن المحاضرة ١ : ٣٢٩ .

(٩٦) ناصر الدين بن الميلق . قاضي القضاة محمد بن عبد الدائم (٧٣١ – ٧٩٧) حسن المحاضرة ١ : ٥٢٧ .

(٩٧) التحدث بنعمة الله : ٢٢٥ .

(٩٨) المرجع السابق : ٢٢٧ .

ما ذكرته[٩٩] » فالرجل يربط بصراحة بين كثرة مصنفاته وتنوعها وبين كونه مبعوث المائة التاسعة ، وكأن استقرار هذه العقيدة في نفسه كان يدفعه إلى الإكثار من التأليف وإلى تنويعه .. وفي كتابه « الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف » وصل إلى حدّ الادّعاء صراحة بأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة قال : « فإنّ ثم من ينفخ أشداقه ويدّعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرّد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ، ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ، ونفخت عليهم نفخةً صاروا هباءً منثوراً[١٠٠] » .

إنّ مثل هذه الشخصية في مثل ذلك العصر لن يسلّم لها أقرانها بما تدّعيه ، ولن يقبلوا منها مثل هذا الادّعاء الذي يحمل كل معاني الكبْر والإدلال ، فلا عجب أن طعن بعض معاصري السيوطي في علمه ، ونسبوه في تصانيفه إلى سرقة ما لغيره ، ولم يكن قلمه متواضعاً ولا رفيقا ، بل إنه كان إلى العنف والقسوة أقرب منه إلى الرفق ، فتراه يصنّف مثلاً « الكاوي لدماغ السخاوي » والسخاوي في طبقة شيوخه[١٠١] ، بل إن السيوطي تردد عليه في أول الطلب ، وتراه في أمر يسير يتطاول على علماء عصره ، فقد ذكر أنه سئل عام ٨٨٨هـ عن قوله « وإليك نسعى ونحفد » هل هو بالدال المهملة أو بالذال المعجمة ، فكتب أنه بالدال المهملة ، فشنّع عليه الجاهل – كما يقول – وأتباعه زاعمين أنها بالذال المعجمة ، فكتب السيوطي قائلاً « فانظروا بالله إلى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة ،

(٩٩) عن مقدمة نظم العقيان التي كتبها الدكتور فيليب حتي .

(١٠٠) المرجع السابق .

(١٠١) السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (٨٣١ – ٩٠٢) ، الضوء اللامع ٨ : ٢ والأعلام ٦ : ١٩٤ .

وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم ، ولا يحسنون التلفظ فيها ، ومع ذلك يعتمّون بعمائم الفقهاء ، ويمدّون ألسنتهم للإنكار على أساطين العلماء[١٠٢] » – يعني نفسه – .

وخلاصة القول إن اعتداده الشديد بنفسه ، وزهوه بها ، والمباهاة بعلمه ، والإدلال باطلاعه ، ورمي غيره بالجهل ، كلها أمور أفسدت عليه قلوب أقرانه فمنهم من عفّ وغض الطرف ونزه لسانه وصان قلمه عن الخوض في السيوطي ، ومنهم من كال له بكيله ، وردّ عليه وجابهه .. ونستطيع اليوم أن نقول وقد فصلت بيننا وبينهم مئات السنين : إن ادّعاءات السيوطي لم تكن محتملة ، وهي الآن ليست محتملة ، كما أنّ تكبّره على أقرانه الذين يساوونه علماً وفضلاً وخلقاً أو يفوقونه بلا ادعاءٍ منهم ، لم يكن مستساغاً وليس الآن مستساغاً ، كما أنّ مايدّعيه في مقدّمات بعض كتبه من ابتكار لعلم أصول النحو أو علم أصول اللغة أو غيرها ، إنما هو مجرد كلام تشتمل عليه مقدمة الكتاب ، فإذا ما رجعت إلى موضوعات الكتاب وفحصت عنها ، لم تجد له فيها شيئا ، إلا بعض الترتيب والتنسيق في بعض منها ، فهي فصول وصفحات منقولة ومجموعة من هنا وهناك كما ينصّ هو نفسه على ذلك ، وأوضح مثال نقدّمه كتابه « الاقتراح في علم أصول النحو[١٠٣] » فإنه صرّح في مقدّمته أنّ هذا الكتاب « لم تسمح قريحة

---

(١٠٢) التحدث بنعمة الله : ١٨١ .

(١٠٣) الاقتراح في أصول النحو وجدله : طبع في الهند مرتين ١٣١٠ و ١٣٥٩هـ ونشر بحلب مصوراً عن طبعة الهند . ثم نشر في القاهرة بتحقيق أحمد محمد قاسم ١٣٩٦هـ وفي كلية الآداب بإستانبول بتحقيق أحمد صبحي فرات . ثم نشر بتحقيق الدكتور محمود فجّال في السعودية وصدر عن مطبعة الثغر ١٤٠٩هـ . ونشر أيضاً كتاب الإصباح في شرح الاقتراح تأليف الدكتور فجال بدار القلم بدمشق ١٤٠٩هـ .

بمثـاله ، ولم ينسـج نـاسـج على منـواله ، في عـلم لم يسبقـه أحد إلى ترتيبه[١٠٤] » . وعلماء العربية من عصر السيوطي إلى عصرنا هذا ، يعرفون أن أبا البركات كمال الدين بن الأنباري ، كان هو السبّاق في كتابه « لمع الأدلة في أصول النحو[١٠٥] » وكان السيوطي بذلك عارفاً ، لأنه نقل من هذا الكتاب ثمانية عشر فصلاً بتمامها ، ثم أعقبها بنقولٍ من « الخصائص » لابن جني . وبذلك انتهى الكتاب ، وتبحث في هذه الفصول عن السيوطي وعن رأي له بسيط ، فلا تجده ، لأنه ليس له إلاّ المقدّمة ، وقل مثل ذلك أو قريباً منه في كتابه العظيم الذي جمع فيه فأوعى ، وهو « الإتقان في علوم القرآن » .

ومما له دلالة على طبعه ، وعلى ما اشتملت عليه نفسه من كبر وزهو ، ما حدث للإمام القسطلاني معه ، والقسطلاني هو الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين ، كانت سنّه مقاربةً لسنّ السيوطي ، فقد كانت ولادته عام ٨٥١هـ ، وكان السيوطي يزعم أن القسطلاني يغير على كتبه ، ويسرق منها – وهما ينهلان من المناهل نفسها – ولم يكن من القسطلاني إلا أن قصد إليه من القاهرة إلى مقر سكنه بالروضة حافياً مكشوف الرأس ، وقرع عليه الباب فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ . فقال له : قد طاب خاطري عليك . ولم يفتح له الباب ولم يقابله[١٠٦] .

(١٠٤) الاقتراح ١١٧ طبعة الدكتور فجّال .

(١٠٥) لمع الأدلة : نشره الأستاذ سعيد الأفغاني مع كتاب الإغراب في جدل الإعراب بجامعة دمشق .

(١٠٦) انظر مقدمة المحقق لكتاب « لطائف الإشارات لفنون القراءات » ١ : ١٣ .

وبعد ، ومهما يكن من أمر ، فإن صغائر الأمور بددتها دورة الدهر ، ولم يبق من كبْر السيوطي وزهوه إلا الحبر والورق ، وعلاقاته مع أقرانه غبرت فيما غبر ، ولم يبق بعدهم إلا أعمالهم وآثارهم التي عمّ الانتفاع بها إلى يوم الناس هذا ، ولا تزال كتب السيوطي إلى يومنا هذا مرجع العلماء ، رحمه الله رحمةً واسعة ، وسبحانه عزّ من قائل : ﴿ فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾[١٠٧] .

---

(١٠٧) الرعد ١٣/١٧ .

السيوطي والدعوة إلى الاجتهاد

الدكتور وهبة الزحيلي

مدخل :

كان من أبرز أعلام الإسلام وعلمائه رجال وضعوا علوماً جديدة مبتكرة ، من مثل علم الاجتهاد ، وعلم أصول الفقه وأصول الحديث ومصطلحه وحفظ الحديث النبوي سليماً من الوضع والدخيل والضعيف .

وكانت فتاوى رسول الله ﷺ جوامع الأحكام ، ومنار العلماء في تعرُّف أحكام الوقائع التي لا نص فيها ، وتتطلب فهماً سريعاً ، وحلاً مقبولاً لها ، لتكون منسجمة مع أصول التشريع الإسلامي .

وسار على نهج النبي ﷺ صحابته الكرام ، فكان كبار الصحابة سادة الأمة وأئمتها وقادتها في كل شيء ، وبخاصة في ميدان الاجتهاد ، واستنباط الأحكام الشرعية ، وضبط قواعد الحلال والحرام ، فهم سادات المفتين والعلماء . منهم المكثرون في الفتوى وأشهرهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر . والمتوسطون منهم في الفتيا ثلاثة عشر : أبو بكر الصديق ، وأم سَلَمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخُدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وسعد بن أبي وَقّاص ، وسَلْمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ،

ومعاذ بن جبل . والباقون من الصحابة مقلون في الفتيا ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، مثل أبي الدرداء ، وأبي اليسر ، وأبي سَلَمة المخزومي ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وغيرهم .

ويلحق بفئة المتوسطين في الفتيا طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حُصين ، وأبو بَكْرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية بن أبي سفيان .

وانتشر الدين والفقه والعلم في الأمة في المشارق والمغارب من بلاد الإسلام عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عمر ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، من فقهاء التابعين .

وقامت في العصر الأموي ، بالرغم من كثرة الفتن والثورات الداخلية والحروب الكثيرة فيه ، ما يعرف بمدرسة الحديث في الحجاز ، ومدرسة الرأي في العراق ، وتزعم فقهاء التابعين لواء هاتين المدرستين ، وأئمة المذاهب الاجتهادية من بعدهم في عهد الدولة العباسية ، فكان أبو حنيفة رحمه الله إمام أهل الرأي ، وكان مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله أئمة أهل السنة والحديث .

وقد ازدهرت الحركة العلمية الاجتهادية على يد هؤلاء وتلامذتهم ، وأبدع الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى وإلى نهاية القرن الرابع ثروة فقهية خصبة شاملة وكان باب الاجتهاد مفتوحاً لمن توافرت فيه أهلية الاجتهاد ، وتبوأ المكانة العلمية الرفيعة التي تمكن بها من استنباط الأحكام الجديدة للوقائع والحوادث الطارئة ، ووثق الناس بعلمه وفتياه وطريق اجتهاده .

وكان الفقه الصحيح متمثلاً في أئمه الأمصار الخمسة : وهم مالك

بالمدينة ، والشافعي بمكة ، وأبو حنيفة بالعراق ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . وتابعهم آخرون مثل أبي ثور وابن جرير الطبري ، وأحمد بن حنبل ، وداود الظاهري ، وكان لهؤلاء الأئمة تلاميذ بلغوا رتبة الاجتهاد .

ثم جاء من بعدهم من منتصف القرن الرابع إلى أواخر القرن الخامس فئة اجتهدت في نطاق المذاهب ، وخرَّجت على أقوال الأئمة أحكاماً لمسائل لم تكن لدى السابقين . وتبع هؤلاء علماء عكفوا على تدوين المذاهب وتحريرها وبيان الراجح والمفتى به ، مع أنهم كانوا أهلاً للاجتهاد ، واستمر الحال على مضامين هذه الكتب المدونة منذ القرن السابع والثامن إلى الآن .

ومن أواخر القرن السابع والثامن كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إمامي الاجتهاد في بلاد الشام . ولمع في القرن التاسع في مصر ابن حجر العسقلاني الذي أفتى في قضايا متعددة ، وتابعه تلاميذه ، ومن أشهرهم وأخصهم جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر : ٨٤٩ — ٩١١هـ الموافق ١٤٤٥ — ١٥٠٥م) الذي استقل بالفتوى على نحو كبير ، وندد بالتقليد ، وتأثر به علماء في المذهب الحنفي في القرنين العاشر والحادي عشر ، كأبي السعود وخير الدين الرملي ، وجماعة من علماء الهند واضعي الفتاوى الهندية .

وكان هناك تنافس واضح بين الأستاذ والتلميذ في ميدان الاجتهاد ، وكانت كتب هؤلاء المتأخرين من العلماء مترعة بصور حية من الاجتهاد ، وهي كتب ابن تيمية وابن القيم والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن سيد الناس وزين الدين العراقي وابن حجر العسقلاني والسيوطي ، إذ كل واحد من هؤلاء الأعلام الستة تلميذ من قبله ، وهو مثله في الإحاطة بعلوم

الاجتهاد .

وهذا دليل واضح على أن ما بعد انتهاء القرن الرابع الهجري حيث أُغلق باب الاجتهاد سداً للذرائع ، وحماية للأمة من الانقسام الديني والفكري وجاء دور التقليد ، كان الاجتهاد الفردي فيه قائماً على قدم وساق ، ومغطياً كل ما تحتاجه الأمة لمعرفة أحكام الحوادث المتجددة والقضايا الطارئة ، بل والترجيح بين أقوال الأئمة السابقين وآرائهم .

ومما لا ريب فيه أن السبق الزماني ، وازدهار العصر ، ونمو الحركة العلمية في عهود الصحابة والأمويين والعباسيين ، كان له كله تأثير واضح في علو كعب الاجتهاد . فإذا كان الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الإسلامية مجددين تجديداً شاملاً ، ولهم فضل السبق في إبداع أصول الاجتهاد ، فإن من جاء بعدهم لم يجد السبيل أمامه مفتوحاً في نطاق الأصول التي وضعها هؤلاء ، فاتجه إلى إعمال تلك الأصول والقواعد الكلية التي نضجت وتبلورت ودونت ، لمعرفة حكم الجديد من المسائل ، فكان للمتأخرين تجديد جزئي إذا قيس بالتجديد الكلي الشامل للأئمة المتقدمين العظام ، وكان لهم أيضاً مزية فريدة هي التصنيف والتأليف والجمع والتدوين ، والموازنة بين الآراء الفقهية والاجتهادات السابقة ، وهذا عمل عظيم بنّاء . وكان في كل عصر بعد القرن الرابع نخبة متميزة من مجتهدي المذاهب .

وكان السيوطي رحمه الله في القرن التاسع وأوائل العاشر من أبرز هؤلاء العلماء المجددين ، ومن طليعة العلماء المكثرين في التصنيف والتأليف ، فهو الإمام الحافظ المؤرخ اللغوي الأديب ، الذي له نحو ٦٠٠ ستمائة مصنف ، أكثرها وصل إلينا ، كالجامع الصغير والجامع الكبير في الحديث النبوي ، واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، والإتقان في

علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والأشباه والنظائر في الفروع ، والأشباه والنظائر في اللغة ، والألفية في مصطلح الحديث ، وتاريخ الخلفاء . ومنها المفقود الذي لم يصل إلينا مثل « تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع في الفروع » كما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون .

وهذه الثروة العلمية الضخمة من مصنفات السيوطي رحمه الله تجعله قميناً بأن يوصف بأنه « مجدد الدعوة إلى الاجتهاد » بعد إغلاق بابه ستة قرون من نهاية القرن الرابع إلى القرن العاشر ، وتجديد الدعوة إلى الاجتهاد كفيل وحده بمعرفة قدر السيوطي ، واستنارة عقله ، وتحرر فكره وإخلاصه لدينه وشرع ربه .

وبحثي هذا محصور في بيان معالم فكر السيوطي التي ضمنّها كتابه العظيم « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » .

وقد رأيت أن أمهد لهذا البحث بدراسة موجزة لشخصية المؤلف بصورة عامة (قسم أول) ثم أتناول بشيء من التعمّق دراسة كتابه الذي هو موضوع البحث .

القسم الأول

شخصية السيوطي :

هذا القسم مخصص لدراسة المباحث التالية :

١ ـ تعدد العلوم التي برع فيها السيوطي :

كان السيوطي رحمه الله متعدد الجوانب والآفاق العلمية ، بارعاً في علوم اللغة والشريعة والأدب والتاريخ ، محلّقاً في بيانها ، مجدداً في إيضاحها ، مبسّطاً معانيها ، مبيّناً أهدافها وغاياتها . يقول عن نفسه في هذا المجال :

« رُزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع » . وقد فاق في بعضها أشياخه ، وصار حجة فيما لم يأخذه عن المشايخ ، فقال مبيناً ذلك : « والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العوم السبعة ، سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخي ؛ فضلاً عمن هو دونهم . وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخي أوسع نظراً وأطول باعاً » .

ومما يؤكد براعته في العلوم المذكورة ، ووضوح أفكارها ، وانكشاف معانيها أنه قال : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله »[1] .

٢ ـ موطنه ومزايا عصره :

عاش السيوطي في القاهرة عاصمة الخلافة في ظل الحكم المملوكي ، وعاصر دولة الجراكسة (٧٨٤ ـ ٩٢٢هـ) ونبغ في عصره غير واحد من العلماء كابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) وهو أستاذه ، وابن عربشاه (٨٥٤هـ) والعيني شارح البخاري (٨٥٥هـ) وأبي المحاسن (٨٧٤هـ) والحافظ السخاوي (٩٠٢هـ) وميرخند (٩٠٣هـ) وابن إياس (٩١٥هـ) .

وانتقلت النهضة العلمية بسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ إلى مصر ، وهاجر إليها العلماء والأدباء ، وغصَّت المدارس بخزائن الكتب من نفائس المصنفات . وما أشبه عصره بعصرنا الحاضر ، فإنه عُرف بعصر المجاميع والمعاجم والمَعْلَمَات (الموسوعات) . وقد تهيأ بذلك

(١) حسن المحاضرة ١/٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

للسيوطي الوسط العلمي الزاخر من العلماء والمكتبات والمدارس ، وتوافرت روح المنافسة في بيئته بسبب الحسد ومحاولة كل عالم التفوق على أقرانه .

٣ - رتبته العلمية وإمامته في الفقه وغيره :

الذي أراه أن الجلال السيوطي إمام في التفسير والحديث والفقه واللغة ، صنف في كل واحد من هذه العلوم تصانيف مبتكرة ، وهو بالإضافة إلى عمله المعجمي والموسوعي ، والمقارنة بين المذاهب في القواعد الفقهية في كتابه « الأشباه والنظائر في الفروع عند الشافعية » يعد في تقديري مجتهداً مذهبياً في دائرة المذهب الشافعي .

٤ - اجتهاده وآراؤه :

ادعى السيوطي لنفسه بلوغه رتبة الاجتهاد ، ولكن لم يسلِّم له ذلك كثير من العلماء المعاصرين ، وكثر الجدل حول هذه الدعوى ، وقال عن نفسه :

ولما بلغت درجة الترجيح ، لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه .

ولما بلغت درجة الاجتهاد المطلق ، لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كما كان القفَّال وقد بلغ رتبة الاجتهاد ، يفتي بمذهب الشافعي لا باختياره .

والحق أن إطلاق لفظ « الإمام » ولفظ « المجتهد » على إنسان عالم ينبغي التروي فيه ، لأن الإمام أو المجتهد هو الذي يبتكر قواعد وأصولاً لنفسه ، يعتمد عليها في اجتهاده ، فلا يقلد غيره في الأصول ولا في الفروع . والسيوطي وأمثاله من المتأخرين لم يبتكروا قاعدة أصولية مطلقاً ، وإنما التزموا أصول أئمتهم ، مما يجعل الواحد منهم في مرتبة « المجتهد المنتسب

في المذهب » وهو الذي يقلد إمامه في الأصول ، وقد يخالفه في الفروع ، ولا يقال لأحدهم « إمام » إلا بالمعنى اللغوي أي المؤتم به ، القدوة في علمه وعمله ، لا بالمعنى الاصطلاحي .

لذا لا نسلِّم له قوله : فقد بلغت ولله الحمد والمنة رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية . هذا بالرغم من أن الشاعر شمس الدين القادري أقرَّ له بالاجتهاد ، فقال عنه :

إمام اجتهاد ، عالم العصر ، عالم بجامع فضل ، ناسك ، متهجّدُ
فحق له دعوى اجتهاد لأنه هو البحر علماً ، زاخر الملح مزبدُ

٥ ـ تجديده الدعوة إلى الاجتهاد :

لم يساير السيوطي الفكرة السائدة منذ نهاية القرن الرابع الهجري إلى عصره بإغلاق باب الاجتهاد والتزام التقليد ، ولقد أحسن بفكره المتحرر وعقله النيّر إذ قال بفرضية الاجتهاد الدائمة في كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » والذي قسمه إلى أربعة أبواب ، وذكر في مقدمته :

إن الناس قد غلب عليهم الجهل . وعمّهم وأعماهم حب العناد وأصمهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر ، فواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر .

وهذه الدعوة الحرّة تنسجم مع ميله ورغبته الذاتية وادعائه الاجتهاد كما بينا ، وتلتقي بحق مع أصول الشريعة ، ومع مقتضيات المصلحة والحاجة والتطورات الزمنية ، وتتجاوب مع مبدأ خلود الشريعة ووفائها بحاجات الناس وصلاحها لكل زمان ومكان ، وكل ذلك إخلاص لشريعة الله ، وحرص

على بقائها ذات هيمنة كاملة شاملة لجميع الأحداث والوقائع ، وتغطية التطلعات الراغبة في الانضواء تحت مظلة الشريعة في كل مسألة وقضية متجددة أو طارئة .

وأكّد الشوكاني في كتابه « إرشاد الفحول »[1] صحة مقولة السيوطي قائلاً مثله : ومن حَصَر فضل الله على بعض خلقه ، وقصر فهم هذه الشريعة على ما تقدم عصره ، فقد تجرَّأ على الله عز وجل ، ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده ، ثم على عباده الذين تعبدهم الله بالكتاب والسنة .

القسم الثاني

دراسة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض » :

يتضمن هذا الكتاب أربعة أبواب وخاتمة ، نعرض لها تباعاً فيما يلي :

أ ـ أيّد السيوطي دعوته إلى الاجتهاد **في الباب الأول** من كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » بإيراد نصوص العلماء وأقوالهم الدالة على أن الاجتهاد في كل عصر فرض من فروض الكفايات ، وأنه لا يجوز إخلاء العصر منه .

وأول من نصَّ عن ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم صاحبه المُزَني ، مبيِّناً كلاهما إيجاب النظر والاجتهاد والنهي عن التقليد . وتبعهما أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي في أول كتابه (الحاوي الكبير) ، ثم (الرُّوياني في البحر) . ونص على الحكم المذكور محيي السنة أبو محمد البغوي في كتابه (التهذيب) ، وهو من أجلّ الكتب المصنفة في الفقه ، قال في أوله :

---

(١) ص ٢٢٤ .

العلم ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية . وفرض الكفاية : هو أن يتعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ومحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين ، فعلى الناس كافة القيام بتعلمه ، غير أنه إذا قام من كل ناحية واحد أو أثنان ، سقط الفرض عن الباقين ، فإذا قعد الكل عن تعلمه عصوا جميعاً ، لما فيه من تعطيل أحكام الشرع ، قال الله تعالى :﴿ فلولا نَفَر من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌليتفقَّهوا في الدين ﴾ [التوبة :١٢٢] .

وممن نص على ذلك القاضي حسين شيخ البغوي ، والزبيدي فقال :« لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة ، في كل وقت وعهد وزمان ، وذلك قليل في كثير . فأما أن يكون غير موجود فليس بصواب ؛لأنه لو عدم المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض كلها ، لحلَّت النقمة بذلك على الخَلْق ، كما جاء الخبر : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »[1] ونحن نعوذ بالله أن نؤخذ مع الأشرار » .

وجعل ابن سراقة أحد أئمة الشافعية في أول كتابه « إعجاز القرآن » ترك الاجتهاد مؤدياً إلى إبطال الشريعة ، وسقوط المثوبة الحاصلة بالاجتهاد .

وقال إمام الحرمين الجويني في كتاب « السِّيَر » بعد تقسيمه طلب العلم قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية ؛ وأما ما يقع فرضاً على الكفاية فهو ما يزيد على المتعين إلى بلوغ رتبة الاجتهاد ، فإن قوام الشرع بالمجتهدين .

وجعل مُجلّي في الذخائر في كتاب « السير » وأبو حامد الغزالي في كتابه « البسيط » في باب السير ، وابن الرفعة ، والرافعي .. جعل كل واحد من هؤلاء طلب رتبة الاجتهاد فرضاً ، وجعله مقدماً على الفور على الحج

---

(١) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

حيث شغر البلد عن المجتهد ، والظاهر الصحيح أنه يجوز سفر الولد لتلك المهمة بغير إذن الوالدين ، أما الحج فهو على التراخي في رأي هؤلاء الشافعيين

وأورد عبارة **الشهرستاني** الجميلة الرائعة في كتابه « الملل والنحل » حيث قال ما نصه « وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضاً ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، عُلِمَ قطعاً أَنَّ الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد » .

وبعد بيان الشهرستاني شروط الاجتهاد قال : ثم الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان ، حتى إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ، فإن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ، ترتيب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب ، كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة ، فلا بد إذن من مجتهد(١) .

قال السيوطي : فانظر كيف حكم بعصيان أهل العصر بأسرهم إذا قصَّروا في القيام بهذا الفرض ، وأقام على فرضيته دليلاً عقلياً لا شبهة فيه .

وذكر السيوطي أيضاً ما قاله تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح في كتاب « أدب الفتيا » : المجتهد المطلق : هو الذي يتأدى به فرض الكفاية . وأما المجتهد المقيد : فظاهر كلام الأصحاب أنه لا يتأدّى به فرض الكفاية .

---

(١) الملل والنحل : ١/١٩٩ .

ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، ومحرر المذهب الشافعي محيي الدين النووي ، وابن الرفعة ، وبدر الدين الزركشي كلام مشابه لكلام ابن الصلاح .

ولم يقتصر استشهاد السيوطي بأقوال الشافعية فقط ، وإنما ذكر أيضاً ما قاله ابن القصَّار القاضي أبو الحسن علي بن عمر البغدادي من أئمة المالكية في كتابه « المقدمة في أصول الفقه » : مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد لقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ثم قسم العلم قسمين : فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين الواجب على كل أحد : هو علمه بحالته التي هو فيها ، وفرض الكفاية : هو العلم الذي لا يتعلق بحالة الإنسان ، فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يتفقهون في الدين ليكونوا قدوة للمسلمين ، حفظاً للشرع من الضياع ، والذي يتعين لهذا من الناس : من جاد حفظه ، وحسن إدراكه ، وطابت سجيته ، ومن لا فلا .

ونصَّ أئمة الحنفية والحنابلة والمالكية كابن الحاجب وابن الساعاتي على أنه لا يجوز خلو العصر من مجتهد ؛ لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

ويدل على وجوب النظر والاجتهاد قول الله تعالى ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر : ٢] وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] وهذا حث منه تعالى على النظر في آياته وما تشتمل عليه من الأحكام .

واشترط الفقهاء بلوغ رتبة الاجتهاد في الوظائف التالية : وهي الإمامة العظمى ، ووزارة التفويض (وهي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه

تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده) والقضاء ، والإفتاء[1] ، ومنصب نواب القاضي وخلفائه ، ووالي المظالم . أما المحتسب وهو الآمر بالمعروف إذا ظهر تركه والناهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، فالأصح كما ذكر الماوردي عدم اشتراط الاجتهاد في حقه ؛ لأنه ليس له أن يحمل الناس على رأيه . ويشترط في عاقد الأنكحة أن يكون من أهل الاجتهاد في باب النكاح خاصة ، وكذا ساعي الزكاة يشترط أن يكون مجتهداً في باب الزكاة خاصة .

ب – وأورد في الباب الثاني نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد ، وأنه لا يجوز عقلاً ولا يمكن خلو العصر منه . ومن هذه النصوص ما يلي : ذهبت الحنابلة بأسرهم إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله »[2] ولأن الاجتهاد فرض كفاية ، فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة عن اجتماعها على الباطل . قال الزركشي في « البحر » : ولم ينفرد بذلك الحنابلة ، بل جزم به أيضاً جماعة من أصحابنا – أي الشافعية – منهم الأستاذ أبو إسحاق الشيرازي والزبيدي في « المسكت » . وعبارة الأستاذ الشيرازي : وتحت قول الفقهاء « لا يخلي الله زماناً من قائم لله بالحجة ، سر عظيم ، وكأن الله تعالى ألهمهم ذلك ، ومعناه : أن الله تعالى لو أخلى زماناً من قائم بالحجة ، لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة .

وقال ابن دقيق العيد : هذا هو المختار عندنا ، لكن إلى الحد الذي

---

(١) القضاء : إخبار بالحكم الملزم للخصمين ، والإفتاء ، إخبار بحكم غير ملزم .
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

تنقضي به القواعد ، بسبب زوال الدنيا في آخر الزمان . قال الزركشي : وله وجه حسن ، وهو أن الخلو من مجتهد يلزم منه اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو ترك الاجتهاد الذي هو فرض كفاية .

وعقب السيوطي بقوله : وقول الأستاذ أبي اسحاق : « وكأن الله ألهمهم ذلك » يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث ، مع أن له مستنداً ، فأخرج أبو نُعَيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً »[1] وهذا موقوف له حكم الرفع[2] ؛ لأن مثل ذلك لا يقال من قبل الرأي ، وله شواهد مرفوعة وموقوفة .

منها : ما أخرجه الدارمي في مسنده عن وهب بن عمرو الجمحي أن النبي ﷺ قال : « لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها ، فإنكم إن لا تعجلوها قبل نزولها ، لا ينفكُّ المسلمون وفيهم إذا هي نزلت من إذا قال وفّق وسُدِّد » .

ومنها : ما أخرج البيهقي في المدخل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرفوعاً نحوه ، وكلاهما مرسل ، وكل منهما . وهي شهادة من النبي ﷺ لأمته بأنهم لا ينفكون عمن يقول في الحادثة ، فيصيب وذلك هو المجتهد .

وأخرج الدارمي والبيهقي عن معاذ بن جبل أنه قال : « أيها الناس ، لا تَعجَّلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم ها هنا وها هنا ، وإنكم إن لم

(١) حلية الأولياء ١/٨٠ .

(٢) أي أن هذا الحديث موقوف على الصحابي ، ولكنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ .

تعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سُدِّد ، وإذا قال وُفِّق » .

وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال : إياكم وهذه العُضَل ، فإنها إذا نزلت ، بعث الله لها من يقيمها أويفسرها .

وقال ابن دقيق العيد في أول شرح « الإلمام » : والأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة ، والأمة الشريفة لا بد فيها من سالك إلى الحق على واضح المَحَجَّة ، إلى أن يأتي أمر الله في أشراط الساعة الكبرى ، ويتتابع بعده ما لا يبقى معه إلا قدوم الأخرى .

وقال ابن عبد السلام أحد أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به النبي ﷺ ، وإلا كانت الأمه مجتمعة على الخطأ .

وذكر الفخر الرازي والتبريزي والزركشي أنه لو لم يبق من المجتهدين إلا واحد ، كان قوله حجة .

والخلاصة : هذه الكلمة المشهورة : وهي لا يُخلي الله زماناً من قائم بالحجة ، كأنها كلمة إجماع ، مع ما تقدم من كونها حديثاً أو أثراً .

وأضاف ابن عبد السلام قوله : إن رتبة الاجتهاد مقدور على تحصيلها ، وهي شرط في الفتوى والقضاء ، وهي موجودة إلى الزمان الذي أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانقطاع العلم ، ولم نصل إليه إلى الآن ، وإلا كانت الأمة مجتمعة على الخطأ ، وذلك باطل .

وعلَّق السيوطي على هذه العبارة بقوله : فانظر كيف صرَّح بأن رتبة الاجتهاد غير متعذرة ، وأنها باقية إلى زمانه ، وبأنه يلزم من فقدها اجتماع الأمة على الباطل ، وهو محال .

وقد صنَّف السيوطي مراتب المجتهدين على نحو يفتح باب الأمل والرجاء في بقاء المجتهدين في الأمة ، دون اقتصار على أئمة المذاهب ، فقال : « لهج كثير من الناس اليوم بأن المجتهد المطلق فقد من قديم ، وأنه لم يوجد من دهر إلا المجتهد المقيد ، وهذا غلط منهم ، ما وقفوا على كلام العلماء ، ولا عرفوا الفرق بين المطلق والمجتهد المستقل ، ولا بين المجتهد المقيد ، والمجتهد المنتسب ، وبين كلٍ مما ذكر فرق ، ولهذا ترى أن من وقع في عبارته : إن المجتهد المستقل مفقود من دهر ينص في موضع آخر على وجود المجتهد المطلق .

والتحقيق في ذلك أن المجتهد المطلق أعم من المجتهد المستقل وغير المجتهدالمقيد .

أما المجتهد المستقل : فهو الذي استقل بقواعده لنفسه ، يبني عليها الفقه خارجاً عن قواعد المذهب المقررة . وهذا شيء فُقد من دهر ، بل لو أراده الإنسان اليوم لامتنع عليه ولم يجزْ له ، نصَّ عليه غير واحد .

وأما **المجتهد المطلق غير المستقل** : فهو الذي وجدت فيه شروط الاجتهاد التي اتصف بها المجتهد المستقل ، ثم لم يبتكر لنفسه قواعد ، بل سلك طريقة إمام من أئمة المذاهب في الاجتهاد ، فهذا مطلق منتسب لا مستقل ولا مقيد .

وأما المجتهد المقيد أو مجتهد التخريج :فهو المقيد في مذهب إمامه ، المستقل في تقرير أصوله بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده . وشرطه : كونه عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام تفصيلاً ، بصيراً بمسالك الأقيسة والمعاني ، تام الارتياض في التخريج والاستنباط ، قيِّماً بإلحاق ما ليس منصوصاً عليه لإمامه بأصوله ، ولا يعرى عن شوب تقليد له لإخلاله ببعض أدوات المستقل بأن يخلّ بالحديث أو العربية ،

وكثيراً ما أخل بهما المقيد ، ثم يتخذ نصوص إمامه أصولاً يستنبط منها كفعل المستقل بنصوص الشرع ، وربما اكتفى في الحكم بدليل إمامه ولا يبحث عن معارض ، كفعل المستقل في النصوص ، وهذه صفة أصحابنا أصحاب الوجوه[1] ، والعامل بفتوى هذا مقلد لإمامه لا له .

وأما **مجتهد الترجيح** : فهو ألا يبلغ رتبة أصحاب الوجوه ، لكنه فقيه النفس ، حافظ لمذهب إمامه ، عارف بأدلته ، قائم بتقريرها ، يصوّر ، ويحرر ، ويقرر ، ويمهد ، ويرجّح ، لكنه قصَّر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط ومعرفة الأصول ونحوها من أدلتها .

وأما **مجتهد الفتيا** : فهو أن يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات ، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته ، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه .

وبعد بيان مراتب المجتهدين المذكورة قال السيوطي رحمه الله : والذي ادَّعيناه هو الاجتهاد المطلق ، لا الاستقلال ، بل نحن تابعون للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد **امتثالاً لأمره** ، **ومعدودون** من أصحابه ، وكيف يُظن أن اجتهادنا مقيد ، والمجتهد المقيد : إنما ينقص عن المطلق بإخلاله بالحديث أو العربية ، وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم **بالحديث والعربية** مني إلا أن يكون الخَضِر أو القطب ، أو ولياً لله ، فإن هؤلاء لم أقصد دخولهم في عبارتي ، والله أعلم .

حـ – وتناول في الباب الثالث ذكر من حثَّ على الاجتهاد وأمر به

---

(١) اشتهر أصحاب الشافعي بالوجوه المستنبطة من أقوال الشافعي ، أي بالآراء المخرجة بالاعتماد على اجتهادات الشافعي في بعض المسائل ، فيتخذونها أصلاً في التفريع ومعرفة حكم المسائل الجديدة التي تشبه مسألة الإمام .

وذمَّ التقليد ونهى عنه قال رحمه الله : اعلم أنه ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضُّون عليه، وينهون عن التقليد ويذمّونه ويكرهونه ، وقد صنَّف جماعة لا يحصون في ذم التقليد ، وهم المزني صاحب الإمام الشافعي ، والزركشي ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وأبو شامة ، وابن دقيق العيد ، وابن قيم الجوزية ، والمجد الشيرازي صاحب القاموس .

قال : الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة : « فكل ما أنزل الله تعالى في كتابه رحمة وحجة ، عَلِمه من عَلِمه ، وجهله من جهله ، ولا يجهله من علمه . وللناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به » .

واستدل الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني على عدم التقليد بإجماع العلماء على أنه لو حفظ العالم مذهب الأئمة من نقدهم ، ثم أراد أن يحكم به ويفتي ، لم يكن له ذلك ؛ لأنه جاهل بدليل هذا المذهب ، فكما حرِّم عليه تقليد الميت لجهله بدليل قوله ، حرم عليه تقليد الحي .

والتقليد عند جماعة من العلماء غير الاتباع ؛ **فالاتباع** : هو أن تتبع القائل على مابان من فصل قوله وصحة مذهبه ، أي أنه اتباع الغير بعد معرفة دليله . أما التقليد فهو أن تقول بقوله ، وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه : أي أنه الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله ، أو هو قبول قول بلا حجة ، وقد حدث التقليد في القرن الرابع .

وقد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه ، فقال :﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [التوبة : ٣١] قال حذيفة وغيره : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكن أحلوا لهم وحرّموا عليهم ، فاتبعوهم . وقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا

قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ [الزخرف : ٢٣] فمنعهم الاقتداءُ بآبائهم عن قبول الاهتداء ، فقالوا : ﴿ إنا بما أُرسلتم به كافرون ﴾ [الزخرف : ٢٤] وفي هؤلاء ومثلهم قال الله تعالى : ﴿ إنَّ شرَّ الدواب عند الله الصمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون ﴾ [الأنفال : ٢٢] وفي القرآن آيٌ كثيرة في ذم تقليد الآباء والرؤساء . وقال ابن مسعود : ألا لا يقلدنَّ أحدكم دينه رجلاً .

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي : التقليد لا يُثْمر علماً ، فالقول به ساقط ، وهذا الذي قلناه قول أهل العلم كافة .

والخلاصة : التقليد باطل ؛ لأنه قول في الدين بلا برهان ، وهو أن يفتي في الدين فتيا ؛ لأن فلاناً الصاحب ، أو فلاناً التابع ، أو فلاناً العالم أفتى بها بلا نص في ذلك . قال السيوطي : التقليد : هو أن يقلد غيره ويتبعه من غير دليل ظهر له ، وإنه من أفعال الكفر ، قال الله تعالى حاكياً عنهم :﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

ولكن يجب أن نلاحظ أن منع التقليد في هذه الآية وأمثالها التي تندّد بفعل الكفار إنما هو في التقليد في الاعتقادات وأصول الدين ، لأن المطلوب فيها الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ، والتقليد لا يفيد فيه ، لأنه قبول قول الغير بلا حجة ، كما قال الغزالي . أما التقليد في الفروع الفقهية والاجتهادات المذهبية فهو أمر جائز وواقع من أغلبية المسلمين غير المتخصصين بقضايا الاجتهاد ، بل لا سبيل أمامهم لممارسة عباداتهم ومعاملاتهم إلا بتقليد غيرهم من المفتين ؛ لأنه لا قدرة لديهم ولا أهلية ولا كفاءة عندهم لا ستنباط الحكم الشرعي مباشرة من الدليل ، مما

يجعلهم في أمس الحاجة إلى تقليد غيرهم ، ولا حرج ولا إثم عليهم في ذلك .

أما المجتهد فيحرم عليه التقليد ، ويجب في حقه الاجتهاد ، فهذا هو الذي يطالب بالاجتهاد ، ويمنع من التقليد .

د ـ وجمع في الباب الرابع فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد :

منها : ندرة المجتهد في هذه الأعصار ، وليس ذلك لتعذر حصول آلة الاجتهاد ، بل لإعراض الناس في اشتغالهم عن الطرق المفضية إلى ذلك .

ومنها في آداب المتعلم : ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له ، فيه يطلع على حقائق العلوم ودقائقها ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد .

ومنها : لا يلزم في الاجتهاد الإحاطة بجميع نصوص الكتاب والسنة ، بل تكفيه الإحاطة بما يتعلق منها بالأحكام ، وهو خمسمائة آية من الكتاب ، وأحاديث مضبوطة بالكتب ، وإن لم تكن محصورة .

ومنها : أن الإنسان كلما كمل في هذه العلوم التي لا بد منها في الاجتهاد ، كان منصبه في الاجتهاد أعلى وأتم .

وأهم العلوم للمجتهد : علم أصول الفقه ، ففيه تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين .

ومنها : بيان طريق معرفة المجتهد : وهذا إما من المجتهد نفسه أو من العامي . أما المجتهد أو العالم فيعرف ذلك من نفسه ، بأن يعلم أنه أتقن الآية كل الإتقان ، ويجد له ملكة وقدرة على الاستنباط واستخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة . وأما معرفة العامي بالعالم الذي وصل إلى حد الاجتهاد فلا تمكن إلا بإخبار المجتهد عن نفسه ؛ لأن الاجتهاد معنى قائم بالنفس ، لا اطلاع للعامي عليه . وهذا إذا كان عدلاً .

وقد يُدْرك ذلك بكثرة الاختبار لمن له أهلية الاختبار .

ثم تابع السيوطي رحمه الله في بيان الفوائد المتعلقة بالاجتهاد ، حتى أوفاها على السابعة والأربعين فائدة ، وأغلبها في تقديري من شأن أهل الاختصاص وهواة الترف العلمي ، وكلها نقول عن العلماء البارزين ليستكمل القارئ صورة الاجتهاد ، وربما تصور سهولة الطريق ، ولكن دون ذلك مشاق ومصاعب لا يمكن تذليلها إلا بالتمكن في فهم القرآن والسنة واللغة العربية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة ومعرفة أجاميع العلماء ووجوه القياس والناسخ والمنسوخ من النصوص .

ومما يساعد على بلوغ رتبة الاجتهاد لدى المتأخرين تدوين العلوم المختلفة وكثرة تداولها وانتشارها وتبسيطها وإمكان معرفة مناهج المجتهدين الأوائل وكيفية استنباطهم الأحكام الشرعية من مصادرها المعتمدة .

وفي **الخاتمة** أقول : لقد تمكن السيوطي رحمه الله بكتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض » من العودة إلى أصالة الحكم الإسلامي بفرضية الاجتهاد ، وهو الحكم الذي أصَّله رسول الله ﷺ ، وسار على نهجه الصحابة الكرام ، الذين توسعو وفتحوا للعلماء باب القياس والاجتهاد ، وبينوا لهم سبيله ، وهل يعقل – كما ذكر ابن القيم[1] – أن النبي ﷺ لما قال : « لايقضي القاضي وهو غضبان »[2] إنما قصد الغضب وحده أم كل ما في معناه ؟ الواقع إنما كان ذلك ؛ لأن الغضب يشوِّش عليه قلبه وذهنه ، ويمنعه من كمال الفهم ، ويحول بينه وبين استيفاء النظر ، ويعمِّي عليه طريق العلم والقصد ، فمن قَصَر النهي على الغضب وحده دون الهمّ المزعج

---

(١) أعلام الموقعين ٢١٧/١ .

(٢) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي بكرة .

والخوف المقلق والجوع والظمأ الشديد وشُغْل القلب المانع من الفهم ، فقد قلَّ فقهه وفهمه ، والتعويل في الحكم على قَصْد المتكلم ، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني ، والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم ، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة ، ومن عموم المعنى الذي قصده تارة ، وقد يكون فهمه من المعنى أقوى ، وقد يكون من اللفظ أقوى ، وقد يتقاربان ، كما إذا قال الدليل لغيره : لا تسلك هذا الطريق ، فإن فيها من يقطع الطريق ، أو هي مَعْطَشَة مخوفة ، عَلِم هو وكل سامع أن قصده أعم من لفظه ، وأنه أراد نهيه عن كل طريق.هذا شأنها .

أي أن النهي لمعنى معين في نص لا يقتصر عليه ، وإنما يشمل كل ما في معناه مما يسمى بعلة القياس ، وإن الداعية إلى الاجتهاد هو المتصف بكمال الفهم وسداد الرأي وعمق البصيرة والإخلاص للشريعة .

ولقد استطاع السيوطي بدعوته لتجديد الاجتهاد هدم الستار الحديدي الذي طال سَدْله على الأفكار والعقول بالدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد ، لقد اخترق السيوطي هذا السور المنيع متأثراً بمشايخه الأحرار بدءاً بشيخ الإسلام ابن تيمية وانتهاء بمجدد القرن الثامن ابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) أستاذه المباشر في التصنيف والتأليف والتدوين ، وكلهم كانوا في عصور يقولون عنها : إنها خالية من المجتهدين .

والسيوطي بهمته العالية وتفرغه للتصنيف والتأليف والعمل المعجمي والموسوعي ومحاولته الاجتهاد الجزئي أهَّله كل ذلك ليكون إمام المئة العاشرة في الاجتهاد ، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الرواية عند السيوطي

في تفسير الجلالين

الدكتور نور الدين العتر

تفسير الجلالين تفسير مشهور ، كثير التداول بين الناس لوجازته واختصاره . وسبب تسمية هذا التفسير بذلك أنه اشترك في تأليفه إماماان ، يلقب كل واحد منهما « جلال الدين » :

الأول : جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلِّي ، الفقيه الأصولي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤هـ .

الثاني : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي العلامة الامام الشهير ، المتوفى سنة ٩١١هـ .

ومن لطائف المقادير أن الإمام المحلي بدأ عمله من أول النصف الثاني من المصحف من سورة الكهف إلى آخره ، وسلك هذه الطريقة ، لأنه وجد أناساً شرعوا في التفسير ثم لم يكملوه ، لكن المنية حالت دون الأمنية ، فتوفي المحلي دون أن يتمكن من تفسير النصف الأول ، فجاء الإمام السيوطي بعده ، وأكمل العمل على خطة المحلي نفسها ، فصار التفسير مشهوراً بهذا الاسم « تفسير الجلالين » . وحسبك بكتاب موجز جد الإيجاز يُعنى به إمامان جليلان .

وبدراستنا لهذا التفسير وجدنا أن عمل الإمامين مع تشابهه من حيث الظاهر يتميز عن بعضه لدى التدقيق ، والذي يمكن أن نلخصه : أن

جانب التفسير بالمأثور أكثر توفراً لدى السيوطي في عمله هنا من عمل المَحَلِّيِّ .

والتفسير المأثور هو الأصل الأول في تفسير القرآن الكريم ، لا يستغني عنه المفسر ، مهما أوتي من العلم وعمق النظر ودقة الفهم . ويعتمد التفسير المأثور على تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالحديث النبوي .

وقد تلقى الصحابة تفسير القرآن عن النبي ﷺ ، ونقلوه للناس ، وأضافوا من اجتهاداتهم تفسيراً لما لم يتلقوا تفسيره ، وكذلك تلقى التابعون التفسير عن الصحابة ، واجتهدوا كذلك .

ومن هنا صار لتفسير الصحابة والتابعين شأن كبير لكثرة ما دخل في تفسيرهم من الحديث النبوي ، ولقرب عهدهم من عهد النبوة ، والصحابةُ في ذلك أعظم من التابعين .

ومع الاختصار الشديد في تفسير الجلالين ، فقد احتل الاستشهاد بالحديث حجماً لا بأس به ، ونتكلم عن عمل السيوطي في الاستشهاد بالحديث النبوي في تكملة تفسير الجلالين فيما يلي :

أولاً : أسباب النزول :

سبب النزول : هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه ، فهو يتناول أيّ حَدَث نزلت الآيات بشأنه ، من قول يقال ، أو سؤال يطرح ، أو واقعة تحدث . واشترطوا فيه « أيام وقوعه » لأمرين هامين :

١ ــ صيانة الدارس عن أن يخلط بين سبب النزول ، وبين موضوعات الآيات التاريخية من وقائع الأمم الماضية التي أخبر عنها القرآن ،

وقصها على الناس ، فليست تلك الوقائع مثل قصة إبراهيم وموسى وعيسى وأصحاب الكهف وغيرها ليست أسباب نزول للآيات ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

٢ - عبروا بقولهم « أيام وقوعه » بالجمع ، لأنه قد ينزل القرآن بعد السبب بقليل ، مثل آيات قصة الكهف ، نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤال المشركين للنبي ﷺ ، وهناك آيات نزلت بعد شهر من سببها[١] . ومعلوم أن القرآن لم ينزل كله على أسباب ، بل منه ما نزل ابتداء غير مسبوق بسبب ، على المعنى الذي شرحناه ، ومنه ما أنزل على أسباب . ولمعرفة سبب النزول فوائد في غاية الأهمية نذكر منها ما يلي بإيجاز :

١ - الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبَّب .

قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »[٢] .

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب » .

٢ - معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع مما يكون أدعى لتفهمه وتقبّله : فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وَبَعَثَهُ موقف الصحابة وامتثالُهم العجيب عند نزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسي بعملهم .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ : ٣١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ١ : ١٠١ ، والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة : ١٣٣ .

(٢) مطلع كتاب أسباب النزول للواحدي .

٣ ـ كشف أسرار البلاغة في القرآن العظيم :

وذلك أن ركن البلاغة الأساسي هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، ومن العسير أن يصل دارس القرآن إلى بلاغته وخصائص أسلوبه دون علم أسباب النزول ، التي يدرك بها خصوصيات مقاصد الأسلوب ، حيث يجد أن القرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين في عصر نزوله على أعلى مستوى معجز ، في الوقت ذاته الذي تلاءَم أسلوبه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدين[٣] .

ولهذه المكانة لأسباب النزول تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الإمام محمد بن سيرين : « سألتُ عَبِيدَة (أي السلماني) عن آية من القرآن فقال : « اتق الله وقُل سَداداً ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله القرآن »[٤] .

ومن دنا كان البَدَهي أن يعتمد السيوطي في تفسيره للقرآن على علم أسباب النزول ، كيف وهو مؤلف « لُبَابِ النُّقول في أسباب النزول » و « الدرالمنثور في التفسير بالمأثور » . لكن هذا لا يُلزمه أن يذكر أسباب النزول في كل المواضع ، بل حسبه أن يكون عمله مبنياً على هذا العلم . ومع ذلك فقد ذكر جملة صالحة من أسباب النزول ، بطريقة الإيجاز والإشارة ، مراعاة للاختصار الذي بُنِيَ هذا التفسير عليه .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يَزْعُمونَ أنهم آمَنُوا بما أُنْزِلَ إليك

(٣) انظر دراسة موسعة مع الأمثلة التطبيقية في كتابنا « القرآن الكريم والدراسات الأدبية » : ٥٨ ـ ٦٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي : ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، والإتقان : ١ : ٣١ .

وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ، يُريدونَ أنْ يَتحاكَمُوا إلى الطّاغُوتِ وقد أُمِرُوا أنْ يَكْفُروا به .. ﴾ .

قال السيوطي : « ونزل – لما اختصم يهودي ومنافق ، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ ، فأتياه فقضى لليهودي ، فلم يرض المنافق ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك ، فقال للمنافق : أكذلك قال ؟ قال : نعم . فقتله – : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون .. ﴾[٥] .

ففي هذه القصة روايات كثيرة ، كثير منها لا يذكر الذهاب إلى عمر ، ولا يذكر كعب بن الأشرف ، وقتل عمر للمنافق[٦] ، لكن السيوطي هنا اختار هذه الرواية لكونها أجمع الروايات ، واختصر سياقها قليلاً ، وكأنه لحظ فيها المناسبة لما يأتي بعد في الآيات من ذكر المصيبة التي أصابت المنافقين بما كسبت أيديهم .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصيْبُ بِها مَنْ يشاء وهُمْ يُجادِلُونَ في الله ﴾ .

قال السيوطي في هذا النص : « نزل[٧] في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه ، فقال : مَنْ رسول الله ؟ وما الله ؟ أَمِنْ ذهب هو أم من فضة أم نحاس ؟ . فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه »[٨] .

---

(٥) سورة النساء : الآية : ٥٩ ، وقوله : ﴿ ألم تر ﴾ في محل رفع فاعل لنزل . تفسير الجلالين : ١١٥ .

(٦) انظر الدر المنثور ٢ : ١٧٨ – ١٧٩ ، ولباب النقول بذيل الجلالين : ١٧٠ .

(٧) أي النص المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ .

(٨) سورة الرعد : الآية : ١٤ ، وانظر تفسير الجلالين : ٣٢٩ .

وهذا تلخيص لسبب النزول الذي ورد من عدة طرق يقوي بعضها بعضاً(٩) .

وهكذا يورد السيوطي ما كان ثابتاً من أسباب النزول مقتصداً في ذلك ، مع تلخيص الرواية مراعاة لطبيعة الكتاب ، واعتماداً على كتب التفسير المأثورة وكتابه « لباب النقول في أسباب النزول »(١٠) .

لكن يستثنى من ذلك موضع يستدعي وقفة تأمل لعمل السيوطي في أسباب النزول ، بل التعجب ، ذلك هو سبب النزول الذي ذكره في الآيات : ٧٦ ــ ٧٨ من سورة التوبة ، فقد ذكر السيوطي سبب النزول مدمجاً بالآيات هكذا :

﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِن آتَانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنّ ولَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحين ﴾ : وهو ثعلبة بن حاطب ، سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ، ويؤدي منه كل ذي حق حقه . فدعا له ، فوسّع عليه ، فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا به وتَوَلَّواْ وهُمْ مُعْرِضُون . فَأَعْقَبَهُم نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَه بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوه وبِما كانوا يَكْذِبون ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته ، فقال « إن الله منعني أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه . ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم إلى عمر فلم يقبلها ، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ، ومات في زمانه »(١١) .

---

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢ : ٥٢٤ ، ولباب النقول : ٣٢٩ ــ ٣٣٠ .

(١٠) انظر مثلاً تفسير الآيات التالية من الجلالين : سورة النساء آية ٦٨ ، و ١٠٤ والمائدة آية ٣٦ و ١٠٤ والأنعام : ٩٣ و ١١٤ وغيرها .

(١١) سورة التوبة : الآيات : ٧٦ ــ ٧٨ [تفسير الجلالين : ٢٦١ ــ ٢٦٢] .

هكذا أورد السيوطي قصة سبب النزول ملخصة عن رواية فيها تفاصيل وسرد يشبه أسلوب القصاص ، وحبكهم للحكايات ، وكان ذلك من أسباب ذيوع القصة وانتشارها على ألسنة الوعاظ والخطباء ، ولعل هذا الذيوع جعل السيوطي يوردها هكذا ، مع أن فيها إشكالات في السند وفي المتن ، نبيّنها بإيجاز فيما يلي :

أما في السند :

فقد اختلف الرواة في ذكر اسم صاحب القصة . فبعض الرواة سماه « ثعلبة بن حاطب » ، وبعضهم لم يسمه إطلاقاً بل أغفله[١٢] .

ونلاحظ بالدراسة للأسانيد أن الروايات التي ورد فيها تعيين الاسم أنه ثعلبة بن حاطب ضعيفة ، قال الإمام البيهقي[١٣] بعد أن أوردها : « هذا حديث مشهور بين أهل التفسير ، وإنما يُروى موصولاً بأسانيد ضعاف » .

بينما نجد الروايات الأخرى التي لم يذكر فيها اسم الصحابي ، ولا إشكالات المتن التي سنذكرها ثابتة بالأسانيد من صحيح وحسن . فكانت هي العمدة في هذه القصة .

وأما المتن فمشكل من وجوه ، نذكر منها ما يلي :

١ – في القصة أن صاحبها هو ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب صحابي أنصاري ، قديم الإسلام شهد بدراً[١٤] ، فهو إذن ثابت

---

(١٢) انظرها بأسانيدها في جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٤ : ٣٦٩– ٣٧٤ .

(١٣) دلائل النبوة : ٥ : ٢٩٢ .

(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣ : ٤٦٠ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٠٠ هامش الإصابة ، والثقات لابن حبان ٣ : ٣٦ .

العدالة ، لا يمكن وصفه بالنفاق ، لأن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١٥] ، فضلاً عن كونه من أهل بدر ، وفضلهم ثابت بالتواتر .

٢ ـ تعارض تسمية صاحب القصة ، فهناك من يقول : إنه ثعلبة بن حاطب ، وقيل : ثعلبة بن أبي حاطب ، وقيل : حاطب بن أبي بَلْتَعَة . وكأن التسمية وردت لذهن بعض الرواة توارداً مصادفاً دون مستند ثابت .

٣ ـ أن نص القرآن حكى الواقعة عن جماعة ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصّدَّقَنّ ﴾ ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا .. ﴾ ، والرواية تجعله واحداً . فهي تخالف نص القرآن .

٤ ـ أن القصة تصادم قواعد الشرع في قبول التوبة ، فقد ذكرت أن الرجل تاب وأتى بزكاة ماله إلى النبي ﷺ فرفضها ، ثم إلى أبي بكر فلم يقبلها ، وهكذا عُمر وعثمان . وذلك خلاف قواعد الشرع في قبول التوبة من الذنب .

إن أصول الشرع في إجْراءِ الأحكام تُلْزِمُ بتطبيقها على الناس كلهم ، على قدم المساواة ، وأخذاً بظواهر أحوالهم التي هي الإسلام ، دون تفتيش عن بواطنهم ، وقد كان النبي ﷺ يعامل المنافقين بحسب ظاهر إسلامهم ، حتى رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، عامله النبي ﷺ بحسب ما يُظْهِرُ من الإسلام ، فكيف تُخالفُ هذه القاعدة هنا في هذا الرجل ؟!! .

---

(١٥) انظر هذه الدلائل في كتابنا : منهج النقد في علوم الحديث ص ١٢١ ـ ١٢٤ .

ثانياً : تفسير القرآن بالحديث :

نجد في عمل السيوطي ، في تكملة تفسير الجلالين ، جملة جيدة من الأحاديث ، يستشهد بها لمناسبة شرحه معنى الآية ، كما نوضح ذلك فيما يلي : فمنه قوله تعالى : ﴿ الذينَ آمَنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهم مُهْتَدُون ﴾ .

قال السيوطي : « ولم يلبسوا (يخلطوا) إيمانهم بظلم (أي شرك ، كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين »[١٦] .

فقد فسّر الآية بالحديث ، مقتصراً على الإشارة إلى الحديث وتخريجه . وهو حديث صحيح متفق عليه ، عن ابن مسعود قال : (لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم .. ﴾ شق ذلك على المسلمين ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : « يابُنَيّ لا تُشرك بالله إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم »[١٧]) .

ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ تَراني ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فانِ اسْتَقَرَّ مكانَه فَسَوْفَ تَراني فلما تَجَلّى رَبُّه لِلْجَبَلِ جعلَه دكّاً وخَرّ مُوسى صَعِقا ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ، كما في حديث صححه الحاكم ...)[١٨] .

---

(١٦) سورة الأنعام الآية ٨٢ ، وتفسير الجلالين : ١٨٢ .

(١٧) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢ : ٥٦ .

(١٨) سورة الأعراف : الآية : ١٤٢ وتفسير الجلالين : ٢٢١ .

ففسر الآية بالحديث ، مشيراً إليه وإلى مصدره وحكمه .

والحديث أخرجه أيضاً أحمد والترمذي وقال : « حسن صحيح »[١٩] . فاختصر السيوطي وعزا الحديث للحاكم فقط وذكر درجته . وكان عزوه للترمذي أولى ، لكن يبدو أنه اعتمد في اقتباسه على لفظ الحاكم .

وهكذا درج في مواضع أخرى أيضاً ، يقتبس جملة من الحديث ، ويعزوه إلى مصدره[٢٠] .

وقد يفسر السيوطي القرآن بالحديث على الطريقة المتقدمة في الاقتباس المختصر ، لكن دون عزوٍ لمصدر الحديث :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آخر آية الكرسي : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّه السماواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُودُه حِفْظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العَظِيم ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ قيل : أحاط علمه بهما ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، لحديث : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلْقِيَتْ في ترس »)[٢١] .

وهذا الحديث غريب جداً ، والمشهور « ما السموات السبع » ، وفي رواية « ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة »[٢٢] .

---

(١٩) تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٢٤ .

(٢٠) انظر الصفحات : ١٢٥ ، ١٥٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٨٦ ، من تفسير الجلالين .

(٢١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ ، وتفسير الجلالين : ٥٦ .

(٢٢) الدر المنثور : ١ : ٣٢٨ .

لكنه لا يفيد اشتمال الكرسي على السموات . وهذا الحديث الأخير أورده السيوطي بشواهد له بمعناه في الدر المنثور[٢٣] ، ولم يذكر فيه الحديث الذي ذكره في تكملة تفسير الجلال المحلي ، مما يدل على شدة غرابته . وقد خرجه الطبري بسنده عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً ، فهو ضعيف ومرسل[٢٤] ومثل هذا الصنيع في الرواية نادر عند السيوطي ، وأكثر ما يغفل التخريج في أسباب النزول ، لكنه يتخير فيها ما هو قريب ، إلا ما تعقبناه في قصة ثعلبة .

ثالثاً : الإسرائيليات :

المراد بالإسرائيليات اللون اليهودي والنصراني من الثقافة والأخبار عن الأمم السابقة . وقد كثر النقل لهذا اللون في بعض كتب التفسير ، دون تمييز بين ما يُقبل وما لا يُقْبَل وما يُتوقف فيه ، وكان لذلك أثر سيئ في التفسير ، خصوصاً ما كان من القصص الخيالي المُخْتَرَع .

وتنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة نوضحها مع حكمها فيما يلي :

القسم الأول : ما يُعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام ، أنه الخضر ، فقد ثبت ذلك صريحاً في الحديث في صحيح البُخاري . كذلك ما كان له شاهد من الشرح يؤيده ، وهذا القسم صحيح مقبول .

القسم الثاني : ما يُعلم كَذِبُه ، بأن يناقِض ما عرفناه من الشرع ، أو

---

(٢٣) الموضع السابق .

(٢٤) انظر ابن كثير ١ : ٣١٧ . وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، ضعفه أحمد والدارقطني ، كما في المغني في الضعفاء رقم ٣٢٦٨ ، وأبوه تابعي ولم يذكر الواسطة وذلك ضعف آخر .

كان لا يتفق مع العقل . وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته إلا مع التحذير منه .

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا هو من قَبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني . وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . لأنه إن قبلناه قد يكون غير ثابت لما دخل تراثهم ، ونقلهم من الكذب . وإن كذَّبناه فقد يكون ثابتاً ، لذلك نتوقف فيه .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، وقد تختلف عبارات بعض المفسرين مع بعض بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى ومن أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، وتعيين بعض البقرة الذي ضُرِب به قتيل بني إسرائيل فأحياه الله وبيّن قاتله ، قال : قتلني ابنُ أخي .

إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن ، لحكمة جليلة ، مثل عدم شغل القارئ بما لا فائدة فيه ، في أمر ديني ولا دنيوي(٢٥) . ونجد السيوطي يورد نبذاً من الإسرائيليات في تفسيره هذا متنوعة ، منها ما يمكن قبوله ، لموافقته مقصد نص القرآن .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ واتّبَعُوا ما تَتْلو الشَّياطِيْنُ على مُلْكِ سُلَيانَ وما كَفَر سُلَيْمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ .

---

(٢٥) انظر في مسألة الإسرائيليات مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير : ١٣ – ١٤ و ٢٦ – ٢٧ ، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١ : ١٩٩ – ٢٠١ ففيه بحث واسع .

قال السيوطي : (﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما فزع ملكه .؟!! .

أو كانت تسترق السمع – يعني إلى السماء – وتضم إليه أكاذيب ، وتلقيه إلى الكهنة ، فيُدَوِّنونَه ، وفشا ذلك وشاع أن الجِنّ تعلم الغيب ، فجمع سليمان الكتب ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس ، فاستخرجوها ، فوجدوا فيها السحر ، فقالوا : إنما ملككم بهذا فتعلموه ، ورفضوا كتب أنبيائهم ..)[٢٦] .

فقوله: « أو كانت تسترق ... »، موافق لمقصود الآية، وهو افتراء اليهود وقلبهم الحقائق ، وجعلهم عمل سليمان من السحر ، مع أنه كان حرباً على السحر عليه السلام ، مما يجعل إيرادها ممكن القبول .

ومن الإسرائيليات عنده ما يتوقف فيه لغرابته :

ومن أمثلة ذلك قوله في شأن البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها ، ومراجعتهم في صفاتها ، فقال : « فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بِملْءِ مَسْكها ذهباً »[٢٧] . فقوله « بملء مَسْكِها » أي جلدها غريب حقّاً ، والقصة طويلة ، اختصرها السيوطي ، وفيها حبك غريب ، الله أعلم بحقيقتها .

ومن الإسرائيليات المشكلة عند السيوطي ما أورده في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِه وهَمَّ بِها لَوْلاَ أنْ رأى بُرْهَانَ ربه ﴾ .

قال السيوطي : « قال ابن عباس : مُثِّل له يعقوب فضَرَب صدره ،

---

(٢٦) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ ، وتفسير الجلالين : ٢١ .

(٢٧) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ – ٧٣ ، وتفسير الجلالين : ١٥ .

فخرجَت شهوَتُه من أنامله ، وجواب لولا لجامعها »[٢٨].

وهذا مشكـل غير مقبول ، لمـا هو معلوم من عصمة الأنبياء عن القبائح ، قبل النبوة وبعدها ، وهذا لا يتفق مع العصمة ، لأنه يؤدي إلى أنه ترك الفاحشة لأمر مُلْجِئ .

وقوله : « وجواب لولا لجامعها » غير مُسَلّم . بل المعنى « لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها » . أي أنه لم يَهِمّ بها إطلاقاً . كما تقول : « سافر فلان ، وسافرتُ لولا المرض » . أي أنك لم تسافر .

وفي تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطي ، وأكثرها وأشدها خطراً عند المحلّي ، لغلَبَةِ اشتغاله بالفقه .

(٢٨) الآية : ٢٤ من سورة يوسف ، وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- أسباب النزول للواحدي ، تحقيق سيد أحمد صقر . ط. دار المعارف - القاهرة .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، بحاشية الإصابة . ط . الخانجي .
- تفسير الجلالين . ط. دار مروان - الدار الغربية .
- تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير . ط. دار المعرفة - بيروت .
- التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي . ط. دار إحياء التراث العربي . - بيروت .
- الثقات ، لمحمد بن حبان البستي . ط. الهند .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، للطبري . ط. دار المعارف - مصر .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ط. دار الفكر . بيروت .
- الدار المنثور في التفسير المأثور ، للسيوطي . ط. دار الثقافة - بيروت .
- دلائل النبوة ، للبيهقي . تحقيق عبد المعطي قلعه جي . دار الفكر .
- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد . ط. دار بيروت . لبنان .

ـ القرآن الكريم والدراسات الأدبية . للدكتور نور الدين عتر . ط. جامعة دمشق .
ـ لباب النقول في أسباب النزول . بذيل تفسير الجلالين .
ـ المدخل إلى دراسة القرآن الكريم . لمحمد محمد أبو شهبة . ط. مصر .
ـ المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين الذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين عتر . ط. دار المعارف . حلب .
ـ مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية . ط. مطبعة الترقي ، دمشق .
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني . ط. دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الثانية بالقاهرة .
ـ منهج النقد في علوم الحديث ، للدكتور نور الدين عتر . ط. دار الفكر . الطبعة الثالثة .
ـ الموافقات ، للشاطبي . ط. المكتبة التجارية . مصر .

السيوطي وعلوم القرآن

الأستاذ محمد يوسف الشربجي

يعد السيوطي من أبرز الشخصيات ذات الإنتاج الثرّ في جميع العلوم والفنون حتى يمكن أن يطلق عليه « المفكر الموسوعي » وذلك لأن دراساته قد تعددت وشملت أكثر فروع المعرفة التي كانت مزدهرة في عصره .

ولما كان هذا البحث سينشر ضمن بحوث عن الإمام السيوطي بمناسبة مرور خمسمائة سنة على وفاته فسأشير بإيجاز شديد إلى ملامح شخصية هذا العَلَم مركّزاً على جهوده في علوم القرآن .

جلال الدين السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري[1] الشافعي أبو الفضل ، ولد بالقاهرة مستهل شهر رجب سنة (٨٤٩هـ)[2] من أسرة علم ومعرفة ، فقد كان والده كمال الدين أبو بكر بن محمد من فقهاء الشافعية ، وولي درس الفقه بالجامع الشيخوني ، وخطب بالجامع الطولوني ، وكان ذا سيرة حميدة ، وعفة ونزاهة[3] ، ولما

(١) نسبة إلى الخضيرية وهي محلة ببغداد ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ط دار صادر بيروت ١٩٨٤م) : ٣٧٧/٢ .

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي مصر ١٩٦٧م) : ٣٣٦/١ ، والتحدث بنعمة الله للسيوطي ، تحقيق اليزابيت ماري سارتين (ط ، المطبعة العربية الحديثة ١٩٧٢) ص : ٣٢ .

(٣) حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ، التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر)ص : ٣٥٦ .

توفي سنة (٨٥٥هـ) لم يكن السيوطي – الابن – قد تجاوز السادسة من عمره ، فعهد به والده قبل وفاته إلى أحد أصدقائه وهو كمال الدين بن الهمام الحنفي صاحب « فتح القدير » المتوفى سنة (٨٦١هـ)[٤] ، وقد لحظه بنظره ، وأولاه عنايته ورعايته ودعا له[٥] .

وظهرت على جلال الدين السيوطي منذ نعومة أظافره علامات الفطنة وأمارات الذكاء فحفظ القرآن وهو دون الثامنة من عمره[٦] ، ثم حفظ متون الفقه والنحو وأخذهما عن جماعة من شيوخ عصره ، ولزم العلاّمة شيخ الإسلام علم الدين البلقيني إلى أن توفي سنة ٨٦٨هـ ، وكذلك لزم الإمام شرف الدين المناوي المتوفى سنة ٨٧١هـ ، ودرس عليه إلى أن مات ، ولزم في الحديث والعربية تقي الدين الشمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، ومن الذين لازمهم السيوطي كثيراً الإمام العلاّمة محيي الدين الكافيجي المتوفى سنة ٧٨٩هـ ، فقد لزمه السيوطي أربع عشرة سنة[٧] ،

---

(٤) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد المعروف بابن الهمام . انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي (نشر مكتبة الحياة ، بيروت) : ١٢٧/٨ ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦١م) : ١٦٦/١ .

(٥) انظر طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، للسيوطي ، مطبوعة ضمن (شرح مقامات السيوطي) بتحقيق سمير الدروبي (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٩م) ٨١٥/٢ وللفتح المبين ، للمراغي (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٧٤م) ٦٥/٣ .

(٦) حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ ، بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ، مخطوطة محفوظة بمكتبة شستربتي رقم ٤٤٣٦ ق ٩/ب .

(٧) التحدث بنعمة الله ص : ٢٤١ ، وحسن المحاضرة : ٣٣٨/١ .

وقد ذكر الشيخ الشعراني – تلميذ السيوطي – في طبقاته الصغرى أن شيوخ السيوطي بلغوا ستمائة نفس ورتبهم في أربع طبقات :

الأولى : من يروي عن أصحاب الفخر بن النجار ، والشرف الدمياطي ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وابن أبي نصر الشيرازي ، ونحوهم .

الثانية : من يروي عن السراج البلقيني ، والحافظ ابن أبي الفضل العراقي ، ونحوهم وهم دون التي قبلها في العلو .

الثالثة : من يروي عن الشرف ابن الكويك ، والجمال الجيلي ، ونحوهم وهم دون الثانية .

الرابعة : من يروي عن أبي زرعة العراقي ، وابن الجوزي ، ونحوهما ، وهذه لتكثير العدة وتكبير الحجم(٨) . ولم أرو عنهم شيئاً لا في الإملاء ولا في التخريج ولا في التأليف(٩) .

وقد حرص السيوطي على ترجمة مشايخه الذين أخذ عنهم العلم فوضع فيهم خمسة مصنفات وهي :

١ – حاطب ليل وجارف سيل ، وهو معجم شيوخه الكبير ، أشار إليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه « حسن المحاضرة » في فن التاريخ

(٨) الطبقات الصغرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني ، تحقيق عبد القاهرة عطا (ط١ ، ١٩٧٠م نشر مكتبة القاهرة) ص : ١٩ . وانظر التحدث بنعمة الله للسيوطي ص : ٤٣ ، وفهرس الفهارس والأثبات للشيخ عبد الحي الكتاني : ١٠١٣/١ (ط ، دار الغرب الإسلامي بيروت) .

(٩) التحدث بنعمة الله ص : ٤٣ ، والمنجم في المعجم للسيوطي : ق ١/ب مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ عارف حكمت في المدينة المنورة رقم ٩٠٠/٢٣١ ، وبهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ق ١٢/ب .

والأدب[١٠] .

٢ – زاد المسير في الفهرست الصغير ، ورد ذكره في فهرست مؤلفاته[١١] .

٣ – فهرست المرويات ، ويسمى « إنشاب الكتب في أنساب الكتب » ، وقد ورد ذكره في فهرست مؤلفاته ، وأشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون[١٢] .

٤ – المنتقى ، وهو المعجم الصغير ، وقد ذكره السيوطي في كتابه حسن المحاضرة[١٣] .

٥ – المنجم في المعجم وقد ذكره في فهرس مؤلفاته في فن التاريخ وتعليقاته ، وقد قال في مقدمته : « هذا معجم ذكرت فيه أعيان الشيوخ الذين سمعت منهم الحديث أو أجازوا لي وهي ثلاث طبقات »[١٤] ، وقد تقدم ذكرهم .

---

(١٠) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ٩٤٨/٢ ، فهرس الفهارس : ١٠١٨/٢ .

(١١) فهرست الكتب التي صنفها شيخ الإسلام السيوطي ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٨٩٦) ق ٣٧/ب ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي لمحمد الشرقاوي إقبال (ط ، الرباط ١٩٧٧م) ص : ٢١٤ .

(١٢) فهرست الكتب التي صنفها السيوطي للسيوطي ، مخطوط ق ٣٦/ب ، حسن المحاضرة : ٣٤١/١ ، كشف الظنون : ٦٧٠/٦ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ ، مكتبة الجلال السيوطي ص : ٩٣ و ٢٧١ .

(١٣) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(١٤) المنجم في المعجم ق : ١/ب ، وانظر فهرست مؤلفاته ق : ٣٩/أ .

وقام السيوطي بعدة رحلات ضمن مصر وخارجها فرحل إلى الفيوم والمحلة ودمياط والرشيد والإسكندرية[١٥]، وحج وشرب من ماء زمزم ودعا أن يصل في الفقه إلى رتبة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر[١٦] . وقد جمع فوائد هذه الرحلة وما وقع له وما ألفه أو طالعه أو نظمه أو أخذ عن الشيوخ في كتاب سماه «النحلة الزكية في الرحلة المكية »[١٧] . ولما رجع من هذه الرحلة انتصب للتدريس فلم يرد طالباً ولا مبتدئاً ولا فاضلاً كما حدث عن نفسه[١٨] ، وذلك من شوال سنة سبعين وثمانمائة .

وبدأ إملاء الحديث بالجامع الطولوني ، وتصدى للإفتاء من سنة إحدى وسبعين ، وقد بلغ درجة الترجيح والاجتهاد يقول في كتابه التحدث بنعمة الله : « ولما بلغت درجة الترجيح لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه ، ولما بلغت رتبة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه »[١٩] .

وولي تدريس الحديث بالشيخونية[٢٠] ، وتولى عدة مناصب أخرى ، وقد تتلمذ له كثيرون من الفطاحل والنابغين منهم ابن إياس الحنفي صاحب بدائع الزهور الذي يطلق على الشيخ كلما ذكر « شيخنا » ،

(١٥) التحدث بنعمة الله ص : ٨٣ .

(١٦) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله ص : ٧٩ .

(١٧) التحدث بنعمة الله ص : ٧٠ .

(١٨) التحدث بنعمة الله ص : ٨٨ ، ونقل ذلك عنه تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين : ق ١٣/أ .

(١٩) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الطبقات الصغرى : ٢٠ ـ ٢١ .

(٢٠) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٦/٤ .

ومنهم أيضاً الشيخ عبد القادر الشاذلي المتوفى سنة ٩٣٥هـ صاحب كتاب « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » ، ومنهم المحدث محمد بن علي شمس الدين الداودي المالكي صاحب طبقات المفسرين ، وله كتاب في ترجمة الحافظ السيوطي شيخه ، ومنهم أيضاً المحدث والمؤرخ ابن طولون الصالحي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ صاحب « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » ، والإمام العلاّمة محمد بن عبد الرحمن العلقمي المتوفى سنة ٩٦٩هـ صاحب المؤلفات العديدة في الحديث وغيره .

وقد كملت عنده آلات الاجتهاد ورزق التبحر في كثير من العلوم كما يحدث بذلك عن نفسه تحدثا بنعم الله تعالى لا فخراً ورياء . وصنف الكتب الكثيرة حتى صار يطلق عليه ابن الكتب[٢١] ، وقد جمع الأستاذ محمد الشرقاوي إقبال كتب الإمام السيوطي في كتاب سماه « مكتبة الجلال السيوطي » فبلغ عدد مؤلفاته فيه (٧٢٥) كتاباً منها ما هو مكرر ومنحول .

يقول السيوطي متحدثاً بنعم الله عليه : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت ذلك من فضل الله لا بحولي ولا بقوتي ... »[٢٢] .

وكان آية كبرى في سرعة التأليف حتى قال تلميذه الداودي : « عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً وكان

---

(٢١) وذلك لأن ولادته كانت بين الكتب ، انظر المنح البادية للفاسي ق : ٣ ، والنور السافر للعيدروسي ص : ٥١ .

(٢٢) حسن المحاضرة : ١/٣٣٠ .

مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض عنه بأجوبة حسنة »[٢٣] .

وقد انتشرت كتبه في حياته شرقاً وغرباً ، وشهرة كتبه تغني عن ذكرها[٢٤] .

وقد عد من مناقبه كثرة كتبه ومؤلفاته قال تلميذه الشعراني : « ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس عليه في سائر الأقطار ، وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها لكان ذلك كفاية لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف[٢٥] » .

ولما بلغ الشيخ السيوطي أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته وترك الإفتاء والتدريس وألف كتاباً سماه « التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس »[٢٦] . وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات . ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل مدة سكناه[٢٧] .

وكان رحمه الله تعالى مترفعاً على أهل الدنيا بل على ملوكها وسلاطينها متعززاً عليهم متعففاً عنهم معرضاً عما في أيديهم لا يلتفت إليهم ولا يداهنهم ولا يرائيهم بل لا يتردد إلى أحد أصلاً ، لا في الخلوة ولا في

---

(٢٣) شذرات الذهب لابن العماد : ٥٣/٨ ، وفهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(٢٤) قسمها في كتابه التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ إلى سبعة أقسام ، وذكر ذلك الشاذلي في بهجة العابدين ق ١٤/أ .

(٢٥) الطبقات الصغرى ص : ٣٦ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٤/٨ .

(٢٦) عرض لها الأستاذ مرزوق علي إبراهيم في مجلة الاعتصام جانقي ١٩٠٠م .

(٢٧) بهجة العابدين ق ٢٩/ب ، والطبقات الصغرى ص : ٣٢ ، وشذرات الذهب : ٥٣/٨ .

الملأ ، وألف في ذلك رسالة سماها « ما رواه الأساطين في المجيء إلى السلاطين[٢٨] » .

قال ابن العماد : « وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ، وأهدى إليه الغوري[٢٩] خصياً وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصي ، فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : « لا تعد تأتينا بهدية قط ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك »[٣٠] .

وفي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة توفي الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى يقال إنه الخلط الحاد ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة ، رحمه الله تعالى[٣١] .

(٢٨) وقد قام بتحقيقها الأخ الصديق طه بوسريح التونسي ، وهي قيد الطباعة .

(٢٩) هو السلطان الأشرف قانصوه الغوري الجركسي ، ولد سنة ٨٥٠هـ ، وترقى في المناصب إلى أن صار سلطاناً ، قتل في معركة قرب مرج دابق شمالي حلب ٩٢٢هـ ، ولم يعثر له على أثر . انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي ، تحقيق د. محمد مصطفى (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م) : ٨٦ ـ ٨٧ ، وشذرات الذهب : ١١٣/٨ .

(٣٠) شذرات الذهب : ٥٣/٨ ، وانظر الطبقات الصغرى ص :٣٤ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور (ط٢ ، بيروت ١٩٧٩) : ٢٢٨/١ .

(٣١) الطبقات الصغرى ص : ٣٦ ، بهجة العابدين ق : ٤٣/أ ، شذرات الذهب : ٥٥/٨ ، النور السافر ص : ٥١ ، الكواكب السائرة : ٢٣١ ، وللعلامة أحمد تيمور باشا رسالة في قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه .

جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن :

لقد فطر الله تعالى الإمام السيوطي على حب القرآن الكريم وحفظه منذ الصغر ، فقد ذكر أنه حفظ القرآن وهو دون ثماني سنوات[٣٢] ، وهذا دليل ذكائه ونبوغه ، فمن كان هذا حاله لا يستبعد أن يدهشنا بمثل هذه المؤلفات التي تركها والتي يعجز الواحد منا عن قراءتها فضلاً عن تحريرها وتأليفها .

وقد ابتدأ السيوطي تأليفه بالقرآن الكريم ، فكان أول شيء ألفه « شرح الاستعاذة والبسملة » ، وقد اطلع عليه شيخه البلقيني فأقره وأعجبه وكتب عليه تقريظاً[٣٣] ، ثم توالى تأليفه بعد ذلك .

وقد رزقه الله تعالى عقلية خصبة وفكراً معطاء وذكاءً وقاداً مما جعله يتبحر في كثيرٍ من العلوم والفنون ، وقد كانت علوم القرآن من جملة العلوم التي ذكرها أثناء تحدثه عن نعم الله عليه . فقال : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم »[٣٤] .

والسيوطي شديد الاعتداد بنفسه وكتبه ، وكثيراً ما يقول : « إن هذا الكتاب لم يؤلف مثله » ، وهو عندما صنف مؤلفاته في كتابه

(٣٢) حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ .

(٣٣) ذكر الإمام السيوطي نص التقريظ في كتابه « التحدث بنعمة الله » ص : ١٣٧ .

(٣٤) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله ص : ٢٠٣ .

« التحدث بنعمة الله » جعل القسم الأول لما تفرد فيه ولم يسبقه إليه أحد فقال : « ولا يعلم لهذا القسم نظير في الدنيا » وهذا لا على سبيل عجز المتقدمين وإنما لعدم تصديهم لمثل هذه الموضوعات ، أما علماء عصره فيقول : « فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد »[٣٥] ومن جملة ما ذكره تحت هذا القسم في علوم القرآن خاصة :

١ - الإتقان في علوم القرآن .

٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

٣ - ترجمان القرآن .

٤ - أسرار التنزيل (وهو المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار).

٥ - الإكليل في استنباط التنزيل .

٦ - تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور[٣٦] .

هذا وقد وقفت على مخطوطة لكتب الإمام السيوطي ذكرها تلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتابه « بهجة العابدين » ذكر فيها : هذا فهرست العالم العلاّمة حافظ العصر الجلال السيوطي من نسخة عليها خط المؤلف سامحه الله ورحمنا به دنيا وأخرى[٣٧] » وسأنتقي منها ما يتعلق بعلوم

(٣٥) التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ ، بهجة العابدين ق : ١٤/أ .

(٣٦) لقد بالغ السيوطي رحمه الله تعالى في دعواه هذه فقد استعان هو نفسه بكتب من سبقه ، وقد اطلع على كتاب البرهان للزركشي وأعجب به ، وكذلك على كتاب شيخه البلقيني ، وقد سبقه إلى ما ادعاه من تأليف ابن أبي حاتم في التفسير ، وكذلك الطبري ، والبقاعي في كتابه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .

(٣٧) بهجة العابدين ق : ٣٥/أ، وهناك نسخة أخرى مخطوطة محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية رقم ٥٨٩٦ ضمن مجموع ، وقارن مع حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ - ٣٤٠ .

القرآن وتعلقاته :

١ – الدر المنثور في التفسير المأثور (اثنا عشر مجلداً كباراً) .

٢ – التفسير المسند ويسمى (ترجمان القرآن) خمس مجلدات .

٣ – الإتقان في علوم القرآن (مجلد ضخم) .

٤ – الإكليل في استنباط التنزيل .

٥ – لباب النقول في أسباب النزول .

٦ – الناسخ والمنسوخ في القرآن .

٧ – مفحمات الأقران .

٨ – أسرار التنزيل يسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) كتب منه إلى آخر سورة براءة ، في مجلد ضخم .

٩ – تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي ، وذلك من أول القرآن إلى آخر سورة الإسراء (مجلد لطيف ممزوج) .

١٠ – تناسق الدرر في تناسب السور .

١١ – حاشية على تفسير البيضاوي تسمى (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) أربع مجلدات .

١٢ – التحبير في علوم التفسير (جزء لطيف) .

١٣ – معترك الأقران في مشترك القرآن .

١٤ – المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب .

١٥ – خمائل الزهر في فضائل السور .

١٦ – ميزان المعدلة في شأن البسملة .

١٧ – شرح الاستعاذة والبسملة .

١٨ – مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع .

١٩ – الأزهار الفائحة على الفاتحة .

٢٠ ـ فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ الآية ، استنبط منها مائة وعشرين نوعاً من أنواع البديع .

٢١ ـ اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى .

٢٢ ـ المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

٢٣ ـ دفع التعسف عن إخوة يوسف .

٢٤ ـ إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة .

٢٥ ـ الحبل الوثيق في نصرة الصديق ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ .

٢٦ ـ الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ .

٢٧ ـ المحرر في قوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ .

٢٨ ـ مفاتيح الغيب ، كتب منه من ﴿ سبح ﴾ إلى آخر القرآن في مجلد .

٢٩ ـ ميدان الفرسان في شواهد القرآن (كتب منه يسير) .

٣٠ ـ مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن (وهو مختصر مجاز القرآن للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، كتب منه يسير) .

٣١ ـ [ألفية في القراءات العشر][٣٨] .

٣٢ ـ شرح الشاطبية (ممزوج) .

---

(٣٨) من نسخة دار الكتب الوطنية بدمشق العامرة .

٣٣ – الدر النثير في قراءة ابن كثير .

٣٤ – منتقى من تفسير الفريابي .

٣٥ – منتقى من تفسير عبد الرزاق .

٣٦ – منتقى من تفسير ابن أبي حاتم (مجلد) .

٣٧ – القول الفصيح في تعيين الذبيح .

٣٨ – الكلام على أول سورة الفتح ، وهو تصدير المتوكلي .

انتهى ما ذكر من مؤلفات الإمام السيوطي في المخطوط . ويمكنني أن أضيف على ما ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته من كتابه « حسن المحاضرة » كتاب :

٣٩ – مجمع البحرين ومطلع البدرين (الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) الذي جعل « الإتقان » مقدمة له .

٤٠ – المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية إلخ .. وقد ذكره بروكلمان(٣٩) .

٤١ – وله رسالة في أصول التفسير جردت من كتابه « النقاية »(٤٠) .

وبالنظر في عناوين كتب الإمام السيوطي في علوم القرآن أو حتى في غيرها من الفنون نراه كثيرا ما يهدف من تآليفه إلى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، وهذه الحقيقة ظاهرة في مؤلفاته الكثيرة ، فكل مجموعة منها تمثل فناً متكاملاً بحث فيه كل ما يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكلية . وقد رأينا ذلك واضحاً من

(٣٩) تاريخ الأدب العربي : G. II. 181

(٤٠) طبعت مع عدة رسائل في دمشق سنة ١٣٣١هـ ، بعناية الشيخ جمال الدين القاسمي .

خلال سرد كتبه في علوم القرآن ، فكل واحد منها يشكل حلقة مكملة لغيرها ، وتشكل في مجموعها فناً شاملاً وكاملاً لكل ما يتعلق بعلوم القرآن من فنون . وقد نبه السيوطي نفسه إلى هذه الحقيقة في مقدمة كتابه « قطف الأزهار » التي تعد مقدمته خير مثال يوضح جهوده في هذا النص ، وكيف أن كتبه يكمل بعضها بعضاً ، فقد جاء فيها قوله(٤١) :

« وبعد فإن الله سبحانه وله الحمد قد منّ علي بالنظر في علوم القرآن وحقائقه ، وتتبع أسراره ووقائعه حتى صنفت في تعلقاته كتباً شتى منها التفسير الملقب « ترجمان القرآن » وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل ، وسمعوا منه التفسير والتأويل ، ولما كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضاً ليس فيه إعراب ولا سرّ بياني أردفته بكتب ، من ذلك كتاب « الإتقان في علوم القرآن » وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير وأكثر قواعده كلية ... ، ثم وضعت في الأحكام كتاب « الإكليل في استنباط التنزيل » وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في أحكام القرآن ... ، ثم أفردت كتاباً في أسباب النزول سميته « لباب النقول » بالغت في إيجازه وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات لم يؤلف في نوعه أجمع ولا أوجز (يعني بذلك كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات

---

(٤١) لم أستطع الحصول على هذا الكتاب ، وقد رجع اليه الدكتور محمد سلمان في كتابه « السيوطي النحوي » ونقلت منه مقدمة السيوطي ص : ١٢٩ ـ ١٣٠ ، والمخطوط موجود في المكتبة السليمانية باستنبول تحت رقم (٤١) مراد بخاري ، وقد أشار السيوطي الى هذا الكتاب وبيّن محتوياته في مقدمة كتابه « تناسق الدرر في تناسب السور » ، تحقيق عبد الله الدرويش (ط دار الكتاب العربي سورية ١٩٨٣) ص : ٢٥ ـ ٢٦ .

القرآن ») ... ، ثم أفردت كرّاسة في ما وقع فيه (أي القرآن) من الألفاظ المعربة سميتها « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » ... ، ثم كرّاسة سميتها « معترك الأقران في مشترك القرآن » فائقة معناها ، ثم مختصراً يسمى « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » وهذا لم يتم بعد ، ثم كتاباً يسمى « خمائل الزهر في فضائل السور » ، وهذا كتاب (يعني كتاب قطف الأزهار) شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل ، أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني ... ، فإذا تم هذا الكتاب وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير » .

إلا أن هذا الكتاب لم يتم ، فقد ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته أنه كتب فيه إلى آخر سورة براءة ، وهو مجلد ضخم(٤٢) .

وبالنظر في كتب الإمام السيوطي نجد أن معظمها عبارة عن رسائل صغيرة ، وقد تداخلت أحياناً بعضها في بعض ، فمثلاً كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »(٤٣) نجده كله أو خلاصته في كتاب « معترك الأقران »(٤٤) ثم نجد كتاب « معترك الأقران » جزءاً من كتاب « الإتقان »(٤٥) .

(٤٢) فهرست مؤلفات السيوطي ق : ٣٥/أ ، انظر كشف الظنون : ١٣٥٢/٢ .

(٤٣) طبع عدة مرات ، فقد قام الأستاذ الدكتور مصطفى البغا بضبطه والتعليق عليه ، وطبع في مؤسسة علوم القرآن بدمشق ،الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، وقام الأخ إياد خالد الطباع بتحقيقه وطبعه في مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٦م .

(٤٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، طبع في دار الكتب العلمية ١٩٨٨م ، وكان قد سبقه إلى تحقيقه علي البجاوي ، وطبع في مصر .

(٤٥) الإتقان في علوم القرآن ، طبع عدة مرات أيضاً بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع في بيروت ١٩٧٨م ، وكذلك قام الدكتور مصطفى البغا بالتعليق على هذا

و« تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور » ملخص من كتابه « أسرار التنزيل » وذكر ذلك في النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور من « الإتقان »[٤٦] ، وكذلك الأمر ينطبق على كتابيه « المهذب فيما وقع القرآن من المعرب »[٤٧] و« المتوكلي »[٤٨] فعندما طلب منه الخليفة العباسي « المتوكل على الله » أن يؤلف له كتاباً في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب ، أجابه إلى طلبه وقام بإعادة ترتيب كتاب « المهذب » من حروف المعجم إلى ترتيب يقوم على أساس اللغات الحبشية ثم الفارسية ثم الرومية .. الخ ، وسماه « المتوكلي » باسم الخليفة ، وقد ورد جلّ ما في هذين الكتابين في كتابه « التحبير في علوم التفسير »[٤٩] النوع الأربعون (المعرب) وخلاصة هذه

= الكتاب ، وطبع في دار ابن كثير عام ١٩٨٧م في مجلدين ، وقارن كتاب « مفحمات الأقران » بـ « الوجه الثالث والثلاثين » من وجوه إعجاز القرآن .. في كتاب معترك الأقران : ١/٣٦٦ ـ ٣٨٤ « والنوع السبعون في المبهمات » من كتاب الإتقان : ٢/١٠٨٩ ـ ١١١٠ .

(٤٦) انظر الإتقان في علوم القرآن : ٢/٩٧٦ ، وقارن مع كتاب « تناسق الدرر .. » .

(٤٧) قام الدكتور التهامي الراجي الهاشمي بتحقيقه ، وطبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة في مطبعة فضالة بالمغرب .

(٤٨) طبع في دار البلاغة ، بيروت ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي .

(٤٩) التحبير في علم التفسير وهو أقدم من كتاب « الإتقان » ويحتوي على مائة واثنين من أنواع علوم القرآن ، وموضوعات الكتابين متقاربة ، وقام الدكتور فتحي عبد القادر فريد بتحقيقه وطبعه في دار العلوم في الرياض ١٩٨٢م ، وسبق أن نشره في لاهور ، باكستان .

الكتب الثلاثة تجدها في الإتقان : النوع الثامن والثلاثون (فيما وقع فيه – أي القرآن – بغير لغة العرب) وذكر فيه أنه أفرد في هذا النوع كتاباً سماه « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » .

ومن هنا يمكننا القول : إن كتاب « الإتقان » يحوي أكثر ماكتبه السيوطي عن القرآن في كتبه الأخرى فكأنه ، كتبها رسائل من مباحث مختلفة ترتبط بالقرآن من أسباب التنزيل إلى المتشابه فالمبهمات وتناسب السور والمعرب ... الخ ، ثم جمعها كلها في « الإتقان في علوم القرآن » الذي جعل اسمه أميل إلى الشمول ليضم مختلف البحوث الأخرى التي اتجه كل منها إلى مبحث خاص .

وانطلاقاً من هذا المبدأ فسأقتصر في بحثي عن علوم للقرآن عند الإمام السيوطي على كتاب يعدُّ من أعظم ما ألف السيوطي وهو :

الإتقان في علوم القرآن

بين لنا الإمام السيوطي في مقدمة كتاب الإتقان – كعادته في كل مؤلفاته – منهجه في هذا الكتاب وأهمية كتابه والمصادر التي رجع إليها والزيادات الضرورية التي ارتآها والتي لم يسبق إليها فقال : « ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإنسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود ، علاّمة الزمان ، فخر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي[٥٠] – مدّ الله في أجله ،

(٥٠) هو محمد بن سليمان بن سعد الدين بن مسعود محيي الدين الكافيجي ، أبو عبد الله سمي بالكافيجي لكثرة قراءته « الكافية » لابن الحاجب ، ولد قبل ثمانمائة تقريبا ، =

وأسبغ عليه ظله – يقول : قد دونت في علوم التفسير كتاباً لم أسبق إليه ، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان :

الأول : في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثاني : في شروط القول فيه بالرأي .

وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم(*) .

فلم يشف لي ذلك غليلاً ، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً ، ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المطلبي علم الدين البلقيني(٥١) رحمه الله تعالى ، على كتاب لأخيه قاضي القضاة جلال الدين سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » فرأيته تأليفاً لطيفاً ، ومجموعاً ظريفاً ، ذا ترتيب وتقرير ، وتنويع وتحبير ... وذكر فيه ستة أمور تحتوي على خمسين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، ثم تكلم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات ، فصنفت في ذلك كتاباً سميته « التحبير في علوم التفسير » ضمنته ما ذكر البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها » .

= وتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة . انظر ترجمته في حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ – ٥٥٠ ، بغية الوعاة : ١١٧/١ – ١١٩ ، الضوء اللامع : ٢٥٩/٧ ، المنجم في المعجم : ق : ٢٦/أ ، مخطوط محفوظ بمكتبة الشيخ عارف حكمت رقم : ٩٠٠/٢٣١ .

(*) هذا الكتاب اسمه التيسير في قواعد علم التفسير ، طبع بتحقيق ناصر بن محمد المطرودي (في دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٠م) .

(٥١) هو شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين ، حامل لواء المذهب الشافعي في عصره ، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وقد أخر السيوطي ترجمته بالتأليف ، وتوفي سنة ثمان وستين وثمانمائة . انظر حسن المحاضرة : ٤٤٤/١ – ٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٣٠٦/٧ .

وقال في مقدمته بأن علوم القرآن كفنّ بقيت مهملة إلى أن عمل البلقيني كتابه « مواقع العلوم » فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ، ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، ولكن كل مبتكر أمراً لابد أن يكون صغيراً ثم يكبر ، وقليلاً ثم يكثر ، كما قال أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة نهايته : « كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر(٥٢) » .

فظهر لشيخنا السيوطي استخراج أنواع لم يسبق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوف الكلام عليها فجرد الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم وجمع به شوارده ، وضم إليه فوائده حتى إذا تمّ وكمل سماه « التحبير في علم التفسير » وقسمه إلى مائة ونوعين ، وذكرها ، وتم هذ الكتاب كما يقول في سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] .

ويتابع السيوطي مقدمته على الإتقان فيقول :

« ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء ، هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلا وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ، ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » . فتطلبه ووقف عليه فازداد به سروراً وحمد الله كثيراً وقوى عزمه على إبراز ما أضمره وشدد الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصده ، فوضع كتابه

(٥٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : ١/٥ . لابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد = الزاوي ومحمود محمد الطناحي (نشر المكتبة الإسلامية) : ١/٥ .

« الإتقـان » ورتب أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » كما يقول : « وأدمجت بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيـه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنف الآذان وسميته « الإتقان في علوم القرآن » وقسمته إلى ثمانين نوعاً كل نوع منه يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً » .

والإمام السيوطي قد ذكر في مقدمتـه أن كتابه « الإتقان » جعله مقدمة للتفسـير الكبـير الذي شـرع فيـه وسماه « مجمع البحرين ومطـلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية » . من خلال هذه المقدمة التي بين فيها السيوطي رحلته مع هذا الكتاب نخلص إلى ما يلي :

١ ـ إن الدافع له على تأليف هذا الكتاب هو ندرة الكتب المؤلفة في هذا العلم وعدم شمولها ، وأنه لم يشف غليله ما كتبه شيخه الكافيجي ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني .

٢ ـ قبـل أن يؤلف « الإتقـان » ألف كتـاب « التحبير في علوم التفسير » ضمنه ما وقف عليه من كتب من سبقه وأضاف إليه ما أفاضت عليه قريحته من نقول .

٣ ـ وأنـه لمـا عزم على تـأليفـه « الإتقــان » سمع بـ « البرهان » للزركشي فلما وقف عليه سرّ به وأضـاف إليه وأدمج ما يحتاج إلى إدماج وفصل ما يحتاج إلى فصل .

٤ ـ جعل كتاب « الإتقان » مقدمة لتفسير كبير له سماه « مجمع البحرين » .

هذا وقد لخص حاجي خليفة مقدمة السيوطي فقال : « الإتقان في علوم القرآن ـ مجلد أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... الخ ،

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ، وهو أشبه آثاره وأفيدها ، ذكر فيه تصنيف شيخه الكافيجي واستصغره ، و« مواقع العلوم » للبلقيني واستقله ، ثم أنه وجد « البرهان » للزركشي كتاباً جامعاً بعد تصنيفه « التحبير » فاستأنف وزاد عليه إلى ثمانين نوعاً وجعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي شرع فيه وسماه « مجمع البحرين » قال : « وفي غالب الأنواع تصانيف مفردة »(٥٣) .

وفي ختام مقدمة « الإتقان » ذكر الإمام السيوطي ما وقف عليه من تصانيف وهو معتد بنفسه وبكتبه كثيراً فيصف كتبه بالضخامة والفخامة وكتب غيره بالقلة والضآلة فيقول : « ومن المصنفات في مثل هذا النمط – أي الإتقان – وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه ، وإنما هي طائفة يسيرة ونبذ قصيرة مثل :

« فنون الأفنان في علوم القرآن » لابن الجوزي .

« وجمال القراء » للشيخ علم الدين السخاوي .

« والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز » لأبي شامة .

« والبرهان في مشكلات القرآن » لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذله .

وكلها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل عالج(٥٤) ، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر .

ويمتاز السيوطي في ذكر مراجعه بتصنيفها ، فهو لا يذكرها كلها جملة واحدة ، وإنما يصنفها طبقاً لموضوعاتها ، وقد صنف مراجعه في

(٥٣) كشف الظنون : ١/٨ .

(٥٤) عالج : موضع في جزيرة العرب به رمال .

« الإتقان » إلى نقلية ، فبلغ عددها (١٩) كتاباً ، ويذكر أنه رجع إلى جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى ، وإلى كتب القراءات وتعلقات الأداء ، فبلغت (١٣) كتاباً ، وإلى كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب فبلغت (٢٤) كتابا ، وإلى كتب الأحكام وتعلقاتها فبلغت (١٦) ، وإلى الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة فكانت (٥١) كتاباً ، وإلى كتب الرسم (٣) ، وإلى الكتب الجامعية (٧) ، وإلى تفاسير غيرالمحدثين فبلغت (٢١) تفسيراً ، فيكون مجموع ما ذكره ونص عليه (١٥٤) كتاباً عدا ما أغفله من كتب الحديث وغيرها .

وقد ساعده في الحصول على هذه الكتب تردده إلى المكتبة المحمودية ، وألف السيوطي فيها رسالة سماها « بذل المجهود في خزانة محمود »[٥٥] ، وكان أحد شيوخه وهو محمد بن سعد السيرامي خازناً لكتب الشيخونية والذي قال عنه السيوطي عندما ترجم له في كتابه « نظم العقيان »: « كان عالماً بالفنون مشهوراً بالصلاح، متصدياً لنفع الطلبة »[٥٦] أما منهج السيوطي في كتابه « الإتقان » فإنه يتمثل في تسمية النوع الذي يتحدث عنه وذكر أهم الكتب التي تناولته ، ثم شرح وتوضيح هذا النوع ، وبيان أهميته في تدبر القرآن الكريم وتفهم معانيه والاستشهاد على كل ما يقوله بالقرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ وأقوال العلماء وإبداء رأيه في

(٥٥) وقد نشرها فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر) المجلد الأول ، الجزء الرابع ، مايو ١٩٥٨م ، ص : ١٢٨ .

(٥٦) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي تحقيق د. فيليب حتي (ط ، نيويورك ١٩٢٧م) ص : ١٤٩ .

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

كثير من الأحيان ، فعلى سبيل المثال لو رجعنا إلى النوع التاسع في « الإتقان »[٥٧] وهو معرفة سبب النزول نجده يقول : « أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً » .

وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً مات عنه مسوّدة ، فلم نقف عليه كاملاً . وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته « لباب النقول في أسباب النزول »[٥٨] .

قال الجعبري : « نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفي هذا النوع مسائل » . وذكر خمس مسائل .

وهو أثناء ذكره ذلك يستشهد بأقوال الأئمة فيقول : قال ابن دقيق العيد ... وقال ابن تيمية ... قال الشافعي ... قال إمام الحرمين ... قال الزمخشري ... قال ابن جرير ... قال الحاكم في علوم الحديث ... وقال الزركشي في « البرهان » ... وقال ابن حجر في شرح البخاري ...

وهو لا يكتفي بنقل الأقوال فقط بل نجده يناقش العلماء في أقوالهم ويرد عليهم ويصحح رأي الآخرين ويوهم غيرهم فمثلاً في المسألة الثانية يقول : اختلف أهل الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ، يقول : والأصح عندنا الأول ... ثم يقول « قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ : احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات

(٥٧) الإتقان : ٩٢/١ .

(٥٨) طبع عدة مرات مستقلاً ، وعلى هامش تفسير الجلالين .

نزلت على أسباب خاصة ، شائعاً ذائعاً بينهم »[٥٩] .

ثم يقول : « فإن قلت فهذا ابن عباس ، لم يعتبر عموم ﴿لا تحسبن الذين يفرحون ... ﴾ قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعم من السبب » .

وهو ينبه إلى أن الآية إذا نزلت في معين ولا عموم للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعاً ويغلط من ذهب إلى غير ذلك[٦٠] .

وهو بعد ذكره أقوال العلماء في مسألة ما يخرج بنتيجة تلك الأقوال فعلى سبيل المثال يقول في المسألة الرابعة : « قال الواحدي :لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ... » ، وبعد ذكره أقوال العلماء في هذه المسألة يقول : « قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة » .

وفي آخر هذا النوع ينبّه فيقول : « تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإني حررته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم ، ولم أسبق إليه »[٦١] .

وإذا انتقلنا إلى النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور نجده يطبق منهجه بذكر من أفرد ذلك النوع بالتصنيف ، ويذكر أقوال العلماء فيه ، ويعرف المناسبة ، ويذكر فائدته وأسبابه ... الخ .

فيقول : أفرده بالتأليف العلاّمة أبو جعفر بن الزبير – شيخ أبي

---

(٥٩) الإتقان : ٩٦/١ .

(٦٠) الإتقان : ٩٨/١ .

(٦١) الإتقان : ١٠٩/١ .

حيّان – في كتاب سماه « البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن » . ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » . وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة . وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته « تناسق الدرر في تناسب السور »[٦٢] .

ثم ذكر أهميته وأقوال العلماء فيه فمثلاً يقول : قال الإمام فخر الدين في تفسيره ، وقال ابن العربي ، وقال غيره ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقال الشيخ وليّ الدين الملوي ، ... ثم عرّف المناسبة فقال : « فضل المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما ... » ثم قال : « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ... » ثم شرح ذلك بقوله : « ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض ، وإما ألا يظهر الارتباط ... » وبدأ بذكر الحالات في العطف بين الآيات وعدم العطف وأسباب ذلك ، وأردف ذلك بفصل في مناسبات فواتح السور وخواتمها ، وقد أفرده السيوطي بالتأليف وسماه « مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع »[٦٣] .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ويأتي بالأمثلة على ذلك .

---

(٦٢) الإتقان : ٩٧٦/٢ .

(٦٣) يوجد منه عدة نسخ في المكتبة الأحمدية بتونس رقم ٨٧٢/١٥٨٥ ، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٦٥/١٠٦١٧ ميكرو فيلم ، ويوجد نسخة أخرى في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وهي مصورة عندي .

وهكذا يسير في كتابه كله منتقلاً من نوع إلى نوع ، وطبقاً لما ذكرته لك سابقاً[٦٤] . والسيوطي رحمه الله تعالى شديد الإعجاب بكتبه والحق معه فقد بذل في كتابه هذا جهده ، وجمع ما لم يتسن لغيره جمعه من المصادر والكتب وقد حفظت لنا كتبه الكثير من الكتب التي تعتبر في هذه الأيام في حكم المفقود ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء .

ففي آخر « الإتقان » يقول : « وقد منّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المنال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال ، أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل ، وبينت فيه مصاعد يرتقي فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل ، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل ، فيه لباب العقول ، وعباب المنقول ، وصواب كل قول مقبول ، مخضتُ فيه كتب العلم على تنوعها ، وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبتّ عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... الخ »[٦٥] .

ولذلك فهو في آخر خطته على « الإتقان » يقول بعد سرده أنواعه : « فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في

(٦٤) ينظر للتوسع في ذلك النوع الثالث والخمسون : التشبيه والاستعارة ، والناسخ والمنسوخ ٢/٧٠٠ ، ولو نظرت في كل أنواع الإتقان لرأيت منهجه واحداً .

(٦٥) الإتقان : ٢/١٢٠٠ ، تعليق د. بغا .

ضمنها لزادت على الثلاثمائة وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ... »[٦٦] .

وقبل أن أختم هذا الفصل عن منهج الإمام السيوطي في « الإتقان » لابد من الإشارة إلى كتاب « البرهان في علوم القرآن » للزركشي[٦٧] وبيان مدى تأثر الإمام السيوطي به .

المقارنة بين الإتقان والبرهان

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه « الإتقان » أنه اطلع على « البرهان » قبل الشروع في تأليف كتابه هذا فقال : « هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك ، غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » فتطلبته حتى وقفت عليه »[٦٨] . وذكر أنه فرح بهذا الكتاب وازداد سروراً به ، ولكنه لم يثن عزمه عن وضع كتابه « الإتقان » بعد اطلاعه على « البرهان » ، فهل وجده ناقصاً أم أنه كان يخطط لوضع كتاب أكثر بسطاً وتفصيلاً ،

(٦٦) الإتقان : ١/٢٠ .

(٦٧) هو الإمام بدر الدين محمد بن الله بن بهادر ، أبو عبد الله المنهاجي الزّركشي التركي الأصل المصري الشافعي ، أحد علماء القرن الثامن الهجري (٧٤٥ – ٧٩٤هـ) والزركشي على وزن جعفري ، نسبة لصناعة الزركش ، ولقب بذلك لأنه كان يشتغل بنسج الحرير قبل طلبه العلم . انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) : ١/١١ – ١٢ ، وقد سبق أن طبع في أربعة أجزاء بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٦٨) الإتقان : ١/١٤ .

يستقصي فيه كل ما وصل إليه من علوم كما قال : « خطر لي ان أؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء »(٦٩) ، فلم يجد ضالته في كتاب « البرهان » لما تميز به من عقلية موسوعية ، يقول السيوطي : « ولما وقفت على هذا الكتاب – أي البرهان – ازددت به سروراً ، وحمدت الله كثيراً ، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته ، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته ، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن ، الجلي البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان »(٧٠) .

وقد ذكرت لك منهجه فيه وهو يذكر أنه خالف فيه ترتيب الزركشي فيقول : ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » وأدمجتُ بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان ، وسميته بـ « الإتقان في علوم القرآن »(٧١) .

بلغت الأنواع عند السيوطي ثمانين نوعاً ، بينما هي عند الزركشي سبعة وأربعون نوعاً ، فيكون بذلك قد أضاف ثلاثة وثلاثين نوعاً على ما في « البرهان » ، وهو عدد كبير يقارب ثلثي أنواع « البرهان » .

وهذه الزيادة منها ما هو توسعة لنوع واحد عند الزركشي ، كالنوع العاشر في « البرهان » وهو معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ، جعله السيوطي نوعين هما السابع : أول ما نزل ، والثامن : آخر ما نزل ، وكالنوع الحادي والأربعين في « البرهان » وهو تفسير القرآن ، جعله السيوطي خمسة أنواع هي : السابع

(٦٩) الإتقان : ١٣/١ .

(٧٠) الإتقان : ١٣/١ .

(٧١) الإتقان : ١٦/١ – ١٧ .

والسبعون : في معرفة شروط المفسر وآدابه ، والتاسع والسبعون : في غرائب التفسـير ، والثمانون : في طبقات المفسرين ، وكان قد جعل النوع الثاني والأربعين : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها ، وخير ما يمثل هذا ما ذكره الزركشي في النوع السادس والأربعين : في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة ، وقد قال عنه : « وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب ، وهو بيت القصيد »[٧٢] ، وقد بلغ عدد صفحاته (٧١٠)[٧٣] ، بينما ذكر السيوطي ذلك في عدة أنواع ، في « النوع التاسع والعشرون » : بيان الموصول لفظاً المفصول معنًى ، والرابع والأربعون : في مقدمه ومؤخره ، والسادس والأربعون : في مجمله ومبينه ، والتاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده ، والثالث والخمسون : في تشبيهه واستعاراته ، والسادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب . والثامن والخمسون : في بدائع القرآن ، وهكذا .

ومنها ما هو جديد لم يذكره الزركشي في « البرهان » كالنوع الثاني : الحضري والسفري ، والثالث : النهاري والليلي ، والرابع : الصيفي والشتائي ، والخامس : الفراشي والنومي الخ . بينما لم أجد ما تفرد به الزركشي إلا نوعاً واحداً وهو النوع الأربعون : « معاضدة السنة للكتاب » . أما ما ذهب اليه بعض الباحثين[٧٤] من أن الزركشي انفرد في

---

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

(٧٣) وقد بلغت في النسخة المصرية بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (٧٨١) صفحة .

(٧٤) انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٨٢/١ (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) .

خمسة عشر نوعاً فغير صحيح ، وذلك لأن السيوطي ذكر هذه الأنواع في سياق أنواع أخرى ، ولم يفرد لها عنواناً كالزركشي ، فمثلاً النوع التاسع عشر : معرفة التصريف ، ذكر السيوطي مضمونه في ثلاثة أنواع هي الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب ، والثاني والثلاثون : في المد والقصر والنوع الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمز .

وكذلك الأمر في « النوع الحادي والعشرون » : بلاغة القرآن « معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ذكر السيوطي مضمون هذا النوع في ثلاثة أنواع أيضاً هي : الثالث والخمسون في تشبيهه واستعارته ، والسادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب ، والثامن والخمسون في بديع القرآن ، ولم يذكر السيوطي نوعاً في بلاغة القرآن ، وهذا لا يعني أن الزركشي قد تفرّد بهذا النوع وأن السيوطي قد أغفله ولم يأت على ذكره وإن لم يفرد له عنواناً مستقلاً .

ومما ذكره السيوطي أيضاً في مقدمته من وجوه المقاربة بينه وبين « البرهان » : « إدماج بعض الأنواع في بعض » .

فمن أمثلة إدماجه بعض الأنواع في بعض إدماجه النوع الحادي عشر : معرفة على كم لغة نزل ، والنوع الثاني عشر : في كيفية إنزاله ، جعلهما السيوطي نوعاً واحداً وهو السادس عشر : في كيفية إنزاله ، وذكر من جملة مسائله « الأحرف السبعة » وتوسع بها أكثر من الزركشي الذي جعلها تحت عنوان مستقل في النوع الحادي عشر .

وكذلك الأمر في النوع الثالث والعشرين في « البرهان » : معرفة توجيه القراءات ، نجد السيوطي لم يفرد له نوعاً ، وإنما نبه على هذا الأمر في نهاية النوع السابع والعشرين في التنبيه السادس : « من المهم معرفة توجيه

القراءات ... » الخ .

وكذلك في النوع الثلاثين حيث ذكر الزركشي فيه : « هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن » ، ذكر السيوطي ذلك أيضاً في آخر النوع الخامس والثلاثين وهو في آداب تلاوته وتاليه حيث قال : « فصل في الاقتباس وما جرى مجراه » . ومن الأمور التي ذكرها السيوطي في معرض المقارنة بينه وبين « البرهان » أنه فصّل ما حقه أن يبان ، وزاد على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ... » .

فمن أمثلة ذلك أنه جعل غريب القرآن في (٦٣) صفحة بينما هو عند الزركشي في (٦) صفحات ، وهذه الزيادة ناشئة عن تضمينه أقوال العلماء في هذا النوع وما ساقه مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في غريب القرآن والمسائل التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق ، وقد ذكرها كاملة لتستفاد .

وكذلك الشأن في النوع السبعين : مبهمات القرآن ، فقد جعله في إحدى عشرة صفحة بينما هو عند الزركشي في ثمان صفحات فقط ، ومنشأ هذه الزيادة أنه اختصر هنا كتابه مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »[٧٥] .

هذا وقد انفرد الزركشي بنوع واحد هو الأربعون : في بيان معاضدة السنة القرآن ، فلم أجد السيوطي قد تعرض له في إتقانه .
أما السيوطي فقد زاد على الزركشي أنواعاً كثيرة سأذكرها ضمن الجدول التالي :

(٧٥) انظر الإتقان : ٢/١٠٩١ – ١١١٠ .

جدول يبين ما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي

رقم النوع	موضوعه
٢	الحضري والسفري
٣	النهاري والليلي
٤	الصيفي والشتائي
٥	الفراشي والنومي
٦	الأرضي والسمائي
١٠	ما نزل على لسان بعض الصحابة
١١	ما تكرر نزوله
١٢	ما تأخر حكمه عن نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه
١٣	ما نزل مفرقاً ، وما نزل جمعاً
١٤	ما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً
١٥	ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ
٢١	العالي والنازل
٢٩	بيان الموصول لفظاً ، المفصول معنى
٣٠	الإمالة والفتح وما بينهما
٣٤	كيفية تحمله
٤٢	قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها
٤٥	خاصه وعامه

رقم النوع	موضوعه
٤٦	مجمله ومبنيه
٤٩	مطلقه ومقيده
٥٠	منطوقه ومفهومه
٥٥	الحصر والاختصاص
٥٦	الإيجاز والإطناب
٦٧	أقسام القرآن
٦٩	الأسماء والكنى والألقاب
٧١	أسماء من نزل فيهم القرآن
٧٤	مفردات القرآن
٧٨	شروط المفسر وآدابه
٧٩	غرائب التفسير
٨٠	طبقات المفسرين

وهذا لا يعني أن الزركشي قد أغفل الحديث عن هذه الأنواع جملة ولكن قد تعرض للحديث عنها أو بعضها أحياناً ضمن نوع آخر ، وذلك لتداخل علوم القرآن وارتباطها بعضها ببعض والمراد أنه لم يفرد لها نوعاً مستقلاً .

والإمام السيوطي عندما أضاف هذه الأنواع لا يعني أنه قد أتى بشيء يعد بدعاً في علوم القرآن ، ولكن يعود الفضل إليه في لم شملها ، وجمع شتات هذه الأنواع في كتاب واحد ، حتى صارت وحدة متناسقة متكاملة ، وهذا ما أشار اليه السيوطي في آخر كتابه « الإتقان » بعد أن منّ

الله تعالى عليه بإتمامه فقال : « مخضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن ، فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلَّصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبت عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... »(٧٦) .

وهذه قدرة عجيبة من السيوطي ، تدل على ذهنية متوقدة ، اتجهت به إلى مثل هذا الموضوع الفريد ، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب ، كثيرة الأقوال ، والمذاهب فحقق فيها ودقق حتى استبانت له وجوه الصواب فحشدها في كتاب ، بعد أن زودها بما له من ثاقب رأي وصائب فكر . مما جعل بعض الباحثين يقول(٧٧) :

« وهذا الكتاب في بابه شبيه بالمزهر في بابه ، وكل منها الغاية التي بلغها العلم الذي دوّن فيه . ولئن استطاع علماء اللغة من بعد السيوطي أن يضيفوا شيئاً جديدا إلى ما كتبه في « المزهر » فإن علماء القرآن وتاريخه لم يضيفوا إلى ما كتبه في « الإتقان » ، نظن ذلك غير آثمين » .

---

(٧٦) الإتقان : ١٢٩٠/٢ .
(٧٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (المطبعة النموذجية ، مصر) ، ٣٧٥/٣ .

السيوطي
وكتاب الأشباه والنظائر في الفقه

الدكتور محمد الزحيلي

درس السيوطي الفقه ودرَّسه ، وتبحر فيه ، وحلَّق به ، ثم مارس الإفتاء لبيان الأحكام الشرعية في المسائل والأسئلة المعروضة عليه ، وبلغ القمة العليا فيه ، ثم وصل إلى رتبة المجتهدين ، وصرّح بنسبة الاجتهاد المطلق لنفسه .

ولئن نازعه العلماء في دعوى الاجتهاد الذي يقتضي وضع مبادئ أصولية ، وقواعد اجتهادية مستقلة ، وهو لم يفعل ذلك في الحقيقة ، ولزم منهج الإمام الشافعي في أصول الفقه ، فلم ينازعه أحد في إدراك الغاية القصوى في الفقه . ويتمثل ذلك في الاشتغال الواسع فيه ، والممارسات الواسعة فيه ، والممارسات الواسعة في جوانبه ، ومعرفة أحكامه، وسبر أغواره ، وكشف أسراره ، وبيان علله وحِكمه ، والتعمق في المقاصد العامة ، والمسائل المتشابهة ، والفروق الدقيقة ، مما يفتح الباب أمامه لصياغة القواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والفروق الفروعية ، وما يتصل بها مما ضمنه في كتبه ، مع ما استفاده من جهود السابقين في هذا المضمار بدراسته وفهمه وهضمه ، ثم بالزيادة عليه ، والتوسع فيه .

فلم يكن غريبا – بعد ذلك – أن يساهم السيوطي رحمه الله تعالى في تدوين القواعد الفقهية ، وأن يصنّف فيها كتابه الشهير « الأشباه والنظائر

في قواعد وفروع فقه الشافعية »(١) .

وكان موضوع « الأشباه والنظائر » ماثلاً ذِ سيوطي وفكره ، ومستقراً في عقله وباطنه ، وشاغلاً باله ووقته ، ه العناية والرعاية ، وصنَّف فيه كتابين : الأول :« الأشباه والنظائر » في الفقه ، والثاني : « الأشباه والنظائر في النحو »(٢) .

وكان السيوطي – رحمه الله تعالى – يلم بالكتب التي صنفت في القواعد الفقهية خاصة ، وكتب الأشباه والنظائر عامة ، فيقول في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر في النحو » :« أول من فتح هذا الباب شيخ الإسلام ابن عبد السلام في « قواعده الكبرى » ، فتبعه الزركشي في « القواعد » ، وابن الوكيل في « أشباهه » . وقد قصد ابن السبكي بكتابه تحرير كتاب ابن الوكيل ، وذلك بإشارة والده »(٣) .

---

(١) طبع هذا الكتاب المشهور عدة مرات في مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ، وطبع أيضاً بمكة ، وصُوِّر عدة مرات في بيروت وغيرها ، واعتمدت في هذا البحث على الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م من مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ويقع في مجلد كبير ، ويتألف من (٥٥٦) صفحة .

(٢) طبع كتاب « الأشباه والنظائر في النحو » في شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، وطبع مرات أخرى وصوِّر [منها طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق في أربعة أجزاء سنة ١٩٨٥ – ١٩٨٧م/المجلة] .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ص٥ ، وذكرنا سابقاً كتب الأشباه والنظائر في الفقه على المذهب الشافعي ، وهي :« الأشباه والنظائر » لابن الوكيل ، و« الأشباه والنظائر » لابن السبكي ، و« الأشباه والنظائر » للإسنوي ، و« الأشباه والنظائر » لابن الملقن ، وغيرها ، ولا شك أن السيوطي اطلع على أكثرها أو كلها ، واستفاد منها ، وأضاف لها الشيء الكثير ، كما هو الشأن في اعتماد اللاحق على السابق ، (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) .

وقد رأينا أن نقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام ، نتناولها تباعاً فيما يلي :

القسم الأول
دراسة شاملة للكتاب

يتألف هذا القسم من أربعة مباحث :

١ - الفقه المذهبي :

إن هذا الكتاب الذي هو موضوع البحث « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » ، فهو في الفقه أولاً ، وفي مذهب الإمام المطلبي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ثانياً ، وهو أحد المذاهب الفقهية المشهورة في العالم العربي والإسلامي ، ويتبعه مئات الملايين من المسلمين ، وقام على خدمته والتأليف فيه والتدريس آلاف العلماء والفقهاء ، والتزم العمل به والسير على أحكامه كثير من البلاد الإسلامية ، كما اعتمده كثير من القضاة في فصل المنازعات ، والحكم في الخلافات ، والبت في الدعاوى ، ويتعبَّد به ملايين الناس طوال التاريخ الإسلامي منذ العصر العباسي ، وحتى اليوم[1] .

وحصر الكتاب في فقه المذهب الشافعي لا يضير الكتاب ، ولا ينقص من أهميته ، لسببين :

الأول : أن التصنيف والتأليف كان في الغالب والشائع منحصراً في أحد المذاهب ، ولذلك وجدت كتب القواعد الفقهية ، والأشباه والنظائر

(١) انظر : كتابنا « تعريف عام بالعلوم الشرعية » طبع دار طلاس ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، وكتابنا « مرجع العلوم الإسلامية » طبع دار المعرفة بدمشق ، الطبعةالأولى سنة١٤١١هـ/١٩٩١م ، ففيهما دراسة مختصرة ، ومسهبة عن المذهب الشافعي .

في مختلف المذاهب ، وتنافس العلماء والفقهاء في هذا الخصوص ، وهو تنافس محمود ومشكور ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [سورة المطففين/٢٦] ، حتى وصلنا تراث فقهي زاخر ، وثروة تشريعية نضاهي بها العالم .

الثاني : أن القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، متشابهة بين المذاهب الفقهية ، وتكاد أن تكون متطابقة ، ومتفقة مع بعضها ، وواحدة في الصياغة والتعبير والأسلوب ، ولكن تختلف في الفروع والجزئيات والمسائل والتطبيقات المقررة على القاعدة . ومن هنا استفاد العلماء والفقهاء والمصنفون من مختلف المذاهب من بعضهم ، واقتبس كثير منهم القواعد من كتب المذهب الآخر ، وطبقها على فروع مذهبه وأحكامه . ويذكر أن أول من بدأ في تدوين القواعد – فيما وصلنا – أبو طاهر الدَّباس ، إمام الحنفية فيما وراء النهر في القرن الرابع الهجري . ولما بلغ ذلك القاضي حسين ، إمام الشافعية في زمانه ، ردَّ جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد .

وهذا ما صرح به ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى في محاكاته كتاب « الأشباه والنظائر » لابن السبكي الشافعي ، فقال : « وأن المشايخ الكرام قد ألفوا لنا ما بين مختصر ومطول من متون وشروح وفتاوى ، واجتهدوا في المذهب والفتوى ، وحرروا ونقحوا ، شكر الله سعيهم . إلا أني لم أر لهم كتاباً يحكي كتاب الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي ، مشتملاً على فنون الفقه ... فألهمت أن أصنع كتاباً على النمط السابق »(١) .

---

(١) الأشباه والنظائر ، ابن نجيم ص ١٥ .

٢ - أهمية فن الأشباه والنظائر :

القواعد الفقهية مهمة جداً ، وتنطبق أهميتها على علم الأشباه والنظائر لأن القواعد الفقهية جزء من فن الأشباه والنظائر ، وتشكل المنطلق الأول له ، وتحتل مكان الصدارة فيه . يضاف إلى هذه الأهمية والفوائد ما يحققه علم الأشباه والنظائر في بقية الجوانب والفروع كالقواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والقواعد الأصولية ، والقواعد المختلف فيها كأساس لعلم الخلاف المعروف في الفقه الإسلامي ، والنظائر المتشابهة في أبواب الفقه ، وما أضافه بعض العلماء كابن نجيم ، كفن الألغاز ، والحيل ، والحكايات والمراسلات .

وكان السيوطي رحمه الله تعالى يدرك أهمية فن الأشباه والنظائر ، وحقيقة هذا العلم النافع المفيد ، ولذلك نبه عليه ، وصرح به في مقدمة كتابه ، فقال : « وكان من أجلّ أنواعه (الفقه) : معرفة نظائر الفروع وأشباهها ، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها »(١) . ودلل السيوطي رحمه الله تعالى على أهمية هذا العلم بصعوبة العمل فيه ، ودقة البحث فيه ، ووعورة الطريق لسالكه ، فقال : « إن هذا الفن لا يدرك بالتمني ، ولا ينال بسوف ، ولعل ، ولو أني ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر ، واعتزل أهله وشدَّ المئزر ، وخاض البحار وخالط العجاج ، ولازم الترداد إلى الأبواب في الليل الداج ، يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً ، وينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتاً ومقيلاً ، ليس له همة إلا معضلة يحلُّها ، أو مستعصية عزت على القاصرين ، فيرتقي إليها ويحلها ، يُردُّ عليه ويَردّ ، وإذا عذله جاهل لا يصدّ ، قد ضرب مع الأقدمين بسهم ،

---

(١) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص٤ .

والغمر يضرب في حديد بارد ، وحلق على الفضائل ، واقتنص الشوارد :

وليس عـلى الله بمستنـكـر أن يجمـع العـالم في واحـد

يقتحـم المهـامه المهولة الشـاقة ، ويفتح الأبواب المرتجة إذا قال الغبي : لا طاقة ، إن بدت له شاردة ردها إلى جوف الفرا ، أو شردت عنه نادرة اقتنصها ولو أنها في جوف السماء ، له نقد يميز به بين الهُباب والهَباء ، ونظر يحكم – إذا اختلفت الآراء – بفصـل القضاء ، وفكر لا يأتي عليه تمويه الأغبياء ، وفهم ثاقب لو أن المسألة من خلف جبل قاف لخرقه حتى يصل إليها من وراء ، على أن ذلك ليس من كسب العبد ، وإنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء »[1] .

وهذا كلام صحيح ، وليس فيه مبالغة أو تهويل ، لأن هذا العلم يعتمد على جمع الفروع والمسـائل والجزئيات الفقهيـة في قواعد كليـة ، وصيـاغة دقيقة ، وعبارات وجيزة ، كأنها أمثال وحكم ، مع معرفة أوجه الشبـه ، وجوانب الاختـلاف ، لوضـع الضـوابط ، وتقـرير الفـروق ، وملاحظة الأقوال المعتمدة في المذهب ، ونقاط الخلاف مع بقية المذاهب ، ولذلك لا يلج هذا الخضم إلا فطاحل العلماء ، وكبار الفقهاء ، وأساطين اللغويين والنحاة ، ولا يجرؤ على التصنيف فيه إلا النخبة المتفوقه النادرة من كبار المؤلفين والكتاب .

ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يُطَّلع على حقائق الفقه ومداركه . ومآخذه وأسراره ، ويتمهَّر في

(١) المرجع السابق .

فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر »[١] .

٣ ـ الباعث على تصنيف « الأشباه والنظائر » :

وكأن هذه الأهمية لعلم الأشباه والنظائر ، وصعوبة مسلكه ، وقلة وارده ، إلا ممن مهر الفقه ، وعجنه وطبخه ، وألفه وعاش معه ، كأن هذه الأهمية أحسّ بها السيوطي رحمه الله تعالى ، وقد عرف من نفسه القدرة عليها ، وكأنها أصبحت فرض عين عليه ، يأثم إذا تركها ، ويجب عليه القيام بها وأداؤها .

لذلك قال عن كتابه : « وأنت إذا تأملت كتابي هذا علمت أنه نخبة عمر ، وزبدة دهر ، حوى من المباحث المهمات ، وأعان عند نزول الملمات ، وأنار مشكلات المسائل المدلهمات ، فإني عمدت إلى مقفلات ففتحتها ، ومعضلات فنقحتها، ومطولات فلخصتها ، وغرائب قل أن توجد منصوصة فنصصتها »[٢] .

ثم صرح السيوطي بالباعث على تصنيف كتابه ، فقال : **واعلم أن الحامل لي على إبداء هذا الكتاب أني كنت كتبت من ذلك أنموذجاً لطيفاً** في كتاب سميته « شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد » فرأيته وقع موقعاً حسناً من الطلاب ، وابتهج به كثير من أولي الألباب ، وهذا الكتاب

(١) الأشباه والنظائر ص٦ .
(٢) الأشباه والنظائر ص٥ .

هو بالنسبة إلى هذا كقطرة من قطرات بحر ، وشذرة من شذرات نحر ، وكأني بالناس وقد افترقوا فيه فرقا ... وكيف يقاس من نشأ في حجر العلم منذ كان في مهده ، ودأب فيه غلاماً وشاباً وكهلاً حتى وصل إلى قصده بدخيل ... لاحت منه التفاتة إلى العلم .. وفرقة آتاها الله هداها ، وألهمها تقواها ، وزكاها مولاها ، فرأت محاسنها وسناها ، وفوائده التي لا تتناهى ، فاعترفتْ بشكرها وثناها ، واغترفت من بحرها ، ولم يلوها عذل عاذل ولا تناها ... »[1] .

وقد لبى السيوطي رحمه الله تعالى نداء الواجب ، وحمل عبء المسؤولية على كتفيه ، وصنف هذا الكتاب ، لينهل منه الطلاب والعلماء ، ويستفيد منه المفكرون والباحثون ، ويقطف جناه الفقهاء والأصوليون ، ويتنافس في تقريره وتدريسه الجامعات في الدراسات العليا في مختلف البلاد .

٤ ـ مضمون « الأشباه والنظائر » وخطته :

إن الكتب التي صنفت في علم الأشباه والنظائر كانت مختلفة في مضمونها ومتباينة ، ولم يلتزم المؤلفون في القواعد الفقهية والأشباه والنظائر خطة واحدة في التأليف والتصنيف . وجاءت المصنفات في ذلك متنوعة في الترتيب أو المضمون .

فبعض المؤلفين صنف القواعد الفقهية على الترتيب الألفبائي ، فراعى في ذلك الحرف الأول من كل قاعدة ، دون النظر إلى موضوعها ، وسار على هذه الطريقة بدر الدين الزركشي في كتابه « المنثور في القواعد » وقال في مقدمته : « ورتبته على حروف المعجم ليسهل تناول طرازها

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ، ٦ .

المعلم »[1] . وبعضهم اعتمدوا الترتيب الموضوعي من حيث شمولية القاعدة الفقهية والاتفاق عليها ، وقسموا القواعد إلى قواعد كلية ، يرجع إليها أغلب مسائل الفقه ، وقواعد كلية يرجع إليها بعض مسائل الفقه ، وقواعد خلافية بين المذاهب . وسار على هذه الطريقة أكثر مؤلفي كتب الأشباه والنظائر ، كابن السبكي وابن نجيم . والتزم نهجهم شيخنا السيوطي رحمه الله تعالى ، وأضاف إلى القواعد الفقهية ما يتعلق بالأشباه والنظائر ، كما سنرى . وهناك من المؤلفين من جمع القواعد الفقهية دون مراعاة لترتيب معين . وبعضهم رتبها حسب الأبواب الفقهية . وبعضهم رتبها حسب المباحث الأصولية ، ودمج القواعد الفهية معها .

واختلف التأليف في القواعد من حيث المضمون أيضاً . فبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع القواعد الأصولية ، مثل الحافظ العلائي في « قواعده » والزنجاني في « تخريج الفروع على الأصول » والإسنوي في « التمهيد » . وهو ما فعله أبو زيد الدبوسي الحنفي في « تأسيس النظر » والعلامة القرافي المالكي في « الفروق » وابن اللحام الحنبلي في « القواعد والفوائد الأصولية » وابن رجب الحنبلي في « القواعد » وبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع موضوعات فقهية أخرى . وقد يضيفون إليها مباحث عقائدية ، وهو ما فعله الزركشي في « المنثور » والإسنوي في « التمهيد » والقرافي في « الفروق » وغيرهم .

وجاء المصنفون في الأشباه والنظائر فا قتصروا على القواعد الفقهية ، ولكنهم أضافوا إليها بحوثاً جديدة تتصل بالموضوع مع اختلاف بينهم في هذه الإضافات . وانفرد بعض المؤلفين بمنهج خاص ، وترتيب مستقل كالعز بن

---

(١) المنثور في القواعد ١/٦٧ .

عبد السلام [١] .

وبيَّن السيوطي رحمه الله تعالى خطته في كتاب « الأشباه والنظائر » وحدد المضمون الفقهي له ، والمباحث التي تناولها فقال :

« وطالما جمعت من هذا النوع (القواعد الفقهية) جموعاً ، وتتبعت نظائر المسائل أصولاً وفروعاً ، حتى أوعيت من ذلك مجموعاً جموعاً ، وأبديتُ فيه تأليفاً لطيفاً ، لا مقطوعاً فضله ، ولا ممنوعاً ، ورتبته على كتب سبعة :

« **الكتاب الأول** : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية ، يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية ، وهي أربعون قاعدة .

الكتاب الثالث : في القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح لظهور دليل أحد القولين في بعضها ، ومقابله في بعض ، هي عشرون قاعدة .

الكتاب الرابع : في أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها : كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... وفروض الكفاية وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب ، أعني التي هي من باب

---

(١) انظر : القواعد ، المقري مقدمة المحقق ١/١٣٩ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ١/٢٥ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء للبكري ، مقدمة المحقق ١/٦٦ .

واحد ، مرتبة على أبواب الفقه ، والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون .

الكتاب السادس : فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة .

الكتاب السابع : في نظائر شتى » .

ويختم السيوطي رحمه الله تعالى خطته ، فيقول : « واعلم أن كل كتاب من هذه الكتب السبعة لو أفرد بالتصنيف لكان كتاباً كاملاً ، بل كل ترجمة من تراجمه تصلح أن تكون مؤلفا حافلاً »(١) .

وخطة السيوطي واضحة جلية ، وتحدد مضمون الكتاب ، وأنه يجمع القواعد الفقهية ، والضوابط الفقهية ، والفروق ، والنظائر . وتشبه خطته كتاب ابن السُّبكي الشافعي ، وابن نجيم الحنفي . لكن ابن نجيم أضاف إلى كتابه « الفن الرابع : في الألغاز » و« الفن الخامس : الحيل » و« الفن السابع : الحكايات والمراسلات » . بينما نرى السيوطي تجنب ذلك وتحاشاه .

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ـ ٦ .

ويحسن الإشارة هنا إلى كتاب السيوطي « **الأشباه والنظائر في النحو** » وبيان التشابه في الخطة ، وأنه رتبه على سبعة فنون ، كل قسم مؤلف مستقل ، له خطبة واسم ، وهي : **الأول** : المصاعد العلية في القواعد النحوية ، **الثاني** : تدريب أولي الطلب في ضوابط كلام العرب ، **الثالث** : سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب ، **الرابع** : اللمع والبرق في الجمع والفرق ، **الخامس** : الطراز في الألغاز ، **السادس** :المناظرات والمطارحات ، **السابع** : التبر الذائب في الأفراد والغرائب » . (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) ، وأشرنا سابقاً أن هذا الكتاب طبع عدة مرات ، وهو في أيدي الباحثين والنحويين والأدباء واللغويين .

القسم الثاني

دراسة شاملة للكتاب

سوف نقدم في هذه الدراسة تعريفاً لكل واحد من الكتب السبعة التي سبق ذكرها ، مع إلقاء الضوء على مضمونها ، وما تحتويه من قواعد وفروع وأمثلة فقهية وفوائد ومنافع .

الكتاب الأول : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها :

هذا الكتاب يتناول أهم القواعد الفقهية التي أكملها السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثاني ، وأفرد هذه القواعد الخمس بالكتاب الأول نظراً لأهميتها وعمومها وشمولها ، ومحاولة الفقهاء إرجاع جميع الفروع إليها ، وتبناها جميع الفقهاء في مختلف المذاهب ؛ ووضعوها في كتبهم المذهبية ، وفي كتب القواعد والأشباه والفروق وكتب الفروع[١] .

ونظم بعض الشافعية هذه القواعد الخمس في أبيات من الشعر[٢] ، فقال :

خمسٌ مُقَــرّرَة قــواعدَ مـذهب ... للشــافعي ، فكن بهنَّ خَبـيرا
ضَـرَرٌ يُزال ، وعادةٌ قد حُكِّمت ... وكذا المشــقــةُ تجلِبُ التَّيْســرا
والشَّــكُّ لا تـرفعْ بـه متيقّنــاً ... والقصـدَ أخلِص إنْ أردتَ أجورا

وعـرض السيـوطي رحمـه الله هذه القواعد بشـيء من الإسهاب والتفصيل في خمس وتسعين صفحة من كتابه (٧ – ١٠١) ونعرض كل قاعدة منها باختصار شديد ، وهي :

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٧ .
(٢) المنثور في القواعد ١/١٨ .

القاعدة الأولى : الأُمور بمقَاصِدِها :

شرحها السيوطي بسبعة مباحث ، بيَّن في الأول أصل هذه القاعدة من الأحاديث النبوية الصحيحة ، والموجزة ، والمحكمة ، والتي تعدُّ من جوامع الكلم[1] ، وأهمها الحديث المشهور « إنَّما الأعمال بالنيات » . وتواتر النقل عن الأئمة لقدر حديث النية ، قال أبو عبيد : ليس في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه . واتفق الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والحافظ ابن مهدي ، وأبو داود ، والدارقطني وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث العلم أن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها ، لأنها قد تكون عبادة مستقلة ، وغيرها يحتاج إليها . وأراد الإمام أحمد بكونه ثلث العلم أنه أحد القواعد الثلاث التي تُردُّ إليه جميع الأحكام عنده . ونقل السيوطي الأحاديث التي تعتبر أصول الإسلام ، ومدار السنة أو الفقه كله عليها ، حتى قال ابن مهدي :
« حديث النية يدخل في ثلاثين باباً من العلم » ، وقال الشافعي : « يدخل في سبعين باباً[2] .

وهنا ذكر السيوطي في المبحث الثاني ما يرجع إلى هذه القاعدة من أبواب الفقه إجمالاً ، وأهمها العبادات ، والجنايات ، والقصاص ، والحدود ، والطلاق ، واللقطة ، والأيمان ، والذبائح . ثم قال السيوطي : « فهذه

---

(١) الأشباه والنظائر ص٨ ، وجاءت هذه القاعدة في المادة الثانية من مجلة الأحكام العدلية .

(٢) الأشباه والنظائر ص٩ .

سبعون بابا ، أو أكثر دخلت فيها النية »[١] .

وفي المبحث الثالث عرض السيوطي ما شرعت النية لأجله ، كتمييز العبادات من العادات ، وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض وضرب بعض الأمثلة الفقهية ، ثم بين ما يترتب على ذلك من الأحكام والنظائر الفقهية والمناقشات والآراء ، والضوابط ، والقواعد الفرعية ، والتنبيهات ، وخاصة اشتراط التعرض للفرضية ، والإخلاص في العمل لله تعالى[٢] .

وانتقل السيوطي في المبحث الرابع إلى وقت النية ، وأن الأصل في وقتها أول العبادات ، ونحوها ، وذكر أمثلة من الفروع الفقهية ، وما يخرج عن هذا الأصل أحياناً[٣] .

وحدد السيوطي في المبحث الخامس محل النية ، وهو القلب في كل موضع ، لأن حقيقتها القصد مطلقاً ، وقيل : القصد المقارن للفعل . وشرح صلة اللسان بالنية ، وأنه لا يكفي مجرد التلفظ باللسان دون القلب ، وأنه لايشترط مع القلب التلفظ ، وضرب أمثلة عملية من الفقه والأحكام الفرعيه من مختلف الأبواب ، وأن استثناء مواضع يكتفى فيها باللفظ هو رأي ضعيف[٤] .

وعدَّد السيوطي في المبحث السادس شروط النية ، وهي : الإسلام ،

---

(١) الأشباه والنظائر ص١١٠، ويتفرع على هذه القاعدة وفروعها في المعاملات قاعدة مهمة ومشهورة ، وهي « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني ، لا للألفاظ والمباني » ، وهي المادة الثالثة من المجلة .

(٢) الأشباه والنظائر ص١٢ – ٢٣ .

(٣) الأشباه والنظائر ص٢٤ – ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٠ – ٣٥ .

والتمييز ، والعلم بالمنوي ، وأن لا يأتي بِمُنَاف . ودعم ذلك بالأدلة الشرعية والأمثلة الفقهية ، والاستثناءات في بعض الحالات . وختم المبحث بصور تصح فيها النية مع التردد أو التعليق[١] ، كما ختم البحث في القاعدة الأولى بالمبحث السابع بأمور متفرقة ، كالاختلاف في كون النية ركناً في العبادات أم شرطاً ، وبعض القواعد الأصولية والفقهية والفروع المنثورة ونظائرها المتعددة[٢] ، ثم قال : « خاتمة : تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً » ، وذكر أمثلة لذلك[٣] .

القاعدة الثانية : اليَقينُ لا يَزُولُ بالشَّك :

بدأ السيوطي بيان دليل هذه القاعدة من الأحاديث الصحيحة ، ثم قال : « اعلم أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه . والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه وأكثر » .... ثم قال : « ويندرج في هذه القاعدة عدة قواعد »[٤] . وبيّن القواعد الفرعية التي تدخل في هذه القاعدة ، منها « الأصل بقاء ما كان على ما كان » و« الأصل براءة الذمة » و« من شك هل فعل شيئاً أم لا ، فالأصل أنه لم يفعله » و« الأصل (في الأمور العارضة) العدم » وقاعدة « الأصل في كل حادث تقديره بأقرب زمن » وقاعدة « الأصل في الأشياء الإباحة ، حتى يدل الدليل على التحريم » وقاعدة « الأصل في الأبضاع التحريم » وقاعدة « الأصل في الكلام الحقيقة» . وبين السيوطي أدلة كل قاعدة فرعية وأعطى أمثلة من المسائل الفقهية التي تدخل تحتها ، ثم شرح تعارض الأصل والظاهر ، وتعارض

(١) الأشباه والنظائر ص٣٥ ـ ٤٢ .
(٢) الأشباه والنظائر ص٤٣ ـ ٤٩ .
(٣) الأشباه والنظائر ص٤٩ ـ ٥٠ .
(٤) الأشباه والنظائر ص٥٠ ، ٥١ ، وهي المادة الرابعة من المجلة .

الأصلين ، وتعارض الظاهرين مع الأمثلة والفروع والمسائل . وختم الكلام عن القاعدة الثانية بفوائد ، الأولى : زوال حكم اليقين بالشك في بعض المسائل ، وأن الشك على ثلاثة أضرب ، وأن المراد بالأصل هو الاستصحاب المعروف في علم أصول الفقه كأحد أدلة التشريع[1] .

القاعدة الثالثة : المَشَقَّةُ تجْلِبُ التَيْسِير :

بعد أن بين السيوطي الأصل في هذه القاعدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، قال : « قال العلماء : يتخرج على هذه القاعدة جيمع رخص الشرع وتخفيفاته[2] ، ثم عدد أسباب التخفيف في العبادات كالسفر والمرض والإكراه والنسيان والجهل والعسر وعموم البلوى . وشرح الرخص التي تثبت عند توتر كل سبب من الأسباب السابقة ، ثم ختم الكلام عن هذه القاعدة بفوائد مهمة في ضبط المشقة ، وأنواع التخفيف في الشرع ، وأقسام الرخص ، وتعاطي سبب الرخصة ، وأنه يتفرع على هذه القاعدة قاعدة أخرى قال بها الإمام الشافعي ، وهي « إذا ضاق الأمر اتسع » وشرحها ودلل عليها[3] .

القاعدة الرابعة : الضَّرَرُ يُزالُ :

وأصلها الحديث الصحيح في قوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

وقال السيوطي : « هذه القاعدة ينبني عليها كثير من أبواب الفقه »[4] ، وعددها ، ثم عرض القواعد التي تتعلق بهذه القاعدة ، وبين

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥١ـ ٧٦ .

(٢) الأشباه والنظائر ص٧٦ ، ٧٧ ، وهي المادة ١٧ من المجلة .

(٣) الأشباه والنظائر ص٨٣ .

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٨٤ ، وهي المادة ٢٠ من المجلة .

الفـروع الفقهيــة والمســائـل الجزئيـة لكـل ذلك . وهذه القواعد هي : « الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها » وقاعدة « ما أبيح للضروة يقدر بقَدْرها » . ونبه على أنه يخرج منها صور : العرايا ، والخلع ، واللعان . وأضـاف فائدة أن مراتب المصالح خمس ، وهي ضرورة وحاجة ومنفعــة وزينـة وفضـول ، ثم أضــاف تذنيباً ، وقال : « قريب من هذه القاعدة ، ما جاز لعذر بطل بزواله »[1] ، كما يتفرع على القاعدة الأصلية قاعدة « الضرر لا يزال بالضرر » وقاعدة « إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما » وقاعدة « الحاجة تنزل منزلة الضرورة ، عامة كانت أم خاصة » .

ومجموع القاعدة الأصلية والقواعد التى تتعلق بها ، يشكل الأصل لنظرية الضرورة الشرعية ، التي أشرنا إليه في النظريات الفقهية .

القاعدة الخامسة : العادة مُحَكَّمة :

أشـار السيوطي إلى أصـلها ، وأنها تمثل أحد مصـادر التشريع في أصول الفقه ، وهو العرف ، فقال : « اعلم أن اعتبار العادة والعُرف يرجع إليه في الفقه في مسائل لا تعد كثرة ، فمن ذلك ... »[2] ، وعدّدها ، ثم شـرح ما يتعـلق بهذه القاعدة في خمسـة مباحث : الأول : فيما تثبت به العـادة ، وذلك يختلف من باب فقهي إلى آخر ، والمبحث الثـاني : إنما تعتبر العادة إذا اطّردت ، فإن اضطربت فلا ، وإن تعارضت الظنون في اعتباره فخلاف ، وفي ذلك فروع فقهية كثيرة ، واستطرد إلى فصل في تعارض العرف مع الشرع ، وفصل في تعارض العرف مع اللغة ، وفصل في

(١) الأشباه والنظائر ص٨٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٨٩ ، ٩٠ ، وهي المادة ٣٦ من المجلة .

تعارض العرف العام والخاص ، مع ذكر ضوابط لذلك وتنبيهات فيه ، والمبحث الثالث : العادة المطردة في ناحية ، هل تنزل عادتهم منزلة الشرط ؟ وفيه صور ، والمبحث الرابع : العرف الذي تحمل عليه الألفاظ ، إنما هو المقارن السابق دون المتأخر ، وأكد في المبحث الخامس على ضابط مهم للفقهاء ، وهو : كلُّ ما ورد به الشرع مطلقاً ، ولا ضابط له فيه ، ولا في اللغة ، يرجع فيه إلى العرف، وذكر السيوطي أمثلة لذلك ، كالحرز ، واليمين ، والتفرق في البيع ، والقبض ... وغير ذلك [١] .

وتوقف السيوطي رحمه الله تعالى عن بيان القواعد التي تتفرع على هذه القاعدة ، وجاءت في مجلة الأحكام العدلية فنشير إليها ، وهي : استعمال الناس حجة يجب العمل بها ، المادة ٣٧ ، إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت ، المادة ٤١ ، العبرة للغالب الشائع ، لا للنادر ، المادة ٤٢ ، الحقيقة تترك بدلالة العادة ، المادة ٤٠ ، الكتاب كالخطاب ، المادة ٦٩ ، الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان ، المادة ٧٠ ، المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، المادة ٤٣ ، التعيين بالعرف كالتعيين بالنص ، المادة ٤٥ ، المعروف بين التجار كالمشروط بينهم ، المادة ٤٤ ، لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، المادة ٣٩ [٢] .

ومجموع هذه القواعد تكوِّن الشطر الأساسي لنظرية العرف والعادة في الفقه وأصوله [٣] ، وبانتهاء الشرح على قاعدة « العادة محكمة » تنتهي القواعد الخمس الأساسية التي خصص لها السيوطي الكتاب الأول ، ثم

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٠ ـ ١٠١ .

(٢) انظر : المدخل الفقهي العام ٢/٩٩٤ .

(٣) انظر نظرية العرف في كتاب : المدخل الفقهي العام ٢/٨٣٠ وما بعدها ، العرف والعادة ، أبو سنة ص ١٣ .

انتقل إلى الثاني .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية :

عرض السيوطي في هذا الكتاب أربعين قاعدة . وهي قواعد فقهية كلية وعامة وشاملة ، ومعتبرة غالباً في كافة المذاهب ويقع الخلاف في إدخال بعض المسائل تحتها . ولكن هذه القواعد تأتي في الدرجة الثانية بعد القواعد الخمس الأولى ، ومجموعهما يشكل القواعد الفقهية بالاصطلاح الدقيق . وقد اقتصر بعض المصنفين عليها ، وما يتفرع منها ، وحصروا اهتمامهم في هذا النوع دون غيره .

وعرض السيوطي هذه القواعد الكلية الأربعين في ستين صفحة (١٠١ – ١٦١) ، وبين أصل كل قاعدة وتعليلها والتدليل عليها ، ثم ذكر الفروع الفقهية التي تدخل تحتها . ونختار فيما يلي : نماذج منها للعرض .

١ – الاجتهادُ لا يُنقَضُ بمثْله[1] . ونبه السيوطي في هذه القاعدة إلى أن تطبيقها في الاجتهاد والحكم القضائي ينحصر في الماضي ، ولكن يغير الحكم في المستقبل لانقضاء الترجيح الآن ، وأنه يستثنى من القاعدة صور ، وعدَّدها ، ثم أردف ذلك بفائدة عن السبكي ، وهي : « إذا كان للحاكم أهلية الترجيح ، ورجح قولاً بدليل جاز ونفذ حكمه ، وإن كان مرجوحاً عند أكثر الأصحاب ما لم يخرج عن مذهبه ... »[2] ثم ذكر لهذه القاعدة خاتمة ، وهي : « ينقض قضاء القاضي إذا خالف نصاً ، أو إجماعاً ، أو قياساً جلياً ، وقال القرافي : أو خالف القواعد الكلية ، قال

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠١ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٤ .

الحنفيـة : أو كان حكماً لا دليل عليه ، ... وقال السبكي : وما خالف المذاهب الأربعة فهو كالمخالف للإجماع [١] .

٢ ـ إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّب الحرام ، ولها فروع كثـيرة ، ويخرج عنهـا فروع أيضـاً ، ويدخل فيهـا قاعدة : « إذا تعـارض المـانع والمقتضي ، قدم المانع » وقاعدة عكسية : « الحرام لا يحرم الحلال » وهي غير مسلمة [٢] .

٣ ـ تصرّف الإمام على الرعية مَنُوط بالمصـلحة ، وبين السيوطي أن هذه القاعدة نص عليها الإمام الشافعي . وتحدد هذه القاعدة السياسة الشرعية للإمام ، والوظيفة الأسـاسية للدولة الإسلامية ، ولها فروع فقهية كثيرة ، ذكر السيوطي بعضها [٣] .

٤ ـ الحدود تُدْرَأ بـالشـبهات ، وهذه القـاعدة جزء من حديث شريف ، خرّجه السيوطي ، وعدد رواته . وهذه القاعدة تعتبر محوراً رئيساً في الحدود الشـرعيـة والقصـاص ، لذلك صرح السيوطي بذلك فقال : « الشبهة تسقط الحد ... ، ويسقط القصاص أيضاً بالشبهة ... ، والشبهة لا تسقط التعزير ، وتسقط الكفارة » [٤] .

٥ ـ الخـراج بـالضمان ، وهذه القـاعدة نص حديث صحيح ، أخرجه الشافعي وأحمد وأصحاب السنن ، كما بينه السيوطي ، وبين المراد من القاعدة ، والأمثلة لتطبيقها ، وما يردُّ عليها من الأسئلة والأجوبة [٥] .

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ ـ ١١٦ .

(٣) الأشباه والنظائر ص ١٢١ .

(٤) الأشباه والنظائر ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٥) الأشباه والنظائر ص ١٣٥ .

ونكتفي بهذه القواعد كنماذج للقواعد الكلية التي أفرد لها السيوطي الكتاب الثاني ، وبيّن الضوابط الفقهية التي تدخل فيها ، والقواعد التي تتفرع عنها[1] .

الكتاب الثالث : القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح ، لاختلافه في الفرع :

وهذه القواعد كما يظهر من عنوانها أنها من قواعد الخلاف ، وتمثل أحياناً الخلاف بين المذاهب ، ولذلك تعتبر قواعد مذهبية تخدم المذهب الذي يعتنقه المصنف ، وقد تكون أحياناً أخرى قواعد خلافية في نفس المذهب ، ويختلف فقهاء المذهب فيها ، وينتج عن الخلاف فيها بين المذاهب ، أو خلاف في مسائل فرعية في المذهب . ولذلك ترد معظم هذه القواعد بصيغ استفهامية ، إشارة إلى اختلاف العلماء فيها ، وبهدف شحذ الأذهان بها ، ولفت الأنظار إلى أهميتها ، وبيان المعاناة في ربط الفروع بأصولها وضوابطها .

وكثير من هذه القواعد توجد – في الأصل – في كتب الفقه ، وترد على ألسنة الفقهاء عند التعرض لسبب الخلاف في المسألة ، أو في كتب الفقه المقارن ، وكتب علم الخلاف ، كبداية المجتهد ، لابن رشد ، والمختصر الفقهي لابن الحاجب .

كما أن بعض الفقهاء حصر اهتمامه في هذا النوع من القواعد كالونشريسي المالكي في « إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك » ، وأبي زيد الدبوسي الحنفي في كتابه « تأسس النظر » . ويظهر ذلك في كتاب « تخريج الفروع على الأصول » للزنجاني الشافعي ، و« التمهيد في

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٦ وما بعدها .

تخريج الفـروع على الأصـول » للإسنوي ، بينما وضع ابن نجيم بعض هذه القواعد في النوع الثاني من القواعد الكلية ولم يفردها لوحدها[١] .

وعرض السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثالث عشرين قاعدة مختلف فيها ، واكد انه لا يطلق الترجيح فيها ، لا ختلاف العلماء في فروعها ، وصاغها بطريقة السؤال ، ووزعها على مختلف أبواب الفقه ، ونذكر هنا نماذج منها :

« الجمعة : ظهر مقصورة ، أو صلاة على حيالها ؟ » « النذر : هل يسلك به مسلك الواجب أو الجائز ؟ » « العبرة بصيغ العقود أو معانيها ؟ » ، « الحوالة : هل هي بيع أو استيفاء ؟ » « الإبراء : هل هو إسقاط أو تمليك ؟ » ، « إذا بطل الخصوص هل يبقى العموم ؟ » ، « المانع الطارئ هل هو كالمقارن ؟ » . وذكر السيوطي الفروع الفقهية ، والمسائل المتعددة في كتب الفقه ، وآراء العلماء المختلفة في كل مسألة ، والتنبيهات والقواعد الفرعية لبعض القواعد الرئيسة[٢] .

الكتاب الرابع : أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها :

وهذ الأحكام شبيهة بالضوابط الفقهية التي تضم أحكاماً كثيرة في باب فقهي معين ، وقد عَدَّد السيوطي هذه الضوابط في خطة كتابه ، فقال : « كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون ، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... ، والأنثى ، والخنثى ، والمتحيرة ، والأعمى ، والكافر ، والجان ، والمحارم ، والولد ، والوطء ، والعقود ،

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، القواعد الفقهية للندوي ص ١٦٦ ، القواعد ، للمقري ، مقدمة المحقق ١/١١١ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٦٢ – ١٧٨ .

والفسوخ ، والصريح ، والكناية ، والتعريض ، والكتابة ، والإشارة ، والملك ، والدين ، وثمن المثل ، وأجرة المثل ، ومهر المثل ، والذهب والفضة ، والمسكن ،والخادم ، وكتب الفقه ، وسلاح الجندي ، والرُّطَب ، والعنب ، والشرط ، والتعليق ، والاستثناء ، والدُّور ، والحصْر ، والإشاعة ، والعدالة ، والأداء ، والقضاء ، والإعادة ، والإدراك ، والتحمل ، والتعبدية ، والموالاة ، وفروض الكفاية ، وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات ، وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر »[1] .

ويظهر من بيان هذه المسائل أهميتها ، وكثرة وقوعها في الحياة ، وكثرة السؤال عنها ، والاستفتاء فيها ، مما يوجب على العالم والفقيه معرفتها ، ويقبح به جهلها ، لأنها من الأمور اليومية عند الناس . واستطرد السيوطي في بعضها ، كالقول في العقود ، فعرض تقسيمات العقود المختلفة[2] ، والفسوخ ، وفرقة النكاح ، والألفاظ الصريحة في أبواب الفقه المتعددة ، وأسهب الكلام في هذا الكتاب ، وتناول الفروع الفقهية الكثيرة ، والمسائل الجزئية المتكررة ، فغطى هذا الكتاب حَيِّزاً كبيراً من مُؤَلَّف السيوطي ، رحمه الله تعالى ، وكان أشبه بكتب الفقه في المذهب الشافعي[3] .

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٤ ـ٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٢٧٥ ـ ٢٨٧ .

(٣) الأشباه والنظائر ص ١٨٧ ـ٤٢٢ ، وتناول ابن نجيم أغلب هذه الموضوعات بعنوان الفن الثاني الفوائد ، ورتبها حسب الأبواب الفقهية . (الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٦٦ ـ ٣٠٠) .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب :

شرح السيوطي في هذا الكتاب الأحكام المتشابهة والنظائر والضوابط ، على ترتيب أبواب الفقه ، ابتداءً من كتاب الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، ثم البيع وبقية العقود ، ثم الفرائض ، والوصايا ، والنكاح ، والطلاق ، ثم القصاص ، والتعزير ، والحدود ، ثم الجهاد ، وأخيراً : القضاء والشهادات والدعوى والبينات واليمين . وبين السيوطي الأحكام الفقهية لأهم المسائل والضوابط لهذه الأبواب حسب المذهب الشافعي ، مما يقرب هذا الكتاب أيضاً من كتب الفقه في المذهب الشافعي[١] .

الكتاب السادس : أبواب متشابهة ، وما افترقت فيه :

تعرض السيوطي في هذا الكتاب لعدد من المصطلحات الشرعية ، والأحكام الفقهية التي يظهر عليها التشابه ، وتلتقي في بعض الأحكام ، ولكنها تختلف عن بعضها في أحكام أخرى ، وتفترق فيما بينها بفوارق دقيقة قد يصعب على الناظر كشفها ، كالفرق بين اللمس والمس ، والحيض والنفاس ، والأذان والإقامة ، والتمتُّع والقِران في الحج ، والإجارة والبيع ، والقضاء والحسبة ، والشهادة والرواية ، وقتال الكفار وقتال البغاة . وبين السيوطي رحمه الله تعالى باختصار الفوارق بين كل مسألتين مما يكشف عن حقائقهما وأحكامهما[٢] .

(١) الأشباه والنظائر ص ٤٢٢ ـ ٥١٥ ، وتناول ابن نجيم معظم هذه الموضوعات وموضوعات الكتاب السادس في الفن الثالث من كتابه : الجمع والفرق (الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ص ٣٠٢ ـ ٣٩٢) .

(٢) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص ٥١٥ ـ ٥٣١ .

الكتاب السابع : نظائر شتى :

ويتضمن مسائل فقهية معدودة ، وبعض القواعد المحصورة التطبيق ، ومجموعة من الفوائد الفقهية ، بعضها من استنتاج السيوطي ، وبعضها منقول من كتب الفقه ، أو عن لسان بعض الفقهاء . وجاء في هذا الكتاب ضابط واحد[١] ، وهو « البدل مع مبدله أقسام ... » ، وقاعدتان هما : « تفويت الحاصل ممنوع ، بخلاف تحصيل ما ليس بحاصل » ، « الواجب الذي لا يتقدر ... إذا زاد فيه على القدر المجزئ ، هل يتصف الجميع بالوجوب ؟ » . وهي قاعدة خلافية . ومن أمثلة المسائل : « الخلاف الأصولي في أن النسْخ رفع أو بيان ؟ » ، ومن أمثلة الفوائد : « البناء على فعل الغَير في العبادات فيه نظائر » و« الوكيل في النكاح يجب عليه ذكر الموكل » و« الفقير والمسكين حيث أطلق أحدهما اشتمل الآخر ، فإذا ذكرا اختص كل بمعناه . قال البُلقيني : ونظير ذلك الكافر والمشرك . وقلت : ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور ، ومن نظائر ذلك أيضاً : الإيمان والإسلام . وختم السيوطي هذا الكتاب بذكر المسائل التي يُفتى فيها على القديم (المذهب القديم للشافعي) ، وهي بضع عشرة مسألة ، نقلها عن النووي في « المجموع شَرْح المُهَذَّب »[٢] .

وبعد هذا العرض الموجز لمضمون كتاب « الأشباه والنظائر » فإننا نحيل القارئ الكريم إلى الاطلاع المباشر والدراسة التفصيلية لهذا الكتاب القيم ، ليتحقق له النفع العلمي ، ويضع عينه ويده على هذا الكنز الثمين ،

(١) الأشباه والنظائر ص ٥٣١ ـ ٥٤٠ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥٤٠ ، وأضاف ناشر الكتاب صفحتين فيهما قصيدة نظمها بعضهم في المسائل التي لا يعذر فيها الجهل (ص ٥٤١ ـ٥٤٢) ، ثم جاء فهرس الكتاب في ١٤ صفحة (٥٤٣ ـ ٥٥٦) .

ويطمئن قلبه إلى هذه الثروة الفقهية التي دبَّجها السيوطي بيراعه ، وخلفها للأجيال بعده .

وبذلك نصل إلى استنباط منهج السيوطي ، ثم التقييم العلمي لكتابه .

القسم الثالث

نظرة تقييمية للكتاب

١ ـ في منهج السيوطي في « الأشباه والنظائر » :

نستطيع من دراسة الكتاب ، وتتبع قواعده ، وضوابطه ، وفروقه ، ونظائره ، وضرب الأمثلة والاستدراكات والأدلة ، أن نستخرج منهج السيوطي بالأمور التالية :

١ ـ يظهر من خطة الكتاب السابقة أن السيوطي رحمه الله تعالى رتب كتابه من الأهم إلى المهم ، ومن القواعد الخمس الأساسية الرئيسة ، إلى القواعد الكلية المتفق عليها ، ثم انتقل إلى قواعد الخلاف بين المذاهب ، أو بين الأصحاب في المذهب ، ثم بيّن الضوابط والفوائد والقواعد والتنبيهات والأحكام الخاصة بفقه المذهب الشافعي .

٢ ـ كان السيوطي يضع القاعدة ، ويبدأ بها ، ثم يبين أصلها ، ومصدرها ، ودليلها من آيات القرآن الكريم إن وجدت ، ثم من نصوص السنة المطهرة ، ثم من الآثار الواردة عن الصحابة ثم من أقوال الأئمة والأصحاب .

واستدلاله بآيات القرآن الكريم يدل على الفهم الثاقب ، وهو صاحب القدح المعلى في علوم القرآن عامة ، والتفسير وآيات الأحكام

خاصة ، وله الكتب المشهورة في علوم القرآن والتفسير .

وركز كثيراً على الاستدلال بالسنة الشريفة ، وهو العالم الذي لا يشق له غبار في الحديث وعلومه ، وصنف أكبر موسوعة حديثية وصلت إلينا طوال التاريخ الإسلامي ، وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه ، فقال : «وقد صدرت كل قاعدة بأصلها من الحديث والأثر »[١] .

ولم يكتف السيوطي بإيراد الأحاديث الشريفة ، بل قام بتخريجها ، وعزوها إلى مصادرها ، وبيان درجة الحديث ومدى صحة الاعتماد عليها ، وهذا في حد ذاته عمل جبار ، ولكنه لا يستكثر على السيوطي المحدث الحافظ ، ولذلك قال : « وحيث كان في إسناد الحديث ضعف أعملت جهدي في تتبع الطرق والشواهد لتقويته على وجه مختصر ، وهذا أمر لا ترى عينك الآن فقيهاً يقدر عليه ، ولا يلتفت بوجهه إليه »[٢] .

واستعان السيوطي كثيراً بالآثار ، وما ثبت عن الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء ، واعتبر أن الأصل في « الأشباه والنظائر » هو ما جاء في كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، المعروف بكتاب « السياسة القضائية » أو « دستور القضاء في الإسلام » ، فقال السيوطي : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ... وقد وجدت لذلك أصلاً من كلام عمر بن الخطاب ... (وذكر سند روايته لذلك .... وفيه) اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عندك ، فاعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ... »[٣] ، وبين السيوطي وجه الاستدلال من الكتاب على الأشباه ، والنظائر ، والفروق ، والتكليف

(١) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص ١٢١) .

بالاجتهاد .

٣ – جمع السيوطي بين القاعدة الكلية الفقهية وبين الفروع الفقهية ، فبدأ بصياغة القاعدة الكلية ثم بين القواعد الفرعية لها أحياناً ، وذكر المسائل الفقهية كتطبيق عملي للقاعدة ، وكما أردف القواعد بالضوابط مع الأمثلة المتعددة من الأحكام ، وما يرد على بعضها من الاستثناءات ، وما يقع بينها من الفروق ، ولذلك جاء عنوان الكتاب « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » .

٤ – وشح السيوطي كتابه بنقل آراء كثير من الأئمة والفقهاء والعلماء ، ونسب الأقوال إلىٰ أصحابها بأمانه علمية ، وصرح أحياناً باسم الكتاب وعنوانه الذي نقل منه أو اعتمد عليه ، أو ورد فيه الإشكال أو الاعتراض أو الفائدة أو التنبيه ، مع بيان النصوص الفقهية التي أخذت منها القواعد[1] .

٥ – وردت في الكتاب مقارنات كثيرة مع المذاهب الفقهية . وكان ينقل آراء علماء بقية المذاهب ويذكر أقوالهم ، ويقتبس النصوص من كتبهم مع التصريح بها والعزو إليها ، وخاصة كتب القواعد ، دون تعصب أو تزمت أو تعريض بأحد ، بل يظهر الاحترام والتقدير للجيمع ، مع الموضوعية في البحث .

كما أن تبحر السيوطي بعلوم العربية في النحو والأدب واللغة شدَّه إلى بعض المقابلات ، وبيان الاتفاق بين القواعد الفقهية وقواعد اللغة العربية ومبادئها[2] .

---

(١) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص١٢١) .

(٢) قال السيوطي – على سبيل المثال : « لهذه النظائر أشباه في العربية ... ثم قال : تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً» (الأشباه والنظائر ص ٤٩) وقال : « ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور » . (الأشباه والنظائر ص ٥٣٩) .

٦ – لقد اقتفى السيوطي غالباً في جمع القواعد الفقهية وترتيبها منهج ابن الوكيل وابن السبكي ، دون أن يصرح بذلك . وجاء ابن نجيم وسار على غرار ابن السبكي ، وصرح في مقدمته على ذلك . ومع هذا فإننا نجد فروقاً كثيرة بين الكتب الثلاثة ، مع كثرة وجوه الاتفاق ، والعبارات الواحدة التي تظهر عند المقارنة .

ومن الفوارق بين الكتب الثلاثة أن السبكي اقتصر على القواعد الفقهية ، وما يلحق بها من الأشباه والنظائر ، بينما أضاف ابن نجيم بعض الفنون التي لا تدخل في الأشباه والنظائر كالحيل والألغاز ، وأضاف السيوطي الكتاب الثالث في الأحكام التي يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها ؛ وانفرد ابن السبكي بثلاثة كتب في أصول كلامية ، ومسائل أصولية ، وكلمات نحوية[1] .

٢ –المآخذ على الكتاب :

أبرز ما نأخذه على هذا الكتاب ما يلي :

١ – **عدم التناسق والتناسب** في توزيع الكتب المؤلفة منه ، فالأول : تناول القواعد الفقهية الخمس في مائة صفحة ،وجاءالثاني لشرح أربعين قاعدة كلية في إحدى وستين صفحة ، وحصر الثالث القواعد المختلف فيها في خمس وعشرين صفحة ، بينما توسع الكتاب الرابع في الأحكام التي يكثر دورها ، واستغرق ٣٣٥ صفحة ، وجاء الكتاب الخامس في ثلاث وتسعين صفحة واكتفى السادس بالأبواب المتشابهة

---

(١) انظر : القواعد الفقهية للندوي ص ١٣٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء ، مقدمة المحقق ٦٨/١ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ٢٦/١ ، القواعد ، المقري ١٣٤/١ .

وما افترقت فيه في ست عشرة صفحة ، وكذا الكتاب السابع من نظائر شتى في عشر صفحات ، فالبون شاسع في حجم الكتب ، وكان بالإمكان ضم الكتب الثلاثة الأولى في كتاب واحد (١ – ١٨٧) ثم تقسيم القواعد إلى ثلاثة أنواع كما وردت فيه ، كما يمكن ضم الكتب الثلاثة الأخيرة في كتاب واحد ، فيخف الفرق الواسع بين الكتب .

٢ – لم يصرح السيوطي رحمه الله تعالى بكتب « الأشباه والنظائر » التي اقتبس منها ، أو نهج مسلكها ، لكنه حافظ على الأمانة العلمية بعزو القواعد والضوابط والآراء إلى أصحابها ، ومنهم أصحاب « الأشباه والنظائر » كابن السبكي خاصة ، كما أنه يذكر العالم أو الفقيه ، وقد يكون له عدة كتب ومصنفات ، كالنووي ، وابن السبكي ، والإسنوي ، والبلقيني وغيرهم ، ولم يحدد الكتاب الذي قصده غالباً ، ولكن حدده في بعض الأحيان .

٣ – دمج السيوطي القواعد الفقهية خاصة ، وأحكام الأشباه والنظائر عامة ، بموضوعات فقهية يبحثها العلماء والفقهاء في كتب الفقه والفروع ، وهو ما حذَّر منه ابن السبكي رحمه الله فقال : « وراء هذه القواعد ضوابط يذكرها الفقهاء .... وليست عندنا من القواعد الكلية بل من الضوابط الجزئية لتدريب المبتدئين ، لا لخوض المجتهدين ، ولتمرين الطالبين ، لا لتحقيق الراسخين ... وأغراض الناس تختلف ، ولكل مقصده ، ولا ننكر على أحد مقصده ، وإنما ننكر إدخال شيء في شيء لايليق به ، ويكبر حجم الكتب بما لا حاجة إليه »[1] .

وتنبه السيوطي إلى ذلك ، ولكنه لم يتجنبه أو يحذر منه ، بل وقع

(١) القواعد ، المقري ، عن مقدمة التحقيق ١/١٤٤ .

فيه ، ووضعه في كتابه ، وصرَّح به في عنوان الكتاب الرابع ، فقال : « أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها »[١] ، وهذه الأحكام محلها كتب الفقه ، وليس كتب القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، وصرح بعنوان الكتاب الخامس فقال : « والمخاطب بهذا الباب ، والذي يليه ، المبتدئون »[٢] .

٤ – ذكر السيوطي بعض القواعد الفرعية مما لا يمكن اعتبارها قواعد حسب المصطلح عليه ، فبعضها ضوابط فقهية ، وبعضها مجرد أحكام فقهية جزئية ، كما حوى الكتاب بعض القواعد الأصولية ، وقواعد النحو واللغة العربية ، وهذا خروج عن موضوع الكتاب ، ومضمونه ، ومنهاجه ، وغرضه الأساسي .

٥ – عرض السيوطي بعض القواعد الكلية ، ثم بين ما يتفرع عنها من قواعد . ولكن عمله لم يكن مطرداً ، واقتصر على بعض الحالات ، وأغفل ذلك في أكثر القواعد ، كما أشرنا قبلاً في بحث القواعد المتفرعة عن القاعدة الكلية « العادة محكَّمة » .

٦ – صرح السيوطي في الكتاب الأول أن القواعد الأساسية خمس ، ولكنه جعلها عند الشرح ست قواعد فقال : القاعدة السادسة : « العادة محكَّمه » وجعل القاعدة الخامسة : « الحاجة تنزل منزلة الضرورة». ولعل هذا خطأ مطبعي ، أو خطأ في النسخ ، لأن هذه القاعدة الخامسة هي الفرع الخامس للقاعدة الرابعة ، وتأتي « العادة محكمة » باعتبارها القاعدة الخامسة الأساسية[٣] .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٨٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٥ .
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ ـ أهمية كتاب « الأشباه والنظائر » :

إن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي يمثل الذروة في كتب القواعد الفقهية عامة ، وعند الشافعية خاصة ، شكلاً ومضموناً ، وفيه غزارة علمية كبيرة وقواعد كثيرة ، وأحكامه فقهية ، وفروع جزئية ، ومسائل عمليه لا تحصى ، مما يدل على سعة اطلاع السيوطي ، وعمق معرفته في الفقه ، ليلحق الفروع من أبواب مختلفة بالقاعدة ، مع توشيحه بالفوائد الجمة ، والتنبيهات الدقيقة ، والتعقيبات الفريدة ، والعبارات ، الواضحة ، والأسلوب المشرق ، والبيان الفصيح ، والتنويع المحبب ، والمسائل المشوقة .

والكتاب زاخر بمختلف فنون الأشباه والنظائر ، ويحتوي على مجموع القواعد الكلية ، والأحكام المتناظرة ، والفروق الدقيقة ، وحشد كبير من الجزئيات المبثوثة في كتب الشافعية ، مما يؤكد أيضاً أن السيوطي فقيه متبحر ، وله باع طويل من المذهب الشافعي ، واطلاع واسع على كتب المذهب وكتب القواعد والأشباه . وله حافظة لا تضاهى للمسائل الفقهية ، وموهبة نادرة في معرفة مظان الأحكام الفرعية ، مما يوحي أيضاً بأنه يملك مكتبة فقهية كبيرة ، ويملك ناصية القلم والبيان لصياغة القواعد ، وهو من هو في الأدب والنحو اللغة .

وعرف الناس والعلماء مكانة هذا السفر العظيم ، فأقبلوا عليه بالدراسة والمطالعة ، والنسخ والنشر ، وفي مجال التعليم والتدريس ، واعتنوا به عناية فائقة ، وذاع صيته ، وانتشر فضله قديماً ، كما تبوأ المكانة العالية حديثاً لدى الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة ، وأصبح مرجعاً أساسياً لطلاب الدراسات العليا ، ومصدراً رئيساً في البحوث الفقهية والأصولية ، ومنهلاً للتكوين الفقهي .

ومن مظاهر أهمية الكتاب أنه حظي برعاية المؤلفين ، وظهرت حوله دراسات متعددة ، منها :

١ – أن أبا بكر بن أبي القاسم الأهدل (١٠٣٥هـ) استخلص القواعد من « الأشباه والنظائر » ونظمها في منظومة باسم « الفرائد البهية » ، ثم شرح هذه المنظومة الشيخ عبد الله بن سليمان الجوهري اليمني (١٢٠١هـ) ، وسمى الشرح « المواهب السنية على الفرائد البهية »[١] ، ثم قام الشيخ محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي بوضع حاشية على هذا الشرح ، وأسماها « الفوائد الجنية حاشية على المواهب السنية » وطبعت .

٢ – حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لبهاء الدين محمد بن محمد باقر السبزاوري الشافعي (١٠٣٣هـ) .

٣ – حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لإبراهيم بن السيد صبغة الله ، المعروف بفصيح الدين البغدادي الشافعي (١٢٩٩هـ)[٢] .

وإن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي قد وفى الموضوع حقه ، ولم يترك مجالاً لمستزيد ، ووصل إلى غاية الجمع والإتقان ، والإحاطة والشمول ، ولذلك لم يقدم أحد – فيما نعلم – طوال خمسة قرون مضت على مضاهاته ، أو التصنيف في موضوعه ، ولذلك تنافست المطابع ودور النشر والمكتبات على طباعته وتصويره وتوزيعه في أرجاء العالم الإسلامي ، وتصدَّر رفوف المكتبات العامة والخاصة .

---

(١) طبعت المواهب السنية شرح الفرائد البهية بهامش « الأشباه والنظائر » للسيوطي ، طبعة مكة سنة ١٣٣١هـ ، (انظر : معجم المطبوعات العربية ص١٠٧٣) .

(٢) انظر القواعد الفقهية ، للندوي ص٤٤٢ نقلاً عن هدية العارفين ٥/٤٢ – ٤٣ ، ٦/٣١٦ .

ولكن لا بدَّ من الاعتراف بالحق ، ولو كان مُرّاً ، بأن هذا الكتاب لم يُخدم خدمة كافية تليق بأهميته ومكانته ، وأنه يحتاج إلى تحقيق علمي رفيع ، لعزو الأحاديث إلى كتب السنة المشهورة ، ونسبة الأحكام الفقهية والمسائل المتنوعة إلى مظانها من كتب الفقه المعتمدة في المذهب ، ليتم نشره محققاً بطباعة أنيقة ، وثوب قشيب ، ومحلى بالفهارس الضرورية لتسهيل الرجوع إليه ، والاستفادة منه عملياً بشكل كامل .

وقد أثنى العلماء في مختلف العصور على الكتاب ، والإطراء به ، وبيان جواهره ومكنوناته للناس . ونكتفي في هذا الخصوص بنص واحد لشاب هندي من ندوة العلماء ، وهو الأستاذ علي أحمد الندوي قال فيه ، بعد أن تعرض للكتاب في مواطن متعددة من رسالته : « الكتاب المذكور من أروع المؤلفات في القواعد الفقهية ، وأغزرها مادة ، وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً ، تداولته أيدي العلماء في كل مكان ، وحظي بحسن القبول والرواج ، وفي الواقع أتى فيه المؤلف بخلاصة مركزة ، وزبدة مستخلصة من كتب السابقين في هذا المجال ، فجمع فيه معظم ما تفرَّق وتناثر من القواعد في كتب هذا الفن لتاج الدين السبكي والعلائي والزركشي ، وأضحى بذلك مصدراً خِصْباً لدراسة القواعد الفقهية خاصة في المذهب الشافعي »(١) .

---

(١) القواعد الفقهية ، للندوي ص٢٠٨ .

مراجع البحث

١ ـ الأشباه والنظائر قواعد وفروع فقه الشافعية ، للسيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
٢ ـ الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، طبع شركة الطباعة الفنية بالقاهرة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٣ ـ الأشباه والنظائر ، لابن نجيم الحنفي ، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .
٤ ـ الاستغناء في الفرق والاستثناء ، للبكري ، نشر جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
٥ ـ أصول الفقه ، للشيخ محمد أبو زهرة ، مطبعة مخيمر بالقاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
٦ ـ أصول الفقه الإسلامي ، للدكتور محمد الزحيلي ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٧ ـ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٨ ـ إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، للونشريسي ، طبع الرباط ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٩ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٤٨هـ .
١٠ ـ تخريج الفروع على الأصول ، للزنجاني ، طبع جامعة دمشق ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
١١ ـ التعريفات ، للجرجاني ، تصوير لبنان ، ١٩٦٩م .
١٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، تصوير عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
١٣ ـ تهذيب الفروق ، للشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي ، على هامش

« الفروق » ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ١٣٤٦هـ .
١٤ ـ الحاوي للفتاوي ، لجلال الدين السيوطي ، إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ .
١٥ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، طبع دار الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
١٦ ـ الذخيرة ، للقرافي ، مطبعة كلية الشريعة ، بالجامعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
١٧ ـ الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
١٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، طبعة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٠هـ .
١٩ ـ صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، ضبط الدكتور مصطفى البغا ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٢٠ ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم القشيري النيسابوري ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، مع شرح النووي ، بدون تاريخ .
٢١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي ، طبع مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م .
٢٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكي ، طبع عيسى البابي الحلبي ، بالقاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
٢٣ ـ العرف والعادة في رأي الفقهاء ، للشيخ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٢٤ ـ غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، للحموي ، دار الطباعة العامرة ، ١٣٥٧هـ/القاهرة .
٢٥ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، للمراغي ، الطبعة الثانية تصوير ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
٢٦ ـ الفروق ، للقرافي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ .
٢٧ ـ الفكر السامي ، للحجوي الفاسي ، مطبعة إدارة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ ، وبفاس ١٣٤٥هـ .

٢٨ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، مطبعة مصطفى محمد ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م .
٢٩ ـ القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
٣٠ ـ القواعد ، لابن رجب الحنبلي ، طبع دار المعرفة ، بيروت ، تصوير ، بدون تاريخ .
٣١ ـ القواعد ، لأبي عبد الله المقَّري ، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد ، نشر جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، بدون تاريخ .
٣٢ ـ القواعد الفقهية ، للأستاذ علي أحمد الندوي ، طبع دار القلم ـ دمشق ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
٣٣ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، تصوير عن مكتبة كلكتا بالهند ، ١٨٦٢م .
٣٤ ـ كشف الكتب والظنون عن أسامي الفنون ، ملاجلبي ، الحاج خليفة ، طبعة أولى ١٣١٠هـ/طبعة استانبول ١٣٥١هـ .
٣٥ ـ الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ، نشر وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨١م .
٣٦ ـ مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي ، لابن خطيب الدهشة ، تحقيق البنجويني مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٩٨٤م .
٣٧ ـ المدخل لدراسة التشريع الإسلامي ، للدكتور عبد الرحمن الصابوني ، نشر جامعة دمشق ـ بدون تاريخ .
٣٨ ـ المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، للدكتور مصطفى الشلبي ، طبع مصر ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
٣٩ ـ المدخل الفقهي العام ، للأستاذ مصطفى الزرقا ، الطبعة السابعة ـ دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .
٤٠ ـ مرآة المجلة ، يوسف آصاف ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٨٩٤م .
٤١ ـ المصباح المنير ، للفيومي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٢٦م .
٤٢ ـ معجم المطبوعات العربية . يوسف سركيس ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون تاريخ .
٤٣ ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٤٤ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية ، تونس ،١٩٧٨م .

٤٥ ـ مقالات الكوثري ، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، طبع مكتبة التراث ، حلب ، بدون تاريخ .

٤٦ ـ المنثور في القواعد ، للزركشي ، تحقيق الدكتور تيسير فائق محمود ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الفليج ، الكويت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٧ ـ النظريات الفقهية ، للدكتور فتحي الدريني ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٨ ـ النظريات والقواعد في الفقه الإسلامي ، بحث للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، العدد ٢ ، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٤٩ ـ نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للإسنوي ، تصوير عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٢م عن المطبعة السلفية ـ بالقاهرة ، ١٣٤٥هـ .

٥٠ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م .

السيوطي النحوي

الدكتور محمد أحمد الدالي

كان علم العربيّة أول العلوم التي طلبها السيوطي وجدَّ في تحصيلها(١) ، حتى غدا رابع العلوم السبعة التي قال إنه رُزق التبحّر فيها(٢) .

وتلقّاه على شيوخ العربية بمصر في عصره ، وأشهرهم وأبعدهم أثراً فيه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشُّمُنِّيّ (ت ٨٧٢هـ) ، ومحيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الكافِيَجيّ (ت ٨٧٩هـ) .

وصنّف في علم العربية ٣٢ كتاباً(٣) ، وأهمها : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، والأشباه والنظائر في النحو ، وشرح شواهد مغني اللبيب ، والاقتراح في أصول النحو . وله في غير مسألة من مسائل هذا العلم آراء اختار أكثرها من أقوال من نقدمه من علماء العربية .

فهل في مصنفات السيوطي وآرائه في علم العربية ما يسوّغ له هذه الدعوى العريضة التي ادعاها : أنه رزق التبحّر في هذا العلم ؟!

سبيلُنا في الإجابة عن ذلك وفي الاطمئنان إلى حُكم فيه مصنفاته وآراؤه . وفيما يأتي من هذه الكليمة تعريفٌ بأهم مصنفاته التي تقدم ذكرها ، ثم ذكرُ طائفة من آرائه . وقد أفدت في ذلك من كتب السيوطي المذكورة ،

---

(١) الأشباه والنظائر (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ١/١ .

(٢) حسن المحاضرة ٣٧٨/١ .

(٣) مقدمة محقق الأشباه والنظائر (ط. المجمع) 23 .

ومن مقدمات محققيها ، ومن الدراسة المطولة التي ألّفها الدكتور عدنان محمد سلمان وأسماها « السيوطي النحوي » ، وهي دون ما يؤمل من دراسة بهذا العنوان ، وفيها فوائد .

أما « الأشباه والنظائر في النحو » فقد اشتمل على سبعة فنون[٤] :

الأول : فن القواعد والأصول التي تردّ إليها الجزئيات والفروع ، وهو مرتب على حروف المعجم ، وهو معظم الكتاب ومهمُّه . قال السيوطي : « وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق ، وأشبعت القول فيه ، وأوردت في ضمن كل قاعدة ما لأئمة العربية فيها من مقال وتحرير وتنكيت وتهذيب واعتراض وانتقاد وجواب وإيراد ، وطرزتها بما عدّوه من المشكلات من إعراب الآيات القرآنية والأحاديث والأبيات الشعرية وتراكيب العلماء في مصنفاتهم المروية وحشوتها بالفوائد ، ونظمت في سلكها فرائد القلائد » .

الثاني : فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات ، وهو مرتب على الأبواب .

الثالث : فن بناء المسائل بعضها على بعض .

الرابع : فن الجمع والفرق .

الخامس : فن الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات .

السادس : فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمراسلات والمكاتبات .

السابع : فن الأفراد والغرائب .

قال السيوطي : « وقد أفردتُ كل فن بخطبة وتسمية ليكون كل فن من السبعة تأليفاً مفرداً ، ومجموع السبعة هو كتاب الأشباه والنظائر .

---

(٤) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ١/٧ – ٩ .

فدونكه مؤلَّفاً تشد إليه الرحال وتتنافس في تحصيله الرجال » .

جمع السيوطي مادة كتابه التي فرّقها في هذه الفنون السبعة مما وقف عليه وأخذ منه من كتب العربية وما إليها . وبلغت عدة المصادر التي صرح بنقله منها ٢٧٨ مصدر في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة الأشباه والنظائر التي حققها (؟!) وفيه خلل . وأهم هذه المصادر :

١ – كتب الزجّاجي : الجمل ، الأمالي ، اللامات ، مجالس العلماء .

٢ – كتب أبي علي الفارسي : الاغفال ، التذكرة ، البغداديات ، القصريات .

٣ – كتب ابن جني : الخصائص ، سر الصناعة ، المحتسب ، الخاطريات .

٤ – كتب الزمخشري : المفصل ، الأحاجي ، الفائق ، الكشاف .

٥ – كتب علم الدين السخاوي : سفر السعادة ، المفضل في شرح المفصل ، تنوير الدياجي في شرح الأحاجي .

٦ – كتب ابن مالك : التسهيل وشرحه ، العمدة وشرحها ، الكافية الشافية وشرحها .

٧ – كتب أبي حيان : الارتشاف ، التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب .

٨ – كتب ابن هشام الأنصاري : المغني ، حواشي التسهيل ، شرح شذور الذهب ، التذكرة ، موقظ الوسنان وموقد الأذهان ، شرح اللمحة البدرية .

٩ – كتب أبي البركات بن الأنباري : الإنصاف ، نزهة الألبا .

١٠ ــ الأصول لابن السراج .

١١ ــ شرح المفصل لابن يعيش

١٢ ــ شرح المفصل للعلم اللورقي الأندلسي

١٣ ــ البسيط لابن العلج .

١٤ ــ البسيط لركن الدين الأستراباذي .

١٥ ــ المقرب لابن عصفور .

١٦ ــ المغني لابن فلاح .

١٧ ــ التبيين للعكبري .

١٨ ــ التذكرة لابن الصائغ .

١٩ ــ التذكرة لابن أم مكتوم .

٢٠ ــ التعليقة على المقرب لابن النحاس .

٢١ ــ شرح الجمل لابن عصفور .

٢٢ ــ الغرّة لابن الدهان .

والكتاب من المراجع النحوية الهامة ، ولا يُعرف كتاب غيره سلك مؤلفه « بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر »(٥) . وفيه كثير من النصوص النحوية التي نقلها السيوطي من كتب لم تنته إلينا ،.ومنها تذكرة أبي علي وتذكرة ابن هشام والمغني لابن فلاح والبسيط لابن العلج .

وأما « همع الهوامع في شرح جمع الجوامع » فهو كتاب شرح فيه السيوطي كتاباً له مختصراً في العربية سمّاه « جمع الجوامع » وقال في وصفه : « فإن لنا تأليفاً في العربية جمع أدناها وأقصاها ، وكتاباً لم يغادر من مسائلها

---

(٥) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ٣/١ .

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .... وجمعته من نحو مائة مصنف ، فلا غرو أن لقبته جمع الجوامع » وهو « جامع لِما في الجوامع من المسائل والخلاف ، حاوٍ لوجازة اللفظ وحسن الائتلاف ، محيط بخلاصة كتابَي التسهيل والارتشاف مع مزيد واف فائق الانسجام قريب من الأفهام »[٦] .

جعله مؤلفه في مقدمات وسبعة كتب .

تناول في المقدمات تعريف الكلمة وأقسامها ، والكلام والكلم ، والجملة والقول ، والإعراب والبناء ، والمنصرف وغيره ، والنكرة والمعرفة وأقسامها .

وأما السبعة الكتب فالكتاب الأول « في العُمَد ، وهي المرفوعات وما شابهها من منصوب النواسخ .

والثاني في الفضلات وهي المنصوبات .

والثالث في المجرورات وما حمل عليها من المجزومات وما يتبعها من الكلام على أدوات التعليق غير الجازمة وما ضم إليها من بقية حروف المعاني .

والرابع في العوامل في هذه الأنواع ، وهو الفعل وما ألحق به وختم باشتغالها عن معمولاتها وتنازعها فيها .

والخامس في التوابع لهذه الأنواع ، وعوارض التركيب الإعرابي من تغيير كالإخبار والحكاية والتسمية وضرائر الشعر .

والسادس في الأبنية .

والسابع في تغييرات الكلم الإفرادية كالزيادة والحذف والإبدال والنقل والإدغام ، وختم بما يناسبه من خاتمة الخط »[٧] .

---

(٦) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٢ .

(٧) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٣ .

جمع المؤلف كتابه فيما قال من نحو مائة مصنَّف ، وضمّنه خلاصة كتابي « التسهيل » لابن مالك ، و« ارتشاف الضَّرَب » لأبي حيان . وبلغت عدة المصادر التي صنع منها السيوطي كتابه ١٤٥ كتاب في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة « همع الهوامع » التي حققها (؟!) ، وفيه خلل .

وأهم هذه المصادر :

١ – ارتشاف الضَّرَب ، لأبي حيان .

٢ – التسهيل ، لابن مالك ، وشرحه له أيضاً .

٣ – شرح التسهيل ، لأبي حيان .

٤ – المغني ، لابن هشام .

٥ – الإفصاح بفوائد الإيضاح لابن هشام الخضراوي .

٦ – البديع ، لمحمد بن مسعود الغزني .

٧ – النهاية ، لابن الخباز .

والكتاب مجمع لمسائل العربية وشواهدها ، وسجلّ لآراء جمهور علماء العربية المتقدمين والمتأخرين . وقد اشتمل الكتاب على ١٨٢١ شاهد من شواهد العربية ، واشتمل ارتشاف الضرب على ١٣٨٧ شاهد .

وأما « شرح شواهد مغني اللبيب » فهو شرح للأبيات التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب ، وعدّتها ١٢٠٠ بيت في الطبعة التي حققها الدكتور مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله . شرح السيوطي الشواهد على ترتيبها في المغني . وأبان منهجه في شرحه بقوله في صدر كتابه : « أُورد أولاً البيت المستشهد به ، ثم أُتبعه بتسمية قائله والسبب الذي لأجله قيلت القصيدة ، ثم أورد من القصيدة أبياتاً استحسنتها .... ثم أتبع ما أورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل وبيان ما تضمنته من

الاستشهادات العربية والنكت الشعرية وما يتعلق بها من فائدة ونادرة وموارِدة ، وأُتبع ذلك بالتعريف بقائلها .... » ثم ذكر المصادر التي عوّل عليها في شرحه . ومنها دواوين الشعر وكتب الاختيار وأمهات كتب الأدب وأيام العرب وتراجم الشعراء والرجال ، وشروح أبيات سيبويه لابن السيرافي وللأعلم وللزمخشري . وشرح شواهد الإيضاح لابن يسعون ، وشروح شواهد الجمل للخضراوي وللبطليوسي وللتدمري ، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شرح الألفية للعيني ، وأمالي ابن الشجري ، ونوادر أبي زيد وابن الأعرابي ، وأمالي القالي وأمالي ثعلب (مجالس ثعلب) .

وهو شرح وسط فيه زبدة كلام من تقدمه إلى الكلام على الشواهد وما يتعلق بها .

وأما « الاقتراح في علم أصول النحو » فقد جعله المؤلف في مقدمات وسبعة كتب .

أما الكلام على المقدمات فقد ذكر فيه عشر مسائل : الأولى : أصول النحو ، والثانية : حدوده ، والثالثة : حد اللغة ، والرابعة : مناسبة الألفاظ للمعانَي ، والخامسة : الدلالات النحوية ، والسادسة : الحكم النحوي ، والسابعة : انقسام الحكم النحوي من جهة أخرى ، والثامنة : تعلق الحكم النحوي ، والتاسعة : هل بين العربي والعجمي واسطة ، والعاشرة : انقسام الألفاظ إلى واجب وممتنع وجائز .

وأما السبعة الكتب فالأول في السماع ، والثاني في الإجماع ، والثالث في القياس ، والرابع في الاستصحاب ، والخامس في أدلة شتى ، والسادس في التعارض والتراجيح ، والسابع في أحوال المستنبط بهذا العلم ومستخرجه .

جمع المؤلف مادة كتابه من « لمع الأدلة » و« الإغراب في جدل الإعراب » وهما لأبي البركات بن الأنباري ، ومن الخصائص لابن جني .

وضمنه نقولاً من الأصول لابن السراج ، والألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي ، والإنصاف لأبي البركات بن الأنباري ، وتذكرة أبي حيان ، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ، وثمار الصناعة ، لأبي عبد الله الحسن بن موسى الجليس ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، والممتع لابن عصفور .

فالكتاب قد ضمَّ ما تفرق من كلام من تقدم السيوطي في « أصول النحو » .

لقد حفظت هذه الكتب وغيرها من كتب السيوطي النحوية نصوصاً نحوية كثيرة ، منها ما فقدت أصولها التي نقل السيوطي منها . ولو نشرت جميع الأصول التي عليها بنى السيوطي كتبه لم يجردها ذلك من قيمتها العلمية ولم يسلبها أهميتها فتصير قيمتها تاريخية . بل إنّ فضل السيوطي في جمع مسائل العربية وما تفرق من كلام علمائها في كل مسألة منها وترتيبها ترتيباً حسناً = فضلٌ وافر باق غير مدفوع ولا منكر .

وعلى أن السيوطي كان يصنع من كتب من تقدمه كتباً فقد كان دأبه أن يباهي بما صنع ويدعي أن ما صنعه بديع جليل وأنه أتم وأوفى وأحسن وأجل من الكتب التي صنع منها كتابه !! قال في جمع الجوامع : « هذا ترتيب بديع لم أسبق إليه حذوت فيه حذو كتب الأصول »(٨) ، وقال في حاشيته على مغني اللبيب التي سماها « الفتح القريب » : « أودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه أحد غيري لم يكن إلى ذلك سبيل ولا فيه نصيب »(٩) ، وقال في الاقتراح : « لم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم أُسبق إلى ترتيبه ولم أُتقدم إلى تهذيبه وهو أصول النحو »(٣) .

(٨) همع الهوامع (ط. مصر) ٣/١ .
(٩) شرح شواهد مغني اللبيب ص٢ .
(١٠) الاقتراح (ط. إستانبول) ص٢ .

ولو قال قائل : ليس للسيوطي في كثير مما صنفه إلا الجمع والترتيب والتبويب = لم يكن إلى غلوّ في مقالته .

وأمّا آراؤه **النحويّة** فهي في جملتها أقوال اختارها من أقوال من تقدمه من علماء العربية . وهذه أمثلة لها من كتابه « همع الهوامع » تدل على ما وراءها :

١ – « في الأسماء قبل التركيب ثلاثة أقوال : أحدها – وعليه ابن الحاجب – أنها مبنيّة .... الثاني : أنها معربة .... والثالث : أنها واسطة لا مبنيّة ولا معربة .... وهذا هو **المختار عندي** تبعاً لأبي حيان » (الهمع ١/١٩) .

٢ – في إعراب الأسماء الستة اثنا عشر مذهباً أحدها – وهو المشهور – أنّ هذه الأحرف نفسها هي الإعراب وأنها نابت عن الحركات .... الثاني – وهو مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين .... أنها معربة بحركات مقدرة في الحروف وأنها أتبع فيها ما قبل الآخر للآخر ... المذهب الثالث : أنها معربة بالحركات التي قبل الحروف والحروف إشباع .... الرابع .... » قال السيوطي : « **وأصحُّها** الثاني » (الهمع ١/٣٨) .

٣ – « إعراب المثنى والجمع بالحروف » هذا قول « الجمهور من المتأخرين ومنهم ابن مالك ، ونسبه أبو حيان للكوفيين وقطرب والزجاج والزجاجي » ووافقهم السيوطي وردَّ قول من زعم غير ذلك ، قال : « وليس الإعراب في المثنى والجمع بمقدرة قبلها أو فيها أو دلائل أو بالبقاء والانقلاب خلافاً لزاعميها » (الهمع ١/٤٧ – ٤٨) .

٤ – إذا اجتمعت النون علامة الرفع في المضارع المسند إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة مع نون الوقاية « جاز الفك

والإدغام والحذف ، **والأصحُّ** أنها المحذوفة » وهو مذهب سيبويه ورجحه ابن مالك « وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد وأبو علي وابن جني » (الهمع ١/٥١ – ٥٢) .

٥ – المنادى النكرة المقصودة آخر المعارف السبعة « **والأصحُّ** أنّ تعريفه بالقصد » « كما صححه ابن مالك . وذهب قوم إلى أن تعريفه بأل محذوفة » (الهمع ١/٥٤ – ٥٥) .

٦ – إذا اجتمعت نون الإناث ونون الوقاية جاز حذف إحداهما في ضرورة الشعر ، نحو « فَلَيْنِي » ، وذهب المبرد إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، قال السيوطي « وهذا هو **المختار** عندي . ورجحه ابن جني والخضراوي وأبو حيان وغيرهم . وحكى صاحب البسيط الاتفاق عليه . وقال سيبويه : هي نون الإناث .... » (الهمع ١/٦٥) .

٧ – « في جواز تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مذاهب أحدها : المنع مطلقاً ، وعليه البصريون ، والثاني : الجواز مطلقاً ، وعليه الكوفيون ، وهو **اختياري** للتوسع فيهما ، والثالث : الجواز مع أل إذا جرّت بـ « من » .... وعليه ابن مالك » (الهمع ١/٨٨) .

٨ – أيّ الموصولة المضافة المحذوف عائدها في نحو « سلِّم على أيّهم أفضل » « تبنى حينئذ على الضم عند سيبويه .... **والمختار** وفاقاً للكوفية والخليل ويونس إعرابُها » (الهمع ١/٩٠) .

٩ – عند النحاة أن الباء في نحو « بحسبك درهم » زائدة ، وحسبك مبتدأ ، قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً لشيخنا الكافيجي أنه خبر » (الهمع ١/٩٣) .

١٠ – « في رافع المبتدأ والخبر أقوال : فالجمهور وسيبويه على أن رافع المبتدأ معنوي وهو الابتداء .... ورافع الخبر المبتدأ .... وقيل : العامل

في الخبر هو الابتداء .... وقيل : العامل فيه الابتداء والمبتدأ معاً ...... وذهب الكوفيون إلى أنهما ترافعا ، فالمبتدأ رفع الخبر والخبر رفع المبتدأ .... وهذا المذهب اختاره ابن جني وأبو حيان ، وهو **المختار** عندي .... » (الهمع ١/٩٤ ـ ٩٥) .

١١ ـ في جواز حذف العائد على المبتدأ من جملة الخبر أقوال ، قال السيوطي : « **والمختار** .... الجواز بشرطين : أحدهما وجود دليل يدل على المحذوف . الثاني : ألاّ يؤدّي إلى رجحان عمل آخر .... » (الهمع ١/٩٧) .

١٢ ـ إذا وقع الظرف أو الجار والمجرور خبراً فـ « عامله كونٌ منويّ في الأصح ، والتحقيق وفاقاً لابن كيسان أنه الخبر والعامل في مرفوعه ، **والمختار** وفاقاً لابن مالك تقديره اسم فاعل ... » (الهمع ١/٩٨) .

١٣ ـ أطلق الجمهور وجوب حذف الخبر إذا وقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية . قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً للرماني والشلوبين وابن مالك : يجب ذكره إن كان خاصاً ولا دليل عليه » (الهمع ١/١٠٤) .

١٤ ـ « نواسخ الابتداء (كان وأخواتها) .... ترفع المبتدأ خلافاً للكوفية » « فمذهب البصريين أنها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها .... ومذهب الكوفيين أنها لم تَعمل فيه شيئاً وأنه باق على رفعه » (الهمع ١/١١٠ ـ ١١١) .

١٥ ـ « إذا وقعت أنَّ بعد لو فمذهب سيبويه وأكثر البصريين أنها في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف لا يجوز إظهاره .... وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وابن الحاجب إلى أنه فاعل بفعل مقدر تقديره ثبت . وهذا هو **المختار** لإغنائه عن تقدير الخبر وإبقاء لو على حالها من الاختصاص بالفعل .... » (الهمع ١/١٣٨) .

١٦ – الجمهور على أن « الآن » ظرف مبني ، واختلفوا في علة بنائه ، قال السيوطي « **والمختار** إعرابه » (الهمع ١/٢٠٧ – ٢٠٨) وهو قول بعض النحويين .

١٧ – في مفاد « رُبَّ » « أقوال : أحدها : أنه للتقليل دائماً ... ثانيها للتكثير دائماً .... ثالثها وهو **المختار** عندي وفاقاً للفارابي أبي نصر وطائفة أنها للتقليل غالباً والتكثير نادراً ... » (الهمع ٢/٢٥) .

١٨ – يتلقى القسم في النفي بما ولا وإن ، وقيل يتلقى بلن ولم ، ونقل أبو حيان عن محمد بن خلصة[١١] الضرير أنه يتلقى بلم دون لن ، قال السيوطي : « **وعندي** عكسه وهو جواز التلقي بلن دون لم .... » (الهمع ٢/٤١) .

١٩ – « **الأصحّ** أن الجر في المضاف إليه بالمضاف ، قاله سيبويه ... وقال الزجاج وابن الحاجب : هو بالحرف المقدر .... وقال الأخفش : بالإضافة » (الهمع ٢/٤٦) .

٢٠ – « لا يفصل بين المتضايفين أي المضاف والمضاف إليه اختياراً ... إلا بمفعوله وظرفه **على الصحيح** .... وجوزه أي الفصل الكوفيون مطلقاً .... » (الهمع ٢/٥٢) .

٢١ – « أمَّا .... **الأصحّ** أنها حرف بسيط . وقيل مركب .... » (الهمع ٢/٦٧) .

٢٢ – « حبّذا ... **الأصح** أنّ ذا فاعله .... » (الهمع ٢/٨٨) .

٢٣ – « الجمهور على أنه لا يؤكد به أي بأجمع دون كل اختياراً ، **والمختار** وفاقاً لأبي حيان جوازه » (الهمع ٢/١٢٣) .

---

(١١) في المطبوع « خاصة » وهو تحريف صوابه ما أثبت ، انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/١٠٠ ، وجاء على الصواب في طبعة الكويت ٤/٢٤٤ .

٢٤ - « **المختار** خلافاً للجمهور إثبات بدل الكل من البعض » (الهمع ٢/١٢٧) .

٢٥ - « قال أبو حيان : وشذ أيضاً قولهم : ما أُعظم الله وما أقدره ... لعدم قبول صفات الله الكثرة ، **والمختار** وفاقاً للسبكي وجماعة ... جوازه » (الهمع ٢/١٦٧) .

تبين من خلال ما تقدم أنَّ منهج السيوطي في تأليف كتبه قائم على الجمع والنقل والترتيب والتبويب ، وأن منهجه النحوي قائم على الاختيار من أقوال من تقدمه من النحاة في الغالب ، وهو موافق للبصريين في كثير من آرائه ، وهو معهم في أصول النحو .

إنَّ للسيوطي فضلاً في جمع مادة كتبه وتقسيمها وتبويبها وترتيبها أحسن ترتيب ، وإنَّ له علماً بالنحو دلّ عليه اختياره ما اختاره من آراء فيه ، وكلا هذين سالكه بين النحاة غير شك .

الإمام جلال الدين السيوطي
العالم الموسوعي

الأستاذ بديع السيد اللحام

عاش الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) في آواخر العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بـ(عصر سلاطين المماليك) الذي تميز بحركة علمية نشيطة ، وأنجب عدداً كبيراً من أساطين العلم ، وقد تميزت الحركة العلمية في هذا العصر بظهور الموسوعات العلمية التي تشمل الفنون المعروفة فيه كافة ، ولذلك وصف هذا العصر ، بأنه (عصر الموسوعات) أو (عصر المجاميع) ، ويعد السيوطي أبرز العلماء الموسوعيين في هذا العصر ، وقد حاولت في هذا البحث أن ألقي الضوء على هذه الناحية في حياة السيوطي ، مبتدئاً بنشأته ، ومختتماً برحلاته العليمة ، مروراً بالعلوم التي برز ونبغ فيها ، ومعرفاً بأشهر أساتذته :

نشأته العلمية المبكرة :

نشأ الإمام جلال الدين السيوطي في بيئة علمية ، إذ كان والده من أهل العلم ، كما كانت أسرته ذات ميل إلى التصوف واعتقاد بالأولياء فلا عجب بعد ذلك أن نجده ومنذ بداياته الأولى يميل إلى العلم والتعلم بكليَّته ، وقد ساعده على ذلك حرص والده الشديد على تعليمه وتسليكه طريق الطلب فكان يحمله وهو ما يزال صغيراً لم يتجاوز الثالثة من عمره

ويحضره مجالس أكابر العلماء في عصره ، يقول السيوطي عند ترجمته للشيخ رضوان العقبي :

« لا أشك في أنَّ لي منه إجازة ، فإنَّه كان مُسمِع الحديث بالشيخونية ، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده ، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية ، مات في رجب سنة ٨٥٢هـ »(١) ، وما كان والد السيوطي ليكتفي باحضار ابنه الضغير مجالس العلماء بل وجَّهه إلى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية .

ولكن السيوطي لم ينعم بالرعاية الأبوية طويلاً إذ سرعان ما توفي والده ولم يكن قد تجاوز السنوات الست من عمره ، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم ، ولكن هذا الحادث الجلل بالنسبة إلى طفلٍ صغيرٍ لم يؤثر في توجه الصبي العلمي ، وذلك أن والده كان قد أسند وصايته إلى عدد من علماء عصره وعلى رأسهم العلامة المحقق الكمال بن الهمام الحنفي الذي نشأ الإمام السيوطي ملحوظاً بعنايته(٢) .

استمر السيوطي سائراً على الطريقة التي نشَّأه عليها والده ، فأتمَّ حفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الثماني سنوات من حياته ، وأتمَّ حفظ عدد من المتون مثل : (منهاج الطالبين) في فروع الشافعية للنووي ، و(منهاج السول في علم الأصول) للبيضاوي ، و(الألفية في النحو) لابن مالك ، و(عمدة الأحكام عن سيد الأنام) في الحديث لعبد الغني المقدسي ، وقد عرض ما أتمَّ حفظه من هذه المتون على عدد علماء عصره أمثال : العلم

(١) المرجع السابق : ٥٠ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بغية الوعاة : ١/١٦٧ ، وانظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله المراغي : ٢/٦٥ ، وطرز العمامة : ٨١٥ (مطبوعة ضمن شرح مقامات السيوطي) .

البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ أمين الدين الاقصرائي ، وذلك في صفر سنة (٨٦٤هـ) أربع وستين وثمانمئة ، وله خمس عشرة سنة[١] .

تلك كانت نشأة السيوطي الأولى : (بيئة علمية حافلة بالشيوخ الكبار ، أسرة صالحة ، ذكاء فطري ، حافظة قوية ، موهبة فذّة) عوامل ساعدت على النبوغ العلمي المبكر .

دراسته والعلوم التي نبغ فيها :

بعد تلك الطفولة المباركة والنشأة الطيبة ، توجّه السيوطي إلى الاشتغال بالعلم مجرداً همته لذلك ، لا يلتفت إلى شيءٍ من أمور الدنيا ، فقد كان يمتلك الرغبة القوية الجامحة ، والاستعداد الحسن والمتابعة الجيدة للتحصيل العلمي ، فلازم العلماء ملازمة تامة وزاحم الطلبة بالأخذ عن أئمة عصره في كل فن ، وعكف على الكتب والمكتبات ينهل مما فيها ، وجدَّ واجتهد ، بحيث كان يمضي وقته كلّه متنقلاً من حلقة شيخ إلى مجلس عالم لا يعرف الكلال والملل ، يقول :

« .. وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة (السبت والاثنين والخميس) وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي .. »[٢] .

ومما يلاحظ على طريقة السيوطي في التلقي عن الشيوخ أنّه كان

(١) التحدث بنعمة الله :٢٣٦ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٠ .

يلازم الشيخ من هؤلاء المذكورين إلى وفاته ثم ينتقل إلى غيره وهكذا ، ولذلك يقول : « ..ولازمته – أي العلم البلقيني – في الفقه إلى أن مات .. فلما توفي سنة ثمان وستين لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي »[1] .

والأمر الآخر الذي تميَّز به السيوطي في أثناء تلقيه للعلم أنَّه كان يصب اهتمامه على المباحث العلمية الدقيقة والجادة ، ولايكتفي بمجرد السرد والسماع ، وهو ما عبر عنه بقوله :

« ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية .. »[2] .

لقد كان إقبالُ السيوطي على العلم إقبالَ الجائع النَّهم الذي لا يرتوي مصداق حديث النبي ﷺ : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »[3] وقد كان السيوطي نموذجاً لطالب العلم الذي لا يشبع ، وقد آتى هذا الحب للعلم والجلد عليه أُكُلَه عند السيوطي سريعاً ، فما هي إلا أن أجازه أشياخه بالتدريس ولم يجاوز السابعة عشرة من عمره ، ففاق أقرانه وأصبح المشار إليه بالبنان ، وتصدَّر للتدريس في سن مبكرة[4] .

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ وقارن بتصدير طبقات المفسرين له (طبعة ليدن) : ص٥ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي (المستدرك : ٩٢/١) وقد أخرجه ابن عدي في الكامل : ٢٢٩٦/٦ ، والطبراني في المعجم الكبير :٢٢٣/١٠ ، وقال الهيثمي : « فيه ليث بن أبي سليم ضعيف » (مجمع الزوائد : ١٣٥/١) وعزاه في المطالب العالية (١٢٣/٢) إلى إسحاق بن راهويه وقال : « فيه ضعف وله شاهد » قلت : وشاهده عند ابن أبي خيثمة في العلم ، انظر جامع الأحاديث (رقم :٢٣٣٨٣) .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٨٨ و ٢٤٠ .

هذا ولم يقتصر تفوق السيوطي وتقدمه على فن واحد ، بل فاق ونبغ في أكثر علوم عصره ، يقول عن نفسه :

« قد رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة[1] بحيث أنَّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمَّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها : الفرائض والإنشاء والترسل ... (ولم) أتبحر في الفرائض كتبحري[2] في تلك مع أنَّ معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم[3] وقد ألَّفت فيها مؤلفاً جامعاً

(١) كذا وقعت العبارة في : التحدث بنعمة الله (٢٠٣) وحسن المحاضرة (٣٣٨/١) أما الشعراني فقد نقلها عن السيوطي على الوجه التالي : « .. على طريقة العرب البلغاء وعلى طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفات » أقول : والذي يظهر لي أن ما جاء عند الشعراني هو الوجه الأقرب وكأنَّ العبارة قد تصحفت في التحدث وحسن المحاضرة ، وذلك أن السيوطي قد تمرس بهذه العلوم على يد شيخ أعجمي رومي كان حجة عصره وهو الشيخ محيي الدين الكافيجي ، وقد تأثر السيوطي به كثيراً ونقل في الأشباه والنظائر النحوية عنه الكثير من المباحث ، إضافة إلى أن آثاره في علم البلاغة تؤكد ذلك ويكفي للتدليل على ذلك أنه استنبط من آية واحدة مئة وعشرين نوعاً بديعياً بحيث يشعر القارئ بأنه يقرأ بحثاً فلسفياً أكثر منه بلاغياً ، وذلك في كتابه (فتح الجليل للعبد الذليل) ـ مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي في لاهور ـ .

(٢) لعل السيوطي يقصد أنَّه لم يتبحر في الفرائض كتبحر شيخه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان يعد فرضي عصره بلا منازع ، وإلا فهو أعلم أهل عصره بعد شيخه فيها .

(٣) أقول : اشتهر بدر الدين المارديني (المتوفى : ٩١٢هـ) في الرياضيات والفرائض وهو عصريّ السيوطي ، وقد كان المارديني يرجع إلى السيوطي فيما يشكل عليه من مسائل الفرائض من ذلك سؤاله في مسألة الولاء التي أجابه السيوطي عنها برسالته المسماة (البدر الذي انجلى في مسألة الولا) المطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي : ١٧٧/١ .

سميته (الجامع) لم أُسبق إلى مثله ، جمعت فيه مسائل الفن وما فيها من خلاف على جميع المذاهب حتى مذاهب الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو في غاية الوجازة[١] ... ودون ذلك في المعرفة : القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ولذلك لم أقرئها أحداً لأنَّها فن إسناد وقد أَلَّفت فيها التأليف البديع[٢] ودونها الطب ، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي ، ومن ظنَّ أنّي قُلت ذلك قصوراً فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت عليَّ فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال »[٣] .

إن ما يدعيه السيوطي ليس مجازفة من غير دليل إذ يكفينا ذلك الكم الهائل من المصنفات والرسائل والمؤلفات التي تركها السيوطي وتداولتها أيدي العلماء حتى يومنا هذا[٤] .

---

(١) الجامع في الفرائض ما يزال مخطوطاً منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٣٨/٤٧٦٠) .

(٢) هو شرح الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) منه نسخة في الظاهرية (١٠/٢٩٩) .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ وانظر مسالك الحنفا : ٢٢٩ (ط/ضمن الحاوي) .

(٤) وضع السيوطي فهرساً لمؤلفاته سنة (٩٠٤هـ) أي قبل وفاته بسبعة أعوام ذكر فيه : (٣٦) مؤلفاً في فن التفسير ومتعلقاته و(٢٠٣) في فن الحديث ومتعلقاته و(٢٤) في ما يتعلق بمصطلح الحديث و(٧١) في الفقه و(١٧) في الأصول والعقائد والتصوف و(٦٣) في اللغة والنحو والتصريف و(٧) في المعاني والبيان والبديع و(٩) في الكتب الجامعة لفنون عديدة و(٦٩) في الأدب والنوادر والانشاء والشعر و(٢٩) في التاريخ ، وبلغ مجموع هذه المؤلفات : (٥٢٨) مؤلفاً حسب احصائي لما ورد في هذا الفهرس المطبوع في لاهور ضمن مجموع اثني عشر رسالة من رسائل السيوطي .

إنَّ مما يلاحظ على كلام السيوطي السابق ما ذكره من أنَّه لم ينبغ النبوغ الكافي في فن الإنشاء والترسل مع أنَّه ترك لنا مجموعة من القطع الأدبية والمقامات لا تتأتَّى في أسلوبها وبلاغتها لأساطين الأدب في عصرنا ، يقول الدكتور مصطفى الشكعة واصفاً مقامات السيوطي :

« إنَّها نماذج من فن القول الأدبي تشهد لصاحبها ببلاغة القلم وتمكن الأسلوب ، وعمق الثقافة ، ورحابة الفكرة ، وخصب العطاء ، والقدرة على التنويع ، وكسر الطوق الذي ضرب حول شكل المقامة وهدفها »[1] .

أي أنَّ السيوطي يعد مجدداً في أدب المقامات[2] وبلغ شأواً في سائر الفنون الأدبية يقول الشكعة : « من اليسير أن نقرر أن الرجل كان كاتباً بليغاً ، ومترسلاً متفنناً ، وأديباً فذاً ، ومؤدباً مرموقاً »[3] .

« ولو أنّه قدر لأعمال السيوطي الأدبية أن تنشر وحدها بمعزل عن آثاره العلمية المتعددة الموضوعات والفنون لكانت شاهدة على أن السيوطي كان واحداً من رجال الأقلام الأفذاذ في عصره وأنّه في مقدمة كتَّاب زمانه إبداعاً وقدرة »[3] .

وإن الإنسان ليعجب حينما يعلم بأن السيوطي لم يذكر من بين الفنون التي تبحر فيها فنوناً وعلوماً أُخرى يعدُّ أُحد نوابغ عصره – بله العصور الإسلامية المختلفة – فيها ، منها على سبيل المثال (علم التاريخ)

---

(١) السيوطي كاتباً وأديباً : الدكتور مصطفى الشكعة (مطبوع ضمن كتاب الندوة) : ٤٣٢ .

(٢) انظر أبرز خصائص التجديد في مقامات السيوطي في شرح مقامات السيوطي لسمير الدروبي : ١/١١١ ــ ١١٩ ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : م ٥/٤٢٧ .

(٣) السيوطي كاتباً وأديباً : ٤٣٢ .

الذي يعرف من نفسه أنَّه أتى فيه بفوائد لم تتأتَّ لبعض شيوخه حيث يقول في مقدمة كتابه الشماريخ في علم التاريخ :

« وبعد: فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً[١] فوضعت في هذا الكتاب من فوائده ما تقر به الأعين وتنحل به الألسن »[٢] .

كما ترك في هذا الفن سوى كتاب الشماريخ عدداً من المؤلفات النافعة الهامة والمفيدة ، وقد أُجريت حول عدد منها البحوث والدراسات الكثيرة مما يدلُّ على أهميتها ، فيعرِّف أحد الباحثين مثلاً كتاب حسن المحاضرة بقوله :

« هو من أمهات المصادر في تاريخ القاهرة خاصة ، وفي التاريخ المصري الإسلامي عامة ، ويضيق المجال في استقصاء روائع ما اشتمل من حقائق ومعلومات واحصائيات وتحليل ونقد ووصف لمظاهر الحياة المصرية في القرن التاسع الهجري »[٣] .

لكل ذلك : « نستطيع أَن نقرِّر أن السيوطي كان في مقدمة المشتغلين بالدراسات التاريخية »[٤] .

---

(١) يشير إلى كتاب شيخه الكافيجي المسمى (المختصر المفيد في علم التاريخ) الذي طبع روزنثال قطعة منه ضمن كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) : ٣١٧ ، وما بعدها .

(٢) الشماريخ في علم التاريخ : ٢٥ ــ ٢٦ ، (مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي بلاهور) .

(٣) مقال للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجلة المنهل السعودية العدد/٤٥٦/ ص : ١٩٣ ، وانظر وصفاً تحليلياً ونقدياً للكتاب في تراث الإنسانية : ٢/٦٣٠ وما بعدها بقلم إبراهيم الأبياري ، وبحثاً للدكتورة سيد كاشف مطبوع ضمن كتاب الندوة : ١٣٣ ــ ١٥٠ .

(٤) دراسات نقدية وتحليلية لكتاب تاريخ الخلفاء : الدكتور علي الخربوطلي ص١٩٣ (مطبوع ضمن كتاب الندوة) .

ويقول باحث آخر : « إن ما تركه السيوطي من المؤلفات التاريخية يسمح لنا أن ننظمه إلى جانب كونه إماما من أئمة الحديث كذلك في سلك المؤرخين »[١] .

وقد سبق إلى ذلك كله نجم الدين الغزي حينما وصف السيوطي بأنَّه : (حجَّة في التاريخ)[٢] .

أما كراتشكوفسكي – المستشرق الروسي – فقد عدَّ السيوطي من بين أبرز الجغرافيين العرب ، وقد أشار إلى أنَّ بعضاً من مقاماته تمس علم الأجناس البشرية (الاثنوغرافية)[٣] .

أما علم الكلام فقد كان السيوطي يميل إلى عدم الاشتغال به ، وقد نقل عنه السخاوي أنَّه قال : « إنَّ بضاعتي في علم الكلام مزجاة »[٤] ولكن هذا لا يعني أنَّه غير متمكن من هذا العلم نستنتج ذلك من كلامه ومصنفاته ، أما كلامه فما ذكره عن نفسه في مقدمة رسالته (الحبل الوثيق في انصرة الصديق)[٥] حيث يقول :

« .. وهذه مسألة تفسيرية حديثية أصولية (كلامية) نحوية ، فمن لم يكن متبحراً في هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم في هذه المسألة ، وأنا أوضح الكلام عليها في فصلين .. »

---

(١) مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عنان : ١٤٢ ، وانظر : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية له أيضاً : ٦٤ .

(٢) لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر للغزي : ١٨٤/١ (ط/وزارة الثقافة السورية) .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي العربي : ٤٨٩ .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

(٥) مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي : ٣٢٦/٢ .

أي أنه متبحر في هذه العلوم الخمسة التي منها علم الكلام .

أما مصنفاته فيكفي الإنسان أن يطالع تكملته لتفسير الجلال المحلي ، وشروحه لكتب الحديث عندما يفسر أو يشرح آيات وأحاديث العقائد والصفات ، ليشهد بأن السيوطي متمكن في علم الكلام عارف بمسائله معرفة خبير حاذق متضلع .

وأما (علم المنطق) فللسيوطي معه شأن آخر سأدعه يحدثنا عن قصته معه حيث يقول :

« ووقعت لي في أيامه – أي البلقيني – واقعة تحريم المنطق وهو أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها ، وذلك أنِّي كنت اشتغلت به فقرأت (ايساغوجي) وشرحه على الشيخ شمس الدين الحنفي ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين – رجل رومي قدم علينا بالشيخونية فنزل عند شيخنا الكافيجي – وكنت إذ ذاك اختصرت (ورقات) إمام الحرمين في مقدمة لطيفة ، فرآها معي القاضي المذكور فأخذها ثم لم يردها إليَّ ، وربما توهمت أنَّه يريد نسبتها لنفسه إذا ذهب إلى البلاد فسقط من عيني وكنت أبحث معه في المسائل الشرعية فأجده عارياً منها فازدريت المنطق جملة ، ثم وقفت على كلام العلماء في ذمِّه ، وما أفتى به (ابن الصلاح) فملت عن المنطق كل الميل ، فألفت كراساً سميته (الغيث المغرق في تحريم المنطق)[1] .

إذاً بامكاننا أن نقول ابتداء إن السيوطي يحرم الاشتغال بالمنطق ، وانه علل ميله عنه بالتأثر السلبي لسلوك عالم من علماء المنطق من ناحية ، وفتوى عدد من علماء المسلمين بتحريم تعاطي هذا العلم من ناحية أخرى .

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤١ ، وقارن بما جاء في اكتفاء القنوع لادوارد فنديك : ٧٦ و٨٧ (طبع مصر بتصحيح محمد علي الببلاوي) ..

ولكن هل يعني هذا أنَّ السيوطي كان عرياً عن معرفة هذا العلم وللجواب على ذلك نتابع ما يقوله السيوطي في مقدمة كتابه صون المنطق والكلام :

وبعد: فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وستين ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته (القول المشرق)[١] ضمنته قول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه ، وذكرت فيه أنَّ شيخ الإسلام أحد المجتهدين تقي الدين ابن تيمية ألف كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ، ومضى على ذلك عشرون سنة، فلما كان في هذا العام وتحدثت بما أنعم الله عليَّ من الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، وذكر ذاكر أنَّ من شروط الإجتهاد معرفة فن المنطق – يعني : وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه – وما شعر المسكين أنِّي أحسنه أكثر مما يدعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصوله وقواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها ، معرفة ما وصل إليها شيوخ المناطقة الآن ... »[٢] .

إذاً فالسيوطي مقرٌّ ببراعته في علم المنطق ومعرفته فيه ، وهذا الإقرار ليس مجرد مجازفة عارية عن الدليل ، فإن من يطالع بعض مؤلفات السيوطي

---

(١) هو نفسه كتاب (الغيث المغدق – المغرق – في تحريم المنطق) الذي مرَّ ذكره قبل قليل ، وللسيوطي في تحريم المنطق أيضاً :
١ – صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .
٢ – جهد القريحة في تجريد النصيحة – لخص فيه كتاب ابن تيمية : نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان – وكلاهما مطبوع بتحقيق الدكتور علي النشار بمصر .
٣ – فتوى في تحريم المنطق ضمن الحاوي للفتاوي : ١/٢٥٥ – ٢٥٧ ، وقد عنونها الطابع بالقول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق ، والذي ظهر لي أنَّ هذا العنوان ليس لهذه الفتوى بل أضيف من بعض الناسخين في بعض النسخ المخطوطة فأثبته الطابع .

(٢) صون المنطق والكلام : ٣ .

يشعر بأنَّه يستخدم فيها أساليب المناطقة ومصطلحاتهم مثال ذلك كتابه : (مســـالك الحنفــا في والدي المصطفى) المطبوع ضمن (الحاوي للفتاوي)[١] وأما في (مقامته البحرية) ، فقد جعل السيوطي من بين شخصياتها رجلاً يتحدث عن قضية نقصان النيل بعد وفائه بمصطلح أهل المنطق[٢] .

وبعد : أظن أن ما تقدم يكفي للتدليل على أن السيوطي لم يكن « مسترسلاً »[٣] فيما ادعاه من تبحره في العلوم التي أشار إليها ، وكيف يدعي ما ليس عنده وهو يروي حديث النبي ﷺ[٤] . « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » ويشرح هذا الحديث بقوله : « المتشبع بما لم يعط : أي المتكثر بما ليس عنده »[٥] .

شيوخه وأساتذته :

لقد زخرت مصر في عصر السيوطي بنخبة من العلماء،والمفكرين والمحققين في جميع فروع المعرفة الإسلامية ، وكان من حظِّ السيوطي أنَّه تتلمذ لصفوة علماء عصره بحيث كان يوصف الواحد منهم بأنَّه حجة في

---

(١) الحاوي للفتاوي : ٢/٢٠٢ وما بعدها .

(٢) المقامة البحرية : ٢٥٧ و٢٦١ و٢٦٩ (شرح مقامات جلال الدين السيوطي بتحقيق سمير الدروبي ، ط/مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م) .

(٣) الضوء اللامع : ٤/٦٩ .

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٩١٦٨) (ط/ محيي الدين عبد الحميد) وقد أخرجه البخاري في النكاح باب المتشبع بما لم ينل (رقم :٤٩٢١) ومسلم في اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس (رقم : ٢١٢٩) وأبو داود (رقم : ٤٩٩٧) وأحمد في المسند .

(٥) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٢٦٢ ، وانظر روح التوشيح : ٣١٥ والفارق بين المصنف والسارق للسيوطي : ٨٢٠ و٨٢٤ (مطبوع ضمن شرح مقامات السيوطي) .

فنه الذي برع فيه ، مع مشاركته وبراعته في بقية الفنون كما سيتضح لنا من خلال تراجمهم الموجزة التي سأوردها فيما يلي ، فمن أشهر هؤلاء :

(١) شمس الدين الحنفي[١] :

هو العلامة : محمد بن سعد بن خليل المرزباني الحنفي المعروف بـ (ابن سعد الدين) .

ولد بعد السبعين وسبعمئة .

كان خازن كتب الشيخونية ، مشهوراً بالصلاح والانجماع عن الناس والإنقطاع إلى الله تعالى ، مقبلاً على نفع العام والخاص والإقراء والتعليم ، وكانت تقريراته للدروس تقريرات بحث .

تمكن من علوم اللغة والمنطق وعلم الكلام فأصبح مبرزاً بين علماء عصره فيها وقد لازمه السيوطي في هذه الفون فقرأ عليه (الكافية) و(شرحها) للمصنف ، و(المتوسطة) و(الشافية) و(ايساغوجي) و(شرحه) للكاتي ، وبعضاً من كتاب سيبويه ، كل ذلك قراءة بحث واتقان ، كما سمع عليه الكثير من الكتب بحثاً مثل : (شرح العقائد) للتفتازاني ، وتلخيص المفتاح ، وبعض (مختصر ابن الحاجب) الأصلي ، وشيئاً من (ألفية العراقي) ، وغيرها .

توفي في شعبان سنة سبع وستين وثمانمئة (٨٦٧هـ) .

---

(١) ترجمته في : نظم العقيان : ١٤٩ ، بغية الوعاة : ١/٧٨ ، التحدث بنعمة الله : ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢) علم الدين البلقيني :[1]

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام : صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني الشافعي ، سليل إحدى الأُسر العلمية التي سطع نجمها إبَّان عصر المماليك .

ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) .

قرأ على جلَّة علماء عصره ، وتخرَّج بأخيه شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني ، واختير لمنصب قضاء القضاة بعد وفاة أخيه المذكور سنة (٨٢٦هـ) وقد كان في قضائه مهيباً فطناً كما تصفه المصادر .

ألَّف عدداً من الكتب عرف منها تفسيره للقرآن ، وشرحه على البخاري ، وحواشيه على الروضة في الفقه الشافعي وغيرها .

تمكَّن في الفقه وعلا نجمه فيه وبذَّ الأقران ، وقد وصفه السيوطي بأنَّه « إمام الفقهاء ، وحامل لواء مذهب الشافعي في العراق ومصر والشام » وقد ذكر أنَّه بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه .

لازمه السيوطي في الفقه الشافعي من سنة (٨٦٥هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه كتاب (التدريب) لوالده إلى كتاب الزكاة ، وسمع عليه من أول (الحاوي) إلى العدد ومن أول (المنهاج) إلى الزكاة ، ومن أول (التنبيه) إلى الزكاة ، وقطعة من (الروضة) وقطعة من (التكملة) للزركشي إلى الوصايا وغير ذلك .

---

(١) انظر ترجمته في : نظم العقيان : ١١٩ ـ حسن المحاضرة :١/١٤٤ ـ التحدث بنعمة الله : ٢٣٨ ـ وقد أفرده بالترجمة كما ذكر في حسن المحاضرة ولكنها مفقودة ، وراجع الضوء اللامع ٣/رقم ١١٩٩ ، و٤/٦٦ .

أجازه بالافتاء والتدريس سنة (٨٦٦هـ) في شهر شوال ، وحضر تصديره لدى مباشرته تدريس الفقه في الجامع الشيخوني في ذي القعدة (٨٦٧هـ) .

توفي البلقيني في رجب سنة (٨٦٨هـ) .

(٣) شرف الدين المناوي :[1]

قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو زكريا يحيي بن محمد بن محمد المناوي المصري الشافعي . (جد عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير) .

ولد سنة (٧٩٨هـ) .

سمع الشرف ابن الكويك ، ولازم ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول ، وتمكن في الفقه الشافعي حتى عدَّ من مجتهدي المذهب .

تصدر للإفتاء والتدريس ، وعيِّن في قضاء القضاة سنة (٨٥٢هـ) وكان في قضائه ديناً ورعاً عادلاً . كما كان « صوفياً له أحوال وكرامات »[2] .

لازمه السيوطي بعد وفاة شيخه (العلم البلقيني) سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه : قطعة من (المنهاج) وسمعه عليه في التقسيم كاملاً إلا دروساً كما سمع عليه الكثير من شرح (البهجة) ومن حاشيته عليها ، ومن تفسير (البيضاوي) ، وغير ذلك .

توفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ .

---

(١) انظر ترجمته في : حسن المحاضرة : ١/٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٧/٣١٢ .

(٢) السيوطي النحوي : ١٦١ نقلاً عن المنجم في المعجم للسيوطي : ٧٢ .

قال السيوطي : « وهو آخر علماء الشافعية ومحقِّقيهم »[1] .

(٤) تقي الدين الشُمني[2]

هو العلامة ذو الفنون : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى الشمني القسنطيني المالكي ثم الحنفي .

ولد بالاسكندرية سنة (٨٠١هـ) .

نشأ وتعلم بالقاهرة ، وتخرج على الشمس الشطنوفي ، والشمس البساطي ويحيى السيرامي والعلاء البخاري وغيرهم .

تميَّز في التفسير والحديث وعلوم اللغة ، وبرع في سائر العلوم ، وكان مالكياً ثم تحنَّف ، وطُلب للقضاء مراراً فأباه ، وعُني بنشر العلم والتصنيف ، فألَّف حاشية على المغني سماها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام) وله (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا) و(شرح مختصر الوقاية) و(شرح نظم نخبة الفكر) لوالده .

كان حجة متوقد الذكاء ، قوي الحافظة ، عفيفاً ، محباً للخير .

لازمه السيوطي أربع سنوات من سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فأخذ عنه الحديث رواية ودراية ، والعربية والمعاني ، فسمع عليه قطعة كبيرة من (المطول) وكذا من توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه روايةً الكثير ، وأطلعه السيوطي على شرحه لألفية ابن مالك ، وكتابه جمع الجوامع في العربية فاستحسنهما وكتب على الثاني مقرظاً : (وقفت على هذا الجمع المفرد

(١) كذا وصفه السيوطي في بذل المجهود في خزانة محمود (ط/ مجلة معهد المخطوطات م ١٣٤/١/٤) .

(٢) ترجمته في : بغية الوعاة : ٣٧٥/١ ، حسن المحاضرة : ٢٧١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٥ .

والتأليف الذي هو جوهرٌ منضدٌ)[١] .

يقـول السيوطي : « وشهد لي غير مرة بالتقدم في العـلوم بلســانه وبنانه »[٢] .

توفي الشمني في ذي الحجة سنة (٨٧٢هـ) .

(٥) محيي الدين الكافيجي[٣] :

هو الإمام المحقق العلامة : أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي .

ولد قبل الثمانمئة للهجرة .

أخذ العـلوم عن البرهان حيدرة والشمس بن العـنزي وجماعة ، وترقى في مراتب المعقول حتى فاق وصـار إمام الدنيا فيها ، وله تصـانيف جاوزت المئة أكثرها في مسائل علمية مفردة .

يعد هذا الشيخ أكثر شيوخ السيوطي عطـاء ، ومن ثَمَّ فقد لازمه السيوطي أربعة عشر عاماً فأخذ عنه :

« .. الفنون قراءة وسماعا من التفسـير والحديث والأصلين والعربية والمعاني وغير ذلك » وكتب له بخطه إجازة عظيمة . وقرأ عليه من (شرح القواعد) له وأشياء من مختصراته . وسمع عليه من (الكشاف) وحواشيه ،

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٦ .

(٣) ترجمتـه في : حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ ، بغيـة الوعاة :١١٧/١ ، التحدث بنعمة الله ٢٤٣ . والكافيجي : نسبة إلى كتاب الكافية في النحو ـ لكثرة اشتغاله به ـ بزيادة (جيم) على عادة الترك في النسب (انظر لب اللباب : ٢١٨ ، تاريخ الأدب العربي لفروخ : ٨٩٩/٣) .

و(المغني) وحاشيته ، و(توضيح) صدر الشريعة ، و(التلويح) للشيخ سعد الدين ، و(تفسير البيضاوي) والكثير من تصانيفه كـ : (شرح كلمتي الشهادة) و(مختصره) في علوم الحديث[١] و(شرح أحكام القوافي) وغير ذلك .

يقول : « .. وما علمت أنّه خُتم عليه كتاب لأنّه كان يقرأ قراءة الأئمة الراسخين في التحقيق ... وعلقت عنه فوائد وأبحاثاً[٢] وأجازني بتدريس سائر الفنون ... وقرَّرني في تدريس الحديث بالشيخونية .. وكانت مدة ملازمتي له أربع عشرة سنة ما دخلت عليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة »[٣] .

توفي الكافيجي في الرابع من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمئة (٨٧٩هـ) .

(٦) سيف الدين الحنفي[٤] :

هو الإمام العلامة : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي .

ولد على رأس الثمانمئة الهجرية .

أخذ عن مشاهير عصره أمثال : السراج قارئ الهداية ، والزين

---

(١) مطبوع بتحقيق د. علي زوين (نشر دار الرشد الرياض : ١٩٨٧م) .

(٢) أورد السيوطي بعضاً من أبحاث شيخه الكافيجي في كتابه : (الأشباه والنظائر النحوية) الجزء الرابع : ص٤١٦ ـ ٦٢٢ (ط/مجمع اللغة العربية بدمشق ، بتحقيق أحمد الشريف) .

(٣) المرجع السابق : ٢٤٤ .

(٤) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ .

التفهني ولزم الكمال بن الهمام وتخرج به .

مهر في الفقه والأصول والنحو حتى قال عنه شيخه الإمام الكمال بن الهمام :

« هو محقق الديار المصرية ، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير وعدم التردد إلى أحد أبداً مدة عمره » ووصفت دروسه بأنَّها إليها المنتهى في التحقيق والتؤدة ونقل مقالات العلماء .

وقد لازمه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة من (الكشاف) و(التوضيح) وحاشيته عليه ، و(شرح شذور الذهب) و(تلخيص المفتاح) و(العضد) وغير ذلك .

مات في ذي القعدة سنة إحدىٰ وثمانين ثمانمئة (٨٨١هـ) .

قال السيوطي : « وهو آخر شيوخي موتاً لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه العلم إلا رجلٌ قرأت عليه ورقات من المنهاج[١] .

هؤلاء هم الشيوخ الذين لازمهم السيوطي وأكثر من الأخذ عنهم وكان لهم الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية وتكوينه الفكري وسلوكه الاجتماعي وله سواهم مجموعة أخرى من الشيوخ جالسهم واستفاد من دروسهم ولكن لم تطل مدة مجالسته لهم ، ولم يكن لهم ذلك التأثير الواضح في شخصيته من أمثال :

الشيخ : جلال الدين المحلي (ت : ٨٦٤هـ)[٢] .

والعلامة : شهاب الدين الشارمساحي (ت : ٨٦٥هـ)[٣] .

---

(١) يشير إلى الشيخ شمس الدين الباني المتوفى سنة (٨٨٥هـ) (التحدث بنعمة الله ١٦٣) .

(٢) الكوكب السائرة : ١/٢٢٦ .

(٣) نظم العقيان : ٤٣ .

وقاضي القضاة عز الدين الكناني (ت : ٨٧٦هـ)[١] وسواهم .

أما شيوخ السيوطي في الإجازة والسماع فكثيرون جداً ، أوصلهم إلى أكثر من ستمئة شيخ وشيخة[٢] ، وبالجملة فـ :

« إنّ قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول قد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول »[٣] .

وقد حاولت فيما مرّ أن أركز الضوء على بعض ممن تخرج بهم السيوطي ليكون ذلك بمثابة رد على السخاوي الذي اتهم السيوطي بأنّه لم يمعن في الطلب ، وأنّه استبد بالأخذ من بطون الكتب ، وقد تابع غير واحد من الكاتبين السخاوي في ترديد هذه التهمة دون تحقيق ، يقول الدكتور عمر فروخ :

« ويبدو أن ثقافة السيوطي كانت راجعة إلى جهوده في المطالعة .. »[٤] .

رحلاته العلمية :

(**الرحلة الحجازية**) كانت رحلة السيوطي الأولى إلى الحجاز وابتدأها في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) حيث وصل إلى مكة بطريق بحر القلزم (الأحمر) منتصف جمادى الأولى ، واستمر مقيماً فيها مجاوراً إلى أن حجَّ في السنة نفسها وقد ألف في أثناء هذه الرحلة عدداً من المصنفات منها :

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ .

(٢) وجمعهم في معجم شيوخه الكبير المسمى (حاطب ليل وجارف سيل) .

(٣) روضات الجنات للخوانساري : ٤١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٨٩٩/٣ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

١ ـ مختصر ألفية العراقي في المصطلح نظمها في نحو ثلثي أصلها قال في آخرها :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القلزم مسافراً للبلد المحرم
وفي ربيع لاح زهر نظمها وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي بعد ثمانمئة للهجرة[١]

٢ ـ كتاب على نمط كتاب (عنوان الشرف الوافي) احتوى خمسة أنواع من العلوم هي : النحو والمعاني والبديع والعروض والتاريخ ، وسماه (النفحة المسكية والتحفة المكية) أتم تأليفه في يوم واحد في نحو كراسة[٢] .

٣ ـ كما جمع السيوطي فوائد هذه الرحلة المباركة وما وقع له فيها ومن لقيه أو أجازه أو استجازه في كتاب سماه : (النحلة الزكية في الرحلة المكية)[٣] .

وبعد أداء مناسك الحج زار وقفل راجعاً إلى بلده فوصلها افتتاح سنة (٨٧٠هـ) وقد لقي في رحلته كبار شيوخ الرواية من علماء الحرمين الشريفين أمثال :

العلامة نحوي الحجاز قاضي المالكية محيي الدين عبد القادر بن أحمد بن محمود بن عبد المعطي الأنصاري (المتوفى : ٨٨٠هـ) الذي استجازه الإمام السيوطي وأطلعه على شرحه للألفية فاستحسنه وكتب عليه تقريظا[٤] .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .
(٢) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٧٠ .
(٣) وتسمى الرحلة المكية والمدنية (انظر التحدث بنعمة الله : ١٢٧ و٧٩) .
(٤) ترجمته في بغية الوعاة : ٣٧٢/١ ، وانظر أيضاً : ١٠٤/٢ . وانظر نص تقريظه على شرح الألفية للسيوطي في التحدث بنعمة الله : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

والعلامة الحافظ نجم الدين بن تقي الدين محمد بن المكي (المتوفى ٨٨٥هـ) وهو من طلبة والده ، وقد أجاز السيوطي بمروياته وكتب بعضاً من مصنفات السيوطي ، وهو الذي أشار على السيوطي أن يختصر طبقات النحاة الكبرى فاختصرها بكتابه (بغية الوعاة)[١] .

الرحلة المصرية

وللسيوطي رحلة أخرى سوى الرحلة المكية زار فيها بعض مدن مصر أنشأها بعد عودته من رحلة الحج واستمرت نحواً من ثلاثة أشهر من رجب إلى شوال سنة (٨٧٠هـ) زار خلالها دمياط والفيوم والإسكندرية وغيرها من المدن ، وقد جمع فوائد هذه الرحلة أيضاً في مؤلف سماه (الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)[٢] يقول :

« وفي هذه الرحلة حدَّثت بعُشارياتي وبأشياء من نظمي ، وكُتب الكثير من كلامي وتصنيفي ، وطُلب مني الإجازة » .

ويتضح للباحث من خلال حديث السيوطي عن هذه الرحلات وما وقع له فيها أنَّه لم يخرج من القاهرة للارتحال إلا وقد أصبح وعاء علم وأنَّه كان هو المفيد أكثر مما كان مستفيداً ، وأن الذين أجازهم أكثر من الذين أجازوه مما يدل على أنَّ شهرته سبقته قبل أن يخرج .

(١) ترجمته في الرسالة المستطرفة : ٨٤ ، وانظر التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٢) وتسمى قطف الزهر في رحلة شهر ، وله في الرحلة إلى الفيوم مؤلف مستقل سماه (الرحلة الفيومية) انظر التحدث بنعمة الله : ٨٣ و١٢٧ وقارن بمكتبة الجلال السيوطي : ٢٠١ .

(آراء وأنباء)

الأستاذ المهندس وجيه السمان

في ذمة الله

ينعى مجمع اللغة العربية بدمشق إلى المجامع والجامعات والمحافل العلمية ببالغ الأسى عضو المجمع الأستاذ المهندس وجيه السمان الذي لقي وجه ربه صباح يوم الاثنين التاسع عشر من شهر صفر ١٤١٣هـ الموافق للسابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٩٩٢م .

ولد الفقيد في دمشق عام ١٣٣١ للهجرة الموافق لعام ١٩١٣م ، ودرس في مدارس دمشق ، ثم في المدرسة المركزية (Ecole Centrale) بباريس ، وعاد إلى الوطن سنة ١٩٣٧م ليعمل مدرساً للرياضيات والفيزياء في المدارس الثانوية ، ثم أستاذاً في أول كلية للهندسة أنشئت في سورية بمدينة حلب عام ١٩٤٦م ، وأصبح عميداً لهذه الكلية (١٩٤٧ – ١٩٥١م) فكان له الفضل في ترسيخ دعائم الكلية والارتقاء بها إلى المستوى العلمي العالمي .

ووكل إليه أولو الأمر في عام ١٩٥١م إدارة مؤسسة الكهرباء بدمشق ، بعد أن غدت ملك الوطن ، فعمل بجد ودأب حتى أعادها عربية الوجه واللسان .

واختير عام ١٩٥٧م عضواً في أول مؤسسة للإنماء الاقتصادي في سورية ، ليسند إليه بعد ذلك منصب نائب الرئيس فيها . وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر (١٩٥٨ – ١٩٦١م) تبوأ منصب وزير الصناعة . ومنذ

عام ١٩٦١م اعتزل المناصب الحكومية ليتفرغ للكتابة والترجمة والتأليف والتدريس .

وقد أهلته معرفته بالعربية وإحاطته بأسرارها ، واطلاعه على علوم العصر في الهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء الاطلاع العميق الواسع وإتقانه الانكليزية والفرنسية أن يتبوأ في عام ١٩٨٦ مقعده في مجمع الخالدين ، وأن يشارك المشاركة الجادة في أعماله ولجانه ، لا يعرف الملل ولا الكلال .

لقد كان الفقيد ، رحمه الله ، عالماً مبرزاً ، ومعلماً فذّاً ، ألف في مطلع حياته كتاباً في الفيزياء لطلاب السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية ، نهلت منه أجيال من الفتيان والفتيات ، وأصبح الكتاب رائداً لمن ألفوا بعده في هذا العلم . وترجم كتباً جليلة في علوم الفيزياء والفلك والهندسة ، وشارك في كثير من المؤتمرات العلمية العربية والعالمية .

وإلى جانب عناية الفقيد بالجانب العلمي فقد تجلى اهتمامه البالغ باللغة العربية وآدابها . كان غيوراً على لغة الضاد ، محباً لها ، حريصاً على سلامتها ، وقد أسعفته مقدرته اللغوية في وضع الكثير من المصطلحات العلمية والمشاركة في تأليف طائفة من المعجمات .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ، وجزاه جزاء الصالحين المخلصين ونفع أمته بعمله الباقي . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الكتب والمجلات المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثالث من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أبطال من تاريخ العرب ـ غالب الحمود ـ عمّان ١٩٨٩ .

أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلّاد المتوفى سنة ٢٨٢ ، دراسة وتوثيق ـ الدكتور أنور أبو سويلم ـ دار عمّار ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

أبو منصور الماتريدي ، حياته وآراؤه العقدية ـ بلقاسم الغالي ـ دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحتها بعثة صحيفة واشنطن تايمز الأمريكية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ . كوريا ١٩٩٢ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحها مدير تحرير اساهي شيمبون اليابانية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ . كوريا ١٩٩٢ .

أشغال ملتقى الجامعة والتحولات الاجتماعية ، تونس ١٤ ـ ١٩ ماي ١٩٩٠ ـ عدد من الباحثين المشاركين في الملتقى ـ تونس ١٩٩٢م .

الإعلام بوفيات الأعلام – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، حققه وعلق عليه رياض عبد الحميد مراد وعبد الجبار زكار – دار الفكر ، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار – أبو محمد الرُّشاطي وابن الخراط الإشبيلي ، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخاثينيو بوسك بيلا – المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي (سلسلة المصادر الأندلسية ٧) مدريد ١٩٩٢ .

بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة ، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م – عدد من الباحثين المشاركين في الندوة – الجامعة السلفية بنارس الهند ، المطبعة السلفية ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام – أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، صححه وشرحه أحمد الألفي ، ترجم للمؤلف وأعد الفهارس الدكتور محمد أبو الأجفان – تونس ، المكتبة العتيقة ١٩٨٥م .

البنية الصوتية للكلمة العربية (مذيل بمعجم عربي فرنسي) – د. عبد القادر الجديدي – تونس ١٩٨٦م .

بيان الإعجاز في سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ – أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي ، تحقيق وتعليق د. حمد بن ناصر دخيل – الرياض ١٤١١هـ .

التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي ـ الدكتورة نسيمة راشد الغيث ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٢م .

التقسيم والتشجير (تقاسيم العلل) ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق وترجمة د. صبحي محمود حمامي ـ معهد التراث العلمي العربي ، حلب ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

ثم اهتديت ـ د. محمد التيجاني السماوي ـ مؤسسة الفجر ، لندن .

الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة ـ الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات ـ عمان ١٩٩٠م .

جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين ـ علي المحجوبي ـ دار سراس للنشر ، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر ، تونس ١٩٩٠م .

حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء والنقاد ـ الدكتور مقتدى حسن الأزهري ـ الجامعة السلفية ، ببنارس ، الهند ، المطبعة السلفية .

حول إدارة الاقتصاد الاشتراكي ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول إرساء نظام قيادة الحزب بصورة تامة ـ كيم جونغ ايل ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٨م .

حول إعلاء الدور القيادي للحزب ـ كيم جونغ ايل ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول تربية أفراد الجيل الصاعد كمواصلي الثورة – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٣٥٠هـ ١٩٣١م – عبد العزيز الثعالبي ، أعدها للنشر الدكتور أحمد بن ميلاد ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٨م .

دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي – عبد الفتاح الزين – المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ١٩٩١م .

ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي – قدم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور علي الهروط ، ساعد في تحقيقه د. علي الشوملي – عمان ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ديوان شهاب الدين بن خلوف – جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة – الدار العربية للكتاب ١٩٨٨م .

الروح التحررية في القرآن – تأليف الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ترجمة وتحقيق د. زهير الذوادي – الكتاب الشهري ، تونس ١٩٨٨م .

سيف من سيوف الله سيف الدولة الحمداني – الدكتور أحمد فاعور – أربد ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الشابي من خلال يومياته – محمد فريد غازي – الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي (جزءان) – تحقيق سمير محمود الدروبي – مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

شظايا حزيران (شعر) – جورج صيدح – باريس ١٩٧١م .

شهيرات التونسيات – حسن حسني عبد الوهاب – تونس ، طبعة ثالثة ١٩٨٥م .

طرائق المعالجة السطحية بالليزر (تقنية الليزر وتقانته) – تأليف أ. غ. غريغور يانتس ، أ. ن. سافونوف ، ترجمة الدكتور محمد غانم ، تدقيق ومراجعة الدكتور محمد علي سلامة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢م .

الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيان ، مسائل من البحر المحيط – قاسم محمد صالح – عمّان ١٩٩١م .

عقيدة البعث في الإسلام – الدكتور التهامي نقرة – الجامعة التونسية ، سلسلة الدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية .

فاسألوا أهل الذكر – الدكتور محمد التيجاني السماوي – مؤسسة الفجر ، لندن (هدية مجمع الإمام الهادي بمشهد) .

قانون الأرض لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٧٧م .

قانون الخدمات الصحية العامة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٠م .

قصة مدينة بيسان – يوسف عبيد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة حلب – حامد الخطيب – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة يافا – عز الدين غربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قفصة قديماً وحديثاً – محمد علي بلحولة – تونس ١٩٩٠م .

كشاف الفهارس ووصاف المخطوطات العربية في مكتبات فارس (الجزء الأول : علوم القرآن ، قراءة وتجويد) – الدكتور سيد محمد باقر حجتي – إيران ١٩٩٢ .

مختصر كتاب التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية عليهم السلام والتحية – محمد بن محمد بن النعمان – إيران .

مشكلة المسجد البابَري في ضوء التاريخ والكتابات المعاصرة – الدكتور مقتدى حسن الأزهري – إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

مع الحسين بن علي ؛ مبادئ ومواقف من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة التي أصدرها المغفور له الحسين بن علي ١٩١٦ – ١٩٢٤م . – عرض وتبويب وتعليق الدكتور سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي النسعة – مديرية المطابع العسكرية بالأردن ١٩٩١م .

معجم مصطلحات العروض والقافية – د. محمد علي الشوابكة ود. أنور أبو سويلم – نشر بدعم من جامعة مؤتة ، عمّان ، دار البشير ١٩٩١م .

المُعْلِم بفوائد مسلم (الجزء الثاني) – الإمام المازري أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر – بيت الحكمة ، قرطاج ١٩٨٨م .

منازل السائرين إلى الحق المبين (الجزء الثاني) – أبو إسماعيل الهروي ، شرح عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني ، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩م .

النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر – عدد من الباحثين المشاركين في المؤتمر الذي عقد في تونس من ٤ – ٩ ديسمبر ١٩٨٩م – الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٩٢م .

نظرات عصرية في القرآن الكريم – محمد لطفي جمعة ، تقديم جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر – عالم الكتب ، القاهرة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي – د. عبد القادر المهيري ، ود. حمادي صمود ، ود. عبد السلام المسدي – الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٨م .

النهضة العربية الكبرى ؛ دراسات وأبحاث – تقديم وتحقيق العقيد الركن قاسم محمد صالح ، والنقيب قاسم محمد الدروع – مديرية المطابع العسكرية الأردنية ١٩٨٩م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٠	١٩٩٢	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٣١٦ ـ ٣٣٠	١٩٩٢	سورية
بحوث جامعة حلب	١٠	١٩٨٩	سورية
البطريركية	من ١١٤ ـ ١١٦	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٧ ، ٤٨	١٩٩٢	سورية
الثقافة	حزيران ، تموز ، آب	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٢٢ ـ ٣٦	١٩٩٢	سورية
جامعة دمشق	٢٢/٦	١٩٩٠	سورية
دراسات تاريخية	من ٣٩ ـ ٤٢	١٩٩٢	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٥٨	١٩٩٢	سورية
صوت فلسطين	٢٩٣ ، ٢٩٦	١٩٩٢	سورية
الضاد	من ٤ ـ ٧	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	١٩	١٩٩٢	سورية
مجموعة مجلة العمال العرب	ـ	١٩٩١	سورية
المعرفة	من ٣٤٥ ـ ٣٤٧	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	من ٢٥٠ ـ ٢٥٢	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٢	١٩٩٢	سورية
نهج الإسلام	٤٨	١٩٩٢	سورية
دراسات	١ ، ٢	١٩٩١	الأردن
راية مؤتة	١	١٩٩٢	الأردن
اليرموك	٣٦	١٩٩٢	الأردن
دراسات	٤ ، ٥	١٩٩٢	الامارات المتحدة

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
التعليم الأساسي	–	١٩٩٢	تونس
دار المعلمين العليا	١	١٩٩١	تونس
الدروس العمومية	١	١٩٩٠	تونس
دليل كليات التربية في الوطن العربي	–	١٩٩٠	تونس
المجلة المعجمية	٢، ٣، ٤	٨٦ – ٨٨	تونس
البيبلوغرافيا الجزائرية	٥٤	١٩٩٢	الجزائر
الدارة	١، ٢	١٩٩٢	السعودية
البحوث الفقهية المعاصرة	١٤	١٩٩٢	السعودية
عالم الكتب	٤	١٩٩٢	السعودية
الفيصل	١٨٩	١٩٩٢	السعودية
أخبار التراث الإسلامي	٢٥، ٢٦	١٩٩٢	الكويت
دراسات فلسطينية	١٠	١٩٩٢	لبنان
الشراع	من ٥٣٠ – ٥٤٢	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٩	١٩٩٢	لبنان
الارشاد	٣	١٩٩٢	المغرب
الثقافة المغربية	٧	١٩٩٢	المغرب
دعوة الحق	٢٨٧، ٢٨٨	١٩٩٢	المغرب
الوحدة	٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥	١٩٩٢	المغرب
دراسات يمنية	٤٢	١٩٩٠	اليمن
الدراسات الإسلامية	٣	١٩٩١	باكستان
المجمع العلمي الهندي	١، ٢	١٩٩١	الهند
نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٨	١٩٩٢	تركيا
اللقاء	–	١٩٩٢	ألمانيا
نشرة العلم والتكنولوجيا	–	١٩٩٢	بريطانيا
كوريا	٢٨	١٩٩٢	كوريا

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء محاسني

I - BOOKS:

1 - BIBLIOGRAPHY OF ISLAMIC AND MIDDLE EASTERN STUDIES IN JAPAN, 1869 - 1988/ compiled by centre for east asian cultural studies, 1992. 787 P.,

2 - REMINISCECES WITH THE CENTURY/ by KIM IL SUNG. - Korea, 1992. - vols.: I,2, Illus.,

3 - EL HOMBRE Y SU AMBIENTE EN LOS ANDES CENTRALES/ EDITED BY LUIS MILLONES. - Osaka (Japan), 1980. - 307 P., (Serie Ethnological studies, NO. IO.).

4 - The making of the Romanian Unitary National state, 1918/ BY STEFAN PASCU. - Romania, 1989. - 277p., Illus.

5 - The MAKING OF THE UNITARY ROMANIAN NATIONAL STATE, ECONOMIC PREMISES/ by VICTOR AXENCIUC and ION TIBERIAN. - Romania, 1989. - 30I P.

6 - Trente d'economie marocaine, 1960 - 1990/ by HABIB EL MALKI. - Paris, 1989. - 244p.

7 - LES VILLES DANS L'EMPIRE OTTOMAM: ACTIVITES ET SOCIETES/ par DANIEL PAMZAC. - Tome I, Paris, 1991. - 416p.

8 - IMMIGRATION ET ECOLE: LA PLURALITE CULTURELLE, ETAT DES QUESTIONS DOSSIERS DOCUMENTAIRES/ par CIAUDE LIAUZU. - AIX - EN - PROVENCE, 1981 205p. (with ESSAI BIBLIOGRAPHIQUE 1975 - 1988 par Nasse et Tieche).

9 - LE MONDE ARABE ET MUSULMAN AU MIROIR DE L'UNIVERSITE FRANCAISE/ PAR Institut Du Monde Arabe. - Aix - En - Provence, 1992. - Thesam I - 4.

10 - La Republique Democratique Du Soudan, Bilan des recherches en France et en R.F.A. bibliographie sélective 1900 - 1986./ par TALAAT

EL – SINGABY. – Aix – En – Provence, 1987. – 139p.

11 – Migration Internationales Au Moyen – Orient: 1975 – 1986, Bibliographie. par Gilbert Beauge et Aicha Bendiab. – Aix – En – Provence, 1987; 186p.

12 – The Great Romanian Peasant Revolt of 1907/ by M.Badea and others, edited by Lon Ilincioiu. – Romane, 1991. – 295p., Series: Bibliotheca Historica Romanie.

13 – Le décor sur bois dans L'architecture des Fes/ par Catherine CAMBAZARD – AMAHAN. – PARIS, 1989. – 235p., Illus. (Editions du CNRS).

13 – L'Emigration Maghrébine de 1962 à 1985, Repertoire Bibliographique/ par Simone Nassé and others. – Aix – En – Provence, 1986. – 235p (publi. by universités D'aix – Marseille.).

14 – LE MAGHREB MUSULMAN EN 1979/ sous la direction CHRISTIANE SOURIAU. – Paris, 1981. – 412p. (published by centre De Recherches Et D'Etudes sur les societes Mediterraneenes).

II – PERIODICALS:

1 – Der Islam, Zeitschrift fur Geschichte und Kultur des Islamischen Orients, Band 69 Heft I, 1992, Walter de Gruyter. Berlin.

2 – STVDIA ISLAMICA, Paris, edited by HALIL INALCIK and Others., Vols.: Lxx, LxxI, LXXII, LXXIII, LXXIV, LXXV.

3 – ORIENTALIA SUECANA, founded by ERIK GREN, Stockholm SWEDEN, Vol. XL (1991).

4 – EAST ASIAN REVIEW, publ. by The Institute for East Asian Studies, Seoul Korea, Vol. IV, Nos.: 1,2,3 (1992).

5 – HAMDARD ISLAMICUS, A QUARTERLY JOURNAL OF BAIT AL HIKMAT (HAMDARD FOUNDATION PAKISTAN), vol XV, Summer 1992, No 2.

6 – ORIENT, REPORT OF THE SOCIETY FOR NEAR EASTERN STUDIES IN JAPAN, TOKYO Vol.: XXvII, 1991.

7 – ISLAMIC STUDIESE, Islamic Research Institute, Islamabad (PAKISTAN), Special Issue, vol.30, NOs.I – 2 (1991).

8 – IBLA, REVUE DE L'INSTITUT DES BELLES LETTRES ARABES, TUNIS., NO.169, 1992.

9 – THE MIDDLE EAST JOURNAL, Middle East Institute, WASHINGTON,D;C., VOL.45, NO.4, AUTUMN 1991.

10- DURHAM UNIVERSITY JOURNAL, ENGLAND, January (1992).

11- Le COURRIER de L'UNESCO, Paris, june, september, october, 1992.

12- THE UNIVERSAL MASSAGE, Islamic Research Academy, August, 1992, Pakistan.

13- SGI quarterly, (magazine of the SOKA GAKKAI INTERNATIONAL), Jan - Mar. (1992).

14- SOURCES, UNESCO, PARIS, NOS.: 37 - 39 - 42.

15- LETTERA DALL'ITALIA, INstituto della Encyclopedia Italia fondata da G. Treccani, Roma, Anno VII, NO.27, July - September (1992).

16- COREE, Nos.: 389, 390, 391, 392; July - October (1992).

17- ABN CORRESPONDENCE, Bulletin of The Anti - Bolshevik Bloc of Nations, Munich, West Germany, vol.XLIII, Nos.: I - 2, January - April (1992).

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والستين

بيان

ضاق هذا الجزء عن استيعاب جميع المقالات التي تحدثت عن الإمام السيوطي .

وستنشر بقية المقالات في الجزء الرابع من المجلد الثامن والستين .

الفهارس العامة للمجلد السابع والستين

أ – فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب - فهرس المقالات
منسوقة على حروف المعجم

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)